بسم الله الرحمن الرحيم

العدد العشرون

أهل البيت عليهم السلام

ربيع الأول ١٤٣٨ هـ / كانون الأول ٢٠١٦

مجلة فصلية محكمة تصدر عن جامعة أهل البيت عليهم السلام

الإشراف العام: أ.د. صادق عبدالمطلب الموسوي
(رئيس الجامعة)

رئيس التحرير: أ.د. لبنان هاتف الشامي
(مساعد رئيس الجامعة)

مدير التحرير: أ.د. باقر جواد الزجاجي
(عميد كلية الآداب)

أعضاء هيئة التحرير

أ.د. عباس حسين جواد الحميري / كلية العلوم الاسلامية
أ.د. عزيز جبر شيال / كلية القانون
أ.د. ماجد حمزة طعمة الدفاعي / كلية الآداب
أ. د. حسن حنتوش رشيد الحسناوي / كلية القانون
أ. د. منصور مذكور الحلفي / كلية العلوم الاسلامية
أ. د. عادل خليل مهدي / كلية الآداب

كربلاء، شارع الحر، شارع الحر الصغير، جامعة أهل البيت عليهم السلام
ص.ب: ٤٨٦، هاتف:٣٥١٢٥٧-٩

Karbala, Al-Hurr street، P.O.Box: 486,Tel: 351257-9

info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq

الهيئة الإستشارية

الأستاذ الدكتور
حسن عبدالهادي الجلبي
الجامعة الاسلامية / بيروت

الأستاذ الدكتور
عبود جودي الحلي
جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور
نبيل كاظم عبد الصاحب
رئيس جامعة النهرين

الأستاذ الدكتور
عادل البغدادي
رئيس جامعة بابل

الأستاذ الدكتور
علي عبد اللّه
عميد كلية اليرموك الجامعة

الأستاذ الدكتور
أحمد سليم
جامعة الاسكندرية / مصر

الأستاذ الدكتور
أكرم محسن الياسري
جامعة كربلاء

الأستاذ الدكتور
عبدالجبار محمود

الأستاذ الدكتور
أحمد خليل الحسيني
جامعة بابل

الأستاذ الدكتور
علاء فرحان الدعمي
جامعة كربلاء

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد
٨٥٤ لسنة ٢٠٠٥
ISSN 1819-2033

قواعد النشر في المجلة

ترحب مجلة أهل البيت عليهم السلام بمساهمات الاساتذة والكتّاب والباحثين في مجالات الفكر الإسلامي، والعلوم الإنسانية والإجتماعية مع الإهتمام بقضايا المشكلات الثقافية في العالم العربي والإسلامي، والتجدد والبناء الحضاري، وكذلك قضايا الإنماء التربوي والتعليمي.

يشترط في المادة المرسلة:

أن لاتكون قد نشرت أو أرسلت للنشر في مجلات أخرى.

☑ أن تلتزم بقواعد البحث العلمي والأعراف الأكاديمية بتوثيق المصادر والمراجع، بذكر البيانات كاملة، مع تحقق الموضوعية والمنهجية والمعالجة العلمية، مع تخريج النصوص القرآنية والحديث النبوي الشريف بصورة دقيقة وكاملة.

☑ أن يراعي الباحث سلامة اللغة وحسن صياغتها.

☑ يقدم البحث من نسختين مطبوعة على الآلة الكاتبة والحاسوب ويرافقه ملخص في صفحة واحدة مع تعريف بالباحث.

☑ تخضع المادة المرسلة للنشر لمراجعة المقومين المتخصصين.

☑ لا تعاد المواد التي ترسل إلى المجلة ولا تسترد، نشرت أم لم تنشر. ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبه.

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان.

كربلاء المقدسة، شارع الحر،شارع الحر الصغير،جامعة أهل البيت عليهم السلام
ص.ب: ٤٨٦، هاتف: ٣٥١٢٥٧٠٩
البريد الالكتروني: info@abu.edu.iq
الموقع الالكتروني للمجلة: http://abu.edu.iq/ahl-al-bayt-jurnal

محتويات العدد

كلمة هيئة التحرير..... ٧

خيار العيب في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة- ٩

أ.د صاحب محمد حسين نصار

م.م عمار محمد حسين محمد علي

إرهاصات الردة بعد الرسول ﷺ ودور الإمام الحسين عليه السلام في التصدي لها..... ٤٥

م.م جاسم حسن عبد الرضا المرسومي

القرآنية في مراثي العباس بن علي عليه السلام دراسة تحليلية لفاعلية النص القرآني في مراثي العباس عليه السلام..... ٨٧

م.م مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي

الاستزراع السمكي في محافظة كربلاء..... ١١٩

أ.د.سلمى عبد الرزاق الشبلاوي

الحركات الاسلامية المسلحة المبايعة لتنظيم"الدولة الاسلامية"بوكوحرام إنموذجا..... ١٤١

م.م مؤيد جبار حسن

م.م حسين باسم عبد الامير

التعسف في استعمال حق التقاضي..... ١٦٠

أ.م.د عادل شمران الشمري

م.م علي شمران الشمري

الإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية..... ١٧٤
أ.م.د عبد الرسول عبر الرضا الأسدي
م.م صالح مهدي كحيط

الاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة على أعمال السلطة القضائية العراقية- دراسة تحليلية نقدية في القانون ١٩ لعام ٢٠١٣-..... ٢٠١
د. علي سعد عمران القيسي

أحكام وآداب السياحة..... ٢٢٨
م.م علاء كاظم ابراهيم

جماليات الزخرفة الإسلامية على أبواب الروضة ألكاظمية..... ٢٥٣
د. أثمار حميد كريم

الطائفية واثرها في بنية المجتمع المدني: مقاربة لترسيخ حالة التعايش السلمي في العراق..... ٢٧٤
أ.م.د. سامر مؤيد عبد اللطيف
أ.م.د. خالد عليوي جياد العرداوي

قواعد الإسناد وآليات التطبيق في العراق..... ٣٠٥
د. حسن علي كاظم

عقد التأمين على الطائرة ـ دراسة مقارنة..... ٣٤٧
أ.م.د علاء عزيز حميد الجبوري
حسنين مكي جودي

سيميائية العنوان في شعر كاظم السعدي مجموعة (فضاء المعنى) انموذجاً ٣٦٧
أ.م.د احمد صبيح الكعبي
رغد عبود الحلي

النظرية الواقعية: دراسة في الاصول والاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة ((قراءة في الفكر السياسي الامريكي المعاصر))..... ٣٨٦
م.م ميثاق مناحي دشر

الدور السياسي للسيد محمد محمد صادق االصدر في تاريخ االعراق المعاصر (١٩٩١-١٩٩٩م)..... ٤٣٤
م.د صالح عباس ناصر الطائي

قانون الحماية الدبلوماسية و شروطها ٤٦٩
أ.م.د علي خالد دبيس

الإبداع التسويقي وأثره في تصميم البناء الأخضر ٤٨٨
م.م. حسين وليد حسين
م.م. احمد عبد محمود

البطل التراجيدي وتحوله في نصوص مسرح اللامعقول ٥١١
م.م حسين رضا حسين

مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم ومدى تطبيقها من قبلهم في العملية التعليمية ٥٢٧
م.م رضا عباس حسن

الجذور التاريخية لنشاة دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٤٥ – ١٩٧١ ..... ٥٦٧
م.م الاء عبد الكاظم جبار

القسم الأنكليزي

التقابلية والمقارنة دراسة الأزمنة في اللغة الإنكليزية والعربية ٦
م.د. شيماء المعمار

not defined.

كلمة هيئة التحرير

يومان في تاريخ الأمة

مناسبتان عشناها بكل تفاصيلها مناسبة ميلاد الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم في ربيع الأول ومناسبة شهادة الامام الحسين عليه السلام في محرم واربعينيته في صفر.

وبين الولادة والشهادة طريق ممتد على مدى أكثر من قرن من الزمان تداخلت فيه حياة النبوة مع حياة الامامة بأجلى صورها وأروع مشاهدها الحية النابضة بالحياة لأمة قدرت في عمرها على رقعة التاريخ وتربعت على صدر الحضارات بأبهى حلية حيث العلم والثقافة والأدب والفن ارتقى إليه المسلمون الأوائل إلى مستويات رفيعة ما لم تصله الأمم والشعوب.

يومان في تأريخ أمة الاسلام يوم تلقى فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو في أعالي جبل النور أول كلمات الوحي وصدع بالرسالة معلناً نهاية الشرك والكفر وبداية التوحيد ....ويوم تلقت السماء دماء الامام الحسين عليه السلام وهو في رمضاء كربلاء مقدّماً نفسه فداءً لدين جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

إن كان دين محمد لم يستقم إلا بقتلي فيا سيوف خذيني

فأحيي بدمه الطاهر دين جده .

ولاعجب

فلو لا الحسين عليه السلام لصلينا اليوم خلف خليفة كيزيد بن معاوية وسرنا في ركب عمر بن سعدٍ وشبث بن ربعي ولذهبنا إلى قتل القيم والمثل.

ولشربنا الخمر في المساجد وعصرناه على كتاب الله كما فعل سلاطين بني أمية، ولكان قدوتنا شمر بن ذي الجوشن وسنان بن أنس وحجار بن أبجر.

لكن الحسين عليه السلام بضعة من كبد جده رسول الله.

شريان واحد وقطرات دم واحدة توزعت في جسدين. جسد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وجسد الحسين عليه السلام.

فكان الثاني من الأول

وعندما نال الشهادة أحيي بدمه دين جده.

كان ذلك بداية حياة جديدة للرسالة.

حياة جديدة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهنا اصبح الأول من الثاني ، كما كان الثاني من الأول.

الأول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والثاني الحسين عليه السلام

حسينٌ مني وأنا من حسين

خيار العيب في الفقه الإسلامي - دراسة مقارنة-

The option of defect in Islamic jurisdiction

أ.د صاحب محمد حسين نصار [١] Prof. Sahib M. H. Nassar

م.م عمار محمد حسين محمد علي [٢] Assist. lec. Ammar M. H. M. Ali

Abstract

The Fiqh Islamic law the basis for human system integrated; it represents a wealth of intellectual legislative enormous suitable for different ages source heavenly legislation of the Holy Quran and the Sunnah of the infallible peace be upon them in word and deed and a report, and the efforts of our scholars in devising provisions relating to acts of taxpayers and their judgments whether Altklevah or situation, and what The transaction represents the backbone of this law and the broad field of renewable and tender and the human need to in terms of their importance in the foundations of physical and economic deal for the Muslim individual summed scholars to research and refinement, and the survey and a statement of views and evidence on each transaction, and the contracts necessary for the parties based on the satisfaction of them, such as sales and leasing, mortgage, and so on. In contrast, research scholars regard to certified the option in one of these contracts and the impact it and prevent being necessary, as the Holy street made to contractors or one of them the right to terminate the contract after being necessary certified the option where, wisdom from the Almighty and to raise the damage to both parties

١ - جامعة الكوفة / كلية الفقه.

٢ - جامعة كربلاء / كلية العلوم الاسلامية.

to the transaction with if not terminate, and this is evident in the overall transaction and any changes from the development, and the multiplicity of commercial goods and contrast make human submit to treatment without checking nor feminization and thus might be incur.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وبعد:

يُعد الفقه الاسلامي القانون الأساس للنظام البشري المتكامل؛ لأنّه يُمثل ثروة فكرية تشريعية هائلة تصلح لمختلف العصور مصدرها التشريع السماوي المتمثّل بالقرآن الكريم والسنة الشريفة الصادرة عن المعصومين عليهم السلام قولًا وفعلًا وتقريرًا، وجهود فقهائنا في استنباط الاحكام المتعلقة بأفعال المكلفين وأحكامهم سواء التكليفية أم الوضعية، ولما كانت المعاملات تمثل العمود الفقري لهذا القانون في جنبته الدنيوية وفيها مجال واسع للتجديد والعطاء وحاجة الانسان إليها من حيث أهميتها في أسس التعامل المادي والاقتصادي للفرد المسلم فقد خصّها الفقهاء بالبحث، والتنقيح، والاستقصاء، وبيان الآراء والأدلة على كلّ معاملة، ومن بين ذلك العقود اللازمة للطرفين القائمة على أساس الرضا منهما مثل البيع والإجارة والرهن ونحو ذلك، وفي المقابل بحث الفقهاء ما يتعلق بثبوت الخيار في أحد هذه العقود وتأثيره عليه ومنع لزومه، إذ إنّ الشارع المقدس جعل للمتعاقدين أو لأحدهما حق فسخ العقد بعد لزومه بثبوت الخيار فيه، حكمة منه تعالى ولرفع الضرر الذي قد يلحق بطرفي المعاملة فيما لو لم يفسخ، وهذا واضح في مجمل المعاملات وما يطرأ عليها من تطور، وتنوّع السلع التجارية وتباينها تجعل الانسان يُقدم على المعاملة بدون فحص ولا تأنّي وبالتالي قد يلحقهُ الضرر من ذلك، ووجود الخيار يُتيح له فسخ مثل هذه المعاملة فيما لو اشتملت على سبب يؤدي إلى ثبوت أحد الخيارات سواء كان غبنًا أو عدم رؤية أو عيب أو غير ذلك، ولأهمية ذلك بيّن الباحث أحد هذه الخيارات ألا وهو خيار العيب الذي يثبت في العقد بجعل من الشارع المقدس دون اشتراط المتعاقدين، وبه قال جميع فقهاء المذاهب الاسلامية على اختلاف منهم في جزئياته، لذا بيّن الباحث كلّ ما يتعلق بهذا الخيار وأقوال الفقهاء وأدلتهم لذا انتظم هذا البحث على مقدمة وستة مطالب وخاتمة ثم قائمة بالمصادر والمراجع

إذ كان المطلب الأول في بيان معنى الخيار والعيب في اللغة والاصطلاح، أمّا المطلب الثاني فكان بعنوان أدلة ثبوت الخيار أمّا المطلب الثالث فكان في اثبات حق الخيار، وكان المطلب الرابع في بيان شرائط ثبوت الخيار وجاء المطلب الخامس في بيان معنى الإرش والتخيير بينه وبين الفسخ واشتمل المطلب السادس على مسقطات الخيار، أمّا الخاتمة فقد ذكر الباحث أهم ما توصل إليه من نتائج ثم قائمة بالمصادر والمراجع المعتمدة في البحث.

المطلب الأول: ماهية خيار العيب

بيّن الباحث خلال هذا المطلب ما يتعلق بمعنى الخيار في اللغة والاصطلاح، وكذا بالنسبة إلى معنى العيب، وبالتالي تتضح ماهية خيار العيب وكما يأتي:

أولًا: الخيار لغة:

على وزن فِعال، من مادة الفعل: خَيَرَ، أو من الفعل: خارَ، وتأتي مفردة وتأتي جمعًا، وللمذكر والمؤنث [٣]

يقال: خار الشيء واختاره: انتقاه، واخترت فلانًا على فلان: فضّلت، وخايره فخاره أي كان خيرًا منه، وخيرته بين الشيئين: فوضت إليه الخيار وفي الحديث الشريف"تخيّروا لنطفكم"[٤]

أي اطلبوا ما هو خير المناكح وأزكاها وأبعد من الخبث والفجور

وقيل: هو الاسم من الاختيار، وهو: طلب خير الأمرين إمّا إمضاء البيع أو فسخه [٥]

وذكر الطريحي أنّ الخيار هو: الاختيار، ويقال: هو اسم من تخيرت الشيء، والاختيار الاصطفاء [٦].

يمكن القول أنّ المعنى اللغوي للخيار لا يخرج عن كونه بمعنى الاختيار والاصطفاء والتفويض والترجيح بين شيئين أو أكثر.

ثانيًا: الخيار اصطلاحًا:

لا يختلف المعنى الاصطلاحي للخيار عن المعنى اللغوي عند جمهور الفقهاء عدا الإمامية إذ هو عبارة عن: طلب خير الأمرين من إمضاء العقد أو فسخه [٧].

أمّا الإمامية فقد ذكروا تعريفين للخيار، الأول ما ذكره بعض منهم وهو: عبارة عن ملك إقرار العقد وازالته بعد وقوعه[٨]

وفيه إشارة إلى أنّ الخيار من الحقوق دون الاحكام فلا يشمل فسخ العقود الجائزة لكونها من قبيل الاحكام التي لا يجوز إسقاطها ولا تسقط بالإسقاط.

أمّا الثاني فهو عبارة عن: ملك فسخ العقد [٩]

فيشمل التسلط على فسخ العقود اللازمة والجائزة معًا.

أي أنّه عام بحيث يشمل مطلق التسلط على فسخ العقود سواء كانت من قبيل الحق القابل للإسقاط، أو من قبيل الاحكام غير القابلة للإسقاط [١٠].

٣– ظ: الفيومي – المصباح المنير /١٢٠+ ابراهيم مصطفى – المعجم الوسيط ٢٦٣/١.
٤– ابن ماجة – سنن ابن ماجة ٦٣٣/١+ الحاكم النيسابوري – المستدرك ١٦٣/٢.
٥– ظ: الجوهري – تاج اللغة وصحاح العربية ٥٣٦/١+ ابن منظور – لسان العرب ٢٤٩/٣.
٦– ظ: مجمع البحرين ٢٨١/٣.
٧– ظ : الشربيني – مغني المحتاج ٤٣/٢+ الشوكاني – نيل الأوطار ١٨٥/٥+ علي حيدر – درر الحكام ٩٦/١+ ابن حجر – تحفة المحتاج ٣٣٢/٤.
٨– ظ: الطباطبائي – رياض المسائل ١٧٧/٨+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٢٤٧/٨.
٩– ظ: الانصاري – المكاسب ١١/٥+ فخر المحققين – ايضاح الفوائد ٤٨٢/١.

يمكن القول أنّ الخيار يطلق على معنى شامل وعام للسلطنة على فسخ العقد بغض النظر عن كونه حقًا قابلًا للإسقاط كما في العقود اللازمة أم كان حكمًا كما في العقود الجائزة.

ثالثًا: العيب لغة:

مصدر الفعل عابَ يَعيبُ عيبًا، يُقال: عاب المتاع، أي صار ذا عيب، والشيء جعله ذا عيب فهو عائب، واستعمل العيب اسمًا وجُمِعَ على عيوب [١١] وعليه يكون المِعيب مكان العيب وزمانه وهو النقص.

رابعًا: العيب اصطلاحًا:

اختلفت ألفاظ الفقهاء في تعريفهم العيب، إلّا أنّها اتفقت على انّه نقص في القيمة، فقد عرّفه الإمامية بأنّه: كلّ ما كان خلاف المتعارف، وخلاف أغلب أفراد ذلك النوع [١٢]

فعن الإمام الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال:"كلّ ما كان في أصل الخلقة فزاد أو نقص فهو عيب"[١٣]

والضابطة فيه: الخروج عن المجرى الطبيعي لزيادة أو نقصان موجب لنقص المالية في عرف التجّار[١٤]، والزيادة هنا: هي الزيادة في غير جهة الكمالات، فزيادة إصبع في الأمة – مثلًا – نقص، بخلاف زيادة حُسنها وجمالها بلغت ما بلغت [١٥].

والمرجع في إثبات العيب الذي يختلف باختلاف الأثمان هو العرف، والبيّنة، وثقاة أهل الخبرة، لاختلاف الأزمان والبلدان.

وعرّفه الحنفية [١٦] والشافعية [١٧] بأنّه: كلّ ما يخلو منه أصل الفطرة السليمة مما يُعدّ به ناقصًا عند أهل الخبرة

وضابطته عندهم هي: كلّ ما ينقص العين أو القيمة، أو يفوّت به على المشتري غرض صحيح.

أمّا الحنابلة فالعيب عندهم هو: النقيصة التي يقتضي العرف سلامة المبيع منها غالبًا

والضابطة عندهم هي: نقص عين المبيع ولو لم تنقص به القيمة في عرف التجّار، أو نقص قيمته عادة في عرف التجّار ولو لم تنقص عينه [١٨].

١٠- ظ: المروّج – هدى الطالب ١٧٨/٩+ المشكيني – مصطلحات الفقه /٢٣٤.

١١- ظ: الفيروز آبادي – القاموس المحيط ١٥٢/١+ الزبيدي – تاج العروس٤٤٩/٣+الفيومي – المصباح المنير ٤٣٩/٢ .

١٢- ظ : السبزواري – مهذب الاحكام ١٨٩/١٧.

١٣- الطوسي – تهذيب الأحكام ٢ /١٣٦ + الحر العاملي – وسائل الشيعة ٤١٠/١٢.

١٤- ظ: العلامة الحلي – تحرير الاحكام ٣٦٥/٢ + الاردبيلي – مجمع الفائدة والبرهان ٤٢٤/٨ + الطباطبائي – رياض المسائل ٣٧٩/٨.

١٥- ظ: محمد الحسين كاشف الغطاء – تحرير المجلة ٥٥٢/١ – ٥٥٣+ السبزواري – مهذب الاحكام ١٨٩/١٧.

١٦- ظ: الكمال بن الهمام – فتح القدير ١٥١/٥+ السمر قندي – تحفة الفقهاء ٩٣/٢.

١٧- ظ: الشربيني – مغني المحتاج ٥١/٢ + النووي – روضة الطالبين ٤٥٨/٣+ الغمراوي – السراج الوهاج ١٨٦/١.

١٨- ظ: البهوتي –كشاف القناع ٢١٥/٣ + ابن قدامة – المغني ٢٤٣/٤.

أمّا عند المالكية فإنّه: ما نقص عن الخلقة الطبيعية، أو عن الخلق الشرعي نقصانًا له تأثير في ثمن المبيع

والضابطة في معرفته ما كان منقصا للثمن أو لذات المبيع إذا كانت العادة السلامة منه [١٩].

أمّا الزيديّة فإنّ العيب عندهم هو: ما نقص أو زاد عن الخلقة الطبيعية

والضابطة هي: كلّ وصف مذموم تنقص به قيمة ما اتصف به عن قيمة جنسه السليم أو زيادة[٢٠].

وفي ضوء ما تقدم يبدو أنّ العيب من المفاهيم العرفية، إذ إنّ لكل شيء حسب الخلقة أو حسب موازين الصنعة مقياسًا طبيعيّا أو صناعيًا يشارك فيه أغلب الأفراد، ويُعدّ فقدان ذلك عيبًا يوجب قلّة رغبة الناس عنه.

وعليه فإنّ خيار العيب هو من باب إضافة المسبَّب إلى سببه، أي أنّ العيب سببٌ للخيار، وأنّه سلطنة مَن انتقلت إليه العين على فسخ العقد عند ظهور عيب في المعقود عليه المعيَّن لم يطَّلع عليه عند التعاقد، وهو خيار شرعي لا دخل لإرادة المتعاقدين في إثباته، فإذا اشترى شخص كتابًا – مثلا– فوجده غير تام الصفحات أو كان بعض الصفحات غير واضح الكتابة كان له الخيار بين إمضاء العقد والقبول بالعيب مع أخذ التفاوت عليه، وبين فسخه وعدم الرضا ورد الثمن.

المطلب الثاني: أدلة ثبوت الخيار

استدل جمهور الفقهاء على ثبوت خيار العيب بعدّة أدلة، وهي كالآتي:

الدليل الأول: القرآن الكريم

قال تعالى:﴿...يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ... ﴾ [٢١] ووجه الدلالة يتمثل في أنّ شرط التجارة أنْ تكون عن تراضٍ بين الطرفين، وأنّ العلم بالعيب في المبيع منافٍ للرضا المشروط في العقود، فالعقد الملتبس بالعيب تجارة عن غير تراضٍ، وعليه (فإنّ العاقد لا يلزمه المعقود عليه المعيب، وله ردّه والاعتراض بقطع النظر عن طريقة الردّ والإصلاح لذلك الخلل في تكافؤ المبادلة) [٢٢]

بمعنى أنّ التراضي في العقود يتطلب السلامة من العيب، ولا يتحقق الرضا إلّا بخلوه منه، وبخلافه يثبت له الخيار.

يبدو لي أنّ الاستدلال بهذه الآية على ثبوت خيار العيب بعيد؛ لأنّ العيب شرط لزوم يؤدي وجوده إلى عدم لزوم العقد، أمّا التراضي – الوارد في الآية – فهو ركن في العقد يؤدي تخلفه إلى جعل العقد باطلا.

١٩– ظ: ابن رشد – بداية المجتهد /١٧٣+ الدردير – الشرح الصغير ١٢٥/٥.

٢٠– ظ: أحمد بن يحيى بن المرتضى – البحر الزخار ٣٥٥/٣ .

٢١– النساء /آية ٢٩.

٢٢– ابن رشد – بداية المجتهد ١٧٣/٢.

الدليل الثاني: السنة الشريفة

ولبيان أدلة السنة الشريفة نورد بعض منها وكما يأتي:

أولًا– استدل فقهاء الامامية بعدة روايات [٢٣]، منها:

"سُئِلَ الإمام الصادق عليه السلام عن الرجل يشتري الثوب أو المتاع فيجد فيه عيبًا ؟ قال: إنْ كان الشيء قائمًا بعينه ردّه على صاحبه وأخذ الثمن، وإنْ كان الثوب قد قطع أو خيط أو صبغ يرجع بنقصان العيب"[٢٤].

وعنه عليه السلام أنّه قال:"إنْ خرج في السلعة عيب، وعَلِمَ المشتري، فالخيار اليه إنْ شاء ردّه وإنْ شاء أخذه، أو ردَّ عليه بالقيمة إرش العيب"[٢٥].

وفي ضوء هذه الرواية فإنّ وجه الدلالة يتمثل في ثبوت الخيار لكلّ من وجد فيما وقع عليه العقد عيبًا بين فسخ المعاملة واسترجاع العوض، وبين إمضائها وأخذ الإرش، وهو: الفرق بين قيمة الصحيح والمعيب، والسبب في ذلك هو: الاطلاع على عيب في محل العقد لم يكن معلومًا وقت العقد، فمن تعاقد على شيء ووجده معيبًا يحقّ له فسخ العقد، ولأنّ الرضا بالعقد كان على أساس السلامة من العيوب التي لم تكن معلومة له، فإذا اطِّلَع عليها فقد انهار الأساس الذي قام عليه الرضا وبه يتحقق الخيار له بين الفسخ أو إمضاء العقد.

ثانيًا– استدل فقهاء المذاهب الأخرى بما روي عن عائشة:

أنّ"رجلا ابتاع غلامًا فأقام عنده ما شاء الله أن يقيم، ثم وجد به عيبًا، فخاصمه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردّه عليه، فقال الرجل: يا رسول الله، قد استغل غلامي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: الخراج بالضمان"[٢٦] وفي ضوء هذه الرواية يتحدد وجه الدلالة في أنّ ما أخذه المشتري من غلة العين ومنافعها وكسبها مباح له؛لأنّه استحق هذه المنافع بسبب ضمانه؛ لأنّ المبيع إذا هلك في يده يهلك عليه وحده دون غيره، فلا يمنع ذلك من ردّه، ولا يجب عليه شيء في مقابل الانتفاع به.

يمكن القول: أنّ الرواية أجنبية عن المقام، ولم يتّضح وجه الدلالة على خيار العيب.

وبما روي عن **النبي** صلى الله عليه وآله وسلم :**"لا يحلّ لمسلم باع من أخيه بيْعًا فيه عيبٌ إلاّ بيّنه له"**[٢٧]، وفيه دلالة واضحة على أنّ مَن باع شيئًا ويعلم أنّ فيه عيبًا فعليه بيانه، وكتمانه يُعدّ غشًا يوجب الخيار.

٢٣– ظ: الحر العاملي – وسائل الشيعة ٣٦٢/١٢ – ٤١٠.
٢٤– الصدوق – من لا يحضره الفقيه ٧١/٢ + الحر العاملي – وسائل الشيعة ٣٦٣/١٢.
٢٥– النوري – مستدرك الوسائل ٣٠٦/١٣.
٢٦– النسائي – سنن النسائي ٢٥٤/٧ + الترمذي – سنن الترمذي ٣٧٧/٢.
٢٧– ابن ماجة – سنن ابن ماجة ٧٥٥/٢+الحاكم النيسابوري – المستدرك على الصحيحين ١٠/٢.

ثالثًا– قاعدة نفي الضرر

ذكر الشيخ محمد الحسين كاشف الغطاء: الأصل في دليل هذا الخيار هو قاعدة نفي الضرر؛ لأنّ لزوم العقد الواقع على المعيب ضرر على المشتري مثلا، وهو لا يعلم به ولم يُقدم عليه، وكلّ حكم ضرري مرفوع بقاعدة: لا ضرر في الاسلام، فلزوم العقد على المعيب مرفوع [٢٨].

الدليل الثالث: أصالة السلامة

هنالك ارتكاز عُرفي عقلائي على أنّ المبيع الذي يُشترى يجب أنْ يكون تامًا، لذا قال الفقهاء: إنَّ اطلاق العقد يتطلب سلامة العين من العيب [٢٩]

إذ يجب (الاعتماد على أصالة السلامة التي هي من الأصول البنائية التعاملية عند الناس، وهذا الاعتماد يوجب صحة البيع، ومع التخلف يتحقق موضوع الخيار) [٣٠]

بمعنى أنّ السلامة من العيب من مقتضيات عقد المعاوضة التي اتفق عليها العقلاء عن طريق التجربة، فصارت أصلًا معتمدًا بينهم في معاملاتهم وعقودهم، ومرتكزة بالأذهان في مبادلاتهم ومعاوضاتهم.

أي أنّ العقلاء لا يقدمون إلّا على ابتياع السليم من الأعيان، وعدم اشتراطه صراحة في العقد اعتمادًا على أصالة السلامة، فالعقود المطلقة – التي لم يؤخذ فيها البراءة من العيوب – تكون السلامة شرطًا ضمنيًا في نظر المتعاقدين، وفي حالة وقوع العقد على الشيء المعيب يؤدي إلى تخلف الشرط ومن ثَمّ وجب الخيار؛ لأنّ العيب نفسه موجب للخيار، أمّا إذا ذُكر هذا الشرط في متن العقد فيكون تأكيدًا لا شيئًا مستقلًا، فيكون وجوده كعدمه بعد تحقق القصد المعاملي وبنائهم على الصحيح؛ لأنّ طبيعة العقد عند الأطلاق تقتضي وقوعه على الصحيح، وظهور العيب وانكشافه يقتضي ثبوت الخيار.

المطلب الثالث: اثبات حق الخيار

يُعد هذا الخيار خيارًا شرعيًا يثبت في العقد بمجرد وجود العيب ودون تدخل لإرادة المتعاقدين، أي أنّ سبب الخيار هو العيب نفسه، أمّا ظهوره فهو طريق كاشف عن وجوده منذ حصول العقد [٣١]، فالبائع يضمن العيب متى توفرت شروط ضمانه، والمشتري له الخيار إنْ تحققت شرائطه، فهو يتحقق من دون الحاجة إلى شرط صريح فيه، فما من عاقل يقدم على بذل ماله في مقام التعاقد المجرد عن القيد إلّا بقصد السلامة

قال الكاساني: (إنّ السلامة شرط في العقد، فما لم يسلم المبيع لا يلزم البيع، فلا يلزم حكمه، والدليل على أنّ السلامة مشروطة في العقد: أنّ السلامة في المبيع مطلوبة من المشتري عادة إلى آخره؛ لأنّ غرضه الانتفاع بالمبيع، ولا يتكامل انتفاعه الّا بقيد السلامة؛ ولأنّه لم يدفع جميع الثمن إلاّ ليسلم به

٢٨– ظ: تحرير المجلة ٥٤٤/١.

٢٩– ظ: ابن ادريس – السرائر ٢٩٥/٢ + العلامة الحلي – تذكرة الفقهاء ١٩٠/١١ + الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٤/٥ + البابرتي – العناية شرح الهداية ١٥١/٥.

٣٠– السبزواري – مهذب الاحكام ١٨٣/١٧.

٣١– ظ: الانصاري – المكاسب ٢٨٠/٥+ محمد الحسين كاشف الغطاء – تحرير المجلة ٥٤٧/١.

جميع المبيع، فكانت السلامة مشروطة في العقد دلالة، فكانت كالمشروطة نصًا، فإذا فاتت المساواة كان له الخيار، كما إذا اشترى جارية على أنّها بكر فلم يجدها كذلك، وكذا السلامة من مقتضيات العقد أيضًا؛ لأنّه عقد معاوضة، والمعاوضات مبناها على المساواة عادة وحقيقة، وتحقيق المساواة في مقابلة البدل بالمبدل والسلامة بالسلامة، فكان اطلاق العقد مقتضيًا للسلامة، فاذا لم يسلم المبيع للمشتري يثبت له الخيار؛ لأنّ المشتري يطالبه بتسليم قدر الفائت بالعيب وهو عاجز عن تسليمه فيثبت الخيار) (٣٢)

أمّا إذا اشترط المتعاقدان الصحة في متن العقد فأنّه يفيد التأكيد بمعنى أنّ ذكر هكذا شرط في متن العقد يكون تأكيدًا لشرط السلامة لا أنْ يكون خيارًا أخر غير خيار العيب، أي أنّ هذا الشرط من تحصيل الحاصل بعد تحقق قصد المتعاملين وبنائهم على الشيء الصحيح (٣٣).

والظاهر من كلام الفقهاء عند تعرّضهم لبحث هذا الخيار أنّه يثبت للمشتري خاصة (٣٤)

لأنّ المشتري رضي بالبيع، والبيع يقضي سلامة المبيع من العيب، لتوقف الانتفاع عليه، وأيضًا لأنّ الرضا داخل في حقيقة العقد، وعند تخلفه بوجود العيب ينتفي الرضا، ومن ثمّ يتضرر المشتري بلزوم مالا يرضى به، فيكون له الخيار إمّا بإمضاء العقد أو فسخه دفعًا للضرر.

أمّا إذا كان البيع عينًا بعين، فقد ذهب بعض الفقهاء إلى إثبات الخيار لكلّ من البائع والمشتري إذا كان العيب في المبيع أو الثمن؛ لأنّ كلًا من طرفي العقد يكون بائعًا ومشتريًا في الوقت نفسه فيثبت له الخيار (٣٥).

وذهب الإمامية (٣٦) إلى ثبوت الخيار للبائع أيضًا إذا ظهر عيب سابق في الثمن

قال العلامة الحلي:(الثمن المعيَن إذا خرج معيبًا يردّهُ البائع بالعيب) (٣٧)

ويرى الشيخ علي كاشف الغطاء الاجماع على ثبوت الخيار فيه، إذ قال:(أمّا بالنسبة إلى الثمن، فالظاهر انعقاد الإجماع عليه كالمثمن) (٣٨).

وذكر الشيخ الأنصاري أنّه لا فرق بين الثمن والمثمن في ثبوت هذا الخيار، وهذا مما لاخلاف فيه بين الفقهاء، ولا يُعترض عليه بانّ الروايات لم تتعرض له، وإنّما وردت في خصوص ظهور العيب في المبيع-

---

٣٢- بدائع الصنائع ٢٧٤/٥.

٣٣- ظ: محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٨٨/٨+ الأنصاري – المكاسب ٥/ ٢٨٠.

٣٤- ظ : الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٤/٥ + البابرتي – العناية شرح الهداية ١٥١/٥+الشربيني – مغني المحتاج ٥٠/٢+ ابن رشد – بداية المجتهد ١٧٢/٢.

٣٥- ظ : عبد الرزاق بن الهمام – المصنف ١٦٥/٨.

٣٦- ظ: العلامة الحلي – قواعد الاحكام ٣٩/٢+ علي كاشف الغطاء – شرح الخيارات /١٥٤+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٨٩/٨+ السبزواري – مهذب الاحكام ١٨٩/١٧+محمد تقي المدرسي – احكام المعاملات ٢٠٢/٢.

٣٧- تذكرة الفقهاء ١٤٧/١١+مختلف الشيعة ١٨٨/٥.

٣٨- شرح الخيارات /١٥٤.

أي أنّ الروايات لم تتعرّض لعدم الفرق بين البائع والمشتري، وليس ثبوت أصل الخيار– فيمكن القول: أنّ الغالب كون الثمن نقدًا، والمثمن متاعًا، فيكثر فيه العيب بخلاف النقد [٣٩]

بينما يرى السيد الخوئي بأنّه لا مانع من التعدي إلى البائع ايضًا، وإنْ كانت الأخبار الواردة في المقام تختص بالمشتري، الاّ أنّ المفهوم والمستفاد منها حسب التفاهم العرفي عدم اختصاصها به، وانما ثبت له بوصفه أحد طرفي المعاملة، ولأجل ذلك يراه العرف ثابتًا للبائع أيضًا حسب المتفاهم العرفي[٤٠].

وعليه يمكن أنْ يقال بثبوت الخيار للبائع أيضًا استنادًا الى قاعدة نفي الضرر، وعلى ارتكاز كلّ من المتعاملين في اشتراطه للصحة فيما ينتقل إليه من المال، أمّا الأخبار فيمكن حملها على مطلق العوض، أو أنّها وردت على نحو المثال والغالب.

عموم الخيار لغير البيع

يظهر أنّ فقهائنا متفقون على عدم اختصاص الخيار بالبيع، وإنّما يتعداه إلى غيره من المعاوضات المالية الأخرى، لارتكاز كلّ من المتعاملين على اشتراط وصف الصحة فيما ينتقل إليه ولقاعدة نفي الضرر، فقد ذكر الحنفية أنّ الخيار يثبت في كلّ عقد ينفسخ بالرد ويكون مضمونًا بنفسه لا بما يقابله، كالبيع والشراء، والإجارة، والقسمة، والصلح عن المال، وبدل الصلح عن دم العمد، والمهر، وبدل الخلع[٤١].

في حين يرى المالكية أنّ العقد ينقسم على ثلاثة اقسام:

الأول: العقود المختصة بالعوض، كالبيع، والنكاح، فهذه يثبت فيها الرد بالعيب.

الثاني: العقود التي ليس المقصود منها المعاوضة، وهي عقود المكارمة كالهبة لغير الثواب، والصدقة، فهذه لا يثبت فيه حكم الرد بالعيب.

الثالث: العقود التي جمعت قصد المكارمة والمعاوضة، كالهبة بقصد العوض، لا خيار للموهوب له برد العيب، لأنّها عقود جرت العادة بأنْ يكون العوض فيها أكثر من قيمة الموهوب، وهذا ينافي الرد بالعيب، لأنّ مقتضى ذلك المسامحة والمكايسة[٤٢].

بينما يرى الإمامية إثبات الخيار في جميع أقسام البيع وعدم اختصاصه به، وانما يشمل كل المعاوضات من صلح أو إجارة أو مهر وغير ذلك، لأنّ ذكر البيع في الروايات من باب المثال، واستنادًا لسيرة العقلاء، وقاعدة نفي الضرر، والتعهد الضمني [٤٣].

٣٩– ظ: المكاسب ٢٨١/٥.

٤٠– ظ : الغروي – التنقيح في شرح المكاسب ١٣٧/٤.

٤١– ظ: الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٧/٥+ابن عابدين – رد المحتار ٧١/٤+ الشيخ نظام الدين – الفتاوى الهندية ٦٦/٣.

٤٢– ظ: ابن رشد – بداية المجتهد ١٧٢/٢+ الباجي – المنتقى /١٨٨.

٤٣– ظ: الشهيد الثاني – مسالك الأفهام ٢٨٦/٣+ المحقق الكركي – جامع المقاصد ١٩٤/٤+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٨٧/٨+ الأنصاري – المكاسب ٢٨٠/٥ + السبزواري – مهذب الاحكام ١٨٨/١٧+ الغروي – التنقيح في شرح المكاسب ١٣٨/٤.

وقت ثبوت خيار العيب

تباينت أقوال الفقهاء في وقت ثبوته، وذكروا في كلّ ذلك قولين، هما

القول ألأول: يرى مشهور فقهاء الإمامية [٤٤] والحنفية [٤٥] والحنابلة [٤٦] والظاهرية [٤٧] أنّ ثبوت خيار العيب على التراخي؛ لإطلاق النصوص الواردة في إثبات هذا الخيار، ولأنّه ثبُت لدفع الغش والتدليس والضرر عن صاحب الخيار

فمن علم بالعيب وأخّر الرد لا يسقط خياره مهما طال الوقت، ما لم يوجد منه ما يدل على الرضا بالعقد، بشرط أنْ لا يمتد التراخي إلى أمد طويل يتضرر فيه البائع إذا اختار المشتري رد العين لعيبها، كما لو كان لعذر من مرض أو حبس أو غير ذلك؛ حتى لا يتضرر البائع من تأخير الرد.

القول الثاني: ذهب المالكية [٤٨] والشافعية [٤٩] وبعض قدماء الإمامية [٥٠] وبعض متأخريهم [٥١] إلى ثبوت خيار العيب على الفور، فمن علم بالعيب فله ردّ المبيع فورًا، وبخلافه يبطل خياره؛ لأنّ الأصل في العقود اللزوم والخيار شُرّع لدفع الضرر عن المشتري

وزاد المالكية على هذا بإعطائهم المشتري مهلة يوم أو يومين ليرد فيها المبيع، فإنْ زادت كان متراخيًا وسقط حقه في الخيار، لأنّ سكوته خلال هذه المدة رضىً منه بالمبيع، أمّا لو كان تأخره عن عذر فلا يسقط خياره.

المطلب الرابع: شرائط ثبوت الخيار

يشترط في العيب الذي يثبت به خيار العيب عدّة شروط، هي:

الشرط الأول: أنْ يكون العيب مؤثرًا

أي أنْ يكون العيب موجبًا لنقصان الثمن في عرف التجّار نقصانًا فاحشًا لا يتسامح في مثله عادة، أمّا إذا كان عيبًا يتسامح بمثله عادة فلا يؤثر، ولا يُعتدّ به، ولا يكون موجبًا لضمان البائع، ومن ثمّ لا يؤدي إلى ثبوت الخيار، فقد ورد عن الإمامية أنّ الضابط في العيب ما كان نقصًا أو زيادة في العين تؤدي إلى نقصان المالية في عرف التجار؛ لأنّ العيب موضوع خارجي يرجع في تحديد معناه والمفهوم منه إلى العرف وأهل الخبرة واختلاف الازمان والبلدان [٥٢].

٤٤- ظ: العلامة الحلي – تذكرة الفقهاء ١٢٠/١١+ علي كاشف الغطاء – شرح الخيارات/١٧٥.
٤٥- ظ: ابن عابدين – رد المحتار ٥/٥+ ابن نجيم – البحر الرائق٦/٤١.
٤٦- ظ: ابن قدامة – المغني٤/١٠٩+ المرداوي – الإنصاف٤/٤٢٦.
٤٧- ظ: ابن حزم – المحلى٨/١٢٠.
٤٨- ظ: ابن رشد – بداية المجتهد٢/٧٢+ الدردير – الشرح الصغير ٣/٦٦.
٤٩- ظ: الشيرازي – المهذب١/٢٨٤+ الشربيني – مغني المحتاج٢/٥٦.
٥٠- ظ: ابن زهرة – غنية النزوع/٢٢٢+ ابن حمزة – الوسيلة/٢٥٦.
٥١- ظ: السبزواري – مهذب الاحكام١٧/٢١١.
٥٢- ظ: يحيى بن سعيد الحلي – الجامع للشرائع /٢٦٥+ العلامة الحلي – تحرير الاحكام ٢/٣٦٥+ محمد جواد العاملي – مفتاح الكرامة ١٤/٣٥٣+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٨/٤٠٢+ الانصاري – المكاسب ٥/٣٥٦.

وذُكر أنّ كلّ وصف قائم بالشيء ويراه العرف والعقلاء أنّ له دخلاً في ماليته، ويَبذلون المال بإزائه، يكون فقده ونقصه عيبًا، أمّا الزيادة: فهي الزيادة في غير جهة الكمالات، فزيادة إصبع واحد مثلًا في العبد أو الأَمَة نقص، بخلاف زيادة حسنها وجمالها بالغة ما بلغت فيتحصَّل أنّ المراد من النقص و الزيادة هو: ما كان موجبًا لنقص المالية والأغراض النوعية المعاملية، اذ رُبَّ شيء يكون عيبًا في نفسه ولا يوجب نقصًا في المالية، ورُبَّ شيء يوجب نقصًا في المالية والغرض المعاملي ولا يكون عيبًا في نفسه، وقد يكون عيبًا عند بعض الأشخاص دون بعض، أو في بلد دون بلد، فيختلف المعيب والصحيح بحسب الأزمنة والأمكنة والأشخاص، وفي كلّ هذه الموارد يرجع فيه إلى ثقات أهل الخبرة [٥٣].

ويرى الحنفية أنّ العيب المؤثر هو: ما أوجب نقصانًا في القيمة في عرف التجار سواء نقص العين أم لم ينقصها، والمراد بالقيمة هي: الثمن؛ لأنّ الثمن الذي اشترى به قد يكون أقل من قيمته بحيث لا يؤدي نقصانها بالعيب إلى نقصان الثمن، فكلّ ما يوجب نقصًا في الثمن في عرف التجار فهو عيب، وما يوجب نقصًا في العين من حيث المشاهدة والعيان كالشكل في أطراف الحيوان، والهشم في الأواني، أو ما يوجب نقصًا في منافع العين، وما لا يوجب نقصًا فيها يعدّ فيه عرف الناس، فإنْ عدّوه عيبًا كان عيبًا والاّ فلا، فالمرجع إلى أهل الخبرة وهم التجار وأرباب الصنائع [٥٤].

وقسموا العقود بحسب النقص الذي يوجب الضمان على البائع على قسمين:

القسم الأول: العقود التي تنفسخ بالرد: وهي التي يؤثر فيها نقصان الثمن المترتب على العيب سواء كان يسيرًا أم فاحشًا، وتكون مضمونة بما يقابلها كالبيع.

القسم الثاني: العقود التي لا تنفسخ بالرد: وهي التي لا يؤثر فيها إلّا العيب الفاحش، وهذه تكون مضمونة بنفسها، كالقصاص، وبدل الخلع، وخرج من ذلك المهر، فهو يُردّ بالعيب اليسير إذا كان من المكيل أو الموزون، والحد الفاصل في العيب: أنّ ما يدخل تحت تقويم المقومين – بأنْ يقومه مقوّم صحيحًا بألف، ومع العيب بأقل، ويقوّمه آخر مع هذا العيب بألف – فهو يسير، وما لا يدخل تحت تقويم المقومين – بأنْ يتفقا على تقويمه صحيحًا بألف، أو بأقل من هذا – فهو فاحش [٥٥].

ويرى الشافعية أنّ العيب الموجب للخيار هو: ما نقصت به القيمة، أو العين، أو يُفوّت به غرض صحيح اذا كان الغالب عدم وجوده في هذا المحل، وعدم الإعتماد على عرف التجار، لأنّ بعض العيوب لا ينقص ثمنها وإنْ كان وجودها في المبيع يجعله غير صالح لبعض وصالحًا للبعض الآخر، كمن يشتري شاة مقطوعة الاذن، فلا تصلح لمن اشتراها لغرض الأضحية،فإنّ ذلك يعدّ عيبًا وإنْ لم يترتب عليه نقص قيمتها، بخلاف غيره، ولذا اشترطوا فوات غرض صحيح في المبيع؛ وذلك للاحتراز عن نقص كهذا [٥٦].

٥٣– ظ: الغروي – التنقيح في شرح المكاسب ٣١٤/٤+ السبزواري – مهذب الاحكام ١٨٩/١٧.

٥٤– ظ: الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٤/٥+ ابن عابدين – رد المحتار ٧٤/٤+ الكمال بن الهمام – فتح القدير١٥١/٥.

٥٥– ظ: الشيخ نظام الدين – الفتاوى الهندية ٦٦/٣+ ابن عابدين – رد المحتار ٧٧/٣+ ابن سماونة – جامع الفصولين ٢٥٠/١.

٥٦– ظ: الشيرازي – المهذب ٥٨٢/١+ السبكي – تكملة المجموع ١١٠/١٢+ الشربيني – مغني المحتاج ٥١/٢.

بينما تمسّك الحنابلة بعرف التجار، فما يعدّه العرف عيبًا فإنّه يستوجب الخيار وإنْ لم تنقص به قيمة المبيع أو عينه، أي أنّ العرف يوجب سلامة المبيع عن هكذا نقيصة؛ لأنّ المبيع إنمّا صار محلًا للعقد لأنّه صفة المالية، فما يوجب نقصًا فيها يكون عيبًا [٥٧].

وذكر المالكية أنّ العيب هو: النقص سواء في العين أو الثمن، لذلك يسمونه بخيار النقيصة، كالعور، والعمى، وقطع اليد أو الرجل، مما يؤدي إلى نقصان في العين، أو السرقة، وشرب الخمر، والإباق، وما شابه، فإنّه يؤدي إلى نقص الثمن، ويلحق به كون الدار شؤمًا، أو تكون مشهورة بعوافر الجان، فيأبى العيال والأولاد السكن فيه، فهذا مما ينفر الناس منه، وتقل الرغبة فيه، فيبخس ثمنه فيُعدّ عيبًا [٥٨].

ومما تقدم يمكن القول إنّ العيب المؤثر هو: العيب الذي يؤدي إلى نقصان الثمن أو القيمة في عرف أهل الخبرة والدراية في كلّ تجارة أوصنعة، ومن ثَمَّ ثبوت الخيار وضمان العيب من قبل البائع.

الشرط الثاني: أن يكون العيب قديمًا

وللعلماء في تفسير العيب القديم آراء عدّة:

فيرى الإمامية أنّ العيب يُعد قديمًا إذا كان موجودًا في العين قبل قبضها، سواء حدث قبل العقد أو بعده؛ لأنّ حكم العيب الحادث قبل العقد كحكم العيب الحادث بعد العقد، أو في زمان خيار المشتري، أو في زمان أحد الخيارات الثلاثة وهي: خيار المجلس، وخيار الشرط، وخيار الحيوان، ففي جميع هذه الموارد يكون العيب مضمونًا على البائع على الرغم من حدوثه بعد التسليم [٥٩]

والدليل على ذلك الروايات:

منها: ما روي عنه عليه السلام قوله:"كلّ مبيع تلف قبل قبضه فهومن مال بائعه"[٦٠] أي أنّ الضمان في هذه المعاملة يكون على البائع، وذكر التلف من باب المثال لكل ما يصلح أن يكون الضمان فيه على البائع، فيشمل محل البحث

ومنها: ما روي عن عبد الله بن سنان قال:"سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الرجل يشتري الدابة أو العبد، ويشترط إلى يوم أو يومين، فيموت العبد أو الدابة أو يحدث فيه حدث، على مَن ضمان ذلك؟ فقال عليه السلام: على البائع حتى ينقضي الشرط ثلاثة أيام، ويصير المبيع للمشتري شَرَط البائع أو لم يشترط وقال عليه السلام: وإنْ كان بينهما شرط أيامًا معدودة فهلك في يد المشتري فهو من مال البائع"[٦١]، إذ يستفاد من ظاهرها أنّ المعاملة التي لم تتم بالقبض أو مضي زمان الخيار يكون فيها الضمان على البائع،

٥٧- ظ: البهوتي –كشاف القناع ٣/٢١٥+ ابن قدامة – المغني ٤/١١٥.

٥٨- ظ: الباجي – المنتقى /١٨٨+ الخرشي – شرح الخرشي ٥/١٢٧+ ابن رشد – بداية المجتهد ٢/١٧٤.

٥٩- ظ: الفاضل الآبي –كشف الرموز ١/٤٨٣+ الشهيد الثاني – الروضة البهية ٣/٣١٩+ ابن فهد الحلي – المهذب البارع ٢/٤١٧+ السيد محمد السبزواري –كفاية الاحكام ١/٤٧٥+ الانصاري – المكاسب ٦/٢٨٢+ محمد الحسين كاشف الغطاء – تحرير المجلة ١/٥٤٦.

٦٠- النوري – مستدرك الوسائل ٢/٤٧٣.

٦١- الصدوق – من لا يحضره الفقيه ١/٦٧+ الطوسي – تهذيب الاحكام ٢/١٢٥+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ١٢/٣٥٢.

فلو حدث التلف أو النقص قبلهما فكأنه حدث قبل إنشاء البيع في كون الخسارة على المالك قبل العقد وهو البائع، والضمان هنا هو ضمان المعاوضة، أي حدوث التلف أو النقص في ملك البائع، وورود الخسارة عليه [٦٢]

أي أنّ العيب السابق كما يكون على عهدة البائع وضمانه – ولأجله يتخيَّر المشتري بين الفسخ وبين الإمضاء مع أخذ الإرش– فكذا ما يحدث من عيب بعد البيع، سواء أكان قبل قبض المشتري أو قبل انقضاء خياره، وما عدا ذلك لا خيار، لأنّه لا يعد عيبًا الا في موارد أربعة يطلق عليها أحداث السنة، وهي: الجنون، والجذام، والبَرَص، والقرن، فإنّها عيوب توجب الخيار للمشتري لو حدثت الى سنة من يوم العقد [٦٣]، لما روي عن علي بن أسباط قال:"سمعت الامام ابن الحسن الرِّضا عليه السلام يقول: الخيار في الحيوان ثلاثة أيّام للمشتري، وفي غير الحيوان أنْ يتفرقا، وأحداث السنة ترد بعد السنة، قلت: وما أحداث السنة؟ قال: الجنون، والجذام، والبرص، والقرن، فمن اشترى فحدث فيه هذه الاحداث فالحكم أنْ يردّ على صاحبه إلى تمام السنة من يوم اشتراه"[٦٤]

وعنه عليه السلام قال:"في أربعة أشياء خيار سنة: الجنون، والجذام، والبرص، والقرن"[٦٥].

ويظهر من هذه النصوص أنّ الخيار يثبت للمشتري إذا ظهرت هذه العيوب، أي أنّها غير مشروطة بما إذا كانت سابقة على العقد، أو حصلت في الثلاثة أيام الأولى، أو حدثت إلى مضي سنة من يوم العقد.

ويرى باقي الفقهاء أنّ العيب القديم هو: ما كان ثابتًا في المبيع عند البائع وحادثًا قبل التسليم سواء حدث حين العقد أو بعده، فإذا وجد المشتري عيبًا قديمًا في السلعة وكان العقد مطلقًا من البراءة وذكر العيوب، أو ذكرت العيوب وليس منها ما وجده المشتري فهو مخيَّر بين الرد وبين الإمساك، أمّا إذا تعذَّر الرد فيرجع على البائع بإرش العيب [٦٦].

حكم العيب القديم

اختلف الفقهاء في حكم الرد بالعيب القديم، فلو اشترى شخص من آخر سلعة وقبضها وبعد أيّام حدث بها عيب عنده وتبين له أنّ فيها عيبًا قديمًا لم يعلمه وقت البيع

فقد ذهب الحنفية [٦٧] والشافعية[٦٨] والظاهرية[٦٩] إلى عدم جواز ردّ المبيع قهرًا وله إرش العيب القديم؛ لأنّ به ضررًا على البائع، ولا يزال الضرر بالضرر.

٦٢– ظ: السبزواري – مهذب الاحكام ١٧/ ١٩٦+ المروّج – هدى الطالب ١١٦/١٢.

٦٣– ظ: يحيى بن سعيد الحلي – الجامع للشرائع /٢٦٦+ العلامة الحلي – تذكرة الفقهاء ٢٠٢/١١+ الشهيد الثاني – مسالك الافهام ٣٠٥/٣+ الانصاري – المكاسب ٦/

٦٤– الكليني – الكافي ٢١٦/٥+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ٤١٢/١٢.

٦٥– الصدوق – الخصال ٢٤٥/١+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ٤١٢/١٢.

٦٦ظ: الشيخ نظام الدين – الفتاوى الهندية ٦٦/٣+ الشربيني – مغني المحتاج ٥١/٢+ابن قدامة –المغني ١١٥/٤.

٦٧– ظ: الكمال بن الهمام – فتح القدير ١٧١/٥+ الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٥/٥.

٦٨– ظ: النووي – روضة الطالبين ٤٨٠/٣+ السبكي – تكملة المجموع ٣٤٤/١٢.

٦٩– ابن حزم – المحلى ٣٨٤/٨.

وذهب الحنابلة [٧٠] والمالكية [٧١] إلى أنّ المشتري مُخيَّر بين فسخ العقد والإمضاء وأخذ الإرش؛ لأنّ المبيع معيب قبل شرائهِ ثم حصل به عيب جديد فهو بالخيار إنْ شاء ردّه وإنْ شاء أخذ إرش العيب القديم.

والظاهر أنّ القول الثاني أقرب، لأنّ العيبين القديم والحادث قد تساويا في الظهور، والبائع قد دلّس بالعيب، والمشتري لم يدلِّس، فكان رعاية جانبه أولى، وكذلك الردّ كان جائزًا قبل حدوث العيب الثاني فلا يزول الا بدليل.

حكم أحداث السنة

أمّا بالنسبة إلى أحداث السنة فقد ذهب المالكية إلى القول بالعهدة، وفسّروها بـ: تعلق ضمان المبيع بالبائع في زمن معين، فالبيع في تلك المدة لازم لا خيار فيه، لكن إنْ سلم في مدة العهدة علم لزومه المتبايعان، وإنْ أصابه نقص ثبت خيار المشتري كالعيب القديم.

والعهدة على قسمين:

الاولى: عامة، وهي عهدة الإسلام من درك المبيع عن عيب أو استحقاق وهي على متولي العقد.

الثانية: خاصة، وهي عهدة الرقيق، وتنقسم إلى قسمين:

١ – عهدة ثلاثة، أي ثلاثة أيام، وهي: قليلة الزمان كثيرة الضمان؛ لأنّه يُرَدُّ فيها بكلّ حادث.

٢ – عهدة سنة، وهي: طويلة الزمان قليلة الضمان، إذ الردُّ فيها بعيوب ثلاثة فقط، وهي: الجنون، والجذام، والبرص.

فعهدة الثلاثة يُرَدُّ فيها كلّ عيب حادث في دينه، كزنا، أو سرقة، أو في بدنه كعمى، أو في وصفه كجنون، أوصرع،أو إباق [٧٢].

وأما إذا حدث بالمبيع من العيوب بعد عقد البيع فلا يجب به الرجوع الّا أنْ يكون الحادث من العيوب في الرقيق في عهدة الثلاثة، أو جنونًا، أو جذامًا، أو برصًا في عهدة السنة، وقد انفرد مالك بالقول بالعهدة دون سائر الفقهاء، أي أنّ ما أصاب الرقيق في ثلاثة أيام بعد المبيع من إباق أو عيب أو موت أو غير ذلك فهو من ضمان البائع، أما إذا انقضت الثلاثة الأيام فلا ضمان على البائع إلّا إذا كان من قبيل الجنون، والجذام، والبرص، فإنّ هذه الأمراض الثلاثة إنْ أصاب شيء منها المبيع قبل انقضاء سنة من حين البيع كان له الرد بذلك [٧٣]

واستدلوا على رأيهم بما روي عن الحسن البصري، عن عقبة بن عامر الجهني أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:"عهدة الرقيق ثلاث ليال"

٧٠- ظ: البهوتي –كشاف القناع ٣/٢١٦+ ابن قدامة – المغني ٤/١١٥.

٧١- ظ: ابن رشد – المقدمات الممهدات ٢/٢٥٤+ الشوكاني – نيل الاوطار ٥/٢٠١.

٧٢- ظ: الدردير – الشرح الصغير ٣٠/١٩٣+ ابن رشد – بداية المجتهد ٢/١٧٥.

٧٣- ظ: ابن رشد – المقدمات الممهدات ٢/٢٥٤.

وفي رواية أخرى:"عهدة الرقيق ثلاث"[٧٤]

وبعمل أهل المدينة وإجماعهم، وأنّ الولاة بالمدينة في الزمان الأوّل كانوا يقضون في الرقيق بعهدة السنة، من الجنون، والجذام، والبرص إنْ ظهر بالمملوك شيء من ذلك قبل أنْ يحول عليه الحول فيرد على البائع، ويقضون في عهدة الرقيق بثلاث ليال[٧٥].

ووافقهم فقهاء المذاهب الأخرى – عدا أبي حنيفة وأبي يوسف – فيما إذا ظهرت هذه الأمراض في الزوج لأنّها تخل بمقصد الزواج، ونُقل عن محمد بن الحسن أنّه قال: للمرأة حق الفسخ بعيوب ثلاثة، وهي: الجنون، والجذام، والبرص، لأنّ المرأة لا تطيق البقاء مع زوج فيه أحدها، ولا يُقتصر عليها بل تشمل كل عيب تتضرر به [٧٦].

ولكنّهم اعترضوا على مسألة العهدة وأحداث السنة وأدلّتها: بأنّ العيب قد ظهر في يد المشتري، ويجوز أنْ يكون حادثًا عنده، فلا يثبت فيه الخيار مثل أيّ مبيع، ثمّ إنّ هذه الاقوال مخالفة للأصول، لأنّ المسلمين مجمعون على أنّ كلّ حدث يحصل في المبيع بعد قبضه فهو من ضمان المشتري، فالتخصيص في مثل هذا الأصل المتقرّر إنّما يكون بدليل ثابت، وهذا غير موجود، لأنّ هذه الروايات لم تثبت عندهم

قال ابن قدامة:(وحديثهم لا يثبت، قال الامام أحمد: ليس في العهدة حديث صحيح، والحسنُ لم يلقَ عقبة، وإجماع أهل المدينة ليس بحجة، والداء الكامن لا عبرة به، وإنّما النقص بما ظهر لا بما كمن)[٧٧].

ومن هنا يبدو لي أنّ القول بثبوت الخيار بالنسبة إلى أحداث السنة والعيوب التي تظهر في الرقيق – سواء قلنا بالأربعة كالإمامية أم قلنا بالثلاثة كالمالكية – هي الأقوى؛ استنادًا للروايات التي عضّدت هذه الأقوال إذا جمعت مع بعضها البعض، وعمَل الفقهاء بها، وأيضًا إنّ هذه العيوب منها ما يظهر في فصل من فصول السنة دون فصل آخر بحسب العادة من حصول ذلك الداء في فصل دون آخر.

الشرط الثالث: أن لا يكون عالمًا بالعيب

اتفق الفقهاء على أنّ جهل المشتري بالعيب شرط لثبوت الخيار، بأنْ لا يكون عالما بوجود العيب قبل العقد، أو حينه، أو قبل القبض، وأنْ لا يرضى به بعده، فإذا تعاقد وهو عالم بالعيب أو رضي به بعد العقد –كما لو تسلمه عالما بالعيب – سقط خياره [٧٨]

قال الشيخ محمد حسن النجفي:(لأنّ إقدامه معه رضًى منه به)[٧٩]

وقال السبكي:(عند العلم لا خيار)[٨٠]

٧٤– ابو داود – سنن ابي داود ٢٤٤/٢+ الزرقاني – شرح الزرقاني ١٩٢/٤.

٧٥– ظ: الدردير – الشرح الصغير ١٩٣/٣+ ابن رشد – بداية المجتهد ١٧٦/٢.

٧٦– ظ: الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٥/٥+ النووي – المجموع ١٢٦/٢+ ابن قدامة – المغني ١١٦/٤+ ابن حزم – المحلى ٣٨٤/٨.

٧٧– المغني ٢٤٢/٤.

٧٨– ظ: محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩٠/٨+ علي كاشف الغطاء – شرح الخيارات /١٧٠+ ابن حجر – تحفة المحتاج ١٥١/٤+ ابن رشد – بداية المجتهد ١٣٢/٢+ النووي – روضة الطالبين ٣٧٢/٣+ ابن حزم – المحلى ٣٨٤/٨.

٧٩– جواهر الكلام ٣٨٩/٨.

٨٠– تكملة المجموع ١١٦/١٢.

أي أنّ إقدامه على الشراء مع العلم بالعيب دلالة على رضاه، وكذلك إذا لم يعلم بالعيب عند العقد ثم علم به عند القبض، فقبضه للمبيع مع علمه بالعيب وتصرفه فيه تصرّف الملاك دليل على رضاه؛ لأنّ تمام الصفقة متعلّق بالقبض، فكان العلم عند القبض كالعلم عند التعاقد، كما يحدث في زماننا من أنّ بعض الأمتعة ربّما يقع فاصل زمني بين العقد عليه و تسليمها وإقباضها ويحدث فيها العيب، ولأجل ذلك يقوم التجّار اليوم بعقد التأمين مع الشركات التأمينية لضمان الخسارة الواردة على المبيع بين العقد والقبض، وما هذا الّا لأنّ بعض المبيعات في معرض التلف والتعيّب في تلك الفترة، من غير فرق بين العصر الحاضر والعصور الماضية، وعليه يكون الضمان على البائع، والخيار للمشتري.

وأيضًا عدّوا أنّ علم المشتري بالعيب مسقطًا للخيار والإرش [٨١]

قال الشيخ الانصاري: العلم بالعيب قبل العقد يسقط الرد والإرش بلا خلاف ولا إشكال، لأنّ الخيار إنّما ثبت مع الجهل [٨٢]

وعلّل السيد السبزواري ذلك: بأنّه هو الذي أقدم على تضرُّره، فلا وجه لجعل الخيار لهُ بعد ذلك، فلو أقدم المشتري العالم بالعيب على شراء الشيء المعيوب من البائع مع علمه به ثم ردّهُ وألزم البائع بالقبول فإنّ العُرف وبناء الناس في معاملاتهم لا يرون له حق الرد، ويستنكرون منه إلزامه البائع بالقبول [٨٣]

وقال ابن الهمام:(العلم بالعيب عند البيع أو القبض مُسقط للرد والإرش) [٨٤]

وعلل ابن قدامة ذلك بقوله:(إنّ مَن اشترى معيبًا يعلم عيبه لا خيار له؛ لأنّ بذل الثمن فيه عالمًا راضيًا به عوضًا أشبه ما لا عيب فيه) [٨٥].

ويظهر مما تقدم أنّ عدم علم المشتري بالعيب شرط لثبوت الخيار، وأما مع علمه فلا خيار له، إذ المفروض أنْ يمتنع عن القبض عند علمه بالعيب ليبقى له حق الخيار، فلما لم يفعل وقبض فذلك رضًى منه بالمبيع.

المطلب الخامس: التخيير بين الفسخ والإرش

الأصل في عامة الخيارات التخيير بين الرد والإمساك، ولكن هذا الخيار يمتاز من غيره من الخيارات بأنّه إذا تحقّقت شروطه ثبت في العقد من غير اشتراطه، لأنّه حق أثبته الشارع ولا حاجة إلى اشتراطه صراحة، وكان لصاحبه الحق في فسخ العقد واسترداد الثمن الذي دفعه، أو إمضائه والاحتفاظ بالعين –

٨١– ظ: الطوسي – المبسوط ١٣٠/٢+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩٠/٨+ ابن قدامة – المغني ٢٦٠/٤+ ابن رشد – بداية المجتهد ١٨٠/٢+ الشربيني – مغني المحتاج ٦٠/٢+ المزني – مختصر المزني /٨٦+ ابن حزم – المحلى ٣٨٤/٨.

٨٢– ظ: المكاسب – ٢٣٨/٥.

٨٣– ظ: مهذب الاحكام ١٩٣/١٧.

٨٤– فتح القدير ٨١/٥.

٨٥– المغني ٢٦٠/٤.

محل العقد – والمطالبة بالإرش، على اختلاف بين الفقهاء في استحقاقه للإرش وعدمه، وينبغي بيان معنى الإرش، وأقوال الفقهاء فيه، وبيان الحالات التي يجوز لصاحب الخيار الإمساك بالسلعة والمطالبة بالإرش.

معنى الأرش

أولًا: الأرش لغة:

هو الدية، وقيل الخدش، وما يُدفع من فرق بين السالم والمعيب في السلعة [٨٦] وقيل هو: دية الجراحات مما ليس له قدر معلوم، فقد ورد أنّ إرش الجراحة: ديتها، والجمع أروش، وأصله الفساد، واستعمل في نقصان الأعيان، لأنّه فساد فيها [٨٧].

ثانيًا: الأرش اصطلاحًا:

هو نقص قيمة المعيب [٨٨]، أي أنّه المال المأخوذ عوضًا عن النقص بسبب العيب.

وقيل هو: المال المأخوذ بدلًا عن النقص المضمون في مال لم يُقدَّر له في الشرع مقدَّر[٨٩].

أي أنّه عبارة عن المال الذي يطالبه المشتري من البائع فيما إذا كان المثمن معيبًا، والغالب هو الثاني، لأنّ الثمن بحسب الغالب يكون من النقود والصحة فيها أكثر، بخلاف المثمن.

ثالثًا: تقدير الأرش

يُقدّر الأرش أهل الخبرة من التجار وأهل السوق، وكيفيته: أنْ تقدَّر نسبة الفرق بين التقويمين إلى الثمن، وهو أنْ يُقوَّم المبيع ولا عيب به، ويُقوَّم وبه ذلك العيب، فإذا كان التفاوت ما بين القيمتين النصف فالمشتري يرجع على البائع بنصف الثمن[٩٠]

أي أنّ المبيع يقوّم صحيحًا، و ثُم يقوَّم معيبًا، وتُحسب النسبة بين القيمتين، ويدفع البائع للمشتري مبلغًا يعادل النسبة بين قيمة الصحيح وقيمة المعيب بغض النظر عن القيمة السوقية للوصف الفائت، فلو كانت قيمة المبيع صحيحًا مائة وقيمته معيبًا ثمانين تكون نسبة التفاوت الخمس، فيرجع المشتري بخُمس الثمن المسمَّى، فإنْ كان هذا الثمن مساويًا للقيمة السوقية رجع عليه بعشرين، وإنْ كان أقلَّ كما لو اشترى المبيع بخمسين رجع عليه بعشرة، وإنْ كان أكثر كما لو اشترى بمائة وخمسين رجع بثلاثين،إذ ليس المعيار لتقدير الإرش القيمة الحقيقية للوصف الفائت مهما بلغت، وإنّما المعيار هو النسبة إلى الثمن المسمَّى، لأنّ كلًا من المتعاقدين أقدم على التعاقد بالثمن المسمى والتزم به لا بالقيمة السوقية، فلو اشترى

٨٦- ظ: الفيروز آبادي – القاموس المحيط ٢٦١/٢.

٨٧- ظ: الجوهري – تاج اللغة وصحاح العربية ٩٩٥/٣+ ابن منظور – لسان العرب ١١٧/١+ الفيومي – المصباح المنير ١٢/١.

٨٨- ظ: الشربيني – مغني المحتاج ٢٠٥/٣+ السبكي – تكملة المجموع ١٦٧/١٢.

٨٩- ظ: الانصاري – المكاسب ٣٩٣/٥+ محمد الحسين كاشف الغطاء – تحرير المجلة ٥٤٩/١.

٩٠- ظ: العلامة الحلي – تذكرة الفقهاء ١١٠/١١+ السبزواري – مهذب الاحكام ١٩٩/١٧+ الشيخ نظام الدين – الفتاوى الهندية ٨٣/٣+ الكاساني – بدائع الصنائع ٢٩١/٥+ البهوتي –كشاف القناع ٢١٨/٣+ الباجي – المنتقى /١٨٩+ السبكي – تكملة المجموع ٢٦٥/١٢+ النووي – روضة الطالبين ٤٨٩/٣.

شخص سيارة ووجدها معيبة، واستحق الإرش، فتقوّم سليمة وقت العقد ولتكن قيمتها مليون دينار، ومعيبة بثمانمائة ألف، فالفرق هو مائتان وهي خمس المليون، وكذا لو اشتراها بخمسمائة ألف دينار فيرجع بخمسها وهو مائة ألف، وهكذا

والعلة في ذلك كما يقول ابن قدامة إنَّ (المبيع مضمون على المشتري بثمنه، ففوات جزء منه يسقط عنه ضمان ما قابله من الثمن أيضًا، ولأنّنا لو ضمَّنَّاه نقص القيمة أفضى إلى اجتماع الثمن والمثمن للمشتري فيما إذا اشترى شيئًا بنصف قيمته فوجد به عيبًا ينقص نصف قيمته، مثل أنْ يشتريه بعشرة وقيمته عشرون، فوجد به عيبًا ينقصه عشرة فأخذها، حصل له المبيع ورجع بثمنه، وهذا لا سبيل اليه)[٩١].

ويرى السيد الخوئي أنّ تقدير الأرش يؤخذ من الثمن بنسبة تفاوت قيمة صحيح الشيء إلى معيبه، فلو اشترى سيارة مثلًا بمليون دينار وكان صحيحها يباع بمليونين ومعيبها بمليون فلا يؤخذ نفس التفاوت بين قيمتي الصحيح والمعيب بحسب الواقع الذي هو: عبارة عن مليون دينار بحيث تبقى السيارة للمشتري مجانًا وبلا عوض، بل يؤخذ من الثمن المسمَّى بنسبة تفاوت قيمة المعيب والصحيح وهي النصف، فيؤخذ من البائع نصف الثمن وهو خمسمائة ألف دينار؛ لأنّ وصف الصحة لا يقابل بالمال حتى يكون الإرش من أجزاء العوض ويكون اجتماعه مع المبيع عند المشتري من اجتماع العوض والمعوّض، بل الإرش غرامة تعبُّدية ثبتت بالدليل، وليس هناك اجتماع للعوض مع المعوّض، وإنّما هو اجتماع الغرامة مع المعوّض[٩٢].

حكم الاختلاف في التقويم

لو اختلف أهل الخبرة في تقويم الصحيح أو المعيب أو كلاهما، فلو قوّم بعضهم الصحيح بثمانية والمعيب بأربعة وبعضهم الصحيح بستة والمعيب بثلاثة فهذا لا إشكال فيه، لاتفاق النسبة، لأنّ التفاوت في الحالتين كلتيهما هو النصف، أما إذا اختلفت النسبة، كما لو قوّم بعضهم الصحيح بثمانية والمعيب بأربعة، وقوّم بعض آخر الصحيح بثمانية والمعيب بستة فتكون النسبة على الأول النصف، وعلى الآخر الربع، فيؤخذ بالأقل، لأنّ الاصل في المقام براءة ذمة البائع عن الزائد، فلا يجب عليه الّا دفع الأقل [٩٣].

رابعًا: الرد أو الامساك مع الإرش:

إذا ظهر العيب السابق على العقد ثبت الخيار للمشتري بين الرضا بالعيب وإمضاء العقد فلا يحق له الرجوع على البائع، وأمّا فسخه ورد المبيع واسترداد الثمن الذي دفعه إلى البائع، ولكن إذا اراد الاحتفاظ بالمبيع فهل يحق له المطالبة بالإرش أم لا ؟ فيه خلاف، فقد ذهب الحنفية [٩٤] والشافعية [٩٥] والزيدية [٩٦]

٩١- المغني ٢٤٠/٤.
٩٢- ظ: الغروي – التنقيح في شرح المكاسب ٣٥٠/٤.
٩٣- ظ: الغروي – التنقيح في شرح المكاسب ٣٧٣/٤+ السبزواري – مهذب الاحكام ٢٠٥/١٧.
٩٤- ظ: الكاساني – بدائع الصنائع ٤٧٣/٥+ السرخسي – المبسوط ١٠٦/١٣.
٩٥- ظ: الشيرازي – المهذب ٤٨٢/١+ الشربيني – مغني المحتاج ٥٥/٢.

وفي رواية عن أحمد [٩٧] إلى عدم استحقاق المشتري الاحتفاظ بالمبيع المعيب ومطالبة البائع بنقصان الثمن، حتى لو قال البائع: أمسك المبيع وأنا أُعطيك إرش العيب لم يُجبر المشتري على قبوله، لأنّه لم يرضَ الّا بمبيع سليم بجميع الثمن، فلا يُجبر على إمساك مبيع معيب ببعض الثمن، وكذا لو قال المشتري اعطني الإرش لأمسك المبيع، لا يجبر البائع على دفع الإرش؛ لأنّه لم يبذل المبيع الاّ بجميع الثمن فلا يُجبر على تسليمه ببعض الثمن

وقال ابن قدامة: إذا علم المشتري أنّ بالمبيع عيبًا لم يكن عالما به فله الخيار بين الإمساك والفسخ سواء أكان البائع علم العيب وكتمه أو لم يعلم [٩٨] ؟

ودليلهم على ذلك هو: أنّ السلامة من العيب وصف، والأوصاف لا يقابلها شيء من الثمن بمجرد العقد، لكونها تابعة للمعقود عليه إلّا إذا صارت مقصودة فيقابلها جزء منه، أي أنّ العيب نقص في أوصاف المبيع، ولا يحق للمشتري أنْ يأخذ في مقابل فواتهِ شيئًا، ولا يلزم البائع بنقص الثمن؛ لأنّ البائع لم يرضَ بزوال المبيع عن ملكه بعوض لم يرضَ به وبأقل من الثمن المسمى، وذلك ضرر به، ولا يجوز أنْ يرفع الضرر عن المشتري بأثبات ضرر على البائع، ويمكن دفع الضرر عن المشتري بفسخ العقد ورد المبيع.

وأيضًا استدلوا بحديث المصرّاة، إذ روي عن النبي ﷺ أنه قال: "لا تصرّوا الابل والغنم، فمن ابتاعها بعد فإنّه بخير النظرين بعد أن يحتلبها إنْ شاء امسك وإنْ شاء ردّها وصاع تمر"[٩٩]

وهو واضح في أنّ النبي ﷺ جعل للمشتري الخيار بين الرد والامساك من دون إرش، ولا يدل على أنّ للمشتري حق الاحتفاظ بالعين والمطالبة بنقصان الثمن، وكذلك يستطيع دفع الضرر عنه برد المبيع إلى البائع واسترجاع العوض، لأنّ حق الخيار قد ثبت له بالعيب.

ويرى جمهور الحنابلة إثبات الحق للمشتري في إمساك المبيع والمطالبة بالإرش، لأنّه اطّلع على عيب لم يعلم به، وفوّت عليه جزء من المبيع، فجاز له المطالبة بحصته من الثمن [١٠٠].

فقد ذكر ابن قدامة : إذا ظهر على عيب لم يعلم به فكان له الإرش كما لو تعيَّب عنده، ولأنّه فات عليه جزء من المبيع، فكانت له المطالبة بعوضه، كما لو اشترى عشرة أقفزة فبانت تسعة، أو كما لو أتلفه بعد البيع فأمّا المصرَّاة فليس فيها عيب، وإنّما مَلك الخيار بالتدليس لا لفوات جزء، وكذلك لا يستحق ارشًا إذا تعذَّر الرد، وإثبات النبي ﷺ خيار التصرية تنبيه على ثبوته بالعيب، ولأنّ مطلق العقد يقتضي السلامة من العيب [١٠١].

٩٦– ظ: أحمد بن يحيى بن المرتضى – البحر الزخار ٣٦٦/٣.
٩٧– ظ: ابن قدامة – المغني ١٧٩/٤+ البهوتي –كشاف القناع ٢١٨/٣.
٩٨ –ظ: المغني ٨٦/٤.
٩٩– البخاري – صحيح البخاري ٧٥٥/٢.
١٠٠– ظ: البهوتي –كشاف القناع ٢٢٤/٣+ المرداوي – الانصاف ٤١٠/٤.
١٠١– ظ: المغني ٨٤/٤.

أمّا المالكية فإنّهم فرّقوا بين أنواع العيوب، فالعيب اليسير غير مؤثر وليس فيه شيء من الرد أو الإرش، والعيب الفاحش يكون فيه مخيَّرًا بين الرد والإمساك بالثمن، أي إذا أمسك المبيع ليس له أنْ يرجع بنقصان الثمن، وهذا يشمل العقار وغيره، والعيب المتوسط يكون فيه الإمساك مع الإرش [١٠٢].

بينما يرى فقهاء الإمامية أنّ المشتري مُخيَّر بين رد المبيع واسترجاع الثمن وإمساكه وأخذ الإرش اجماعًا محصلًا ومحكيًا مستفيضًا صريحًا وظاهرًا بلا خلاف [١٠٣]

قال العلامة الحلي:(إذا وجد المشتري بالمبيع عيبًا سابقًا على العقد ولم يحدث عنده عيب ولا تصرف فيه كان مخيَّرًا بين فسخ البيع والإمضاء بالإرش) [١٠٤]

وقال الشيخ علي كاشف الغطاء: (فليس المستند الّا الاجماع محصّله ومنقوله) [١٠٥]

يزداد على ذلك أنّ الحكم بلزوم العقد مع العيب ضرر، ودفعه يتحقق بأحد الأمرين: إمّا رد المبيع، وإمّا إمساكه وأخذ الأرش لما ورد عنه عليه السلام قوله:"إنْ خرج في السلعة عيب وعلم المشتري فالخيار اليه، إنْ شاء ردَّ، وإنْ شاء أخذ، أو رد عليه بالقيمة إرش العيب"[١٠٦]

وهو ظاهر في التخيير بين أمور ثلاثة: الرد، أو الامضاء بدون الإرش، أو أخذ الإرش.

لما روي عن أبي جعفر عليه السلام قال:"أيّما رجل اشترى شيئًا وبه عيب وعوار لم يتبرأ اليه ولم يبين له فأحدث فيه بعد ما قبضه شيئًا ثم علم بذلك العوار وبذلك الداء أنّه يمضي عليه البيع، ويُرد عليه بقدر ما نقص من ذلك الداء والعيب من ثمن ذلك لو لم يكن به"[١٠٧]

وهو ظاهر في التخيير بين الرد والأرش.

ومجموع هذه النصوص بعد رد بعضها إلى بعض تكفي لإثبات هذا الرأي، وهي مطلقة، وقد دلَّت على جواز الفسخ في تمام البيع أو في بعضه، وهو فسخ المعاملة في وصف الصحة فقط، لعدم تقييدها الفسخ في تمام المعاملة، وأيضًا أنّ لوصف الصحة أهمية خاصة عند المتعاملين لو فقدت فإنّها تتدارك بالمال، أمّا لو تراضى الطرفان بالإرش حتى في صورة التمكُّن من الرد فلا إشكال فيه، وإنْ لم يرضَ البائع بذلك يرد المشتري المبيع لئلا يقع الضرر، وفي مورد سقوط الرد يتعين على البائع تدارك ضرر المشتري بالإرش.

ويرى الشيخ البحراني أنّ الأخبار لا دلالة فيها على تخيّر المشتري بين الرد والامساك مع الأرش، وعليه فيحكم بجواز الرد للمشتري أولًا، ثم إذا لم يتمكَّن منه لتصرُّفٍ أو غيره يحكم له بالأرش، وهو أول من تنبَّه الى ذلك [١٠٨]

١٠٢- ظ: الحطاب الرعيني – مواهب الجليل ٤/٤٣٤+ ابن رشد – بداية المجتهد ٢/١٧٧.

١٠٣- ظ: الطوسي – المبسوط ٢/١٣٨+ الطباطبائي – رياض المسائل ٨/٣٨٠+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٨/٣٨٨+ الانصاري – المكاسب ٥/٢٧٥.

١٠٤- تذكرة الفقهاء ١١/٨١.

١٠٥- شرح الخيارات /١٥٣.

١٠٦- علي بن بابويه – فقه الرضا عليه السلام /٢٥٣+ النوري – مستدرك الوسائل ١٣/٣٠٦.

١٠٧- الطوسي – تهذيب الاحكام ٢/١٣٤+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ١٢/٣٦٢.

ووافقه السيد الخوئي إذ قال: (إنّ الأخبار لا دلالة لها على ثبوت الإرش من الابتداء، وإنّما تدل على ثبوت الإرش بعد عدم التمكن من الرد والتصرف في المبيع، وما أفاده صاحب الحدائق متين) [١٠٩].

أمّا بالنسبة إلى الإجماع فيمكن أنْ يُقدح فيه من جهة مخالفة الشيخ الطوسي في بعض كتبه[١١٠] إذ قال: (إذا حدث بالمبيع عيب في يد البائع كان للمشتري الرد والإمساك، وليس له إجازة البيع مع الإرش، ولا يُجبر البائع على بذل الإرش بلا خلاف، فإنْ تراضيا على الإرش كان جائزًا)[١١١]

أي أنّ اللجوء إلى الإرش يكون في حالة اليأس وعدم التمكن من رد المبيع، لتصرف، أو لِحصول عيب في المبيع عند المشتري.

مما تقدّم يمكن القول إنّ الخيار بين الرد والإمساك مجانًا مع إمكان الرد هو كسائر الخيارات الاخرى، وإذا تعذر الرد جاز له المطالبة بالإرش، وهذا قول متين لولا الإجماع من مشهور الفقهاء على التخيير بين الرد والإمساك مع المطالبة بالإرش، ولأنّ الرائج بين العقلاء أنّ البائع إنّما رضي بانتقال العين عن ملكه بثمن، والزامه قهرًا بما دونه ضرر وتحكّم، كما أنّ إلزام المشتري بالمعيب قهرًا ضرر أيضًا، ويمكن أنْ يرتفع هذا الضرر عن المشتري برد المبيع وإرجاع كل شيء إلى أصله، كما هو جارٍ في سائر الخيارات التي ثبتت بقاعدة لا ضرر، وحكم فيها بجواز الرد لا بأخذ الإرش، وأيضًا يرى العقلاء أنّ البائع يكون منصفًا لو قال للمشتري: لا أرد عليك أي شيء من الثمن، وإنّما لك الخيار بين أن تقبل المبيع بما هو وعلى علاته وبدون تعويض أو أنْ ترده وتأخذ ما دفعته، نعم لو تعذر رد المبيع جاز للمشتري المطالبة بالإرش، لأنّه لا سبيل لرفع الضرر الّا به.

خامسًا: تبعّض الصفقة

التبعيض هو: التجزئة، وتبعيض الصفقة هو: أخذ بعض المبيع ورد بعضه [١١٢]، أو تفرق الصفقة، وهو: تفريق ما اشتراه في عقد واحد، والصفقة تعني العقد [١١٣]، ويحتمل أن يكون معنى الصفقة هو الدفعة الواحدة، فإذا اشترى شخص شيئين أو أكثر صفقة واحدة، ووجد ببعضها عيبًا فهل يحق له أنْ يردّهما معًا، أو يرد المعيب فقط ؟ إختلف الفقهاء فيما إذا كان المبيع مما يضرَّه التبعيض أو لا يضره.

الحالة الأولى: إذا كان المبيع معيبًا ولا يضره التبعيض، وفيها أقوال:

القول الأول: يرى الشافعية وفي رواية عن الحنابلة أنّ للمشتري حق رد المعيب بقسطه من الثمن، وإذا نقص أَنْ يأخذ الإرش بدل العيب من البائع؛ لأنّ في البيع تفريق صفقة على المشتري بسبب العيب [١١٤].

١٠٨– ظ: الحدائق الناضرة ٦٣/١٩.
١٠٩– الغروي – التنقيح في شرح المكاسب ١٣٣/٤.
١١٠– ظ: المبسوط ١٣١/٢+ الخلاف ١٠٩/٣.
١١١– الطوسي – الخلاف ١٠٩/٣.
١١٢– قلعجي – معجم لغة الفقهاء /١٢٠.
١١٣– ظ : البعلي – المطلع ٢٣٢/١.
١١٤– ظ : الغمراوي – السراج الوهاج ١٨٩/١+ ابن مفلح – المبدع في شرح المقنع ٩٩/٤+ ابن قدامة – المغني ١٣٤/٤.

القول الثاني: يرى بعض الإمامية والحنابلة أَنّ المشتري لا يملك إلّا رد المعيب وحده [١١٥] ووافقهم المالكية في ذلك إلّا أنّهم اشترطوا شرطين في المعيب

١) أَنْ لا يزيد المعيب عن نصف الصفقة.

٢) أَنْ لا يكون المعيب وجه الصفقة [١١٦].

القول الثالث: ذهب بعض الإمامية [١١٧] وفي رواية عن المالكية [١١٨] ومشهور الشافعية [١١٩] إلى أَنّ المشتري مُخَيَّر بين أَنْ يردهما معًا أو يمسكهما معًا

وأضاف الإمامية: أنّ للمشتري الحق بالمطالبة في حالة إمساكه بالإرش بدلًا عن الوصف الفائت.

القول الرابع: يرى الحنفية أنّ العيب إذا وجد قبل القبض فللمشتري إمّا امساكهما معًا أو ردهما معًا، أما إذا كان بعد القبض فللمشتري الخيار بين إمساك المعيب وردّه [١٢٠].

الحالة الثانية: إذا كان المبيع مما يضرَّه التبعيض، وفيه قولان:

القول الأَول: يرى جمهور الفقهاء أنّ المشتري لا يحق له إلّا قبول المبيع كاملًا أو ردّه [١٢١] وزاد الإمامية إلى ذلك استحقاقه للإرش إنْ أمسك المبيع [١٢٢].

القول الثاني: يرى الحنابلة في المشهور عنهم جواز رد أحد المبيعين من قبل المشتري سواء أكان العيب في احدهما أو كليهما، وفي رأي آخر لهم جواز رد أحد المبيعين مع أخذ إرش نقص القيمة[١٢٣].

وفي ضوء ما تقدم يمكن القول باستحقاق المشتري للخيار إمّا برد المبيع كاملًا أو قبوله على الرغم من وجود العيب فيه وأخذ إرش نقصان القيمة، لئلا يلزم ضرر على أحدهما، لأنّ الزام المشتري بقبول المبيع المعيب ضرر عليه، وتفريق الصفقة وإرجاع المعيب إلى البائع ضرر على البائع.

المطلب السادس: مسقطات الخيار

يمتاز خيار العيب عن بقية الخيارات أنّ لصاحبه الخيار بين رد العين وإمساكها مع الإرش على خلاف في ذلك، لكنهم اتفقوا على استحقاقه للإرش عند اليأس وعدم التمكن من رد المبيع

وعلى هذا الاساس ينبغي بيان الموارد التي يسقط فيها الخيار سواء كان هو الرد فقط دون الإرش أو سقوطهما معًا

١١٥- ظ : الطوسي – المبسوط ١٣٢/٢+ ابن ادريس – السرائر ٢٩٧/٢+ المرداوي – الانصاف ٤٣٠/٤.

١١٦- ظ : الدردير – الشرح الصغير ١٣٤/٣.

١١٧- ظ: ابن زهرة – غنية النزوع /٢٢٣+ الطباطبائي – رياض المسائل ٢٦٢/٨+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩٥/٨.

١١٨- ظ : الدردير – الشرح الصغير ١٣٥/٣+ البجيرمي – حاشية البجيرمي ٢٦٢/٢.

١١٩- ظ: ابن مفلح – الفروع ٨٤/٤+ الشربيني – مغني المحتاج ٦٠/٢.

١٢٠- ظ : الميرغناني – الهداية ٤٠/٣+ السرخسي – المبسوط ١٥١/٥.

١٢١- ظ : الدردير – الشرح الصغير ١٣٥/٣+ المرداوي – الانصاف ٤٣٠/٤+ ابن قدامة – المغني ١١٨/٤.

١٢٢- ظ : الطوسي – النهاية /٣٩٣+ محمد جواد العاملي – مفتاح الكرامة ٤١٧/١٤+ السبزواري – مهذب الاحكام ٢٠٧/١٧.

١٢٣- ظ : ابن قدامة – المغني ١٦٨/٤+ المرداوي – الانصاف ٤٣٠/٤.

الأول: إسقاط الخيار

يسقط خيار العيب بإسقاطه من قبل المشتري إسقاطًا مقصودًا صريحًا؛ لأنّه حق خالص له، فله أنْ يتنازل عن حقه في رد المبيع أو الرجوع بنقصان الثمن أو عنهما معًا، كأن يقول: اسقطت الخيار، أو أبطلته، أو التزمت البيع، أو أوجبته، أو أجزت العقد، أو بأي لفظ يؤدّي هذا المعنى، فيكون مسقطًا للرد والإرش معًا، لأنّه يفيد الرضا بالعقد والعيب، وأيضًا لأنّ حق الرد إنّما هو لفوات السلامة المشروطة دلالة في العقد، فإذا رضي المشتري بالعيب فقد دل على أنّه تنازل عن هذا الشرط، أو أنّه لم يشترطه ابتداءً، وقد ثبت الخيار نظرًا له، فإذا لم ينظر لنفسه ورضي بالضرر فذاك له [١٢٤].

ويرى الإمامية أنّ التصريح باللفظ يسقط الرد دون الإرش [١٢٥]

إذ يرى السيد السبزواري: أنّ الرد يسقط باشتراطه في ضمن العقد أو بعده، سواء كان قبل ظهور العيب أو بعده، ويبقى له حق المطالبة بالإرش، لأنّ الخيار ينشأ بوجود العيب الواقعي لا بظهوره، ولعموم ادلة الوفاء بالشرط [١٢٦]، والضابط في الظهور هو التصريح بالإسقاط، وأمّا أنّ الساقط هو الرد أو هو مع الإرش فلا يتعين إلّا بظهور الكلام، فتارةً يكون التصريح بإسقاط الرد فيلزم بقاء الإرش، لأنّ الرضا بالبيع لا يستلزم الرضا بالعيب، كما لو قال: التزمت بالبيع وأسقطت حق الفسخ

وتارة أخرى يصرّح بالالتزام بالبيع وإبقاء المبيع المعيب على ملكه، ولكنه لا يذكر شيئًا من الرد والإرش، فيقتصر على قوله: التزمتُ بالعقد، وظاهر كلامه إسقاط الرد خاصة، ويبقى له حق الإرش، للسبب السابق نفسه

وثالثة يصرّح بإسقاط الخيار ولا يكتفي بالالتزام بالعقد، كما لو قال: اسقطتُ خيار العيب، ولما كان كلُ من الفسخ والارش طرفًا لهذا الخيار فإسقاطه رأسًا اسقاط لهما معًا، وعليه فبقاء استحقاق الارش يدور مدار الإنشاء، فإنْ تعلَّق بالالتزام بالعقد سقط الرد خاصة، وإنْ تعلَّق بالخيار سقطا معًا [١٢٧].

الثاني: التصرُّف في المعيب

تباينت أقوال الفقهاء في عدّ تصرف المشتري مُسقطًا سواء كان مُغيِّرًا أم ناقلًا، قبل العلم به أو بعده

فقد ذكر جمهور الفقهاء إلى أنّ الرضا بالعيب مُسقط للرد والأرش معًا سواء كان تصريحًا أو دلالة، والدلالة تتمثل في أي تصرف يُجريه المشتري بالمبيع المعيب بعد علمه به تصرُّفَ المِلّاك، مثل الاستعمال، كالركوب، والتحميل، والمداواة، واللبس، فهي دلالة على الرضا بالمبيع وإسقاط لحقه في الخيار، ومثل التصرفات الناقلة للملك، كعقود التمليك، مثل البيع، والايجار، والرهن، والهبة مع التسليم، والوقف، والصلح، وغير ذلك؛ لأنّ مثل هذه التصرفات تمنع من رد المبيع، لتعلق حق المبيع بالمشتري الثاني،

١٢٤– ظ : الكاساني – بدائع الصنائع ٢٨٢/٥+ ابن قدامة – المغني ٥٧/٤+ الشيرازي – المهذب ٩٢/١+ ابن رشد – بداية المجتهد ٥٤١/٢

١٢٥– ظ: محمد جواد العاملي – مفتاح الكرامة ٤٠٤/١٤+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩٠/٨+ الانصاري – المكاسب ٢٧٩/٥.

١٢٦– ظ: مهذب الاحكام ١٩١/١٧.

١٢٧– ظ : الغروي – التنقيح في شرح المكاسب ١٣٩/٤+ المروّج – هدى الطالب ٦/١٢.

وللمحافظة على حقوق الغير، وأيضًا لأنّ التصرف كان من قِبَل المشتري، ومن شروط الخيار أنْ لا يكون امتناع الرد بسببه، وإنْ فسخ تصرفه ورد إليه المبيع بخيار شرط أو خيار رؤية مثلًا عاد إليه حق خيار العيب، وجاز له رد المبيع إلى البائع [١٢٨].

ويرى المالكية - في رأي آخر لهم – أنّ التصرفات الناقلة للملك بعوض كالبيع والإجارة والرهن تسقط الرد والإرش، وأمّا إنْ كانت بغير عوض كالهبة مثلًا فله الرجوع وأخذ الإرش؛ لأنّ الارش يُتدارك به العيب الفائت، وإنْ عاد إليه المبيع المعيب فيجوز له ارجاعه إلى البائع إنْ كان على حاله، أما إنْ تغيَّر بإحداث عيب آخر فيه فيرده ويرد معه إرش ما حدث فيه عنده، وأمّا إذا كان التصرف لا عن رضا بالبيع –كأن يكون مجبرًا عليه، كما لو ركب الدابة ليردها، أو ليسقيها، او ليشتري لها علفًا، أو لبس القميص ليعرف قدره، وغير ذلك – فإنّه لا يسقط خياره، أمّا إذا كان الاستخدام كثيرًا فيسقط الخيار، ويبطل الرد والأرش[١٢٩].

ويرى الحنابلة أنّ أي تصرف في المبيع سواء كان قبل العلم به أو بعده دلالة على رضاه وإمساكه به، فيسقط الرد فقط، أمّا الإرش فلا؛ لأنّه في مقابل الجزء المعيب من المبيع

قال ابن قدامة: (إنّ المشتري إذا باع المبيع عالمًا بعيبه أو وهبه أو أعتقه فلا خيار له؛ لأنّ تصرفه فيه مع علمه بالعيب يدل على رضاه به، أشبه ما لو صرَّح بالرضا، وقياس المذهب أنّ له الأرش بكل حال)[١٣٠].

وقريب منه ما ذهب إليه مشهور فقهاء الإمامية وادعوا عليه الاجماع، وهو أنّ التصرف في المعيب سواء بعد ظهور العيب أو قبله تصرّفًا مُغيّرًا للعين على نحوٍ يصدق عليه أنّ العين ليست باقية على حالها –كالزيادة مثلًا بغرس الارض بالأشجار، أو النقيصة كتلف بعض العين، أو تغيّر هيئاتها كتفصيل القماش وخياطته أو كبناء العرصة، أو تصرف فيه بنقل يخرجه عن ملكه، كالبيع، والاجارة، والرهن، والهبة، والصلح، أو موت الحيوان وعتق المملوك – فإنّ مثل هذه التصرفات تؤدي إلى سقوط حق الرد وبقاء حق الأرش؛ لأنّها مانعة من الرد وعدم بقاء العين على ما كانت عليه حين الشراء، وبخلاف ذلك فالخيار باقٍ، إنْ شاء فسخ العقد ورد المبيع، وإنْ شاء امسك مجانًا أو بالإرش.

والدليل على ذلك رواية زرارة عن ابي جعفر الباقر عليه السلام قال:"أيّما رجل اشترى شيئًا وبه عيب او عوار ولم يتبرأ اليه ولم يُبيّن له فأحدث فيه بعد ما قبضه شيئًا ثم علم بذلك العوار وبذلك الداء أنّه يمضي عليه البيع، ويُرد عليه بقدر ما نقص من ذلك الداء والعيب من ثمن ذلك لو لم يكن به"[١٣١] فهذه الرواية تدل

١٢٨- ظ: ابن عابدين – رد المحتار ٥/٩٠+ النووي – روضة الطالبين ٣/٤٦٤+ احمد بن يحيى بن المرتضى – البحر الزخار ٤/٣٥٦+ ابن رشد – بداية المجتهد ٢/١٧٨.

١٢٩- ظ: الحطاب الرعيني– مواهب الجليل ٤/٤٤٦.

١٣٠- المغني ٤/١٢٣.

١٣١- الطوسي – تهذيب الاحكام ٧/٦٠+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ١٢/٣٦٢.

على استحقاق المشتري للأرش فيما لو كان المبيع معيبًا ولم يتبرأ البائع منه ولم يُخبره بالعيب، مع تصرفه فيه بعد ما قبضه، وسقوط حق الفسخ بهذا التصرف، وانحصار جبر ضرر العيب باستحقاقه للأرش.

وما روي عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يشتري الثوب أو المتاع فيجد فيه عيبًا، فقال:"إنْ كان الشيء قائمًا بعينه رَدَّهُ على صاحبه وأخذ الثمن، وإن كان الثوب قد قُطِعَ أو خِيطَ أو صُبِغَ يرجع بنقصان العيب"[١٣٢]، فهذه الرواية تدل على جواز الرد وثبوت حق الفسخ لو لم يحصل تغيير في المبيع، أمّا لو حصل التغيير فيستحق الأرش، أي أنّ بقاء العين وعدم بقائها على حالها هو الملاك في سقوط الرد وعدمه، من غير فرق بين كونه قبل العلم بالعيب أو بعده، وسواء كشف عن رضاه أم لا[١٣٣].

ويمكن القول أنّ الدليل على ما تقدم هو الروايات؛ لاحتمال أنْ يكون هذا الاجماع مدركيًا.

ومما تقدم يتضح أنّ الضابط في سقوط الرد واستحقاق الأرش عند حدوث تغيير في المبيع من قبل المشتري وتصرفه فيه بحيث يصدق عليه أنّ العين ليست باقية على حالها: أنّه تصرف يدل على الرضا بالمبيع، ولكن الرضا به لا يدل على إسقاط الأرش، وهو ظاهر في استحقاقه له عوضًا عن النقص في المعيب.

الثالث: تلف العين أو ما هو بحكم التلف

إنّ تلف العين إمّا أنْ يحدث بفعل البائع، أو المشتري، أو الأجنبي، أو بآفة سماوية، أو بسبب عيب قديم قبل البيع، فلو تلف المبيع وهو في يد البائع انفسخ العقد، ولا يرجع البائع على المشتري بشيء من الثمن؛ لأنّه يتحمل تبعة تلفهِ قبل إقباضه، أمّا بعد القبض وتلفه بيد المشتري فقد ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ تلف المبيع يمنع الرد ويسقط الخيار، ولكن المشتري يرجع على البائع بالأرش [١٣٤].

قال ابن عابدين: إنّ من اشترى شيئًا ووجده معيبًا، ثم ذهب إلى بائعه ليردَّه بعيبه فهلك في الطريق – سواء كان باستهلاكه بالاستعمال كأكل الطعام أو لبس الثوب حتى يتخرَّق، أو بالموت أو بسبب آفة سماوية – فإنّه يسقط الخيار؛ لامتناع الرد، ويبقى له الرجوع بنقصان القيمة، وهو الظاهر من المذهب[١٣٥].

وفي رأيٍ لأبي حنيفة: انَّ الهلاك إنْ كان بفعل المشتري فلا يرجع على البائع بشيء؛ لأنّه أتلفه بفعل مضمون منه لو فعله في غير ملكه،وقد انتفى الضمان لملكه فكان كالمستفيد به عوضًا[١٣٦].

ويرى النووي: أنّ المبيع إذا هلك في يد المشتري – بأنْ مات العبد، أو قتل، أو تلف الثوب، أو أكل الطعام – ثم علم كونه معيبًا فقد تعذَّر الرد، لفوات المردود، لكن يرجع على البائع بالأرش، والأرش جزء

١٣٢– الطوسي – تهذيب الاحكام ٦٠/٧+الحر العاملي – وسائل الشيعة ٣٦٢/١٢.

١٣٣– ظ: ابن زهرة – غنية النزوع /٢٢٢+ الطوسي – النهاية /٣٩٣+ ابن ادريس – السرائر ٣٠٢/٢+ العلامة الحلي– تذكرة الفقهاء ٩١/١١+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩٠/٨+ السبزواري – مهذب الاحكام ١٩٢/١٧.

١٣٤– ظ : محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩٠/٨+ الكاساني – بدائع الصنائع ٢٨٣/٥+ الشربيني – مغني المحتاج ٥٤/٢+ البهوتي –كشاف القناع ٦٣/٢.

١٣٥– ظ: رد المحتار ٨٣/٤.

١٣٦– ظ: الكاساني – بدائع الصنائع ٢٨٣/٥+ الشيخ نظام الدين – الفتاوى الهندية ٨٣/٣.

من الثمن نسبته اليه نسبة ما ينقص العيب من قيمة المبيع لو كان سليمًا إلى تمام القيمة، وإنّما كان الرجوع بجزء من الثمن لأنّه لو بقي كل المبيع عند البائع كان مضمونًا عليه بالثمن، فإذا احتبس جزء منه كان مضمونًا بجزء من الثمن [١٣٧].

وذكر الشيخ الأنصاري: أنّ تلف العين أو صيرورته كالتالف يسقط الرد، ويستحق المشتري الأرش [١٣٨].

كما لو انتقلت العين من ملكه إلى غيره بالبيع، أو بِسلب منفعته بالإجارة، أو تعلق بها حق الغير كالرهن، أو بخروج العين عن سلطنة المشتري مع بقاء صفة الملك، كإباق العبد وغير ذلك؛ لظهور اجماع فقهاء الامامية [١٣٩]؛ لأنّ الدليل دَلَّ على دوران حق الرد مدار قيام العين على ما كانت عليه وعدم تغيُّرها عن وصفها السابق، فقد ورد عن أبي عبد الله عليه السلام "في الرجل يشتري الثوب أو المتاع فيجد فيه عيبًا، فقال: إنْ كان الثوب قائمًا بعينهِ ردّه على صاحبه وأخذ الثمن، وإنْ كان الثوب قد قُطِع أو خِيط أو صُبِغ رجع بنقصان العيب"[١٤٠]، فإنّ التغيير بقطع الثوب وخياطته وإنْ كان الثوب موجودًا فإنّه مُسقط للرد، فمن باب أولى سقوطه بانتفاء الموضوع، وهو تلف الثوب.

وفرَّق المالكية والحنابلة بين ما إذا كان هلاك المعيب بسبب العيب القديم وهلاكه بسبب غيره، فإذا كان بسبب غيره أو بسبب العيب القديم بشرط عدم تدليس البائع على المشتري وغشه له فهم يوافقون جمهور الفقهاء بامتناع الرد واستحقاق الأرش، وإذا كان بسبب العيب القديم وكان البائع مُدلسًا – أي أنّ العيب المدلس هو الذي ادى إلى هلاك المبيع – رجع عليه المشتري بالثمن كله،

وزاد الحنابلة: أنّ البائع إذا كان مدلِّسًا رجع عليه المشتري بالثمن كله حتى وإنْ كان الهلاك ليس بسبب العيب القديم [١٤١].

الرابع: حدوث عيب عند المشتري

وهو أنْ يتعيَّب المبيع عند المشتري بعد قبضه وانقضاء خياره سواء بفعله أو بفعل البائع أو أجنبي أو بفعل المعقود عليه إنْ كان ذا حياة، أو بآفة سماوية، وأنْ يتبيَّن له أنّ فيه عيبًا قديمًا لم يعلمه وقت العقد، فهل يحق له ردّ المبيع مع العيب الذي حدث عنده ؟ أو أنّ له أرش العيب القديم ؟ فيه قولان:

القول الأول: ذهب جمهور الفقهاء إلى أنّ العيب الحادث بعد القبض وانقضاء الخيار مانع عن الرد بالعيب السابق على العقد، ويتعيَّن على البائع دفع أرش العيب القديم [١٤٢]

١٣٧- ظ: روضة الطالبين ٤٧٢/٣.

١٣٨- ظ: المكاسب ٢٨٩/٥.

١٣٩- ظ: ابن حمزة – جواهر الفقه /٥٩+ ابن ادريس – السرائر ٢٩٦/٢+ المحقق الحلي – شرائع الاسلام ٣٠٢/٢+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩٠/٨.

١٤٠- الطوسي – تهذيب الاحكام ٦٠/٧+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ٣٦٣/١٢.

١٤١- ظ: ابن رشد – بداية المجتهد ١٨١/٢+ الخرشي – شرح الخرشي ٤٨/٤+ ابن قدامة – المغني ١٣٥/٤+ البهوتي – كشاف القناع ١٨٠/٣.

واستدل الإمامية عليه بالإجماع [١٤٣] وبالرواية المتقدمة عن أبي عبد الله عليه السلام "في الرجل يشتري الثوب أو المتاع فيجد فيه عيبًا، فقال: إنْ كان الثوب قائمًا بعينه ردَّه على صاحبه وأخذ الثمن، وإنْ كان الثوب قد قُطِع أو خيط أو صُبِغ رجع بنقصان العيب"[١٤٤]، والظاهر منها أنّ المعيار لجواز عدمه هو بقاء العين على حالها وعدمه، فتعيّب العين عند المشتري وتغيّرها يمنع من الرد، فيتعيَّن جبر العيب السابق بالأرش.

ويرى العلامة الحلي: أنّ العيب السابق وإنْ كان مقتضيًا للرد الا أنّ العيب اللاحق لما وقع في ملك المشتري وما بيدهِ يمنع عن الرد بالعيب السابق [١٤٥].

واستدل جمهور الفقهاء بأنّ شرط الرد أنْ يكون المردود على الصفة التي كان عليها عند القبض وهذا الشرط مفقود؛ لأنّ المبيع خرج عن ملك البائع معيبًا بعيب واحد ويعود على ملكه معيبًا بعيبين – العيب القديم والعيب الحادث – وفي ذلك ضرر على البائع، ولا يزال الضرر بالضرر، وهو إذا كان يضمن العيب القديم فإنّه لا يضمن العيب الحادث؛ لأنّه حدث بعد القبض وفي يد المشتري [١٤٦].

القول الثاني: يرى المالكية [١٤٧] وفي قول ثانٍ للحنابلة [١٤٨]: إنّ المشتري مُخيّر بين الرد مع إعطاء البائع أرش العيب الحادث وبين امساكه وأخذ أرش العيب القديم،

واستدلوا بأنّ المبيع معيب قبل شرائه والبائع قد دلَّس فيه، ثم حصل به العيب الجديد، فهو بالخيار بين الرد وبين اخذ أرش العيب القديم، وإنّ الرد قبل العيب الحادث جائز ولا يزول إلاّ بدليل، ولا يوجد دليل من نص أو اجماع على منعه.

وبما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في حديث المصرّاة:"لا تصّروا الإبل والغنم، فمن ابتاعها بعدُ فإنّه بخير النظرين بعد أنْ يحتلبها، إنْ شاء امسك وإنْ شاء ردها وصاع تمر"[١٤٩]، قال ابن قدامة:(إنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم أَمرَ بردها بعد حلبها ورد عوض لبنها، واحتج أحمد بأنّ عثمان بن عفان قضى في الثوب إذا كان به عوار بردّه وإن كان قد لبسه) [١٥٠].

ومما تقدم يرى الباحث أنّ العيب الحادث يمنع من الرد؛ لحصول التغيّر في يد المشتري بعد قبضه، وعدم بقاء العين على حالها وتعيّبها، وفي حالة إرجاعها يحصل الضرر على البائع؛ لأنّ المبيع خرج من

١٤٢– ظ: ابن ادريس – السرائر ٢٩٦/٢+ محمد جواد العاملي – مفتاح الكرامة ٤٠٧/١٤+ الكاساني – بدائع الصنائع ٢٨٣/٥+ البابرتي – العناية شرح الهداية ١٦٠/٥+ النووي – روضة الطالبين ٤٨٠/٣+ احمد بن يحيى بن المرتضى – البحر الزخار ٣٦٥/٣.

١٤٣– ظ: ابن زهرة – غنية النزوع /٢٢٢+ ابن البراج – جواهر الفقه /٢١٧+ العلامة الحلي – تذكرة الفقهاء ١٢٥/١١+ محمد حسن النجفي – جواهر الكلام ٣٩١/٨.

١٤٤– الطوسي – تهذيب الاحكام ٦٠/٧+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ٣٦٣/١٢.

١٤٥– ظ: تذكرة الفقهاء ١٢٥/١١.

١٤٦– ظ: ابن ادريس – السرائر ٢٩٦/٢+ الكاساني – بدائع الصنائع ٢٨٣/٥+ البابرتي – العناية شرح الهداية ١٦٠/٥+ النووي – روضة الطالبين ٤٨٠/٣+ احمد بن يحيى بن المرتضى – البحر الزخار ٣٦٥/٣.

١٤٧– ظ: ابن رشد – المقدمات الممهدات ٢٥٤/٢+ الشوكاني – نيل الاوطار ٢٠١/٥ .

١٤٨– ظ: ابن قدامة – المغني ١٣١/٤+ المرداوي – الانصاف ٤٢٦/٤.

١٤٩– البخاري – صحيح البخاري ٧٥٥/٢+ مسلم – صحيح مسلم ٦/٥.

١٥٠– المغني ١٣١/٤.

عنده بعيب واحد فقط فلا يعود إليه بعيب آخر، ولدفع الضرر عن الطرفين يمتنع الرد ويُلزم البائع بدفع أرش العيب القديم إلى المشتري.

الخامس: تبرّي البائع من العيوب

وهو أنْ يشترط البائع على المشتري حين العقد عدم مسؤوليته عن أي عيب من العيوب يظهر في المبيع، وقبول المشتري بذلك ويتحقق بأيّ عبارة تدل عليه صراحة أو ظهورًا، كأن يقول: بعتك هذا بكل عيب، أو أنا بريء من العيوب الظاهرة والباطنة، المعلومة وغير المعلومة سواء كانت موجودة حين العقد أو المتجددة بعده، مع قبول المشتري بذلك، وللفقهاء في هذا الحكم عدة أقوال:

القول الأول: أجاز جمهور فقهاء الإمامية [١٥١] ذلك على الاطلاق، واستدلوا على جواز التبري من العيوب الظاهرة أو الخفية، المعلومة وغير المعلومة بالا جماع [١٥٢]

وبانصراف دليل الخيار عن مثله، لأنّ الخيار إنما يثبت لاقتضاء مطلق العقد السلامة من العيوب، فإذا صرّح البائع بالبراءة فقد ارتفع الاطلاق [١٥٣]

أي لا مجال لثبوت الخيار بتقييد المبيع بكونه معيبًا؛ لأنّ التبرّي من العيوب بمنزلة عدم التعهد بسلامته.

وبما روي عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:"أيّما رجل اشترى شيئًا وبه عيب أو عوار ولم يتبرأ اليه، ولم يُبيّن له، فاحدث فيه بعد ما قبضه شيئًا ثم علم بذلك العوار وبذلك الداء أنّه يمضي عليه البيع ويرد عليه بقدر ما نقص من ذلك الداء والعيب من ثمن ذلك لو لم يكن به"[١٥٤]

واستدل جمهور الفقهاء على ذلك بما رووه:"من أنّ الامام عليًا عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليصالح بني جذيمة فواداهم حتى مُضغة الكلب، وبقي في يده مال، فقال: هذا لكم مالا تعلمونه ولا يعلمه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسُرَّ"[١٥٥]

وفيه دلالة على أنّ البراءة من الحقوق المجهولة جائز.

وبما أثر عندهم أَنّ"عبد الله بن عمر باع غلامًا له بثمانمائة درهم وباعه بالبراءة، فقال الذي ابتاعه لعبد الله بن عمر: بالغلام داء لم تسمّه، فاختصما إلى عثمان بن عفان، فقال الرجل: باعني عبدًا وبه داء لم يسمّه لي، فقال عبد الله: بعته بالبراءة، فقضى عثمان بن عفان على عبد الله بن عمر أنْ يحلف له لقد

١٥١- ظ : محمد حسن النجفي - جواهر الكلام ٣٨٩/٨+ الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٦/٥+ الرملي – نهاية المحتاج ٣٨/٤+ السبكي – تكملة المجموع ٣٩٩/١٢.

١٥٢- ظ: الطوسي – المبسوط ١٣٨/٢+ العلامة الحلي – تذكرة الفقهاء ٩٠/١١+ الشهيد الأول – الدروس الشرعية ٢٨٢/٣+ الشهيد الثاني – مسالك الافهام ٢٨٢/٣+ السبزواري – مهذب الاحكام ١٩٢/١٧.

١٥٣- ظ: العلامة الحلي – تذكرة الفقهاء ٩١/١١+الانصاري – المكاسب ٣٢١/٥.

١٥٤- الطوسي – تهذيب الاحكام ٦٠/٧+ الحر العاملي – وسائل الشيعة ٣٦٢/١٢.

١٥٥البخاري – صحيح البخاري ٩١/٩.

باعه الغلام وما به داء يعلمه، فأبى عبد الله أنْ يحلف، وارتجع العبد فصحَّ عنده، فباعه عبد الله بعد ذلك بألف وخمسمائة درهم"[١٥٦]

ووجه الدلالة من هذا الأثر أنّهم اتفقوا على جواز هذا البيع بهذا الشرط، وإنّما اختلفوا في صحة الشرط فيستدل باتفاقهم على جواز البيع.

وبما روي عن النبي ﷺ :"المسلمون عند شروطهم"[١٥٧] على صحة الشرط [١٥٨].

القول الثاني: ذهب المالكية وفي قول للشافعية ورأي ثانٍ للحنابلة إلى المنع من اشتراط البراءة من العيوب على الاطلاق، إذ روي عن مالك أنّ البراءة جائزة فيما يعلم البائع من العيوب وذلك في الرقيق خاصة، وأيضًا روي عنه أنّ بيع البراءة إنّما يصح في بيع السلطان وبيع المواريث [١٥٩]

وذهب الشافعي إلى أنّ البائع لا يتبرأ الاّ من عيب يريه للمشتري ولا يصح اشتراط البراءة من العيوب المجهولة، وعليه لو اشترط ذلك فان الشرط باطل وفي رواية أخرى أنّ البيع فاسد.

وفي رأي ثانٍ له أنّ البائع يبرأ من العيوب الباطنة التي لا يعلمها في الحيوان دون غيره [١٦٠] وروي عن أحمد قولان:

الأول: إنّه لا يبرأ إلاّ أنْ يُعلم المشتري بالعيب.

الثاني: إنّه يبرأ من كل عيب لا يعلمه من العيوب وقت البيع، ولا يبرأ من عيب عَلِمَه.

واتفق اصحاب هذا القول على اقتصار البراءة على العيوب الموجودة حين العقد، ولا تشمل العيوب الحادثة بعد العقد وقبل التسليم، لأنّها عيوب مجهولة قد تحدث وقد لا تحدث [١٦١].

ووافقهم في هذا محمد بن الحسن، وزفر، والحسن بن زياد من الحنفية [١٦٢].

واستدلوا على المنع من اشتراط البراءة على الاطلاق بنفس الأثر المروي عن عبد الله بن عمر، بتقريب: أنّ عثمان بن عفان قضى بتحليف ابن عمر على أنّه لا يعلم به عيبًا حين البيع، أما ما لا يعلمه فبراءته منه صحيحة، ولوروده في الرقيق، لذا خصه المالكية بهم، لأنّ عيوبهم في الغالب خفية، وكذا خصه الشافعية بالحيوان؛ لأنّ الحيوان يشمل الرقيق وغيره من البهائم.

واستدلوا أيضًا بنهي النبي ﷺ عن بيع الغرر [١٦٣]، وهذا بيع غرر؛ لأنّ المشتري يجهل صفة المعقود عليه.

قال ابن رشد: وحجة مَن لم يجزه على الاطلاق، لأنّ ذلك من باب الغرر فيما لم يعلمه البائع، ومن باب الغبن والغش فيما علمه [١٦٤]، وأيضًا فإنّ هذا الشرط يمنع موجب العقد؛ لأنّ عقد البيع عقد

١٥٦- مالك – الموطأ ٦١٣/٢+ البيهقي – السنن الكبرى ٣١٨/٥.
١٥٧- البخاري – صحيح البخاري ١٢٠/٣.
١٥٨- ظ: السرخسي – المبسوط ٩٢/١٣.
١٥٩- ظ: ابن رشد – بداية المجتهد ١٨٤/٢+ الباجي – المنتقى /١٨١.
١٦٠- ظ: الرملي – نهاية المحتاج ٣٨/٤+ الشربيني – مغني المحتاج ٥٣/٢.
١٦١- ظ: ابن قدامة – المغني ٦٠/٤+المرداوي – الانصاف ٤٢٦/٤.
١٦٢- ظ: الكاساني – بدائع الصنائع ٢٧٧/٥.
١٦٣- الحر العاملي – وسائل الشيعة ٣٣٠/١٢+ مسلم – صحيح مسلم ١١٥٣/٣.

معاوضة، وموجب المعاوضة استحقاق صفة السلامة، وهذا الشرط يمنع من ذلك، كما أنّ البائع بهذا الشرط يلتزم بتسليم المجهول؛ لأنّه يلتزم تسليمه على الصفة التي عليها عند البيع، وذلك غير معلوم عند المتعاقدين، والتزام تسليم المجهول بالبيع لا يصح.

ويمكن القول إنّ الراجح هو رأي الجمهور؛ وذلك لقوة أدلتهم، وأيضًا هو شرط سائغ جرى في عرف الناس وبناء معاملاتهم عليه، ولا يتم إلاّ بموافقة المشتري، فإنْ وافق على الشراء مع شرط البراءة من العيوب فقد أسقط حقه وهو حرٌّ في ذلك.

الخاتمة

ظهر للباحث جملة من النتائج يعرضها بإيجاز:

١- الخيار في اللغة عبارة عن الاصطفاء والانتقاء واختيار شيء من عدّة اشياء، أمّا في الاصطلاح الفقهي فهو عبارة عن السلطنة على فسخ العقد.

٢- إنّ خيار العيب هو: سلطنة المتملك على فسخ العقد حين ظهور عيب في المعقود عليه المعيَّن ولم يطّلع عليه عند التعاقد، وهو من باب اضافة المسبَّب إلى سببه أي أنّ العيب سبب الخيار.

٣- هو خيار شرعي ثابت ولا دخل لإرادة المتعاقدين في إثباته للنصوص الواردة من القرآن الكريم والسنة الشريفة والارتكاز العقلائي المقتضي سلامة العين من العيب.

٤- يثبت الخيار لطرفي العقد سواء كان العيب في الثمن أو المثمن ولا يختص بعقد دون آخر.

٥- يجب تحقق جملة من الشروط في محل العقد حتى يثبت هذا الخيار، وبفقد أحدها فإنّه لا يثبت وهي: كون العيب مؤثرًا وقديمًا موجودًا في العين قبل قبضها وأيضًا أنْ لا يكون المشتري أو البائع عالمًا بالعيب وألّا يرضى به.

٦- ظهر للباحث أنّ الإرش هو عبارة عن المال الذي يطالب به المشتري فيما لو كان المثمن معيبًا، وهو مخيَّر بين الرد والإمساك مع المطالبة بالإرش.

٧- ظهر للباحث أنّ الخيار يسقط بعدة أمور منها انّه يسقط فيما لو اسقطه صاحبه اسقاطًا صريحًا باللفظ أو التصرف في المعيب ويبقى له حق المطالبة بالإرش وبما لو تلف المبيع أو حدث فيه عيب آخر، وكذا لو تبرّأ البائع من العيوب الموجودة في المبيع.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم خير ما نبتدئ به

١.ابن ادريس أبو جعفر محمد بن منصور بن أحمد الحلي (ت: ٥٩٨هـ)
السرائر الحاوي لتحرير الفتاوي، ط١، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٢٤هـ.

٢.أحمد بن يحيى بن المرتضى (ت: ٨٤٠ هـ)

١٦٤- ظ: بداية المجتهد ١٨٣/٢.

البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأنصار، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٧٥م.
٣.الاردبيلي الشيخ أحمد بن محمد (ت: ٩٩٣ هـ)
مجمع الفائدة والبرهان في شرح إرشاد الأذهان، مؤسسة النشر الإسلامي، قم، ١٤٠٢ هـ.
٤.الانصاري الشيخ مرتضى بن محمد أمين (ت: ١٢٨١هـ)
المكاسب، إعداد لجنة تحقيق تراث الشيخ الأعظم، ط٩، مجمع الفكر الإسلامي، قم، ١٤٢٩هـ.
٥.ابن البراج الشيخ عبد العزيز بن نحرير الطرابلسي القاضي (ت: ٤٨١هـ)
جواهر الفقه، تحقيق: ابراهيم بهادري، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١١هـ.
٦.البابرتي محمد بن محمد بن محمود بن الشيخ شمس الدين الرومي (ت: ٧٨٦هـ)
العناية شرح الهداية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١١، ١٤١٥هـ.
٧. الباجي ابو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المالكي (ت:٤٧٤هـ)
المنتقى شرح موطأ الامام مالك،ط١، دار الكتاب العربي،بيروت.
٨. البجيرمي سليمان بن عمر المصري الشافعي (ت: ١٢٢١هـ)
حاشية البجيرمي على الخطيب، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م.
٩.البحراني الشيخ يوسف بن أحمد (ت: ١١٨٦ هـ)
الحدائق الناضرة في أحكام العترة الطاهرة، تحقيق: محمد تقي الايرواني، ط٣، دار الاضواء، بيروت، ١٤١٣هـ.
١٠.البخاري محمد بن إسماعيل بن ابراهيم الجعفي (ت: ٢٥٦ هـ)
صحيح البخاري، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٩هـ.
١١. البعلي ابو عبد الله محمد بن ابي الفتح الحنبلي (ت: ٧٠٩هـ)
المطّلع على الفاظ المقنع، تحقيق: محمود الارناؤط وياسين محمود الخطيب، مكتبة الوادي،ط١، ٢٠٠٣م.
١٢.البهوتي منصور بن يونس بن ادريس الحنبلي (ت: ١٠٥١ هـ)
كشاف القناع عن متن الامتناع، مراجعة وتعليق: هلال مصبحي مصطفى، دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٩٩٧م.
١٣.البيهقي أحمد بن الحسين بن علي (ت:٤٥٨هـ)
السنن الكبرى، اعداد: يوسف عبد الرحمن، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ
١٤.الترمذي محمد بن عيسى بن سورة (ت:٢٧٩هـ).
سنن الترمذي، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٣هـ.
١٥. الجواهري الشيخ محمد حسن النجفي (ت:١٢٦٦هـ).
جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام، ط١، مؤسسة المرتضى العالمية ودار المؤرخ العربي، بيروت، ١٩٩٢م.

١٦.الجوهري أبو النصر اسماعيل بن حَمَّاد (ت: ٣٩٣هـ).
صحاح اللغة تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: احمد عبد الغفور عطّار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ
١٧.ابن حجر شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني (ت: ٨٥٢هـ).
تحفة المحتاج بشرح المنهاج، المكتبة التجارية الكبرى، مصر.
١٨.ابن حزم أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي الظاهري (ت:٤٥٦هـ).
المحلى شرح المجلّى، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٨هـ.
١٩. الحاكم النيسابوري ابو عبد الله محمد بن عبد الله.
المستدرك على الصحيحين، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٠م.
٢٠.الحر العاملي محمد بن الحسن بن علي بن الحسين (ت:١١٠٤هـ).
وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة، دار إحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)(ب.ت)
٢١.الحطاب الرعيني أبو عبد الله محمد بن عبد الحمن.
مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، ط٣، دار الفكر، بيروت، ١٣٩٨هـ.
٢٢. الخرشي ابو عبد الله محمد بن عبد الله المالكي (ت: ١١٠١هـ)
شرح الخرشي على مختصر خليل، دار الفكر، بيروت.
٢٣.ابو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت:٢٧٥هـ)
سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٠هـ.
٢٤. الدردير احمد بن محمد بن احمد (ت: ١٢٠١هـ)
الشرح الصغير على اقرب المسالك، دار المعارف، مصر.
٢٥.ابن رشد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي (ت:٥٢٠هـ)
المقدمات الممهدات، دار الغرب الاسلامي.
٢٦.ابن رشد الحفيد أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد (ت:٥٩٥هـ)
بداية المجتهد ونهاية المقتصد، تحقيق خالد العطّار، ط١، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٧.الرملي شمس الدين محمد بن أبي العباس أحمد بن شهاب الدين
نهاية المحتاج إلى شرح المنهاج، دار الفكر للطباعة، بيروت، ١٩٨٤م.
٢٨.ابن زهرة عز الدين أبو المكارم حمزة بن علي الحلبي (ت: ٥٨٥هـ)
غنية النزوع إلى علمي الاصول والفروع، تحقيق ابراهيم البهادري، ط١، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم، ١٤١٧هـ.
٢٩. الزبيدي محمد مرتضى الواسطي الحنفي (ت: ١٢٠٥هـ)
تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، ١٤١٤هـ.
٣٠.الزرقاني بن عبد الباقي بن يوسف (ت:١١٢٢هـ)

شرح الزرقاني على الموطأ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.
٣١. السبزواري السيد عبد الاعلى الموسوي (ت: ١٤١٣هـ)
مهذب الاحكام في بيان الحلال والحرام، ط١، دار التفسير للنشر، قم، ٢٠٠٩م.
٣٢.السبزواري السيد محمد باقر بن محمد مؤمن (ت:١٠٩٠هـ)
كفاية الاحكام، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٢٨هـ.
٣٣. السبكي تقي الدين علي بن عبد الكافي (ت: ٧٥٦هـ)
تكملة المجموع شرح المهذب، تحقيق: محمد نجيب المطيعي، المطبعة العالمية.
٣٤.السرخسي أبو بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل (ت:٤٩٠هـ)
المبسوط، تحقيق: جمع من الأفاضل، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٤١. السمرقندي ابو بكر علاء الدين محمد بن احمد بن ابي احمد الحنفي(ت: ٥٤٠هـ)
تحفة الفقهاء، ط٢، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
٤٢.الشربيني محمد بن أحمد الخطيب القاهري (ت: ٩٧٧هـ)
مغني المحتاج، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٥٨م (د.ط)
٤٣.الشهيد الأول محمد بن مكي العاملي الجزيني (ت:٧٨٦هـ)
الدروس الشرعية في فقه الإمامية، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤١٤هـ.
٤٤.الشهيد الثاني زين الدين علي بن محمد بن أحمد العاملي (ت:٩٦٥هـ)
مسالك الافهام في شرح شرائع الاسلام، مؤسسة المعارف الاسلامية، قم، ١٤١٤هـ.
الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية، جامعة النجف الدينية، مطبعة الآداب، النجف الاشرف، ١٩٦٧م.
٤٥.الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله (ت:١٢٥٠هـ)
نيل الاوطار في شرح منتقى الاخبار من أحاديث سيد الأخيار، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٥٢م.
٤٦. الشيخ نظام الدين وجماعة من علماء الهند.
الفتاوى الهندية في مذهب الامام الاعظم، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٩٩١م.
٤٧.الشيرازي أبو اسحاق ابراهيم بن علي بن يوسف (ت:٤٧٦هـ)
المهذب، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٥م.
٤٨. الصدوق ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت:٣٨١هـ)
الخصال، تحقيق ونشر مؤسسة الامام الهادي عليه السلام، ط١، قم، ١٤١٨هـ.
من لا يحضره الفقيه، تحقيق: علي اكبر غفاري، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي،قم، ١٤٠٤هـ.
٤٩.الطباطبائي السيد علي بن محمد علي بن أبي المعالي (ت:١٢٣١هـ).

رياض المسائل في بيان أحكام الشرع بالدلائل، تقديم الشيخ محمد مهدي الآصفي، ط١، مؤسسة آل البيت عليهم السلام، قم، ١٤١٩هـ.
٥٠.الطوسي الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت:٤٦٠هـ)
الخلاف، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.
المبسوط في فقه الإمامية، منشورات المكتبة الرضوية، ط٣، طهران، ١٣٨٧هـ.
تهذيب الاحكام في شرح المقنعة، تحقيق: حسن الخرسان، ط٢، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٦٢م.
النهاية في مجرد الفقه والفتاوى، تقديم الشيخ اغا بزرك الطهراني،نشر قدس محمدي، قم.
٥١.ابن عابدين محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز الدمشقي (ت: ١٢٥٢هـ)
رد المحتار على الدر المختار، تحقيق: محمد صبحي حسن وعامر حسين، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط١،١٤١٩هـ.
٥٢. العاملي السيد محمد جواد بن محمد الموسوي (ت:١٢٢٦هـ).
مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة، تحقيق: محمد باقر الخالصي، ط٢، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٣٠هـ.
٥٣.العلامة الحلي جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف بن المطهر (ت:٧٢٦هـ)
تحرير الاحكام الشرعية، تحقيق: ابراهيم البهادري، ط١، مؤسسة الامام الصادق عليه السلام، قم، ١٤٢٠هـ.
تذكرة الفقهاء، تحقيق ونشر مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ط١، ١٤١٤هـ.
قواعد الاحكام، تحقيق: مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ط١، ١٤١٣هـ.
مختلف الشيعة في أحكام الشريعة، طبع وتحقيق مركز الأبحاث والدراسات الاسلامية، ط٢، قم، ١٤٢٣هـ.
٥٤. علي بن بابويه القمي (ت: ٣٢٩هـ)
فقه الرضا عليه السلام، تحقيق: مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٦.
٥٥.الغروي الشيخ الميرزا علي التنقيح في شرح المكاسب، تقريرات السيد الخوئي، ط٤، مؤسسة الخوئي الاسلامية، ٢٠٠٩م.
٥٦. الغمراوي العلامة محمد الزهري الشافعي(ت: ١٣٣٧هـ)
السراج الوهّاج على متن المنهاج، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت.
٥٧. الفاضل الآبي زين الدين ابي علي الحسن بن ابي طالب (ت: ٦٩٠هـ)
كشف الرموز في شرح المختصر النافع، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٨هـ.
٥٨.الفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد الشيرازي (ت: ٨١٧هـ)
القاموس المحيط ، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤١٢هـ.
٥٩.ابن فهد الحلي العلامة جمال الدين أبي العباس أحمد بن محمد (ت:٨٤١هـ)
المهذب البارع في شرح المختصر النافع، مؤسسة النشر الاسلامي، قم، ١٤٠٧هـ.

٦٠.ابن قدامة عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (ت:٦٢٠هـ).
المغني على مختصر الخرقي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٩٢هـ.
٦١.الكاساني أبو بكر علاء الدين بن مسعود الحنفي (ت:٥٨٧هـ).
بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، منشورات المكتبة الحبيبية، ط١، باكستان، ١٤٠٩هـ.
٦٢. كاشف الغطاء الشيخ علي (ت:١٢٥٣هـ)
شرح خيارات اللمعة، مؤسسة النشر الاسلامي، ط١، قم، ١٤٢٢هـ.
٦٣. كاشف الغطاء الشيخ محمد الحسين (ت:١٣٧٣هـ)
تحرير المجلة، تحقيق: محمد الساعدي، ط٢، المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية، قم، ١٤٣٢هـ.
٦٤.الكليني أبو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق (ت: ٣٢٩هـ).
الكافي، تحقيق: علي أكبر غفاري، ط٤، دار الكتب الاسلامية، قم، ١٣٦٥هـ.
٦٥.الكمال بن الهمام محمد بن عبد الواحد الاسكندري الحنفي (ت:٨٦١هـ).
فتح القدير على الهداية، ط٢، دار الفكر، ١٣٩٧هـ.
٦٦.ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد الربعي القزويني (ت:٢٧٥هـ).
سنن ابن ماجة، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٣٩٥هـ.
٦٧.ابن مفلح أبو اسحاق ابراهيم بن محمد بن عبد الله الحنبلي (ت:٨٨٤هـ).
المبدع في شرح المقنع، المكتب الاسلامي، بيروت، ١٤٠٠هـ.
٦٨.ابن منظور أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الافريقي (ت:٧١١هـ).
لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر وعبد المنعم خليل، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
٦٩.مالك أبو عبد الله بن أنس بن مالك بن أبي عامر الاصبحي (ت:١٧٩هـ).
الموطأ، تحقيق وتعليق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، ١٤٠٦هـ.
٧٠.المحقق الثاني الشيخ علي بن الحسين الكركي (ت:٩٤٠هـ)
جامع المقاصد في شرح القواعد، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم، ١٤٠٨هـ.
٧١.المحقق الحلي الشيخ أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن.
شرائع الاسلام في مسائل الحلال والحرام،تحقيق: السيد صادق الشيرازي، مطبعة عترت،ط٧
٧٢. المرداوي علاء الدين ابو الحسن علي بن سليمان الدمشقي الحنبلي (ت: ٨٨٥هـ)
الانصاف في معرفة الراجح من الخلاف، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٧٣.المروّج السيد محمد جعفر الجزائري الموسوي
هدى الطالب إلى شرح المكاسب، نشر مؤسسة السيدة المعصومة عليها السلام، ط١، قم، ١٤٣٠هـ.
٧٤. المزني ابي ابراهيم اسماعيل بن يحيى (ت: ٢٦٤هـ)

مختصر المزني، دار المعرفة، بيروت.
٧٥.مسلم أبو الحسين بن الحجاج النيسابوري (ت: ٢٦١هـ).
صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار احياء التراث العربي، بيروت.
٧٦. الميرغناني برهان الدين ابي علي بن ابي بكر الرشداني (ت: ٥٩٣هـ)
الهداية بشرح بداية المبتديء، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
٧٧.ابن نجيم زين الدين المصري الحنفي (ت:٩٧٠هـ).
البحر الرائق، تحقيق: زكريا عميدات، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٧م.
٧٨.النسائي أحمد بن شعيب (ت:٣٠٣هـ).
سنن النسائي، ط١، نشر دار الفكر، بيروت، ١٣٤٨هـ.
٧٩. النوري الميرزا حسين بن محمد تقي (ت: ١٣٢٠هـ)
مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١، قم، ١٤٠٧هـ.
٨٠. النووي أبو زكريا محي الدين يحيى بن شرف الدمشقي (ت:٦٧٦هـ)
٨١. روضة الطالبين تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، ط٣، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٧هـ.
٨٢. المجموع شرح المهذب، دار الفكر، بيروت.

إرهاصات الردة بعد الرسول ﷺ ودور الإمام الحسين عليه السلام في التصدي لها

Harbingers of apostasy after the Prophet and the role of Imam Hussein in response

م.م جاسم حسن عبد الرضا المرسومي[1] Jasim Hassan abed Alredha Almarssumy

المستخلص

إنَّ المشكلة الكبرى للإنسانية؛ هي ابتعادها عن القيم والمبادئ الالهية واتباعها الهوى، والمشكلة البحثية هي الاختلاف بين المسلمين من اليوم الاول للبعثة النبوية الى يومنا هذا؛ بسبب تغليب الهوى والعاطفة عند بني أميّة على منطق القرآن والسنة والعقل، وتجاهل مكانة ومنزلة الامام الحسين عليه السلام عند الله ورسوله ﷺ الذي وقف بوجه جاهلية وكفر بني امية وفسادهم المتمثل بيزيد.

وأهداف البحث: اولا: هو تسليط الضوء على النزاع الذي حصل بين فرقة النبي ﷺ واهل بيته من جهة، وفرقة بني امية من جهة اخرى، والذي انتهى الى عداء مستديم، واستمر الى قتلهم الحسين عليه السلام واهل بيته في كربلاء، واصر علماء مدرسة معاوية على تزكية وتنزيه حكام بني امية من قتلهم اصحاب رسول الله ﷺ واتباع اهل البيت عليهم السلام، وسبهم لخليفة المسلمين علي عليه السلام.

ثانياً: بيان الأسرار الإلهية في شخصية الامام الحسين عليه السلام من ولادته الى شهادته، كتوسل آدم بالحسين عليه السلام عند توبته، وان اسم الحسين مكتوب على سيقان العرش، وان جبرائيل وملك القطر، يخبران بقتله عليه السلام، وانه لم يحصل فتحٌ لقتيلٍ الا للحسين عليه السلام، فقد كان الفتح العظيم بشهادته؛ التي كشفت للأمة فسقَ آل ابي سفيان وبقائهم على كفرهم وجاهليتهم وكشفت حقيقة عداء بني أمية

١ – جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية.

للإسلام، واشعلت الثورات ضدهم حتى قوضت عرشهم. وفي شهادته عليه السلام سرٌ الهي لبقاء الاسلام المحمدي الاصيل غضاً طرياً الى يوم القيامة؛ فقد رشَّدَ وعي الأمة لِما يحيق بها، وعلَّمها ان فداء الاسلام بالنفس اهون شيء في طريق العشق الالهي؛ وان يكون غُسل العاشق للقاء معشوقه هو دمه.

Abstract

The biggest problem for humanity; is distancing itself from the values and principles of God and followed fancy, research and the problem is a conflict and differences between the Muslims from the first day of the mission of the Prophet to this day; because prevail passion and emotion when the Umayyads and their followers on the logic of the Qur'an and Sunnah and mind, and to ignore the prestige and status of Imam Hussein when Allah and His Messenger , which stood up to ignorance and disbelief Umayyad and corruption of Bezid.

The objectives of the research first: is the highlight of the conflict that took place between the Prophet Band and his family on the one hand, and the band Umayyad On the other hand, which ended up lasting hostility, and continued to kill Hussein and his family in Karbala, and insisted scientists School Sid the nomination and disliked the rulers of the Umayyad kill the Messenger of Allah and follow the Ahl al-Bayt , and insulted the caliph Ali

Second: a statement of the divine secrets in personal Imam Hussein from his birth to his testimony, Ctosl Adam Balhasin when his repentance, and that the name Hussein written on stalks the throne, and Gabriel and the king of the country, Ikhbran kill him , and he did not get open for the dead but for Hussein , it was a great opening testimony; that revealed the nation debauchery Al Abi Sufyan and survival on their disbelief and Jahlithm revealed truth runner Umayyad of Islam, and ignited revolts against the Umayyad even undermined Archehem 0 In his testimony the mystery of God for the survival of Islam Mohammadi inherent junior tender to the Day of Resurrection; Rushd was aware of the nation's what afflicts them, and knowing that self-redemption is easier Islam, something in the way of divine love; and be washing beau to meet lass is his blood.

المقدمة:-

إنَّ مشكلة الحياة الكبرى لم تتبدل ولم تتغير منذ الف وأربعمائة سنة، منذ بزوغ نور الاسلام واشعاعه الذي نفذ الى قلوب فهداها، ونفوس فاستمالها الى عقيدة التوحيد، ومُثُل الاسلام العليا، وفي مقابل هذا

بقي اناس على نهجهم وكفرهم، وصلافتهم وأنانيتهم، وحبهم للسلطان والسيطرة والاستحواذ على مقدرات الآخرين، فنشبت الحرب بين الاتجاهين والمذهبين.

مسكينة هذه الانسانية، فقد عاش ولازال أبناؤها في عطش شديد الى دماء الشهداء، بل راح يزداد كلما ازدادت في النفوس آفات الانانية والإثرة وحب الدنيا، وكلما تطور الوجود الانساني مادياً، الزمَ اتباع الشيطان انفسهم ان يطوروا اساليب سفك الدماء، وصناعة الموت...

لكن هذه الانسانية تناست غاية الله تعالى من الخلقة البشرية، وان هذه الدنيا دار بلاء وامتحان، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[٢].

فالمطلوب اليوم وحدة حقيقية للمجتمع الانساني؛ لينهض وهو يحمل ضمير الانسانية، في روح الانسان الخليفة لله تعالى، وهو ما سعى اليه الامام الحسين عليه السلام بثورته المعطاء، حتى نال وسام سيد شباب أهل الجنة، وهو الذي من اجله اشتدَّ، غضب الله تعالى على أهل الارض عند مقتله كما ورد في الخبر.

ان طريق الاستشهاد هو الطريق الوحيد لتحقيق الاهداف الانسانية العليا على مر التأريخ، فلولا اقدام ونخوة امامنا الحسين عليه السلام، الشهيد الاعظم، وسفك دمه فداءً للإسلام والانسانية لاندثرت معالم الاسلام الحقيقية، ولم يبقَ الا رسمه.

فالإمام الحسين عليه السلام الذي ترعرع بحضن النبوة والامامة، هو ابن الامام علي عليه السلام، وصي رسول الله صلى الله عليه وآله، وامه فاطمة سيدة نساء العالمين، بنت رسول الله صلى الله عليه وآله إمام عصره، الثائر بوجه الردة الجاهلية، وقد خصه الله تعالى، قبل مولده وفي مولده وبعد مولده، وفي ثورته وشهادته بأسرار وأسرار.

فلم يُولد لستة اشهر وعاش الا هو وعيسى عليه السلام، ولم ترضعه أمه ولا مرضعة، بل كان النبي صلى الله عليه وآله يلقمه ابهامه، فيمصه؛ ويجعل الله في ابهام رسوله صلى الله عليه وآله رزقاً يغذيه، ففعل ذلك اربعين يوماً وليلة.

سُئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال صلى الله عليه وآله (سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام فتاب وغفر له).[٣]

وهو عليه السلام من كان اسمه مكتوباً على باب الجنة (...الحسن والحسين صفوة الله...)[٤].وهو من فداه النبي صلى الله عليه وآله بابنه ابراهيم، هو المؤيد بجبرائيل عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله [حسين مني وأنا من حسين، أحب الله من أحب حسينا، حسين سبط من الاسباط][٥]. [من احب الحسن والحسين فقد احبني ومن ابغضهما فقد أبغضني].[٦]

---

٢ – الانشقاق: ٦،٨٤.
٣ – التفهيم لشتى المعارف والمعاني/ خليل قدسي مهر:٣٢٦.
٤ – تاريخ بغداد/ الخطيب البغدادي:١، ٢٥٩.
٥ – سنن الترمذي/ محمد بن عيسى الترمذي: ٥، ٦٥٨.
٦ – الصواعق المحرقة/ احمد بن حجر الهيثمي: ١٩٢.

وهو من نزل مَلكُ القطر(المطر) وجبريل يخبران عن قتله، فالحسين عليه السلام سر الله عز وجل المذخر، ففي علمه تعالى ان الدين الاسلامي سوف لن يستقيم الا بالحسين عليه السلام بأن يكون قرباناً وفداءً بنفسه لدين جده المصطفى صلى الله عليه وآله حيث مضى في طريقه الى الغاية القُصوى والهدف الاسمى، فغاص وسط الجحافل في كربلاء والسهام تتساقط عليه كالمطر(قائلاً بلسان حاله: (ان كان دين محمد لم يستقم...الا بقتلي يا سيوف خذيني)[٧]، فالإسلام محمدي الوجود حسيني البقاء.

ان الله تعالى اجرى الامور بأسبابها، كما تقتضيه سُنتَه الالهية في آفاق الانسانية من بدايتها وفي سيرها التكاملي الى نهايتها، فقوله صلى الله عليه وآله (انا من حسين) شاء الله تعالى ان تستمر حياة النبي صلى الله عليه وآله وان يبقى ذكره؛ بتضحية الامام الحسين عليه السلام بعد أن صمم معاوية وولده يزيد القضاء على الاسلام وهدم اركانه.

والحسين عليه السلام مَن بكته السماء دماً يوم قتله، وما رُفعَ حجرٌ الا وتحته دماً عبيطاً ونادى المنادي في السماء:-

أيهـــا القـــاتلون جهـــلاً حســـيناً ابشـــروا بالعـــذاب والتـــذليل[٨]

وسر الاسرار في شهادته عليه السلام يتمثل في بقاء الاسلام حياً طرياً، كبقائه-عليه السلام- أنشودة يتغنى بها الثوار وطالبوا العزة والكرامة، وهو-عليه السلام- القائل (من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يبلغ الفتح)[٩].

وفتحُ الحسين -عليه السلام- يتمثل بأمور منها:-

١- بانتصار اهدافه ولو بعد حين، فيزيد كان له مشروع فسقٍ، لا انه مجرد شارب الخمر.

٢- رشَّدَّ وعيَّ الأمة لِما يحيق بها، لذا ارتفعت الأصوات وشُهرت السيوف، وقامت الثورات بوجه السلطة الأموية الفاسدة.

٣- علَّم الحسين-عليه السلام- الأمة والأجيال القادمة، ان كل شيء يهون أمام الدفاع عن بيضة الإسلام وقيَّمه، وان ارقى درجات العشق الإلهي ان يكون غُسل العاشق للقاء معشوقه هو دمه.

٤- ان ارادة الله تعالى في عزة الاسلام وشموخ المسلمين، وتحطيم الاغلال لا تتحقق الا بالشهادة والتضحية.

٥- بتضحيته عليه السلام جسد الروح المتعالية والمتسامية على النزوات والاهواء، وان الاستجابة لداعي الله تُحي النفوس، وتنوّر القلوب، وتفرّج الكُرب.

٦- اوضح عليه السلام لجميع الاجيال ان بني امية ليس لهم ذِمام، وانهم اعداء الدين، وان مذهبهم باطل وفاسد، فلا بد من التصدي لهم والخروج على سلطانهم وسلطان امثالهم.

المبحث الاول: بزوغ فجر الرسالة المحمدية وتحديات الجاهلية الاولى

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[١٠]

٧ - المجالس السنية/ محسن الامين: ٤، ٢٥٤.

٨ - الصواعق المحرقة / ١٩٣.

٩ - حلية الابرار في فضائل محمد واله الاطهار/ ١، ٦٠٠.

المطلب الاول:-الرسول الاكرم محمد صلى الله عليه وآله يبشر بالإسلام وقيَّمه العالية في شبه الجزيرة العربية:-

لقد بعث الله تبارك وتعالى نبيه الأكرم محمد الهاشمي صلى الله عليه وآله، بالإسلام الذي جاء بقيم ومبادئ وأخلاق السماء، جاء بالعفة والرفعة، والمساواة والعدالة، وحرم الربا والكسب الحرام، فمن الطبيعي ان يصطدم بقيم ومبادئ الجاهلية المقيتة، ولهذا احتدم الصراع على اشده بين حَمَلة الإسلام (بنو هاشم) وبين حملة فكر ومبادئ الجاهلية التي كان يمثلها بحقها وحقيقتها بنو امية، وعلى رأسهم ابي سفيان.. ويمكن تلخيص اسباب ومبررات هذا الصراع الذي استمر لعقود حتى وصل بأعداء الإسلام ان يقتلوا الإمام الحسين عليه السلام ويسفكوا دماء اخوته وابنائه بأبشع صورة، ويسبوا عياله وحريمه:-

السبب الأول:- جاء القرآن الكريم، بالتوحيد في الذات الالهية المقدسة:-

لقد جاء الاسلام والحياة والبشرية تعج بالخرافات والأوهام والشعوذة التي انتهت اليها اليهودية والمسيحية المحرفتان فهذا كعب بن ماتع الحميّري (كعب الاحبار) يروج التجسيم فيقول (ان الله تعالى نظر الى الأرض فقال اني واطٍ على بعضك، فاستعلت اليه الجبال وتضعضعت له الصخرة، فشكر لها ذلك، فوضع عليها قدمه فقال: هذا مقامي ومحشر خلقي، وهذه جنتي وهذه ناري، وهذا موضع ميزاني، وانا ديّان الدين).[١١]

وكانت الجزيرة العربية ترزح تحت وطأة ونير جاهلية مشؤومة، أبرز سماتها الخرافة وقتل النفس المحرمة، ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (٨) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾[١٢] وقطع الارحام وعبادة الاصنام، والى هذه الحالة اشار امير المؤمنين عليه السلام قائلا:- [ان الله بعث محمداً صلى الله عليه وآله نذيراً للعالمين، وأميناً على التنزيل، وأنتم معشر العرب على شر دين، وفي شر دار، منيخون بين حجارة خشن، وحيات صم، تشربون الكدر وتأكلون الجشب، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الاصنام فيكم منصوبة، والآثام بكم معصوبة][١٣]

والآثام بكم معصوبة:- اي لازمة وثابتة عندكم كلزوم وثبات العصابة في الرأس، والسرقة وشرب الخمر والزنا و... وسفككم الدماء بالحروب بينكم لأتفه الاسباب.

والاسلام بمفاهيمه وقيمه الجديدة المتعالية السامية عن الكون والانسان والحياة، فكان من الطبيعي ان يتصادم مع أوهام وخرافات الجاهلية المقيتة، فقد جاء الاسلام بالتوحيد في الذات الالهية ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ* وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[١٤] وبالتوحيد في العبادة والخَلق والتدبير والطاعة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾[١٥] والتشريع والولاية، فلا

١٠ - التوبة: ٩، ١٢٨.
١١ - حلية الاولياء/ احمد بن عبد الله الاصبهاني: ٦، ٢٠.
١٢ - التكوير: ٨١،٨- ٩.
١٣ - نهج البلاغة/ شرح محمد عبده: ١، ٦٣.
١٤- الاخلاص: ١١٢،٤.
١٥ - النساء: ٤، ٥٩.

ربٌ سواه ﴿أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ.. إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾.[١٦] فلا مطاع غيره تعالى، واليه وحده اياب الخَلق وحسابهم.

وهذا كله يعني رفض التعددية في الألوهية والطاعة والتشريع، ورفض التمايز بين افراد الانسانية لأي سبب كان الا بالعمل الصالح والتقوى، ورفض كل التشريعات البشرية.

والأنبياء عليهم السلام والاوصياء كإمامنا الحسين عليه السلام، ما هم الا مُبلغين لرسالات ربهم، مُنفذين مُطيعين لأحكامه عز وجل، فمن الطبيعي أن يصطدم مثل هذا المنطق الالهي مع منطق الذين يُنصِّبون انفسهم أوصياء على من بين ايديهم من البشر، ويستعبدون الناس، كأبي جهل وأبي سفيان ويزيد، ويطمحون لأن يبقى الناس يخوضون في مستنقع الجهل والخرافة، لضمان بقاء الطاعة والخنوع والخضوع لهم، ولا يريدون أن يعرف ويتفهم احدٌ الإسلام الوافد اليهم. فبهذا وذلك أثار الإسلام حفيظة هؤلاء المستبدين الطغاة، فراحوا تارة يؤكدون على صحة خرافاتهم، وتارة أُخرى أخذوا يُفندون مبادئ الإسلام وقيمه ويكذبونها.

السبب الثاني: جاء الإسلام لإزالة الفوارق الطبقية:-

جاء الإسلام بقيمه ونظمه الجديدة، والبشرية تعاني من طبقيّة اقتصادية واجتماعية شديدة، ففيها طبقة عُليا تحظى بكل شيء من نعيم الدنيا، واكثرية ساحقة محرومة من ابسط سُبل الحياة، فجاء الإسلام بسُبل وبرامج اقتصادية واجتماعية؛ لأجل ايجاد المساواة في الاستفادة مما وهبه الله تعالى للإنسان في هذه الطبيعة ضمن القانون الإلهي العادل المستوعِب لجميع نواحي الحياة ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى﴾.[١٧]

فألغى الاسلام كل الامتيازات الظالمة والحُكرة والإثرة والتمايز الطبقي والعرقي، وهذا يعني أن يصطدم بكل الذين يريدون ان يسرقوا اتعاب الآخرين وجهودهم بالحيازات غير المشروعة، والاحتكار والسخرة والابتزاز، ومنهم البيت الأموي وبالأخص ابو سفيان ومعاوية ويزيد، وهم من الأصل الخبيث، فأمهم هند بنت عتبة بن ربيعة، آكلة كبد حمزة سيد الشهداء عليه السلام عم رسول الله صلى الله عليه وآله وأخيه من الرضاعة، والتي شقت بطنه ومثّلت به، وغيرهم من اقطاب الجاهلية كأبي لهب وابي جهل وتجار اليهود و...فبقيت هذه الطبقة المستغلة المتسلطة تقف بوجه الإسلام للحفاظ على امتيازاتها وتسلطها، ولما استولت على مقاليد الحكم ايام معاوية ويزيد، شنت الحرب على هذه القيم علناً، فحارب معاوية خليفة المسلمين أمير المؤمنين علي-عليه السلام- وحارب ولده يزيد، الإمام الحسين-عليه السلام- وقتله.

لقد جاء الإسلام ليرفع الأغلال عن اعناق المستضعفين ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ...﴾.[١٨] ويزيل الحيف ويرفع الظلم عن المحرومين، واشكال التمايز الطبقي مهما كانت جذوره واسبابه كالشأنية والقومية والعشائرية، فكان بديهياً أن يقع الصدام عنيفاً دموياً بين

١٦ - يوسف: ١٢، ٣٩- ٤٠.
١٧ - النجم:٥٣، ٣٩.
١٨ - البقرة:٢، ٢٨٦.

ارادة الإسلام وبين ارادات هؤلاء الطواغيت المستغلين؛ الذين يطمحون لبقاء الاغلال على ايدي الطبقة الفقيرة المحرومة والمستضعفة. وجاء الإسلام ليكنس العوز والفقر والحرمان، ويهيئ للناس كافة حياة هانئة ومعيشة مطمئنة كريمة عزيزة، فلا محتاج ولا فقير، فكان من الطبيعي ان يصطدم مع عشاق السيطرة والمال؛ ليبقى الناس يعيشون الفقر والعوز ليتسنى لهم التحكم فيهم والتسلط عليهم، كما يقول المثل:"جوع كلبك يتبعك". وهذا ما حصل ايام معاوية ويزيد الطليقين، فقد اعادا الطبقية والاستغلال، وشاع الفقر والجوع عند عامة المسلمين، وحجة الله الامام الحسين -عليه السلام- يعيش آلام الأمة وتظلماتها، لذاك كان سر الله المذخور لهذا اليوم ليزيح بشهادته الستار عن كذب ودجل يزيد ويكشف حقيقة عدائه للإسلام ومبادئه وقيمه.

السبب الثالث:- الاسلام جاء ليسمو بالإنسان نحو الكمال:

﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[١٩] الإسلام جاء بكل ما يصنع الأنسان المتكامل معنوياً وفكرياً واخلاقياً، ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾.[٢٠] وليَسمُو هذا الأنسان بنفسه ويرتقي بذاته وبشخصيته الى الكمال والرفعة؛ من خلال البرامج الدقيقة والتعاليم الروحية المتعالية والتوحد بالعبودية له تبارك وتعالى وحده لا شريك له.

جاء الاسلام ليحرك الانسان نحو التقدم والصعود والانطلاق نحو المعرفة والعلم والحرية والفهم و... فكان طبيعياً ان يصطدم مع ارادات الذين يرغبون ان يظل الانسان قابعاً في مستنقع الشهوة والجنس واللذة، وان يعيش حالة الغيبوبة، والجمود والركود الفكري؛ لكي يبقى بعيداً عن قضاياه المصيرية، فلا يطالب بحرية ولا بعزة، ولا باستقلال، وان يسكت مُذعناً صاغراً على ظُلم الطواغيت وجورهم فلا يحاسب حاكماً ولا يعترض على جور جائر.

لقد احتدم الصراع دموياً بين المنطقين والفكرين عنيفاً فدام عقوداً، والامام الحسين-عليه السلام- منذ صباه عاش في خضم واجواء الصراع الفكري والعقائدي، وحتى القتالي بين ابناء الإسلام ومريديه، وبين ابناء الجاهلية ومريديها، حتى صار طرفاً بجانب جده رسول الله -صلى الله عليه وآله- وابيه -عليه السلام- فكراً وعملاً.

ولكن الاسلام قد انتصر، وفُتحت مكة المكرمة، معقل قريش الكافرة، عَنْ الزّهْرِيّ، قَالَ (افْتَتَحَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكّةَ لِثَلَاثَ عَشْرَةَ مَضَتْ مِنْ رَمَضَانَ. وَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ.. وَاسْتَعْمَلَ عَلَى مَكّةَ عَتّابَ بْنِ أُسَيْدٍ يُصَلّي بِهِمْ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ يُعَلّمُهُمْ السّنَنَ وَالْفِقْهَ)[٢١].

١٩ - التوبة: ٩، ١٢٨.
٢٠ - الحجرات: ٤٩، ١٣.
٢١ - مغازي الواقدي:١، ٣٥٩.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله (في آخر خطبة خطبها ببطن عرفة وذلك في حجة الوداع:"ألا إن كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع"[٢٢]، وهذا القول مجاز والمراد به إذلال أمر الجاهلية وحط أعلامها ونقض أحكامها، كما يستذل الشيء الموطوء الذى تدوسه الاخامص الساعية والاقدام).[٢٣]

(فلما زالت رسوم الشرك، وسيّر الجاهلية، حج رسول الله- صلى الله عليه وسلم- حجة الوداع سنة عشر، وقال فيها:"إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض"[٢٤])[٢٥] وهذا يعني انه بزوال رسوم واعراف الجاهلية، كطوافهم حول البيت الحرام عراة واكلهم الربا و...وبالتزامهم بتعاليم الاسلام سيعود الانسان كما خلقه تعالى أولاً على فطرته السليمة طاهراً من الادناس والارجاس.

المطلب الثاني: بنو هاشم تتألق رجالهم وتتمييز بالإسلام، وآل امية تلتهب في كيانها نيران الحسد والحقد:-

لقد استطاع الاسلام بمبادئه وقيمه المتعالية أن يدحر الخرافة والظلم والطغيان، بعد حروب سجال وتضحيات عظيمة قدمها المسلمون وعلى رأسهم الرسول الأعظم محمد صلى الله عليه وآله، فقد خاض سوح الجهاد في سبيل الله تبارك وتعالى على مدى اكثر من عشرين سنة، وأول تلك المعارك معركة بدر الكبرى ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾.[٢٦]

فوقف فيها صنفان متقابلان، متباعدان متعاديان تمثلا في: رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام علي عليه السلام وعمه حمزة سيد الشهداء عليه السلام و(عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القريشي المطلبي).[٢٧] من جهة، ومن جهة أخرى زعيم الكفر ورئيسهم ابو سفيان ومعه عتبة وشيبة والوليد وابو جهل وأمية بن خلف.

ففي الدر المنثور(أخرج ابن أبي حاتم عن أبي العالية قال: فبرز عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة، فنادوا النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقالوا: « ابعث إلينا أكفاءنا نقاتلهم؟ فوثب غلمة من الأنصار من بني الخزرج، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم"اجلسوا.. قوموا يا بني هاشم"فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث فبرزوا لهم).

وعن لاحق بن حميد قال: نزلت هذه الآية يوم بدر﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ﴾.[٢٨] في عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة. ونزلت ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ

٢٢ – بحار الانوار/ العلامة المجلسي:٢١، ٤٠٥.
٢٣ – المجازات النبوية / الشريف الرضي: ١، ١٣٨.
٢٤ – المسترشد/ محمد بن جرير الطبري: ١، ٢٧٠.
٢٥ – سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد/ محمد بن يوسف الصالحي: ٨، ٤٤٣.
٢٦ – الانفال: ٨، ٧.
٢٧ – شهداء الاسلام / ابراهيم آيتي: ٤٩.
٢٨ – الحج: ٢٢، ١٩.

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ إلى قوله ﴿وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾.[٢٩] في علي بن أبي طالب وحمزة وعبيدة بن الحارث).[٣٠] ونلاحظ هنا نقطة بداية الصراع الدموي العلني بين الاسلام ممثلاً ببني هاشم حينما قال رسول الله صلى الله عليه وآله في هذه المعركة: قوموا يا بني هاشم، وبين الكفر ممثلاً ببني أمية وزعيمهم ابو سفيان (وقتل أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الغزوة من مشاهير قريش جماعة منهم العاص بن سعيد بن العاص وحنظلة بن أبي سفيان. فكان عليه السلام تولى شطر المقتولين والمسلمون مع الملائكة الشطر الآخر).[٣١]

وهذا ما اوقع في قلوب الطلقاء المستسلمين اثر وعقدة الانتقام، والحقد على علي وال علي-عليهم السلام- وخصوصاً على ولده الحسين-عليه السلام-،وقد صدع يزيد بذلك بعد مقتل الحسين-عليه السلام-

ليت اشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل[٣٢]

فهو يصرح بالثأر لقتلاه الكفرة يوم بدر.

وابو سفيان هو الذي جمع المال وقاد المشركين لقتال المسلمين في معركة أحد (وكانت وقعة أحد في شوال بعد بدر بسنة: اجتمعت قريش واستعدت لطلب ثأرها يوم بدر، واستعانت بالمال الذي قَدم به أبو سفيان، وقالوا: لا تنفقوا منه شيئاً إلا في حرب محمد...وخرج المشركون وعدتهم ثلاثة الاف ورئيسهم ابو سفيان بن حرب، وخرج المسلمون وعدتهم ألف رجل حتى صاروا إلى أحد. ووافى المشركون فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقُتل حمزة بن عبد المطلب، أسد الله وأسد رسوله، رماه وحشي، عبد لجبير بن مطعم بحربة، فسقط ومثلت به هند بنت عتبة بن ربيعة وشقت عن كبده فأخذت منها قطعة فلاكتها، وجدعت أنفه، فجزع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم جزعاً شديداً وقال: لن أصاب بمثلك، وكبر عليه خمساً وسبعين تكبيرة، وانهزم المسلمون).[٣٣]

هذه هند زوج ابي سفيان وأم معاوية، فالمدقق الحاذق المتمعن سوف ينظر الى تربية هند لأولادها، كيف ستكون؟ وهي الحاقدة على أهل البيت عليهم السلام، والقائلة مخاطبة علي عليه السلام بعد معركة بدر:

ما كان عن عتبة لي من صبر أبي وعمي و شقيق صدري
أخي الذي كان كضوء البدر بهم كسرت يا علي ظهري

وذلك لأنه قتل أخاها الوليد بن عتبة وشرك في قتل أبيها عتبة).[٣٤] ثم جاء الاموي ابو سفيان في جيش من الاحزاب لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله في معركة الخندق (ثُمّ كَانَتْ غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ فِي شَوّالٍ سَنَةَ خَمْسٍ.. فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ، وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْب.. فَلَمّا سَمِعَ بِهِمْ رَسُولُ اللهِ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلّمَ

٢٩ – الحج: ٢٢، ٢٣-٢٤.
٣٠ – الدر المنثور في التأويل بالمأثور / جلال الدين السيوطي:٧، ١٢٩-١٣٠.
٣١ – غزوات امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام / جعفر نقدي: ١٠٥.
٣٢ – المنتظم في تاريخ الملوك والامم / عبد الرحمن بن علي بن الجوزي: ٢-١٩٩.
٣٣ – تاريخ اليعقوبي / احمد بن ابي يعقوب المعروف باليعقوبي: ١٢٢،١.
٣٤ – شرح نهج البلاغة / عز الدين ابي حامد الشهير بابن ابي الحديد المعتزلي: ١٣، ٢٨.

ضَرَبَ الْخَنْدَقَ عَلَى الْمَدِينَةِ).[٣٥] ولما عبر عمرو بن ود العامري الخندق وطلب البراز، كان رسول الله صلى الله عليه وآله ينادي في المسلمين هل من مبارز واضمن له الجنة، قالها صلى الله عليه وآله ثلاث مرات وفي كل مرة يقوم أمير المؤمنين عليه السلام ملبياً (لما دعا عمرو بن عبد ود العامري إلى البراز يوم الخندق فلم يجبه أحد، فقال علي رضي الله عنه: جعلت فداك يا رسول الله! أتأذن لي؟ قال: إنه عمرو بن ود فقال: وأنا علي بن أبي طالب، فخرج إليه فقتله).[٣٦]

وفي مغازي الواقدي قال:[وَعَمْرٌو يَوْمَئِذٍ ثَائِرٌ... فَلَمّا دَعَا إلَى الْبِرَازِ قَالَ عَلِيّ- عليه السلام- أَنَا أُبَارِزُهُ يَا رَسُولَ اللهِ ثَلَاثَ مَرّاتٍ. وَإِنّ الْمُسْلِمِينَ يَوْمَئِذٍ كَأَنّ عَلَى رؤوسهم الطير لمكان عَمْرٍو وَشَجَاعَتِهِ. فَأَعْطَاهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَيْفَهُ. وَعَمّمَهُ وَقَالَ اللّهُمّ أَعِنْهُ عَلَيْهِ].[٣٧]

ومن هذه المواقف الجليلة وغيرها لأمير المؤمنين عليه السلام، التي حضي بها بدعاء وتأييد رسول الله صلى الله عليه وآله وقد انتصر فيها على اعداء الله، فيما كان الأخرون كأن على رؤوسهم الطير، ثارت في نفوس هؤلاء (الحزب الاموي) نار الحسد بل الحقد لعلي وآل علي عليهم السلام لقصر باعهم وضعف هممهم من ان يبلغوا مبلغه في الشجاعة والتقوى والعطاء في سبيل الله، والتأييد والتسديد من رسول الله (قال جماعة، منهم الكراجكي، فلما برز أمير المؤمنين الى عمرو قال رسول الله: برز الايمان كله الى الشرك كله).[٣٨]

ولهذا كله أضمروا اليه العداء الى ان تحين الفرصة، ولم تمض الا سنة واحدة فاذا بغزوة خيبر التي كان فيها التمايز بين أهل البيت عليهم السلام وبين غيرهم اظهر واجلى واكثر ظهوراً على رؤوس الاشهاد، فقد برز وبان من هو الحريص على نصرة الدين الاسلامي؟ ومن هو الشجاع الذي يتاجر مع الله تبارك وتعالى ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.[٣٩] فباع نفسه ووجوده لله تبارك وتعالى، ومن هو الذي يحبه الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله، كرار غير فرار.

فالمشكلة البحثية هي استمرار فكر وقيم الجاهلية الاولى في نفوس بعض المسلمين، وتناميه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله، وكون الامام الحسين عليه السلام سر الله المكنون؛ لفضح وكشف الردة والتآمر على الاسلام فقد تميّز طرف أهل البيت عليهم السلام ومنهم ما يخص بحثنا وهو الامام الحسين- عليه السلام- بأمور فقد نزل فيهم قرآن، كأية التطهير وغيرها كثير وطغيانهم على ساحة الكرم والشجاعة والإباء والعفة وطهارة المولد والحسب والنسب وعدم السجود للصنم، والذوبان في العبودية لله تبارك وتعالى. والطرف الأخر على نقيض هذا كله، فجاء اليوم اتباع الحزب الاموي (المعاوي) ليقلبوا الحقائق رأساً على عقب، بتحريف الحديث الشريف وتبديل المدح من النبي صلى الله عليه وآله لفلان من أهل البيت، الى أخر من بني أمية، والسكوت عن ذم النبي صلى الله عليه وآله لبني أمية ورجالاتها وجعل ذلك من المستحبات بل قالوا من المستحب ان يترك المسلمون اليوم ذِكر معايب

---

٣٥ – سيرة النبي صلى الله عليه وآله / ابي محمد عبد الملك ابن هشام: ٢، ٢١٣– ٣١٥.
٣٦ – الاوائل للعسكري/ ١، ١٣٥.
٣٧ – مغازي الواقدي: ١ – ٤٦٩.
٣٨ – غزوات امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام / جعفر نقدي: ٢، ١١٣.
٣٩ – البقرة: ٢، ٢٠٧.

السلف!! كقتلهم لأصحاب رسول الله ﷺ والصلحاء من المؤمنين، وحربهم لخليفة المسلمين علي عليه السلام، وقتلهم الحسين ريحانة رسول الله ﷺ، وشربهم الخمر، وفعلهم الزنا بأمهات الاولاد ولعبهم بالقرود و.. ويقولون اليوم كما قال سلفهم يُستحب ترك ما شجر بين الاصحاب وان لا نذكر ان ابا بكر وعمر قد انهزما فارين جبناً في غزوة خيبر!! ففي سيرة النبي ﷺ لابن هشام (عن سلمة بن عمرو بن الأكوع، قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق برايته، الى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع ولم يك فتحٌ وقد جهد، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب، فقاتل ثم رجع ولم يكُ فتح، وقد جهد فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله بفتح الله على يديه ليس بفرار"فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه، وهو أرمد..)[٤٠]

وفي صحيح البخاري:(.. أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ« لأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلاً، يَفْتَحُ اللهَ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ ». قَالَ فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا فَقَالَ: « أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ »، فَقِيلَ: هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ « فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ »، فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ يَا رَسُولَ الله أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا، فَقَالَ « انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَ اللهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ »).[٤١]

فما هو ذنبهم، اذ أحبهم الله ورسوله واعطاهم عز وجل الشجاعة والفصاحة والعلم والحلم و... وبسيوفهم رُفعت راية الاسلام خفاقة.(عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ عَلِيٍّ حِينَ بَعَثَهُ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم بِرَايَتِهِ، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الْحِصْنِ خَرَجَ إِلَيْهِ أَهْلُهُ فَقَاتَلَهُمْ، فَضَرَبَهُ رَجُلٌ مِنْ الْيَهُودَ فَطَرَحَ تُرْسَهُ مِنْ يَدِهِ، فَتَنَاوَلَ عَلِيٌّ بَابًا كَانَ عِنْدَ الْحِصْنِ فَتَرَّسَ بِهِ نَفْسَهُ فَلَمْ يَزَلْ فِي يَدِهِ وَهُوَ يُقَاتِلُ حَتَّى فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَلْقَاهُ مِنْ يَدِهِ حِينَ فَرَغَ، فَلَقَدْ رأيتني في نَفَرٍ معي سَبْعَةٌ أَنَا ثَامِنُهُمْ نَجْهَدُ عَلَى أَنْ نَقْلِبَ ذَلِكَ الْبَابَ فَمَا نَقْلِبُهُ).[٤٢] والى هذا اشار ابن ابي الحديد في قصيدته مخاطبا الامام عليه السلام:

يا قـــالع البـــاب الـــذي عـــن هـزه عجزت اكـف اربعـون واربـع[٤٣]

المطلب الثالث: انعطافه عظيمة بالفتح المبين وبنصرالله العظيم:

وجاء اليوم الموعود الذي تكلل بنصر المؤمنين الحاسم، يوم فتح مكة، معقل قريش الكافرة، ومنطلق التآمر على النبي- ﷺ- والاسلام، وحصن بني امية وزعيمهم ابي سفيان: (خرج النبي ﷺ لفتح مكة في

٤٠ – سيرة النبي ﷺ لابن هشام: ٣، ٣٨٥.
٤١ – صحيح البخاري/ محمد بن اسماعيل البخاري:١٤، ١٠٥.
٤٢ – غاية المقصد في زوائد المسند / علي بن ابي بكر الهيثمي المصري:٢، ١١٣.
٤٣ – علي عليه السلام من المهد الى الحد/ محمد كاظم القزويني: ٨، ٢١.

رمضان سنة ثمان من الهجرة، ومعه عشرة آلاف مقاتل... فلما دخل النبي صلى الله عليه وآله مكة، كانت احدى الرايات بيد سعد بن عبادة وهو ينادي: اليوم يوم الملحمة اليوم تسبى الحرمة اذل الله قريشاً، فسمع أبو سفيان؛ نادى: يا رسول الله أمرت بقتل قومك إن سعداً قال كذا، واني انشدك الله وقومك فانت ابر الناس وارحم الناس، واوصل الناس فوقف النبي صلى الله عليه وآله وقال: بل اليوم يوم المرحمة اعز الله قريشاً،.. وقال لعلي عليه السلام: خذ منه الراية وناد فيهم، فاخذ علي عليه السلام اللواء وجعل ينادي: اليوم يوم المرحمة، فلما دخل صلى الله عليه وآله.. المسجد الحرام اخذ بعضادة الباب قرأ [لا إله إلا الله وحده انجز وعده ونصر عبده واعز جنده وهزم الاحزاب وحده] وقف أبو سفيان ومعاوية وجميع قريش خائفين فقال النبي صلى الله عليه وآله:- يا معشر قريش ما ترون اني فاعل بكم قالوا خيرا أخ كريم وابن اخ كريم لقد قدرت، فبكى رسول الله صلى الله عليه وآله وقال: ما أقول لكم إلا ما قال أخي يوسف [قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ألا لبئس جيران النبي انتم فلقد كذبتموني وطردتموني وآذيتموني واخرجتموني ثم ما رضيتم حتى جئتموني في بلادي تقاتلوني، اذهبوا فانتم الطلقاء] فكأن هذه العبارة صارت علماً لهؤلاء من ذلك اليوم. ويقال لابي سفيان ومعاوية وغيرهم من قريش الطلقاء- يعني طلقاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم- والى هذا اشارت الحوراء في خطبتها في مجلس يزيد بقولها عليها السلام أمن العدل يا بن الطلقاء، أتعرف من انت ومن ابوك وجدك؟ أوتدري ما صنع جدي مع جدك وابيك في يوم فتح مكة...، يا يزيد فهذا جزاؤه بان قتلت حسيناً وقتلت اصحابه وأهل بيته وسبيت نساءه وعياله واطفاله من بلد الى بلد.

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذي فيه ينضح[٤٤]

وفي هذا اليوم العظيم لانتصار الاسلام على الكفر والجاهلية، انتهى دور ابي سفيان وولده معاوية في تحريض اليهود وكفار قريش ضد الاسلام، واستسلما كما استسلم البقية من اهل مكة الطلقاء، وقام رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام بتحطيم معبوداتهم (الاصنام) من على ظهر الكعبة.

ففي البحار:- (عن أبي هريرة قال: قال لي جابر بن عبدالله دخلنا مع النبي مكة وفي البيت وحوله ثلاثمائة وستون صنماً، فأمر بها رسول الله صلى الله عليه وآله فالقيت كلها لوجوهها... فأنزل الله تعالى (وقل جاء الحق وزهق الباطل[٤٥]))[٤٦].

ولكن العجب العجاب، بقيت هذه اليد، يد النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام التي حَطمت اصنامهم، بقيت مُدانة ومطلوبة لتثأر منها بنو امية وتنتقم!! حين تحين الفرصة، فتلك الأصنام التي عكفوا على عبادتها واجلالها هم وآباؤهم طول اعمارهم، لم يتمكنوا من التنازل عنها والكفر بها على حين غرة، وينتقلوا الى الإسلام و يدينوا بتعاليمه، وسيظهر لاحقاً أن عداء معاوية لأمير المؤمنين عليه السلام وقتل ولده يزيد الامام الحسين عليه السلام ما كان الا للإخذ بثأر اجدادهم ومشايخهم الكفار الذين قُتلوا في بدر وغيرها.

---

٤٤ - شجرة طوبى / محمد مهدي الحائري المازندراني: ٢ – ١١٩.
٤٥ - الاسراء: ١٧، ٨١.
٤٦ - بحار الانوار / محمد باقر المجلسي: ٣٤، ٧٦.

المطلب الرابع:منعطف شديد ونكوص، بل انقلاب عن الدين الإسلامي:-

بعد ان استطاع رسول الله-ﷺ- والمسلمون، من ان يرفعوا راية الاسلام عالية خفاقة، وان يدحروا الكفر والخرافة والظلم و.. وان يكونوا خير امة من المسلمين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.(٤٧) لكن ما ان مات رسول الله ﷺ حتى تبدلت الاحوال وانقلبت الموازين ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾.(٤٨)

وبدأ الامويون الطلقاء يستولون على مقاليد الامور ويحاربون الاسلام باسم الاسلام، وحجة الله في ارضه الامام الحسين عليه السلام يراقب كل ذلك عن كثب، ويعيش التطورات اولاً بأول، فيرى الفساد، وشرب الخمر واللعب بالقرود، والزنا قد دبّ وشاع في قصر الخلافة (الإسلامية!!)، وان امير المؤمنين عليه السلام يُسب على منابر المسلمين، وان اصحاب رسول الله -ﷺ- المنتجبين يُقتّلوا ويُصَلّبوا، وطلقاؤه ومطروديه يُقربوا ويُبجلوا وقيم وافكار الجاهلية ومنكراتها غدت تعود الى المجتمع الإسلامي، وهو عليه السلام يرى هذا الانقلاب والنكوص عن قيم ومبادئ الإسلام، وهو المذخور للدفاع عن دين جده وابيه، وفيه سر الله في رد الامة الى صوابها ورُشدها؛ ليبقى الدين حياً فاعلاً؛ لذلك وقف ابو الاحرار بوجه الانحراف، واوقد ثورته التي لم يخبُ توهجها الى يومنا هذا، بل ستبقى نوراً يضيء درب الثوار والمظلومين والمستضعفين في العالم الى يوم القيام.

المطلب الخامس:- تَفَرُقُ المسلمين الى متبعٍ لرسول الله ﷺ حقيقة، عارف بحق اهل البيت عليهم السلام والى مُتبع هواه:

ان المشكلة الكبرى والمصيبة العظمى التي كان يعانيها أهل البيت عليهم السلام والتي يقاسي اليوم مرارتها وتشظياتها اتباعهم، هو العداء المطبق لهم من قبل أتباع حزب السقيفة ومن لف لفهم، فواقعنا اليوم مريرٌ، واشد ما فيه ألماً وحسرةً ان خصمنا كما كان سلفه لا يريد ان يصل الى الحقيقة، والعلم بواقع الامور، والتعرف على كنهها، من خلال الدليل والحجة الدامغة، وهذا اشد وأمر من حرب السيوف اذ قال تعالى:-﴿وَتَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.(٤٩)

لقد تبانى اتباع مدرسة معاوية اليوم كأسلافهم، أن لا يسمعوا ممن يختلف معهم!! بل اتخذوا منهج الكذب والخداع والتلاعب بالألفاظ والاخذ بما زُيّف وحُرّف من الحديث سابقاً اسلوباً ناجحاً للتضليل على عوام الناس وسذاجهم، ولأبعاد انفسهم واتباعهم عن سبيل الهداية وبهذا المعنى يقول ابن حجر في صواعقه (وللروافض سيما الغلاة منهم مبالغات في بغض البعض من الصحابة رضي الله عنهم والطعن

٤٧ – ال عمران: ٣، ١١٠.
٤٨ – ال عمران: ٣، ١١٤.
٤٩ – المائدة: ٥، ٦٢.

فيهم بناء على حكايات وافتراءات لم تكن في القرن الثاني والثالث واياك والاصغاء اليها فإنها تضل الاحداث وتحير الاوساط وان كانت لا تؤثر فيمن له استقامة على الصراط المستقيم).[٥٠]

فهم مصداق قوله تعالى:- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[٥١] فاخذوا من عمل اسلافهم الباطلة والمنافية للشرع والعقل حجة ودليل لان يُموهوا على عقول الناس البسطاء، وان يصوروا لهم سلامة ما يقومون به من عدائهم لمنهج ومدرسة أهل البيت عليهم السلام، الذين طهرهم تبارك وتعالى وزكاهم بقوله:- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.[٥٢] تمهيداً لان يكونوا قادة الامة نحو الهداية والتقى.

فراح اعداؤهم حسداً وظلماً يكيلون التهم الباطلة، وينسبون افكار واعمال الضلال الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام والحسين عليه السلام، بهتاناً وزوراً، وكل من لا يروق لهم ويخالف طريقتهم يلصقون به صفة الشرك بالله جلَّ وعلا.

واذالم يفلحوا في مقصدهم ومرادهم من إبعاد اتباع أهل البيت عليهم السلام عن مذهبهم وولائهم لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته الكرام أفتى علماؤهم بإباحة دماء خصومهم، كما فعل قدوتهم وسيدهم معاوية ويزيد، وجندوا لهذا الأمر الألاف، وبذلوا المليارات من أموال المسلمين، وأساس بنيانهم ومبررات أعمالهم هذه هو نفي عثمان بن عفان (الخليفة) أبا ذر الى الربذة، وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الذي قال بحقه رسول الله صلى الله عليه وآله: [ما أظلت الخضراء، ولا اقلت الغبراء، على ذي لهجة أصدق ولا اوفى من أبي ذر، شبيه عيسى ابن مريم].[٥٣] و [وجندب(اسم ابي ذر) طريد امتي يعيش وحده ويموت وحده والله يبعثه وحده][٥٤] و["يحشر أبو ذر أمة واحدة"وهم سيروه على قتب إلى الشام ونفوه إلى الربذة، ودقوا ضلع ابن مسعود).[٥٥]

المطلب السادس:معاوية يقتل بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله، و يزيد يقتل الحسين عليه السلام وتلامذة مدرسة معاوية يُبررون:-

قتل معاوية من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله الكثير، منهم عمار بن ياسر، وعمر بن الحمق الخزاعي، وقتل يزيد(الخليفة!!) الحسين بن علي عليه السلام وهو صحابي وابن فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين، وهو الذي قال بحقه وبحق امه ملك من السماء: كما نقل ابن حجر في صواعقه (أخرج أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان عن حذيفة أن النبي قال له"أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك

٥٠ – الصواعق المحرقة / احمد بن حجر الهيثمي: ل.
٥١ – البقرة: ٢، ٢٠٢.
٥٢ – الاحزاب: ٣٣،، ٣٣.
٥٣ – الاحكام الشرعية الكبرى /ابو محمد عبد الحق الاشبيلي/ ٤، ٤٣٤.
٥٤ – كنز العمال في سنن الاقوال والافعال/ علي بن حسام الدين المتقي الهندي/ ١١، ٦٤٤.
٥٥ – المسترشد/ محمد بن جرير الطبري/ ١، ١٧٧.

من الملائكة لم يهبط إلى الأرض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل أن يسلم علي ويبشرني أن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة")[٥٦]

ويذكر أيضا اثنا عشر أية بحق أهل البيت، وفي الفصل الثاني من كتابه هذا ينقل ثلاثين حديثاً بخصوص فاطمة الزهراء عليها السلام وولديها عليهما السلام، واربع أربعين حديثاً في عموم أهل البيت عليهم السلام ما عدا ما ذكره في الفصل الاول وغيره كثير...والحق يقال انه أحسن وأجاد في تفسير الآيات وشرح الاحاديث بحق أهل البيت عليهم السلام.

والى هذا يشير السيد محمد تقي الحكيم (قدس سره) في كتابه الاصول العامة للفقه المقارن، عندما تعرض لحديث الثقلين ودلالته على سنة أهل البيت عليهم السلام قال:- (يقول ابن حجر:-"وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة على عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما ان الكتاب العزيز كذلك، ولهذا كانوا أمانا لأهل الارض كما يأتي، ويشهد لذلك الخبر السابق: في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي". كما يدل على ذلك اقترانهم بالكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة، ولقوله صلى الله عليه وآله "ولا تعلموهم فانهم أعلم منكم"[٥٧]. يقول ابن حجر- وهو من خير من كتبوا في هذا الحديث فهماً وموضوعية:"

تنبيه: سمى رسول الله صلى الله عليه وآله القرآن وعترته، وهي بالمثناة الفوقية، الاهل والنسل والرهط الادنون الثقلين، لان الثقل كل نفيس خطير مصون، وهذان كذلك إذ كل منهما معدن العلوم الدنية، والاسرار والحكم العلية، والاحكام الشرعية... ولذا حث صلى الله عليه وآله على الاقتداء والتمسك بهم والتعلم منهم، وقال"الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت عليهم السلام"وقيل: سميا ثقلين، لثقل وجوب رعاية حقوقهما، ثم إن الذين وقع الحث عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، ويؤيده الخبر السابق: ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم، وتميزوا بذلك عن بقية العلماء لان الله أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، وشرفهم بالكرامات الباهرة، والمزايا المتكاثرة، وقد مر بعضها"[٥٨]).[٥٩]

وينقل ابن حجر ايضاً (وقد اخرج الديلمي أنه (صلى الله عليه وسلم) قال: الدعاء محجوب حتى يصلى على محمد وأهل بيته اللهم صل على محمد واله... وللشافعي رضي الله عنه:-

يا أهل بيت رسول الله حبكم فرض من الله في القرآن أنزله
كفاكم من عظيم القدر أنكم من لم يصل عليكم لا صلاة له

٥٦ - الصواعق المحرقة:١٩١.
٥٧ - بحار الانوار /محمد باقر المجلسي: ٢٥، ٢٢١.
٥٨ - الصواعق المحرقة:١٥١- ١٥٢.
٥٩ - الاصول العامة للفقه المقارن/ محمد تقي الحكيم: ٦٢-٦٣.

فيحتمل لا صلاة له صحيحة فيكون موافقا لقوله بوجوب الصلاة على الآل ويحتمل لا صلاة له كاملة فيوافق أظهر قوليه).[٦٠] والعجب العجاب انه يكتب هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وآله ولكنه تعصباً لسيرة اسلافه لم اجده يذكر (أل محمد) عند صلاته على النبي صلى الله عليه وآله في كتابه هذا الصواعق المحرقة!!.

وقال ايضاً (ولمبالغة الشافعي فيهم (أهل البيت-عليهم السلام-) صرح بأنه من شيعتهم حتى قيل كيت وكيت... فأجاب عن ذلك بما قدمناه عنه من النظم البديع وله أيضا:-

آل النبي ذريعتي وهم إليه وسيلتي
ارجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي[٦١]

وينقل ايضاً (قال الله تعالى:- ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [٦٢] اخرج: الحافظ السفلي عن محمد بن الحنفية، أنه قال في تفسير هذه الآية: لا يبقى مؤمن إلا وفي قلبه ودّ لعلي وأهل بيته).[٦٣] وذكر ايضا (وللشيخ الجليل شمس الدين ابن العربي رحمه الله:-

فما طلب المبعوث أجراً على الهدى بتبليغه الا المودة في القربى[٦٤]

وذكر أيضاً: في الحديث السادس عشر (أخرج الترمذي وابن ماجة وابن حبان والحاكم أن رسول الله قال"أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم").[٦٥] وفي (الحديث الثامن عشر أخرج أحمد والترمذي عن علي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال"من أحبني وأحب هذين (الحسن والحسين) وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة")[٦٦] فمجمل ما نقلناه عن ابن حجر وهو قليل جداً مما كتبه في صواعقه المحرقة، يظهر منه أنه محب لأهل البيت-عليهم السلام- ولكن اذا رجعنا الى المشكلة التي دعتنا الى كتابة هذا البحث وهي أن الاعم الاغلب ممن ينقل الاحاديث من ابناء العامة بحق أهل البيت-عليهم السلام- ويفسر الآيات الواردة بحقهم-عليهم السلام- لا يؤمن بها ولا يعمل بها!! فهم مصداق: كم من عالم لا يعمل بعلمه، وكم من فقيه لا يعمل بفقهه، ويقف موقفاً صلفاً جافياً من أهل البيت-عليهم السلام- بل معادياً احياناً لهم، ولمن يودهم، وهذا ما يثير العجب والاستغراب!!.

فهذا ابن حجر: ينقل ان الحسن والحسين سيدا شباب اهل الجنة، ولكنه يأتي و يبرر قتال معاوية للأمام الحسن-عليه السلام- وقتاله لخليفة المسلمين علي-عليه السلام- الذي بايعته الامة، وينكر على محبي أهل البيت-عليهم السلام- ذكرهم مثالب معاوية وقتله أصحاب رسول الله و سبه لعلي-عليه السلام- على المنابر حتى صار سُنة ايام الامويين لعقود، ويصف شيعة اهل البيت-عليهم السلام- بأقبح الاوصاف والنعوت فيقول في صواعقه:-(وإنما افتتحت هذا الكتاب بالصحابة وختمته بهم إشارة إلى أن المقصود بالذات من تأليفه

٦٠ - الصواعق المحرقة: ١٤٨.
٦١ - المصدر السابق: ١٨٠.
٦٢ - مريم: ٢٠، ٩٦.
٦٣ - الصواعق المحرقة: ١٧٢.
٦٤ - المصدر السابق: ١٧٠.
٦٥ - المصدر السابق: ١٨٧.
٦٦ - المصدر السابق: ١٨٧.

تبرئتهم عن جميع ما افتراه عليهم أو على بعضهم من غلبت عليهم الشقاوة وتردوا بأردية الحماقة والغباوة ومرقوا من الدين واتبعوا سبيل الملحدين وركبوا متن عمياء وخبطوا خبط عشواء فباؤا من الله بعظيم النكال ووقعوا في أهوية الوبال والضلال ما لم يداركهم الله بالتوبة والرحمة فيعظموا خير الأمم وهذه الأمة أماتنا الله على محبتهم وحشرنا في زمرتهم آمين).[٦٧]

وهو الذي ينقل هذه الرواية بحق محبي اهل البيت-عليهم السلام- (وأخرج أبو بكر الخوارزمي أنه صلى الله عليه وسلم خرج عليهم ووجهه مشرق كدائرة القمر فسأله عبد الرحمن بن عوف فقال"بشارة أتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي بأن الله زوج عليا من فاطمة وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقا يعني صكاكا بعدد محبي أهل البيت وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع إلى كل ملك صكا فإذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت إليه صكا فيه فكاكه من النار فصار أخي وابن عمي وابنتي فكاك رقاب رجال ونساء من أمتي من النار").[٦٨]

ونسأل ابن حجر: انت نقلت في الحديث الخامس عشر: ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال:"ان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة وأن الحسن و الحسين سيدا شباب اهل الجنة"، وفي الحديث السادس عشر قال صلى الله عليه وآله"انا حربٌ لمن حاربهم و سلم لمن سالمهم"... ونقلت (وأخرج الملا،"لا يحبنا أهل البيت إلا مؤمن تقي ولا يبغضنا إلا منافق شقي").[٦٩] فهل كان معاوية محباً لأهل البيت؟!، أم كان محارباً لعلي عليه السلام وهو خليفة المسلمين الشرعي ومن جعل له الرحمن وداً؟! فكيف تغض الطرف عن معاوية وحربه وبغضه وسبه لعلي- عليه السلام- ويقول عبد الوهاب عبد اللطيف صاحب المقدمة على الصواعق المحرقة (فاستحق بذلك أصحاب رسول الله من الثناء عليهم والتجاوز عما فرط منهم واستحقوا من الرسول أن يعظمهم و ينادي بإجلالهم واستحقوا من الأمة المحبة و الترضية عنهم، وان يقتدي بهم سواء منهم من لابس الفتن أو حفظ منها، وسواء منهم من وقع منه ذنب أولاً، فان كمال ايمانهم وحسن سريرتهم وحبهم لمتابعة نبيهم وتضحيتهم للنفس والنفيس كل ذلك يرفع منازلهم إلى درجات لا تؤثر فيها السيئات فإن كثير الحسنات مكفر لصغيرها، خصوصاً من وقع منه شيء باجتهاد وحسن نية فإنما الاعمال بالنيات، ولو أخطأ الطريق فهو مثاب على قصده، ومن هؤلاء سادتنا معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وسمرة بن جندب، والوليد بن عقبة ممن كان مع معاوية أو رضي بالتحكيم، وأنهم جميعاً أهل للاقتداء بهم واهل للرواية تقبل أخبارهم في اعلى درجات القبول، وتوزن أعمالهم بميزان الورع والإحسان).[٧٠]

وكأنَّ اعداء اهل البيت عليهم السلام من علماء العامة أمثال عبد اللطيف وابن حجر و..، غضوا الطرف عن الاحاديث الشريفة التي يلعن بها رسول الله صلى الله عليه وآله معاوية ويزيد وأبيهما ففي تذكرة الخواص لسبط ابن

٦٧ - المصدر السابق: ٢٠٨.
٦٨ - المصدر السابق: ١٧٣.
٦٩ - المصدر السابق: ١٧٣.
٧٠- المصدر السابق: ي.

الجوزي ص١١٥ ايران [أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى ابا سفيان على جمل وابنه يزيد يقوده ومعاوية يسوقه فقال"لعن الله الراكب والقائد والسائق"].[٧١]

وقول رسول الله صلى الله عليه وآله (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه).[٧٢] أقول:- هنيئاً لك ولأمثالك بهذا الاقتداء وحشركم الله مع من حارب رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال (انا حرب لمن حاربهم وسلمٌ لمن سالمهم).[٧٣] فالسؤال الذي لم يحر اعداء اهل البيت عليهم السلام له جواباً يُقنع حتى السذج، هو ألم يكن علي والحسن، والحسين وعمار بن ياسر، وخمسة غيرهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله قُتلوا مع الحسين عليه السلام (أنس بن الحرث الكاهلي وحبيب بن مظاهر الاسدي ومسلم بن عوسجة الأسدي وهاني بن عروة المرادي وعبدالله بن يقطر الحميري).[٧٤] وألم يقتل معاوية غير هؤلاء من صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله فيحظى بحرب رسول الله صلى الله عليه وآله أم أنه أجتهد فأخطأ فله ثواب بقتلهم!!.

[ففي كتاب مولانا الحسين عليه السلام الى معاوية: ألست قاتل حجر، وأصحابه العابدين المخبتين، الذين كانوا يستفظعون البدع، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلما وعدوانا، من بعدما أعطيتهم المواثيق الغليظة، والعهود المؤكدة، جراءة على الله واستخفافا بعهدهِ] [٧٥] فقد قُتل حجر ابن عدي وهو من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله بأمر من معاوية، مع ستة من اصحاب حجر.

(ومن كتاب مولانا الحسين عليه السلام الى معاوية [أولست قاتل عمرو بن الحمق صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفر لونه، بعد ما آمنته واعطيته من عهود الله وميثاقه، ما لو أعطيته طائراً لنزل اليك من رأس الجبل ثم قتلته جرأة على ربك، واستخفافا بذلك العهد]).[٧٦]

(ولما جاؤوا برأسه الى معاوية بعث به الى امرأته فوضع في حجرها فقالت: سترتموه عني طويلا وأهديتموه الي قتيلا... بلغ أيها الرسول عني معاوية ما أقول: طلب لله بدمه، وعجل له الويل من نقمه، فقد أتى أمراً فريا، وقتل باراً تقيا).[٧٧] وهكذا استمر معاوية وآل أمية يقتلون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومحبي ال البيت عليهم السلام غير الموالين له، الى أن مات، والإمام الحسين -عليه السلام- يراقب كل هذه الأحداث عن كثب ويعيش آلآم ومظلومية ابناء الامة الاسلامية اولاً بأول بانتظار الساعة التي يتمكن فيها من تسديد رميته الى هذا الحكم الجائر والانتصار للمظلومين والمستضعفين.

---

٧١ - تاريخ ابي الفداء: ١، ٤٢٢ و- ربيع الابرار/ الزمخشري:١، ٤٩٥. و- تاريخ الطبري: ٨، ١٨٥. و- مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٢٩.

٧٢ - تاريخ ابي الفداء:١،٤٢٢ و- تاريخ الطبري: ٨،٨، ١٨٦.و- تاريخ دمشق/ علي بن الحسن(ابن عساكر):٥٩، ١١٥.

٧٣ - العجم الكبير/ سليمان بن احمد الطبراني:٥،١٨٤.

٧٤ - ابصار العين في انصار الحسين عليهم السلام محمد بن طاهر السماوي: ٢٢١.

٧٥ - الامامة والسياسة/ ابن قتيبة الدينوري: ١، ٢٣٧.

٧٦ - احياء معرفة الرجال/ ابي جعفر الطوسي: ١، ٢٥٣.

٧٧ - شجرة طوبى/ محمد مهدي الحائري: ١، ٨٢.

المطلب السابع: توجه باطل وعقيدة فاسدة، تُزكي قاتل الصحابي وتجزيه أجراً:-

ان مشكلة المسلمين اليوم هي مع هذا التوجه الباطل الفاسد الذي يصحح لمعاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص وغيرهم من الطلقاء وابناء الطلقاء... ممن شارك في الحرب ضد امام المسلمين وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله في صفين وفي الجمل والنهروان، وممن قتلوا بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم عمار بن ياسر حيث نقل في صحيح مسلم (عن أم سلمة: أن رسول الله صلى الله عليه و سلم.."قال لعمار تقتلك الفئة الباغية").[٧٨]

وفي مسند أحمد (عن عبد الله بن الحرث قال: اني لأسير مع معاوية في منصرفة من صفين بينه وبين عمرو بن العاص، قال: فقال عبد الله بن عمرو بن العاص يا أبت ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعمار"ويحك يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية"قال فقال عمرو لمعاوية ألا تسمع ما يقول هذا فقال معاوية لا تزال تأتينا بهنة أنحن قتلناه إنما قتله الذين جاؤوا به).[٧٩]

والظاهر ان تبرير اعمال معاوية وامثاله الشائنة والمخالفة للشرع الاسلامي من قبل ابن حجر وغيره والتماس الاعذار والحجج الواهية قد تعلموها من معاوية نفسه حينما التف على حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وقال اننا لم نقتل عماراً وانما قتله الذي اخرجه يقصد بذلك أمير المؤمنين-عليه السلام-.

وهذا ابن تيمية ايضاً ينتصر لمعاوية!!، ففي كتابه مختصر الفتاوي المصرية (قوله صلى الله عليه وسلم"إن عمارا تقتله الفئة الباغية"ليس نصا في أن هذا اللفظ المراد به معاوية وأصحابه بل يمكن أن يكون المراد تلك العصابة التي حملت عليه حتى قتلته وهي طائفة من العسكر، ومن رضي بقتل عمار كان حكمه حكمها ومن المعلوم أنه كان في العسكر من لم يرض بقتله كعبد الله بن عمرو بن العاص وغيره بل كان الناس منكرين لقتل عمار حتى معاوية وعمرو بن العاص وغيرها ويروى أن معاوية تأول أن الذي قتله هو الذي جاء به إلى سيوف قتلته وأن عليا رد هذا التأويل).[٨٠]

وذكر ابن حجر قصة قتل من سب الصحابي بقوله (قال شيخ الإسلام مجتهد عصره التقي السبكي.. كنت بالجامع الأموي ظهر يوم الاثنين سادس عشر جمادى الأولى سنة خمس وخمسين وسبعمائة فأحضر إلي شخص.. وهو يقول لعن الله من ظلم آل محمد، وهو يكرر ذلك فسألته من هو فقال أبو بكر قلت أبو بكر الصديق قال أبو بكر وعمر وعثمان ويزيد ومعاوية فأمرت بسجنه وجعل غل في عنقه ثم أخذه القاضي المالكي فضربه وهو مصر على ذلك... ثم أحضروه يوم الخميس بدار العدل وشهد عليه في وجهه فلم ينكر.. ثم قيل له تب فقال تبت عن ذنوبي... فطال البحث في المجلس على كفره وعدم قبول توبته فحكم نائب القاضي بقتله فقتل، وسهل عندي قتله ما ذكرته من هذا الاستدلال فهو الذي انشرح صدري لتكفيره بسببه ولقتله لعدم توبته).[٨١]

٧٨- صحيح مسلم/ محمد بن الحجاج النيسابوري: ١٤، ١٣٠.
٧٩ - مسند احمد بن حنبل: ٢، ١٦١.
٨٠ - مختصر الفتاوي المصرية/ بدر الدين البعلي: ١، ٤٥٠.
٨١ - الصواعق المحرقة: ٢٥٣.

وقال: (ومأخذ تكفير الرافضي بذلك (بغض الرافضي للشيخين)أنه يعود من اعتقاده ذلك (ظلمهما لعلي) فيهما نقص في الدين لأنهما الأصل بعد النبي (صلى الله عليه وسلم) في إقامة الدين وإظهاره..).[٨٢]

اقول اين كان علماؤهم من سب معاوية وولاته لعلي عليه السلام على منابر المسلمين لعقود متمادية، حتى صار سبه عليه السلام من المقدمات الواجبة في خطب الجمعة، الم يكن سب علي-عليه السلام- فيه اذىً لرسول الله صلى الله عليه وآله!!، الم يكن دورٌ لعلي-عليه السلام- في اقامة الدين، الم يحارب المشركين، الم يكن أخاً لرسول الله وابن عمه، الم يقل صلى الله عليه وآله بحقه [علي مع الحق والحق معه لا يفترقان].[٨٣]

وحجة الله الامام الحسين عليه السلام يرى ويسمع بكل هذه البدع والفتن لبني امية، وسب ابيه امير المؤمنين عليه السلام على منابر المسلمين التي اشادها واقامها بجهاده وبسيفه، وكما قال الشاعر:(وَجَرْحُ السَّيْفِ يَدْمَى ثُمَّ يَعْفُو... وَجَرْحُ الدَّهْرِ مَا جَرَحَ اللِّسَانُ).[٨٤] وهو المحبوب عند الله عز وجل ورسوله صلى الله عليه وآله.

(وروى أنس بن مالك قال: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بطير جبلي، فقال: « اللهم، ائتني برجل يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله »، فإذا علي بن أبي طالب يقرع الباب، فقال أنس: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مشغول، ثم أتى الثانية والثالثة، فقال: « يا أنس، أدخله، فقد عينته » فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « اللهم؛ إلي اللهم؛ إلي » وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « أنت مني بمنزلة هارون من موسى » وذلك لما خلفه في غزوة تبوك على المدينة، فقال قوم من المنافقين كلاما لم يحسن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « إنما خلفتك على أهلي فهلا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي » وقال صلى الله عليه وسلم: « من كنت مولاه فعلي مولاه » وقال صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: « لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق » وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « من آذى عليا فقد آذاني » وقال جابر بن عبد الله: ما كنا نعرف منافقينا معشر الأنصار إلا ببغضهم علي بن أبي طالب عليه السلام وروي عن أبي عبد الله الحلبي قال: دخلت على أم سلمة فقالت لي: أيسب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكم؟ فقلت: معاذ الله فقالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من سب عليا فقد سبني » ولما آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين أصحابه وعلي عليه السلام حاضر لم يؤاخ بينه وبين أحد فقال له علي عليه السلام في ذلك فقال: « والذي بعثني بالحق ما أخرتك إلا لنفسي، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى، غير أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي »).[٨٥]

وفي فضائل الصحابة: (عن البراء بن عازب قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في سفر فنزلنا بغدير خم فنودي فينا الصلاة جامعة وكُسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد علي"فقال ألستم تعلمون اني أولى بالمؤمنين من أنفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون إني أولى بكل مؤمن

٨٢ – المصدر السابق: ٢٥٦.
٨٣ – الفصول المهمة في اصوال الائمة/ محمد بن الحسن الحر العاملي: ١، ٤٨٣.
٨٤ – شعب الايمان/ ابو بكر احمد بن الحسين البيهقي: ٩: ١٢٨.
٨٥ – الشريعة للآجري/ محمد بن الحسن الآجري:٣، ٣٣٥.

من نفسه قالوا بلى قال فأخذ بيد علي فقال اللهم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه"قال فلقيه عمر بعد ذلك فقال هنيئا لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمسيت مولى كل مؤمن ومؤمنة). (٨٦)

ومع هذه الحجج الإلهية والنبوية لأمير المؤمنين عليه السلام لم يتمكن معاوية من ان يخفي حقده وحنقه على الإسلام والقرآن المتمثل بعلي عليه السلام الذي هو نفس الرسول صلى الله عليه وآله بصريح القرآن الكريم ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾. (٨٧)

والامام الحسين عليه السلام الذي يجب عليه من باب انه امام المسلمين وحامي الشريعة، ان يدافع عن دين جده وابيه ويصلح ما افسده معاوية.

وفي مروج الذهب(عن ابن أبي نجيح، قال: لما حج معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلما فرغ انصرف معاوية إلى دار الندرَة، فأجلسه معه على سريره، ووَقَعَ معاوية في علي وشَرَعَ في سَبِّه، فزحف سعد ثم قال: أجلستني معك على سريرك ثم شرعت في سب علي، والله لأن يكون فيَّ خصلة واحدة من خصال كانت لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن أكون صهراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأن لي من الولد ما لعلي أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وآله، قال لي ما قاله يوم خيبر"لأعطينَّ الراية غداً رجلاً يحبه الله ورسوله ويحب الله ورسوله ليس بِفَرَّار، يفتح الله على يديه"أحب إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ما قال له في غزوة تبوك:"ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي"أحبُّ إلي من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وأيم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت، ثم نهض). (٨٨)

وفي تاريخ سب علي عليه السلام (كان خلفاء بني أمية يسبون علياً عليه السلام، من سنة إحدى وأربعين، وهي السنة التي خلع الحسن فيها نفسه من الخلافة، إلى أول سنة تسع وتسعين، آخر أيام سليمان بن عبد الملك، فلما ولي عمر، أبطل ذلك]. (٨٩)

والظاهر الذي لا غبار عليه في كل هذا التعصب للباطل والظلم لأهل البيت عليهم السلام ولأصحابهم وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ومن والاهم من الأوائل؛ هو اتباع الهوى الذي هو أقوى جنود ابليس، والردة عن الدين الاسلامي حقيقة وبقاؤهم تحت عباءة ورسوم الاسلام ليتمكنوا من ان يعيدوا لأنفسهم التسلط والطغيان وبهذا قال تبارك وتعالى:- ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ﴾. (٩٠)

---

٨٦ – فضائل الصحابة/ احمد بن حنبل الشيباني: ٢، ٥٩٦.
٨٧ – آل عمران: ٣،٦١.
٨٨ – مروج الذهب/ علي بن الحسين المسعودي: ١، ٣٥٤.
٨٩ – المختصر في اخبار البشر/ ابو الفداء: ١، ١٣٩.
٩٠ – آل عمران: ٣، ١٤٤.

فلولا تمسكهم الظاهري بالإسلام لما قبلهم ابناء الامة الاسلامية، وهذا الظلم والطغيان؛ لما لم يمكن انكاره وتكذيبه؛ لفظاعته وشدته وقسوته، راح اتباعهم، ومن جاء بعدهم من أبناء مدارسهم، وثقافاتهم الى اليوم، يبررون لسلفهم غير الصالح اعمالهم الظالمة، وصناعتهم الفتن والحروب وقتلهم لأبناء أهل البيت عليهم السلام ولأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وغصبهم لحقوقهم، وأعمالهم المنكرة المخالفة لأبسط قواعد وأولويات الدين الاسلامي، كشرب الخمر و... فيقولون تارة لان السلف من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ممدوحون من قِبله صلى الله عليه وآله فلا يحق لنا نقدهم أو انتقاصهم... وتارة أخرى انهم اجتهدوا فأخطاؤا!! فلهم ثواب واحد حتى في قتل يزيد (لعنه الله) الحسين عليه السلام !! والاشنع من كل هذا انهم اتبعوا سيدهم معاوية حين ابتكر في زمانه مذهب المرجئة والقدرية، فتنصيبه ولده يزيد شارب الخمر قاتل النفس المحترمة، كخليفة للمسلمين هو قضاء الله وقدره، قال هذا حينما اعترضت عليه عائشة على توليته يزيد.

واما اعمال الفسق والفجور من يزيد وغيره، فأن الله تعالى قد أرجأ محاسبتهم ولا يعاقبهم لان كل من ينطق الشهادتين فأيمانه كأيمان الملائكة لا تضر معه سيئة حتى او هدم الكعبة!!، والنتيجة يجب اطاعته وغض الطرف عن فسقه ومنكراته!!... ومن هذا المنهج المعاوي، سلك علماؤهم مبدأ اطاعة الحاكم ولو كان فاسقاً قاتلاً مجرماً، فلا يجوز الخروج على الحاكم لأي سبب من الاسباب، فالحسين عليه السلام بنظرهم خرج على الحاكم الشرعي فيجب قتله، وكل ما تقدم في هذا الامر (الاول) يرجع الى ان هذه الفرقة المعادية لأهل البيت عليهم السلام قد اتبعت هوى النفس الأمارة بالسوء، ولم تحكم العقل والمنطق السليم في جميع امورها الدينية، فابتعدت عن الرسول صلى الله عليه وآله ولم تتبعه وخالفت نصوص القرآن الكريم، فنبذته وراء ظهرها، متمسكة بأخبار تخدم اهواءها وتوجهاتها، ومتبنياها القبلية بأبعاد اهل البيت عن مناصبهم التي نصبهم بها الله تعالى.

المبحث الثاني: الامام الحسين عليه السلام سر اللّه في ارضه

المطلب الاول:

النقطة الاولى: الحسين:ـ

هو الامام المعصوم، الغصن المتفرع من شجرة النبوة والرسالة المحمدية الباسقة، فهو سليل النبوة، وعقيد الامامة والخلافة، إمام الأنام، المستدرُ بوجهه الغمام، اكمل واتم برية الله العزيز الرحمن، خيراً وفضلاً في زمانه، أطيبهم فرعاً وأصلاً، وأكرمهم شجرة، وأصلبهم عوداً، وأعلاهم منصباً، وأجلَّهم قدراً، وارفعهم درجةً ورتبة، خصَّه العزيز الجبار بالعلم والفهم، وبالشجاعة والزعامة، فهو أمام عصره وزمانه، خليفة الرحمن، وقد خصه قبل مولده وفي مولده وبعد مولده الواحد الجبار بأسرار، وفي ثورته وشهادته وبعدها لرب العزة اسرار وأسرار.

ففي ولادته عليه السلام سرٌ أراد جلَّ جلاله ان يُظهره في ولد نبيه محمد صلى الله عليه وآله كما أظهره في نبيه عيسى- عليه السلام- فقد وُلِد الحسين-عليه السلام- لستة أشهر كعيسى-عليه السلام- (وقال قتادة ولد الحسين بعد الحسن بسنة

وعشرة أشهر، لخمس سنين وستة أشهر من الهجرة. وقال: لم يُولد مولود قط لستة أشهر فعاش إلا الحسين وعيسى بن مريم عليهما السلام)[٩١]

وفي رضاعة الحسين -عليه السلام- سرُ الله عزَّ اسمه، فكيف سيعيش الطفل المولود وهو لا يرضع لا من امه ولا من مُرضعة (وقال آخرون انه عليه السلام لم ترضعه أمه ولم ترضعه أنثى واعتلت فاطمة لما ولدت الحسين وجف لبنها فطلب رسول الله مرضعة فلم يجد، فكان يأتيه فيلقمه إبهامه فيمصه ويجعل الله في ابهام رسوله رزقاً يغذيه، ففعل ذلك أربعين يوماً وليلة فأنبت الله سبحانه وتعالى لحمه من لحم رسول الله).[٩٢]

سبحانك اللهم وبحمدك يا من جعلت اسرارك في مخلوقاتك كامنة، فمن يكون هذا الحسين-عليه السلام- عندك وما شأنه لديك حتى تجعل معجزتك في ابهام نبيك صلى الله عليه وآله ليعيش، وما هذا ظاهرا الا لأمر وحادث جليل، قد قدرته، وقد قضيته في لوح محفوظ بان يثور ضد الردة الجاهلية، ويستشهد وتسبى عياله، ليبقى دينك. وما شأنه العظيم عندك حتى تجعله أحد الافراد الخمسة الذين تكون سبباً في قبولك توبة نبيك أبي البشر آدم -عليه السلام- في قولك ("فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ"[٩٣] أخرج ابن المغازلي الشافعي عن ابن عباس قال: سُئل النبي صلى الله عليه وآله عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربّه فتاب عليه، قال صلى الله عليه وآله:"سأله بحق محمد وعليّ وفاطمة والحسن والحسين -عليهم السلام- فتاب وغفر له".وقال صاحب الانصاف بعد نقله هذه الرواية؛ والحاصل أن سؤال الله بحق غيره عليه أمرٌ عظيمٌ لا يؤخذ فيه الا بأحاديث صحيحة؛ لأنه خطابٌ للرب عز وجل واثبات لحق المخلوقين عليه).[٩٤]

النقطة الثانية: الامام الحسين عليه السلام صفوة الله:-

اي قدر عظيم وجليل، واي رفعة شأن وعلو همّة، واي درجة رفيعة، وصل اليها الحسين عليه السلام؟ وايُّ مقام سامٍ حضي به الحسين-عليه السلام- عند بارئة؟ واي شمائل اتسم بها ابو الشهداء، واي عهد عقده مع الله وصدَق به حتى استشهد من اجله، واي صدق حب وعشق للقاء ربه وهو (القائل فى مناجاته:

تركت الخلق طرّا في هواكا وأيتمت العيال لكي أراكا
فلو قطعتني في الحبّ إربا لما حنّ الفؤاد إلى سواكا[٩٥]

حتى اوصله كل هذا الى ان يصطفيه الله تبارك وتعالى لنفسه. (عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليلة عرج بي الى السماء رأيت على باب الجنة مكتوباً لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله علي حب الله و الحسن والحسين صفوة الله فاطمة خيرة الله، على باغضهم لعنة الله).[٩٦]

---

٩١ – ذخائر العقبى/ محب الدين الطبري: ١، ١١٦.
٩٢ – ابو الشهداء الحسين بن علي/ عباس محمود العقاد: ٥٤.
٩٣ – البقرة: ٢، ٣٧.
٩٤ – التفهيم لشتى المعارف والمعاني/ خليل قدسي مهر: ٣٢٦. و– الانصاف في حقيقة الاولياء وما لهم من الكرامات والالطاف/ محمد بن اسماعيل الصنعاني: ١، ٥٧.
٩٥ – منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة/ خوئي مير حبيب الله بن محمد: ١، ١١.و– تزكية النفس/ كاظم الحسيني الحائري: ١،٢٧٢.
٩٦ – تاريخ بغداد/ احمد بن علي الخطيب البغدادي: ١، ٢٥٩.

النقطة الثالثة:رسول الله صلى الله عليه وآله فدى الحسين –عليه السلام– بابنه ابراهيم:–

الله تعالى اعلم ورسوله في سر الله عز وجل بان يفدي رسولهُ الكريم الحسينَ عليه السلام بابنه ابراهيم، ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾.[٩٧] ولعل السر المكنون في ذلك علمه تعالى؛ ان في بقاء الحسين عليه السلام حياً أمداً مُعيناً سوف يحيي به الإسلام المحمدي الأصيل ويبقى، فحتى اذا سبَر (الحسين عليه السلام) الأمور بنور الحقيقة، ونهي الناهي وهدى الهادي وحول الله وقوته، وبالتمسك بأذيال الاستمداد من حبل الله المتين؛ وهو حجة الله على جميع أهل الارض، عزم على ان يقدم نفسه وأهل بيته قرباناً لله تعالى من أجل تثبيت عرى الإسلام التي فصمها آل امية، وصَمَموا على القضاء على الدين الإسلامي ومحاربته باسم الإسلام.

فقد روى الخَطيب البغدادي، بسنده عن أبي العباس قال:(كنتُ عند النبي صلى الله عليه و سلم وعلى فخذه الأيسر ابنه إبراهيم وعلى فخذه الأيمن الحسين بن علي، تارة يُقبل هذا وتارة يقبل هذا، إذ هبط عليه جبريل عليه السلام بوحي من رب العالمين فلما سرى عنه قال: أتاني جبريل من ربي فقال لي: يا محمد ان ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك: لست اجمعهما لك فافد أحدهما بصاحبه، فنظر النبي صلى الله عليه وسلم إلى إبراهيم فبكى ونظر إلى الحسين فبكى ثم قال: ان إبراهيم أمُه أمَة ومتى مات لم يحزن عليه غيري، وأم الحسين فاطمة وأبوه علي بن عمي لحمي ودمي ومتى مات حزنت ابنتي وحزن بن عمي وحزنت انا عليه وانا اؤثر حزني على حزنهما، يا جبريل تقبض إبراهيم فديته بإبراهيم، قال: فقُبض بعد ثلاث، فكان النبي صلى الله عليه و سلم إذا رأى الحسين مقبلا، قبله وضمه إلى صدره ورشف ثناياه وقال: فديت من فديته بابني إبراهيم).[٩٨]

النقطة الرابعة:الحسنين عليهما السلام يصطرعان والنبي صلى الله عليه وآله يؤيد الحسن عليه السلام وجبريل يؤيد الحسين عليه السلام :–

(عن أبي هريرة عن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: كان الحسن والحسين عليهما السلام يصطرعان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"هي حسن"[٩٩] قالت فاطمة عليها السلام: لم تقول هي حسن؟ فقال:"إن جبريل يقول: هي حسين").[١٠٠]

وفي ذيل الرواية التي ينقلها صاحب كنز العمال ١٥٤/٣(ألا ترضين (يا فاطمة) ان اقول أنا هي يا حسن، ويقول جبريل: هي يا حسين، فهل لخلق مثل هذه المنزلة نحن صابرون ليقضي الله أمراً كان مفعولاً). وجبريل هو الأمين على الوحي ينقل أوامر الله تعالى وإرشاداته، فاذا كان التأييد صادراً من الله تعالى يتجلى سرٌ كامن وخفي اذ يراد اعداد الحسين عليه السلام لأمر مهم للغاية يتطلب قوة وشكيمة وصبراً

---

٩٧ – النجم: ٥٣، ٣– ٤.

٩٨ – تاريخ دمشق/ علي بن الحسن(ابن عساكر): ٥٢، ٣٢٤. و– تاريخ بغداد:٢٠٤،٢. و– نهج الحق وكشف الصدق/ الحسن بن يوسف المطهر الحلي: ١٧، ٨.

٩٩ – هي، ويقال: هيه بزيادة ها السكت في اخرها، كلمة تقال عند الاستزادة واصلها إيه بالهمزة ابدلت ها / فضائل الخمسة من الصحاح الستة:٣:٢٢٤.

١٠٠ – الاصابة في معرفة الصحابة/ ابن حجر العسقلاني:١، ٢٢٦ و– كنز العمال/ علي بن حسام الدين المتقي الهندي: ٣، ١٥٤ و– موسوعة اطراف الحديث/ تاريخ دمشق: ١٤، ١٦٥.

ومصابرةً، وعزماً وارادةً، ومثابرة. ومن ترضي النبيﷺ ابنته فاطمةعليها السلام بان جبريل يشجع ويؤيد الحسينعليه السلام دونه، نفهم ان تاييد جبرائيل افضل؛ لأنه بأمر من الله تعالى، حتى نجد ان رسول الله ﷺ يستفهم ويقول هل لخلق مثل هذه المنزلة، لكنه ﷺ يفصح بصريح العبارة ان هنالك امراً عظيماً وجليلاً شأنه، قد قدره الله تعالى للحسين عليه السلام ولا بد من ان يقضيه، يستأهل منا الصبر جميعاً.

وحسب الوقائع التاريخية يرى الباحث ان هذا الامر الجليل الخطر؛ هو ان يضحي الحسين –عليه السلام– بنفسه وأهل بيته وان تسبى عياله من أجل بقاء الإسلام حياً الى يوم القيامة.

النقطة الخامسة:ما هي دلالات ان الإمام الحسين عليه السلام محبوب النبي وانه سبط من الاسباط؟

(روى الترمذي بسنده عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: حسين مني وأنا من حسين، أُحب الله من أحب حسيناً، حسين سبط من الاسباط).[١٠١] (عن ابي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أحب الحسن و الحسين فقد احبني و من أبغضهما فقد أبغضني).[١٠٢] هنا يكشف رسول الله ﷺ عن الارتباط الوثيق والعميق بينه ﷺ وبين الحسينعليه السلام وبهذا يشير الى الامة الاسلامية؛ أن الفِتوا انظاركم وتنبهوا بعقولكم بان الحسينعليه السلام هذا ليس كأحدكم، كما لم اكن كأحدكم.

فمسؤولية وما أُلقي على عاتقه، ليست كمسؤوليتكم، والحسين–عليه السلام– الذي هو من النبي ﷺ والنبيﷺ منه، والذي أحبَّ اللهُ من أحب حسيناً، وهو السبط: أي الأمة من الخير، بهذا كله يريد رسول اللهﷺ ان يشير الى سر الله عزّ وجلَّ في الحسينعليه السلام وان الدين الاسلامي سوف لن يستقيم الا بالحسينعليه السلام بأن يكون قرباناً و فداءاً بنفسه لدين جده محمد المصطفى ﷺ، حيث مضى في طريقة الى الغاية القصوى، والهدف الأسمى، فغاص وسط الجحافل والسهام تسقط عليه كالمطر (وهو يتمثل بقول القائل: ان كان دين محمد لم يستقم... إلا بقتلي يا سيوف خذيني).[١٠٣]

فلتسجد الارض خشوعاً؛ لتضحيتك، ولتذرف السماء دماً؛ حزناً لفاجعتك، ولتنحني الجبال والعظماء ركوعاً؛ اجلالاً لثباتك، ولتهتف الناس جميعاً؛ لبيك يا مظلوم، لبيك يا حسين؛ تمسكاً بنهجك.

(وانه جاء في الحديث النبوي المبارك"ان الاسلام محمدي الوجود حسيني البقاء").[١٠٤] فدلالته اللفظية وحسب معطيات الواقع ان:(كل ما عندنا من إسلام ومسلمين بفضل تضحية وبطولة الامام الحسينعليه السلام، وهذا ما اكده واجمع عليه رواد الفكر وحملة العلم في ارجاء المعمورة، حتى قال رئيس جامع الازهر محمد عبده: لولا الحسين لما بقي لهذا الدين من اثر).[١٠٥]

---

١٠١ – سنن الترمذي: ٥، ٦٥٨. و– صحيح ابن حبان: ١٥، ٤١٣ و– بحار الانوار/ محمد باقر المجلسي:٣٧، ٧٤.
١٠٢ – الصواعق المحرقة/ احمد بن حجر العسقلاني: ١٩٢.
١٠٣ – المجالس السنية/ محسن عبدالكريم الامين الحسيني: ٤، ٢٥٤.
١٠٤ – الخصائص الحسينية/ جعفر التستري: ٢١، ٩.
١٠٥ – الحسين ريحانة النبي بطل الاسلام الخالد، ٢٥.

ويقول السيد محسن الامين(قدس سره) (لولا قتل الحسين عليه السلام، ما بقي لهذا الدين من اثر، ولولاه ما ظهر للخاص والعام كفر يزيد والحاده).[١٠٦] فهكذا اقتضت الحكمة الإلهية ان يبقى دين محمد صلى الله عليه وآله؛ بتضحية وفداء ولده الحسين-عليه السلام- فان الله عز وجل انما اجرى الامور بأسبابها كما تقتضيه سنته الإلهية في أفاق حياة الانسان من بداياتها وفي سيرها التكاملي الى نهايتها، وهكذا كانت نظرة رسول الله صلى الله عليه وآله الى ولده الحسين-عليه السلام- (وانا من حسين)، فحياة النبي صلى الله عليه وآله شاء المولى تعالى ان تستمر وان يبقى ذكره-صلى الله عليه وآله- بتضحية الحسين-عليه السلام- بعد أن عزم معاوية وولده يزيد القضاء على الإسلام وهدم اركانه، فلولا تضحية الحسين-عليه السلام- لم يبق من الإسلام الا رسمه.

المطلب الثاني:ما هو السر المكنون في مقتل الامام الحسين -عليه السلام- حتى يخبر الله عز وجل بقتله:-

فقد نزل ملكُ القطر (المطر) وجبريل يخبران عن قتلة، فمن هو الحسين-عليه السلام- حتى يغضب لقتله الله عزّ وجل؟!. سبحانك اللهم وبحمدك، يا معز الاولياء، ويا مذل الجبابرة العتاة والاشقياء، ﴿تُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ..﴾.[١٠٧].

مما درج عليه ابناء البشر، الائتلاف والاختلاف، والمحبة والضغينة، بل صار القتل والقتال من سنن الحياة الفطرية دفاعاً عن النفس ومن أجل المصالح المختلفة، فيُقتل في غمار الحروب الالاف ومنهم الأنبياء، فحدثنا القرآن الكريم والتاريخ عن ذلك كثير، لكن لم نُحطْ علماً بان أحداً من اولاد الانبياء او عامة الناس غير الحسين-عليه السلام- قد اهتم بمقتله المولى تبارك و تعالى، حتى بكته السماء دماً.

ففي الصواعق المحرقة: (أن السماء مكثت بعد قتله (الحسين) عليه السلام سبعة أيام ترى على الحيطان كأنها ملاحف معصفرة من شدة حمرتها وضربت الكواكب بعضها بعضا.. وقال أبو سعيد ما رفع حجر من الدنيا إلا وجد تحته دم عبيط ولقد مطرت السماء دما بقي أثره في الثياب مدة حتى تقطعت..

وفي رواية أنه مطر كالدم على البيوت والجدر بخراسان والشام والكوفة وأنه لما جيء برأس الحسين إلى دار زياد سالت حيطانها دما.. وأخرج الثعلبي أن السماء بكت وبكاؤها حمرتها.. قال ابن الجوزي وحكمته أن غضبنا يؤثر حمرة الوجه والحق منزه عن الجسمية فأظهر تأثير غضبه على من قتل الحسين بحمرة الأفق إظهارا لعظم الجناية).[١٠٨]

وقد اخبر تعالى بقتله (عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال استأذن ملك القطر(المطر) ربه أن يزورني فأذن له وكان في يوم أم سلمة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا أم سلمة احفظي علينا الباب لا يدخل أحد فبينا هي على الباب إذ دخل الحسين فاقتحم فوثب على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلثمه ويقبله فقال له الملك أتحبه؟ قال نعم قال إن أمتك

١٠٦ – المجالس السنية: ١، ٢٤.
١٠٧ – آل عمران: ٣، ٢٦.
١٠٨ – الصواعق المحرقة/ احمد بن حجر الهيثمي المكي: ١٩٤.

ستقتله وإن شئت أريك المكان الذي يقتل به فأراه فجاء بسهلة أو تراب احمر فأخذته أم سلمة فجعلته في ثوبها،... وفي رواية الملا وابن أحمد، قالت ثم ناولني كفا من تراب أحمر وقال إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها فمتى صار دما فاعلمي أنه قد قتل.. فوضعته في قارورة.. فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دما... فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول:

أيهـــا القـــاتلون جهـــلا حســـينا أبشـــروا بالعـــذاب والتـــذليل
قـــد لعنـــتم علـــى لســـان ابـــن داود وموســـى وحامـــل الإنجيـــل[١٠٩]

فلا عجب أن يهتم الله عز وجل وملائكته بمقتل الحسين -عليه السلام- الزكي اشبه الخلق بالنبي صلى الله عليه وآله مستعلي المحامد والمفاخر، احرز اعلى المعالي و ابهى المفاخر، كريم الاصل، طيب العرق، حبيب الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله، سيد شباب اهل الجنة، ضحى بنفسه واولاده واخوته واهل بيته، وسبي عياله؛ من اجل اعلاء كلمة"لا اله الا الله محمداً رسول الله"، وآثر ذلك كله على طاعة الفسقة اللئام، فقد كان عليه السلام ينظر الى اهل بيته وانصاره مجزرين كالأضاحي يسفي عليهم الذاري على رمضاء كربلاء، ولكن بعزة المتفاني في ذات الله، وبكرامة ابي الضيم، كان يخاطب معشوقه فيقول: (اللهم انت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وانت فيما نزل بي ثقة، وانت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة)[١١٠] (ولما اشتد به الحال رفع طرفه الى السماء وقال: صبراً على قضائك يا رب لا اله سواك يا غياث المستغيثين).[١١١]

المبحث الثالث:مراقبة الامام الحسين عليه السلام لبدع بني امية

بدأ الثالوث المشؤوم الذي ذكرناه في المبحث الاول!! يتحرك بعد وفاة الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله حيث كان يتحين الفرص للانقضاض على كل ثوابت الاسلام وانجازاته، فبدأت موجات التشكيك المسيحية واليهودية تعصف على عاصمة الدولة الاسلامية (المدينة المنورة)، وكذلك حركات الرجوع الى الاستئثار بالثروة والملك و... لكن هذا الثالوث اجتمع بأوضح صورة في السلطان الاموي وبالأخص في يزيد الفاسق، حيث خلط الكفر بالإسلام، والاستحواذ على اموال المسلمين، والتجاهر بالفساد وشرب الخمر، فان معاوية ويزيد أعاداها وممن تبعهم من الامويين، قيصرية فرعونية كسرويه.

المطلب الاول:الانتكاسة الكبرى وبداية السقوط:-

بعد ان تمكن الرسول الاعظم محمد صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام من ان يصنعوا خير أمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.[١١٢] لم يرق لبني امية ان يروا راية الايمان تعلوا وان دوحة الاسلام ترتفع وتزهوا، فأخذ الحزب الاموي يستحوذ على جهاز الحكم وادواته،

١٠٩ – المصدر السابق: ١٩٢– ١٩٣.
١١٠ – سير اعلام النبلاء/ شمس الدين محمد بن احمد الذهبي: ٣، ٣٠١.
١١١ – مقتل الحسين عليه السلام/ عبد الرزاق الموسوي المقرم: ٢٨٣.نقلا عن اسرار الشهادة: ص٤٢٣.
١١٢ – آل عمران: ٣، ٣٠١.

ويتحرك باتجاه يتناقض مع مبادئ الاسلام كليةً، فسعى لإعادة الامة الى الجاهلية الاولى﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾.[١١٣] فأولاً بدأ بإعادة الفئة التي حاربت الاسلام والتي ابعدها رسول الله صلى الله عليه وآله عن مواقعها التي كانت تشغلها سواء كانت اقتصادية او سيادية او اجتماعية، فأعادها الى مواقعها الاولى ومراكزها في السلطة زمن الكفر والجاهلية الاولى، لكن من موقع أقوى، موقع الشرعية والقدسية في نظر المسلمين وهو موقع الخلافة الاسلامية، بل قامت السلطة الاموية بعزل الطبقة المؤمنة الموالية لأهل البيت عليهم السلام والتي بُني عليها الاسلام وإبعادها.

وسعى الامويون الى اشاعة الخرافة، والظلم والفساد، بل واستئصال الاسلام من جذوره، فالفضائح والوقائع الى اتسم بها الامويون شاهد على ذلك، باتخاذ الدين والشرع وسيلة لقمع حركات المسلمين المطالبة بتطبيق الاسلام من قِبَل الخلفاء... ولقد اتخذ الامويون، مسألة القدر، أداة لتبرير اعمالهم السيئة فكانوا يُرجعون تسلطهم وشتى انواع العبث والفساد الى القدر، فقد قال ابو هلال العسكري: (وروي أن معاوية أول من زعم أن الله يريد أفعال العباد كلها).[١١٤] وبمثل هذا أجاب معاوية عبدالله بن عمر، عندما استفسر منه عن تنصيبه يزيد قائلاً:- (إني احذرك أن تشق عصا المسلمين وتسعى في تفريق ملتهم وأن تسفك دماءَهم، وان أمر يزيد قد كان قضاءً من القضاء وليس للعباد خيرةٌ من أمرهم).[١١٥] وكمَ الحزب الاموي الأفواه، ونال كل من عارض فكرة القدر، القتل والتنكيل كمعبد الجهني وغيلان الدمشقي، حتى سادت هذه الفكرة عند الناس.

فقد روى الخطيب البغدادي، عندما ذكر قصة الخوارج في النهروان لعائشة فقالت:(ما يمنعني ما بيني وبين علي أن أقول الحق سمعت النبي صلى الله عليه و سلم يقول: تفترق أمتي على فرقتين تمرق بينهما فرقة محلقون رؤوسهم محفون شواربهم أزرهم إلى أنصاف سوقهم يقرؤون القرآن لا يتجاوز تراقيهم يقتلهم أحبهم إلي وأحبهم إلى الله تعالى قال فقلت يا أم المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلم كان الذي منك!! قالت يا أبا قتادة وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وللقدر أسباب).[١١٦]

وقد وضعوا الاحاديث الكاذبة على رسول الله صلى الله عليه وآله (دخل الزهري على الوليد بن عبدالملك، فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام، أن الله إذا استرعى عبدًا رعيته كتب له الحسنات واسقط عنه السيئات، قال الزهري: باطل يا أمير المؤمنين).[١١٧] وروج الامويون الباطل، والزنا والخمر وغشيان الامهات، والغناء واللعب بالقرود، وقتلوا الصحابة والصالحين أمثال: حجر بن عدي وميثم التمار ورشيد الهجري و... وتجاهروا بالإلحاد الذي لم يستأصله الاسلام من نفوسهم، الذي كان يظهر على فلتات السنتهم بين الفينة والاخرى، فلننظر الى نزعة الالحاد عند ابي سفيان: (وروي عن الحسن أن أبا سفيان

---

١١٣ – المائدة: ٥، ٥٠.
١١٤ – الاوائل للعسكري: ١، ١١٤.
١١٥ – الامامة والسياسة / ابن قتيبة الدينوري: ١، ٢٨٢.
١١٦ – تاريخ بغداد/ احمد بن علي الخطيب البغدادي: ١، ٢٨٢.
١١٧ – الاستشراق وموقفه من السنة / أ- د فالح بن محمد الصغير: ١، ٢٠ و- العقد الفريد/ ابن بد ربه: ١- ١٨.

دخل على عثمان حين صارت الخلافة اليه فقال: قد صارت إليك بعد تيم وعدي فأدرها كالكرة واجعل أوتادها بني أمية فإنما هو الملك ولا أدري ما جنة ولا نار فصاح به عثمان قم عني فعل الله بك وفعل، وله أخبار من نحو هذا ردية ذكرها أهل الأخبار لم أذكرها وفي بعضها ما يدل على أنه لم يكن إسلامه سالماً).[١١٨]

(ومر ابو سفيان بقبر حمزة وضربة برجله وقال: يا أبا عمارة إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس، صار في يد غلماننا يتلعبون به).[١١٩] واما مروان بن الحكم:- قال ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة نقلاً عن شيخه ابي جعفر (فأما مروان بن الحكم فأحقر وأقل من أن يذكر في الصحابة...لأنه كان مجاهرا بالإلحاد، هو وأبوه الحكم بن العاص وهما الطريدان اللعينان، كان أبوه عدو رسول الله صلى الله عليه وآله... إلى أن طرده رسول الله صلى الله عليه وآله عن المدينة... و أما مروان ابنه، فأخبث عقيدة وأعظم إلحاداً وكفراً).[١٢٠]

النقطة الاولى:النزعة الإلحادية عند يزيد بن معاوية:-

كانت النزعة الالحادية عند يزيد من سماته البارزة، وكانت تنفلت على لسانه، وبالأخص في شعره ومواقفة، كقتاله الحسين عليه السلام واباحته المدينة المنورة لجند الشام، وضربه الكعبة بالمنجنيق، وهذا يكشف عن عمق النزعة الإلحادية في نفسه، وأفظعها نكثه راس الحسين عليه السلام بالخيزران في مجلسه وهو على منظرة بجيرون بعد وقعة الطف.. (فقال ابو برزة الأسلمي، من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتنكث بقضيبك في ثغر الحسين: أما لقد أخذ قضيبك من ثغره مأخذاً!! لربما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يرشفه: أما إنك يا يزيد تجيء يوم القيامة وشفيعك ابن زياد).[١٢١] وانشد يزيد وهو ينكث ثنايا سبط الرسول صلى الله عليه وآله بالقضيب.

ليت أشياخي ببدر شهدوا ... جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلوا واستهلوا فرحاً ... ثم قالوا يا يزيد لا تشل[١٢٢]
لست من خندف إن لم انتقم ... من بني أحمد ما كان فعل
لعبت هاشم بالملك فلا ... خبر جاء ولا وحيٌ نزل
قد قتلنا القرم من ساداتهم ... وعدلناه ببدر فاعتدل[١٢٣]

١١٨ – الاستيعاب في معرفة الاصححاب/ ابن عبد البر: ٢، ٣٧.
١١٩ – تأملات في زيارة وارث الانبياء/ محمد مهدي الآصفي: ٤١.
١٢٠ – شرح نهج البلاغة / عز الدين ابي حامد ابن ابي الحديد المعتزلي: ٤، ٧١.
١٢١ – وقعة الطف / ابي مخنف لوط الازدي:٢٦٩.
١٢٢ – المنتظم/ ابن الجوزي: ٢، ١٩٩.
١٢٣ – مقتل الحسين للخوارزمي: ٢، ٧٠ و– مقاتل الطالبيين/ ابو الفرج الاصفهاني: ٨٠، نقل البيت الاول والاخير.

النقطة الثانية:اتخاذ الامويين مذهب المرجئة أداةً تبريرية لأعمالهم السيئة:-

وتجاهر بنو أمية بالخلاعة والمجون، وتبذير أموال المسلمين، والدعارة والغناء والسكر والاستهتار وكل هذا صار شائعاً في قصور خلفاء بني أمية، (وكان معاوية أول خليفة يدخل الخمر في قصره).[١٢٤] واعتمدوا لتبرير اعمالهم هذه مذهب المرجئة القائل (الايمان قولٌ بلا عمل.. فلو ان احداً ذبح أباه وأمه وأخاه واحرقهم بالنار، أو زني وسرق أو احرق المصاحف أو هدم الكعبة...أو أتى اي كبيرة فان ذلك لا يفسد عليه ايمانه ولا يخرجه منه... وانه اذا اقر بلسانه بالشهادتين انهُ مستكمل الايمان، ايمانه كإيمان جبريل وميكائيل عليهما السلام فعل ما فعل وارتكب ما ارتكب مما نهى الله عنه).[١٢٥] وفيما روي عن سعيد ابن جبير قال ﴿المرجئة يهود هذه الأمة﴾.[١٢٦] لقد اعطى بنو أمية المناصب السامية لأولاد الزنا والفسقة واعداء رسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته-عليهم السلام-!! واعتنوا بالمتمردين على احكام الله تعالى!! وقاموا بمصادرة الحريات والاموال.

والامام الحسين عليه السلام، معدن العز والكرامة، والوفاء منهل الايمان الصادق، امام الامة، المكلف من صاحب الشريعة عز وجل بحمايتها والحفاظ عليها، والدفاع عنها، يرى ويسمع بكل مفردات هذا الانقلاب عن الدين،

والردة الى الجاهلية الاولى، فما عساه الا ان يقف بوجه هذا الانحراف، رافعاً راية جده محمد صلى الله عليه وآله ليستنقذ الامة من الجهالة وحيرة الضلالة، وليوصد الابواب بوجه هذه الردة الجاهلية، وهو يعلم ان ذلك سيكلفه سفك دمه ودم اهل بيته.

المطلب الثاني:شهادات وشواهد تاريخية:- ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ اَهْلِهَا﴾".[١٢٧]

١- انساب الاشراف:

(كان يزيد بن معاوية أول من أظهر شرب الشراب والاستهتار بالغناء والصيد واتخاذ القيان والغلمان والتفكه بما يضحك منه المترفون من القرود والمعاقرة بالكلاب والديكة ثم جرى على يده قتل الحسين، وقتل أهل الحرة، ورمي البيت وإحراقه، وكان مع هذا صحيح العقدة(هكذا في المصدر، ولعل المراد صحيح العقيدة) فيما يرى، ماضي العزيمة لا يهم بشيءٍ إلا ركبه).[١٢٨]

٢- ثورة الحسين:

(ونشأة يزيد المسيحية، او القريبة من المسيحية، جعلته أضعف ما يكون صلة بالعقيدة التي يريد أن يحكم الناس باسمها أعني الاسلام، وحياة التحلل التي عاشها قبل أن يلي الحكم والانسياق مع

١٢٤ - تأملات في زيارة وارث الانبياء: ٤٩.
١٢٥ - بحوث في الملل والنحل/ جعفر سبحاني: ٣، ٩٤.
١٢٦ - المصدر السابق: ٣، ٩٥.
١٢٧ - يوسف: ١٧، ٢٦.
١٢٨ - انساب الاشراف / البلاذري: ٢، ١٧٧.

العاطفة، وتلبية كل رغباته، كل ذلك جعله عاجزاً عن التظاهر بالورع والتقوى، والتلبُس بلباس الدين بعد أن حكم المسلمين...ومن ثم سيقبل الناس بلا تردد تبرير الحسين وأنصاره لثورتهم بحماية الدين، وإنقاذ المسلمين من جور الأمويين).[١٢٩]

٣- الفخري في الآداب السلطانية:

(وكان يزيد بن معاوية أشد الناس كلفاً بالصيد لا يزال لاهياً به، وكان يُلبس كلاب الصيد الأساور من الذهب والجلال المنسوجة منه، ويهب لكل كلب عبداً يخدمه).[١٣٠]

٤- الفخري في الآداب السلطانية:

(ثم ملك بعدهُ ابنهُ يزيد، كان موفر الرغبة في اللهو والقنص والخمر والنساء... كانت ولايته على أصح القولين ثلاث سنين وستة أشهر. ففي السنة الأولى قتل الحسين بن علي، عليهما السلام، وفي السنة الثانية نهب المدينة وأباحها ثلاثة أيام، وفي السنة الثالثة غزا الكعبة).[١٣١]

٥- مروج الذهب:

(فسوق يزيد وعماله: وكان يزيد صاحب طرب وجوارح وكلاب وقُرُود وفهود ومنادمة على الشراب، وجلس ذات يوم على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين، فأقبل على ساقيه فقال:

اسْــقِنِي شَــرْبَةً تُــرَوِّي مَشَاشِــي ثم مِــلْ فاســق مثلهــا ابــن زياد
صــاحب الســرّ والأمانــة عِنْــدِي ولتســديد مغنمــي وجهــادي

ثم أمر المغنين فغنوا به، وغلب على أصحاب يزيد وعماله ما كان يفعله من الفسوق، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة والمدينة، واستعملت الملاهي، وأظهر الناس شرب الشراب).[١٣٢]

٦- تاريخ الخلفاء:

(وفي سنة ثلاث وستين كانت وقعة الحرة على باب طيبة ما كاد ينجو منهم أحد.. ونهبت المدينة وافتض فيها ألف عذراء، وكان سبب خلع أهل المدينة له أن يزيد أسرف في المعاصي وأخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إنه رجل ينكح أمهات الأولاد والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة).[١٣٣]

٧- مروج الذهب:

(أن الوليد ألحد في شِعْرٍ له:

---

١٢٩ - ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية واثرها الانسانية / محمد مهدي شمس الدين: ١١٦ – ١٦٧.
١٣٠ - الفخري في الآداب السلطانية: ١، ١٦.
١٣١ - المصدر السابق: ١، ٤١.
١٣٢ - مروج الذهب / علي بن الحسين بن علي المسعودي: ١، ٣٧٧.
١٣٣ - تاريخ الخلفاء/ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: ١، ٨٥.

تلعـــــبَ بالخلافـــــة هـــــاشمي　　بـــــلا وَحْـــــيٍ أتاه ولا كتـــــاب
فقـــــل للهِ يمنعـــــني طعـــــامي　　وقـــــل للهِ يمنعـــــني شـــــرابي!! [١٣٤]

المطلب الثالث: موقف الامام الحسين عليه السلام من ارهاصات الردة"

ان موقفه عليه السلام هو موقف القرآن الكريم ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.[١٣٥] ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾.[١٣٦] وموقف جده رسول الله صلى الله عليه وآله [من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع أن يغيره بيده فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان].[١٣٧]

لقد كاد الانحراف في الامة ان يكون ديناً زمن يزيد والامام الحسين عليه السلام المكلف بحماية الشريعة، يراقب ما يحاك لأمة جده صلى الله عليه وآله من استئصال للقيم والمبادئ الاساسية، وقتل وتشريد وابعاد للذين اقاموا صرح الدين الاسلامي بجهودهم المضنية ودمائهم الزكية وجراحاتهم التي لم تندمل بعد...وهو عليه السلام الذي اجتمع له من صفات الكمال، ومحمود الشمائل والخلال، وسناء ورفعة الحسب وكريم الشرف، مع طهارة الفطرة النقية، والنفس الراضية المرضية، ما لم يتهيأ لغيره من افذاذ ورؤوس الرجال، فقد تحدر من اكرم واشرف المناسب، وانتهى الى أطيب الاعراق.

فأبوه علي عليه السلام لم يسجد لصنم، اول الناس اسلاماً، امير المؤمنين، يعسوب الدين، اخي رسول رب العالمين، وجده ابو طالب عظيم المشيخة من قريش، حامي رسول الله صلى الله عليه وآله وفاديه، وجده عبد المطلب، أمير مكة المكرمة وسيد البطحاء، من هامات بني هاشم واعيانهم، وجده الاقرب محمد صلى الله عليه وآله حبيب رب العالمين، وهو ابن الرسالة يفقه قوله حين يروي عن جده صلى الله عليه وآله (من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله إن يدخله مدخله).[١٣٨]

ولهذا نجده عليه السلام حين واجه هذه المأساة المحدقة بأمة جده صلى الله عليه وآله؛ وهو سر الله تعالى المذخور لهذا اليوم لاستنهاض الأمة وكسر حاجز الخوف الذي هيمن عليها بسبب طغيان وظلم بني أمية، قد علم بدرايته عليه السلام ان الكلمة والخطابة لا تنفع، صمم عليه السلام على ان يكون الناطق والخطيب الذي يهز ويقوض عرش بني أمية؛ ويوقظ الضمائر الحرة هو الدم وخاصة اذا كان مثل دمه الطاهر:

هـــذي دمـــاك علـــى فمـــي تـــتكلم　　مـــاذا يقـــول النطـــق اذا نطـــق الـــدم

١٣٤ – مروج الذهب: ١، ٤٤٢.
١٣٥ – آل عمران:٣، ١١.
١٣٦ – النساء: ٤، ٧٦.
١٣٧ – جامع الاحاديث / جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي: ٢٠، ٣٢٧.
١٣٨ – تاريخ الطبري: ٣، ٣٠٧ و– الكامل في التاريخ/ علي بن ابي الكرم المعروف بابن الاثير: ٢، ١٦٥.

فعزم بروح مطمئنة، كأن القتل عندها اطيب من رقدة الوسنان، وألذ وأهنئ من شربة الظمآن، فخفت في ابحر الأفكار وسبحت في لججها الغامرة وعند أمواجها المتلاطمة، مستجيبة لأمر بارئها، ويظهر هذا حين قال عليه السلام للوليد بن عتبة، عامل يزيد على المدينة لما دعاه الى مبايعة يزيد (أيها الامير! أنت تعلم انّا اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحل الرحمة وبنا فتح الله وبنا ختم، و يزيد رجل فاسق شارب للخمر قاتل النفس المحرمة معلن بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننتظر وتنتظرون أينا أحق بالخلافة والبيعة).[١٣٩] فكان عليه السلام طبيباً حاذقاً شخص مرض بني أمية فهم غدة سرطانية في جسم الامة الاسلامية لا علاج لها الا الكي والاستئصال.

وهنا يشير صاحب تفسير المنار، الى موقف الامام الحسين عليه السلام هذا بقوله (إِذَا وُجِدَ فِي الدُّنْيَا حُكُومَةٌ عَادِلَةٌ تُقِيمُ الشَّرْعَ وَحُكُومَةٌ جَائِرَةٌ تُعَطِّلُهُ، وَجَبَ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ نَصْرُ الْأُولَى مَا اسْتَطَاعَ.. ثم قال، وَمِنْ هَذَا الْبَابِ خُرُوجُ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ سِبْطِ الرَّسُولِ صلى الله عليه وآله عَلَى إِمَامِ الْجَوْرِ وَالْبَغْيِ الَّذِي وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ بِالْقُوَّةِ وَالْمَكْرِ، يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ خَذَلَهُ اللهُ وَخَذَلَ مَنِ انْتَصَرَ لَهُ مِنَ الْكَرَّامِيَّةِ وَالنَّوَاصِبِ).[١٤٠]

وقال الاستاذ عباس محمود العقاد: (إن مسألة العقيدة في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة، وأنه كان رجلا يؤمن أقوى الايمان بأحكام الإسلام ويعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو اكبر بلاء يحيق به، وبأهله وبالأمة قاطبة في حاضرها و مستقبلها).[١٤١]

فقراءة الأمام الحسين عليه السلام للأوضاع تتضح حينما قال له مروان (إني آمرك ببيعة يزيد أمير المؤمنين فانه خير لك في دينك ودنياك. فقال الحسين عليه السلام: إنا لله و إنّا اليه راجعون، وعلى الإسلام السلام، إذ قد بُليت الأمة براع مثل يزيد، ولقد سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:[الخلافة محرمة على آل أبي سفيان].[١٤٢]

وكتب يزيد الى عتبة بن ابي سفيان كتاب، ومما فيه (...وليكن مع الجواب رأس الحسين بن علي فبلغ ذلك الحسين، فهم بالخروج من ارض الحجاز الى ارض العراق، فلما اقبل الليل راح الى مسجد النبي صلى الله عليه وآله ليودع القبر فلما وصل...فقام يصلي فأطال فنعس وهو ساجد فجاءه النبي صلى الله عليه وآله وهو في منامه فأخذ الحسين عليه السلام وضمه الى صدره وجعل يُقبل عينيه ويقول بأبي أنت!! كأني اراك مُرملاً بدمك بين عصابة من هذه الامة يرجون شفاعتي مالهم عند الله من خلاق، يا بني إنك قادم على أبيك وامك واخيك وهم مشتاقون إليك وان لك في الجنة درجات لا تنالها الا بالشهادة).[١٤٣]

فهذه البشارة من جده الاعظم صلى الله عليه وآله والتي اخبرته بها سابقاً ام سلمه بانه مقتول في كربلاء؛ يكمن وراءها سرٌ إلاهي عظيم سيتضح بنتائج ومعطيات شهادته وما سيؤول بعدها من فضح وكشف خيوط

---

١٣٩ – معالي السبطين في احوال الحسن والحسين عليهما السلام / محمد مهدي الحائري:١، ٢٠٧ و– كلمات الامام الحسين عليه السلام / محمود الشريفي: ١، ٢٨٠.

١٤٠ – تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)/ محمد رشيد بن علي رضا، ١، ٣٦٧ ٠ و– ٢، ١٨٣.

١٤١ – ابو الشهداء الحسين بن علي/ عباس محمود العقاد، ١١٥.

١٤٢ – اكسير العبادات في اسرار الشهادات/ اغا بن عابد الشيرواني: ٢، ١٢.

١٤٣ – أمالي الصدوق / ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي: ١٣٠.

الردة الجاهلية التي تبناها آل ابي سفيان، ومن ان شجرة الاسلام الباسقة تحتاج الى سقاء يرويها دم الحسين عليه السلام ريحانة رسول الله؛ به سيهتز ويصحو ضمير الامة، ويوقظها من غفلتها، ويبصرها في كيد يزيد بها وبالدين، ومن تقويض حكم بني أمية وحصول الثورات ضد حكمهم، وبعد خروجه من المسجد جمع عياله واهل بيته وساربهم نحو العراق، وكتب كتاباً [بسم الله الرحمن الرحيم من الحسين بن علي الى بني هاشم، أما بعد فأنه من لحق بي منكم استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح، والسلام].(١٤٤)

النقطة الاولى:دوافع الامام الحسين عليه السلام واهدافه من الثورة:-

١- إقامة الحكومة الاسلامية والتي هي هدف جده صلى الله عليه وآله وجميع الانبياء عليهم السلام.

٢- إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث قال عليه السلام (وأني لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا مفسدا ولا ظالما؛ وإنما خرجت لطلب الاصلاح في امة جدي، اريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر).(١٤٥)

٣- إعادة الاحكام والسنة التي محقها يزيد وأبوه: (أخرج الواقدي من طرق أن عبد الله بن حنظلة بن الغسيل قال: و الله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن يرمى بالحجارة من السماء! إنه رجل ينكح أمهات الأولاد و البنات و الأخوات و يشرب الخمر و يدع الصلاة).(١٤٦)

٤- الحفاظ على الوجود الاسلامي حيث أخذ الامويون القضاء عليه بقتل ابنائه.

النقطة الثانية:الامام الحسين عليه السلام يفي بعهده لله عز وجل في ارض كربلاء:-

كانت جماعة الحسين عليه السلام قليلة مقابل فئة كبيرة، لكن جسّدّ الإمام الحسين عليه السلام واصحابه في كربلاء دروساً وعبر، وملاحم البطولة والإباء والفداء والخُلُق العظيم وسمو النفس وتعالي الهمه، والذوبان في ذات الله تعالى وتقبلهم للموت المحتوم وكأنه أحلى من الشهد، وفداء الاصحاب لإمامهم عليه السلام وتسابقهم نحو سوح الجهاد، حتى الصغير منهم ومن لم يبلغ الحلم، كل هذا كان سمة عسكر الحسين عليه السلام، ففيه الاريحية والصدق وخلوص النية وصدق الايمان وعفة النفس وحب القائد، والمعرفة بالدين وبالرسول وابنائه، لذاك كان النزال بين معسكرين، الاول هذه سماته وصفاته وشمائله، اما معسكر بني أميه، فكان يسوقهم الطمع الدنيوي الرخيص، فقد باعوا دينهم بثمن بخس، بعطاءٍ موعود، فعمر بن سعد وُعِد بولاية الري مقابل قتله الحسين ولم يصبها، فكانوا يحاربون امامهم الذي دعوه ومنّوه بالقدوم الى كربلاء، فلم يكن منهم من يظهر الكفر علناً، فحاربوا دينهم وما يؤمنون به من أجل بطونهم، لذاك كانت سماتهم سمات الشامت المنتقم من نفسه وذاته المؤنب لها بارتكاب ما لا يصح و لا يؤمن به، والا فما مضى قتلهم الطفل الرضيع، وحرقهم الخيام وقطعهم الرؤوس وحرمانهم الحسين واهل بيته من الماء، وما معنى ان يدوسوا جسد الحسين بالخيول!! الا ان يكونوا في نفوسهم قد اقروا بذنبهم، وخسة فعلهم؛ فأرادوا ان يُوغلوا في الجريمة معاكسة لضمائرهم ومحاربة لذواتهم، التي لا تؤمن بفعل شنيع واحد مما فعلوه، وهم يرون

١٤٤ - حلية الابرار في فضائل محمد واله الاطهار/ هاشم البحراني: ١، ٦٠٠.
١٤٥ - العوالم، الامام الحسين عليه السلام / عبد الله البحراني، ١، ٨٠.
١٤٦ - تاريخ الخلفاء/ جلال الدين السيوطي:٢٤٩.

ان الامام الحسين عليه السلام الذي دعوه لينصروه، يعرفهم نفسه، انا ابن بنت رسول الله انا سبط رسول الله، ويخاطبهم بلسان الهادي المرشد، ويبكي عليهم لانهم سيدخلون النار بسبب قتله.

ومشكلتنا اليوم كما كانت زمن يزيد المغالطة وخلط الاوراق، فالحزب المعاوي، كما قال يزيد للحسين اما تُبايعني أو تقتل، وابيّ الضيم عليه السلام، يعرف ان مبايعته يزيد تعني اقراره على شربه الخمر، واقرار معاوية على سب الأمام علي عليه السلام. لكن الحسين عليه السلام يعلم ان في شهادته سر إلهي يكمن في بقاء الإسلام المحمدي الاصيل حيا طرياً، وهو القائل:-

سأمضي فما بالموت عار على الفتي اذا ما نوى حقاً وجاهد مسلما[١٤٧]

وبقي بشهادته عليه السلام مذهب أهل البيت عليهم السلام، رافعاً راية الحسين عليه السلام مجاهداً الظلم والطغيان، رافضاً الذل والخنوع والخضوع، فانظر الى عبدة الاستكبار والطواغيت والعمالة والتذلل لقوى الكفر العالمي اليوم، والتخريب والقتل للمسلمين لا يصدر الا من ابناء الجهة الاخرى اتباع يزيد ومريديه، فما قدر وقيمة الملايين ممن يُسَمون انفسهم مسلمين اليوم، وهم اخلص من المستكبرين الكفرة والصهاينة الى انفسهم!! وبالمقابل تراهم يعادون شيعة أهل البيت عليهم السلام !! الذين يرفعون راية الحسين عليه السلام المعادية للاستكبار العالمي و للصهاينة الغاصبين لأولى القبلتين.

النقطة الثالثة:من هو المنتصر؟ الحسين ام اصحاب الردة الجاهلية؟:-

النصر لا يقاس عند ذوي المبادئ والقيم السماوية بالنصر المادي، بقتل العدو واحتلال الارض وبالغنائم، وانما يقاس بالنتائج المستقبلية، فالفتح الذي عناه الحسين عليه السلام في رسالته لبني هاشم قد تحقق على ارض الواقع من خلال شواهد:

١- زوال دولة بني امية بعد شهادة الامام الحسين عليه السلام فلم تَدُم بعده الا اقل من ستين سنة.

٢- اعتراف الأمة وحتى الذين قاتلوا الحسين عليه السلام بأحقية الحسين عليه السلام؛ لذلك حدثت ثورات التوابين وثورة المختار و المدينة و...فقد استيقظ ضمير الامة، وعرفوا مثالب بني امية ودجلهم وحربهم للإسلام.

٣- انتقم الله عز اسمه من كل الذين قتلوا الحسين فلم يبقَ منهم أحد الا قتل.

٤- والاهم من كل ذلك تحققت اكثر اهداف الامام الحسين عليه السلام، فقد ثار السيد الامام الخميني (قدس سره) رافعاً راية جده الحسين عليه السلام وحقق النصر واسس لأقوى دولة للشيعة (الجمهورية الاسلامية الايرانية) ترفع راية الحسين شعاراً لها، وتقف شامخة بوجه عنجهية ودجل الحزب الاموي، فقد قال الامام الخميني (قدس سره): (محرم وصفر هما اللذان حفظا الاسلام حياً).[١٤٨]

٥- الشهادة جانب اغراء لم يعرف مقامها الا الله والشهداء، فبالشهادة قد يحصل الفتح الذي هو اعم من النصر المادي فالحسين عليه السلام لم يكن منتصراً مادياً بل كان فاتحاً، بانتصار اهدافه ولو بعد حين، فلم يُعبر عن واحدة من معارك الرسول صلى الله عليه وآله بالفتح، بينما عبر القرآن الكريم عن غزوة مكة بالفتح، وان لم

١٤٧ - أمالي الصدوق: ١٣٠.

١٤٨ - نهضة عاشوراء/ روح الله بن مصطفى الخميني: ٢٤.

يحصل بها قتال ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.[١٤٩] ولم يحصل لقتيل الفتح الا للحسين عليه السلام: [دخل زين العابدين المدينة باهله وعياله، وجاء اليه ابراهيم بن طلحة ابن عبيد الله وقال: من الغالب؟ فقال عليه السلام: اذا دخل وقت الصلاة فأذِّن وأقم تعرف الغالب].[١٥٠]

فان يزيد سعى لإطفاء نور الله تعالى، وابوه سعى لنقض مساعي رسول الله صلى الله عليه وآله واماتت الشهادة له بالرسالة الواجبة في الصلاة اليومية، فهو صلى الله عليه وآله قد هدم اركان الشرك وابطل عبادة الاصنام.

٦- ببركة دم الحسين عليه السلام واشعاعاته، نشاهد الملايين من الناس يتمسكون بنهج الحسين عليه السلام ففي زيارة الاربعينية وكما قيل هذا اليوم ٢٠ / صفر/ ١٤٣٦هـ، ان عدد الزوار بلغ عشرون مليون زائر، وان عدة ملايين منهم من خارج العراق، وشارك حتى غير المسلمين...وتزايد عدداً وتعاظم فكراً منبر رسول الله صلى الله عليه وآله باسم الحسين عليه السلام يدعو الى الاسلام ومبادئه وقيمه السامية، وتزداد مواضيعه تألقاً وابداعاً وتجدداً وسعةً ودقة، في البحث والمسألة المعرفية، بل نلاحظ جلياً التطور العظيم في المادة البحثية، وتعدد المشكلة البحثية، وتنوع اتجاه فرضيات البحث، والاختلاف في نمط ومنهجية المادة والمسألة المبحوثة. واهداف الجميع هو تنوير اذهان ابناء الامة الإسلامية الغافل بعضها عن معرفة الاسلام والحسين واهدافه.

وما هذا العطاء العظيم؛ الا ببركة دم الحسين عليه السلام لأنه اندك في ذات الله تعالى، ففي اليوم العاشر يرفع يديه عليه السلام فيقول [اللهم أنت ثقتي في كل كرب، ورجائي في كل شدة، وأنت فيما نزل بي ثقة، وأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة].[١٥١]

٧- شعار يا حسين اصبح اليوم يقض مضاجع الطغاة والجبابرة، وغدا انشودة تتغنى بها حناجر الملايين من الثوار والمطالبين بحقوقهم في ارجاء المعمورة.

نتائج البحث:

١- الانسانية اليوم في سعادتها وعزتها بحاجة الى الاقتداء بمبادئ وقيم واخلاق وإباء الامام الحسين عليه السلام.

٢- ان عداء بني أمية لرسول الله صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام كان من بداية الدعوة الاسلامية المباركة، واستمر الى اليوم باتباع مدرسة معاوية.

٣- ان المشكلة اليوم عند اتباع بني أمية، انهم لا يتبعون ما قاله النبي صلى الله عليه وآله والعلماء السابقون بحق بني أمية بل يغضون الطرف عن مثالب الصحابة والحكام اجمع، ويرفضون اكثر فضائل أهل البيت عليهم السلام.

٤- اتباع بني أمية، تزكي قاتل الصحابي من أهل البيت عليهم السلام ومحبيهم، ومَن سب علياً عليه السلام تجعل له اجراً!! بينما تحكم بالكفر على من يسب الصحابي من غيرهم.

---

١٤٩ - النصر: ١١٠، ١.
١٥٠ - الامام السجاد عليه السلام جهاد وامجاد /حسين الحاج حسن: ١، ١.
١٥١ - سير اعلام النبلاء/ شمس الدين محمد الذهبي: ٢، ٣٠١.

٥- ان سبب عداء بني أمية للإسلام وأهله، أنهم بقوا متمسكين مدافعين عن مبادئ ومعتقدات الجاهلية الاولى.

٦- في الحسين عليه السلام اسرار لله عز وجل، في ولادته ورضاعته وشهادته، وكشفه عداء بني أمية للإسلام، وتوسل أدم عليه السلام بالحسين عليه السلام، وجبرائيل وملك القطر عليهما السلام يخبران بقتله.

٧- انتصر الاسلام بجهاد النبي صلى الله عليه وآله واهل بيته عليهم السلام، وبموت النبي صلى الله عليه وآله حصلت الانتكاسة!! وتسلط بنو أمية، وحاربوا الاسلام باسم الاسلام!! وجعلوا الحكومة قيصرية كسرويه فرعونية جاهلية.

٨- كان موقف الحسين عليه السلام من الجاهلية الاموية، كموقف جده صلى الله عليه وآله من الجاهلية الاولى، فقد خرج عليهم بالسيف، حيث علم أن الكلمة لم تعد تنفع.

٩- كان الفتح العظيم بشهادة الحسين عليه السلام فقد قوض دمه المسفوح بكربلاء، عرش بني أمية وكشف للامة كفر وفسق آل ابي سفيان، وأنار دمه الطاهر درب الثوار، فثار المختار وثارت الكوفة والمدينة والموصل ومكة و.

١٠- اليوم، غدا اسم الحسين عليه السلام انشودة يتغنى بها الملايين من المظلومين والمستضعفين في العالم من المسلمين وغير المسلمين، بينما تنطلق اللعنات على اعدائه وقاتليه.

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم، كتاب الله المجيد.

حرف الالف

٢- الاحكام الشرعية الكبرى، ابو محمد عبد الحق الاشبيلي، ٥١٠هـ - ٥٨١هـ، تحقيق ابو عبد الله حسين بن عكاشة، مكتبة الرشيد، الرياض - السعودية،١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣- الامام السجاد جهاد وامجاد، د - حسين الحاج حسن.

٤- أبو الشهداء الحسين بن علي، عباس محمود العقاد، ط٢، انتشارات الشريف الرضي، ايران، ١٤١٣.

٥- احياء معرفة الرجال (رجال الكشي)، ابي جعفر الطوسي، تصحيح وتعليق ميرداماد الاسترآبادي، تحقيق مهدي الرجائي، مؤسسة آل البيت - ع - قم - ايران، ١٤٠٤هـ.

٦- الأصول العامة للفقه المقارن، محمد تقي الحكيم، ط٢، المجمع العالمي لأهل البيت-عليهم السلام- قم، ايران، ١٤١٨ — ١٩٩٧.

٧- الأنصاف في حقيقة الأولياء وما لهم من الكرامات والألطاف، الامير محمد بن اسماعيل الصنعاني، تحقيق عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر.

٨- الإصابة في معرفة الصحابة، ابن حجر العسقلاني، (مكتبة اهل البيت عليهم السلام/ موقع الوراق).

٩- ابصار العين في انصار الحسين-عليه السلام- محمد بن طاهر السماوي، تحقيق محمد جعفر الطيبي، ط١، مركز الدراسات الاسلامية لممثلة الولي الفقيه في حرس الثورة الاسلامية، ١٤١٩,

١٠- الامامة و السياسة، ابن قتيبة الدينوري، ط١، انتشارات الشريف الرضي، قم – ايران، ١٤١٣.
١١- الاوائل للعسكري.
١٢- الاستشراق وموقفه من السنة، أ – د فالح بن محمد بن فالح الصغير.
١٣- الاستيعاب في معرفة الاصحاب، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري.
١٤- اكسير العبادات في اسرار الشهادات، آغا بن عابد الشيرواني الحائري (الفاضل الدربندي) ت ١٢٨٥، ط ١، شركة المصطفى للخدمات الثقافية،المنامة – البحرين.
١٥- أمالي الصدوق، ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بأبويه القمي، ت ٣٨١، ط ٥، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت– لبنان ١٤٠٠- ١٩٨٠.
١٦- انساب الاشراف، البلاذري.

حرف الباء

١٧- بحار الانوار، محمد باقر المجلسي، ط٢، مؤسسة الوفاء، بيروت – لبنان، ١٤٠٣- ١٩٨٣.
١٨- بحوث في الملل والنحل، ط١، جعفر سبحاني، لجنة ادارة الحوزة العلمية بقم المقدسة.

حرف التاء

١٩- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.
٢٠- التفهيم لشتى المعارف والمعاني، خليل قدُسي مهر، فدائيان أهل البيت عليهم السلام، ط١، ١٤٢٤
٢١- تزكية النفس، السيد كاظم الحسيني الحائري.
٢٢- تاريخ دمشق، الحافظ ابي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبدالله الشافعي المعروف بابن عساكر، ٤٩٩-٥٧١، دار الفكر للطباع والنشر والتوزيع.
٢٣- تاريخ الطبري، محمد بن جرير الطبري ابو جعفر، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٧.
٢٤- تاريخ أبي الفداء، الملك المؤيد اسماعيل بن أبي الفداء.
٢٥- تاريخ اليعقوبي، احمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي، ط١، تحقيق عبد الامير مهنا، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤١٣هـ.
٢٦- تأملات في زيارة وارث الانبياء، محمد مهدي الآصفي، ط ١، مركز دراسات نهضة الامام الحسين عليه السلام قم.
٢٧- تاريخ الخلفاء، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ، تحقيق محمد محي الدين، دار الجيل، بيروت، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٢٨- تفسير القرآن الكريم (تفسير المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ت ١٣٥٤هـ،الهيئة المصرية العامة للكتاب.

حرف الثاء

٢٩- ثورة الحسين ظروفها الاجتماعية وآثارها الانسانية، ط ٥، محمد مهدي شمس الدين، دار التعارف للمطبوعات، بيروت – لبنان،١٣٩٨- ١٩٧٨.

حرف الجيم

٣٠- جامع الاحاديث، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي، ت ٩١١هـ.

حرف الحاء

٣١- حلية الاولياء، احمد بن عبد الله بن احمد بن اسحاق الاصبهاني، ط٤، دار الكتاب العربي، بيرت – لبنان، ١٤٠٥ هـ.

٣٢- الحسين ريحانة النبي بطل الاسلام الخالد، كمال معاش.

٣٣- حلية الابرار في فضائل محمد واله الأطهار عليهم السلام، هاشم البحراني، ت ١١٠٧ – ١١٠٩، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان.

حرف الخاء

٣٤- الخصائص الحسينية، جعفر التستري، حرره وحققه السيد جعفر الحسيني، اعداد مركز الأبحاث العقائدية.

حرف الدال

٣٥- الدر المنثور في التأويل بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ٨٤٩ – ٩١١، ١٤٤٥هـ.

حرف الذال

٣٦- ذخائر العقبى، محب الدين احمد بن عبدالله الطبري، القاهرة – مصر، ١٣٥٦.

حرف الراء

٣٧- ربيع الأبرار، الزمخشري.

حرف السين

٣٨- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، محمد بن يوسف الصالحي الشامي، ت ٩٤٢.

٣٩- سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرَة بن موسى الترمذي، ٢٠٩ – ٢٧٩، وزارة الأوقاف المصرية.

٤٠- سيرة النبي صلى الله عليه وآله لابن هشام أبي محمد عبد الملك ابن هشام، ت ٢١٨، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر.

٤١- سير اعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان الذهبي، ت ٧٤٨هـ- ١٣٧٤م، ط٩، تحقيق شعيب الارنؤطي و- حسين الاسد، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ١٤١٣- ١٩٩٣.

حرف الشين

٤٢- شرح نهج البلاغة، عز الدين أبي حامد عبد الحميد بن هبة الله، ابن أبي الحديد المعتزلي ٥٨٦ – ٦٥٦.

٤٣- شعب الايمان، احمد بن الحسين الخراساني، ابو بكر البيهقي، ت ٤٥٨هـ، حققه، د ـ عبد العلي عبد الحميد حامد، ط١، مكتبة الرشيد للنشر والتوزيع بالرياض، ١٤٢٣هـ ـ ٢٠٠٣م.

٤٤- شجرة طوبى، محمد مهدي الحائري المازندراني، ط٢، منشورات الشريف الرضي، قم، ١٤٠٨.

٤٥- الشريعة للآجري، محمد بن الحسن بن عبدالله، أبوبكر الآجري البغدادي، ٣٦٠، مؤسسة قرطبة، ١ ٤١٧ – ١٩٩٦,

٤٦- شهداء الإسلام في عصر الرسالة، د- ابراهيم أيتي، ط١، مجمع البحوث الإسلامية، ١٤١٣ – ١٩٩٣، بيروت – لبنان، ١٤١٣- ١٩٩٣.

حرف الصاد

٤٧- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، دار الجيل بيروت، و- دار الآفاق الجديدة، بيروت.

٤٨- الصواعق المحرقة، أحمد بن حجر الميثمي المكي، ت ٨٩٩ – ٩٧٤، ط٢، مكتبة القاهرة،١٣٨٥ – ١٩٦٥,

٤٩- صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ التميمي، ٣٥٤ – ٩٦٥,

٥٠- صحيح البخاري، محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة البخاري.

حرف العين

٥١- علي عليه السلام من المهد الى اللحد، محمد كاظم القزويني.

٥٢- العقد الفريد، ابن عبد ربه الاندلسي.

٥٣- العوالم، الامام الحسين عليه السلام، الشيخ عبدالله البحراني.

حرف الغين

٥٤- غزوات، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، جعفر نقدي، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ت ١٤١٣ـ ١٩٩٢,

٥٥- غاية المقصد في زوائد المسند، للحافظ علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي المصري القاهرة، ت ٨٠٧.

حرف الفاء

٥٦- الفصول المهمة في معرفة احوال الائمة عليهم السلام، علي بن محمد ابن احمد المالكي (ابن الصباغ) ت٨٥٥هـ، ط١، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات،بيروت ـ لبنان، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م.

٥٧- فضائل الخمسة من الصحاح الستة، مرتضى الحسيني الفيروز آبادي، ط٤، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، ١٤٠٢- ١٩٨٢.

٥٨- فضائل الصحابة، احمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، ٦٦٤ – ٢٤١، ط١، تحقيق: د- وصي الله محمد عباس، مؤسسة الرسالة – بيروت، ١٤٠٣- ,١٩٨٣

٥٩- الفخري في الآداب السلطانية، ابن الطقطقي.

حرف الكاف

٦٠- الكامل في التاريخ، علي بن ابي الكرم محمد بن محمد الشيباني المعروف بابن الأثير، ت ٦٣٠هـ، ط٣، در الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨ م.

٦١- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علي بن حسام الدين المتقي الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٩.

٦٢- كلمات الامام الحسين عليه السلام، محمود الشريفي، ط٣،معهد تحقيقات باقر العلوم عليه السلام، منظمة الاعلام الاسلامي، دار المعروف، قم، ١٤١٦- ١٩٩٥.

حرف الميم

٦٣- المجالس السنية في مناقب ومصائب العترة النبوية، محسن عبد الكريم الامين الحسيني العاملي، ط٣، انتشارات الشريف الرضي، قم ـ ايران، ١٤١٥هـ.

٦٤- المعجم الكبير، سليمان بن احمد بن ايوب ابو القاسم الطبراني، ط٢، تحقيق حمد بن عبد المجيد السلفي، مكتبة العلوم والحكم، الموصل، ١٤٠٤-١٩٨٣.

٦٥- مسند احمد بن حنبل، أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، مؤسسة قرطبة – القاهرة

٦٦- مختصر الفتاوي المصرية، بدر الدين أبي عبدالله بن محمد بن علي الحنبلي البعلي.

٦٧- منهاج البراعة في شر نهج البلاغة خوئي مير حبيب الله بن السيد محمد ابن هاشم،١٢٦١هـ- ١٣٢٤م.

٦٨- المسترشد، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد المحمودي.

٦٩- مروج الذهب، علي بن الحسين بن علي المسعودي،ت ٣٤٦هـ، دار الاندلس للطباعة والنشر، بيروت- لبنان.

٧٠- المختصر في أخبار البشر، ابو الفداء / مكتبة اهل البيت عليهم السلام.

٧١- موسوعة اطراف الحديث، القسم: كتب التخريج/ مكتبة اهل البيت عليهم السلام.

٧٢- مغازي الواقدي، ابو عبدالله محمد بن عمر بن واقد الواقدي، ت ٢٠٧.

٧٣- المجازات النبوية، الشريف الرضي، ٤٠٦هـ- ١٠١٥م، تحقيق وشرح د – طه محمد الزيني،منشوورات مكتبة بصيرتي، قم – ايران.
٧٤- المنتظم في تاريخ الملوك والامم، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي.
٧٥- مقتل الحسين، للخوارزمي.
٧٦- مقاتل الطالبيين، أبو الفرج الاصفهاني، ٢٨٤ – ٣٥٦، ط ٢، المكتبة الحيدرية ومطبعتها في النجف الاشرف، ١٣٨٥ – ١٩٦٥,
٧٧- معالي السبطين في احوال الحسن والحسين عليهما السلام، محمد مهدي الحائري، ط ١، انتشارات الشريف الرضي.
٧٨- مقتل الحسين عليه السلام ،عبد الرزاق الموسوي المقرم، ط ٥، دار الكتاب الاسلامي، بيروت – لبنان، ١٣٩٩-١٩٧٩.

حرف النون

٧٩- نهضة عاشوراء: روح الله بن مصطفى الخميني(قدس سره).
٨٠- نهج الحق وكشف الصدق، الحسن بن يوسف المطهر الحلي.
٨١- نهج البلاغة، الدكتور صبحي الصالح، ط٣، دار الكتاب المصري – القاهرة، دار الكتاب اللبناني – بيروت، ١٤١١- ١٩٩١,
٨٢- نهج البلاغة، شرح الاستاذ الأمام الشيخ محمد عبده، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.

حرف الواو

٨٣- وقعة الطف، ابي مخنف لوط بن يحيى الأزدي الغامدي الكوفي، ت ١٥٨، ط ١، مؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة، ١٣٦٧.

القرآنية في مراثي العباس بن علي عليه السلام دراسة تحليلية لفاعلية النص

القرآني في مراثي العباس عليه السلام

Quranics used in the elegies of Abbas Ben Ali:An analytic study of the effectiveness of Quranic text in the elegies of Imam Abbas

م.م مصطفى طارق عبد الأمير الشبلي [1]

Assist. lec. Mustafa T. A. Al-Shibli

المستخلص

يتناول هذا البحث بالتحليل الآيات القرآنية المقدسة التي ضمّنها الشعراء في مراثيهم للعبّاس عليه السلام، ومن ثمّ المقارنة بين النصوص القرآنية التي ذكرها الشعراء سواء كانت أحداثاً أو شخوصا (كموسى، وسليمان، ويعقوب، عليهم السلام)، أو قصصاً (كقصة مريم، وأصحاب الفيل)، وبين ما جرى على أبي الفضل العباس عليه السلام، وما قام به في واقعة الطف، ومن ثم بيان الرابط بينها وبين شخص العباس عليه السلام.

ABSTRACT

This research is a technical and academic study that deals with the analysis of the Holy Quranic verses that poets have included some in their eulogy pomes written for (AL-Abbas ibn Ali ibnAbitalib (as)), The study we are about is to compare the Quranic texts quoted by poets whether they are about people like (Moses, Solomon and Jacob) or an events like

١ – العتبة العباسية المقدّسة / وحدة التأليف والدراسات.

(Mary's story or The owners of the Elephant) with what happened to Abbas, and what AL-Abbas did in the day of Ashura, and then clarify the relationship between them and Abbas characteristic.

المقدمة

الحمد لله الذي جعل القرآن منبعا للعلم وأصلاً له، ونوراً لا يطفأ مصباحه، ومنهجا لا يضلّ سالكه، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وعلى العبد الصالح البار الأمين سيّدنا ومولانا أبي الفضل العباس ابن أمير المؤمنين.

فلا يخفى إنّ أهل البيت هم القرآن الناطق، والعباس عليه السلام هو قمر من تلك الأقمار، وفرع من ذلك الأصل الذي يقول: (أنا القران الناطق)[٢].

وبما إنّ القرآن هو مصدر من مصادر الإلهام الشعري (للشعراء)، ورافدا أساسياً من روافد النص الإبداعي، ومنهلاً للذين يسعون إلى إثراء خطاباتهم الأدبية، فقد استقوا منه بعض الآيات القرآنية التي تَمَثَّل بها شخص العباس عليه السلام، وكان من أحد مصاديقها، فجمعوا من خلال ذلك بين القرآنيين الصامت والناطق، معبرين من خلال الصور الفنية، والدلالات الموحية، عن القيم القرآنية السامية المتجسدة في شخص العباس عليه السلام.

وقد سعى الباحث للدخول في خضم هذا الكم الهائل من الأشعار التي قيلت في حق العباس عليه السلام من أجل استخراج ما يخص موضوعي هذا.

وقُسم على مقدمة وتمهيد في القرآنية من حيث المفهوم والدلالة، وبناؤها في مراثي العباس عليه السلام، ومن ثم المبحث الأول في نمط القرآنية المباشرة المحوّرة، وجاء في موردين الأول: القرآنية المباشرة المحوّرة المحورية، والثاني: القرآنية المباشرة المحوّرة غير المحورية.

أما المبحث الثاني فجاء فقام على الدراسة القرآنية غير المباشرة المحوّرة، وهو على موردين الأول: القرآنية غير المباشرة المحوّرة البسيطة، و الثاني: القرآنية غير المباشرة المحوّرة العميقة، ومن ثم خاتمة في النتائج التي توصل إليها البحث.

التمهيد: (القرآنية):

يعد مفهوم القرآنية من المفاهيم الحديثة التي ظهرت على ساحة الأدب العربي.

ويتجلى هذا المفهوم في تعامل الشعراء المعاصرين مع النص القرآني المقدس من حيث أنهم يقومون باستحضار النص القرآني وإضافته في النص الشعري، سواء كانت هذه الإضافة بشكل مباشر أو غير مباشر.

٢ – ينابيع المودة لذوي القربى: ١/ ٢١٤.

ويُعد الدكتور مشتاق عباس معن أول من طرح هذا المصطلح في بحثه الموسوم بـ (القرآنية في شعر محمّد حسين آل ياسين[٣])، وعرّفه بقوله: ((القرآنية :آلية من الآليات التي يتوسّل بها المبدع في تشكيل نصوصه الإبداعية من جهتي الرؤيا والأنساق (بنية وإيقاعاً) بحسب ما مرسوم في الكتاب المقدس(القرآن))) [٤].

والقرآنية تعني كذلك: الإفادة النصية من لدن الشعراء وغيرهم من المبدعين من القرآن الكريم، ويشكل هذا المورد المقدس أحد مدارك إنتاجية النص عند الشعراء الذين رثوا العباس عليه السلام[٥].

وإن مسألة الأخذ من القرآن الكريم هي ممارسة كبيرة عريقة، تمتد إلى جذور العصور الإسلامية الأولى، فضلاً على كون المأخوذ منه نصاً مقدساً ذا أثر كبير في نفسية المرسل والمتلقي – ولا سيما إذا كانا مسلمين – [٦].

وتُبنى القرآنية على أساس اتكاء النصوص الشعرية، على النص القرآني المقدس، وإذا ما قورن هذا المصطلح مع غيره من المصطلحات التي تشترك بالمعنى، نجده أدق من جهة الدلالة على المفهوم المراد، ومن جهة أخرى نجد هذا المصطلح حافظ لنا على التسمية الموروثة للقرآن الكريم، ولم يتجن عليها[٧] ، كما هو الحال في التّناص القرآني، والتّناص الديني.

والذي حدا بهذا المفهوم(القرآنية) أن يكون كذلك هو توفر المماثلة بين مدلولي هذه اللفظة اللغوي والاصطلاحي، وعدم تعدد دلالاته، وعدم تركيبها مع لفظة أخرى، فضلاً عن كونه مصطلح تراثي علمي غير مولَّد، وهذه هي الشروط والقواعد الأساسية لوضع المصطلح.[٨]

ولم ينقد هذا المصطلح، أو لم يتهم من طبّقه وعمل عليه بالسرقة وذلك لأنه يستعمل وفق الحدود التي رسمها نقادنا القدامى لموضوع السرقة.

فقد جاء في كتاب(الإتقان) للسيوطي (ت ٩١١هـ)، وعلي بن محمد الحموي(ت ٨٣٧هـ) :الاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالأول ما كان في الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونحو ذلك والثاني ما كان في الغزل والرسائل والقصص والثالث على ضربين أحدهما ما نسبه الله تعالى إلى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله إلى نفسه كما قيل عن أحد بني مروان أنه وقع على مطالعة فيها شكاية من عماله إن إلينا إيابهم ثم إن علينا حسابهم والآخر تضمين آية كريمة في معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقول القائل:

أوحى إلى عشاقه طرفه هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه لمثل ذا فليعمل العاملون[٩]

٣ – القرآنية في شعر الرواد: هامش: ص٢١.
٤ – تأصيل النص: ١٧١.
٥ – تأصيل النص: ١٥٢.
٦ – ينظر: تأصيل النص: ١٣٩.
٧ – القرآنية في شعر الروّاد.٢٣:
٨ – المصطلح النقدي: ١٠٤– ١٠٥.
٩ – الإتقان في علوم القرآن: ١/ ٢٩٧، خزانة الأدب وغاية الأرب: ٤٤٢.

وهذا ما عمل عليه الشعراء، فقد ابتعدوا عن هذا النوع المردود من الاقتباس، وعملوا على المقبول المباح، وما بالك إذا كان ذلك الاقتباس في التعبير عن خصائص المولى أبي الفضل العباس، وشخصيته العظيمة. أما بنائية (القرآنية) في مراثي العباس عليه السلام فقد مثلت انعطافة جديدة، عند الشعراء الذين رثوا العباس عليه السلام، وبينوا المواقف البطولية له، وما أبداه في معركة الطف الخالدة،، لذا كانت القرآنية وسيلتهم لذلك، فقد هيمنت على نصوصهم، فربطوا بين النص والقران من حيث الأحداث، والشخوص كـ (موسى، وسليمان)، والقصص كـ (قصة اصحاب الفيل) وغيرها من آليات الرمز، والأمثال، والدعاء، وابتكار الصورة، مما يشير إلى إمكانياتهم الفنية الكبيرة.

وقد وضعنا هذا المصطلح في الدراسة وأجريناه على مراثي العباس عليه السلام، وسعينا في سبيل العثور على النصوص الشعرية التي تخص موضوعنا، وعثرنا على الكثير وانتقينا الأصلح والأروع منها وأجرينا عليه الدراسة.

المبحث الأول: نمط القرآنية المباشرة المحوّرة:

لقد شكل هذا النوع من الأنماط النسبة الأكبر في مراثي العباس عليه السلام حيث عمد أغلب الشعراء إلى التعامل مع النص القرآني تعاملا مباشراً، واستدعوا من خلال هذا التعامل النصوص القرآنية وضمنوها في قصائدهم.

ويعرف هذا النمط بأنه: (أن يعمد الشاعر فيها لاستدعاء البنية القرآنية واستضافتها في خطابه الشعري، وجعلها ممتزجة معه عن طريق العملية التصويرية للنص القرآني، لفظاً ودلالةً، حذفاً وتوليداً، تكثيفا وتوسيعاً)[١٠].

ويقسم هذا النوع من الأنماط إلى قرآنية مباشرة محورة محورية، وقرآنية مباشرة محورة غير محورية، وقد اعتمدنا هذا في هذا التقسيم على ما طرحه الدكتور مشتاق عباس معن [١١].

أولاً: القرآنية المباشرة المحوّرة المحورية:

وهو أن يعمد الشاعر إلى النصّ القرآنيّ فينقله بنصّه ومعناه، أي: بتركيبه ودلالته، فهو يستسلم لتراكيبه فيوظفها في قصيدته على ما هي عليه، ولسبب نزوله وما أراده، ليذهب معه إليهما أيضًا في أبياته، فلا يجد المتلقي عناءً في فهم ما يريده الشاعر[١٢].

وبتعبير آخر أن يتعامل الشاعر تعاملاً لفظيا ودلاليا، ولكنه يحيل النص القرآني المستقر والمبدع إلى نص قلق البناء يفقد بناءاته الأولى، فهو يحور في الألفاظ ويقدم ويؤخر[١٣].

١٠ – القرآنية في شعر الروّاد: ٤٥.
١١ – تأصيل النص: ١٨٣.
١٢ – التناصّ الدينيّ في شعر السّيّد الحِميريّ: ٤٥.
١٣ – تأصيل النص: ١٨٣.

وقد خص الشعراء في هذا المبحث عدة صفات لأبي الفضل العباس عليه السلام وهي: (الشجاعة)، و(سمو المنزلة)و (والدور الرسالي)، (وانتصار الدم على السيف).

ومن اجل التعبير عن شجاعة العباس التي ثبتت له في كل موقف من مواقفه، اتجه الشعراء إلى نصوص مختلفة من القران، وألفاظ، وقصص ومن ذلك قول الشاعر (محمد عبد الرضا الحرزي) في قصيدته الموسومة بـ (بقيّة السيف):

(البسيط)

عبـــاسُ لمّـــا أتتـــه زينـــبٌ وشـــكتْ ... ضـــجّت أرامـــلُ جـــيشِ الكفـــرِ بالبلـــدِ
أخـــيّ مثلُـــكَ عـــارٌ لـــو دُعـــي لـــبلا ... والفضـــلُ في الجـــود قبـــل السّـــؤل إن تجـــدِ
فقـــرّبَ المُهـــرَ وانتـــاش اللـــوا وتـــلا ... اليـــومَ قـــد خُلـــق الإنســـانُ في كَبَـــدِ[١٤]

إنّ العبارة الشعرية (قد خُلق الإنسانُ في كَبَدِ) تشير في أول وهلة إلى الآية القرآنية:﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾[١٥]، و الكبد في الأصل بمعنى الشدة ولذا يقال للبن إذا استغلظ تكبد اللبن وقيل ألم يصيب الكبد، ثم اطلق على كل ألم ومشقة[١٦].

ويعني كذلك إن الله خلق الإنسان في تعب ومشقة، فإنه يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة، ولكن لا يتوهم بأن لا يقدر عليه أحد، وهنا تكمن العلاقة بين العباس عليه السلام والنص وهي إذا قام العباس وانتاش لواء الحرب وتقدم للخصوم في الحرب فإنه كان أخا الحرب حافظ الكتيبة في يوم الكريهة، ذلك الإنسان الشديد، فإذا تقدم نزل العذاب والعسر والشدة على الأعداء، ومن جانب آخر لا يتوهم الأعداء بأن لا يقدر عليهم أحد، فهذا أبو الفضل الذي شهد الأعداء بشجاعته.

ويتضح لنا التوافق التام بين رؤية الشاعر والنص القرآني من خلال شبكة التعالق بين النصّين:

النصّ الشعريّ		النصّ القرآنيّ
قـد	←	لقد
خلق	←	خَلَقْنَا
الانسان	←	الْإِنسَانَ
في كبد	←	فِي كَبَدٍ

لم يقدّم أو يؤخر الشاعر كثيرًا في نصّه الشعريّ عن الأصل في النصّ الأوّل سوى بعض التلاعب الذي لم يؤدي الى الانحراف عن المعنى فقد أعاد الشاعر تشكيل النصّ القرآنيّ بدرجة بسيطة، في حين أبقى على معناه لدعم ما يريد أن يصل إليه.

ومن الشواهد الأخرى على هذا النوع من القرآنية في تصوير شجاعة أبي الفضل العباس عليه السلام، قول الشاعر السيّد جعفر الحلي من قصيدة في ذكر وقعة كربلاء وقد خصت بالذكر أبا الفضل العباس عليه السلام:

١٤ – موسوعة (شعراء أهل البيت عليهم السلام www.shoaraa.com).
١٥ – سورة البلد: آية ٤.
١٦ – الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٠/ ٢٠٨.

(الكامل)

بطل تورّث من أبيه شجاعة ... فيها أنوفُ بني الضلالة ترغم
يلقى السلاحَ بشدة من بأسه ... فالبيضُ تُثلمُ والرماحُ تحطّم
عرف المواعظَ لا تفيد بمعشر ... صموا عن النبأ العظيم كما عموا
فانصاع يخطب بالجماجم والكُلى ... فالسيفُ ينثرُ والمثقفُ ينظم[١٧]

من الواضح إن الشاعر في البيت الثالث ينفتح على قوله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾[١٨]، والشاعر في هذا الموضع قد توافق تماماً مع قصدية الآية القرآنية، إذا ما علمنا ان المقصود في الآية هو الإمام علي بن أبي طالب عليه عليه السلام فقد ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال: (النبأ العظيم علي وفيه اختلفوا لانّ رسول الله ليس فيه اختلاف) [١٩].

فالشاعر يعقد مقارنة بين الإمام علي عليه السلام وولده العباس عليه عليه السلام، فكما إن الإمام علي كان ناصحا لقومه، والذي لم يهتد، ولم يسلم، ضربه بسيفه كونه ممن ختم الله على قلبه، بل هم صم بكم وهذا فيه اشارة الى قوله تعالى: ﴿صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾[٢٠]، كذلك العباس عليه السلام بعد ما رأى القوم مع نصيحتهم لآخر لحظة في المعركة لكنهم لم يهتدوا إلى سواء السبيل، فانصاع يخطب في جماجمهم وكلاهم، وهي صورة جميلة لشجاعة العباس عليه السلام، كما إن هناك إشارة واضحة للدور الرسالي والإرشادي الذي كان للسيّد العباس عليه السلام، فقد كان ناصحا لقومه في دعوته ولم يرد إلا ما فيه خير دنياهم وعقباهم.

وآخر قول نذكره ممّا خص بشجاعته عليه للشاعر سعيد العسيلي من قصيدة في رثاء العباس عليه السلام، متحدثاً بها عن لسان العباس عليه السلام:

(الكامل)

لو واجهوني والمهند في يدي ... لجعلتهم عصفاً به مأكولا
لكنهم خلف النخيل تستروا ... والغدر أنبت في القلوب نخيلا
وأنا الذي أعجزت كل كماتهم ... ورأوا بأني صارماً مصقولاً
يشوي وجوه الغادرين بحده ... وأكون وحدي للألوف عديلا[٢١]

لقد وظف الشاعر بقوله: (لجعلتهم عصفاً به مأكولا) الآية القرآنية: ﴿فجعلهم كعصف مأكول﴾[٢٢]، متمثلة بقصة أصحاب الفيل، والشاعر قد عمد إلى هذه القصة، وحور بعض الألفاظ في الآية، للدلالة على الشجاعة التي كان يمتلكها العباس، فهو جعل الكفار في يوم الطف كزرع أكل حبه وبقي تبنه، كما فُعل ذلك بأصحاب الفيل، الذين ارسل عليهم الله طير ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل،

١٧ – سحر بابل وسجع البلابل:٤٢٩-٤٣٢.
١٨ – سورة النبأ: آية ١و٢.
١٩ – شواهد التنزيل لقواعد التفضيل: ٤١٨/٢.
٢٠ – سورة البقرة: آية ١٨.
٢١ – كربلاء (ملحمة ادبية تاريخيه...) ٥١٢.
٢٢ – سورة الفيل: آية ٥.

فهو يرسم لنا صورة للعباس معبرة، ولا يكتفي بذلك للتعبير عن شجاعته بل اضافة إلى كون العباس رمى الكفار وجعلهم كعصف مأكول، هو كان يشوي وجوههم بقوله: (يشوي وجوه الغادرين بحده)، فيه اشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾[٢٣].

ففيه إشارة واضحة إلى الشجاعة الفائقة التي أبداها أبو الفضل العباس عليه السلام يوم الطف.

أما ما يخص منزلته الرفيعة عند الله سبحانه وتعالى فقد قال الشيخ عبد الواحد المظفر من قصيدة بعنوان (المزارات الأربعة لأبي الفضل العباس عليه السلام):

(البسيط)

بابُ الحسينِ أبو الفضل بنُ حيدرةٍ	**اللهُ شادَ لهُ أسمى منزارات**
ثلاثةٌ بربوعِ الطفِّ عمّرَها	**بالزائرين وفرداً عندَ شاماتِ**
فأصبحت مثلَ بيتِ اللهِ طاف بها	**مِن كل فجٍ أناسٌ أهْلُ حاجاتِ**
مزارُ كفيهِ معروفٌ ومشهده	**ملاذُ زوّارهِ في كل أوقات**
ترى الملوكَ على أبوابِ حضرتهِ	**ترمي بتيجانِ تمليكٍ ثمينات**[٢٤]

لقد شبه الشاعر مزار العباس عليه السلام ببيت الله، واستعان بألفاظ القران، مضمن الآية القرآنية: ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾[٢٥]. مشير إلى معناها المقصود، مشبها بها مزار العباس عليه السلام، إذن فإيراد (من، كل، فج، أناس)، والمعنى وهو حج بيت الله إذا أعلن وقته، فالناس يؤتون إليه من كل حدب وصوب، هو قرآنية مباشرة دائرة في دائرة النص القرآني.

وقد استعمل الشاعر بعض الفاظ القران لتقريب فكرته مع بعض التحوير والتقديم والتأخير لكي يتناسب مع البيت الشعري ولتوضيح ذلك نذكر التعاليق الآتية:

النصّ الشعريّ	النصّ القرآنيّ
	وأذن في
مِن	الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين
كل	من
فجٍ	كل
أناسٌ	فج عميق

فالشاعر أخر بعض الألفاظ واستعمل (أناس) بدل (الناس) كما في النص القرآني.

٢٣ – سورة الكهف: آية ٢٩.
٢٤ – بطل العلقمي:٣/٢٨٦.
٢٥ – سورة الحج آية: ٢٧.

أما عن وجه التقارب بين بيت الله ومزار العباس عليه السلام، فكما إن فضل الكعبة واستحباب النظر إليها والبكاء حولها وفيها وفضل ما يتعلق بها من الركن والمقام أكدته الكثير من الروايات[٢٦] فالعباس عليه السلام يقصد بالزيارة ويطاف به ويتبرك فيه كما يتبرك بركن البيت الأعظم ويلثم كما يلثم الحجر الأسود ويلتزم ويستلم كما يمسك الملتزم ويستلم ركن الحطيم.[٢٧]

وفضلا عن ذلك إن العباس أصبح باب من أبواب الله في الدنيا، فهو باب معنوي وروحي إلى مدينة المعنويات، والمعارف والروحانيات والفضائل، وإلى حصن الإيمان والتقوى والقرب إلى الله تعالى، وإلى رسوله صلى الله عليه وآله وإلى أوليائه عليهم السلام [٢٨].

ومن الشواهد الأخرى التي ركزت على بيان الدور الرسالي للعباس عليه السلام قول الشاعر (فاهم هاشم محمد العيساوي) في قصيدته (سبحان جودك):

(الكامل)

عباس فوق الطف كنت حمامة ... بيضاء من قرأ ارتفاعك أبصرك
قمرا يوزع في السماء أصابعا ... سبحان ربك كيف شاء فصوّرك
ما قال ربك للملائكة اسجدوا ... لولا انسكابك للحسين فقدرك[٢٩]

إنّ القارئ للعبارة الشعرية (ما قال ربك للملائكة اسجدوا)، توحي له من أول قراءة لقوله عزّ وجل: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[٣٠]، ولكن الشاعر لكي يتناسب الوزن، تصرف ببعض الألفاظ وحذف الآخر فاستبدل (وإذ) بـ (ما) النافية، وقرنها بـ(لولا) الشرطية وحذف (آدم) للضرورة الشعرية وجعله مقدرة عند السامع كونه واضح المعنى، ونفى السجود لآدم عليه السلام، لولا الموقف البطولي، والتفاني الذي قدمه العباس في سبيل الإسلام، والمعنى إن الله جعل للإنسان منزلة كبيرة، وفضله على سائر المخلوقات، للمواقف والخصائص والدور الذي يقوم به، لذلك أمر الملائكة أن تسجد له تقديراً له، هذا على نحو العموم، أما على وجه الخصوص ففيه اشاره لتفضيل أئمة أهل البيت عليهم السلام على سائر الخلق، وممّا يؤكد هذا المعنى ما ورد عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (إنَّ الله تبارك وتعالى خلق آدم فأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجلّ عبوديّة ولآدم عليه السلام إكراماً وطاعةً لكوننا في صلبه، فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم كلّهم أجمعون) [٣١].

أما يخص الانتصار الذي كان للحسين والعباس عليهما السلام فمن ذلك قول الشاعر (سيف الذبحاوي)، في قصيدته (راحل إلى البياض):

---

٢٦ – ينظر: جامع أحاديث الشيعة: ١٠/ ٦١.
٢٧ – بطل العلقمي:٢٨٣/٣.
٢٨ – الخصائص العباسية: ٩٩.
٢٩ – الجود: ٣/ ١٠٠.
٣٠ – سورة البقرة: آية ٣٤.
٣١ – الرسائل الأحمدية: ١٧٣/١.

(البسيط)

مثـــل الفـــراش تجـــذر في وســـامته	حيـث الجـراح: ورود تنـزف السـورا
تلـــك الاناجيـــل: أرواح معلقـــة	لكـــن قناديـــل نـــور الله فيـــه تـــرى
ارقـــل خطـــاك نخـــيلا، أرض حيرتـــه	قد فتشت عنك خصبا تستر الصحرا
والأمنيـــات اعطهـــا إيمـــاءة علويـــ	ـــةً، لترســـم فرشـــاة المـــنى الظفـــرا
نـــصر مـــن الله جنـــد مـــا هنالـــك مهـــ	ـزوم وفتح قريـب مـن رؤاك سـرى[٣٢]

البيت الأخير في المقطوعة ينقلك مباشرة إلى قوله تعالى: ﴿نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[٣٣]، وفي النص إشارة إلى الانتصار الذي تحقق على يد الحسين والعباس عليهما السلام وكل من شارك في معركة الطف.

وقد انتصر العباس عليه السلام بكل مواقفه ونال كلتا الحسنيين: غلبة السيف على الظلم، وغلبة الدم على السيف الظالم، وفاز هو ومن معه بالشهادة العليا، فهو نور يضئ إلى الآن ولم يستطيع ظلم التحريف أن يغطيه.

ثانياً: القرآنية المباشرة المحوّرة غير المحورية:

وهو أن يعمد الشاعر إلى النصّ الأوّل (القرآنيّ) فيأتي بتراكيبه ولكن بتوظيف جديد؛ أي: دلالة أخرى، وهي مرحلة أعلى في التوظيف من القرآنية المباشرة المحورة المحورية، أمّا في هذه القرآنية فإنّ الأمر يتوقف على درجة واحدة وهي النصّ دون المحورية، وذلك لأنّ الاستسلام للنصّ في الحالة الأولى كان على درجتين وهي النص والدلالة.

وهي (تقوم على مجاراة النصّ الشعريّ للنصّ القرآنيّ، ومن ثمّ الانحراف إلى مقصديّة مختلفة)[٣٤].

ومن الخصائص العباسية التي صورها الشعراء من خلال القرآنية في هذا المبحث هي: (الشجاعة)، (منزلة العباس عند الحسين)، (دروه الرسالي).

فمما ورد عن شجاعته قول الشاعر(محمد عبد الرضا الحرزي) [٣٥]، في قصيدته الموسومة بـ (بقيّة السيف):

(البسيط)

وجـاء يعـدو إلى جـيش العـدى غضـباً	أفديـــهِ محتشـــداً يـــدعو لمحتشـــدِ
فلـــو رأتْـــهُ النصـــارى يـــومَ غارتـــه	قالـــتْ هـــو اللهُ لم يُولـــدْ ولم يلـــدِ[٣٦]

ونلحظ في هذا النص العبارة الشعرية(لم يولد ولم يلد) تشير في أول وهلة إلى الآيات القرآنية: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٣٧].

---

٣٢ – الجود: ٤/ ١٠٢.
٣٣ – سورة الصف: آية ١٣.
٣٤ – خصائص الأسلوب في شعر المديح عند السّيّد الحِميريّ: ١٠١.
٣٥ – مرت ترجمته: في هامش رقم: ١٣.
٣٦ – موسوعة (شعراء أهل البيت www.shoaraa.com عليهم السلام).
٣٧ – سورة الإخلاص: آية ١ – ٤.

والعبارة فيها مبالغة وإفراط، وهي مخالفة للمراد من الآية القرآنية، وهو التأكيد على اثبات وحدانية الله تعالى، والإخلاص في عبادته والتوجه اليه وحده، وانه لا يقصد في الحوائج غيره، وتنزيه عن سمات المحدثات، وهنا يكمن الإنحراف عن النص المقدس، من حيث ان الشاعر نقل النصّ القراني من واقعه الأوّل إلى واقع جديد وهو العباس عليه السلام ولكن باستثمار الكلمات والتراكيب نفسها.

فمن الناحية العقائدية في البيت الشعري نلحظ هناك تنافراً تام بين الآية القرآنية(لم يلد ولم يولد)، والعبارة الشعرية(هو الله)، فهي قرآنية غير محورية كونها بعيدة عن محور الآية، وهذا يخل بالعقيدة الإسلامية، لكون الآية تفيد اختصاص الألوهية بالله عز اسمه، ووحدته فيها وحدة تليق بساحة قدسه تبارك وتعالى، وتستبعد إمكان فرض العدد، لكن التعليم القرآني ينفي ذلك لأنه يثبت من الوحدة ما لا يستقيم معه فرض أي كثرة وتمايز لا في الذات ولا في الصفات، وكل ما فرض من شيء في هذا الباب كان عين الاخر لعدم الحد فذاته تعالى عين صفاته، وكل صفة مفروضة له عين الأخرى، تعالى الله عما يشركون، وسبحانه عما يصفون(٣٨).

والعبارة (لم يلد) تعني لم يخرج منه شيء كثيف، كالولد، ولا سائر الأشياء الكثيفة التي تخرج من المخلوقين،(ولم يولد) أي ولم يتولد من شيء، ولم يخرج من شيء، كما تخرج الأشياء الكثيفة من عناصرها، كالشيء من الشيء، والدابة من الدابة، والنبات من الأرض، وهذه من الصفات الألوهية الخاصة بالله سبحانه وتعالى، واطلاقها على شخص العباس من باب التعظيم للشخص الكريم(٣٩).

وفضلاً عن ذلك إن الشاعر يتحدث عن لسان حال النصارى الذين هم موحدون في عين التثليث ويذعنون من الوحدة وحدة عددية لا تنفى الكثرة من جهة أخرى فهم يقولون: إن الأقانيم (الأب والابن والروح) (الذات والعلم والحياة) ثلاثة وهي واحدة كالإنسان الحي العالم فهو شيء واحد لأنه إنسان حي عالم وهو ثلاثة لأنه إنسان وحياة وعلم.

وهذا المعنى نجده مؤكداً في قوله تعالى: ﴿وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾(٤٠).

ولا يخفى إنّ النصارى ذهبوا إلى القول بأنّ المسيح ابن الله مستدلين على ذلك من خلال تولده عليه السلام من غير أب. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللهِ وَقَالَتْ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللهِ ذَلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِؤُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٤١).

ولقد توهم من ظنّ السيّد المسيح كان رجل عبادة ونسك وآخرة فحسب، بل انه كان رجل ثورة ضد الظلم والاستبداد والحكام الفاسيدين، وانه عذب وطرد وهجر في سبيل الرسالة الدينية التي تحدث ثورة تغيرية في شتى مناحي الحياة(٤٢).

---

٣٨ – تفسير الميزان: ١/٣٩٤، ٦/٩٠ – ٩١.
٣٩ – مجمع البيان: ١٠/ ٤٨٨.
٤٠ – سورة التوبة: آية: ٣٠.
٤١ – سورة التوبة: آية: ٣٠.

ومن هنا نفهم مقصد الشاعر ان النصارى لما رأوا ما لعيسى من الخصوصيات، والكرامات والشجاعة، قالوا هذا ابن الله.

ولكن هؤلاء النصارى إذا رأوا شخص العباس عليه السلام يوم غارته ورأوا ما له من الكرامات والفضائل و الخصائص، قالوا هذا هو الله، والتعبيران (ابن الله) (هو الله) مجازيان يراد منهما التعظيم من الشاعر لشخص العباس عليه السلام.

ومن جانب ان النصارى إذا رأوا العباس وهو أبو الفضل والفضائل، قالوا هذا (هو الله) اي هو ابٌ لسيدنا المسيح وأصلٌ في الفضائل والشجاعة، وهو الذي استقى منه المسيح، وذلك لانبهارهم بشخصه الكريم.

ولكي يتضح ما تقدم من التعالق بين رؤية الشاعر والنص القرآني من خلال شبكة التعالق بين النصّين:

النصّ الشعريّ	النصّ القرآنيّ
قالت هو الله	قل هو الله
لم يولد	لم يلد
ولم يلد	ولم يولد

فنلحظ الشاعر مع محافظته على الملفوظ القديم للآية نقل الدلالة من صورتها في النصّ الأوّل إلى صورة جديدة في النصّ الثاني يلغي تشكيل مفردات سابقة ويرسم صورًا جديدة.

ومن الشواهد الأخرى عن شجاعته قول الشاعر السيّد مهدي الحلي في قصيدة انشأها في رثاء العباس عليه السلام:

(الكامل)

وغشى بأسمره النعاسُ عيونَ أبـ ... طالِ الكفاح ولات حينَ نعاس
وكأن قائمَ سيفه، مذ سلّه ... في كف (حيدرةٍ) شديدُ الباس
لما رأى الأعداءُ شامخَ بأسِه ... من ذلك الطودِ العظيم الراسي
دعوا النجاء، ولا نجاءَ لمن غدتْ ... بِيدِ الورى مقطوعةَ الأنفاس
فرأوا قد انسد الفضاءُ كأن مِن الـ ... غبرا إلى أم السماء رواسي[٤٣]

نلحظ في هذا النص الشعري الآية القرآنية ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾[٤٤]، معناه لات حين فرار من العذاب، وقيل: المناص المنجاة[٤٥] فالعباس عليه السلام عند دخوله ساحة الميدان جعل النعاس يحوي عيونهم بسيفه، فصاروا ينظرون الى العباس نظرة المغشي عليه او المغمى

٤٢ – ينظر :حياة السيّد المسيح في القرآن الكريم: ٢٦٩.
٤٣ – ديوان السيد مهدي الحلي:١ /٢٩٠– ٢٩٤.
٤٤ – سورة ص: آية:٣.
٤٥ – التبيان في تفسير القرآن: ٥٤٢/٨.

عليه، استغاثوا عند نزول العباس عليه السلام الى ساحة الميدان وقالوا ليس الآن وقت النعاس بل هو وقت الفرار من الموت الذي سيلحق بنا، ومن العذاب الذي وقع علينا.

فهم كما يقول السيّد جعفر الحلي:

(الكامل)

وثنى أبو الفضل الفوارس نكصا ... فرأوا أشد ثباتهم أن يهزموا
ماكر ذو بأس لـه متقدا ... إلا وفر ورأسه المتقد[٤٦]

وفي الواقع انهم توهموا عندما ظنوا إنهم يستطيعون الفرار من الغضب الرباني وقالوا الآن وقت الفرار، ولكنهم وجدوا الارض والسماء قد سُدت امامهم فاستسلموا للموت المحتّم عليهم.

وفي النص إشارة واضحة للموقف البطولي الشجاع للعباس عليه السلام، فهو في تقدمه نحو الاعداء كالشخص الذي يفر من الموت في ساحة المعركة.

كما يقول السيّد جعفر الحلي:

(الكامل)

ولـه إلى الإقدام سرعة هارب ... فكأنما هو بالتقدم يسلم[٤٧]

فهو المثل الأعلى للشجاعة ووصفها الأكمل ونعتها الأتمّ.

ولتوضيح الاختلاف بين الآية والنص الشعري نذكر هذه التعاليق الآتية:

النصّ القرآني	النصّ الشعري
ولات ◄	► ولات
حين ◄	► حين
مناص ◄	► نعاس

فنلحظ بعد ان ضمّن الشاعر معنى الآية وهو الفرار، انحرف ويكمن هذا الانحراف باستبدال كلمة (مناص) والتي تعني (المنجاة) الى كلمة (نعاس)، فضلا عن ذلك الاختلاف الموجود بين معنى الكلمتين ودلالتهما، فالشاعر طور في المعنى واضاف لإبراز الموقف البطولي لشخص العباس عليه السلام.

أما ما يخص منزلة العباس عند الحسين عليهما السلام، فمن ذلك قول الشاعر الشيخ عبد الحسين الحويزي راثياً العباس بن علي عليه السلام على لسان الإمام الحسين عليه السلام:

(الكامل)

فلأ ندبنَّك حيث إنّك للهدى ... ندبٌ وأعْوِلَ (بكرة وأصيلا)
أأخيّ بعدَ جمالِ وجهك لا يرى ... قلبي بكَ الصبر الجميلَ جميلا
تقضي وأنت على الظما طاوي الحشا ... ويعود جسمك بالدماء غيلا
أرجو الحياة وأعيُني لك شاهدتْ ... بدنا على وجه الصعيد جديلا

٤٦ – ديوان السيّد جعفر الحلي:٤٣٠.
٤٧ – ديوان السيّد جعفر الحلي:٤٣١.

مَـن ذا يصـون مـن الفـواطم خـدرَها ويكـــون في طلباتهـــا مـــأمولا[٤٨]

نلحظ ان الشاعر ضمن النص المقدس مباشرة وهو قوله (بكرة واصيلا)، وقد ورد هذا اللفظ في الآيات القرآنية التالية:

﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٤٩]

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٥٠]

﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٥١]

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[٥٢]

والبكرة: أول النهار إلى طلوع الشمس[٥٣]، أما الأصيل: فهو ما بعد العصر إلى المغرب [٥٤]، والمعنى في الآيات القرآنية دار حول (الإملاء، والتسبيح، والذكر)، وإذا ما علمنا إن الشاعر قصد الندب والبكاء والعويل، نلحظ الاختلاف التام في المعنى وان حصل الاتفاق في اللفظ، فالاختلاف وارد مع المعنى العام للآية.

والمعنى إن الإمام المعصوم الحسين الشهيد عليه السلام بعد فقد أخيه العباس عليه السلام ظلّ يندبه طيلة الوقت، وقد أكدت الروايات هذا المعنى فقد روي ان الامام الحسين عليه السلام لما رأى العباس عليه السلام صريعا بكى وحمله الى الخيمة وقال: (الآن انكسر ظهري وقلت حيلتي)[٥٥].

فالحسين عليه السلام وقف عند أخيه العباس عليه السلام ورآه مقطوع اليدين من الزندين، مفضوخ الهامة فأستاء له وأحترق قلبه حزناً وترقرقت عبرته وجداً عليه.

ولا شك إن من أجرى افتقاده دمعة الحسين الصبور وأسبل مصابه عبرة الإمام الأبي الغيور، هو في أعظم الدرجات سمواً وارتفاعا وأسماها مفخراً، فهو يستحق ان تستدر العظماء عليه حلب أجفانها، وتبكي عليه بدل الدموع دما.

أما ما يخص الدور الرسالي الذي قام به العباس عليه السلام فنجده بقول الشاعر (مهدي النهيري) في قصيدة (واقف على شرفة المعنى):

(الطويل)

على نهـر الأحـلام ينـوي اخـضراره ويمـــلأ بالمـــاء النـــبيّ جـــراره
ويبتكـــر الأشـــياء ثمّ يعافهـــا لتنمـــو وكالأسمـــاء يبقـــى ابتكـــاره
لقـد جـاء مـن أقصـى المدينـة شـاعراً يمـارس في صـمت الوجـوه انتشـاره

٤٨ – ديوان الحويزي:٢ /١٧٥-١٧٧.
٤٩ – سورة الفرقان: آية: ٥.
٥٠ – سورة الأحزاب: آية: ٤٢.
٥١ – سورة الفتح: آية: ٩.
٥٢ – سورة الإنسان: آية: ٢٥.
٥٣ – القاموس الفقهي: ٤١
٥٤ – الجامع لأحكام القرآن: ٥/ هامش ٣١٢.
٥٥ – بحار الأنوار: ٤٥/ ٤٢.

بــه آمــن النخــل العراقــي وانتمــى إليــه سمــواً واســتطال مــداره[٥٦]

ان الشطر الأول من البيت الثالث (لقد جاء من أقصى المدينة شاعراً) ينبئنا من أول وهلة بقوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾[٥٧].

وهناك علاقة تمثيل بياني بينمهما واقتباس بلاغي واضح، فالشاعر يشبه العباس عليه السلام، بذلك الرجل الذي جاء من اقصى المدينة هاديا وناصح لقومه، وفي ذلك تأكيد واضح على الدور الرسالي الذي كان يمارسه العباس عليه السلام.

المبحث الثاني:نمط القرآنية غير المباشرة المحوّرة:

ومعناها (أنّ يستلهم الشاعر لفظة أو لفظتين لتوظيفهما في انزياح لغويّ جديد)[٥٨]، ولأنّ القرآن هو المصدر الاول الملهم لشعراء أهل البيت عليهم السلام، فقد هيمن على ذاكرتهم، فسرعان ما تحال ذاكرتهم على آية من آيات القرآن أو سورة من سوره، لمجرد أن تتلقف أذناه كلمة أو كلمتين ممّا يدور في هذا الكتاب المقدّس.

وفي طور بحثنا هذا وجدنا مراثي العباس عليه السلام في القرآنية غير المباشرة، مختلفة المستويات من حيث تغيب النص القرآني، فهناك تغيب بسيط، وهناك تغيب عميق.

أولاً: القرآنية غير المباشرة المحورة البسيطة:

ويعني هذا النوع ان يحشر الشاعر لفظة واحدة من الفاظ القران الكريم في عباراته الشعرية، وإنّ هذا الملفوظ الواحد يقوم بدور الإشارة إلى النصّ القرآنيّ بعينه، وهذا النوع أقل وضوحا من القرآنية المباشرة، الذي لا يحتاج إلى عناء كبير لمعرفة مكامن التقاطع فيه مع النصوص.

وفي هذا النوع يحتاج المتلقي إلى ثقافة أكبر وإحاطة بالنصّوص القرآنية أعظم ممّا هي الحال في القرآنية المباشرة، إذ لا دليل علىها غير إشارة واحدة، وهو أكثر وضوحًا من القرآنية المباشرة العميقة.

أما الخصائص العباسية التي صورها الشعراء من خلال القرآنية في هذا المورد من الفصل الثاني فهي: (الإيثار)، و(كونه المستغاث)، و(جوده وكرمه)، و(شجاعته).

فمما يخص إيثاره عليه السلام قول الشاعر كاظم سبتي في قصيدته التي قالها منتدباً الإمام المهدي عجل الله فرجه، ويختمها في رثاء أبي الفضل العباس عليه السلام:

(الكامل)

قـد حـق قـولَ الحـق فيـه لـدى الظمـا و يـــؤثرون ألا تـــرى إيثـــاره
ذكــر الحســينَ وكيــف ينســى قلبَــه رهــنَ الظمــا وكبــاره وصــغاره

---

٥٦ – الجود: ١ / ٥٤.

٥٧ – سورة يس: آية ٢٠.

٥٨ – التناص في شعر أبي العلاء المعري: د. ابراهيم مصطفى محمّد الدهون، عالم الكتب الحديث، اربد–الاردن، ٢٠١١م، ط١، ١٣٤.

مـــلأ المـــزادةَ لم يذقـــه وقلبُـــه ... كـــالجمر شـــبّ بـــه الأوامُ أواره
وقـــد انتـــضى بتـــارَه وحمـــاهم ... يـــومَ الـــوغى ان يـــنتضي بتـــاره[٥٩]

في البيت الأول ينفتح الشاعر على الآية القرآنيّة في ملفوظ (ويؤثرون)؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٦٠].

وقد أكد الشاعر تضمينه للنص المقدس داخل البيت الشعري، ولفت انتباهنا بقوله:(حق قول الحق فيه) وقول الحق هو القران الكريم، ومن ثم اورد النص المقدس (و يؤثرون) فهذه الكلمة تجعلنا نستحضر من أول مرة.

وفي الواقع ان اللفظة لها ايحاء مميز لا تمتلكه جميع الألفاظ، وذلك لأنها ملفوظ قرآنيّ أصلا وإلاّ فـ: ((الألفاظ المفردة لا يمكن أن تكوّن تعالقاً نصّيًّا إلا في بعض المفردات ذات الإيحاءات المميزة التي ترتبط بنصّ معين مثل (مشكاة) و (هاروت) و (القدر)))[٦١]، أو تلك الألفاظ التي تكون مشتركة بين ما يقوله الناس وما هو في القرآن إلاّ أنها توظف في سياق ومطلب قرآنيّ فتحسب على ملفوظات القرآن، إذ: (إنّ الأسلوب وجه من وجوه المعنى)[٦٢]، وهنا ملفوظ (وَيُؤْثِرُونَ) جاء مقروناً بأجواء مشابهة لأجواء النصّ القرآنيّ.

والإيثار من صفات وخصائص سيدنا ومولانا ابي الفضل العباس عليه السلام، فقد روي في هذا المعنى عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: ((رحم الله العباس، فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وأن للعباس عند الله تعالى منزلة يغبطه بها جميع الشهداء يوم القيامة)) [٦٣].

ولا يخفى إن سيدنا العباس عليه السلام قد آثر بنفسه وعلى نفسه، أما ايثاره بنفسه فواضح من أراجيزه إذ يقول:

نفسي لنفس الطاهر الطهر وقا

وأمّا إيثاره للحسين عليه السلام على نفسه فذاك حين رمى الماء من يده كأنه يقول: لا ذقت الماء وابن رسول الله عطشان مع كونه قد أشرف على التلف من الظمأ، وذلك واضحٌ جليٌ في أرجوزته المشهورة:

يا نفـس مـن بعـد الحسـين هـوني ... وبعـــده لا كنـــت أن تكـــوني
هـــذا حســـين شـــارب المنـــون ... وتـــــشربين بادر المعـــــين[٦٤]

---

٥٩ – ديوان منتقى الدرر في النبي واله الغرر ج١ ص٣٦– ٣٩.
٦٠ – سورة الحشر: آية: ٩.
٦١ – التناص في الشعر الأندلسي في عهد دولة بني الأحمر:٣.
٦٢ – الأسلوب والأسلوبيّة: كراهام هاف، ترجمة: كاظم سعد الدين، مجلة آفاق، سلسلة كتب شهريّة تصدر عن دار افاق عربيّة، العدد١، كانون الثاني، ١٩٨٥م، ٢٣.
٦٣ – الأنوار العلوية: ٤٤٢.
٦٤ – مقتل الحسين عليه السلام: ١٧٩.

قد صرّح عليه السلام في هذا الشعر أنّه آثر أخاه الحسين عليه السلام ليس على سبيل الارتكاز الجبلّيّ لا بداعي الطبع الفطريّ ولا طاوع فيه الخلق الغريزيّ وإنّما كان ذلك عن فقه في الدين وعلم بما للمؤثر على نفسه من عظيم الأجر وبالأخصّ إذا كان الإيثار للإمام المفترض الطاعة ذلك حيث يقول فيه:

ولـيس هـذا مـن شـعار ديـني ... ولا فعـال صـادق اليقـين[٦٥]

ولقد استطاع الشاعر أن يتوافق برؤيته مع قصديّة الآية الكريمة، فكانت هذه القرآنية، متفقة مع النص في المعنى والدلالة، فهي قرآنية غير مباشرة محورية ان صح التعبير.

اما كونه عليه السلام المستغاث والملتجئ الذ ي يستغاث به فمن ذلك قول الشاعر السيّد حسين بحر العلوم في شكوى وجهها إلى العباس عليه السلام بعنوان (يا أبا الفضل): يستغيث به، بعد ان يبين منزلته عند الله: (الخفيف)

أنـتَ أسمـى مِـنْ أنْ تكـونَ بخيـلَ ... الجـاهِ، وَقّـرَ الآذان للطلبـاتِ
أنـتَ لـو شـئتَ تغمـرُ الجَـدْ ... بَ وتحيـي النفـوسَ بعـد المـماتِ
أنـتَ لـو شـئتَ لم يكـن غـير ماشِـ ... ـتَ، فيُطـوي مـاضٍ ويُنشـرُ آتِ
وقضـاءُ الإلـهِ يجـري بكفّيْـ ... ـكَ نميـراً في المحـوِ والإثبـات
بـك جـاهٌ عنـدَ الآلـهِ عظـيمٌ ... قَـدْ تَسَـنَّمْتَهُ بأقـدسِ ذاتِ
إذ شـرى اللهُ منـكَ نفسـاً تسـامتْ ... في مراقـي الكمـالِ والقـرباتِ
هـيَ نفـحٌ مـن روضـةِ الجَنَّـاتِ ... وهـيَ لمـحٌ مـن آيـةِ المِشْـكاةِ
مسّـني الضـرُّ- يا أبا الفضـلِ- واليـأ ... ـسُ مِـنَ الخـيرِ عـمَّ سـتَّ جهـاتي
مسّـني الضـرُّ يا أبا الفضـلِ حـتّى ... سـخرتْ بي معـارفي ولـداتي
عُـدْتُ مِـنْ وطـأةِ الزمـانِ هشـيماً ... بَعْثَرَتْـهُ الـرياحُ في الفلـواتِ
وغـدا مجـديَ المؤثَّـلُ نهشـاً ... بـينَ فكّـي عـواذلي وعـداتي[٦٦]

الملاحظ على هذا النص هو احتوائه على الكثير من مواطن القرآنية غير المباشرة، وهي بسيطة كونها اشتملت على اشارات واضحة، توحي لنا بالنص القرآني المقدس.

وأول هذه الإشارات العبارة الشعرية (وتحيي النفوسَ بعد المماتِ) والتي تشير في أول وهلة إلى قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[٦٧]، وهي صفة من صفات الله سبحانه وتعالى.

ومن جانب آخر فقد اوحت لنا بالبر الذي كان يمتلكه شخص العباس عليه السلام والذي ليس فوقه بر اضافة الى غيرها من الصفات كالشجاعة التي تمثلت بامتلاكه مجازا صفة الطوي للماضي والنشر للآت كما في العبارة (فيُطوي ماضٍ ويُنشرُ آتِ) وهي توحي لنا بقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ

٦٥ – بطل العلقمي: ٣/٣٧٣.
٦٦ – زورق الخيال:١٨٢-١٨٥.
٦٧ – سورة الحج: آية ٦.

السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ ﴾[٦٨] وهي صفة من صفات الله، وكذلك اعطاء القدرة الإلهية في المحو والاثبات كما في العبارة الشعرية (في المحوِ والإثبات) فهي تشير في اول وهلة الى قوله تعالى: ﴿يَمْحُو اللّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[٦٩]، ولا شك ان من جعله الله يكتسب هذه الصفات الالهية هو على علاقة وطيدة وتجارية تقوم على البيع والشراء، وفقط مع الذين اختارهم الله يكونون معه في هذا التجارة، وأبو الفضل من أولئك الذين رقوا الكمال فاختارهم الله واشترى منه نفسه، وهذا واضح بالعبارة الشعرية (إذ شرى اللهُ منكَ نفساً) والتي توحي بالآية القرآنية: ﴿إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾[٧٠]، ولا شك ان النفس التي تكون لمح من آية المشكاة كما عبر الشاعر عن نفس العباس عليه السلام بقوله (وهيَ لمحٌ من آيةِ المِشْكاةِ)، فهي على علاقة كبيرة مع الله، وقول الشاعر يوحي من اول وهلة الى قوله تعالى: ﴿اللّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ... ﴾[٧١] والتي تعني أهل البيت عليهم السلام[٧٢]، فهو فرع من تلك الشجرة، وهو وسيلة من الوسائل التي أمرنا الله ان نبتغيها إليه بقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾[٧٣]، لذلك نجد الشاعر قد جعل من العباس عليه السلام وسيلة إلى الله بقوله (مسّني الضرُّ- يا أبا الفضلِ-) وهي توحي بقوله تعالى ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٧٤]، فالنبي عليه السلام كونه معصوم تراه يناجي ربه مباشرة اما نحن العاصون فنجعل من أهل البيت عليهم السلام والعباس عليه السلام وسيلة إلى الله سبحانه وتعالى نقدمها امام حاجتنا وطلباتنا عسى الله ان يستجيب ويتقبل لنا بحقهم.

وقد اتخذ الشعراء من قصة السيدة مريم صورة للتعبير عن بعض الصفات المتجسدة بشخص العباس كالجود والكرم والعطاء، وكونه المستغاث والملجئ في الشدائد، مصورين ذلك من خلال النصوص القرآنية التي تحدثت عن السيدة مريم عليها السلام، ومن ذلك قول الشاعر (مجتبى التنان) في قصيدته: (عناقٌ في السماء الثامنة):

(الكامل)

وكـــانّ رايتـــك الأبيـــة نخلـــة ... هـــزت بهـــا كـــف العـــراق ومـــريم
مـــن الـــف عـــام والعـــراق محبـــة ... في الـــروح يبـــذرها الفـــؤاد المغـــرم
ولانـــت مـــن مـــنح المحبـــة قلعـــة ... مهمـــا طغـــى الارهـــاب لا تتهـــدم[٧٥]

---

٦٨ – سورة الانبياء: آية ١٠٤.
٦٩ – سورة الرعد: آية ٣٩.
٧٠ – سورة التوبة: آية ١١١.
٧١ – سورة النور: آية٣٥.
٧٢ – ينظر: الوافي: ٣/ ٥١١.
٧٣ – سورة المائدة: آية٣٥.
٧٤ – سورة الأنبياء: آية٨٣.
٧٥ – الجود:٤/ ٦٤.

جعل الشاعر من لفظ (النخلة، ومريم) جسراً للوصول إلى النص القرآني المقدس، ليلفت المتلقي بشكل سريع وبسيط من غير عناء من خلال الدلائل الإشارية.

فقراءة البيت الأول من المقطوعة يحيلك مباشرة إلى قوله تعالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٧٦].

ولا يخفى انه لم تحظ شجرة في تراثنا العربي بما حظيت به النخلة من تكريم حتى أنها عدة رمزا للشموخ والأصالة والعطاء المتجدد، ومن هنا شبّه الشاعر راية العبّاس عليه السلام بالنخلة من حيث الوفاء والعطاء، فهي راية ما زال عطاؤها، وما زالت تلقي بظلالها على رؤوس المؤمنين.

وكذلك في نفس المعنى المتقدم تقول الشاعرة: (رنا محمد الخويلدي) في قصيدة (رسالة من كفين قطيعين لم تقرأ بعد):

(الكامل)

طرسي أتى لرحاب ذكرك محرما	**ويراعتي جاءت لجذعك مريما**
ونبضت في صدري..والقينا على	**كرسيّه جسدا لكي يتنظما**
فكم انتظرتك في غياهب عتمة	**والعين في أفق الكواكب حيثما**
وأنا أمشط بالرموش دجنّة	**ليمر عيني المنام وتحلما**
فلعلني ألقى أكفا تحتوي	**عمر اخضرار قد توكأ مهرما**[٧٧]

استعملت الشاعرة ألفاظاً بسيطة مثل (جذعك، ومريم)، ذاهبة بالسامع إلى الآية القرآنية ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا﴾[٧٨].

فنلحظ الشاعرة تخاطب العباس بألفاظ بسيطة في صياغتها تعبر فيها عن براءتها فكأنها تقول للعباس: كتابي أو صحيفتي البيضاء جاءتك لتكتب عنك، لكني فزعة أمام هذه الشخصية العظيمة التي لجأت إليها لتأمن روعتي وفزعتي، كما لجأت مريم عليها السلام إلى جذع النّخلة، كما أنها استغاثت بأبي الفضل العباس وشبهته بالنخلة التي استغاثت بها مريم عليها السلام، وأبو الفضل العباس هو المستغاث الذي يستغاث به.

وقد ضمن الشعراء الكثير من النصوص التي دلت دلالة واضحة على شجاعة العباس عليه السلام ومن ذلك قول الشواهد على ذلك قول الشاعر (أحمد العلياوي) في قصيدة((قصّة الجود والقرى)):

(الكامل)

صعب له الطرقات تنشر وسعها	**لينال من خاف المكرّ فرارها**
وهو الذي إن شاء شاء كما يرى	**فأبرّ لم يخلف وزاد خسارها**
حرب جناها نخلة وسمت له	**رطباً تلفّ على يديه سوارها**
وتصافح الشجر السقيب مباركاً	**من سوف يمنح للغصون ثمارها**
وإليه تنظر من بعيد غمامة	**مذ سلّ منها في الجديب فقارها**

٧٦ – سورة مريم: آية٢٥.
٧٧ – الجود:١/١٢٠.
٧٨ – سورة مريم: آية٢٥.

ورنا لـه القصـص القـديم حكايـة ... فيهـا يؤلـف روحهـا وحوارهـا
لجـأت إليـه الشـمس يـوم تكـوّرت ... جاءتـه تحمـل ذلّهـا وقتارهـا
ودعتـه يحمـي الأُفـق يغسـل جبهـة الـ ... ضـوء العتيـق وأن يصـون ذمارهـا
فاشـتدّ فيـه البـأس يـوم أجارهـا ... وأشـاع مـن بأسـائها أخبارهـا
ودجـى علـيهم لا يلـين مراسـه ... فأحـال عمياً في السيوف شفارها[٧٩]

فقد تمثّلت الكناية داخل النص في أكثر من موضع ممّا جعل النص يفيض جمالاً عن طريق الإيجاز والاختصار والإيماء على وفق حالة الشاعر ورؤيته الخاصة وثقافته وتجاربه الذاتية ففي قوله (تنظر من بعيد غمامة، لجأت إليه الشمس، تلفّ على يديه سوارها) كلّها كنايات فيها دلالة واضحة عن صفتي الشجاعة والكرم التي تجسّدت في شخص المرثي عليه السلام فقد أعطت البطولة والشجاعة الشاعر قدرة على تخيل المعاني المبتكرة خيال دحض الأشياء بمعاني رائعة، ولا يخفى أنّ العبّاس عليه السلام من عائلة عرفت بالشجاعة والبطولة فوالده أمير المؤمنين عليه السلام فلا شكّ ولا ريب في أن يملك العبّاس شجاعة لا تجارى فهو فرع من ذلك الأصل فهو كما يقول السيّد جعفر الحلّي:

(الكامل)

بطـل تـورّث مـن أبيـه شـجاعة ... فيهـا أنـوف بـني الضـلالة تـرغم[٨٠]

ولقد وصف أحد زعماء جند يزيد شجاعة العبّاس وأخوته وأصحابه بقوله: (ثارت علينا عصابة، أيديها على مقارض سيوفها، كالأُسود الضارية، تحطم الفرسان يميناً وشمالاً، وتلقي بنفسها على الموت، لا تقبل الأمان، ولا ترغب في مال، ولا يحول حائل بينها وبين حياض المنيّة أو النصر، فلو كففنا عنها رويداً لأتت على نفوس العسكر بحذافيرها)[٨١].

وروي أنّ العبّاس عليه السلام لما قطعت يمينه أخذ السيف بيساره وواصل القتال وقتل بيد واحدة عدداً غير قليل[٨٢].

وقد صور الشاعر ذلك بقوله: ((حرب جناها وسمت له..)) الأعداد التي قتلها العبّاس عليه السلام، وكذلك يصوّر الانتصار الباهر وهو انتصار الدم على السيف.

ثانيا: القرآنية غير المباشرة المحورة العميقة:

يختلف هذا النوع عن القرآنية البسيطة من حيث ان الشاعر في هذا النوع يهيّئ أجواء النصّ لإعانة المتلقي على الذهاب إلى النصّ القرآني بمخيّلته ولا يعتمد على إضاءة الإشارة التي غالبًا ما تكون بسيطة، وفي الواقع ان الاشارة لا تغيب هنا، ولكنها تكون محورة بعض الشيء وبعيدة ممّا يصعب التقافها.

---

٧٩ – الجود: ٣ / ٦٧.
٨٠ – سحر بابل وسجع البلابل: السيّد جعفر: ٤٣١.
٨١ – العبّاس بطولة الروح وشجاعة السيف، هادي محمّد: ٨١.
٨٢ – ينظر: قمر بني هاشم، سيدنا ومولانا أبو الفضل العباس، السيد أحمد شكر الحسيني:٢٥٦.

وبتعبير آخر إن النص القرآني في هذا النوع يكون مغيب عن المتلقي غيابا قد يفقده حق الملكية الابداعية التي ورثها المبدع الجديد، اذ لا تكاد تقف على صرح النص القديم إلا على بعض اشارات قد يقوى ضوؤها [٨٣].

وصور الشعراء من خصائص العباس عليه السلام في هذا المبحث الثاني من الفصل الثاني (شجاعة العباس وايثاره)، و(علمه وفضله)، و(صبره)، و(جوده)، و(عظمة الجرم الذي ارتكبه الأعداء)، و(كونه الحامي)، و(الشهيد الخالد)، (وتفانيه).

فمما خصت به الشجاعة والإيثار قول الشاعر الحاج الملا مهدي الشهابي الدرازي البحراني: (الطويل)

وما ذاق طعم الما وقد كظه الظما ... فدونكها صدق المواسات من خل
وآب الى نحو الخبا يحمل السقا ... فكم طفلة روى حشاها وكم طفل
ولكنه لم يكفهم فاستقى لهم ... بذآك السقا طوراً أخيراً فتى الفحل
كأنه سليمان البساط مذ استوى ... على اشهب كالريح والقوم كالنمل
تجافوا جميعاً خيفة وهو صامت ... فداس على انف اليافوخ بالنعل [٨٤]

إنّ أجواء البيت الرابع تحيل إلى أجواء الآية القرآنية: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ﴾ [٨٥]، فالشاعر لا يكتفي بالإشارة الضعيفة في ملفوظ (سليمان) و(الريح) الذي يحيل إلى ملفوظ (ولسليمان الريح) في النصّ القرآنيّ، وإنّما عمد إلى إضافة العامل الآخر وهو معنى النصّ ودلالته الكليّة.

و تشير هذه الآية إلى جانب من المواهب التي منحها الله للنبي سليمان عليه السلام فتقول الآية: ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وهذا الأمر ليس عجيبا، لأننا عارفون به وكنا بكل شئ عالمين فنحن مطلعون على أسرار عالم الوجود، والقوانين والأنظمة الحاكمة عليه، ونعلم كيفية السيطرة عليها، ونعلم كذلك نتيجة وعاقبة هذا العمل، وعلى كل حال فإن كل شئ خاضع ومسلم أمام علمنا وقدرتنا.

وفي الواقع أنها كانت موهبة إلهية خارقة وضعت تحت تصرف هذا النبي العظيم، وما أكثر المسائل التي نعلم بوجودها الإجمالي، ونجهل تفصيلها؟! إن معلوماتنا في مقابل ما نجهله كالقطرة من البحر المحيط، أو كالذرة مقابل الجبل العظيم [٨٦].

---

٨٣ – تأصيل النص: ١٨٣.
٨٤ – ديوان النصرة المهدية: ١٨–٢٠.
٨٥ – سورة الأنبياء: ٨١.
٨٦ – الامثل في تفسير كتاب الله المنزل: ٢٢٢/١٠.

واما عن العلاقة بين الآية القرآنية والنص الشعري، فاذا ما نظرنا الى المعجزة التي حصلت للنبي سليمان فهي أمر خارق للعادة فهي معجزة حقيقية ينطبق عليها تعريف المعجزة، كما يقول السيوطي: المعجزة أمر خارق للعادة، مقرون بالتحدي، سالم عن المعارضة [٨٧].

فمن هذه الناحية لا توجد علاقة بين النص والعباس عليه السلام فهو لم يأت بأمر خارق للعادة وقوانين الطبيعة خاصة اذا ما علمنا ان اغلب العلماء يعلون عن أن قضية كربلاء لم تُبنَ على الإعجاز الغيبيّ، والّا لكان ليد الإعجاز ان تبيد الأعداء وان تحرق كياناتهم باصبع من الغيب! وأن يكون للحسين عليه السلام وكربلاء شأن آخر [٨٨].

ولكن في الحقيقة العباس عليه السلام كان بحق هو معجزة الحسين عليه السلام بحق اذا كان الاعجاز من منظار الانتصار فيحصل الاتفاق بين النص القرآني والمعنى الذي قصده الشاعر من حيث الاعجاز، وذلك اذا ما علمنا ان الانتصار الحقيقي ليس بمجرد الاستمرار في الحياة والبقاء في الدنيا، بل هو انتصار الحق، بتحقق الأهداف المطلوبة من المواقف والوقائع، واستمرارها في كيان الانسانية وأداء اثرها، وهو ما قد حصل من كربلاء.

وان كانت المعجزة التي تحققت مع النبي سليمان هي السير على الرياح، فانّ المعجزة التي تحققت في كربلاء هي من نوع آخر، فإنّ أعلى مظاهر الإعجاز وأهمها في كربلاء هو (العباس عليه السلام) نفسه، حيث احتوى بمفرده على كل تلك المكارم والمآثر في سماته وسيرته؛ فبلغ من المقام والرفعة (درجة يغبطه بها الشهداء يوم القيامة)

فالعباس عليه السلام –بلا شك– كان أكبر معجزة لأخيه الإمام المعصوم، وذلك لأنّ قتل الحسين عليه السلام هو من دلائل النبوة، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله أخبر عنه، وهو من أخباره بالغيب بأمور تحققت في المستقبل، كما اورده ارباب الكتب الجامع لدلائل النبوة.

فهذه كلها معجزات؛ لتحققها واقتران اخبارها باليقين، فليست الا من الوحي المبين من رب العالمين على نبيه الامين.

وبذلك فان وجود العباس عليه السلام في واقعة الطف في كربلاء – وهو من أعلامها واعيانها وعليه تدور أكثر قضاياها المهمة، ووجوده فيها وجود عضوي في انجازها، كل ذلك يدخله في المعجزة ويتحقق به الإعجاز [٨٩].

فخروج العباس عليه السلام مع الحسين عليه السلام وقيامه بتلك المهمات وفي جميع ادوارها الحساسة، لهو من خوارق العادة، وعلى وفق هذا المعنى صح وجه التقارب والتمثيل بين العباس عليه السلام والنبي سليمان عليه السلام، ومن جانب اخر فيه بيان واضح للموقف البطولي الشجاع للعباس عليه السلام.

٨٧ – الإتقان في علوم القران: ٢/ ١١٦.
٨٨ – العباس أبو الفضل ابن أمير المؤمنين سماته وسيرته: ٢٣٦.
٨٩ – العباس أبو الفضل ابن أمير المؤمنين سماته وسيرته: ٢٣٦.

ومن الشواهد الأخرى في هذا الباب التي خصت شجاعته عليه السلام قول الشاعر احسان محمد شاكر في قصيدته (مرثية للقمر) إذ يقول:

(المتقارب)

بِرُعــبٍ تَجــوسُ خــلال القلــوبِ ... فتُملــكُ مُصــطَكَةً منــكَ ذُعــرا
وتســطو تُــزفُّ إليــكَ الرِّقــابُ ... فيفــتضُّ ماضــيك مــا كــان بِكــرا
وتطفِــقُ مَســحاً تخــالُ الــرؤوسَ ... نِثــارَ الــدَّراهمِ في العُــرس تُــبرى[٩٠]

ففي البيت الثالث إشارة إلى أن العباس عليه السلام كان يبادر إلى قطع الرؤوس، وفي التعبير إشارة إلى قوله تعالى عن النبيّ داود عليه السلام: (فطفق مسحا بالسوق والأعناق) [٩١]

ومن الشواهد الاخرى التي خصت علم العباس عليه السلام وفضله وتقواه قول الشاعر الحاج الملا مهدي الشهابي الدرازي البحراني:

(الطويل)

سمــو الفــتى يا صــاح بالعلــم والعقــل ... فــدونك قــول الفصــل مــا هــو بالهــزل
محاســن فعــل المــرء عنــوان فضــله ... كــذلك مســاويه عنــاوين للجهــل
ولا فضــل كــالتقوى اذا صــانها الفــتى ... بعلــم فــأدى للفــرائض والنفــل
فمــن حــاز هــذا الوصــف ثم مدحتــه ... اصــبت ولكــن لا كفضــل ابي الفضــل[٩٢]

في الشطر الثاني من البيت الأول ضمن الشاعر بشكل صريح آيتين قرآنيتين ففي قوله: (فدونك قول الفصل ما هو بالهزل)، يشير الى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ۞ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ [٩٣]، ففي هذا البيت قرآنية مباشرة محورية، ولكنا أدرجناه في هذا المبحث لكون الشاعر أراد ان يقول لنا دونك اي يكفيك قول الفصل الذي هو ليس بهزل بل هو قول قرآني وانشد البيت الثاني: (محاسن....). فهو يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾[٩٤].

بالإضافة إلى غيرها من الآيات التي ينبأ بها النص الشعري، ففي الشطر الأول من البيت الأول يتضح لنا قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٩٥]، وقوله عز وجل كذلك ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴾[٩٦].

وفي البيت الثالث نلحظ من الوهلة الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴾[٩٧]، وكذلك قوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْاْ مَاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْراً لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴾[٩٨].

---

٩٠ – مرثية للقمر: ٥–٣٦.
٩١ – سورة ص: ٣٣.
٩٢ – ديوان النصرة المهدية: ١٨–٢٠.
٩٣ – سورة الطارق آية: ١٣ و ١٤.
٩٤ – سورة الإسراء: آية ٧.
٩٥ – سورة الزمر: آية ٩.
٩٦ – سورة ص: آية ٢٨.

والمعنى العام للنص الشعري الذي يقصده الشاعر، هو أنّ الشخص إذا صار يمتلك هذه المميزات يعني أن يكون رجلاً عالماً عاقلاً، وفاضلاً، ومتقياً ورعاً، فهو يستحق بأن تمدحه، ولكن لا يخفى عليك أيها المادح انه لا فضل ولا عطاء يضاهي فضل وعطاء وجود العباس عليه السلام، فهو الذي بذل مهجته في سبيل الدين، وأعطى كل ما يملك في سبيل إعلاء كلمة الحق.

ويستمر الشعراء في مراثيهم للعباس عليه السلام بالتركيز على القيم الانسانية والمواقف البطولية للعباس عليه السلام من خلال القرآنية العميقة والمتمثلة بصبره عليه السلام ومن ذلك قول الشاعر (غني جبّار العمار) في قصيدة (يا سيّد الماء... غيض الماء):

(الكامل)

رأس الفـرات أتـى إليـك مطأطـأ ... ولنبـل (حرملـة) بـه امضـاء
أيّـوب قـافلتي وجرحـي نخلـة ... رفعـت يـديها والعـذوق دعـاء[99]

صور الشاعر لنا في البيت الأول وصول أبو الفضل العباس عليه السلام إلى المشرعة واغترافه الماء وعدم شربه له، ويتحول في البيت الثاني متحدثا عن لسان العباس صلوات الله عليه بقوله: (أيوب قافلتي) وهذه العبارة توحي لنا بقوله تعالى عندما يخاطب النبي أيوب عليه السلام: ﴿...إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾[100]. وفي قوله: (جرحي نخلة) تصوير لعظمة العطش الذي ألم به وقد شبهه بالشق الذي يفعلونه في النخيل لأجل أن يتسرب عنه الماء المالح.

وان أبا الفضل سلام الله عليه انما أراد ان يقتل آخر صيحات النفس اللا معصومة في داخلِه.. وكأنها كانت تجره بخيطِ الآدمية الى فعلٍ مباحٍ حَسنْ.. لا إشكال فيهْ.. وكأن الله اختبره بهذه المشقة التي ما بعدها مشقة في رفعةِ نفسهِ الى درجةِ العصمة.

وفي نفس هذا المعنى يقول الشاعر إحسان محمّد شاكر في قصيدته (مرثية للقمر):

(المتقارب)

فلـو ألـفُ أيـوب في واحـد ... على بعض بلواك ما اسطاع صبرا[101]

فهو يصور عظمة موقف العباس عليه السلام وصبره العظيم، وفي تعبير الشاعر مبالغة، وتعبير مجازي يبغي منه التصوير العظيم للصبر البالغ الذي صبره العباس وهذا ما اكده الإمام المعصوم بقوله يصف العباس عليه السلام: ((فَنِعْمَ الصّابِرُ المجاهِدُ المحامِي النّاصِرُ وَالأخُ الدّافِعُ عَنْ اَخيه))[102].

ومن المعاني الأخرى هي التفاني من أجل الاسلام والإمام الحسين عليه السلام وهذا المعنى نجده في قول الشاعر (احسان محمد شاكر) إذ يقول في قصيدته الموسومة (مرثية للقمر):

---

٩٧ – سورة الحجر: آية ٤٥.
٩٨ – سورة النحل: آية٣٠
٩٩ – الجود: ١ / ٨٠.
١٠٠ – سورة ص: آية ٤٤.
١٠١ – مرثية للقمر: ٣.
١٠٢ – المزار، للشيخ المفيد: ١٢٤.

(المتقارب)

فأنــتَ اصــطَنِعتَ لــنفس الحســينِ ... علــى عــينِ حيــدرَ خَلْقــاً وأمــرا
وقلبُــــكَ روّضَــــهُ ذو الجــــلالِ ... لدُنْــهُ، فغــذّاه عرفــاً ونكــرا[١٠٣]

فقد قال الحق تعالى مخاطباً النبي موسى عليه السلام ﴿وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي﴾[١٠٤]، وقال ايضا: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[١٠٥]، والمراد بـ (خلقا وامرا)، اي ظاهرا وباطنا، جاء في الآية: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾[١٠٦]، اي الظاهر والباطن. والعباس عليه السلام رجل خصه الله وخلقه من اجل كربلاء، وصنعه لنصرة الاسلام والحق فقد روي ان الامام الحسين عليه السلام قال للعباس عليه السلام عندما سلّ سيفه في حادثة أخيه الحسن عليه السلام قال له يا اخي اغمدن سيفك ليس هذا يومك وانما يومك في كربلاء.

اتجه الشعراء إلى تصوير عظمة الجرم الذي ارتكبه الأعداء وبشاعته ومن ذلك قول الشاعر (سجاد عبد الحميد عدنان):

(الطويل)

جـذوعها سـتر يأجـوج الطغـاة وكـم ... من مـارقين على افيائها عكفوا [١٠٧]

﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴾[١٠٨]، فقد شبه الشاعر الساتر الذي وضعه الاعداء وتستروا خلفه بهذا السد الذي ورد في النص القرآني وفي ذلك تصوير لموقف الغدر الذي قاموا به، والجبن الذي يتكبد في شخصيتهم.

ويقول الشاعر (خالد الداحي):

(البسيط)

لــو جــاءه ســائل يــوم بمســغبة ... عيناه قالت قبل الراحتين نعم [١٠٩]

يشعرك النص من اول قراءة بالنص المقدس ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾[١١٠]، ولا شك ولا ريب ان ابا الفضل العباس عليه السلام هو التجسيد الحي لمبادئ القران الكريم، فهو الذي لا يرد أي سائل يطلب منه والشواهد على ذلك كثير.

وأكد هذا المعنى الشاعر (الشيخ محسن أبو الحب (الكبير)): عندما شبه العباس بالسيد المسيح بقوله من قصيدة في العَلَمِ الذي أهديَ إلى روضة العبّاس ابن أمير المؤمنين عليه السلام:

(البسيط)

---

١٠٣ – مرثية للقمر: ٥-٣٦.
١٠٤ – سورة طه: ٤١.
١٠٥ – سورة طه: ٣٩.
١٠٦ – سورة الأعراف: ٥٤.
١٠٧ – الجود: ٢/ ٨٤.
١٠٨ – سورة الكهف: ٩٤.
١٠٩ – الجود: ٦٦/١.
١١٠ – سورة البلد: ١٤.

كـان ابـنُ مـريمَ يـبري كـلَّ ذي عَمَـهٍ ... ويُخـبر النـاسَ عمـا كـان مـذخورا
واليـومَ ضـاهأه العبـاسُ منقبـةً ... مـازال سـعيُك يا عبـاسُ مشـكورا
أما ترى الرجلَ الأعمى الذي فُتحتْ ... عينـاه لمّـا أتـى العبـاسَ مـذعورا
مستشـفعاً بأبي الفضـلِ الكـريمِ إلى ... اللهِ الجليـلِ فلـم يُرجعْـه مخسـورا
فكـان للنّـاس عيـدٌ لا نظـيرَ لـه ... والعيـدُ مـا عـاد فيـه المرءُ محبـورا[111]

فالشاعر جعل العباس يضاهي السيد المسيح عليه السلام فكما كان السيد المسيح عليه السلام يبره الأكمه كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[112]، فكما كان يقوم المسيح بهذه الاعمال بالعجزة بقدرة الله، صار العباس عليه السلام يشفي المرضى، ويقضي الحوائج بالكرامة بفضل الله وقدرته.

الخاتمة

وفي نهاية المطاف نود أن نذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي على النحو الآتي:

١. القرآنية من المفاهيم الحديثة في الساحة الأدبية، وأهم ما فيها هو المحافظة على قدسية النص القرآني.
٢. إن تضمين الآية القرآنية في مراثي العباس عليه السلام كان بدقة عالية من الشاعر ممتزج تمام الامتزاج، ومحتل موقعه في نسيج البيت الشعري.
٣. كان بناء النص القرآني في مراثي العباس عليه السلام بيّن المعالم وواضح كشف عن استعمال جيد من قبل الشعراء، ومن جانب آخر نجد فصل الآيات القرآنية عن البيت الشعري ليست بالعملية المعقدة بل هي بسيطة جداً لمن يقرأ النص الشعري قراءة نموذجية منتجة، وهذه العملية تسمى بـ(القراءة الاسترجاعية التأولية).
٤. تعددت أنواع القرآنية في مراثي العباس عليه السلام فمنها موافقه للنص في اللفظ والمعنى ومنها مخالفة، وتعدد المقصود منها فبعضها يشير للرمز، والبعض الآخر الاستغاثة، وضرب المثل، وابتكار الصورة، وهذا ما يدل على الإمكانات الفنية الكبيرة للشعراء.
٥. شكلت القرآنية غير المباشرة المحوّرة بنوعيها البسيطة والعميقة النسبة الأقل في مراثي العباس عليه السلام.
٦. لقد وجد الشعراء في بعض القصص والأمثال القرآنية كـ (قصة موسى، وسليمان، ويوسف، ويعقوب عليهم السلام) وسيلة للتعبير عن بعض الخصائص العباسية كـ (الشجاعة، والإيثار، والصبر والتضحية).
٧. وأخيراً نحمد الله الذي وفقنا لإتمام هذا البحث، ونرجو منه أن يجعله موضع قبول سيدي ومولاي أبي الفضل العباس عليه السلام.

---

١١١ – ديوان الشيخ محسن أبو الحب (الكبير): ٩٥-٩٦.
١١٢ – سورة آل عمران: ٤٩.

ملحق بتراجم الشعراء الذين استشهد الباحث بنصوصهم في بحثه

١. إحسان محمّد شاكر: شاعرٌ عراقيٌ ولائي، له (مرثيّة للقمر)، (مرثيّة الوادي المقدس)[١١٣].
٢. الدكتور أحمد العلياوي: شاعر عراقي وكاتب وإعلامي ولد في الكوفة سنة ١٩٧٨م.[١١٤].
٣. السيّد جعفر الحلي: جعفر ابن السيّد أحمد ابن السيّد محمد حسن آل كمال الدين الحسيني الحلي(١٢٧٧-١٣١٥)، شاعرٌ حاضر البديهة، متوقّد الذهن، نشأ في مدينة الحلة، من مؤلفاته: (الجعفريات)، ديوان شعر في رثاء أهل البيت عليهم السلام، توفي في سنة ١٣١٥، ودفن في النجف الأشرف عند قبر والده[١١٥].
٤. السيد حسين بحر العلوم: حسين ابن السيد محمد تقي بن حسن بن إبراهيم بحر العلوم الطباطبائي (١٣٤٧ - ١٤٢٢ هـ)، أديب فاضل، وشاعر مطبوع، نشأ في النجف الأشرف في ظل أسرة علمية دينية، من مؤلفاته: ديوان شعر - ط -، توفي سنة ١٤٢٢هـ[١١٦].
٥. خالد الداحي: شاعر عراقي مبدع ولد في ديالى سنة ١٩٤٤م، يسكن في مركز الخالص في محافظة ديالى [١١٧].
٦. رنا محمد الخويلدي: شاعرة عراقية من شاعرات النجف الأشرف[١١٨].
٧. سجاد بن عبد الحميد بن عدنان الموسوي: شاعر عراقي ولد في محافظة ذي قار في ناحية الفهود سنة ١٩٨١م [١١٩].

الحاج سعيد الرشافي: سعيد بن عبد الحسن بن محمد بن يوسف بن حسين ابن الشيخ سلمان لعسيلي الرشافي العاملي (١٣٤٨-١٤١٤هـ)، شاعر، ومؤرخ، نشأ في لبنان نشأة أدبية، تتلمذ على أبيه في فنون الشعر، نظم الشعر وهو في العاشرة من عمره، من مؤلفاته: ديوان شعر بعنوان: (ديوان الشاعر الحزين)، (ملحمة الإمامين علي والحسن عليهما السلام)، (أبو طالب كفيل الرسول)، وغيرها، توفي سنة ١٤١٤هـ، ودُفن في بلده لبنان[١٢٠].

٨. سيف حسن حسين الذبحاوي: شاعر عراقي ولد في النجف الأشرف في مدينة الكوفة سنة ١٩٨٢م. [١٢١]

---

١١٣ - ينظر: أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي: ٦٩١.
١١٤ - ينظر: الجود:٣/٦٦.
١١٥ - ينضر: أدب الطف: ٨/١٠٤، طبقات أعلام الشيعة: ١٣/٢٨٨، العرايقيات: ١/١٥٥.
١١٦ - ينظر: شعراء الغدير: ٣/ ٢٥٤، علي في الكتاب والسنة والأدب: ٥/٢٩٥.
١١٧ - ينظر: الجود:٢/٦٤.
١١٨ - ينظر: الجود:١/١٢٠.
١١٩ - ينظر: الجود:٣/٨٢.
١٢٠ - ينظر: معجم الشعراء لكامل سلمان الجبوري: ٢/٣٢٦، موسوعة شعراء الغدير: ٦/٢١١، معجم مؤرخي الشيعة: ١/٣٥٩، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ١٦٠.
١٢١ - ينظر: الجود: ٤/ ١٠٠.

٩. الشيخ عبد الحسين الحويزي: عبد الحسين بن عمران بن حسين بن يوسف بن أحمد بن دروش بن نصار آل قمر الحويزي الليثي الخياط (١٢٨٧- ١٣٧٧هـ)، شاعر شهير، وأديب فاضل، من مؤلفاته: ديوان شعر –ط–، (فريدة البيان في النبيّ والوصيّ)، توفي في كربلاء المقدسة، سنة ١٣٧٧هـ ونقل إلى النجف ودفن بالصحن العلوي الشريف. (١٢٢)

١٠. الشيخ عبد الواحد المظفر: عبد الواحد بن أحمد بن حسين بن حسن بن جواد بن حسن بن باقر الشهير بالمظفر(١٣١٠- ١٣٩٥هـ)، عالم، محقق، وباحث، ومؤرخ، وأديب، وشاعر بارع، من مؤلفاته: (بطل العلقمي)، ديوان شعر–خ–، توفي في الدير سنة ١٣٩٥هـ، ونقل إلى النجف الأشرف ودفن بها.(١٢٣)

١١. غني جبار العمار: شاعر عراقي ولد في مدينة الكوت سنة ١٩٥٣م، له عدة دواوين منها:(على باب سكر، الوقوف عدوا، تأخرت كثيرا ايها المطر، دموع العمار في مصائب الائمة الأطهار، بانتظار سبأ) (١٢٤).

١٢. فاهم بن هاشم بن محمد العيساوي: شاعر عراقي، ولد في محافظة الديوانية سنة ١٩٦٦م، له مجموعة شعرية بعنوان (الأشجار لا تحسن الموت) (١٢٥).

١٣. كاظم السهلاني: أبو محمد الشيخ الكاظم بن أبي علي الحسن بن أبي الحسن علي بن سبتي السهلاني الحميري(١٢٥٨ – ١٣٤٢هـ)، من أشهر خطباء عصره، ومن أفصح الذاكرين البلغاء، كان شاعراً فحلاً، من مؤلفاته: ديوان شعر كبير سماه (منتقى الدرر في النبي وآله الغرر) – ط–، أغلبه في أهل البيت عليهم السلام، توفي في النجف الأشرف عام ١٣٤٢هـ، ودفن في الصحن العلوي الشريف(١٢٦).

١٤. مجتبى التنان: مجتبى بن عبد المحسن بن علي التنان، شاعر بحريني، ولد في (المنامة) سنة ١٩٨٣م، له طابعه الأدبي الخاص، تشكل القضايا الإنسانية محورا هاما في نصوصه (١٢٧).

١٥. محمد عبد الرضا الحرزي: أحد شعراء الكويت المعاصرين، شاعرٌ مبدع، يُلقب بشبل الجواهري. (١٢٨).

١٦. السيد مهدي الحلي: مهدي ابن السيد داوود ابن السيد سليمان بن داوود بن حيدر الشرع بن أحمد المزيدي، (١٢٢٢- ١٢٨٩هـ)، عالمٌ، وأديبٌ شاعر، ولغويٌ، ومؤرخٌ، له ديوان من جزأين الأول يخص أهل البيت عليهم السلام مدحاً ورثاءً، والثاني شعر المناسبات والأخوانيات، توفي سنة ١٢٨٩هـ

---

١٢٢ – ينظر: الطليعة: ١/ ٤٨٥، نقباء البشر: ١٠٦٢، شعراء الغري:٥ /٢٣١، مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف: ١٧٧ رقم ٢١٨.

١٢٣ – ينظر: ماضي النجف وحاضرها:٣ /٣٦٧، شعراء الغري:٦ /١٦١، المنتخب من أعلام الفكر والأدب: ٣٠٢

١٢٤ – ينظر: الجود:١/٧٨.

١٢٥ – ينظر: الجود:٣/٩٨.

١٢٦ – ينظر: معارف الرجال: ٢/١٦٥، ماضي النجف وحاضرها: ٢/٣٣٩، شعراء الغري ٧ /١٥٠.

١٢٧ – ينظر: الجود: ٤/ ٦١.

١٢٨ – ينظر: موسوعة شعراء أهل البيت عليهم السلام www.shoaraa.com).

١٧. مهدي شاكر محمود النّهيري: شاعر عراقي مقتدر، ولد في مدينة الكوفة سنة ١٩٧٨م، بدأ في كتابة الشعر سنة ١٩٩١م، صدرت له المجموع الشعرية الأولى(هو في حضرة التجلي) والمجموع الشعرية الثانية (مواسم إيغال بخاصرة الأرض) [١٣٠].

١٨. الشيخ الملا مهدي الشهابي: مهدي ابن الحاج محمد ابن الحاج احمد ابن الحاج احمد ال شهاب الدرازي البحراني، أديب كامل وشاعر مقتدر بارع، له ديوان شعر مطبوع بعنوان النصرة المهدية للعترة المحمدية [١٣١].

١٩. الشيخ محسن بن محمد أبو الحب الحائري: (١٢٤٤-١٣٠٥ هـ)، خطيبٌ فاضل، وشاعرٌ أديب، نشأ في كربلاء، تتلمذ في الفقه على الشيخ عبد الحسين الطهراني، وفي الأدب على الحاج محمد علي كمونة الحائري،من مؤلفاته: (الحائريات)، توفي سنة ١٣٠٥هـ، ودُفن في الصحن الحسيني الشريف[١٣٢].

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم.

٢. الإتقان في علوم القرآن: جلال الدين السيوطي(ت ٩١١هـ)، تحقيق: سعيد المندوب، الناشر: دار الفكر/ ط١، ١٤١٦هـ.

٣. أدب الطف أو شعراء الحسين: جواد شبّر(ت بعد ١٤٠١هـ)، مؤسسة التاريخ العربي/ بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.

٤. الأسلوب والأسلوبيّة: كراهام هاف، ترجمة: كاظم سعد الدين، مجلة آفاق، سلسلة كتب شهريّة تصدر عن دار افاق عربيّة، العدد١، كانون الثاني، ١٩٨٥م.

٥. الأعلام: خير الدين الزركلي(ت ١٤١٠هـ)، الناشر: دار العلم للملايين/ بيروت، ط٥/ ١٩٨٠م.

٦. أعيان الشيعة: السيد محسن الأمين العاملي(ت ١٣٧١هـ)، تحقيق وتخريج: حسن الأمين العاملي، الناشر: دار التعارف للمطبوعات/ بيروت.

٧. الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: الشيخ ناصر مكارم الشيرازي (معاصر).

---

١٢٩ - ينظر: معارف الرجال:٣ /١٠١- ١٠٤، الطليعة:٢ /٣٥٥، أعيان الشيعة:٦ /٣٦٨، الذريعة:٢١ /١٠٠- ١٠١، أدب الطف:٧ /٢٠١.

١٣٠ - ينظر: الجود:١ /٥٢.

١٣١ - ينظر: ديوان النصرة المهدية في العترة المحمدية، مقدمة الديوان.

١٣٢ - ينظر: معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: ١٧٨، الذريعة: ٩/ق١/٣٩، معجم خطباء كربلاء: ٢٤٤، معارف الرجال: ١٨١/٢، راقدون عند الحسين: ٢٢٥.

٨. الأنوار العلوية: الشيخ جعفر النقدي (ت ١٣٧٠هـ)، الناشر: مكتبة الحيدرية / النجف الأشرف، ط٢/١٣٨١هـ.
٩. بحار الأنوار: محمد باقر المجلسي(ت ١١١٠هـ)، الناشر: مؤسسة الوفاء/ بيروت، ط٢/ ١٤٠٣هـ.
١٠. بطل العلقمي: العلامة الشيخ عبد الواحد ابن الشيخ أحمد المظفر(ت ١٣٩٥هـ)، الناشر: انتشارات المكتبة الحيدرية/ ط١، ١٤٢٥هـ.
١١. تأصيل النص: د. مشتاق عباس معن (معاصر)، الناشر: مركز عبادي، صنعاء/ ط١، ١٤٢٤هـ.
١٢. التبيان في تفسير القرآن: الشيخ الطوسي(ت ٤٦٠هـ)، تحقيق وتصحيح: أحمد حبيب قصير العاملي، الناشر: مكتب الإعلام الإسلامي، ط١/ ١٤٠٩هـ.
١٣. تفسير الميزان: السيد الطباطبائي(ت١٤٠٢هـ)، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين/ قم.
١٤. التناص في شعر أبي العلاء المعري: د. ابراهيم مصطفى محمّد الدهون، عالم الكتب الحديث، اربد- الأردن، ٢٠١١م، ط١، ١٣٤.
١٥. جامع أحاديث الشيعة: السيد البروجردي (ت ١٣٨٣هـ)، ١٣٩٩هـ.
١٦. الجامع لأحكام القرآن: القرطبي (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: تصحيح:أحمد عبد العليم البردوني، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.
١٧. الجود: إصدار أدبي وثائقي خاص بمسابقة مهرجان الجود العالمي، يصدره قسم الشؤون الفكرية في العتبة العباسية المقدسة.
١٨. حياة السيّد المسيح في القرآن الكريم: السيد حسين نجيب محمد، الناشر: دار الهادي، بيروت/ ط١، ١٤٢٣هـ.
١٩. خزانة الأدب: عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق: محمد نبيل طريفي/إميل بديع يعقوب، الناشر: دار الكتب العلمية/ بيروت، ط١/ ١٩٩٨م.
٢٠. الخصائص العباسية: محمد إبراهيم الكلباسي، الناشر: دار الحوراء، بيروت/ ط١، ١٤٢٥هـ.
٢١. ديوان الحويزي في مدائح ومراثي أهل البيت عليهم السلام: الشيخ عبد الحسين بن عمران بن حسين بن يوسف بن نصار آل قمر الحويزي الليثي الخياط (ت ١٣٩٦هـ)، جمع وتعليق: حميد مجيد هدّو، الناشر: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات/ كربلاء المقدّسة، ط١/ ١٣٨٥هـ.
٢٢. ديوان السيد مهدي الحلي: السيد مهدي بن داود الحلي (ت ١٢٨٩هـ)، دراسة وتحقيق: د. مضر سليمان الحلي، الناشر: شركة الأعلمي للمطبوعات، ط١، ١٤٣٢هـ.
٢٣. ديوان الشيخ محسن أبو الحب (الكبير): الشيخ محسن بن محمد حسن بن محسن بن محمد الشهير بأبي الحب الخثعمي الحائري(ت١٣٠٥هـ)، تحقيق: جليل كريم أبو الحب، الناشر: بيت العلم للنابهين/ بيروت، ط١/ ١٤٢٤هـ.

٢٤. ديوان النصرة المهدية: الشيخ الملا مهدي ابن الحاج محمد الدرازي، الناشر: دار المرتضى، بيروت/ ط١، ١٤٣١هـ.
٢٥. الذريعة إلى تصانيف الشيعة: العلّامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، الناشر: دار الأضواء/ بيروت، ط٣/ ١٤٠٣هـ.
٢٦. راقدون عند الحسين عليه السلام: سامي جواد المنذري الكاظمي (معاصر)، الناشر: شركة دبوق / بيروت، ط١/ ١٤٣٤هـ.
٢٧. الرسائل الأحمدية: الشيخ أحمد آل طعان البحراني القطيفي (ت ١٣١٥هـ)، الناشر:دار المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم لإحياء التراث/ ط١، ١٤١٩هـ.
٢٨. زورق الخيال: السيد حسين آل بحر العلوم(ت ١٤٢٢هـ)، الناشر: دار الزهراء/ بيروت، ط١/ ١٣٩٧هـ.
٢٩. سحر بابل وسجع البلابل: السيد جعفر الحلي (ت ١٣١٥هـ)، تحقيق: الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، الناشر: دار الأضواء، بيروت/ ط١، ١٤٢٣هـ.
٣٠. شعراء الغري أو النجفيات: علي الخاقاني، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي / قم،ط٢/١٤٠٨هـ.
٣١. شواهد التنزيل لقواعد التفضيل:الحاكم الحسكاني (ق٥)، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي، الناشر: مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي- مجمع إحياء الثقافة الإسلامية /ط١، ١٤١١هـ.
٣٢. طبقات أعلام الشيعة: العلّامة الشيخ آقا بزرك الطهراني (ت١٣٨٩هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي/ بيروت، ط١/١٤٣٠هـ.
٣٣. الطليعة من شعراء الشيعة: الشيخ محمد بن طاهر السماوي (ت١٣٧٠هـ)، تحقيق: كامل سلمان الجبوري، الناشر: دار المؤرخ العربي/ بيروت، ط١/ ١٤٢٢هـ.
٣٤. العباس أبو الفضل ابن أمير المؤمنين سماته وسيرته: السيد محمد رضا الجلالي (معاصر)، الناشر: مكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة، كربلاء/ ط١، ١٣٣٤هـ.
٣٥. العبّاس بطولة الروح وشجاعة السيف، السيد هادي المدرسي (معاصر)، الناشر: دار الهادي.
٣٦. العراقيات: رضا، وظاهر، وزين، جمع: أصحاب مطبعة العرفان بصيدا، الناشر: مطبعة العرفان/ صيدا، ١٣٣١هـ.
٣٧. علي في الكتاب والسنة والأدب: حسين الشاكري(ت ١٤٣٠هـ)، تحقيق: فرات الأسدي، الناشر: المؤلف، ط١/ ١٤١٨هـ.
٣٨. القاموس الفقهي: الدكتور سعدي أبو حبيب (معاصر)، الناشر: دار الفكر - دمشق – سوريا / ط٢، ١٤٠٨هـ.

٣٩. القرآنية في شعر الروّاد: د إحسان الشيخ حاجم التميمي(معاصر)، الناشر: دار الشؤون الثقافية العامة/ ط١، ٢٠١٣م.
٤٠. قمر بني هاشم: السيد أحمد شكر الحسيني(معاصر)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت/ ط١، ١٤٢٧هـ.
٤١. كربلاء (ملحمة ادبية تاريخيه...): سعيد العسيلي(ت ١٤١٤هـ)، الناشر: دار الزهراء/ بيروت.
٤٢. ماضي النجف وحاضرها: الشيخ جعفر باقر آل محبوبة (ت١٣٧٧هـ)، الناشر: دار الأضواء/ بيروت، ط٢/ ١٤٠٦هـ.
٤٣. مجمع البيان: الشيخ الطبرسي(ت ٥٤٨هـ)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، الناشر: مؤسسة الأعلمي / بيروت، ط١/ ١٤١٥هـ.
٤٤. مرثية للقمر: إحسان محمد شاكر (معاصر)، ط١، ١٤٢٠هـ.
٤٥. المزار: للشيخ المفيد (ت ٤١٣هـ)، تحقيق: السيد محمد باقر الأبطحي، الناشر: دار المفيد، بيروت/ ط٢، ١٤١٤هـ.
٤٦. مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف: الشيخ كاظم عبود الفتلاوي (ت ١٤٣١هـ)، الناشر: منشورات الاجتهاد/ قم، ط١/ ٢٠٠٠م.
٤٧. معارف الرجال: الشيخ محمد حرز الدين (ت١٣٦٥هـ)، تعليق: محمد حسين حرز الدين، الناشر: مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي/ قم، ١٤٠٥هـ.
٤٨. معجم خطباء كربلاء: السيد سلمان هادي آل طعمة(معاصر)، الناشر: مؤسسة البلاغ/ بيروت، ط١/ ١٤١٩هـ.
٤٩. معجم رجال الفكر والأدب في كربلاء: سلمان هادي آل طعمة(معاصر)، الناشر: دار المحجة البيضاء/ بيروت، ط١/ ١٤٢٠هـ.
٥٠. معجم الشعراء: كامل سلمان الجبوري(معاصر)، الناشر: دار الكتب العلمية/بيروت، ط١/١٤٢٤هـ.
٥١. معجم مؤرخي الشيعة/ الأمامية- الزيدية- الإسماعيلية: صائب عبد الحميد، الناشر: مؤسسة دائرة معارف الفقه الإسلامي/قم، ط١/ ١٤٢٤هـ.
٥٢. معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
٥٣. مقتل الحسين عليه السلام: أبو مخنف الأزدي(ت ١٥٧هـ)، تحقيق: تعليق: حسين الغفاري، مطبعة العلمية – قم.
٥٤. المنتخب من أعلام الفكر والأدب: الشيخ كاظم عبود الفتلاوي (ت١٤٣١هـ)، الناشر: مؤسسة المواهب/ بيروت، ط١/ ١٤١٩هـ.
٥٥. منتقى الدرر في النبي وآله الغرر: الشيخ كاظم سبتي السهلاني، (ت ١٣٤٢هـ)، الناشر: منشورات الشريف الرضي، ط١/ ١٤١٥هـ.

٥٦. موسوعة أدب المحنة أو شعراء المحسن بن علي عليه السلام: السيد محمد علي الحلو (معاصر)، الناشر: مؤسسة دار الكتاب الجزائري/ قم، ط١ / ١٤١٩هـ.
٥٧. موسوعة شعراء الغدير: رسول كاظم عبد السادة (معاصر)، كريم جهاد الحسّاني (معاصر)، الناشر: العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف/ ط١، ١٤٣١هـ.
٥٨. الوافي: الفيض الكاشاني (ت ١٠٩١هـ)، تحقيق: ضياء الدين الحسيني الإصفهاني، الناشر: مكتبة الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام العامة – إصفهان /، ط١/ ١٤٠٦هـ.
٥٩. ينابيع المودة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزي (ت١٢٩٤هـ)،تحقيق :سيد علي جمال اشرف الحسيني، ط١، ١٤١٦هـ.

الرسائل والأطاريح

١. التناص الديني في شعر السيد الحِميري: عبد الأمير ماذي مذكور، رسالة ماجستير، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٤هـ.
٢. التناصّ في الشعر الأندلسي في عهد دولة بني الأحمر: إسراء عبد الرضا عبد الصاحب كلية التربية للبنات/جامعة بغداد/٢٠٠٦م.
٣. خصائص الأسلوب في شعر السّيّد الحِميريّ: رافد جاسب /كلية التربية الأساسية/الجامعة المستنصريّة/٢٠١١م.

المجلات والدوريات

١. المصطلح النقدي: د. أحمد مطلوب، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج ٣٨، ج٤، ١٤٠٨هـ.

المواقع الالكترونية

(موسوعة شعراء أهل البيت عليهم السلام www.shoaraa.com).

الاستزراع السمكي في محافظة كربلاء

The Fish farming in Kerbala province

أ.د.سلمى عبد الرزاق الشبلاوي [1] Prof. Salma A. Al-Shiblawi

المستخلص:

السمك عنصر اساسي في السلسة الغذائية، فهو محتوى بروتيني معروف بسهولة هضمه، **الأسماك** من اللحوم البيضاء ينصح الاطباء بتناولها وخاصة ممن يعانون من نقص البروتين والدهون وفقر الدم والضعف البنيوي لجسد الانسان... وغيرها.

تتحكم في استزراع الاسماك مقومات عديدة (طبيعية – بشرية) وتربى في محافظة كربلاء انواع عديدة من الاسماك تعتمد على المياه العذبة في (احواض – اقفاص –براميل) يأتي في مقدمتها الكارب بأنواعه المتعددة (العادي – الفضي العشبي) والكفيان (الاصبعيات).

توزعت مرابي تربية الاسماك في منطقة الدراسة بحدود (٦) احواض (٤) اقفاص موزعة على اقضية ونواحي محافظة كربلاء.

Abstract:

key element of the fish in the food chain، He is known protein content easily digestible، Fish of white meat doctors advised taking it especially those who suffer from a lack of protein and fat،anemia of the structural weaknesses of the human body and other……

Control fish farming for many ingredients (natural-human)and raised in the study area for many fish species depend on fresh water in the region

١ – جامعة كربلاء/كلية التربية للعلوم الانسانية/ قسم الجغرافية التطبيقية.

(basins-cages- drums) foremost among multiple different kinds of carp(normal-silver herbal)and bordj(fingerlings).

Distributed terrariums fish farming in the study area boundaries (6) basins(4) cages distributed to the districts and the areas of the province of karbala.

المقدمة

تعد الاسماك من الثروات الطبيعية التي وهبها الله عز وجل للبشر مورداً من موارد الطبيعة، تتوزع الاسماك في كل موضع من مواضع سطح الكرة الارضية يوجد في مياه المحيطات إلى البحار والخلجان فالبحيرات وأحواض الانهار والبرك والاهوار،كلها تحتوي على خيرات من هذه الثروات التي لها دور في نظام التغذية،من خلال ما تحويه من بروتينات وفيتامينات وأملاح ودهون.

ليس لمحافظة كربلاء اي اطلالة بحرية تذكر، لكن في الوقت نفسه أنعم الله عليها بأنها تقع في بلد يحتوي على نهرين الا ان نمو السكان في السنوات الاخيرة بشكل كبير مقارنة مع قلة الثروة السمكية،هذه العوامل وعوامل أخرى ساعدت على إنشاء مشاريع الاستزراع السمكي في محافظة كربلاء،للمساعدة في سد النقص الحاصل في كمية الاسماك.

وعلى وفق ما تقدم جاء اختيارنا لهذا البحث.

مشكلة البحث

هل توجد طرق حديثة لتربية الاسماك في منطقة الدراسة؟ ماهي الطرق؟كيف تتوزع جغرافيا في منطقة الدراسة؟

فرضية البحث

هناك طرق جديدة بدأت تظهر في تربية أنواع من الاسماك منها (الكارب العادي و الفضي والعشبي) حيث تظهر احواض واقفاص لتربية الاسماك قرب مصادر المياه.

المبحث الاول

اولا: مفاهيم عامة

لايقابل تعبير إنتاج الاسماك Fish production مفهوم الانتاج الحيواني Animal Production.لأنه يتضمن إنتاج الاسماك إما عن طريق الصيد من المصادر الطبيعية (Fisheries)أو عن طريق الزراعة السمكية Fishery science ضمن مجموعة المعارف المرتبطة بنشاط صيد الاسماك لتحقيق أكبر إنتاج ممكن بأقل مجهود،دون أن يؤدي ذلك إلى خلل بالتوازن الطبيعي للكائنات الحية في البيئة المائية.كما تهتم فروع هذا العلم بتقنيات الصيد وأساليب أدارتها، علما إن تعبير Finfish Culture يكون أكثر تحديدا حيث انه يقتصر على تربية الاسماك الفقرية ذات الزعانف،التي تتميز عن تربية الكائنات المائية اللافقرية.

ومن الجدير بالذكر أن بعض أنشطة زراعة الاسماك تسمى تبعاً لنوعية النظم الانتاجية أو حسب طبيعة الوحدات المستخدمة. فعلى سبيل المثال يستخدم تعبير الزراعة السمكية المكثفة للتعبير عن النظم الانتاجية المكثفة.وكذلك تستخدم بعض التعبيرات للدلالة على طبيعة الوحدات المستخدمة للإنتاج مثل Cage ayuaclture وهي زراعة الاسماك في أحواض صغيرة مصنعة.أو Pond Culture وهو يعني زراعة الاسماك في الأحواض الارضيةأو الترابيةFaethen ponds.وقد يكون التعبير عن طبيعة الزراعة السمكية أكثر تخصصاً من ذلك مثل.زراعة الاسماك في الاحواض التي تعتمدعلى المياه داخلها على التغيرات في ارتفاع الماء في البحر نتيجة لظاهرة المد والجزر[٢] وتتم عملية تربية الاسماك والكائنات المائية الاخرى في بيئة مائية محدودة المساحة بعد التحكم في نوع الماء وكمية الغذاء الذي تتناوله الاسماك والسيطرة على العوامل الفيزيائية والكيميائية والحياتية،لكي يتم الحصول على إنتاج سمكي أوفر بأقل تكلفة في الجهد والمال عرفها الكثير من الباحثين (Stickneg)عام (١٩٧٩) الزراعة المائية (Aguaculturc) بأنها الزراعة تحت الماء (Underwater agriculture)ومع أن هناك تقارباً كبيراً بين الزراعة السمكية والانتاج الحيواني من حيث متطلبات المعرفة الاساسية،إلا أنهما يختلفان كثيرا في معارفها التخصصية. فبعض المعارف التخصصية للزراعة السمكية تتماثل مع علوم انتاج الحيواني من ناحية الاسس العامة مثل تغذية الاسماك وتربيتها.ألا أن عدد كبير من معارف الزراعة السمكية تتميز وتستقل الى حد كبير عن معارف الانتاج الحيواني[٣].

ثانيا: نبذة تاريخية عن استزراع الاسماك

تمت ممارسة زراعة السمك في أحواض منذ عصر التوراة Biblical Times،وبعض الاساليب التي طورها الصينيون منذ أربعة الاف سنة ما زالت تستخدم حتى يومنا هذا.وقد عرفت الحضارة الصينية كذلك التفريخ الصناعي للسمك في سنة ٢٠٠٠ قبل الميلاد.ولم يسجل اسلوب فني لزراعة السمك تفصيلا حتى عام ٤٧٥ قبل الميلاد،حيث سجلت حينئذ أول نبذة من مزرعة المبروك العادي في الصين،واستنبطت بعد ذلك سلالات خاصة بها كالمبروك بأنواعه المختلفة والبلطي والبوري.ثم انتقلت تربية الاسماك في البحيرات الصناعية (الاحواض)من الصين إلى اليابان (عن طريق كوريا في عام ٢٢٠م)،ويربى فيها البوري والثعبان والبروك وغيرها. وقد ارتبطت في الصين زراعة السمك بإنتاج الحرير،حيث استخدمت شرانق دود الحرير وخراجاتها في تغذية السمك المستزرع.كانت زراعة الاسماك في الاحواض في الهند قبل ما يزيد عن ٢٠٠٠عام،على أساس من الخبرة والمعرفة التقليدية عبر الاجيال خاصة في منطقة البنغال. وفي مصر،حيث النيل مصدر الخصب والذي كان يفيض على الوجهين القبلي والبحري،محول الدلتا إلى أحواض سمكية،مما جعل الفراعنة يعتمدون على السمك في غذائهم،ولارتباط الانسان المصري القديم بالصيد والسمك، أتخذ من السمك رموز كثيرة في حياته.وفي أوربا استخدمت

٢ – امين الجمل،الزراعة السمكية،ط١،الجزء الاول،دار الكتب العالمية،القاهرة،٢٠٠٦،ص ٦٥–٧٨.
٣ – حمود بن فارس القحم البلوي،علم الاسماك،ط١،مطابع جامعة الملك سعود،الرياض،٢٠٠٠، ص٣٥

الزراعة السمكية في عهود الإمبراطورية الرومانية كنوع من الترف،وفي العصور الوسطى انتشرت مزارع السمك في الاديرة لحفظ السمك حيا لحين استخدامه طازجاً ولقد انتشرت أحواض الاسماك في نهاية القرن الثامن في النمسا،ثم انتشرت أحواض المبروك هناك وأرتبط ببناء المعابد وفي الغابات حيث تنتشر البرك.

أما الزراعة المائية Aquaculture الحديثة فتعود إلى عام ١٨٦٠ بدأت الدراسات العلمية لزراعة انواع من الاسماك البحرية التراوت والسالمون في بريطانيا والولايات المتحدة منذ ذلك الحين،وقد أستمرت وازدهرت عملية تربية الانواع السمكية المختلفة حتى وصلت حالياً إلى مايزيد عن ٣١٤ نوعاً.وقامت هذه المزارع جميعها على التغذية الطبيعية في الاحواض،وحتى منتصف القرن العشرين حيث بدأت أبحاث إسكندنافية وأمريكية على تغذية السمك على أعلاف مضغوطة Pelleted مما أدى ألى تطوير إنتاج السلمون والتراوت وأخيرا (في الولايات المتحدة) كذلك قرموط القنا[٤].وقد شجع هذا النجاح مع أسماك الماء العذب على تطوير زراعة الاسماك البحرية والمحاريات والزراعة المكثفة للأنواع مرتفعة القيمة كالسلمون والقرموط والبلطي وسمك الين (في المناطق الاستوائية) وتطرقت الزراعة المائية في العقود الاخيرة من السنين إلى زراعة الجمبري (الروبيان) بأنواعه والمحار والطحالب والنباتات المائية.

فالتأريخ يدلل على أن زراعة السمك فرع قديم من رعاية الحيوان الذي عرفت أسسه الحالية منذ زمن بعيد،فاستخدمت زراعة السمك للتسلية والرياضة والهوايات او للاستهلاك والتجارة،وارتبطت بأنشطة أخرى كرعاية الجاموس والبقر والخنازير والبط والدجاج ودود الحرير وكلاب البحر وإنتاج الفراء والمحاصيل الزراعية والخضروات كمصادر إضافية للدخل،فمثلا كلاب البحر وضيفتها تنظف الاحواض السمكية من النباتات كما يُصنع من جلودها القبعات،بينما مخلفاتها الحيوانية (بجانب مخلفات النباتات)تستخدم في تسميد الاحواض وتغذيتها،علاوة على أنها تخفض من تكاليف إنتاج السمك وفيها استغلال كفء للعمالة إذ يمكن أن يخصص عامل لكل ٢٠ هكتار في المزارع الكبيرة. لقد أدخلت مصر أسماك المبروك بداية عام ١٩٣٤ من جزر الهند الشرقية بقصد استزراعهاوانتشرت المزارع السمكية حديثاً وتقوم بتربية البلطي والبوري بجانب المبروك لاحظ صورة (١) [٥] امافي العراق فيعود تاريخ استزراع الاسماك الى ٣٥٠٠ سنة قبل الميلاد في بلاد مابين النهرين اي بعد الصين ٥٠٠ عام في حين لم يعرف استزراع الاسماك في المحافظة الا في عام ٢٠١٣ في ناحية الخيرات التابعة لقضاء الهندية.

صورة (١) صيد الاسماك قديماً[٦]

٤ – مصطفى أحمد المختار،طرق استزراع الاسماك في أهوار جنوب العراق،بحث مقدم لمركز علوم البحار،جامعةالبصرة،ص١٢–١٥ .
http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=5231.pdf

٥ – عبد الحميد محمد حميد،أسس إنتاج واستزراع الاسماك،ط١،المكتب الجامعي الحديث، القاهرة،٢٠٠٩،ص٢٩–٣١ .

٦ – المصدر: pdfhttp://www.start times come.

ثالثا: الاهمية والقيمة الغذائية للأسماك:

السمك غذاء ممتاز، فهو ذو محتوى بروتيني معروف بسهولة هضمه واحتوائه على الاحماض الامينية الاساسية اللازمة لنمو وصيانة الجسم. إلا أن السمك يفتقر إلى فيتامين (C والسكريات)،لذا ينصح دائماً بعصر الليمون عليه وتناول التمر بعده، وهذا ما ردده أجدادنا العرب سابقاً (إذا أسمكتم فأتمروا) اما المحتوى الغذائي للأسماك فيتكون من:

١ـ البروتينات:تعد الاسماك من العناصر الممتازة للبروتين الذي يحتاجه جسم الانسان في البناء والصيانة،ولتنظيم بعض العمليات الحيوية بداخله،فهو إذن له دور بنائي ووقائي وعلاجي بل وحيوي داخل الجسم.

وتعد الاحماض الامينية هي وحدة بناء البروتين، حيث ترتبط المجموعة الامينية من حامض أميني بالمجموعة الكربوكسيلية في حامض أخر مع استيعاب جزيء الماء، وتتميز بروتينات الاسماك باحتوائها على نسبة عالية من الاحماض الامينية الاساسية التي لا يستطيع الجسم تصنيعها، ومن هنا تظهر أهمية تضمين اللحوم ومنها الاسماك، في الواجبات الغذائية اليومية.

وبروتينات الاسماك من أسهل البروتينات الغذائية الحيوانية هضماً لذا ينصح الاطباء الاشخاص ذوي الهضم البطيء بتناول لحم السمك الابيض الخالي من الدهن بدلا من لحوم الحمراء [٧] .وحتى بدلا من لحوم الدواجن،وهذا ما لاحظه العالم (Katsch)في دراسته على (٧٥) شخصاً سليماً من الوجهة الصحية حيث أدخل السمك في وجبتهم الغذائية فوجد أن السمك يشجع زيادة الافرازات المعدنية بدرجة أكثر من لحوم الحيوانات الاخرى.وهذا ما أكده العالم (Ceinger) ورفاقه حيث الاغذية المحضرة من الاسماك فقط كانت أسرع هضماً من لحوم الحيوانات الاخرى. إلا هؤلاء العلماء لم يقدموا التفسير الكامل لهذه الظاهرة، فمنهم من قال إن السبب يعود إلى انخفاض محتوى أنسجة السمك من الانسجة الضامة،وكذلك لقصرة طول الالياف الاساسية الداخلة في تركيب العضلات.وأخرون قالوا إن السبب يعود إلى أن بروتينات الاسماك مرتبطة بروابط ضعيفة.

٧ـ حسين علي موصلي، الاسماك (إنتاجها،طرق حفظها،طرق إعدادها للمائدة)،ط١،دار علاء الدين،دمشق،٢٠٠٢،ص١٢-١٨ .

٢ـ الدهون:تمتاز دهون الاسماك باحتوائها على نسبة مرتفعة من الاحماض الدهنية غير المشبعة،إذ تصل إلى ٨٤% من الاحماض الدهنية الكلية الداخلة في تركيب الدهون، والاحماض الدهنية غير المشبعة الموجودة في الاسماك تنتمي إلى مجموعة الأوميجا التي تحتوي على ثلاثة روابط ثنائية ومثل حمض اللين ولينيك الثلاثي والذي يعمل على إذابة الكوليسترول في الدم كما له تأثير كمضاد للاكتئاب.

٣ـ العناصر المعدنية:تعتبر الاسماك مصدراً ممتازا للعناصر المعدنية التي لها دورها في بناء الجسم وصيانته الى جانب البروتينات،وكذلك في تنظيم العمليات الحيوية بداخله إلى جانب الفيتامين ومن هذه العناصر:

أ – الكالسيوم والفوسفور: يحتوي السمك على نسبة من الكالسيوم بمتوسط قدره ٣٠ملليغرام /١٠٠ غرام، بينما يوجد عنصر الفوسفور بمتوسط ٢٢٠ ملليغرام /١٠٠ غرام، وهذه الكميات ممتازة إذا ما قورنت باللحوم الاخرى. هذان العنصران هامان في بناء العظام والاسنان وتنظيم العمليات الحيوية داخل الجسم.

ب – الحديد والكبريت: يحتوي لحم الاسماك على عنصر الكبريت، إذ تبلغ كميته في المتوسط ٢٠٠ ملليغرام/١٠٠غرام، حيث يدخل الجزء الاكبر منه في تركيب الاحماض الامينية الكبريتية واللعاب والصفراء وهرمون الانسولين وبعض الفيتامينات. أما الحديد ونخاء العظم. يوجد في أنسجة الاسماك في بعض الاحماض الامينية، وكقاعدة عامة تحتوي لحوم اسماك المياه المالحة على نسبة من الحديد أكثر مما تحويه العضلات البيضاء، والحديد يوجد في الاسماك بمتوسط ٩،٢ ملليغرام /١٠٠ غرام.

ج – الصوديوم والبوتاسيوم: تحتوي اسماك المياه العذبة على نسبة من عنصري الصوديوم والبوتاسيوم أقل مما تحتويه أسماك المياه المالحة. وهذان العنصران لهما أهميتهما في الجسم إذ إن الصوديوم يشترك في تنظيم توازن الحموضة والقلوية في الجسم، وفي تنظيم توازن الماء في الجسم. أما البوتاسيوم فإن وجوده في الغذاء ضروري لعمل كثير من الانزيمات وضروري لنمو ولحسن نقل وتوصيات المنبهات العصبية.

د – اليود: تعد الاسماك من أغنى المصادر باليود،وخصوصاً الاسماك البحرية، وهذا العنصر يدخل في تركيب هرمون التروكسين الذي تفرزه الغدة الدرقية، ويؤدي نقصه إلى تضخم الغدة الدرقية وإصابة الفرد بمرض الجويتر الذي تتميز أعراضه بورم الرقبة وتغلظ الانسجة الضامة تحت الجلد وانتفاخ الاطراف. إما عند الاطفال فإن نقصه يؤدي إلى توقف النمو وتورم الوجه وتضخم اللسان.

هـ – معادن أخرى: إضافة إلى العناصر السابقة فإن لحوم الاسماك تحتوي على نسبة من الفلور والمنغنيزيوم والزنك والكوبالت التي تدخل في تركيب وتنشيط العديد من الانزيمات وكذلك تدخل في تركيب كريات الدم الحمر.

٤ـ الفيتامينات:تحتوي الأسماك على مجموعة لا بأس بها من الفيتامينات ومنها:

أـ فيتامين A: تتوقف نسبة فيتامين A في الاسماك على عوامل عدة منها،عمر الاسماك وحجمها ووزنها،حيث ثبت وجود علاقة طردية بين نسبة هذا الفيتامين وبين عمر السمكة.كما أن النسبة بين (فيتامين A في الانسجة و فيتامين Aفي الكبد) تزداد بتقدم عمر الاسماك، كما أن نسبة هذا الفيتامين تتغير بتغير فصول السنة، ويعزى ذلك لتغير درجة الحرارة وبالتالي تغير التغذية.

ب ـ فيتامين D: يعتقد أن فيتامين D في أنسجة الاسماك يتم بنفس الالية التي تتم في لحوم الحيوانات الاخرى، وذلك بتأثير الاشعة فوق البنفسجية على طلائع هذا الفيتامين. هذا الفيتامين له دور مهم في امتصاص الكالسيوم والفسفور من الجسم، وفي حال نقصه يتسبب ظهور مرض لين العظام عند الافراد البالغين خصوصا السيدات.وكذلك اصابة الاطفال بمرض الكساح.

ج ـ فيتامينات B: تحتوي كذلك الاسماك على هذا النوع من الفيتامينات وتماثل تلك التي في الابقار،كما هو معروف إن لهذا الفيتامين دوراً مهماً في المحافظة على سلامة الجهاز العصبي وعمل العضلات خصوصا عضلة القلب. وتحتوي الاسماك أيضا على الريب فلأفين (B2) الهام لضمان سلامة الجلد والعيون وحمايتها، وفي تامين النياسين (B3) الذي نقصه يسبب ظهور مرض البلاج، وهو التهاب الجلد، والبريد وكسلين (B6) الذي نقصه يسبب الى حدوث فقر الدم والتهاب الاعصاب وظهور قشور دهنية على جلد الفم والانف والعيون والتهاب الشفة واللسان[٨].

رابعا: المتطلبات الواجب توفرها في المشروع الاستزراعي في محافظة كربلاء:

أولا ـ تعليمات إنشاء بحيرات الاسماك:

١ـ الارض غير صالحة للزراعة.
٢ـ توفير الحصة المائية من مديرية الموارد المائية في كربلاء.
٣ـ عدم ممانعة مديرية البيئة في كربلاء.
٤ـ عدم ممانعة مديرية اثار كربلاء.
٥ـ يكون أبعاد الحوض الواحد كحد أدنى ١٠ ×٥٠م.
٦ـ بعد الحوض عن الاخر ١٠م.
٧ـ بعد بحيرة عن بحيرة أخرى ٢٠م.
٨ـ بعد البحيرة عن مشاريع الدواجن ٥٠٠م.
٩ـ بعد البحيرة عن الشارع العام ٥٠٠م.
١٠ـ بعد البحيرة عن السدود النظامية ٢٠٠م.
١١ـ بعد البحيرة عن محرم الضغط العالي للكهرباء ١٠٠م.
١٢ـ بعد البحيرة عن المنزل الرئيسي ٥٠م.
١٣ـ بعد البحيرة عن أنابيب النفط ١٠٠م.[٩]

٨ – عبد الامير رحيم جاسم ومصطفى احمد المختار وعامر عبد الله جابر وخالد حمد حسوني،دراسة ميدانية من واقع مزارع الاسماك في محافظة البصرة،المجلة العراقية للاستزراع المائي المجلد ١٠،العدد١ /٢٠١٣،جامعة البصرة .
٩ – مديرية شعبة الثروة السمكية في مديرية الزراعة ، بيانات غير منشورة .

ثانياً ـ شروط إنشاء الاقفاص:[١٠]

ان ابرز الشروط الواجب توفرها في اختيار المواقع المزعم إنشاء أقفاص تربية الاسماك عليها هي:

١ـ تمنح الاجازة حصرا من قبل الهيئة العامة لتنمية الثورة السمكية ويلتزم صاحب المشروع بالتعليمات الفنية الصادرة منها والسماح لمنسبيها بإجراء الكشوفات دون اعتراض.

٢ـ استحصال مواقفة الدوائر ذات العلاقة المتمثلة بوزارات الموارد المائية والبيئة والزراعة والدوائر البلدية في المحافظات ومجالس المحافظات.

٣ـ ان يكون الموقع أسفل محطات تصفية المياه وبمسافة لا تقل عن ١ كم إما أذا كان الموقع أعلى من محطات التصفية فإن المسافة يجب أن لا تقل عن ٤ كم.

٤ـ لا تقل الاعماق في المناطق المختارة عن ٢م.

٥ـ أن لا يعيق الموقع أعمال الصيانة وكري وتطهير الانهر ولا يؤثر على طرق الملاحة وجريان المياه.

٦ـ يمنع نصب الاقفاص في السواقي وقنوات الري ضمن المشاريع الاروائية بصورة عامة والمواقع السريعة الجريان.

٧ـ يتم إقامة الاقفاص في المياه ذات التيار الهادئ على أن تكون سرعة التيار لا تتجاوز ١٠سم /ثا في السطح و١٥ –٢٥ سم/ثا في القعر.

٨ـ يتم نصب الاقفاص في أماكن بعيدة عن مصادر تلوث المياه (المستشفيات والمعامل ومصافي النفط)

٩ـ يمنع استخدام المواد الكيمياوية والعلاجية الا تحت إشراف الدائرتين المختصتين (الهيئة العامة لتنمية الثروة السمكية والشركة العامة للبيطرة) أو من تخولها وعدم رمي الاسماك التالفة والمريضة في المياه.

١٠ـ إجراء كشف موقعي من قبل الدوائر ذات العلاقة تثبت صلاحية الموقع (الهيئة العامة لتنمية الثروة السمكية أو من تخوله ومديريات الموارد المائية و وزارة البيئة).

١١ـ إن المسافة بين مجموعات وحدات من الاقفاص وأخرى لا تقل عن ٢كم.

١٢ـ لا يسمح بنصب الاقفاص بالقرب من السدود الاروائية ويكون الموقع خارج محرمات السداد ومنشآت الري المعينة لاستحصال موافقتها.

١٣ـ يجب أن لا يزيد حجم المستعمرة الواحدة عن ٣٠٠٠م٢ وحسب المسطح المائي و مازاد عن ذلك يبلغ الدوائر المعنية لاستحصال موافقاتها.

١٤ـ أجور المساحة المائية المستثمرة من قبل مزارع تربية الاسماك في الاقفاص تحدد بقانون من قبل وزارة الموارد المائية.

١٠– استنادا الى كتاب وزارة الزراعة /الدائرة الادارية /قسم شؤون الافراد المرقم (٣٢٨٦٨)في ٢٠٠٩/١٢/٣٠.أجتمعت اللجنة المشكلة بموجب الامر أعلاه وتدارست موضوع وضع آلية لتحديد مواقع نصب أقفاص تربية الاسماك في الانهار والمسطحات المائية

١٥- تقديم تعهدمن صاحب المشروع بأن يلتزم بالفقرات أعلاه وعند الاخلال بها تلغى الاجازة الممنوحة له بتربية الاسماك في الاقفاص وتلف منشآت المزرعة خلال شهر من تأريخ التبليغ.[١١]

خامسا معوقات الاستزراع:

هناك بعض المعوقات التي من الممكن أن تضعف من مسيرة النشاط من خلال الانتاجية بشكل كبير و بعض الاحيان تودي إلى غلق بعض الأحواض أهمها:

١ـ ارتفاع أسعار الاراضي التي تحمل المقومات الجيدة للاستزراع السمكي.وخصوصا ذات الموقع الجيد،مثلا قربها من مصدر مياه جيد يعطيها موقعاً مهماً،وسوف يوثر على الانتاج.

٢ـ انخفاض منسوب المياه،من اهم المعوقات وأكثرها اهمية وعلى الاخص أصحاب المواقع البعيدة عن مصدر المياه الرئيسي (الاحواض الداخلية)،إضافة إلى أصحاب الاقفاص عندما ينخفض منسوب النهر الرئيسي، مما يضطرهم الى حفر الابار ونصب المضخات من أجل استخراج المياه الجوفية لتعويض النقص المائي للأحواض.

٣ـ تغير الخصائص المائية،أحيانا تتغير الخصائص المائية من خلال ارتفاع نسبة الاملاح فيها أو كثرة الملوثات نتيجة تأثير المصدر الرئيسي للمياه،ممايؤدي الى تغير في نوعية المياه وبعض الاسماك لا تتحمل هذا التغير فيموت منها كميات كبيرة وتسبب خسائر مادية كبيرة،واذا لم يتحمل صاحب المشروع تلك الخسائر وعدم وجود الدعم سوف يضطر إلى غلق المشروع نهائيا،والحالة معكوسة عندما تتوفر القدرة المادية وهم قلة من هذا النوع.

٤ـ عدم توفر بيانات دقيقة عن الانتاج والمخزون السمكي. نتيجة لعدم وجود تنسيق فعلي بين دوائر الدولة وأصحاب المشاريع،وعدم إعطاء معلومات كافيه،بعضهم تهرباً من الضرائب،علما إن دور اللجان في الزيارات يكون من جانب وليس من جميع الجوانب.

٥ـ نقص البنية الاساسية من حيث مجالات النقل والتخزين والتبريد. إن أغلب وسائل التخزين والنقل هي بسيطة ولا ترتقي إلى مستوى الطموح،بسبب التكلفة التي تؤثر على الانتاج.

٦- عدم وجود تعاون مشترك بين الدوائر ذات العلاقة، لكل دائرة شروط خاصة بها تعيق نمو الاستزراع السمكي. وهذا ما سبب بطئ بنمو هكذا مشاريع.[١٢]

---

١١ – أ –مديرية شعبة الثروة السمكية في مديرية الزراعة ، بيانات غير منشورة .
ب- الدراسات الميدانية للبحيرات واحواض الاسماك،بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٠ .
ج- المقابلات الشخصية مع مديرشعبة الثروة السمكية واصحاب البحيرات،بتاريخ ٢٠١٤/٤/١٨ .
١٢ – مقابلات شخصية اجراها الباحث مع مدير الزراعية ومدير شعبة الثروة،بيانات غير منشورة.

المبحث الثاني

اولا: المقومات الرئيسية للاستزراع الاسماك:

أ /المقومات الطبيعية:

تعد من أهم المقومات وذلك لان لها تأثيراً مباشراً على نوع الاستزراع ونوع الاسماك والبيئة المحيطة وهي كالاتي:-

١-**خصائص التربة:** يستخدم النمط التقليدي في عملية الاستزراع والذي يعتمد على الاحواض الترابية لتربية الاسماك والذي يقوم على أساس حفر جزء من تربة سطح الموقع المراد إقامة الحوض فيه وإزالتها مع الاخذ بنظر الاعتبار عملية دخول المياه وخروجها إلى ذلك الحوض. أن أهم ما يميز التربة الصالحة للاستزراع هي التربة الطينية ذات المسامية القليلة التي تمنع المياه من النفاذية وتمتاز بثقلها،لذلك أن حوض ناحية الخيرات و عون والحسينة ذات تربة طينية لذلك هم يستخدمون الاحواض الترابية،أضافة إن مصدر المياه قريب منهم، إما أحواض قضاء عين التمر ذات تربة رملية فهم يستخدمون الاحواض الاسمنتية لمنع تسرب المياه وأحيان تغطى تلك الاحواض عند ارتفاع درجات الحرارة لتقليل عملية التبخر، إضافة إلى أنهم يعانون من قلة المياه أحياناً.أما طريقة الاقفاص لا تعنيها التربة بحكم أن الاقفاص توضع في النهر الرئيسي فلا تتأثر هذه الطريقة بنوع التربة.

٢- **مصادر المياه:** عنصر مهم ولا يقل أهمية عن التربة،تحتاج الاحواض بأنواعها المختلفة إلى كميات من المياه كافية لتربية الاسماك،يفضل أن يكون الحوض قريباً من مصدر المياه، وبسبب ما تعاني المنطقة من قلة المياه ظهر نمط الاقفاص العائمة في الانهار أو القنوات الرئيسية،لحصولها على مصادر مياه دائمية،أما في حالة بعد الحوض عن مصدر المياه سوف يؤدي إلى هلاك الاسماك. تتوزع البحيرات في منطقة الدراسة حسب مصدر المياه،وتنوع الاستزراع الى أحواض داخلية وأقفاص بسبب انخفاض مناسيب المياه،وغلق بعض الاحواض الداخلية بسبب الجفاف، تظهر الاحواض في الجهة الشرقية والشمالية من منطقة الدراسة نتيجة الموقع القريب من نهر الفرات كمصدر رئيسي للمياه.أما أحواض المنطقة الغربية،فمصدر المياه هو المياه الجوفية، وذلك لعدم وجود مصدر مياه سطحي دائمي،لذا تعاني أحيانا من خسائر في هكذا مشاريع بسبب قلة المياه ومحدودية الموارد المائية في منطقة الدراسة فُرضت قيود وضوابط على فتح مشروع تربية الاسماك،وليس من السهولة إنشاء بحيرة أو مشروع أقفاص،حيث هناك لجنة مكونة من ثلاثة وزارات هي (وزارة الزراعة، وزارة والبيئة، وزارة الموارد المائية) وتعد وزارة الموارد المائية هي الجهة الاساسية في منح أجازة تربية الاسماك،وخصوصاً البحيرات،إضافة إلى أن الزراعة تكون مسؤولة على طرق الاستزراع والموقع والبيئة مشرفة على نوع الاغذية المتبعة والمعالجات ونوعية المياه وغيرها من الامور البيئية [١٣].

١٣ - وارتان أزات سركيس واحمد محمد حمزة وصباح خليل اسماعيل،تربية الاسماك في الاقفاص والتربية في النظام المغلق،نشرة إرشادية تصدر عن وزارة الزراعة الهيئة العامة للإرشاد والتعاون الزراعي رقم (٤١) ٢٠٠٧،ص١٣-١٦.

٣- **الظروف المناخية الملائمة:** تعد درجات الحرارة من أهم العناصر المناخية المؤثرة في الاستزراع السمكي،حيث تلعب دوراً كبيراً في اختيار موقع الحوض السمكي طريقة الاستزراع، وتحديد موعد الاستزراع (زراعة الاصبعيات)حيث تؤثر ارتفاع درجات الحرارة على موت الاصبعيات لذلك تربي الاصبعيات في فترة الشتاء في شهر شباط لحين شهر نيسان تكون مستعدة للنقل الى الاحواض بسبب ملاءمة درجة الحرارة لنموها.كذلك ارتفاع درجات الحرارة تؤدي إلى زيادة التبخر للمياه فمن الضروري تعويض المياه المتبخرة بمصدرمياه اخر بالنسبة للأحواض المغلقة (البحيرات)،لذلك تعاني الاحواض الداخلية في منطقة الدراسة من تأثير المناخ الجاف وزيادة التبخر صيفاً،وهذا يكون أكثر وضوحاً في المنطقة الغربية.أما الامطار فهي من العوامل الايجابية حيث سقوط الامطار يساعد على ارتفاع المياه ونسبة الاملاح والمواد العضوية المغذية للأسماك وتكون الامطار مصدر مياه الاحواض الداخلية في الجزء الغربي من منطقة الدراسة،لأنها تحيط بها مناطق صحراوية، و من شروط الامطار يجب أن تكون ذات سقوط متوسط وليس بالرعدية،لان الرعدية من الممكن أن تسبب السيول، وتجرف التربة وتسبب خسائر مادية للأقفاص والاحواض الداخلية.

ب /المقومات البشرية:

١-الايدي العاملة: عنصر مهم وأساسي وله دور مباشر في التعامل مع الاسماك بصورة مباشرة،وأغلب اليد العاملة تكون ماهرة ولها خبرة في تربية الاسماك لذلك أغلب العمال هم خريجو كليات الزراعة ويحملون شهادات في جوانب متعددة ولهم اهتمام بالجانب الحياتي،وحتى العمال العاديين لابد من أن يمتازون بالخبرة الجيدة في تربية الاسماك وكيفية المعالجة في حالة مرضت وطرق التغذية،لذلك أغلب المشاريع الناجحة هي تحت إشراف مهندس زراعي وطبيب بيطري وفني متخصص بطرق الاستزراع، ومع ذلك لابد من وجود عمال أخرين لعمليات التجويل والتفريغ واضافة المياه والغذاء وغيرها من الامور الفنية علما ان عنصر الممارسة والخبرة مهم في هكذا مشاريع،اما على صعيد عدد فريق العمل حيث يتفاوت حسب كبر المشروع، وفي الغالب يكون عدد العمال في استزراع الاحواض اكثر من العاملين في استزراع الاقفاص لان العمل اكثر ويحتاج الى استمرارية اكبر من الاستزراع في الاقفاص حيث يكون عدد العمال في مشاريع استزراع الاحواض بين (٦ – ٨) عمال اما في الاقفاص فيتراوح بن (٢ -٤) وحسب حجم المشروع.

٢-**السياسات الحكومية:** تعد السياسة الزراعية واحدة من العوامل البشرية المؤثرة في اتجاهات استعمالات الارض،ويتبلور هذا التأثير بالإجراءات التي تقوم بها الدولة من رسم الخطط الاقتصادية التي تسعى من خلالها توفير الحاجات الاساسية،فضلا عن دورها الفاعل في تطبيق تلك الخطط على أرض الواقع تتضمن السياسة الزراعية إجراءات وسياسات فعلية سنناقش أهمها تأثيرا في مشاريع الاستزراع السمكي:

أ- التشريعات والقوانين:لابد من البدء بمعرفة القوانين والتشريعات والاجراءات التنفيذية المتعلقة بنشاط الاستزراع السمكي لتوفير الحماية والتشجيع لهذا النشاط،وتوجد قوانين تحدد أساليب إنشاء مزارع

الاسماك ومنها (قانون ٤٨ لسنة ١٩٧٦ لتنظيم صيد الاحياءواستغلالها وحمايتها)والذي يهمنا في هذا القانون هو المادة السادسة منها،التي تتعلق بأنشاء مزارع سمكية.أما القانون الثاني (رقم ٩٩٥ لسنة ١٩٨٥) الصادر عن وزير الزراعة والاصلاح الزراعي بشأن مزارع تربية الاسماك،حيث يحتوي القانون على (١٦) مادة. وهناك محضر صدر عن اللجنة الثلاثية المتشكلة بموج كتاب وزارة الزراعة /الدائرة الادارية /قسم شؤن الافراد المرقم (٣٢٨٦٨ في ٢٠٠٩/١٢/٣٠) يتكون من (٢١) فقرة يلتزم بها كل من إنشئ مزارع الاسماك(١٤).

ب ـ سياسة الائتمان الزراعي (القروض): من خلال الدعم المستمر لاصحاب مشاريع الاستزراع من القروض المصرفية والسلف التي تساعدهم على إنشاء المشاريع التي من خلال تلك القروض تُنمي المشاريع وتساعد على تطويرها باستمرار، وهناك دعم من هذه الناحية لكن لا يكفي لذلك من الضروري أن يكون الاهتمام الحكومي أكبر من ذلك.

ج – الخدمات الارشادية: من اهم دعائم الانتاج الزراعي اذ يمثل حلقة الوصل بين مراكز الابحاث الزراعية ومصادر المعلومات التقنية من جهة والمنتجين الزراعيين من جهة اخرى، ان الارشاد والتوعية الزراعية يقوم بدوره من خلال الندوات الارشادية والمشاهدات الحقلية والزيارات الميدانية التي يقوم بها مرشدون زراعيون موزعين في المناطق التي توجد فيها مشاريع استزراع في المحافظة يقدم الدعم الكامل للمزارعين من الارشادات لطرق التربية الحديثة تساعدهم على دعم وتطوير الانتاج،فضلا عن وجود لجنة خاصة تقوم بالأشراف من خلال جولات ميدانية بأشراف مباشر من شعبة الاستزراع السمكي للاطلاع على واقع تربية الاسماك،إضافة إلى وجود لجان من الموارد المائية والبيئة للاطلاع على طبيعة المورد المائي والتأثير البيئي على الاسماك وعلى المنطقة،وتقديم الخدمات الطبية لمعالجة الامراض التي تصاب بها الاسماك (بكترية،فيروسة،فطرية،طفيلية) والقضاء عليها من خلال الادوية والعقاقير الطبية التي تزود بها العاملين على مشاريع الاستزراع.

٣- **مراكز البحث العلمي**: لا يمكن أن تتحقق أهداف التنمية للاستزراع السمكي بدون الاعتماد على البحث العلمي،وتتطلب فاعلية البحوث العلمية توافر خدمات إرشادية كفء وفعالة لتذليل الصعوبات التي يواجهها المنتجون والمسوقون في هذا القطاع لمراكز البنية اللازمة للقطاع ليس فقط لإيجاد حلول للمشاكل القائمة وبل لتطوير كفاءة هذا النشاط وتحسينه وتوسع قاعدة المعارف والبيانات وتكوين كوادر متخصصة لهذا القطاع. إن عدم وجود دراسات علمية هدفها البحث العلمي في تربية الاسماك في منطقة الدراسة جعلها تعاني من بطئ في نموها كما ان عدم الاهتمام الفعلي من قبل المؤسسات العلمية أو الباحثين العاميين إلا القليل جداً،ومن الضروري أن تكون دراسات معمقة وواسعة من أجل النهوض بها بالمستقبل القريب.

١٤ – مديرية شعبة الثروة السمكية في مديرية الزراعة ، بيانات غير منشورة.

٤- السوق: لا يمكن تجاهل السوق،حيث يعد من أهم النوافذ الاقتصادية الرئيسية للاستزراع وله أثر مباشر عليه. يتأثر الطلب على الاسماك بعدد السكان،ومستوى الدخل وأسعار اللحوم البديلة، حيث بلغ متوسط إنفاق الفرد على الغذاء اليومي حوالي (٣٠٠٠) دينار عراقي. وتعد الاسماك وجبة أساسية للاستهلاك الشعبي.أذ بلغ متوسط استهلاك الفرد من الاسماك في الدول العربية حوالي (١١،٥) كغم في السنة خلال ٢٠٠٨،مقابل (٥،١٦) كغم /سنة على المستوى العالمي،بينما لم يحصل الفرد العراقي سوى (٥،١) كغم من السمك سنوياً[١٥]، وهذه نسبة متدنية جداً لاتتناسب مع حجم الامكانيات.لذلك نلاحظ أن للسوق دوراً مهماً في عملية بيع المواد العضوية والصلائب وكل ما يخص أدوات إنشاء مشروع استزراع وكذلك يكون له دور أخر ومهم وهو بيع وتسويق الاسماك بعد أن تصل إلى مستوى محدد بالنمو من أجل النهوض بالاقتصاد ثم إنشاء سوق جيد خاص لبيع الاسماك الجملة في منطقة (الزبيلية) يكون على مستوى جيد من الاهتمام،لكن المشكلة هي ليست في السوق بل تتبلور في المادة التي تغذي السوق حيث تعاني من قلة الموارد السمكية والهدف من الاستزراع هو دعم السوق المحلي بالأسماك من أجل سد حاجة السوق،لذا لابد من الدعم والتطوير من قبل مؤسسات الدولة للنهوض بهذه المشاريع ولابدان تكون سياسة الدولة واضحة على ثقة عالية من خلال تقديم الدعم المادي والمعنوي إلى هكذا مشاريع من أجل تزويد السوق بالثروة السمكية،والمساعدة على تحسين الاقتصاد العراقي.

ثانيا: أنواع المرابي (المزارع) السمكية في منطقة الدراسة:

إن تربية الاسماك في الاقفاص من الطرق الحديثة للاستزراع السمكي وقد انتشرت هذه التقنية بصورة واسعة وأصبحت من الطرق المهمة والرئيسية في الاستزراع المائي.وتتميز هذه الطريقة بتطوير وتحسين الثروة السمكية،إضافة إلى المردود المالي الجيد.إن الاستزراع المائي في الاقفاص يمكن استغلاله في المياه المفتوحة وجميع الكتل المائية.وأهم الاماكن التي يصلح فيها هذا النوع من الاستزراع هي(البحيرات ـ الاهوار ـ الانهار ـ الجداول ـ القنوات) ومن الامور الاساسية التي يجب مراعاتها في هذا النوع من الاستزراع هي:

١ـ طبيعة سرعة جريان الماء وعلاقته في تثبيت الاقفاص.

٢- PH الماء (الملوحة) يجب أن تكون من (٧ إلى ٨،٥%) والاوكسجين المذاب ملائمة لطبيعة الاسماك.[١٦]

الكل يعلم إن مرابي الاسماك في منطقة الدراسة تعتمد على المياه العذبة،لذلك هي تتأثر في عاملين:الموقع و طبيعة منسوب المياه، وهي على عدة انواع تتكون من:

أ - الاحواض الداخلية:وهي من الطرق التقليدية المتبعة في أغلب الاماكن،وتكون إما طينية مكشوفة أو إسمنتية مغلقة،حسب كمية المياه ونوع التربة،تتأثر بالقرب والبعد عن مصدر المياه وارتفاع وانخفاض كمية المياه. يبلغ عدد الاحواض المجاز رسمياً(٧) احواض.

---

١٥ - ابتسام كاظم خاجي وعمار عبد الرحيم حسين،مقومات مزارع الاسماك في البصرة،بحث مقدم إلى قسم الجغرافية جامعة البصرة،http://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=8685.pdf.

١٦ - امين الجمل، الزراعة السمكية،مصدر سابق،ص٥٨.

ب – الاقفاص:نمط حديث من الاستزراع السمكي يعتمد على المجاري المائية ذات المنسوب العالي،يتقيد في وجود نهر واسع ورئيسي، لذلك لذا لايوجد هذا النمط في منطقة الدراسة إلا في حوض الفرات. صورة (٢)

صورة (٢) الاستزراع في الاقفاص[١٧]

ج ـ هناك نوع أخر جداً حديث هو الاستزراع في براميل أو يسمى الاستزراع المكثف:

هو أحد الطرق الاقتصادية الحديثة على مستوى العراق،واقتصادي في نفس الوقت،يتم استخدام أحواض ظاهرية مرتبكة مع بعضها البعض من خلال الانابيب لغرض تدوير المياه واستبدالها،تكون هذه الانابيب مغلقة وفي داخلها مصابيح للإنارة إضافة إلى أنها لها معايير خاصة للمياه ونوعيتها ودرجة الملوحة وكمية الأوكسجين وكمية الأعلاف ونوعيتها،وهذا المشروع يعملون عليه في الوقت الحاضر حيث هنالك مستثمر صاحب الفكرة وأستورد المعدات كاملة،الا انة لم يمنح أجازه ممارسة لحد الان لأسباب مجهولة،مع العلم إن هذا النوع من الاستزراع اقتصادي في المياه،موقع المشروع في قرية الجمالية تابعة إلى ناحية الحر.

ثالثا: الاصناف الرئيسية للاستزراع الاسماك في منطقة الدراسة:

هناك عدة أنواع من الاسماك تربى في طرق الاستزراع المائي لكن الفرق هو ان أنواع تستطيع ان تتحمل أن تربى في المياه المالحة واخرى تربى في المياه العذبة لأنها لا تتحمل درجة ملوحة عالية،كذلك انواع تتحمل البيئات الصعبة من خلال قلة المواد العضوية أو قلة الاوكسجين وأخرى لا تتحمل الظروف الصعبة وأيضا منها من يصل مرحلة البلوغ في وقت قصير وأخرى تحتاج إلى وقت لتنضج.وسوف نحاول أن نذكر أهم أنواع الاسماك:

١. أسماك الكارب:

وهي من الانواع الجيدة التي تستطيع أن تربى في الاقفاص الطرق الحديثة،وهي تتحمل الظروف الصعبة وتتكيف مع الوضع البيئي،وتختلف في طرق تغذيتها ويمكن استزراعها بطرق مختلطة لتداخل سلسلة

١٧ - Pdfhp://www.startimes.com

التغذية بينهم، ولأنها تمتاز بهذه المميزات هي من أهم الاسماك التي تربى في منطقة الدراسة.ولكن هناك بعض الامور غير الفنية التي من الممكن أن تؤثر على هذا النوع ومنها ارتفاع مناسيب المياه او انخفاضها وكذلك حركة الزوارق هذا يكون في طريقة الاقفاص،أما في الاحواض الداخلية فتكون الظروف جيدة لكن الذي يعيق الاستزراع هو منسوب المياه بالدرجة الاولى.يوجد هذا النوع من الاسماك في ثلاثة أشكال هي:

أ – الكارب الفضي:إن أسماك الكارب الفضي من الاسماك التي تتغذى على الهائمات المائية وكلما كانت المياه غنية بالهائمات حصلنا على أنتاج جيد.

ب– الكارب العشبي:غذائها الاساسي النباتات الخضرية او النباتات المائية أو الاعلاف وهي من الاسماك السريع النمو وإن الطلب عليها عالي.

ج – الكارب الاعتيادي: وهو من نوع الاسماك التي تنمو على العلف الاصطناعي وعلى الغذاء الطبيعي، وهي من الاسماك المرغوبة في الاسواق مما يزيد من المردود الاقتصادي للمنتجين لهذا النوع من الاسماك والمربين كذلك. وعلى العموم هذا الانواع الثلاثة هي منتشرة زراعتها بصورة واسعة في منطقة الدراسة،وهي من الانواع المفضلة لتحملها الظروف المناخية في منطقة الدراسة اضافة الى ان الانواع الثلاث تزرع مع بعضها، حيث ان النوع الفضي يتغذى على الاغذية الجاهزة ذات البروتين العالي، والعشبي على اغلب النباتات الموجودة في الاحواض لذلك يتم زراعة الكثير من النباتات من اجل مساعدتها بالغذاء، اما الكارب الاعتيادي فهو يتغذى على فضلات الانواع الاخرى، يلاحظ الصورة (٣).

صوره (٣) احواض استزراع الاسماك في ناحية الحسينية محافظة كربلاء[١٨]

١٨ – التقطت الصورة في ناحية الحسينية محافظة كربلاء بالتاريخ ١٢\٣\٢٠١٥.

٢ـالكفيات أو (الاصبعيات):

أن الكفيات عبارة عن أسماك على شكل أفراخ صغيرة،وهي تكون المصدر الرئيسي للأسماك بعد نموها،يمكن استزراع الاصبعيات الصغيرة (٣سم) في الاقفاص الى معدل (٥٠ـ ١٠٠غم) ومن الممكن الاستمرار بتربيتها إلى اوزان التسويق أو يمكن إطلاق صغار الاسماك إلى المياه الداخلية وحسب ما مخطط لها ومن الممكن استزراع الكفيات مع أسماك صغيرة وفي نهاية الموسم يمكن صيد الاسماك الكبيرة والمرغوب في الاسواق المحلية وترك الصغيرة منها لموسم أخر بعد إضافة عدد من الاسماك الصغيرة مساويا للعدد الذي تم صيده،وهكذا من الممكن الاستمرار بهذه العملية على مدار السنة

المصدر الرئيس للإصبعيات في منطقة الدراسة هي من قضاء الصويرة،حيث تربى في احواض داخلية لحين ما تصل الى مستوى الكف تحول الى احواض اكبر لتنمو مع بقية الكفيات المتأخرة وبعد ان تنمو بشكل مقبول تسوق الى المستهلك علما ان هذا النشاط يعمل به نهاية فصل الشتاء بحكم اعتدال المناخ ليساعد الاصبعيات على النمو السريع ولا يكلف كميات كبيرة من الغذاء تستمر هذه العملية على مدار السنة، وهناك بحيرات ضخمة تنتج كميات كبيرة من الاصبعيات ويتم التسويق إلى أغلب مناطق الاستزراع في البلد،لذلك إن كل مربي الاسماك في منطقة الدراسة يبتاعون الاصبعيات والكفيات من تلك المناطق ويكون المقدار عبارة عن قدح مملوء إصبعيات كمقياس للوزن بمقار معين من سمك الكارب **يلاحظ** الصوره (٤)

صوره (٤) تربية الاصبيعات في منطقة الفريحة محافظة كربلاء [١٩]

رابعا: التوزيع الجغرافي للاستزراع الاسماك في منطقة الدراسة

يظهر في منطقة الدراسة نمطين من الاستزراع السمكي وهي كالاتي:

١٩ – التقطت هذه الصورة من احواض تربية الاسماك في منطقة الفريحة محافظة كربلاء بتاريخ ١٠ \٣\٢٠١٤.

أولاً- الاحواض الداخلية:

من الطرق التقليدية المتبعة في تربية الاسماك،هي إما تكون أحواض طينية مكشوفة أذا كانت قريبة من مصادر المياه،أو أحواض إسمنتية مغلقة نوعاً ما أذا كانت في منطقة بعيدة نوعاً ما عن مصادر المياه.صورة (٥).

تتوزع بحيرات استزراع الاسماك في منطقة الدراسة بحدود (٦) بحيرات موزعة بين قضاء عين التمر وناحية الحسينة ومنطقة الامام عون بالاضافة الى وجود حوض في منطقة فريحة التابعة الى مركز مدينة كربلاء، يلاحظ من جدول (١) ان مساحة البحيرات تتراوح بين (١ – ٥ دونم) اما مصدر مياه البحيرات يكون من انهار متمثلة بجدول الحسينية وتفرعاتة او مياه جوفية (ابار) اما انواع الاسماك المربات في هذه البحيرات اسماك الكارب بأنواعه الثلاثة (العادي، الفضي، العشبي) كما يسوق انتاج هذه الاحواض الى محافظة كربلاء واسواق المحافظات القريبة (بابل والنجف) الا ان هذه الاحواض(الترابية) تعاني من مشاكل عديدة تأتي في مقدمتها مشكلة مصادر المياه وخاصة في الظروف المناخية الحارة في فصل الصيف وقلة الدعم المادي من قبل الدولة او تأخرة خاصة في موسم الاستزراع واخيرا مشكلة نوع التربة (الرملية) التي لها قابلية كبيرة على تسرب المياه الضرورية لنمو الاسماك كما هو الحال في تربة قضاء عين التمر. خريطة (١)

جدول (١) التوزيع الجغرافي للأحواض الداخلية في منطقة الدراسة [٢٠]

ت	عدد الاحواض	الموقع	المساحة	مصدر المياة	انواع الاسماك المربات	رقم القطعة	رقم المقاطعة	نوع الحوض
١	١	ناحية عون	١ دونم	تفرعات نهر الحسينية	الكاريب بانواعه	٢٦	١٣٤بوزرنج	ترابي
٢	١	ناحية عون	٣ دونم	تفرعات نهر الحسينية وابار	""	٥٧	١٣٤بوزرنج	"
٣	١	فريحة مركز كربلاء	٤ دونم	ابار	""	١٨	مقاطعة ٤٠	"
٤	١	ناحية الحسينية	٥ دونم	تفرعات نهر الحسينية	""	١٨	مقاطعة ٥٠ الغوارة	"
٥	١	عين التمر	٧ دونم	ابار	""	٣٧	مقاطعة ٣٤	"

٢٠ – المصدر: ١– مديرية زراعة كربلاء – شعبة الثروة السمكية بيانات غير منشورة.
٢– الدراسة الميدانية اجريت بتاريخ ٤/٧/ ٢٠١٤.

٦	١	عين التمر	١٥٠ دونم	ابار	""	جـــزء قطعـة ٥٠	مقطعة ٢٠	"

صورة (٥) حوض ترابي للاستزراع السمكي،وقت روي الاصبعيات [٢١]

هذا مع العلم أن كل الاحواض التي يقام فيها مشاريع الاستزراع هي من النوع الترابي،بالرغم من ان الشروط التي تسمح بإنشاء حوض سمكي إسمنتي،لان الحوض الترابي يساعد على نمو الحشائش بصورة جيدة، فضلا عن إنشاء أماكن في جدران البحيرة لتجمع الاسماك،وكذلك إن السطح الترابي يكون أكثر برودة من السطح الاسمنتي إضافة إلى أن الاسمنتي مكلف من عدة جوانب.أما دور النباتات ونموها في البحيرة تساعد على المشاركة في إطعام الاسماك وخصوصا الكرب العشبي كما إنها تقلل من عملية التبخر من خلال ظلها فوق الماء. مع ذلك وفي حالة التربة ذات مسامات عالية سوف تسبب إلى هروب المياه إلى داخل الارض،وهذا يسبب استنزاف الكثير من الموارد المائية،كما هو الحال في المواقع البعيدة عن مصدر المياه مثل أحواض قضاء عين التمر ذات التربة الرملية شديدة المسامية.

ثانياً / الاستزراع في الاقفاص:

لايوجد هذا النوع إلا في مجرى نهر الفرات الجزء الذي يمر في الحدود الادارية للمحافظة، يوجد بصورة رسمية أربعة مواقع للاستزراع، اثنان منهما يقعان في ناحية الحسينية وأثنان في ناحية الخيرات التابعة لقضاء الهندية.هذا النوع من الاستزراع عبارة عن أقفاص حديدية تنصب في النهر وعلى عمق من مترين إلى ثلاثة أمتار،تثبت بطرق محكمة من جانب كتف النهر بصورة جيدة،والجوانب الاخرى توضع تحتها طوافات من براميل فارغة ومغلقة جيداً،وهذه الاقفاص ذات فتحات صغيرة لمنع خروج الاسماك منها او دخول الحيوانات المفترسة اليها،وأضافه إلى وجود أشباك تحيط بالأقفاص لغرض الحماية، كذلك تربى في

٢١ – المصدر: file www.sfdegyptget

هذا الاقفاص انواع الكارب الثلاثة وهي (العشبي والفضي والعادي) والاستخراج يكون عن طريق شباك الصيد لاحظ جدول (٢) وخارطة (١).

جدول (٢) التوزيع الجغرافي لمشاريع استزراع الاسماك في الاقفاص في منطقة الدراسة[٢٢]

ت	الموقع	المساحة م^{٢}	رقم القطعة	المقاطعة	نوع الاسماك
١	ناحية الحسينية	٦٥٠	٢	١٦٦	الكارب بأنواعه
٢	ناحية الحسينية	١٠٠	١	١٦٦	"
٣	ناحية الخيرات	٢٢٥	٩٣	١١٥	"
٤	ناحية الخيرات	٧٤٠	٩٣	٢١	"

ويواجه هذا النوع من الاستزراع الكثير من المشاكل تاتي في مقدمتها ضعف الدعم الحكومي مثل تأخر القروض وارتفاع قيمة الضرائب وروتين الاجراءات القانونية اضافة الى مشكلة تذبذب مستوى المياه الذي يؤثر تأثير كبير على تربية ونمو الاسماك. الاستزراع في هذا النمط (الاقفاص) في العراق من الانماط الحديثة وخصوصا في منطقة الدراسة والملاحظ إن هذا النوع ينمو في منطقة نهرية ذات عمق جيد لذا هو لا يعاني من المياه الا في حالة حدوث حادث أو مشكلة تؤدي إلى غلق النهر أو عامل الجفاف الموسمي،لذلك هو أفضل من الناحية الانتاجية من نمط الاحواض كذلك نوعية المياه متجددة باستمرار،بيئة حية،لكن من المستفيد هو من يحصل على أرض زراعية مطلة على حوض النهر و رأس مال جيد يساعده على استثمار هذا المورد من اجل دعم الاقتصاد المحلي والوطني بالمستقبل ويسد من حاجة السوق من الاسماك.

إن الاستثمارفي مجال تربية الاسماك جانب مهم في السوق المحلي،ولابد من نمو هذا الجانب وعلى مختلف الاصعدة لكن بسبب الروتين وصعوبة الحصول على صرف إجازة لهكذا مشاريع نلاحظ تذبذب في نمو الانتاج السمكي،هناك أيدي ترغب في العمل وتقديم الافضل من اجل مصلحة الجميع،لكن هناك أيدي لا ترغب بأن الانتاج ينمو ويتحسن ولأسباب عديدة،لكن من المفروض أن يكون دعم الدولة على مستوى عالي لهكذا مشاريع تنموية.لاحظ صورة (٦).

٢٢ – المصدر: ١. مديرية زراعة كربلاء – شعبة الثروة السمكية بيانات غير منشورة
٢. الدراسة الميدانية اجريت بتاريخ ٤/٧/ ٢٠١٤.

خارطة (١)التوزيع الجغرافي لاستزراع الاسماك في محافظة كربلاء

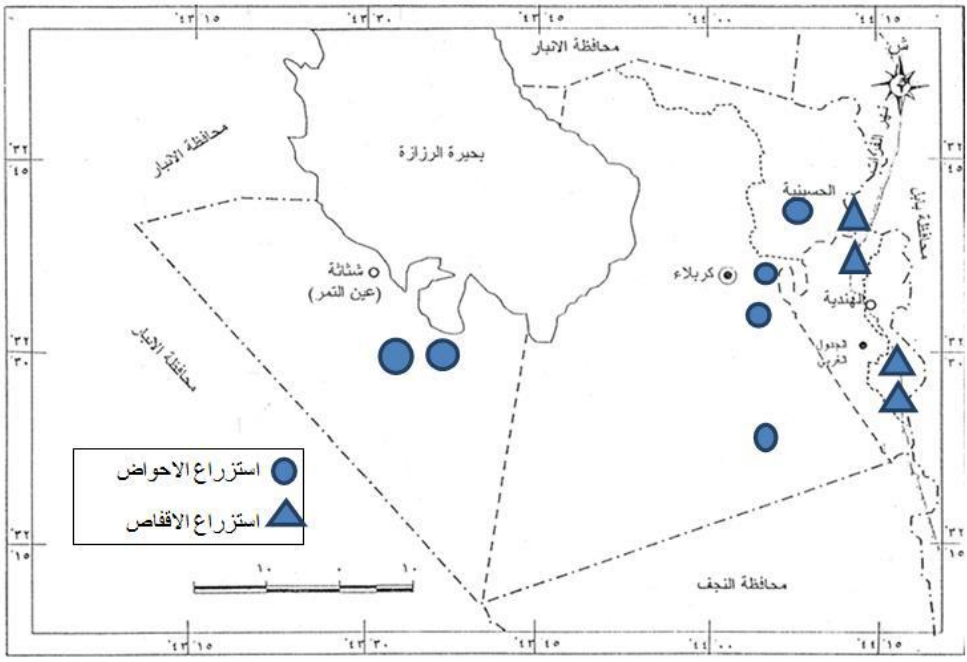

المصدر: من عمل الباحث

١- جدول (١)

٢- جدول (٢)

صورة(٦) الاستزراع في الاقفاص [٢٣]

٢٣ – التقطت في اقفاص استزراع الاسماك في ناحية الخيرات،بتاريخ٢٠١٤/٤/١٠.

الاستنتاجات:

من خلال البحث في موضوع الاستزراع السمكي تبين إن هناك الكثير من الفوائد الاقتصادية لتربية وإنتاج الاسماك،منها:

١ـ الاسماك عنصر أساسي في السلسلة الغذائية وله دور كبير في البروتينات.

٢ـ تعاني منطقة الدراسة من قلة أسماك الصيد وذلك لاسباب منها طبيعية وأخرى بشرية.

٣ـ للاسماك دور اقتصادي مهم ومن خلال دعم السوق والاقتصاد المحلي بكميات من الاسماك.

٤ـ مشاريع الاستزراع في منطقة الدراسة من المشاريع الحديثة وفي بداية النمو.

٥ـ ضعف نمو هكذا مشاريع لعدة أسباب أغلبها يكون بسبب الروتين والفساد الاداري والاهمال.

٦ـ قلة موارد المياه.

٧ـ تربى أنواع معينة من الاسماك (الكارب العادي والفضي والعشبي) لأنه يتحمل الظروف الطبيعية في منطقة الدراسة.

٩ـ لاُ يسمح بصرف إجازات جديدة لأنشاء مشاريع حديثة لأسباب متعددة منها بحجة قلة المياه أو عدم وجود أرض.

١٠ ـ أغلب المشاريع التي تعمل هي بفضل الدعم المصرفي من خلال القروض.

١١ـ لابد من رسم سياسة واضحة في هذه المشاريع ودارستها من خلال دورها في تشغيل الايدي العاملة الماهرة وتوفير منتج محلي يساعد على دعم الاقتصاد والدعم المستمر لهكذا مشاريع،مع الرقابة المستمرة من قبل لجان متخصص لغرض المساعدة على نمو وتطوير الانتاج وتحسين النوعية لما له من مردود اقتصادي للجميع.

قائمة المصادر:

١ـ البلوي، حمود بن فارس القحم، علم الاسماك، ط١، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض،٢٠٠٠.
٢ـ الجمل، امين، الزراعة السمكية،ط١، الجزء الاول، دار الكتب العالمية، القاهرة،٢٠٠٦.
٣- المختار،مصطفى أحمد،طرق استزراع الاسماك في أهوار جنوب العراق،بحث مقدم لمركز علوم البحار،جامعةالبصرة. pdfhttp://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=5231
٤- جاسم، عبد الامير رحيم ومصطفى احمد المختار وعامر عبد الله جابر وخالد حمد حسوني،دراسة ميدانية من واقع مزارع الاسماك في محافظة البصرة، المجلة العراقية للاستزراع المائي المجلد ١٠، العدد١ /٢٠١٣، جامعة البصرة..
٥- حميد، عبد الحميد محمد، أسس إنتاج واستزراع الاسماك، ط١، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة،٢٠٠٩.
٦- خاجي، ابتسام كاظم وعمار عبد الرحيم حسين، مقومات مزارع الاسماك في البصرة، بحث مقدم إلى قسم الجغرافية جامعة البصرة، .pdfhttp://www.iasj.net/iasj?func=fulltext&aId=8685
٧- سركيس، وارتان أزات واحمد محمد حمزة وصباح خليل اسماعيل، تربية الاسماك في الاقفاص والتربية في النظام المغلق، نشرة إرشادية تصدر عن وزارة الزراعة الهيئة العامة للإرشاد والتعاون الزراعي رقم (٤١) ٢٠٠٧.
٨- موصلي، حسين علي، الاسماك (إنتاجها، طرق حفظها، طرق إعدادها للمائدة)، ط١، دار علاء الدين، دمشق، ٢٠٠٢.
٩- مديرية شعبة الثروة السمكية في مديرية الزراعة، بيانات غير منشورة.
١٠- أ -مديرية شعبة الثروة السمكية في مديرية الزراعة، بيانات غير منشورة.
ب- الدراسات الميدانية للبحيرات واحواض الاسماك،بتاريخ ٢٠١٤/٣/٢٠.
ج- المقابلات الشخصية مع مديرشعبة الثروة السمكية واصحاب البحيرات، بتاريخ ٢٠١٤/٤/١٨.
١١- مقابلات شخصية اجراها الباحث مع مدير الزراعية ومدير شعبة الثروة، بيانات غير منشورة.
١٢- مديرية شعبة الثروة السمكية في مديرية الزراعة، بيانات غير منشورة.

الحركات الاسلامية المسلحة المبايعة لتنظيم"الدولة الاسلامية"

بوكوحرام إنموذجا

Armed Islamic movements pledging allegiance to ISIS – Boko Harem as a sample

م.م مؤيد جبار حسن [١] Assist. lec. Mueid J. Hassan

م.م حسين باسم عبد الامير [٢] Assist. lec. Hossein B. Abd Al-Ameer

المستخلص

بعد ظهور تنظيم"الدولة الاسلامية"وتعاظم خطره، لأسباب عدة يتعلق بعضها بالداخل المحلي او بالخارج الدولي، برزت بعد اعلانه الخلافة في الآونة الاخيرة، ظاهرة تستدعي الانتباه،وهي تلقيه البيعة من عدة مجموعات إسلامية متطرفة حول العالم. ومن تلك الجماعات أنصار بيت المقدس في سيناء مصر، وجماعة ابي سياف والحرية الاسلامية في الفلبين، مرورا بتنظيم انصار الاسلام في شمال العراق، وأنصار الشريعة في درنة الليبية، وكذلك جماعة جند الخلافة في الجزائر، وكان آخر من أعلن بيعته لخلافة ابي بكر البغدادي، جماعة بوكو حرام في نيجيريا، والتي تقارع الحكومة هناك وتواجه تحالفا من دول الجوار.

ولم يكن التقارب بين تنظيم"الدولة الاسلامية"و بوكو حرام محض صدفة، وإنما لأسباب يمكن اجمالها في مجموعتين: الاولى وحدة المنابع الفكرية، فكلاهما يستندان على الفكر السلفي التكفيري الذي جاء به

١ – مركز الدراسات الاستراتيجية\ جامعة كربلاء.
٢ – مركز الدراسات الاستراتيجية\ جامعة كربلاء.

ابن تيمية، ويعتمدان القتال سبيلا لتحقيق غاياتهم في أنشاء دولة اسلامية. الثانية غايات سياسية استراتيجية، تتعلق بالمصالح والاهداف المشتركة، التي تجمع التنظيمين المتطرفين.

وتناولنا في البحث مصير الشراكة بين التنظيمين الارهابيين، في قراءة سريعة لآفاق المستقبل،وانقسمت الاراء حولها إلى فريق يعتقد بنجاحها واستمرارها،وفريق اخر يرى فشلها وانتهاءها. وبعيدا عن التوقعات، يجب ليس فقط الانتباه إلى خطر التنظيمات الارهابية الحالي، وانما إلى ما ستكون عليه ان توحدت تحت قيادة واحدة، واصبحت كالأخطبوط تنتشر اذرعه في انحاء المعمورة، حينها سيكون خطرها اعظم،ولن يسلم منه احد.

Research Summary

After the emergence of the"Islamic State"and growing its danger, for several reasons, some related to domestic or international, emerged after announcing the succession recently, a phenomenon requiring attention, which received a pledge of several Islamic extremist groups around the world. One of those groups, supporters of Jerusalem in Sinai, Egypt, and the Abu Sayyaf and Islamic freedom in the Philippines, through the organization of Ansar al-Islam in northern Iraq, and Ansar al-Sharia in the Libyan, as well as, Jund caliphate in Algeria, the last of the announced it homage to Abu Bakr al-Baghdadi, group Boko Haram in Nigeria, which the government brainstormed There, and facing an alliance of neighboring countries.

Rapprochement between the"Islamic state"and Boko haram was not pure coincidence, but for reasons can be summarized in two groups: the first one the unit of intellectual sources, both are based on expiation Salafi ideology, which was brought by Ibn Taymiyyah, and depend on fighting a way to achieve their ends in the establishment of an Islamic state. The second, strategy and political ends, related to the common interests and goals, which brings together two organizations extremists.

And we dealt with in the research the fate of the partnership between the two organizations terrorists, in a quick reading of the prospects of the future, and divided opinions around, to a team believes its success and continuity, and another team sees failure and end. Away from the expectations, we should not only pay attention to the current risk of terrorist organizations, but to what will be if it united under one command, and become like octopus spread his arms around the globe, then it will be the greatest danger, and no one will be in peace.

المقدمة

تواكب بروز التنظيم الارهابي الاشهر والاشرس"الدولة الاسلامية"، مع قيام حركات جهادية في دول عدة، خاصة تلك التي تشهد توترات امنية وضعف قبضة الدولة المركزية، بإعلان بيعتها لتنظيم"الدولة". ومن تلك الجماعات أنصار بيت المقدس في سيناء مصر، وجماعة ابي سياف والحرية الاسلامية في الفلبين، مرورا بتنظيم انصار الاسلام في شمال العراق، وأنصار الشريعة في درنة الليبية، وكذلك جماعة جند الخلافة في الجزائر، وكان آخر من أعلن بيعته لخلافة ابي بكر البغدادي، زعيم جماعة"بوكوحرام"في نيجيريا أبو بكر شيكاو، الذي يسيطر على مدن في شمال شرق نيجيريا، ويطبق ما يصفها بالشريعة الإسلامية فيها.

وتبرز اهمية البحث في التعرف على أبرز تلك الجماعات وهي بحسب رؤيتنا حركة بوكوحرام، والكشف عن الاسباب التي دفعتها لمبايعة تنظيم"الدولة الاسلامية"والانضواء تحت لوائها وتقديم الطاعة لها. للتعرف على طريقة تفكيرها ونواياها الحالية والمستقبلية.

ولكن هناك بعض الصعوبات التي واجهت الباحث، ومنها ندرة المصادر الدقيقة عن الحركات الجهادية المسلحة لما يمتاز به وجودها من سرية و خطورة، ولهذا السبب اعتمدنا على ما توفر من مقالات ودراسات على الانترنت.

هدف البحث تسليط الضوء إلى الحركات التي بايعت تنظيم الدولة الارهابي، وبالاخص حركة بوكو حرام النيجيرية، لما لتلك المبايعات المتتالية من خطر كبير في نمو قوة التنظيم الارهابي الام، وانتشار أذرعه القتالية في اماكن مختلفة. ولما لم تنل هذه المبايعات اهتمامًا وقتها؛ بسبب ان معظم المراقبين اعتبرها شكلية، ولمجرد الحصول على بعض الدعم المادي من تنظيم"الدولة"، أرتأينا البحث في الموضوع وتقصي اسبابه وما يحيط به.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على أساليب بحثية متعددة؛ منها الاسلوب التاريخي لتتبع الوقائع بسردها الزمني المتوالي، والاسلوب التحليلي لتحليل ما بين أيدينا من بيانات ومعلومات، والاسلوب المقارن للتمييز بين الحركات والمواقف والمفاهيم التي قد تبدو متشابهة.

وقد افترضنا ان انضمام الحركات الجهادية الدولية إلى تنظيم الدولة الاسلامية سيزيده قوة وسطوة وسيضاعف خطره على العالم وليس على دول المنطقة فقط.

ولغرض سرد البحث باسلوب اكاديمي دقيق وموضوعي، قدر الامكان، قمنا بوضع هيكلية تتضمن ثلاثة مباحث لكل منها خلاصة في نهايته. في المبحث الاول تعريف بتنظيم"الدولة الاسلامية"وحركة بوكو حرام، ويتفرع إلى مطلبين الاول عن تنظيم"الدولة"والثاني عن حركة بوكوحرام.وجاء المبحث الثاني تحت عنوان اصول التقارب بين تنظيم"الدولة"وحركة بوكوحرام، وينقسم بدوره إلى قسمين الاول يتحدث عن وحدة المنابع الفكرية، والثاني عن الغايات السياسية الاستراتيجية. واخيرا المبحث الثالث لاستطلاع مستقبل التقارب بين تنظيم"الدولة"الارهابي وحركة بوكو حرام النيجيرية. وفي نهاية البحث خاتمة فيها خلاصة الافكار التي وردت في البحث.

المبحث الأول: التعريف بتنظيم"الدولة الاسلامية"وحركة بوكو حرام

نسعى في هذه المبحث إلى التعرف عن كثب إلى ماهية الحركة الارهابية، تنظيم"الدولة الاسلامية"اولا باعتبارها القطب الذي تدور في فلكه جميع الحركات الارهابية ذات التوجهات الاسلامية السلفية المتطرفة. ومن ثم سنعرج على حركة بوكو حرام التي عاثت في نيجيريا فسادا وهددت جيرانها في قارة افريقيا.

المطلب الاول: التعريف بتنظيم"الدولة الاسلامية"

مرت مراحل عدة على التنظيم وتعددت لذلك اسماءه، لكن يؤشر عليه تصاعد نشاطه واتساع رقعة هيمنته واستقطابه الكثير من المريدين والانصار.

وتأتي تسمية بـ(داعش) اختصار لاربعة حروف هي: د = (الدولة)، أ = (الاسلامية)، في، ع= (العراق) ش=(الشام). ويقابله في اللغة الانكليزية (ISIS) = (Islamic State in Iraq and Syria)،او مختصر(ISIL) = (Islamic State in Iraq and Levant).

رغم ان تلك الجماعة المتطرفة تفضل مؤخرا ان يطلق عليها اسم (الدولة الاسلامية) فقط، لتماشي الاتجاه العام الذي يرى ان الحل لمشاكلهم يكمن في خلق الدولة الاسلامية.[٣] وتنظيم داعش يتماهى مع طموحهم في ذلك، عبر التوسع لتمثيل جميع المسلمين في كل مكان، وبإعلانهم اقامة خلافة جديدة، فانهم يسعون للحصول على دعاية ضخمة لهم.[٤]

هذا التنظيم حاليا يسيطر على مساحات شاسعة بين بلدين عربيين سوريا والعراق، رغم اعتقادنا ان العراق والموصل بالذات عاصمته الادارية، كما يعتبره البعض سليل تنظيم القاعدة لو اتخذ من الاسماء ما اتخذ.[٥]

ويعده البعض دولة، فهي اقرب للدولة من كونها تنظيما عابرا للحدود.[٦] تمتلك اغلب مقومات الدولة عدا الاعتراف الدولي، فمساحة الارض التي تهيمن عليها تقارب ٤٠،٠٠٠ كم مربع، او ٩٠،٠٠٠ كم مربع، بحجم بلجيكا او الاردن، ويعتقد ان عدد السكان داخل مناطق سيطرة داعش يقارب ٨ مليون شخص.[٧] بالاضافة إلى امتلاكه موارد الطاقة من نفط وغاز، حيث شكل هذين

٣- Mohamad Nasran،The concept of Islamic state، شبكة المعلومات الدولية: http://www.grandestrategy.com/2009/03/4484848491219the-concept-of-islamic.html، ص١.

٤- ISIS، ISIL Or Islamic State What's In A Name ، شبكة المعلومات الدولية: www.npr.org/blogs/parallels/2014/09/12/347711170/isis-isil-or-islamic-state-whats-in-a-name، ص١.

٥- اكرم الحجازي، مدخل إلى السلفية الجهادية ومشروعها الجهادي(نموذج العراق)،المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، عمان-الاردن، ٢٠٠٨، ص٢٤.

٦- عبد الباري عطوان، الدولة الاسلامية الجذور التوحش المستقبل، ط١، دار الساقي، بيروت-لبنان، ٢٠١٥، ص ٩.

٧- What is Islamic State، BBC News، شبكة المعلومات الدولية: www.bbc.com/news/world-middle-east-29052144 ص٣.

الموردين هدفا استراتيجيا لتنظيم الدولة منذ نشأته.[٨] ويراه بعض علماء المسلمين مجرد عصابات لارهاب الناس.[٩]

فضلا عن ما تقدم، يمكننا القول ان تنظيم (داعش): تنظيم مسلح يتبنى الفكر السلفي التكفيري يهدف أعضاؤه إلى إعادة"الخلافة الإسلامية وتطبيق الشريعة"، يمتد نفوذه عبر الاراضي الممتدة بين العراق وسوريا، و زعيمه الحالي أبو بكر البغدادي. ابرز محافظتين يسيطر عليهما اليوم، الموصل العراقية والرقة السورية.ولداعش نظام داخلي وتسلسل هرمي على راسه الخليفة البغدادي ومجلس عسكري واداري وولاة على الولايات الاسلامية التابعة للدولة المزعومة.ويرى د.هيثم المناع ان مشروع داعش يعتمد على عدة عناصر[١٠] منها:

١. الاستفادة القصوى من خبرة ضباط الجيش العراقي السابق الذين اصبحوا في موقع تحديد السياسات العسكرية.
٢. تامين موارد مالية ضخمة تسمح للتنظيم بامتلاك القدرة على تحقيق برامجه.
٣. اعتماد الاعلام وسيلة مركزية من وسائل النصر،عبر التاكيد على صورة الجبروت والقسوة والرهبة لتحييد واخضاع كل المخالفين لمشروع الخلافة.
٤. الغلو في التعامل مع اية مجموعات سكانية غير"سنية"لتطهير اماكن تواجده ممن يمكن ان يشكل قاعدة احتجاج او رفض لممارسات التنظيم.

وكما هو معروف ان أي مشروع يحتاج موجودات مالية لتغطية نفقاته، فمن اين أتى (داعش) برواتب مقاتليه والتجهيز لعملياته العسكرية وشراء السلاح والذمم وغيرها من المتطلبات؟والتي هي بحسب شيخ تنظيم الجهاد في مصر نبيل نعيم تتطلب اموال طائلة.[١١]

ونرى ان التنظيم اعتمد اول الامر على المساعدات الخارجية من الدول الخليجية الغنية.[١٢] ثم وبعد ان اشتد عوده، اخذ يعتمد على عمليات الاستيلاء والاتاوات والخطف، والامر الاخير وفر للتنظيم اكثر من ٢٥٠ مليون دولار مقابل تحرير رهائن اوربيين.[١٣] وقد ياخذ الدعم الدولي شكل المساعدات الدولية والتبرعات الانسانيه، اذ يُعتقد تورط منظمات إغاثة قطرية وتركية مباشرة في دعم جبهة النصرة

٨- هيثم مناع، خلافة داعش شبكات التمويل والدعم، الجزء الرابع، اصدار المعهد الاسكندنافي لحقوق الانسان، آب \ ٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية: http://sihr.net/wp-content/uploads/2014/07/DAEESH- Forth -part1.pdf، ص٤.

٩- وكيل الازهر الاسبق تنظيم داعش مجرد عصابات وهدفه إرهاب الناس للحصول على الأموال، شبكة المعلومات الدولية: http://misrelwatan.com/video/77812.html، ص١.

١٠- هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، الجزء الاول، اصدار المعهد الاسكندنافي لحقوق الانسان، آب \ ٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية: http://sihr.net/wp-content/uploads/2014/07/DAEESH-first-part1.pdf، ص١٤.

١١- نبيل نعيم، مؤسس تنظيم الجهاد في مصر، قناة الميادين، الرابط على اليوتيوب: www.youtube.com/watch?v=8u8UK3Jo4oo.

١٢- تنويه فرنسي بدعم قطر وتركيا لتنظيم داعش، المسلة، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/an5wU4 ، ص١.

١٣- هيثم مناع، خلافة داعش صناعة التوحش، الجزء الثاني، مصدر سابق، ص٣.

وداعش.[١٤] بالاضافة إلى الاموال التي تكون بصحبة الوافدين الجدد على دولة التنظيم، والذين يأتون مع مدخراتهم المالية، تلبية لنداء البغدادي إلى كل من يرغب بالهجرة إلى اراضي"الدولة"والقدوم اليها.[١٥]

وهناك أخبار مؤكدة تتكلم عن بيع التنظيم لنفط المناطق التي يسيطر عليها في السوق السوداء، في حين لا يرى اخرون ذلك صحيحا، فالهدف الأساسي من ورائه هذا القول إخفاء دعم بعض الدول لداعش، وبالتالي يقحم الموضوع النفطي، من أجل القول أن داعش تمول نفسها بنفسها.[١٦]

المطلب الثاني: التعريف بحركة بوكو حرام

ظهرت حركة بوكو حرام في نيجيريا، البلد الذي يقع غرب أفريقيا، ويحده خليج غينيا والكاميرون وبحيرة تشاد والنيجر وبنين. مساحته الإجمالية: ٩٢٣٧٦٨كم٢،وعدد سكانه يقارب ١٤٩ مليون نسمة، لذا يعد الاكبر من ناحية السكان، الذين يتوزعون إلى: مسلمون ٥٠%، مسيحيون ٤٠% وثنيون ١٠%.[١٧]

وتعد جماعة أهل السنة للدعوة والجهاد، والمعروفة بـ بوكو حرام، جماعة اسلامية متطرفة في نيجيريا، أدت إلى خلق الفوضى في جميع أنحاء شمال البلاد وفي العاصمة أبوجا عبر هجمات عنيفة على مكاتب الحكومة والأمم المتحدة، والكنائس وزعزعة استقرار البلاد.[١٨]

وتسمية الجماعة جاءت من اساس فكرتهم في رفض التعليم الغربي، وأما مفهوم (بوكو حرام) المشاع، وهي كلمة هوساوية، فلم يكن يعرفه سوى أهل الهوسا، وهي كلمة مركبة تركيباً مزجياً من لغتي الهوسا(مجموعة عرقية) واللغة العربية، وقد كان الهوساويون يستعملون كلمة (بوكو) ويعنون بها (نظام التعليم الغربي) وإذا أضيفت إليها كلمة (حرام) أصبح المعنى: نظام التعليم الغربي حرام، وبالأحرى أن تُفسر الكلمة بمحتواها الدلالي، وليس وِفق الترجمة الحرفية، وعلى ذلك يمكن أن تكون الترجمة الصحيحة هي: (اتباع النظام التربوي على السياق الغربي حرام).[١٩]

تأسست الحركة على يد محمد يوسف، وهو من مواليد عام ١٩٧٠، في إحدى قرى ولاية يوبي، كان مثقفاً تخرج من إحدى المدارس التي تعتمد الأسلوب الغربي ويتكلم الانكليزية بطلاقة، وقد اغتيل في ٣٠ تموز ٢٠٠٩ بعد ساعات من اعتقاله واحتجازه لدى قوات الأمن.[٢٠]

ويدعو إلى الشريعة الإسلامية وإلى تغيير نظام التعليم، وكان يقول:"هذه الحرب التي بدأت الآن سوف تستمر لوقت طويل".عرف عن جماعته رفضها الإندماج مع الأهالي المحليين، ورفضها للتعليم الغربي والثقافة الغربية.وتتضمن هذه الجماعة قادمين من تشاد ويتحدثون فقط اللغة العربية .وعند تأسيسها في

١٤- هيثم مناع، خلافة داعش شبكات التمويل والدعم، الجزء الرابع، مصدر سابق، ص٣.
١٥- المصدر نفسه، ص ٥.
١٦- مازن شندب، من الذي يشتري النفط من داعش، شبكة المعلومات الدولية:http://hakaek.net/?p=17075 ، ص١.
١٧- قناة الجزيرة، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/Qn7SpJ
١٨- انرو ولكر، من هي بوكوحرام؟،تقرير المركز الامريكي للسلام، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/4aeft8
١٩- احمد مرتضى، جماعة بوكو حرام، مجلة قراءات افريقية،العدد١٢،تصدر عن المنتدى الاسلامي،حزيران٢٠١٢.
٢٠- ئاسو احمد،حركة بوكو حرام النيجيرية، مجلة الحوار، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/3UK9FO

٢٠٠٤ كانت الحركة تضم نحو مئتي شاب مسلم، بينهم نساء ومنذ ذلك الحين تخوض من حين لآخر مصادمات مع قوات الأمن في مناطق البلاد المختلفة.[٢١]

وهي كما تنظيم"الدولة الاسلامية"التي انضوت تحت لواء خلافته البغدادية، شهدت هذه الجماعة مع مرور الزمن تحولات تحت أسماء مختلفة مثل: (حركة طالبان النيجيرية) و(المهاجرون)، و(اليوسفية) قبل أن يُطلق عليها اسم"بوكو حرام"، ومع ذلك فإنها تفضل أن تُعرف بجماعة"أهل السنة للدعوة والجهاد".[٢٢]

وفى عام ٢٠٠٩ وقعت مواجهات بين الجماعة والشرطة والجيش شملت عدة ولايات شمالية راح ضحيتها مئات من الضحايا من المدنيين، وانتهت بإعلان الحكومة النيجيرية أنها قتلت جميع أفراد جماعة بوكو حرام، بما فيهم زعيم الجماعة محمد يوسف، غير ان هذا لم يشكل نهاية للجماعة.[٢٣]بل تولى قيادة المجموعة قائد اكثر تطرف ودموية، المعروف بابي بكر شيكاو. الذي يرجح أنه من مواليد ١٩٦٥ أو ١٩٦٩ في ولاية"يوبى"بنيجيريا، وقد درس الفقه لدى رجال الدين المحليين، كما تلقى"شيكاو"تعليمه فى كلية الشريعة والقانون فى كلية بورنو، وقبل مقتل الداعية محمد يوسف كان شيكاو يتهمه بأنه"معتدل أكثر من اللازم"، حيث انتهجت جماعة بوكو حرام منهجا عنيفا بعد إعدام الداعية محمد يوسف على يد الحكومة النيجيرية، وترأس حينها أبو بكر شيكاو الحركة وتوعد بالانتقام لإعدام"يوسف". وجاء أول حادث وهو الاعتداء على مقر الأمم المتحدة فى أبوجا ٢٠١١ الذى أوقع ٢٣ قتيلا، انتقلت بوكو حرام إلى تنفيذ عمليات نوعية ما أشاع مخاوف من إلحاق الحركة بمجموعة جهادية على المستوى العالمي.[٢٤]وفعلا هذا ما حصل، اذ توجهت حركة بوكو حرام، إلى تنظيم القاعدة فعقدت شراكة معه واستفادت من خبراته في العمليات الانتحارية المتطورة، وقال السفير أنتوني هولمز المساعد المدني لقيادة القوات الأمريكية في أفريقيا"نعلم أن هناك اتصالات متكررة على نحو متزايد بينهما، وفي الواقع فإن تدريب أعضاء بوكو حرام يتم من قبل تنظيم القاعدة في بلاد المغرب الإسلامي، وهذا مصدر قلق كبير".[٢٥]

عام ٢٠١٠ قدم شيكاو فروض الولاء والطاعة لتنظيم القاعدة، وأبدى الاخير استعداده لتقديم الدعم اللازم للجماعة في نيجيريا، خاصة في مجال تدريب الشباب أو المساعدة اللوجستية، لتعود"بوكو حرام"بعد توقفها عام ٢٠٠٩، بالظهور مجددا عام ٢٠١٠ بسلسلة من الاغتيالات، ومنذ ذلك الحين ونيجيريا تشهد باستمرار تفجيرات وعمليات انتحارية.[٢٦]وهذا يفتح الباب على تساؤلات حول من يدعم حركة بوكوحرام؟وهنا اغلب اصابع الاتهام تشير إلى تنظيم القاعدة، فالتقارير الاخبارية تشير إلى ان أسامة بن لادن أستثمر ٣ مليون دولار في شمال نيجيريا حيث الاغلبية المسلمة، لتعزيز المذهب

٢١- بوكو حرام، وكيبيديا، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/kKyu8W
٢٢- بوكو حرام،بوابة الحركات الاسلامية، شبكة المعلومات الدولية: http://www.islamist-movements.com/2278
٢٣- صبري محمد خليل، جماعة بوكو حرام:نشأتها وأصولها الفكرية، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/5PHKZq
٢٤- محمد فتحي، زعيم حركة بوكو حرام النيجيرية، اليوم السابع، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/E9W5Cj
٢٥- بوكو حرام والقاعدة تجدان ارضا خصبة في نيجيريا، السي ان ان،شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/bg6mSN
٢٦- بوكو حرام من الدعوة السلمية إلى الجهاد المسلح،بوابة الحركات الاسلامية،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/AzV9op

السلفي، كما أيد بن لادن أسقاط الحكومة النيجيرية وأقامة دولة تحكمها الشريعة.[٢٧] فيما يرى الخبير الامريكي جاكوب زن، أن بعض دول الخليج مثل السعودية والكويت وقطر، تمول المدارس الدينية الإسلامية في شمال نيجيريا، والتي يتعلم فيها الأطفال النيجيريون الدين الإسلامي واللغة العربية، مع توجه فكري متشدد قريب لحركة بوكو حرام، وبالتالي يكون الأمر سهلا لهذا التنظيم المتشدد لإيجاد عناصر جديدة يكون رافدها هذه المدارس.[٢٨] ولا زالت حركة بوكو حرام تسيطر على اغلب مدن شمال شرق نيجيريا،وتتوسع في حرب كر وفر مع القوات الحكومية، رغم تدخل دول الجوار والسعي لانشاء حلف افريقي لمقارعة الارهاب العابر للحدود. إذ رحب الأمين العام للأمم المتحدة بان كي مون،باقتراح الاتحاد الأفريقي تشكيل قوة إقليمية لمكافحة جماعة بوكو حرام النيجيرية، وذلك بالتزامن مع معارك عنيفة تخوضها القوات التشادية ضد الجماعة في شمالي الكاميرون.[٢٩]

أستنتاج: يظهر بوضوح تشابه واضح بين التنظيمين الارهابيين،"الدولة الاسلامية"و بوكو حرام، فكلامها يعتمدان اسلوب الكفاح المسلح،ويبغيان اسقاط الحكومات الحالية واقامة حكم الشريعة الاسلامية. وسبيلهما إلى ذلك، نشر الفوضى والخراب والدمار،والتوحش المطلق المشرعن دينيا، والذي اثبت نجاعته في دحر قوات الجيش والشرطة والتمهيد لاحتلال المدن،ومن دون مقاومة في بعض الاحيان. ونلاحظ ايضا ان مؤسسي التنظيمين من العائدين من سوح القتال في افغانستان، الزرقاوي ويوسف محمد، وخرجا من عباءة تنظيم القاعدة وعرابها بن لادن. كذلك يضع تنظيم"الدولة"وبوكو حرام، استراتيجية توسعية لا تعترف بحدود قومية ولا خصوصية وطنية، فنراهما يتمددان بسياسة قضم الارض ومهاجمة المناطق الرخوة كالقرى النائية ودور العبادة، ويركزان على الهجمات ذات الصدى الاعلامي الكبير، كاحتلال الموصل ومجزرة سبايكر في العراق واحتلال بورنو وخطف ٢٠٠طالبة في نيجيريا.

كذلك محاولتها اثارة النعرات الطائفية والعرقية والدينية، لخلط الاورق ولتظهر وكأنها المدافع الوحيد عن المسلمين، لكسب المؤيدين والداعمين.

المبحث الثاني: أصول التقارب بين تنظيم"الدولة الاسلامية"وحركة بوكو حرام

أنضواء بوكوحرام تحت خيمة تنظيم"الدولة الاسلامية"لم يأت من فارغ، بل هناك ما يبرره على الصعيد الفكري والسياسي. فكما ان هناك اختلافات بين التنظيمين تؤشر إلى تباعد الموقع الجغرافي وعدم تشابه البيئة الجيوسياسية، بالإضافة إلى العامل الاجتماعي. إلا ان بيعة بوكو حرام لتنظيم"الدولة

٢٧- رايان مايرو، تقرير خاص عن بوكوحرام،مشروع كلاريون، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/JzfRvz

٢٨- خبير امريكي،بوكو حرام نسخة من تنظيم"الدولة الاسلامية"،بوابة الحراكات الاسلامية،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/6cvZbI

٢٩- ترحيب اممي بتشكيل قوة لمواجهة بوكوحرام، موقع الجزيرة، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/cc1wv5

الاسلامية"تمت، والخلافة قبلت بدخول مجموعة ابي بكر شيكاو تحت طاعتها، ولكلاهما فوائد وغايات تمت عبر ذلك.

المطـــلب الاول: وحدة المنابع الفكرية

يظهر للمتتبع ان كلا التنظيمين كان له علاقة بتنظيم القاعدة، سواء كانت ترابط جنيني وهي حالة تنظيم"الدولة الاسلامية"او تأثر فكري ودعم مالي مع حركة بوكو حرام،ويظهر الانتماء الروحي لهذه الجماعة الى القاعدة في الاستشهاد باقوال رموز القاعدة التي كان يكثر منها زعيم الحركة محمد يوسف،حيث ينقل مثلا عن ابي مصعب الزرقاوي، ويصفه بالمجاهد.[٣٠]

كانت بوكو حرام في بدايتها أقرب للفرقة الدينية منها إلى الحركة؛ حيث نلاحظ تصلبا في مواقف أعضائها،وتقديسا لقائدها وتعصبا شديدا ضد كل من يخالفهم،ومع توثق العلاقة بين الحركة والتنظيمات الجهادية العالمية انفتحت مرجعية الخطاب لديها ومفرداته على مرجعية هذه التنظيمات،واصبح الحديث داخل بوكو حرام عن مرجعية فكرية تعتمد كتب ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب.[٣١]

ان الفكرة الرئيسة الّتي تؤمن بها بوكو حرام، شأنها في ذلك شأن تنظيم"الدولة"، هي أن دولة الخلافة الإسلامية لابد أن تسود الكرة الأرضية، ويلزم"تحقيق هذا الغرض عبر قتل غير المسلمين إذا ما باء إجبارهم على اعتناق الإسلام بالفشل".[٣٢] وقد استخدمت بوكو حرام المظالم المتزايدة للترويج لفكرة أن الدولة الإسلامية من شأنها أن تأتي بالأفضل وحكومة أكثر عدلا.[٣٣]وكذلك دعا تنظيم"الدولة الاسلامية"إلى ذلك وتجاوزها إلى اعلان خلافته على جميع المسلمين.

يمكن تقسيم الاصول الفكرية للتنظيمات الجهادية السلفية المتشددة، ومنها تنظيم داعش، إلى حقب زمنية مميزة، ظهر فيها مفكرون اسلاميون طرحوا تفسيرهم الخاص للاسلام،والاخير جاء ملتبسا مع تجاربهم الخاصة والوضع العام.

تلك التيارات الفكرية السلفية، والتي تعد الارض الخصبة لجميع الحركات الجهادية، يمكن توزيعها حسب تسلسلها الزمني، القديم منها يتوزع على ثلاث حلقات اساسية؛ الاولى احمد بن حنبل في القرن التاسع، الذي شدد على وجوب العودة إلى النص والسير على خطى السلف الصالح رغبة منه في تطبيق النموذج الذي نشأ في المدينة مع النبي محمدﷺ. الحلقة الثانية والوسطى، يمثلها ابن تيمية، الذي عاش في مرحلة عصيبة من حياة الامة تمثلت في سقوط بغداد بيد المغول وانتهاء الخلافة، وصرف حياته لرصد أي ثغرة تمس نقاوة العقيدة وصفائها، فتصدى لكل ما صادفه من انعكاسات الفلسفة اليونانية ومؤثراتها على الاسلام، وساجل المذاهب الباطنية بسبب ما توليه من اهمية للتأويل. الحلقة الثالثة، جاءت مع

٣٠- احمد مرتضى، جماعة بوكو حرام، مجلة قراءات افريقية،العدد١٢،تصدر عن المنتدى الاسلامي،حزيران٢٠١٢،ص٢٣.

٣١- سيدي احمد ولد الامير،بوكو حرام والسياقات المتداخلة،مركز الجزيرة للدراسات،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/lRDRbf،ص٣

٣٢- خلافة بوكو حرام في نيجيريا، صحيفة العرب، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/pA7Xdn

٣٣- بوكو حرام...ماوراء العناوين، دراسة لجامعة بوسطن، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/ibiqi9

محمد بن عبد الوهاب، الذي أسس التيار السلفي الوهابي الذي انطلق من عمق الجزيرة العربية والتحقت به ال سعود، بحركة تطهيرية اسهمت بعد قرنين في ولادة المملكة العربية السعودية.

المتتبع للمشهد يلاحظ تدرجا في حدة الطرح بين الحلقات الثلاث، انتقلت من التساهل النسبي عند ابن حنبل إلى الانتقاد الجذري من جانب ابن تيمية، وصولا إلى استخدام العنف وهدم الاضرحة ومكافحة التصوف والتوسل، ومنع كل الممارسات التي تسيء(كما يظنون) إلى صفاء العقيدة مع الوهابيين.[٣٤]ولا تختلف حركة بوكوحرام عن باقي الحركات السلفية المقاتلة المتأثرة بالفكر سالف الذكر، فمؤسسها محمد يوسف، ووفقا لجامعة كاليفورنيا في سانتا كروز بول لوبيك، تلقى تعليمه على يد السلفيين وتأثر بشدة بابن تيمية.[٣٥]

ويمكن ايجاز اهم اهداف ومعتقدات بوكو حرام بالاتي:

١. تطبيق الشريعة الإسلامية على وجه الكرة الأرضية.
٢. كفر الأنظمة والحكومات.
٣. الجهاد ماض إلى يوم القيامة.
٤. محو الكفر العالمي من على الأرض.
٥. عدم الاعتراف بجميع المؤسسات والهيئات الدولية.
٦. عدم الاعتقاد بالحدود المرسومة بين الدول.[٣٦]

وهذا ما يفعله تنظيم"الدولة الاسلامية"على ارض الواقع، فهو يسعى إلى تطبيق تصوره الخاص عن الشريعة الاسلامية،واعلان الخلافة الاسلامية العالمية.[٣٧]لذا من البديهي ان يعد التنظيم نفسه الحكومة الشرعية الوحيدة في الارض وما سواها من أنظمة وحكومات كافرة وجب قتالها،لأن حكم إقامة حكم الله على هذه الارض فرض على المسلمين،ولكون احكام الله فرض على المسلمين فبالتالي قيام الدولة الاسلامية فرض على المسلمين،لأن ما لم يتم الواجب الا به فهو واجب، وبحسب محمد عبد السلام فرج إذا كانت الدولة لن تقوم الا بالقتال فوجب علينا القتال.[٣٨]كذلك لا يعترف تنظيم"الدولة"بالحدود المرسومة بين الدول، ويصفها المتحدث باسمها ابو محمد العدناني بحدود الذل وصنم الوطنية.[٣٩]

ان التوجه الفكري الذي يقود الحركات والتنظيمات السلفية المسلحة يكاد يكون واحداً، وفي نفس الوقت نلاحظ ان دوافع النشوء لتلك الحركات تتشابه ايضا. ففي ما يتعلق بالعراق، يرى عبد الباري عطوان، في مسألة كسب الصحوات، ان إدارة رئيس الوزراء السابق نوري المالكي"الفاشلة والمحكومة

٣٤- عبد الغني عماد، السلفية الجهادية او الفرقة الناجية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/LG1AMS
٣٥- محمد يوسف، وكيبيديا، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/kE4cfP
٣٦- كمال الدين شيخ،التنظيمات الجهادية واثرها على الامن القومي،مركز الجزيرة للدراسات،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/Zw8jd3
٣٧- خطبة ابي بكر البغدادي،زعيم تنظيم"الدولةالاسلامية"، عن اليوتيوب: http://goo.gl/hTjATQ
٣٨- محمد عبد السلام فرج،الجهاد لفريضة الغائبة، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/ECIiXI
٣٩- كلمة ابو محمد العدناني،المتحدث بأسم تنظيم"الدولة الاسلامية"، عن اليوتيوب:https://goo.gl/urZGBF

بأجنداته الطائفية الاقصائية أدت إلى العكس تماما ووفرت البيئة الحاضنة للدولة الاسلامية التي كانت تتمناها وتسعى من اجلها".[٤٠]أي ان انخراط الشباب من الطائفة السنية في صفوف تنظيم الدولة جاء نتيجة أخطاء الحكومة العراقية. وفي نيجيريا هناك إجماع على أن حتى عام ٢٠٠٩ تحركات بوكو حرام اغلبها سلمية، وأن التطرف جاء بعد حملة الحكومة في عام ٢٠٠٩ التي قتل فيها نحو ٨٠٠ شخص بالاضافة إلى زعيم المجموعة محمد يوسف أثناء احتجازه لدى الشرطة.[٤١] فالحكومة النيجيرية تتحمل عبئ تحول حركة بوكو حرام إلى العنف الدموي، نتيجة سوء إدارتها للازمة واعتمادها مبدأ القسوة والشدة، مما أدى بالحركة الاحتجاجية على التعليم الغربي إلى ان تتحول إلى تنظيم مسلح دموي.

وهناك، بالاضافة إلى ذلك، تماثل في الظروف المعيشية القاسية في البلدين كليهما، العراق ونيجيريا، من فقر وبطالة وجهل، يمكن ان تأجج الوضع الداخلي ويستغلها دعاة الفتنة والحروب والاقتتال الداخلي مطية لهم. ففي نيجيريا هناك اضطرابات تنشأ عن حالة التأزم والإحباط التي يعيشها الشعب من جراء الفقر والتخلف وتردي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية، حيث الفجوة الواسعة بين الطبقات الميسورة والطبقات المحرومة الكادحة، وأصبح الفقر ظاهرة عامة وانتشرت البطالة ومظاهر البؤس والفاقة بين السكان.[٤٢] والفساد تسلل في هيئات مكافحة الفساد نفسها والسلطة القضائية التي اصبحت ضمانة للمسؤولين للإفلات من العقاب و الحفاظ على مواقفهم. هذا الفساد يأخذ في المقام الأول شكل من أشكال التدخل السياسي، والمدفوعات غير المشروعة والمحسوبية في تعيين القضاة وكبار المسؤولين.[٤٣]

اما في العراق، فالبلد الغني بنفطه غني بفقرائه، حيث الفقر،كما يرى ضياء الشكرجي، بحد ذاته يمثل أرضية خصبة لنشوء الإرهاب، عبر استغلال القوى الإرهابية لعوز الفقراء وعطل العاطلين، وتوظيفهم للعمل الإرهابي.[٤٤]وكأن هناك علاقة جدلية بين الفقر والإرهاب، فالإرهاب ينمو ويزدهر في ظل الفقر ومجتمعات التهميش، كما أن ضحايا الفقر هم في الغالب من ضحايا الإرهاب، سواء كانوا ضحايا مباشرين أم غير مباشرين، والنتيجة أن أسراً وعوائل بالكامل تُزج عنوة في فقرٍ مدقع، بعد أن تفقد مُعيلها أو تنتهي قدرته على العمل.[٤٥]

ويشخص الفريق احمد البياتي،الوكيل الاقدم في وزارة الداخلية العراقية، دوافع الارهاب بالاتي:

١- سياسية لتحقيق اهداف سياسية اوتصفية خصوم سياسيين.

٢- اقتصادية، بسبب الشعور بالظلم من عدم توزيع الثروات بشكل عادل او عدم توفير فرص للعمل والعيش الكريم.

٤٠- عبد الباري عطوان، الدولة الاسلامية الجذور التوحش المستقبل، ط١، دار الساقي، بيروت-لبنان، ٢٠١٥، ص ٨٥.

٤١- بوكو حرام...تشريح الازمة، دراسة لموقع العلاقات الدولية،بريطانيا،شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/OfVmZ1

٤٢- الخضر بن عبد الباقي،العوامل الداخلية لازمة نيجيريا،موقع الجزيرة،شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/mCHO1v

٤٣- تقرير منظمة الشفافية عن الفساد في نيجيريا، شبكة المعلومات الدولية: https://goo.gl/DWFDXP

٤٤- ضياء الشكرجي،مصانع الارهاب:الفقر،الجهل،الدين، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/1ldg64

٤٥- حسن لطيف كاظم،قصة الفقر في العراق،موقع نقاش، شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/OZd0L5

٣ – ويوجد هناك عامل مشترك وهو التهميش والعنف الذي يولد العنف والقوة والاقصاء.[٤٦]

المطـــلب الثاني: غايات سياسية-استراتيجية

والغاية لغة،غاية: (اسم)،الجمع: غايات و غاي،الغَايَةُ: النهايةُ والآخِر،غايتُك أَن تفعل كذا: نهاية طاقتك، وغايةُ الأَمر: الفائدةُ المقصودة منه.[٤٧]وعند اقترانها بالسياسة والاستراتيجية تصبح كما نرى الاسباب الواجب تحققها للوصول إلى هدف ما،وتحقيقه.

ويبدو جليا ان لدى الطرفين، تنظيم"الدولة"وبوكو حرام، مرام يسعون لنيلها من وراء اعلانهما البيعة وقبول البيعة على التوالي.

فالمنفعة التي ستجنيها حركة بوكو حرام تتمثل في الحاجة إلى دعم التنظيمات الجهادية، من أجل مواجهة الحرب المفتوحة من جانب القوة الإقليمية الإفريقية المتصدية لإرهاب «بوكو حرام»، مما جعل التنظيم يقاتل على أكثر من جبهة، مما أدى إلى حدوث خسائر بشرية كبيرة في صفوفه مؤخرًا، إضافةً إلى خسارة عددٍ من المدن التي كان يسيطر عليها، نتيجة الضربات القوية التي تعرض لها من قوات التحالف.[٤٨]لذا تمثل بيعة الحركة لتنظيم الدولة سيمكنها من امتلاك معين لا ينضب من الموارد وخاصة البشرية منها. في حين يصف الخبير المغربي في الجماعات الإسلامية محمد ضريف، خطوة التنظيم النيجيري بالشكلية في الدرجة الأولى لا أكثر، خصوصاً أن"بوكو حرام"سبق لها أن أعلنت"بيعتها"لتنظيم"القاعدة"في وقت سابق، ويشير إلى أنها تستهدف الحصول على دعم"داعش"في أكثر من مجال، لا سيما أنها تعتقد بوجود أرضية قوية له على الأرض الليبية من الممكن الإستفادة منها.[٤٩]وكذلك يرى الاكاديمي النيجيري، الخضر عبد الباقي محمد، أن إعلان بوكو حرام انضمامها إلى تنظيم الدولة هو رسالة سياسية وإعلامية أكثر منها واقعية.[٥٠]

أما المنفعة التي سيجنيها تنظيم"الدولة الاسلامية"فكثير حسب اعتقادنا، ومنها إن تلك البيعة تمثل له انتصارًا جديدًا في ظل الحرب القائمة ضده في العراق وسوريا؛ حيث يُثبت التنظيم أنه قادر على التمدد والانتشار خارج حدود دولته برغم التحالف الدولي ضده، وأنه قادر على تثبيت استراتيجيته التي تقوم على أن التنظيم يتمدد ولا ينحسر.[٥١] كما تُحَقِّق هذه البيعة نصرًا إعلاميا لتنظيم الدولة؛ فكأنه يقول

٤٦- احمد كاظم البياتي،الارهاب والامن في العراق،مجلة سطور، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/cGmPsK

٤٧- معجم المعاني، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/x5ykAO

٤٨- بوكو حرام ومبايعة تنظيم الدولة الاسلامية،مركز روابط للبحوث الاستراتيجية،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/KJj2pg

٤٩- بوكو حرام ل داعش،صحيفة النشرة الالكترونية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/qQczjQ

٥٠- استراتيجية بوكو حرام، موقع المسلم، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/9ojQU6

٥١- بوكو حرام ومبايعة تنظيم الدولة الاسلامية،المركز الاقليمي للدراسات الاستراتيجية،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/JAPyxr

لمناصريه ومناوئيه على حد السواء :إن تنظيم الدولة الإسلامية يتمدَّد في فضاءات بعيدة من مركزه في العراق وسوريا.[٥٢]كذلك يوفر التقارب بين التنظيمين تعاون استراتيجي كبير يشمل المال والسلاح والرجال.

أستنتاج: ان التقارب بين تنظيم"الدولة الاسلامية"وحركة بوكوحرام، يرجع إلى وحدة المنابع الفكرية التي يستقوا منها كلا التنظيمين الارهابيين، كوجوب اقامة الدولة الاسلامية باستخدام السلاح،وتكفير المجتمعات وعدم الاعتراف بالحدود بين الدول،وغيرها من الافكار التي نجدها في فتاوي تعود بعضها إلى ابن تيمية ومحمد بن عبد الوهاب. كذلك سيعود هذا الاندماج (البيعة)على الطرفين بمنافع عدة،فمن ناحية تنظيم"الدولة"هناك فائدة اعلامية وإرضاء للرغبة التوسعية لديه، ومن ناحية حركة بوكو حرام، الانتفاع من الزخم الذي يعطيه خبر البيعة، في مواجهة التحالف الافريقي، وفي استدرار المساعدات المالية والمدد البشري من باقي التنظيمات الجهادية التابعة لتنظيم الدولة في افريقيا.

المبحث الثالث: مستقبل العلاقة بين تنظيم"الدولة الاسلامية"وحركة بوكو حرام

يواجه تنظيم"الدولة الاسلامية"وحركة بوكو حرام، صراعا داخليا مع حكومات الدول التي هم فيها، وصراعا خارجيا مع تحالفات دولية مناهضة لتوجهاتهم. وبالتالي يتوقف مستقبل العلاقة التي تربطهما على تحملهما لجميع الظروف المعادية لهما، وإن انهيار أي طرف منهما قد يشكل خطرا على الطرف الاخر، فالمعركة مصيرية بالنسبة لهما. فتنظيم"الدولة الاسلامية"ورث تدريجيا تنظيم القاعدة الأم، ومن المتوقع ان يرث فروعها او معظمها في مختلف انحاء الشرق الاوسط والعالم.[٥٣]

المطلب الاول: النجاح والاستمرار

إن أولويات القوى الكبرى في علاقاتها مع إفريقيا، باتت تتركز على ضمان وارداتها من مصادر الطاقة والمواد الخام الازمة لصناعاتها الاستراتيجية، هذا بالإضافة إلى فتح الاسواق الافريقية أمام سلع ومنتجات هذه القوى، الامر الذي يخرج تلك الأولويات عن كونها شأنا تجاريا او اقتصاديا محضا، لتصل إلى مصاف الضرورات الاستراتيجية الملحة، بحكم ما يعبر عنه من مصالح كبرى لجانب هذه القوى.[٥٤]ومن هنا جاء التدخل الدولي بقيادة فرنسا لحماية مصالحها من خطر الجماعات الجهادية المسلحة، مع اقتراب الاخيرة من حقول النفط وموارد الطاقة. حيث أشار وزير الدفاع الفرنسي جان إيف لو دريان الى إن فرنسا تتجه لزيادة قواتها المكلفة بمواجهة المتشددين في غرب افريقيا لدعم قوة اقليمية تقاتل جماعة بوكو حرام.[٥٥]

٥٢- سيدي احمد ولد الامير،بوكو حرام والسياقات المتداخلة،مركز الجزيرة للدراسات،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/lRDRbf،ص٣

٥٣- عبد الباري عطوان، الدولة الاسلامية الجذور التوحش المستقبل، ط١، دار الساقي، بيروت-لبنان، ٢٠١٥، ص٢٢٥

٥٤- نجلاء محمد،الثروة النفطية والتنافس الدولي في افريقيا،مركز البيان للدراسات، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/QUe6fR،ص ٤١٥

٥٥- فرنسا تتجه لزيادة قواتها في غرب افريقيا، موقع رويتر، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/Hc5A9H

ولغرض مواجهة هذه التحديات اعلنت بوكو حرام مبايعتها لتنظيم الدولة، لتدخل مقامرة البقاء والنجاح او الفشل والفناء.

فإذا كتب لهذا التقارب النجاة من الاخطار الداهمة والانحناء امام العاصفة، فسيزيد ذلك من فرص التنظيمين في التمدد اكثر،واكتساب المزيد من المتطوعين والداعمين. فمستقبل نماذج القاعدة في إفريقيا قابل للانتشار والزيادة، ما دام هناك الفقر، والبطالة، والفساد، وعدم وجود عدالة في التوزيع، وعدم قيام رجال الدين الاسلامي بمهامهم على الوجه الأكمل، إضافة إلى الانتهاكات الصارخة التي تقوم بها حكومات بعض الدول الإفريقية تجاه مواطنيها ومعارضيها.(٥٦)

المطلب الثاني: الفشل والانفصال

ويعد احتمال انهيار الوجود المسلح للتنظيمين الارهابيين أمرا ممكن التحقيق إذما توفرت إرادة دولية ومحلية للقضاء على التطرف الديني، ومثيراته المتعددة. و يذهب الباحث محمد ابو رمان إلى إن القضاء على تنظيم الدولة الإسلامية عسكريًّا لن يخلق حالة من الاستقرار الإقليمي ولن ينقذ الدولة القُطرية العربية؛ إذ تؤشر المعطيات الواقعية إلى أننا أمام مرحلة انهيار للتوازنات القديمة من دون خلق آفاق سلمية بديلة، وهي التي كان يمكن أن توفرها الثورات الديمقراطية العربية، لكن الطريق أمامها أصبحت متعرجة ومعقدة؛ ما يجعل من سيناريو الفوضى والعنف والتفتيت السياسي والجغرافي على أسس بدائية هو السيناريو المتوقع في المدى المنظور.(٥٧)

أما فيما يخص الارتباط بين الحركتين، فهناك من يعتقد بخطورته وإنه سيكون له عدد من التداعيات الهامة، خاصة على مستوى التنظيمات الجهادية في المنطقة، في ظل حالة التمدد الجهادي الذي تشهده المنطقة في أعقاب الربيع العربي.(٥٨) اما وكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية فتبدو متشككة في إمكانية نجاح الاندماج بين الحركتين، خاصة وأن بوكو حرام تركز بشكل كبير على الشأن الأفريقي، في حين أن قيادة داعش، المكونة أساسا من العرب، قد يكون لديها نظرة عنصرية تجاه السود بحيث يتعاملون مع بوكو حرام وزعيمها شيكو بشكل دوني.(٥٩) وقد اعلنت الحكومة النيجيرية ان مبايعة جماعة بوكو حرام تنظيم"الدولة"يعتبر مؤشر ضعف وتاتي نتيجة الضغوط التي تمارسها نيجيريا والدول الحليفة لها على المتمردين الجهاديين. وقال المتحدث باسم الامن القومي مايك عمري ان المبايعة تعتبر"عملا يائسا وتاتي في وقت تتعرض فيه بوكو حرام لخسائر فادحة".(٦٠) وفي هذا الاتجاه اشار محمد يوسفو، رئيس دولة النيجر، إلى ان حركة بوكوحرام لا مستقبل لها.(٦١)

٥٦- علي بكر،القاعدة الافريقية، مجلة السياسة الدولية،مركز الاهرام،شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/8JgUxN

٥٧- محمد ابو رمان،ملف تنظيم الدولة الاسلامية، مركز الجزيرة للدراسات، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/DPq9ky،ص٨١

٥٨- بوكو حرام ومبايعة تنظيم الدولة الاسلامية، مركز الروابط للبحوث،شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/hJccQy

٥٩- بوكو حرام تنظم لداعش، موقع الامواج السعودية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/tjWFNd

٦٠- نيجيريا تعتبر مبايعة بوكو حرام لداعش مؤشر يأس،صحيفة الغد،شبكة المعلومات الدولية:http://goo.gl/Nb6Du4

٦١- كلمة لرئيس النيجر محمد يوسفو،عن اليوتيوب: https://goo.gl/RvGRHb

في حين يشير عامر راشد إلى ان معالجة أسباب ظهور الجماعات الإرهابية المتطرفة لا يقل أهمية عن مواجهتها بالقوة، فبقاء تلك الأسباب سينتج عنه في المستقبل ظهور جماعات ربما أكثر تطرفاً، المثال على ذلك تنظيم (داعش) بالقياس إلى تنظيم (القاعدة)، وسيطرة الجناح المتشدِّد على حساب الجناح المعتدل نسبياً داخل"حركة الشباب المجاهدين"الصومالية، بعد التدخل العسكري الأفريقي في الصومال، واستمرار وجود البيئة الاجتماعية الحاضنة للتطرف.[٦٢]

أستنتاج: يتأرجح مستقبل العلاقة بين التنظيمين الارهابيين، على ما يبدو، حسب فرصة بقائهما اولا، حيث يتعرضان إلى هجمة دولية ومحلية، وعلى مستوى التعاون والقبول بينهما ثانيا، فالتباعد المكاني واختلاف التوجهات، قد يجعل الايام القادمة تأتي بحوادث ومواقف ليست متوقعة. عدا ذلك، يبدو ان اعلان البيعة كان فيه المنفعة والمصلحة للطرفين، فتنظيم الدولة ازداد عدد مواليه وجنوده وتوسع تأثيره وتمدد، بالاضافة إلى الاثر الاعلامي الكبير. في حين بوكو حرام النيجيرية، انضوت تحت جماعة ذات خبرة طويلة وقدرات مالية واسعة وارتباطات وتشعبات دولية ساندة وإن في الخفاء، كل هذا يعطي لبوكو حجما اكبر ويرفع مرتبتها في مواجهة تحديات الداخل والخارج.

الخاتمة

من المواضيع المقلقة، بعد بروز وتغول تنظيم"الدولة الاسلامية"وإدعائه الخلافة، حصول الاخير إلى بيعات متعددة من مختلف انحاء العالم، ومنها حركة بوكو حرام النيجيرية.

ويبدو ان كل مجموعة ارهابية تعطي ولائها لتنظيم الدولة تزيده قوة وهو في مكانه الذي هو فيه ونفوذا في المكان الذي فيه تلك المجموعة. لكن الذي يميز الحركة قيد البحث،بوكو حرام، عن غيرها من الحركات المتشددة، ان لديها تاريخا طويلا مع استخدام الارهاب والقتل والعنف الاعمى، بالاضافة إلى سيطرتها على ثلث مساحة البلاد، فيما تقوم بمهاجمة المناطق المتبقية من شمال نيجيريا.

وعند البحث في اسباب ودواعي التقارب بين التنظيمين، تبين لنا ان هنالك مجموعتين من الاسباب: اولها، الأسس الفكرية التي تجمعهما، ويتعلق اغلبها بضرورة قيام الدولة الاسلامية سبيلهم الوحيد لذلك القتال(الجهاد). كذلك رفض المجتمعات التي هم فيها ومحاربة الحكومات وتكفيرها،مستندين في ذلك إلى فتاوى بعض العلماء، كأبن تيمية.

ثانيها، غايات ومصالح ومنافع سياسية واستراتيجية، تدفع هكذا حركات ارهابية إلى التوحد والاندماج. وبدا لنا ان لتنظيم الدولة دوافع في هذا الشأن، منها أعلامية ومنها توسعية ومنها فتح جبهات اخرى قد يتدفق منها – عند الحاجة– الرجال والسلاح. أما من جانب بوكوحرام، التي تواجه حملة حكومية ودولية شرسة، كان اعلان البيعة لتنظيم الدولة، بمثابة الانضواء تحت قطب ارهابي اقوى، لتحصل منه على الاعتراف والدعم والنصيحة،وهذا ما حصل بالفعل.

٦٢- عامر راشد، تحالف قطع الرؤوس بين داعش وبوكوحرام، موقع سبوتنك،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/7nMGv0

وفي مجال استطلاع مستقبل هذه الاتحاد بين التنظيمين، يرشح لدينا اتجاهين: الاول يتوقع النجاح للعلاقة التي تربطهما والاستمرار، بناءا على معطيات منظورة، حيث العجز المحلي عن كبح جماح التنظيمين وتردد دولي للتصدي للرايات السوداء ما دامها لا ترفع فوق مدنهم. الاتجاه الثاني يرى ان الفشل مصير هذه الحركات، فهناك رفض شعبي عالمي لافعالهما الاجرامية، كذلك تشكل تحالفات عالمية لمساعدة الحكومات المحلية في القضاء على الارهاب واستئصال شأفته. والايام كفيلة بالكشف عن أي التوقعين سيرى النور.

المصادر

الكتب:

١. عبد الباري عطوان، الدولة الاسلامية الجذور التوحش المستقبل، ط١، دار الساقي، بيروت–لبنان، ٢٠١٥.

الدوريات:

١. ئاسو احمد،حركة بوكو حرام النيجيرية، مجلة الحوار، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/3UK9FO
٢. احمد مرتضى، جماعة بوكو حرام، مجلة قراءات افريقية،العدد١٢،تصدر عن المنتدى الاسلامي،حزيران٢٠١٢.
٣. خلافة بوكو حرام في نيجيريا، صحيفة العرب، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/pA7Xdn
٤. علي بكر،القاعدة الافريقية، مجلة السياسة الدولية،مركز الاهرام،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/8JgUxN
٥. محمد فتحي، زعيم حركة بوكو حرام النيجيرية، صحيفة اليوم السابع، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/E9W5Cj
٦. نيجيريا تعتبر مبايعة بوكو حرام لداعش مؤشر يأس،صحيفة الغد،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/Nb6Du4

الدراسات:

١. اكرم الحجازي، مدخل إلى السلفية الجهادية ومشروعها الجهادي(نموذج العراق)،المعهد العربي للبحوث والدراسات الاستراتيجية، عمان–الاردن، ٢٠٠٨.
٢. بوكو حرام...تشريح الازمة، دراسة لموقع العلاقات الدولية،بريطانيا،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/OfVmZ1
٣. بوكو حرام...ماوراء العناوين، دراسة لجامعة بوسطن، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/ibiqi9

٤. بوكو حرام ومبايعة تنظيم الدولة الاسلامية، مركز الروابط للبحوث،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/hJccQy
٥. رايان مايرو، دراسة خاصة عن بوكوحرام،مشروع كلاريون، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/JzfRvz
٦. سيدي احمد ولد الامير،بوكو حرام والسياقات المتداخلة،مركز الجزيرة للدراسات،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/lRDRbf
٧. كمال الدين شيخ،التنظيمات الجهادية واثرها على الامن القومي،مركز الجزيرة للدراسات،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/Zw8jd3
٨. محمد ابو رمان،ملف تنظيم الدولة الاسلامية، مركز الجزيرة للدراسات، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/DPq9ky
٩. نجلاء محمد،الثروة النفطية والتنافس الدولي في افريقيا،مركز البيان للدراسات، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/QUe6fR
١٠. هيثم مناع، خلافة داعش من هجرات الوهم إلى بحيرات الدم، الجزء ١، اصدار المعهد الاسكندنافي لحقوق الانسان، آب \ ٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/5CxzwE.
١١. هيثم مناع، خلافة داعش صناعة التوحش، الجزء ٢، اصدار المعهد الاسكندنافي لحقوق الانسان، آب \ ٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/Lgpilw
١٢. هيثم مناع، خلافة داعش شبكات التمويل والدعم، الجزء ٤، اصدار المعهد الاسكندنافي لحقوق الانسان، آب \ ٢٠١٤، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/FJ9AD6.

مقالات:

١. ISIS،ISIL Or Islamic State What's In A Name ، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/1wpaXC.
٢. Mohamad Nasran،The concept of Islamic state،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/8q8z5g.
٣. What is Islamic State، BBC News، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/u0M9i5.
٤. احمد كاظم البياتي،الارهاب والامن في العراق،مجلة سطور، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/cGmPsK
٥. استراتيجية بوكو حرام، موقع المسلم، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/9ojQU6
٦. انرو ولكر، من هي بوكوحرام؟،تقرير المركز الامريكي للسلام، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/4aeft8
٧. بوكو حرام، وكيبيديا، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/kKyu8W
٨. بوكو حرام،بوابة الحركات الاسلامية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/vL1hzu

٩. بوكو حرام تنظم لداعش، موقع الامواج السعودية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/tjWFNd
١٠. بوكو حرام ل داعش،صحيفة النشرة الالكترونية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/qQczjQ
١١. بوكو حرام من الدعوة السلمية إلى الجهاد المسلح،بوابة الحركات الاسلامية،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/AzV9op
١٢. بوكو حرام والقاعدة تجدان ارضا خصبة في نيجيريا، السي ان ان،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/bg6mSN
١٣. ترحيب امي بتشكيل قوة لمواجهة بوكوحرام، موقع الجزيرة، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/cc1wv5
١٤. تقرير منظمة الشفافية عن الفساد في نيجيريا، شبكة المعلومات الدولية: https://goo.gl/DWFDXP
١٥. تنويه فرنسي بدعم قطر وتركيا لتنظيم داعش، المسلة، شبكة المعلومات الدولية: ..http://goo.gl/an5wU4
١٦. حسن لطيف كاظم،قصة الفقر في العراق،موقع نقاش، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/OZd0L5
١٧. خبير امريكي،بوكو حرام نسخة من تنظيم"الدولة الاسلامية"،بوابة الحركات الاسلامية،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/6cvZbI
١٨. الخضر بن عبد الباقي،العوامل الداخلية لازمة نيجيريا،موقع الجزيرة،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/mCHO1v
١٩. صبري محمد خليل، جماعة بوكو حرام:نشأتها وأصولها الفكرية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/5PHKZq
٢٠. ضياء الشكرجي،مصانع الارهاب:الفقر،الجهل،الدين، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/1ldg64
٢١. عامر راشد، تحالف قطع الرؤوس بين داعش وبوكوحرام، موقع سبوتنك،شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/7nMGv0
٢٢. عبد الغني عماد، السلفية الجهادية او الفرقة الناجية، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/LG1AMS
٢٣. فرنسا تتجه لزيادة قواتها في غرب افريقيا، موقع رويتر، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/Hc5A9H

٢٤. مازن شندب، من الذي يشتري النفط من داعش، شبكة المعلومات الدولية: http://hakaek.net/?p=17075..

٢٥. محمد عبد السلام فرج،الجهاد لفريضة الغائبة، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/ECIiXI

٢٦. محمد يوسف، وكيبيديا، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/kE4cfP

٢٧. معجم المعاني، شبكة المعلومات الدولية: http://goo.gl/x5ykAO

٢٨. وكيل الازهر الاسبق تنظيم داعش مجرد عصابات وهدفه إرهاب الناس للحصول على الأموال، شبكة المعلومات الدولية: http://misrelwatan.com/video/77812.html

مقاطع فيديو:

١. خطبة ابوبكر البغدادي،زعيم تنظيم"الدولةالاسلامية"، عن اليوتيوب: http://goo.gl/hTjATQ

٢. كلمة لرئيس النيجر محمد يوسفو،عن اليوتيوب: https://goo.gl/RvGRHb

٣. كلمة ابو محمد العدناني،المتحدث بأسم تنظيم"الدولة الاسلامية"، عن اليوتيوب: https://goo.gl/urZGBF

نبيل نعيم، مؤسس تنظيم الجهاد في مصر، قناة الميادين، الرابط على اليوتيوب: www.youtube.com/watch?v=8u8UK3Jo4oo

.

التعسف في استعمال حق التقاضي

Abuse of the prosecution right

أ.م.د عادل شمران الشمري [١] Assist. Prof. Adel Sh. Al-Shammari

م.م علي شمران الشمري [٢] Assist. lec. Ali Sh. Al-Shammari

الخلاصة

تبين من خلال البحث في موضوع (التعسف في استعمال حق التقاضي) انه من الموضوعات المهمة والفعالة في مجال القضاء، لما فيه من حماية وصيانة الحقوق من تجاوز الغير عليها، وكذلك يؤدي إلى إعادة التوازن بين الطرفين المتخاصمين لغرض استقرار المعاملات، وعليه تناولنا هذا الحق الإجرائي بالبحث لأنه يتعرض لجانب من الجوانب المهمة في نطاق قانون المرافعات المدنية، وهو الجانب الخاص بحماية قواعد هذا القانون ضد استعمال الإجراءات القضائية بشكل لا يتفق مع الغاية منها مما يسبب بالتالي في إطالة أمد النزاع والذي يضر بالطرف الآخر، ونتيجة لذلك لا يمكن تحقيق العدالة بين الطرفين المتخاصمين إلا عن طريق القضاء ووفق آلية قانونية يمكن تلافي مثل هذه الأمور غير المشروعة وحماية الطرف المتضرر، وذلك تحقيقاً للمصلحة العامة للمجتمع.

Abstract

Found through a search on the subject (abuse of the right of litigation) that one of the important topics and effective in the field of the judiciary,for the protection and maintenance of the rights of the bypass to others, as well as lead to a re-balancing between the two rival groups for the purpose

١ – جامعة كربلاء / كلية القانون.

٢ – جامعة اهل البيت عليهم السلام / كلية القانون.

of stabilizing transactions, and therefore we approached this procedural right to search because it is exposed to the side of the important aspects of the scope of Code of Civil Procedure, a private side to the protection of the ruled of this law against the use of judicial proceedings are not consistent with the purpose of causing thereby prolong the detriment of the other partyto the conflict, and as a result can not be achieved justice between the two belligerents only by the judiciary and in accordance with the legal mechanism can avoid such things illegal and protect the injured party, and that the public interest of the community.

المقدمة

ان التعسف في استعمال حق التقاضي من المواضيع المهمة في نطاق قانون المرافعات، لأنه يتعرض لجانب من الجوانب المهمة في القانون الاجرائي، وهو الجانب الخاص بحماية قواعد هذا القانون ضد استعمال الاجراءات القضائية بشكل لا يتفق مع الغاية منها، وان هذه المسألة من المسائل المهمة جداً والتي لها تأثير مباشر على قيام المحاكم بالدور المنوط بها في تحقيق العدل.

ومما لا شك فيه ان لجوء الخصوم الى الاساليب غير المشروعة واستخدام الاجراءات القضائية لغرض المماطلة واطالة النزاع من شأنه ان يضر بالطرف الاخر وبالتالي لا يمكن تحقيق العدالة بين الطرفين المتخاصمين، وهذا مما يعرقل مرفق القضاء بالقيام بوظيفته على الوجه المطلوب بسبب عدم استعمال الاشخاص لحقهم بالصورة المشروعة ووفقاً لما يتطلبه مبدأ حسن النية في التعامل ولما تقتضيه نظم المسؤولية في العصر الحاضر نتيجة للتطور الكبير في الاتجاه نحو المفهوم الموضوعي على حساب المفهوم الشخصي، وبالتالي سيكون ذلك حماية وضمانة اكيدة للنظم القانونية السائدة التي تهدف بدورها الى حماية وصيانة حقوق الافراد.

ولأجل بحث هذا الموضوع بشكل تفصيلي سوف نقسمه على مبحثين، نتناول في المبحث الاول ماهية التعسف في استعمال حق التقاضي، ونبحث في الثاني مظاهر التعسف في استعمال حق التقاضي والاثار المترتبة عليه، يسبقهما تمهيد بعنوان (التطور التأريخي لنظرية التعسف في استعمال حق التقاضي).

وسننهي البحث بخاتمة تتضمن عدداً من النتائج والمقترحات.

تمهيد: التطور التأريخي لنظرية التعسف في استعمال حق التقاضي

ان نظرية التعسف في استعمال الحق هي ليست نظرية جديدة او مبتدعة، بل هي نظرية قديمة عرفها الرومان ثم إنتقلت الى القانون الفرنسي القديم، وتشبع بها الفقه الاسلامي، ولكنها إختفت فترة من الزمن ويرجع الفضل في ظهورها مرة اخرى الى الوجود الى الفقيهين الفرنسيين سالي (saleilles) وجوسران (Josserand) واستقرت في الفقه وسار عليها القضاء واخذت بها التقنينات، وبالتالي اصبحت نظرية

ثابتة ومستقرة ولا يستطيع احد الاستغناء عنها. وبالتالي انتعشت هذه النظرية في العصر الحاضر اذ كان للقضاء والفقه في فرنسا الفضل في إحياء مبدأ تحريم التعسف في استعمال حق التقاضي[٣].

فبعد كل ما ذكر بشأن تطور هذه النظرية، فقد اعطت الدساتير وقوانين المرافعات للافراد الكثير من الامتيازات والحقوق وان من أهم هذه الحقوق هو حق الافراد في اللجوء الى المحاكم ((حق التقاضي)) والذي من خلاله يلجأ الافراد عند الاعتداء عليهم او على حقوقهم برفع الدعاوى المدنية على من تجاوز عليهم او على حقوقهم لأن الدعوى هي عبارة عن مجموعة من الاجراءات القضائية التي تتخذ من قبل القاضي واطراف الدعوى وقد تتخذ من قبل الغير كالشهود والخبراء، ومما لاشك فيه إنه يتطلب لصحة هذه الاجراءات مجموعة من الشروط الموضوعية والشكلية كالإرادة والمحل وغيرها من الشروط التي يجب ذكرها في الوقت والمكان الذي يحدده القانون والتي من شأنها ان تكون منتجة وذات فاعلية ايجابية في سير الدعوى.

ولكن يبقى الاصل وهو السلطة التقديرية للقاضي فان المحكمة حتى وان توافرت الشروط في رفع الدعوى فهي غير ملزمة، فقد لا تقبل هذه الاجراءات ولا ترتب عليها الآثار التي حددها القانون، اذا استعملها الفرد وكان متعسفاً فيها، فحق التقاضي هو كبقية الحقوق يخضع الى النظرية العامة التي ذكرتها معظم القوانين المدينة والتي اشارت الى ضرورة عدم التعسف في استعمال الحق، معنى ذلك انه اذا قام الفرد بأي اجراء معين فيجب عليه ان لا يكون متعسفاً في استعماله لهذا الاجراء.

المبحث الاول: ماهية التعسف في استعمال حق التقاضي

للأهمية الكبيرة والبالغة لموضوع التعسف لما يحتله من اهتمام لدى الفقهاء والكتاب والتشريعات واحكام القضاء ولغرض بيان ماهية هذا الموضوع بشكل دقيق فقد ارتأينا تقسيم هذا المبحث على ثلاثة مطالب، نتناول في المطلب الاول التعريف بالتعسف في استعمال حق التقاضي ونخصص المطلب الثاني لبيان صور التعسف أما تأصيل التعسف في استعمال حق التقاضي فيكون عنواناً للمطلب الثالث، وعلى النحو الآتي....

المطلب الاول:تعريف التعسف في استعمال حق التقاضي

في بداية الكلام نوضح معنى التعسف في استعمال حق التقاضي وفقاً لما ذكر في آراء المسلمين، ومن ثم ننتقل الى مفهومه القانوني، فنرى ان الفقهاء المسلمين قاموا بدراسة هذا الموضوع والاهتمام بكافة جوانبه وذلك بتحديد مفهومه بشكل عام، على اساس انه يقوم على الاصول والمبادئ العامة المذكورة في القرآن الكريم، وقد تبين ذلك في دقة ما توصلوا اليه في تطبيق احكام ومفاهيم هذه النظرية او الاطار العام لكيفية استعمال كافة الحقوق.[٤]

---

٣ – د: عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، مصادر الالتزام، منشأة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٤، ص٦٩٦.

٤ – د: فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الاسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٩٨، ص٣٨.

حيث تم تعريف التعسف بأنه ((تحايل على مقصود الشرع او هو تحايل على بلوغ هدف لم يشرع الحق لاجله))[٥].

كما تم تعريفه بانه ((استعمال الحق على وجه غير معتاد شرعاً))[٦].

اما بخصوص تعريف التعسف في استعمال حق التقاضي في الفقه القانوني، نرى هناك اختلافاً وتبايناً بين آراء الفقهاء والكتاب والباحثين بهذا الجانب، قسم منهم يعتبر التعسف هو خروجاً عن حدود الحق، بينما آخرون يصفونه بأنه انحراف في السلوك المألوف للشخص العادي، وهناك من كيف فكرة التعسف بعيداً عن مفهوم تجاوز الحدود وفكرة الخطأ، وبهذا الخصوص عرف الاستاذ بلانيول((planiol)) التعسف بأنه ((خروج عن حدود الحق)) من خلال كلامه المشهور ((حيث ينتهي الحق يبدأ التعسف)).

وقد تأثر بهذا الرأي في البداية عدد كبير من الفقه الفرنسي والمصري حيث عرف بأنه ((استعمال للسلطات التي يتضمنها الحق بغية تحقيق هدف لا يتوافر فيه هذا الشرط))[٧]، اما القسم الآخر من الفقهاء فقد ذهبوا بعيداً عن فكرة الخروج عن حدود الحق عند تعريفهم للتعسف معتبرين ان التعسف هو صورة جديدة للخطأ التقليدي، الذي لا يكفي تصوره المبدئي لتصوير التعسف في استعمال حق التقاضي مميزين في ذلك بين ما يسمى بالخطأ المألوف والخطأ غير المألوف، حيث يطلقون التعسف على النوع الثاني للخطأ دون الاول، والذي يعتبرونه إنه يقع نتيجة استعمال الشخص لحقه بطريقه تؤدي الى الاخلال وارتكاب خطأ تقصيري يخل بحق الغير[٨].

ويتبين من الكلام المذكور آنفاً بخصوص تعريف التعسف بهذا الشكل إنه يؤدي الى الدمج بين فكرة الخطأ وفكرة التعسف، وكأن التعريف المتقدم هو لفكرة الخطأ وليس لفكرة التعسف.

وكذلك من الفقه الفرنسي من عرف التعسف تعريفاً يتعلق بالغاية من استعمال الحق أي هو انحراف في غاية الحق وتبعاً لذلك تم تعريفه بأنه ((هو عبارة عن انحراف عن الغاية الاجتماعية والاقتصادية للحق))[٩].

ومن خلال دراسة وملاحظة هذا التعريف المتقدم على اساس إنه يفضل على ما قدمه الفقهاء الآخرين إذ إنه من حيث الظاهر لا يخلط بين فكرة الخطأ وفكرة التعسف، الا انه مما يؤخذ عليه هو جعل التعسف صورة خاصة للخطأ، وكذلك عدم التحديد الدقيق لمفهوم التعسف، لأن فكرة الغرض الاجتماعي والاقتصادي قد انتقدها الفقه خاصة بعد ظهور الانتقادات للفكر الاشتراكي، وبالتأكيد من شأن ذلك سوف يؤدي الى إتاحة الفرصة لتحكم القضاة في اعتبار مسألة معينة تعد تعسفاً في استعمال الحق ام لا تعتبر كذلك، وهذه الانتقادات دفعت بعض الفقهاء الى تعريف التعسف من خلال النظر الى

---

٥ – د: احمد ابراهيم عبد التواب، النظرية العامة للتعسف في استعمال الحق الاجرائي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦، ص٣٨٧.

٦ – من الفقهاء المحدثين، الشيخ علي الخفيف، ذكره د: احمد ابراهيم، المصدر نفسه، ص٣٨٨.

٧ – عبد المنعم موسى ابراهيم، حسن النية في العقود، دراسة مقارنة، منشورات زين الحقوقية، بيروت ، بلا سنة طبع ، ص٩٥.

٨ – د: احمد ابراهيم عبد التواب محمد،، مصدر سابق، ص٣٩١.

٩ – JOSSERAND ((del abus de droits ،1905 ،p.44

غاية الحق نفسه،حيث عرفوه تبعاً لذلك بأنه ((عمل لا يكون الا بقصد الاضرار بالغير، ولم يكن لصاحب الحق مصلحة مقدرة او ذات قيمة مشروعه))[١٠].

ومن خلال الاطلاع على النصوص التي عالجت نظرية التعسف في استعمال حق التقاضي التي اشارت اليها القوانين المدنية وخاصة المادة السابعة من القانون المدني العراقي رقم 40 لسنة 1951 المعدل[١١].

وكذلك الاطلاع على الاحكام القضائية بهذا الخصوص يتبين ان التعسف يحصل في كل حالة يتوفر فيها معيار من المعايير التي نصت عليها القوانين المدنية،مما يؤيد ذلك ان العديد من الاجتهادات الفقهية قد اشترطت لتحقق التعسف حصول حالة من الحالات او المعايير التي يعد بموجبها الشخص متعسفاً في استعمال حقه. وبهذا الخصوص فقد قضت محكمة النقض المصرية في احد احكامها ((بأن التعسف هو عبارة عن انحراف في سلوك الشخص العادي، بحيث يجب ان يتخذ احد الصور المنصوص عليها في المادة الخامسة.....))[١٢]. وبذلك درجت المحاكم الى الاشارة الى النص القانوني الذي يتضمن معايير التعسف لتحديد فيما اذا كان الشخص متعسفاً في إستعمال حقه ام لا.

ولو أمعنا النظر جيداً بشأن التعريفات التي ذكرت للتعسف من الناحية القانونية، فنلاحظ وبحذر شديد تعريف بعض المصطلحات بشكل عام والتعسف بشكل خاص هو ليس من مهمة التشريعات والقضاء كأصل عام، وانما من مهمة الفقه، فمن خلال ما تم ذكره من آراء الفقهاء بشان تعريف التعسف بأمكاننا ان نصوغ تعريفاً بسيطاً له يتلاءم مع اهمية هذا الموضوع لما يحدثه من ضررٍ للغير حيث يكون التعريف على الشكل التالي ((التعسف هو إستعمال الشخص لحقه في غير الهدف الذي انشأ من اجله مما يسبب ضرراً للغير)).

المطلب الثاني: صور التعسف في استعمال حق التقاضي

التعسف في استعمال حق التقاضي يتميز بطابع خاص حيث ينقسم على صورتين الصورة الاولى وهو التعسف الايجابي والصورة الثانية هو التعسف السلبي،فالقسم الاول هو التعسف الايجابي،إذ يعتبر هو الغالب الأعم من صور التعسف في استعمال حق التقاضي، فيتمثل في إتيان صاحب الحق الاجرائي سلوكاً مادياً ،كما لو رفع شخص على شخص آخر دعوى كيدية لا صحة لها في الواقع العملي، وذلك للحد او للحيلولة من انتفاع خصمه من القرار الذي يصدره قاضي الموضوع، وبالتالي يكون قد تسبب في

١٠ – لقد ذكر هذا التعريف من الفقه الفرنسي هو الفقيه ((salelles)) اشار اليه، د احمد ابراهيم عبد التواب، مصدر سابق، ص٣٩٢.

١١ – نصت المادة (٧) من القانون المدني العراقي على (١– من استعمل حقه استعمالاً غير جائز وجب عليه الضمان)، اما الفقرة الثانية من هذه المادة فقد اشارت الى معايير التعسف في استعمال الحق وهي: ١– اذا لم يقصد من الاستعمال سوى الاضرار بالغير وعدم التوازن بين المصالح والاضرار التي تصيب الغير – وكذلك اذا كانت المصالح غير مشروعة.

١٢ – إنظر مجلة إدارة وقضايا الحكومة (بدون رقم وتاريخ) السنة العاشرة، العدد الاول، ١٩٦٦، أشار اليها د: احمد ابراهيم عبد التواب، مصدر سابق، ص٣٩٥.

تأخير حسم الدعوى مما يسبب بالتأكيد ضرراً على الطرف الآخر في كسب القضية المعروضة امام القاضي.

وصورة اخرى من صور التعسف الايجابي هو تقدم الشخص بطلب او بطعن ولم يكن لديه مصلحة في تقديمه لهذا الطلب او الطعن في الحكم، ومن دون وجود مصلحة مشروعة في استعمال حقه، علماً ان هذا التعسف الايجابي من الممكن ان يقع من غير الخصوم كالقضاة والمحامين والخبراء وفي صورة قيام صاحب الحق او السلطة بتصرف ايجابي للاضرار بالخصم الآخر، كما في منازعته في التنفيذ مع عدم توافر المصلحة. ففي كل هذه الصور يتمثل التعسف في استعمال حق التقاضي في قيام صاحب الحق بسلوك مادي في تعسفه في استعمال حقه[١٣].

فضلاً عن ذلك فالتعسف قد يكون سلبياً معنى ذلك هو عن طريق الامتناع عن استعمال الحق، وعليه فالتعسف في استعمال الحقوق الموضوعية، لا يقتصر على القيام بسلوك مادي او الاتيان بعمل مادي من صاحب الحق بل إنه متصور ايضاً عن طريق امتناع صاحب الحق الإجرائي عن استعمال حقه، كما هو الحال في امتناع شخص من القيام باجراء معين من اجراءات المرافعات بقصد الاضرار بالخصم.

وكذلك يعتبر من قبيل التعسف السلبي إمتناع القاضي عن الفصل في دعوى صالحة للحكم، او قيام الخبير عمداً بعدم تبليغ الخصوم للحضور وابداء ملاحظاتهم، وكذلك امتناع المحامي من الطعن بالحكم الصادر ضد موكله اضراراً به مما يؤدي الى سقوط حق الموكل في الطعن وذلك لان مدد الطعن هي مدد حتمية يترتب على عدم مراعاتها سقوط الحق في الطعن[١٤].

وهذا ما نصت عليه المادة (171) من قانون المرافعات المدنية رقم 83 لسنة 1969 المعدل بقولها ((المدد المعينة لمراجعة طرق الطعن في القرارات حتمية يترتب على عدم مراعاتها وتجاوزها سقوط الحق في الطعن...))[١٥]. فيلاحظ إذن ان الغرض الذي يسعى اليه الخصوم بالامتناع عن القيام بالاجراءات القضائية هو لغرض اطالة النزاع مما يسبب الضرر الى الخصم الآخر، كما هو في حالة امتناع الخصم عن التقدم بالدفع بالبطلان الذي يتعلق بالنظام العام او الدفع بعدم قبول الدعوى باعتباره من الدفوع التي اعطاها القانون للخصم، كما لو كانت الخصومة غير متوجهة او ان المدعي ليس لديه مصلحة في رفع الدعوى. وبذلك يتبين بان التعسف قد يكون ايجابي وقد يكون سلبي عن طريق الامتناع عن استعمال الحق الذي اعطاه القانون للشخص.

---

١٣ – د: ابراهيم امين النفياوي، التعسف في التقاضي، ط١، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع، ص١٧٥.

١٤ – د: احمد ابراهيم عبد التواب، مصدر سابق، س٧٤٤.

١٥ – وبالمعنى نفسه إنظر المادة (٢١٥) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨، وكذلك المادة (٦١٦) من قانون اصول المحاكمات المدنية اللبناني رقم ٩٠ لسنة ١٩٨٣.

المطلب الثالث: تأصيل التعسف في استعمال حق التقاضي

بعد ان تناولنا تطور هذه النظرية من الناحية التأريخية ولو بشكل مبسط واستعرضنا مجموعة من تعريفات الفقه بوصفهم لها بأنه انحراف في السلوك المألوف او تجاوز حدود الحق، او تحايل على مقصود المشرع وبعد ان ذكرنا صور هذه النظرية سواء من الناحية الايجابية او السلبية، إذن لا بد ان نبين التأصيل القانوني او الاسس التي نعتمد عليها في هذا التأصيل.

فبالتأكيد ان نظرية التعسف في استعمال حق التقاضي تستند على مجموعة من الاسس او الاصول والتي من خلالها تبرز معالم واهمية هذه النظرية في الحياة العملية لما لها من علاقة وثيقة سواء بالافراد او بحقوقهم، ولعل ابرز هذه الاصول هو مبدأ العدالة حيث يصلح لتأسيس هذه النظرية، فقد برر اغلب الفقهاء الكثير من حالات التعسف وفقاً لمبدأ العدالة والذي يقضي بعدم جواز استعمال الحقوق للاضرار بالغير او بحقوقهم او بتحقيق مصلحة شخصية لا تتناسب مع ما يصيب الغير من ضرر من جراء هذه المصلحة، او قيام الشخص بتجاوز حدود حقه من خلال استعماله لتحقيق مصلحة معينة وكانت هذه المصلحة غير مشروعة على سبيل المثال، او ان تتعارض مع ما تهدف اليه المصلحة العامة، وبالتالي يكون قد اضر بالطرف الآخر[١٦].

ومن الجدير بالذكر ان مبدأ العدالة يقضي بأن لا يكون استعمال الحق بشكل مطلق، اذ لا تكون هناك حقوق مطلقة للشخص، مما يستوجب ويحتم نسبية الحقوق التي تعطى للشخص، معنى ذلك ان القانون يمنح الافراد حقوقاً يتصرف بها ما يشاء مع تقييد هذا المنح او هذا الأعطاء للحقوق بأن يستعملها دون ان يتجاوز الحدود المرسومة له وفقاً لمقتضيات العدالة.

وبالاضافة الى مبدأ العدالة وما يؤدية من تأصيل نظرية التعسف، فأن هناك مبدأ آخر لا يقل أهمية عما تم ذكره وهو مبدأ حسن النية في التصرفات حيث يُعد هو الآخر الذي يعمل على ايجاد تأصيل لهذه النظرية، والذي من شأنه ان يقوم الشخص عند استعمال حقه وقيامه ببعض الاجراءات القضائية التي منحها اياه القانون، هو ان يقوم بها بمبدأ حسن النية وعدم الاضرار بالخصم الآخر والا اعتبر هذا الشخص متجاوزاً لحدود حقه وبالتالي سيرتب عليه القانون مسؤولية تعويض الطرف الأخر وهذه مسألة تقديرية يبت فيها قاضي الموضوع مستنداً في ذلك الى مجموعة من القواعد العامة التي تنظم العلاقة بين الاطراف المتخاصمة وعدم تجاوز أي طرف على الآخر بدون وجه حق[١٧].

إذن يتضح ان مبدأ حسن النية يساهم في تأصيل هذه النظرية وهو لا يقل اهمية عن مبدأ العدالة فكلاهما يفرضان على الشخص ان يستعمل حقه بدون تعسف او إضرار بالطرف الآخر.

---

١٦ – د: ابراهيم امين النفياوي، مصدر سابق، ص٥٧.

١٧ – المحامي: نزيه نعيم شلالا، دعاوي التعسف وأساءة استعمال الحق، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦، ص٣٣. وكذلك ينظر: عبد المنعم موسى ابراهيم، مصدر سابق، ص٦٩.

ولم يقتصر الأمر على هذا الحد ولكن هناك من الأسس المهمة والتي تساعد في تأصيل هذه النظرية، إذ ان تأصيل هذه النظرية يجد أساسه كذلك في ضرورة التوازن بين المنافع والتي يحصل عليها الشخص وبين الإضرار التي تصيب الغير، بحيث يجب ان لا تكون الاضرار التي تصيب الغير تفوق المصلحة التي يحصل عليها الشخص عند استعمال حقه، واذا ما زاد الضرر عن المصلحة هنا تنهض مسؤولية الشخص بوصفه متعسفاً بحقه تجاه الطرف الآخر والذي يكون خصماً له في الدعوى المرفوعة امام القاضي، عندها على القاضي ان يتدخل ليعيد التوازن بين المصالح وعكس ذلك سيعد القاضي منكراً للعدالة وهذا مما لا يتلاءم مع ما يحدده ويلزمه به القانون، كذلك مما تجدر الاشارة اليه الى ان تأصيل نظرية التعسف في إستعمال حق التقاضي من الممكن رده الى بعض المبادئ الاجرائية العامة في قانون المرافعات، كمبدأ المساواة بين الخصوم في ابداء الطلبات والدفوع والادلة الموجودة لديهم، وحياد القاضي والمواجهة بين الخصوم ومبدأ احترام الحق في الدفاع، وبمقتضى تعميم المبادئ القانونية الاجرائية يلتزم الخصوم بعدم التعسف والانحراف في استعمال تلك الضمانات التي كفلها القانون تحقيقاً للعدالة بين الخصوم، هذا ما يهدف اليه القانون في حمايته للمجتمع وخاصة الطرف الضعيف في العقد، وبالتالي ستتحقق الموازنة بين المصالح[١٨].

المبحث الثاني: مظاهر التعسف في استعمال حق التقاضي والآثار المترتبة عليها

في هذا الموضوع يجب دراسة مظاهر التعسف في المرحلة التي تبدأ بالمطالبة القضائية حتى صدور حكم نهائي في موضوعها وهو يمكن ان نطلق عليه بمظاهر التعسف في مرحلة الخصومة والطعن، ونقصد بالخصومة La instance هنا هو مجموعة الاجراءات القضائية المتتابعة والتي تبدأ بالمطالبة القضائية وتنتهي بالحكم في الموضوع[١٩]. وهناك بالتأكيد آثار تترتب على ممارسة هذه المظاهر من قبل أطراف الدعوى، ولغرض بيان مظاهر التعسف والآثار المترتبة عليها إرتأينا تقسيم هذا الموضوع على مطلبين، خصصنا المطلب الاول / لبيان مظاهر التعسف في استعمال حق التقاضي، ونتناول في المطلب الثاني / آثار المسؤولية الناشئة من التعسف في استعمال حق التقاضي، وعلى النحو الآتي....

المطلب الاول: مظاهر التعسف في استعمال حق التقاضي

بما ان الدعوى هي طلب شخص حقه من آخر امام القضاء فالاجراءات القضائية بالتأكيد قد تتخذ وتمارس من قبل اطراف في هذه الدعوى وهو بلا شك المدعي، والمدعى عليه او من قبل القاضي، وقد تمارس من آخرين كما في حالة الشهود والخبراء او أي متدخل في الدعوى سواء اكان تدخله انضمامياً او اختصامياً، فالمهم هنا ان التعسف في استعمال هذه الاجراءات قد يحصل من قبل أي شخص ممن ذكروا عند قيامه بأي اجراء قضائي معين.

---

١٨ – المحامي: نزيه نعيم شلالا، المصدر السابق، ص٣٤.

١٩ – د: فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني، دار النهضة العربية، ٢٠٠١، بند ٢٤، ص٥٠.

فنبدأ اولاً بالتعسف الذي يصدر من المدعي بوصفه من اطراف الدعوى الاساسية، والذي يتخذ عدة مظاهر من أبرزها تعسف المدعي في استعمال الحق في الادعاء على الرغم من ان حق اللجوء الى القضاء يعد من الحقوق التي كفلها الدستور للناس كافة [٢٠] فضلاً عن ذلك فالمدعي هو الشخص البادئ للخصومة القضائية وهو الذي يطرحها امام القضاء وهو اهم اطراف الخصومة، لأن به تبدأ الخصومة وتعتبر مرفوعة امام القضاء، وقد وصفه المشرع الفرنسي بصاحب الادعاء auteur dune pretention[٢١].

فيجب إذن على المدعي عند استعمال هذا الحق والقيام بأي من الاجراءات القضائية ان لا يكون متعسفاً في استعماله أي لو استعمله في غير الهدف الذي انشأ من اجله بحيث كان يقصد به اما تشويه سمعة خصمه والاضرار او التشهير به او مبالغته في الطلبات والاجراءات او اتخاذه الدعوى وسيلة للتهديد او جعل التقاضي اكثر كلفة على الخصوم او تعطيل حسم الدعوى فكل هذه مظاهر يقوم بها المدعي متعسفاً في حقه اتجاه الخصم[٢٢]، وكذلك قيام المدعي بالتقدم بالاجراءات القضائية وكان فيها ارهاق ومشقة لخصمه، او رفع دعوى بحق يعلم المدين بانقضائه او لم تكن لديه مصلحة في رفع هذه الدعوى، إذ ان من المعلوم بأن الدعوى لا تقبلها المحكمة الا اذا توافرت شروطها من الأهلية والصفة او الخصومة والمصلحة[٢٣] ويلاحظ بأن الاجتهادات القضائية قد اكدت ما ذكرناه سابقاً من احكام واشترطت لاستعمال الخصم حقه في اللجوء الى القضاء بضرورة وجود المصلحة المشروعة من المدعي او المدعى عليه.

وبهذا الخصوص قضت محكمة النقض المصرية ((حق الالتجاء للقضاء مقيد بوجود مصلحة جدية ومشروعة، فاذا ما تبين ان المدعي كان مبطلاً في دعواه ولم يقصد بها الا الاضرار بخصمه والنكاية به فأنه لا يكون قد باشر حقاً مقرراً في القانون بل يكون عمله خطأ يجيز الحكم عليه بالتعويض)) [٢٤] كما ان من الحالات التي يكون فيها الخصم متعسفاً في استعمال حقه، هو توجيه احد الخصمين للآخر اليمين

---

٢٠ – إنظر بهذا الخصوص نص المادة (١٩) الفقرة ثالثاً من دستور العراق لعام ٢٠٠٥، التي نصت على أن ((التقاضي حق مصون ومكفول للجميع)).

٢١ – pirrre Julien et Natalie Fricero ((droit iudicaire prive)) op.cit ،Regard art 30 de NCPCF n23.p.15 اشار اليه د: احمد ابراهيم عبد التواب، مصدر سابق، ص ٦٤٥.

٢٢ – د: ابراهيم امين النفياوي، مصدر سابق، ص١٧٤.

٢٣ – ينظر بهذا الخصوص ما نصت عليه المادة (٣) من قانون المرافعات العراقي بقولها ((يشترط ان يكون كل من طرفي الدعوى متمتعاً بالاهلية اللازمة لاستعمال الحقوق التي تتعلق بها الدعوى، والا وجب ان ينوب عنه من يقوم مقامه قانوناً في استعمال هذه الحقوق))، وكذلك ينظر نص المادة (٤) مرافعات عراقي والتي اشترطت ان تقام الدعوى على خصم قانوني، والمادة (٧) من القانون نفسه، والتي اشترطت في المصلحة ان تكون حالة ومعلومة وممكنة ومحققة ولكنها اجازت استثناء رفع الدعوى استناداً الى المصلحة المحتملة في حالات محددة منها، دعوى تثبيت الحق ودعوى تثبيت الحالة، ودعوى قطع النزاع.

٢٤ – انظر بهذا الخصوص حكم محكمة النقض المصرية، في الدعوى المرقمة ٨٢٥ لسنة ٢٠٠٣ والذي جاء تطبيقاً لنص المادة (٥٣٠) من القانون المدني المصري. اشار اليه د: احمد ابراهيم عبد التواب، مصدر سابق، ص٦٤٦.

الحاسمة وكان متعسفاً في توجيهها على الرغم من ان توجيه اليمين الحاسمة هو حق مقرر للخصم بموجب قانون الاثبات[٢٥].

فضلاً عن ذلك من الحالات التي يكون فيها المدعي متعسفاً في استعمال حق التقاضي، هو تعسفه في التحكم بسير الاجراءات القضائية او الخصومة، ومن ابرز مظاهرها هو تعسف المدعي في توجيه طلب برد القاضي لغرض إطالة النزاع على الرغم من ان رد القاضي يعد من ضمانات صحة التقاضي التي اعطت بموجبها قانون المرافعات العراقي الحق لأطراف الدعوى تقديم طلب برد القاضي اذا كان هناك حالة من حالات الرد التي نصت عليها المادة (93) [٢٦]من قانون المرافعات العراقي رقم 83 لسنة 1969، ففي هذه الحالة وان كان لأي من الخصوم الحق بتقديم طلب برد القاضي فيجب عليه الا يكون متعسفاً في استعمال هذا الحق، بأن كان الغرض الاساسي الذي يهدف اليه هو إطالة النزاع، كما ان من مظاهر تعسف المدعي الآخرى في الاجراءات القضائية هو ابداء الدفوع والطلبات الكيدية او التعسفية في الخصومة، كما لو طلب تأجيل الدعوى لعدة مرات دون مبرر او الادعاء بالتزوير لغرض اطالة مدة حسم الدعوى للاضرار بالخصم الاخر.

ومن الجدير بالذكر ان التعسف لا يصدر من المدعي فقط لان مباشرة الاجراءات القضائية لا يقتصر عليه اذ يكون للمدعى عليه مباشرة هذه الاجراءات القضائية دون تعسف واضرار بالخصم الاخر، والمدعى عليه هو من يقدم في مواجهته طلباً للقضاء للحصول على الحماية القضائية [٢٧] ومن الحالات التي يكون فيها المدعى عليه متعسفاً في استعمال حقه هو التمادي في الانكار للاضرار بالخصم الاخر، على الرغم من ان انكار المدعى عليه ما يدعي به المدعي في موضوع الدعوى يعد من الحقوق التي كفلها القانون لكل شخص لغرض رد ادعاء الخصم الاخر واجباره على اثبات ادعائه [٢٨] ولكن استعمال الشخص لهذا الحق يجب ان لا يكون متعسفاً في استعماله، كما لو انكر الوارث صحة الوصية على الرغم بعدم وجود أي شك حول صحتها، كما يجب على المدعى عليه الا يكون متعسفاً في توجيه الطلبات الفرعية لغرض تأجيل الدعوى وتأجيل حسمها وبهذا الخصوص اعتبرت محكمة النقض الفرنسية ان طلب احالة القضية الى الخبراء للمرة الثالثة دون ذكر اسباب جدية يشكل تعسفاً[٢٩].

---

٢٥ – انظر نص المادة (١١٤) من قانون الاثبات رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩ والتي اعطت لكل الخصمين الحق في توجيه اليمين بقولها ((لكل من الخصمين بأذن من المحكمة ان يوجه اليمين الحاسمة الى الخصم الآخر)). كما نصت الفقرة ثانياً من المادة اعلاه على ان ((للمحكمة ان ترفض توجيه اليمين الحاسمة اذا كان الخصم متعسفاً في توجيهها)).

٢٦ – نصت المادة (٩٣) ، من قانون المرافعات العراقي على حالات رد القاضي وهي اذا كان احد الطرفين مستخدماً عنده او كان قد اعتاد مؤاكلة احد الطرفين او مساكنته او كان قد تلقى منه هدية قبل اقامة الدعوى او بعدها.

٢٧ – د: احمد هندي، قانون المرافعات المدنية والتجارية، ج١، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٥ ، ص٤٤٦.

٢٨ – د: عبد الباسط جميعي، الاساءة في المجال الاجرائي، اساءة استعمال الحق في التقاضي والتنفيذ، مجلة القانون والاقتصاد ، ١٩٨٣، ص٢١٦.

٢٩ – انظر Cass.soc.22.p.436،1953،Tuin،Bull. Civ أشار اليه،ا د: احمد ابراهيم عبد التواب، مصدر سابق، ص٧٣٠.

بالاضافة الى مظاهر التعسف الصادرة من المدعي والمدعى عليه فقد يحصل التعسف من قبل القاضي، فالقاضي هو من يتولى ادارة الجلسة والسير في اجراءات الدعوى ومن ثم اصدار الحكم المناسب فيها، والا يعتبر القاضي ممتنعاً عن احقاق الحق ومنكراً للعدالة، مما يعطي الحق للخصوم بتقديم شكوى عليه [٣٠] ومن صور التعسف في استعمال الحق من قبل القاضي قبول القاضي لاي طلب او دفع مقدم من قبل الخصوم دون ان يتأكد من جدية الدفع او طلب ووجود مصلحة للشخص الذي قدمه، مما يؤدي الى احالة الدعوى للتحقيق مما يسبب اطالة مدة النزاع والاضرار بالخصوم.

المطلب الثاني: آثار التعسف في استعمال حق التقاضي

يعتمد نفاذ وتطبيق قواعد القانون على خضوع الافراد الاختياري لأحكامه، لكن هذا التطبيق التلقائي قد يواجه بعض العقبات والعراقيل التي تحول دون نفاذه،وذلك في صورة مخالفة لهذه القواعد بالخروج عليها، ويمثل هذا السلوك عائقاً يحول دون نفاذ قواعد القانون على نحو يتعين مواجهته، وتشكل هذه الظاهرة إستثناء في حياة القانون يلزم قهرها والتغلب عليها، بتحريك وسائل القانون المختلفة التي تيسر فرض إرادة القانون وإعلاء كلمته على المخالفين وبالوسائل الجبرية عند اللزوم، فاذا ما حصل حالة من الحالات التي ذكرناها آنفاً والتي يحصل فيها تعسف في استعمال حق التقاضي، فان ذلك يترتب عليه عدد من الآثار وأول هذه الآثار هو ضرورة القيام بالتدابير الوقائية قبل قيام هذه الحالات، والتي من ابرزها عدم قبول المحكمة لأي إجراء من الاجراءات القضائية اذا كان فيها تعسفاً من قبل الشخص الذي تقدم بها مما يؤدي الى الاضرار بالخصم الآخر، إذ يعد ذلك مانعاً من التعسف ومن الجدير بالذكر الى ان عدم القبول وان كان من التدابير الوقائية لمنع حصول التعسف، فان ذلك يستلزم وجود مبررات لعدم القبول، ومثال ذلك ان قيام الشخص باجراء قضائي كما لو رفع الدعوى امام المحكمة فان ذلك يكون مرتبطاً بحصول الاعتداء على حقه، اما اذا لم يحصل الاعتداء فيعد الشخص متعسفاً في إتخاذه لهذا الاجراء، ومن ثم لا يقبل منه هذا الاجراء، وبالتأكيد ان من الاسباب التي تؤدي الى عدم قبول الاجراء القضائي هو تخلف شرط من شروط قبول الدعوى كالاهلية والخصومة والمصلحة[٣١].

إذ ان الشخص اذا لم يكن لديه مصلحة مع توافر شروط الدعوى الاخرى لا يحق له رفع الدعوى بوصفها اجراء قضائي، وهو ما نصت عليه المادة (6) من قانون المرافعات العراقي والتي اشترطت في المصلحة ان تكون معلومة وحالة وممكنة ومحققه، وان كان يجوز إستثناء رفع الدعوى استناداً الى المصلحة المحتملة [٣٢] وفضلاً عن التدابير الوقائية، فان هناك عدداً من القيود على الخصوم والغرض منها هو الحد

---

٣٠ – أشارت المادة (٢٨٦) الى الحالات التي يجوز فيها الشكوى على القاضي وهي اذا وقع منه غش او تدليس او خطأ مهني جسيم اوقبل منفعة من احد الخصوم وامتنع القاضي عن احقاق الحق.

٣١ – د. ابراهيم امين النفياوي ، مصدر سابق ، ص٣٥٣.

٣٢ – انظر ما نصت عليه المادة (٦) مرافعات عراقي على ان ((يشترط في الدعوى ان يكون المدعي به مصلحة معلومة وحالة وممكنة ومحققة ومع ذلك فالمصلحة المحتملة تكفي ان كان هناك ما يدعو الى التخوف من الحاق الضرر بذوي الشأن.....)).

من تعسفهم في استعمال حقهم كمنع الخصم من توجيه اليمين اذا تبين للقاضي من ظروف الدعوى وملابساتها ان قيام الخصم بتوجيه اليمين يؤدي الى الاضرار بالخصم الآخر على الرغم من ان توجيه اليمين هو حق كفله القانون للخصوم، وكذلك من القيود هو منع الخصوم من الاسترسال في المرافعة والخروج عن موضوع الدعوى، وهو ما نصت عليه المادة (102) من قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم 13 لسنة 1968 المعدل بقولها ((يجب الاستماع الى اقوال الخصم حال المرافعة، ولا يجوز مقاطعتهم الا اذا خرجوا عن موضوع او مقتضيات الدفاع فيها.....)).

فضلاً عن ذلك، فأن القانون وفي سبيل عدم قيام احد الخصوم بالتعسف في استعمال حقه ، فأنه رتب جزاءً يتمثل بسقوط الحق في الدفع الشكلي اذا لم يتقدم به قبل الدخول في موضوع الدعوى، وهو ما نصت عليه المادة (73) من قانون المرافعات العراقي والتي نصت على إن ((الدفع ببطلان تبليغ عريضة الدعوى والاوراق الاخرى يجب ابداؤه قبل أي طلب او دفع آخر والا سقط الحق فيه.....)).

وكذلك ما نصت عليه المادة (74) مرافعات عراقي بقولها ((الدفع بعدم الاختصاص المكاني يجب ابداؤه قبل التعرض لموضوع الدعوى والا سقط الحق فيه)). واذا كانت التدابير الوقائية تهدف الى منع وقوع التعسف، فانه يترتب على قيام أي من الخصوم بالتعسف في استعمال حقه تحقق مسؤوليته عن ذلك، وهذه المسؤولية تتحقق في حالة قيام خصم بالانحراف عن الغاية المشروعة لحقه باستعمال الاجراءات القضائية، كما لو كانت المصلحة غير موجودة للخصم وقت قيامه بالاجراء، وفضلاً عن الانحراف عن الغاية المشروعة للحق يشترط ان يكون استعمال الخصم لحقه يؤدي الى الاضرار بالخصم الاخر بصورة تتجاوز المصالح التي يقررها القانون لصاحب الحق، وان تكون هناك علاقة سببية بين الانحراف الذي يقوم به الخصم والضرر الذي يصيب الخصم الآخر، اما اذا لم يكن هناك علاقة سببية فلا تتحقق مسؤولية الخصم عن الاضرار، وان تسبب بحصول الضرر للغير طالما كان استعمال الحق مشروعاً [٣٣].

الخاتمة:

بعد ان تناولنا موضوع التعسف في استعمال حق التقاضي وبينا تعريفه وصوره وتأصيله ومظاهره واهم الاثار المترتبة عليه، توصلنا من خلال هذا البحث الموجز الى عددٍ من النتائج والمقترحات وهي على النحو الآتي.

اولاً : النتائج

١. تبين إنه لا بد من وقوع ضرر حقيقي ملموس لكي يعد الشخص متعسفاً اتجاه غيره وبالتالي يلزم بالتعويض.

٣٣ – د. أحمد ابراهيم عبد التواب ، مصدر سابق ، ص٨٢٩.

٢. تبين إن التعسف اما ان يكون ايجابياً أي قيام الشخص بعمل ايجابي يهدف من ورائه الاضرار بالخصم الآخر، واما ان يكون سلبياً أي حالة الامتناع عن القيام بأي من الاجراءات القضائية، كأمتناع القاضي عن الاسراع في حسم الدعوى دون سبب مشروع.
٣. تبين ان القانون يعاقب الشخص بمجرد تجاوز الحدود المرسومة له حتى وان اعطاه القانون هذا الحق.
٤. ان عدم الرد من القاضي على الدفوع والطلبات الكيدية في الخصومة، لا يعتبر اخلالاً بحق الطرف الآخر وانما استعمال القاضي لسلطته التقديرية لمنع وقوع التعسف.

ثانياً : المقترحات:

١. ضرورة تفعيل دورة القضاء الرقابي واعطاء الضمانات اللازمة للحفاظ على هيبة هذه المؤسسة المهمة لما لها من حفظ للحقوق ومنع الآخرين من التجاوز عليها.
٢. بما ان حق تأجيل الدعوى من اكثر الحقوق شيوعاً التي تحصل فيها ظاهرة التعسف، لذلك نقترح ان تعدل المدد المحددة لحسم كل دعوى وعدم التلاعب بالسقوف الزمنية لكي نحافظ على حقوق الآخرين من التجاوز.
٣. نقترح إضافة نص الى قانون المرافعات المدنية في الاحكام العامة لكي ينظم مسألة التعسف، بحيث يكون نصاً عاماً يسري على كافة الحقوق في قانون المرافعات والقوانين الاجرائية الآخرى لنضمن عدم قيام الخصم بالإجراء التعسفي خوفاً من سلطة القانون.
٤. واخيراً نقترح زيادة عدد القضاة لسرعة حسم الدعاوى لأن تأخيرها يؤثر سلباً على حقوق الخصم الآخر ولا شك إنه ترفع يومياً العشرات من الدعاوى على اختلاف انواعها.

المصادر

أولاً / الكتب القانونية:

١. د: ابراهيم امين النفياوي، التعسف في التقاضي، ط١، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع.
٢. د: احمد ابراهيم عبد التواب، النظرية العامة للتعسف في استعمال الحق الاجرائي، ط١، القاهرة، ٢٠٠٦.
٣. د: احمد هندي، قانون المرافعات المدنية والتجارية، ج١، دار الجامعة الجديدة للنشر، الاسكندرية، ١٩٩٥.
٤. د: فتحي الدريني، نظرية التعسف في استعمال الحق في الفقه الاسلامي، ط٢، بيروت، ١٩٩٨.
٥. د: فتحي والي، الوسيط في قانون القضاء المدني، دار النهضة العربية، ٢٠٠١.
٦. د: عبد الرزاق احمد السنهوري، الوسيط في شرح القانون المدني، مصادر الالتزام، منشاة المعارف، الاسكندرية، ٢٠٠٤.

٧. عبد المنعم موسى ابراهيم، حسن النية في العقود، دراسة مقارنة، منشورات زين الحقوقية، بلا مكان وسنة طبع.
٨. المحامي: نزيه نعيم شلالا، دعاوي التعسف واساءة استعمال الحق، ط١، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٦.

ثانياً / القوانين والدساتير

١. القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١ المعدل.
٢. قانون المرافعات المدنية العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩، المعدل.
٣. قانون الاثبات رقم ١٠٧ لسنة ١٩٧٩، المعدل.
٤. قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ المعدل.
٥. القانون المدني المصري رقم ١٣١ لسنة ١٩٤٨، المعدل.
٦. قانون اصول المحاكمات المدنية اللبناني رقم ٩٠ لسنة ١٩٨٣، المعدل.
دستور العراق لعام ٢٠٠٥.

الإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية

Referral of the same dispute in front of a foreign court

أ.م.د عبد الرسول عبر الرضا الأسدي [١]
م.م صالح مهدي كحيط [٢]

Assist.Prof. Abdul-Rasool A. Al-Asadi
Assist.lec. Saleh M. Igheit

المستخلص

يعد موضوع الإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة اجنبية من الموضوعات التي حظيت باهتمام العديد من الاتفاقيات الدولية والتشريعات المقارنة وفقه القانون الدولي الخاص فضلا عن أروقة المحاكم الأجنبية، لما له من منفعة عملية تختصر الإجراءات وتوفر الوقت والجهد وتتجنب الاحكام المتعارضة الصادرة من محكمة دولتين مختصتين أصلا بنظر النزاع، كذلك يؤدي الاخذ بالإحالة الى صدور احكام مضمونة التنفيذ على المستوى الدولي، أي ان الحكم الذي يصدر يكون متمتعا بقوة النفاذ ما دامت المحكمة التي أصدرته هي الاقدر على حسم النزاع. متمثل الإحالة قيدا إجرائيا موجها الى صحة إجراءات الدعوى الأصولية دون التعرض الى أساس الحق او الى شروط الدعوى، بخلاف بعض التشريعات –ومنها التشريع العراقي– التي لم يتسنَ لها تنظيم هذا الموضوع في نطاق العلاقات الدولية، واقتصاره على مستوى العلاقات الداخلية، إذ تحال احدى الدعويين المنتمية لذات الموضوع على المحكمة الأسبق في نظر الدعوى الأولى بناءً على طلب الخصم المستفيد من هذا الدفع، كما ان تنظيم الإحالة لقيام ذات النزاع على المستوى الإقليمي لا يفي بمتطلبات العلاقات القانونية الدولية ومقتضيات التجارة العالمية، ولعدم

١ – جامعة بابل / كلية القانون.
٢ – جامعة اهل البيت عليهم السلام / كلية القانون.

وجود دراسة عملية شاملة ومستفيضة لموقف الاتفاقيات الدولية والتشريعات التي اهتمت بأحكامه، دفعتنا الى وضع هذه الدراسة المتسمة باستعراض الحلول التفصيلية لأحكام موضوعية وإجرائية يستفيد منها الخصم في طلب إحالة الدعوى الى المحكمة المختصة المرفوع امامها النزاع أولا، متى توفرت شروط هذه الإحالة، من خلال التطرق الى الاطار القانوني لإشكالية البحث مع محاولة الخوض في التنظيم القانوني لموضوع الدراسة، من اجل خلق حالة التوازن القانوني في الاحكام الصادرة من المحاكم المختصة بنظر منازعات الافراد المشوبة بعنصر أجنبي.

Abstract

It is the subject of a referral to the establishment of a dispute before a foreign court of the topics that attracted the attention of many international conventions and comparative legislation and jurisprudence of private international law as well as the corridors of foreign courts, because of its practical benefit abbreviated procedures and save time and effort and avoid provisions conflicting issued by the two court of original jurisdiction conflict, as well as taking lead with reference to the provisions of the issuance of guaranteed execution at the international level, which means that the judgment be issued enjoying strong force as long as the trial court is the most capable to resolve the dispute. Referral constraint represented procedurally directed to the health of the lawsuit fundamentalism procedures Without exposure to the basis of the right or to the terms of the lawsuit, other than some of the legislation - including Iraqi legislation -alta not to be able to regulate this matter within the scope of international relations, and confined to the level of internal relations, it forwarded (a Da'oyen) belonging to the same subject on the former Court in the eyes of the first case at the request of the discount beneficiary of this payment, as the organization referral to do with the conflict at the regional level does not meet the requirements of international legal relations and the requirements of the WTO, and the lack of study of a comprehensive and thorough process for the position of international conventions and legislation that focused on its provisions, Prompted us to put these characterized the review of the detailed solutions substantive and procedural with the provisions of the benefit of the discount in the request to refer the case to the raised competent court hearing the first conflict, where there is the terms of this referral, through addressed to the legal framework for the problematic search with an attempt to delve into the legal regulation of the subject of study, study, in order to create balance in the case of legal

verdicts of the competent courts into disputes individuals vestiges foreign element.

المقدمة:

ان المعطيات التي يستند اليها قاضي الموضوع في حل اية منازع موضوعية او إجرائية تكون من خلق المشرع الوطني، اذ لا يمكن للقاضي ان يخرج عن توجيه المشرع والا تعرض حكمه للنقض وانتفى اثره العملي، فعلاقات الافراد المشوبة بعنصر اجنبي لا تثير تنازع القوانين فقط، وانما تثير التنازع في دائرة الاختصاص القضائي الدولي ومنها فكرة الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية أخرى، اذ يعد هذا الموضوع من الموضوعات التي حظيت باهتمام الاتفاقيات الدولية والتشريعات المقارنة لضمان تنفيذ الأحكام الصادرة في النزاع، والتي قد تكون متعارضة إن لم يتم الأخذ بالدفع بالإحالة، ولضمان عدم حدوث تنازع إجراءات محاكم الدول المتعاقدة الذي قد يحدث في حال رفض الأخذ بفكرة الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أخرى. إذ يعد الدفع بالإحالة من أهم الدفوع الإجرائية التي تثير الجدل في القانون الدولي الخاص، ولا يثير تحديد مركز الدفع بالإحالة في إطار القانون القضائي الدولي أية صعوبة، إذا كانت مثلا الدولة الاجنبية التي رفع النزاع أمام محاكمها أولا،والدولة الوطنية التي رفع النزاع أمام محاكمها أخيرا والتي يراد إبداء الدفع أمام محاكم كل منها مرتبط باتفاق دولي ثنائي أو جماعي ينظم تلك المسالة، فبالرجوع الى تلك النصوص الاتفاقية بشأن هذا الأمر سوف يزول كل لبس محتمل.كذلك لا تثور صعوبة تذكر اذا كان التشريع الوطني للدولة التي رفع النزاع أمام محاكمها أخيرا له موقف محدد وواضح من الدفع، كما إن موقف النظم القانونية والاتفاقية الدولية من الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع يختلف من دوله الى أخرى، فمنها من نص بشكل صريح على تنظيمها دوليا، وأخرى لم تنظمها، وإنما اكتفت بالتنظيم على مستوى التشريع الداخلي.

ان قيام ذات النزاع انما هو فكرة قانونية تستقي وجودها الاجرائي من اتحاد عنصرين الشخصي والموضوعي معا لنزاع تكررت المطالبة به قضائيا عن ذات الشيء محل الحق المطلوب حمايته، لتحدث بإثارة سبب هذه الفكرة اثارا معينة اهمها نقل الدعوة من محكمة الى اخرى،هذا النقل تحكمه شروط موضوعية،كما انه يثير بعض المسائل الاجرائية، والتي يمكن تعريفها بانها قيد يوجه الى صحة اجراءات الدعوى الاصولية دون ان يتعرض الى اساس الحق او الى شروط الدعوة،من هنا نجد ان الدفع الاجرائي يشكل وسيلة منازعة في مجرى المحاكمة ولا يطال اصل الحق المدعى به بل ينصب على الاجراء الذي بني عليه استحضار الدعوى بهدف ارجاء المناقشة في موضوع هذه الدعوى، اما لان المحاكمة غير قانونية او لوجود سبب يستوجب وقف سيرها.

ولندرة المحاولات الشاملة والمستفيضة للجوانب القانونية التي يحتويها هذا الموضوع في القانون الدولي الخاص، وما ينتجه من أثار في العلاقات القانونية الدولية الخاصة، ويحققه من توازن في الاحكام وتسهيل

تنفيذها ارتأينا التصدي لمعالجته وفق مبحثين نتناول في المبحث الاول الإطار القانوني لقيام ذات النزاع وسنخصص المبحث الثاني لدراسة التنظيم القانوني للموضوع محل البحث.

المبحث الأول: الإطار القانوني لقيام ذات النزاع

لقد تبنت الكثير من الاتفاقيات الدولية فكرة الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أخرى، وذلك لكي تضمن تنفيذ الأحكام الصادرة في النزاع والتي قد تكون متعارضة إذا لم يتم الأخذ بالدفع بالإحالة. وكذلك لضمان عدم حدوث تنازع إجراءات محاكم الدول المتعاقدة. والذي قد يحدث في حال رفض الأخذ بفكرة الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أخرى [٣]. لما كان هذا المبحث متعرضاً للإطار القانوني لذات النزاع فسوف نقوم بتقسيمه إلى مطلبين نتناول في المطلب الأول التعريف بالإحالة لقيام ذات النزاع، وفي المطلب الثاني الطبيعة القانونية للإحالة.

المطلب الأول: التعريف بالإحالة لقيام ذات النزاع

قد تختص أكثر من محكمة بدعوى واحدة، كما إذا تعدد المدعي عليهم وكانت مواطنهم متعددة، أو إذا اتفق على موطن مختار لتنفيذ عقد فيرفع المدعي دعوى أمام محكمة مختصة ثم يرفعها أمام محكمة أخرى مختصة قبل الفصل في الدعوى الأولى لعدم رضائه عن اتجاه المحكمة في تحقيق القضية المرفوعة أمامها، أو يتوفى المدعي أثناء سيرها فيرفعها ورثته أمام محكمة أخرى لجهلهم بقيام النزاع أمام المحكمة الأولى. كما قد يقيم شخص دعوى أمام محكمة غير مختصة ثم يثبت لها اختصاصها بعد الاعتراض عليها في الوقت المناسب، فترفع الدعوى مرة أخرى لسبب من الأسباب المتقدمة او لغيره أمام محكمة أخرى مختصة وقد تكون أجنبية [٤] وهذا هو موضوع بحثنا وسوف نتناول التعريف بالإحالة من خلال ثلاثة فروع.

الفرع الأول: معنى الإحالة

الإحالة هي دفع من الدفوع الإجرائية المتعلقة بالاختصاص القضائي الدولي، تظهر حينما ترفع الدعوى أولاً أمام محكمة مختصة ثم ترفع كذلك أمام محكمة أخرى أيضاً مختصة بالنزاع و لكن إحدى هاتين المحكمتين تكون أكثر عدالة و ملائمة للأطراف من المحكمة الأخرى فيتم الدفع بالإحالة إلى المحكمة الأفضل في النزاع و التي تحقق العدالة، و على المحكمة المثار أمامها الدفع بالإحالة أن تتوقف عن النظر في الدعوى و الفصل فيها، و تقوم بإحالتها إلى المحكمة الأخرى التي رفع إليها ذات النزاع دون التعرض لأصل الحق المدعى به و لذلك يعد هذا الدفع كما قلنا من الدفوع الإجرائية [٥].إن الأخذ بالإحالة يؤدي إلى توفير الوقت و النفقات بالنسبة للمتقاضين و القائمين على أداء مرفق العدالة. كذلك

---

٣ – د. ناصر عثمان ناصر، نحو توحيد قواعد الإجراءات المدنية الدولية في مجال علاقات الأسرة، دار النهضة العربية – القاهرة، ط١، ٢٠١٢، ص ١٠٨.

٤ – د. احمد ابو الوفا، نظرية الدفوع في قانون المرافعات، بدون مكان طبع و نشر، ط ٦، ١٩٨٠، ص٢٢١.

٥ – د. احمد محمد مليجي، الاختصاص الفني والنوعي والمحلي للمحاكم والاحالة الى المحاكم المختصة، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٩٢، ص٢٦٤.

أن الأخذ بالإحالة يؤدي إلى صدور أحكام مضمونة التنفيذ على المستوى الدولي أي الحكم الذي يصدر يكون متمتعاً بقوة النفاذ ما دام أن المحكمة التي أصدرته هي الأقدر على حسم النزاع [٦]. فعلى سبيل المثال ان سائحاً بلجيكياً جاء إلى شمال العراق لغرض السياحة و النزهة و أثناء رجوعه إلى الفندق الذي يسكن فيه في أربيل تعرض لحادث دعس، ففي هذه الحالة أي المحكمة التي أقدر على حسم النزاع المحكمة العراقية أم المحاكم البلجيكية أي محكمة المدعي. في الحقيقة ان المحكمة العراقية هي المحكمة الأفضل لأنها الأقرب إلى محل الحادث وتستطيع أن تكشف عليه بسهولة وتحصل على أدلة الحادث.

ومن الجدير بالذكر انه لا توجد صعوبة في تحديد مركز الدفع بالإحالة في إطار القانون القضائي الخاص إذا كانت الدولة الأجنبية التي أثير أمام محاكمها النزاع أولاً والدولة التي رفع النزاع أمام محاكمها أخيراً والتي يريد إبداء الرفع أمام محاكمها كل منهما مرتبط باتفاق دولي ثنائي أو جماعي ينظم تلك المسألة، كذلك لا تثور صعوبة إذا كان التشريع الوطني للدولة التي رفع النزاع أمامها اخيراً لها موقف محدد وواضح من الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة دولة أجنبية أخرى. مثال ذلك ما قرره القانون الايطالي الذي سيرد ذكره لاحقاً. ولكن الصعوبة الحقيقة تبدو في الأنظمة القانونية التي لم تضع تنظيماً قانونياً للمشكلة كالقانون الفرنسي والمصري حيث لم يتخذ موقف واضح ومحدد من حيث رفض او قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية أخرى [٧].

وبمناسبة الحديث عن الإحالة لقيام ذات النزاع إمام محكمة أخرى يجب أن نميز بين الإحالة لقيام ذات النزاع وبين الإحالة للارتباط بين الدعوتين [٨]. فعلى سبيل المثال لو ان أحد طرفي العقد رفع دعوى على الأخر يطلب تنفيذه ورفع الأخر دعوى على خصمه يطلب بطلانه فلا يجوز في هذه الحالة الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام المحكمة الأولى، وإنما يجوز الدفع بالإحالة للارتباط. وكذلك الحال إذا رفعت دعوى يطلب فيها تعويض الضرر الذي لحق المدعي عليه في حالات معينة، وأقام الأخر دعوى مطالباً بالتعويض لخطأ الأول في ذات الحادثة. فلا يجوز في الدعوى الأخيرة التمسك بالإحالة لقيام ذات النزاع. وإنما يجوز التمسك بالإحالة للارتباط.

الفرع الثاني: شروط الدفع بالإحالة

يعد الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية من أهم الدفوع الإجرائية التي تثير الجدل في القانون الدولي الخاص، ولا يثير تحديد مركز الدفع بالإحالة في إطار القانون القضائي الدولي أية صعوبة، أذا كانت مثلا الدولة الاجنبية التي رفع النزاع أمام محاكمها أولا، والدولة الوطنية التي رفع النزاع أمام محاكمها أخيرا والتي يراد أبداء الدفع أمام محاكم كل منها مرتبطاً باتفاق دولي ثنائي أو جماعي ينظم تلك

٦ - د. أشرف عبد العليم الرفاعي، الاختصاص القضائي الدولي، بدون رقم طبعة، دار الكتب القانونية، مصر، المجلة الكبرى، ٢٠٠٦، ص ٣٩٩ – ٤٠٠.

٧ - د. أشرف عبد العليم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٣٧٨.

٨ - د. أشرف عبد العليم الرفاعي، المصدر السابق، ص ٣٧٣.

المسالة، فبالرجوع الى تلك النصوص الاتفاقية بشأن هذا الأمر سوف يزول كل لبس محتمل. كذلك لا تثور صعوبة تذكر أذا كان التشريع الوطني للدولة التي رفع ألنزاع أمام محاكمها أخيرا له موقف محدد وواضح من الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية [٩].

أنما تبدو الصعوبة الحقيقية في الأنظمة القانونية الوضعية التي لم تضع تنظيماً قانونياً للمشكلة. ومن أمثلة تلك الأنظمة النظام ألقانوني المصري والنظام القانوني الفرنسي. ومن خلال ما تقدم يشترط لقبول الدفع بالإحالة توافر عدة شروط هي: -

الشرط الأول: ان تكون هناك دعوتان مرفوعتان بالتعاقب أمام محكمتين لدوليتين مختلفتين:

ان هذا الشرط يمثل أصل المشكلة ولا تتوافر بدونه المصلحة في الدفع، ويعني انه يشترط لقبول الدفع بالإحالة لقيام ذات ألنزاع أمام محكمة أجنبية أن تكون هناك دعوى قد رفعت أمام محكمة دولة قبل رفعها أمام محاكم دولة اخرى.

بمعنى أنه لا يمكن أبداء الدفع بالإحالة أذا كانت الدعوى وقت نظرها امام المحاكم الوطنية مثلا لم تكن قد رفعت بعد امام المحاكم الاجنبية، او إذا كانت الدعوى عند بدء تحريكها امام المحاكم الوطنية، كانت قد انقضت الوطنية، كانت قد انقضت امام القضاء الاجنبي لاحد الاسباب الاتية:

اولا: انقضاء الدعوى بصدور حكم نهائي في الموضوع.

يعني انه إذا صدر حكم نهائي في الدعوى المرفوعة امام المحكمة الاجنبية فانه يجب عدم قبول الدفع بالإحالة، وذلك لان صدور حكم نهائي في الدعوى المقامة في الخارج ينفي شرط قيام ذات النزاع امام المحكمتين، اذ يكون القضاء الاجنبي في هذه الحالة قد انقطعت صلته بالدعوى واستنفذ ولايته بصددها، وبالتالي فانه لا يتصور الاحالة اليه.

ثانيا: انقضاء الدعوى قبل الفصل في الموضوع

يعني انه قد تنتهي الخصومة دون إدراك الغاية منها بصدور حكم في الدعوى وذلك لأسباب عديدة، كحالة انقضاء الخصومة بمضي المدة، او تركها، او سقوطها، ففي هذه الحالات تزول الخصومة دون الوصول الى هدفها بصدور حكم في الموضوع.

الشرط الثاني: وحدة الأطراف والمحل والسبب في الدعويين:

يقصد بهذا الشرط هو ان تكون المنازعة او القضية المرفوعة امام احدى المحكمتين هي ذاتها القائمة امام المحكمة الاخرى، فلا بد ان تكون القضيتان لهما ذات الموضوع والسبب وقائمتين بين الاطراف أنفسهم، وذلك على التفصيل التالي:-

اولا: وحدة الموضوع، يقصد بموضوع الدعوى ما هو مطلوب فيها بواسطة الاطراف سواء كان من قبل المدعي او من قبل المدعى عليه ردا على ادعاءات خصمه، ويتحدد هذا الموضوع بما هو وارد في

٩ – د. حفيظة الحداد، الاختصاص القضائي الدولي الكتاب الثاني، ط١، منشورات الحلبي،٢٠٠٤، ص١.

صحيفة الدعوى الاصلية، وما هو مطلوب في الدعوى الفرعية، ان وجدت، وكذلك بواسطة طلبات الخصوم واوجه الدفاع، فموضوع الدعوى هو الذي يرسم حدود النزاع.

ثانيا: وحدة السبب، ان سبب الدعوى هو الواقعة او الوقائع القانونية التي تلجئ الشخص الى رفع الامر الى القضاء طلبا لحمايته، فاذا كان موضوع الدعوى يحدد إطار النزاع من الناحية الموضوعية، فان سببها يحدد إطار النزاع من الناحية القانونية، يعني تحديد السند القانوني الذي يبرر المطالبة القضائية [١٠].

ثالثا: وحدة الاطراف، يقصد بالأطراف الخصوم الذين تنشأ بينهم الدعوى، أي من تكون لهم الدعوى ومن توجد الدعوى في مواجهتهم.

ونظرا لتخلف هذا الشرط رفضت محكمة السين الجزائية في حكمها الصادر في ٥مايو سنة ١٩٥٩م قبول الدفع بالإحالة، وتتلخص وقائع تلك القضية في دعوى المطالبة بالتعويض التي رفعها أحد الاجانب لتعويضه عن الضرر الذي لحقه نتيجة لعرض أحد الافلام، فدفعت احدى الشركات المدعى عليها والمنتجة للفلم بالإحالة لقيام نفس النزاع امام محكمة اجنبية، ولكن المحكمة الفرنسية رفضت هذا الدفع تأسيسا على انه لا يمكن قبوله طالما كان المدعي الاجنبي الذي قام برفع الدعوى امام القضاء الاجنبي قد رفعها على أطراف اخرين.

الشرط الثالث: توافر الاختصاص لكل من المحكمتين

يعني ان تكون كل من المحكمتين مختصتين بنظر الدعوى ويثار هنا سؤال، ما هو المرجع في تحديد ما أذا كانت المحكمة الاجنبية مختصة أم غير مختصة؟ هل يرجع في ذلك الى قواعد الاختصاص المعمول بها في الدولة الاجنبية ام يرجع في ذلك الى قواعد الاختصاص الدولي في دولة القاضي الذي أبدى الدفع أمامه، أن الفقه في هذا الشأن انقسم الى فريقين:

يرى الفريق الأول ضرورة الرجوع الى قواعد الاختصاص في قانون القاضي وحجته ان هذا الحل يضمن عدم الانتقاص من ولاية قضاء المحكمة التي يدفع امامها بالإحالة، لأنها ستتخلى عن نظر الدعوى لأن قواعد الاختصاص من النظام العام، كما توصف أنها من المسائل الإجرائية التي تخضع حتما لقانون القاضي اضافة الى أنها قواعد أمرة (قواعد بوليسية) وهي قواعد ذات تطبيق فوري ومباشر يستوي عندها أطراف الدعوى سواء كانوا وطنيين أو أجانب ام خليط من وطنيين وأجانب.

أما بالنسبة للفريق الثاني، فيرى ضرورة تطبيق قواعد الاختصاص التي تعمل في ظلها المحكمة الاجنبية التي رفعت اليها الدعوى اولا لتحديد ما إذا كانت مختصة ام غير مختصة، وهذا الحل يتفق مع نص الفقرة اولا من المادة ٢٩٨ من قانون المرافعات المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ والذي جاء فيها (... وان المحاكم الاجنبية التي اصدرته مختصة بالمنازعة طبقا لقواعد الاختصاص القضائي الدولي المقررة في قانونها). ونرجح الراي الاول للأسباب الاتية:

١٠ – د. محمد الروبي، الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية، ط ٢، دار النهضة العربية،٢٠١٣، ص٣٧٠.

اولا: للتأكد من ان الدعوى غير داخلة في اختصاص محاكمه الوطنية تطبيقا لقاعدة من قواعد الاختصاص المتعلقة بالنظام العام، كأن تكون الدعوى متعلقة بعقار واقع في مصر، او كما يرى جانب من الفقه الفرنسي يجب ان تكون الدعوى التي يدفع بالإحالة بشأنها تدخل في الاختصاص المشترك للمحاكم الوطنية وغير داخلة في نطاق الاختصاص المانع لها.

ثانيا: لكي يتأكد القاضي المثار امامه الدفع بالإحالة من ان الاختصاص المنعقدة للمحكمة التي رفعت اليها الدعوى اولا تسوغه رابطة جدية بين النزاع والمحكمة من شانها تفضي الى اصدار حكم يكون قابلا لان يعترف به او ينفذ في دولة القاضي المثار امامه الدفع وليس مبنيا على الغش والتحايل وذلك لعلم المدعي بان تلك المحكمة سوف تجيبه الى كافة طلباته او معظمها قاصدا بذلك الاضرار بخصمه.

الشرط الرابع: قابلية الحكم الصادر من المحكمة المحال اليها الدعوى للتنفيذ

يقصد به ان يكون الحكم الذي تصدره المحكمة الاجنبية قابلا لان يعترف به وان ينفذ في دولة التنفيذ، ويتعين على المحكمة الوطنية ان تتابع الاجراءات الاصولية التي تم تطبيقها عند اصدار الحكم من المحكمة الاجنبية لمعرفة ما إذا كان الحكم الاجنبي الذي سيصدر عن المحكمة الاجنبية سيكون قابلا للتنفيذ ام لا، وان لا يكون الحكم مخالفا للنظام العام في دولة التنفيذ، لأنه سيكون مصيره الرفض.

وقد تقرر هذا الشرط لأول مرة في احكام القضاء الفرنسي بموجب حكم محكمة استئناف باريس الصادر عام ١٩٦٦، والذي جاء فيه (ان الدفع بالإحالة تجوز اثارته امام محكمة فرنسية لصالح محكمة اجنبية مختصة ومرفوع اليها ذات الدعوى في تاريخ سابق، غير انه لأجل ان يمكن قبول هذا الدفع من قبل محكمة فرنسية فانه يجب ان يرجح ان تفضي الدعوى المرفوعة في الخارج اولا الى حكم يكون قابلا لان يعترف به وينفذ في فرنسا) [١١].

الشرط الخامس: ان يتم الدفع قبل الخوض في الموضوع وقبل اي دفع شكلي أخر

وتكون اجراءات الدفع بالإحالة والحكم فيه بان لا يقدم هذا الدفع الى المحكمة المختصة التي رفعت امامها الدعوى متأخرا، وعليه يسقط حق الخصم في التمسك بالدفع إذا لم يبده في عريضة الدعوى او تقدم بدفع عدم القبول او خاض في موضوع الدعوى، واعتبر انه تنازل عن هذا الدفع تنازلا ضمنيا.

الفرع الثالث: مبررات الإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة اجنبية

حيث إن مبدأ الإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية يقوم على جملة مبررات يمكن إجمالها بما يلي:-

أولا:-إن من مبررات الأخذ بالإحالة منع التضارب الحاصل في الأحكام على الصعيد الدولي وتأكيد روح التعاون التي يجب أن تسود بين الدول حيث إن قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية يجب أن يستجيب إلى مبدأ عام أساسه تحقيق حسن أداء العدالة وتجنب تعارض الأحكام حيث

١١ – د. محمد الروبي، مصدر نفسه، ص ٤١٠.

إن الأخذ به يؤدي إلى صدور أحكام مضمونة التنفيذ على المستوى الدولي أي إن الحكم الذي يصدر يكون متمتعا بقوة النفاذ مادام إن المحكمة التي أصدرته هي الأقدر على حسم النزاع.

ثانيا:-ضرورة قبول الدفع بالإحالة لمقاومة الغش نحو الاختصاص حيث إن الأخذ بالإحالة يكون وسيلة فعالة لمنع التلاعب بقواعد الاختصاص القضائي في المجال الدولي [١٢]. مثال على ذلك إن المدعي الذي يرفع دعواه أمام القضاء الأجنبي سرعان ما يتضح له أحيانا إن الحكم الصادر من هذا القضاء لن يكون في صالحه فيسارع في رفع دعواه أمام القضاء الوطني نظرا لما سوف يصدره هذا الأخير من حكم في صالحه.

ثالثا:-يعد قبول الدفع بالإحالة هو التعويض الحقيقي للصياغة مفردة الجانب لقواعد الاختصاص القضائي الدولي حيث أن قواعد الاختصاص القضائي الدولي هي قواعد وطنية حيث تستقل كل دولة برسم حدود اختصاص محاكمها بالفصل في المنازعات ذات العنصر الأجنبي دون تنسيق مع غيرها من الدول وقد ترتب على ذلك أنها من الخصائص الأساسية لهذه القواعد أنها قواعد أحادية الجانب.

رابعا:-إن التطورات التي حدثت في القانون الدولي الخاص توجب القول بقبول الدفع بالإحالة حيث لم تعد فكرة سيادة الدولة هي الأساس في رسم حدود الاختصاص القضائي لمحاكم الدول بل أصبح الأساس هو ارتباط النزاع بالدولة وقدرة هذه الدولة على كفالة اثأر الحكم الصادر فيها [١٣].

خامسا:-من مبررات الإحالة أيضا الاقتصاد في الإجراءات وكذلك توفير الوقت والنفقات سواء بالنسبة للخصوم أو بالنسبة لمحاكم الدولة التي رفع إليها النزاع لاحقا حيث يسهل على المحكمة إقامة الكشف على محل حدوث الفعل الضار لتكون أقرب للوصول إلى الحقيقة.

سادسا:-إن الأخذ بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية أصبح من علامات التطور الحديث للاختصاص القضائي الدولي ومن مقتضيات السياسة التشريعية لتشجيع التعاون القضائي الدولي حيث إن عدم الأخذ به يضر بمصالح المتقاضين في ميدان التجارة الدولية [١٤].

المطلب الثاني: الطبيعة القانونية للإحالة

ذكرنا انه من شروط الاحالة توافر الاختصاص لكل من المحكمتين بنظر الدعوى وهذا يؤدي بنا الى نتيجة منطقية ان تكون المحكمة التي تنظر في الدعوى والتي تم الدفع امامها بالإحالة مختصة في نظر الدعوى من الجانب الموضوعي، ويقوم القاضي كذلك بتطبيق المسائل الاجرائية المتبعة في قانونه، فما هو الدفع؟ وهل تعتبر الاحالة من الدفوع الموضوعية ام من الدفوع الاجرائية؟

---

١٢ – د. هشام علي صادق، القانون الدولي الخاص، دار المطبوعات الجامعية، ٢٠٠٤، ص ٦٧ –٦٨.

١٣ – د. ابو العلا على ابو العلا النمر، مقدمة في قانون الإجراءات المدنية الدولية، ٢٠٠٣، دار الكتب القانونية، مصر، المحلة الكبرى، ص ١٢٠.

١٤ – د. ابو العلا على ابو العلا النمر، المصدر السابق، ص ١٢٢.

يقصد بالدفوع بصفة عامة كافة الوسائل التي يلجا اليها الخصم ليرد بها على ادعاءات خصمه، لتفادي الحكم لهذا الخصم بما يدعيه او تأخير الفصل في الدعوى، والدفوع على ثلاثة انواع هي:

١. **الدفوع الشكلية او المتعلقة بالإجراءات:** يقصد بالدفع الشكلي او المتعلق بالإجراءات ذلك الدفع الذي يوجه الى اجراءات الخصومة بغرض اصدار حكم ينهي الخصومة دون الفصل في موضوعها او يؤدي الى تأخير الفصل فيه، مثل الدفع بعدم الاختصاص او بطلان اوراق التكليف بالحضور.

٢. **الدفوع الموضوعية:** الدفع الموضوعي هو ذلك الدفع الذي يوجه الى ذات الحق المدعى به، كأن ينكر نشوء هذا الحق او يدعي سقوطه او انقضائه ويشمل كل دفع يترتب عليه رفض طلبات المدعي كلها او بعضها، ومن ثم فلا يقع تحت حصر، ومثاله الدفع بالوفاء بالدين او انقضائه والدفع باكتساب الملكية بالتقادم والدفع ببطلان العقد والدفع بالصورية.

٣.**الدفع بعدم القبول:** الدفع بعدم القبول هو ذلك الدفع الذي يوجه الى حق المدعي في رفع الدعوى بهدف انكار هذا الحق استنادا لعدم توافر شروطه ومن ثم منع المحكمة من نظر الدعوى المرفوعة اليها ومثاله الدفع بعدم قبول الدعوى لرفعها من غير صفة او لسابقة الفصل فيها او لانتفاء المصلحة [١٥]. وللإحاطة بالموضوع سنبحثه من خلال فرعين نخص في اوله الاحالة من الدفوع الموضوعية بينما سنعقد الثاني للإحالة من الدفوع الاجرائية.

الفرع الاول: الاحالة من الدفوع الموضوعية

الاحالة بوصفها دفعا موضوعيا تشير اشكالا على مستوى الفقه وسوف نتطرق الى اراء الفقهاء بهذا الشأن وهناك رايان بشأن الطبيعة القانونية للإحالة الاول ذهب الى ان الاحالة هي قيد على حرية الدولة في تحديد الاختصاص الدولي لمحاكمها يقتضيه التعايش المشترك بين الدول حيث ان الاصل هو حرية المشرع الداخلي في رسم حدود ولاية القضاء الوطني بالمنازعات الخاصة الدولية من خلال تحديد الضوابط التي ينعقد بمقتضاها الاختصاص الدولي للمحاكم الوطنية بنظر هذه المنازعات، وبهذه الطريقة يحدد المشرع نصيب المحاكم الوطنية من ولاية القضاء ازاء محاكم الدول الاجنبية مادام انه لا توجد سلطة او هيئة دولية تختص بهذا بالمنازعات الخاصة الدولية من خلال تحديد الضوابط التي ينعقد بمقتضاها الاختصاص الدولي للمحاكم الوطنية بنظر هذه المنازعات، وبهذه الطريقة يحدد المشرع نصيب المحاكم الوطنية من ولاية القضاء ازاء محاكم الدول الاجنبية مادام انه لا توجد سلطة او هيئة دولية تختص بهذا التحديد في القانون الدولي المعاصر على انه وجود الدولة في الجماعة الدولية يلزمها مع ذلك ببعض القيود التي يفرضها العرف الدولي في هذا المجال، او التي تمليها ضرورات التعايش المشترك بين الدول على خلاف القيود الملزمة التي تفرضها الاعراف الدولية على حرية الدولة في تحديد الاختصاص الدولي لمحاكمها، مثل التزام الدولة بتخويل الاجنبي حق الالتجاء لمحاكمها والتزامها باحترام الحصانات القضائية للدول الاجنبية ورؤسائها وممثليها الدبلوماسيين، فان هناك قيودا اخرى على حرية الدولة في هذا المجال وان لم تكن ملزمة

١٥ – د. محمد الروبي، مصدر سابق، ص١٣.١٥.

بمقتضى احكام القانون الدولي، الا انها قيودٌ تفرضها مقتضيات التعايش المشترك بين الدول [١٦]. فهذه القيود الاخيرة اذن تمليها اعتبارات التعاون الدولي التي تتطلبها فلسفة القانون الدولي في تطوره المعاصر، ومن هنا كان استلزام وجود رابطة بين النزاع المطروح والدولة حتى ينعقد الاختصاص الدولي لمحاكمها بالدعوى، وحتى لا يترتب على وجود هذه الرابطة اعتداء على ولاية المحاكم الاخرى التي يرتبط نفس النزاع بمحاكمها بينما ذهب الراي الثاني الى ان الاحالة هي عبارة عن تنازع اختصاص ايجابي للمحاكم باعتبار ان قبول الاحالة في الاطار الدولي يبدو امراً منطقياً في ظل الصياغة القانونية الاحادية لقواعد الاختصاص القضائي الدولي والتي تتجلى في استقلال مشرع كل دولة برسم حدود اختصاص محاكمه بالفصل في المنازعات ذات العنصر الأجنبي، دونما تنسيق مع غيره من الدول وفي مثل هكذا وضع فانه يمكن تصور حدوث تنازع ايجابي بين محاكم دولتين بشان الفصل في منازعة واحدة كان تختص محاكم دولة معينة بالفصل في المنازعات الناشئة عن عقد ابرم في هذه الدولة في حين تختص محاكم دولة اخرى بالفصل في ذات المنازعة لكون العقد قد نفذ أو كان واجب تنفيذه في هذه الدولة[١٧].

ونحن نرجح الراي الاول لأنه يشير الى ذات الاحالة بوصفها قيدا لان الاصل هو حرية الدولة في تحديد الاختصاص القضائي الدولي لمحاكمها الوطنية فتأتي الاحالة وتضيق من نطاق هذه الحرية اما الراي الثاني فهو يعني الإطار الذي انبثقت عنه الاحالة كحل، حيث عد قبول الدولة بالإحالة هو تركيزٌ لاختصاص المحكمة الاجنبية المرفوع امامها النزاع. ولابد لنا ان نعرف ان ابداء الدفع الموضوعي هو تعرض لموضوع الدعوى والحكم بقبوله هو حكم في الموضوع، ويترتب عليه انهاء النزاع على أصل الحق المدعى به ويحوز حجية الشيء المحكوم به فلا يجوز تجديد النزاع امام المحكمة التي اصدرته او امام أي محكمة اخرى [١٨].

وذكرنا في تعريف الاحالة انه على المحكمة المثار امامها الدفع بالإحالة ان تتوقف عن النظر في الدعوى والفصل فيها وتقوم بإحالتها الى المحكمة الاخرى التي رفع اليها ذات النزاع دون التعرض لأصل الحق المدعى به، وعلى وفق ما تقدم يتبين لنا انه لا يمكن بسهولة تحديد طبيعتها باعتبارها دفعا موضوعيا.

والمشرع العربي عموما لم ينظم بشكل صريح الاحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية وانما تابع ذلك الموضوع في التشريع الداخلي نذكر على سبيل المثال قانون المرافعات المدنية والتجارية المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ حيث جاء في المادة ١١٠ منه (على المحكمة إذا قضت بعدم اختصاصها ان تامر بإحالة الدعوى بحالتها الى المحكمة المختصة).

---

١٦ – د. هشام صادق، مصدر سابق، ص٢٣.

١٧ – جنان جاسم مشتت، الاحالة في الاختصاص القضائي الدولي (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية ـ كلية القانون، ٢٠٠٦، ص٩٧.

١٨ – د. احمد ابو الوفا، مصد سابق، ص١٦.

الفرع الثاني: الاحالة من الدفوع الاجرائية

ان قيام ذات النزاع انما هو فكرة قانونية تستقي وجودها الاجرائي من اتحاد عنصرين الشخصي والموضوعي معا لنزاع تكررت المطالبة به قضائيا عن ذات الشيء محل الحق المطلوب حمايته، لتحدث بإثارة سبب هذه الفكرة اثارا معينة اهمها نقل الدعوة من محكمة الى اخرى،هذا النقل تحكمه شروط موضوعية،كما انه يثير بعض المسائل الاجرائية،وقد سبق ان تحدثنا عن الدفوع الموضوعية وسوف نتحدث في هذا الفرع عن الدفوع الاجرائية والتي يمكن تعريفها بانها قيد يوجه الى صحة اجراءات الدعوى الاصولية دون ان يتعرض الى اساس الحق او الى شروط الدعوة،من هنا نجد ان الدفع الاجرائي يشكل وسيلة منازعة في مجرى المحاكمة ولا يطال اصل الحق المدعى به بل ينصب على الاجراء الذي بني عليه استحضار الدعوى بهدف ارجاء المناقشة في موضوع هذه الدعوى، اما لان المحاكمة غير قانونية او لوجود سبب يستوجب وقف سيرها وذلك بقصد تفادي الحكم في الموضوع [١٩].

ولكن يجب مراعاة قواعد الدفوع الاجرائية بصورة عامة عند تقديمها وهذه القواعد هي:

١.ان كافة هذه الدفوع توجه الى اجراءات الخصومة وليست الى الموضوع.

٢.يجب تقديم هذه الدفوع قبل الخوض في الموضوع وان يقدم قبل أي دفع بعدم القبول.

٣.يجب ابداء الدفع الاجرائي في عريضة الدعوى.

٤.يجب تقديم جميع انواع الدفوع الاجرائية في وقت واحد. وعليه يسقط حق الخصم في التمسك بالدفع اذا لم يبده في عريضة الدعوى او تقدم بدفع عدم القبول او خاض في موضوع الدعوى، واعتبر انه تنازله عن هذا الدفع تنازلا ضمنيا.ويلاحظ في هذا الصدد ان الدفوع الاجرائية في الاحالة لقيام ذات النزاع في الاطار الدولي قد اختلف بشأنها اراء الفقه ومرجع هذا الخلاف هو قناعة جانب من الفقه بوجوب التقيد بما عليه العمل في نطاق قانون الاجراءات،أي الالتزام بقاعدة ان المحكمة التي رفعت اليها الدعوى اولا هي الاولى بالفصل في النزاع في حين يرى غالبية الفقه الحديث وجوب عدم التقييد بهذا الشرط اسوة بالوضع الماثل في المرافعات الداخلية [٢٠]. وعليه فان دراسة الدفوع الاجرائية للإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية تتطلب ان نستعرض بإيجاز الدفوع الاجرائية في القانون الداخلي ثم نبحث بعد ذلك في راي غالبية الفقه الحديث:

اولا: الدفوع الاجرائية للإحالة في المنازعات الداخلية: يهدف الدفع بالإحالة في الاطار الداخلي الى منع قيام ذات النزاع امام محكمتين في وقت واحد، فالمحكمتان المرفوع اليهما النزاع هما محكمتان وطنيتان مختصتان وان الحكم في القانون الداخلي ان الدفع بإحالة الدعوى لقيام ذات النزاع امام محكمتين مختصتين يجب ابداؤه امام المحكمة التي رفع النزاع اليها أخيرا، حيث نصت المادة ١٠٠ من قانون المرافعات الفرنسي رقم٥٠٠ لسنة ١٩٨١ (اذا كان النزاع ذاته قائما امام محكمتين من نفس الدرجة ومختصتين بالفصل فيه، وجب على المحكمة المرفوع اليها النزاع ثانية ان تتخلى للمحكمة الاولى اذا طلب

١٩ – د. محمد الروبي، مصدر سابق، ص١٤.

٢٠ – د. احمد عبد الكريم سلامة، مصدر سابق، ص٢١٦.

ذلك احد الاطراف وفي حالة عدم تمسك احد الاطراف بهذا الدفع يجوز ان تتخلى من تلقاء نفسه)، ان هذا النص قد منح طرفي النزاع الحق في اثارة الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمتين، ومن ثم يجوز للطرفين التمسك بهذا الدفع، ولا يقتصر النص على اعطاء طرفي النزاع حق التمسك بالدفع بالإحالة بل يخول القاضي ايضا رخصة اثارة هذا الدفع من تلقاء نفسه في حالة عدم تمسك احد الاطراف به وذلك متى علم بقيام ذات النزاع امام محكمة أخرى.

وقد تناول المشرع المصري هذا الموضوع في نص المادة ١١٢ من قانون المرافعات المصري رقم ١٣ لسنة ١٩٦٨ حيث جاء فيها (إذا رفع النزاع ذاته امام محكمتين وجب ابداء الدفع بالإحالة امام المحكمة التي رفع اليها النزاع اخيرا للحكم فيه...) ولمعرفة أي المحكمتين هي التي رفعت اليها الدعوى متأخرا يجب الرجوع الى تاريخ رفع الدعوى المقدم في عريضة الدعوى لدى كلتي المحكمتين.

وان المشرع العراقي هو ايضا قد تناول ذلك الموضوع في المادة ٧٦ من قانون المرافعات العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ حيث جاء فيها (لا يجوز اقامة الدعوى الواحدة في اكثر من محكمة واحدة فاذا اقيمت في اكثر من محكمة اعتبرت عريضة الدعوى المقامة اولا وابطلت العريضة الاخرى) وهذا الحال المعمول به في نطاق الاختصاص الداخلي يلقى قبولا وتأييدا من فريق من الفقه اذ يناصر جانب من الفقه امكانية تطبيق الحل المتبع في مجال الاختصاص الداخلي ويستلزم ضرورة ابداء الدفع بالإحالة امام المحكمة التي رفعت اليها الدعوى مؤخرا.

ثانيا: الدفوع الاجرائية للإحالة في المنازعات الدولية: يذهب جانب من الفقه الى امكان استعارة الفكرة الانكلوامريكية والخاصة بالتفرقة بين المحكمة المناسبة والمحكمة غير المناسبة للفصل في الدعوى، وفقا لهذه الفكرة فانه من الجائز ابداء هذا الدفع امام المحكمة التي تعتبر غير مناسبة للفصل في الدعوى حتى ولو كانت هي التي رفعت اليها الدعوى اولا، ويقاس مدى ملائمة المحكمة للفصل في الدعوى بالقدر الذي قطعته في تحقيق الدعوى وبالضمانات التي توفرها للخصوم، وكذلك بقدرتها على اصدار حكم ميسور النفاذ، وبناء على ما تقدم فقد يقبل القاضي الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية اذا كانت هذه الاخيرة في وضع تستطيع فيه تقدير الادلة على نحو افضل او اذا كانت اموال المدعى عليه التي يمكن التنفيذ عليها كائنة في دولة هذه المحكمة، بل وقد تتوفر لكل من المحكمتين المختصتين بالدعوى القدرة على كفالة اثار الحكم الصادر في شانها، حيث يفضل في هذه الحالة ابداء الدفع امام المحكمة التي لم تقطع شوطا كبيرا في تحقيق الدعوى على خلاف المحكمة الاخرى المطلوب احالة الدعوى اليها والتي شارفت على الانتهاء منها وذلك كله بصرف النظر عن الاسبقية في رفع الدعوى اذ المعمول عليه قدرة المحكمة المطلوب احالة النزاع اليها على الفصل في الدعوى وكفالة اثار الحكم الصادر بشأنها بغض النظر عن كون النزاع قد رفع امامها اولا ام رفع امام المحاكم الوطنية [٢١].

ويرى جانب من الفقه تبني الراي القائل بوجوب تخلي القاضي عن اختصاصه واحالة الخصوم الى المحكمة

٢١ – د. هشام صادق، مصدر سابق، ص٧٨.

المختصة من تلقاء نفسه وذلك حال توافر الشروط المتطلبة لإعماله على الصعيد الدولي، وسندهم في ذلك كون الدفع يتصل بتنظيم وتنسيق العمل بين مختلف النظم القضائية وصولا الى تلافي تضارب الاحكام فهو ليس مجرد ميزة ممنوحة للخصوم لهم ان يستعملوها او يهملوها وفق ارادتهم، ومن هنا التزام القاضي بالتخلي عن نظر الدعوى واحالتها الى القضاء الاجنبي ولو من تلقاء نفسه، في حين يرى فريق اخر عدم ملاءمة تخويل القاضي سلطة الامر بالإحالة الى المحكمة الاجنبية من تلقاء نفسه اذا لم يتمسك احد الطرفين بهذا الدفع ولعل السبب يكمن وراء ذلك فضلا عن الصعوبات العملية التي تحول دون علم القاضي بقيام النزاع امام محكمة اجنبية في حالة صمت الاطراف هو عدم توافر مساواة قانونية بين المحكمتين المرفوع اليهما النزاع الامر الذي يوجب عدم جواز اثارة القاضي لهذا الدفع من تلقاء نفسه لذلك فان انصار الراي الاخير يرون ان الامر لا يتعلق بالتزام بالنسبة للقاضي الذي يدفع امامه بالإحالة وانما يقتصر الامر على مجرد رخصة فيجوز له ان يقضي بتخليه عن نظر الدعوى واحالتها الى المحكمة التي تنظر ذات الدعوى،يبدو ان الاعتبارات التي يسعى الى تحقيقها اصحاب هذا الراي الاخير اكثر وجاهة خاصة [٢٢]. إذا علمنا ان بعض القوانين تتفق على اعتبار الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمتين دفعا شكليا لا يتعلق بالنظام العام، وعليه فليس للقاضي اثارة الدفع بالإحالة من تلقاء نفسه لصالح قاضي اخر على صعيد الاختصاص الداخلي في حالة سكوت الاطراف مما يجعل القول بذلك على الصعيد الدولي يأتي من باب اولى.

المبحث الثاني: التنظيم القانوني للإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية

إن موقف النظم القانونية والاتفاقية الدولية من الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع يختلف من دوله الى أخرى، فمنها من نص بشكل صريح على تنظيمها دوليا. وأخرى لم تنظمها دوليا، وإنما اكتفت على المستوى التشريع الداخلي، فهل يمكن ان نطبق التشريع الداخلي على الحالات التي تنشأ في القضاء الدولي؟ وما هو موقف الفقه والقضاء في هذه الأنظمة، هل موقفه ثابت؟ ام يتراوح بين الموقف المدافع عن قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع إمام محكمه أجنبيه وبين الموقف الرافض لها؟

فمن اجل معالجة هذه النقاط أكثر سوف نقسم المبحث إلى ثلاثة مطالب، نتناول في المطلب الأول الموقف الفقهي من الإحالة، وفي المطلب الثاني الموقف التشريعي، بينما نخصص المطلب الثالث لبيان الموقف القضائي من الإحالة.

المطلب الأول: الموقف الفقهي من الإحالة

انقسم الفقه من حيث موقفه من الإحالة الى اتجاهين، فأحدهما يناهض او يرفض الإحالة لقيام ذات النزاع إمام محكمه أجنبيه، والأخر يؤيدها، ولكل اتجاه أسانيد وحجج يستند إليها. لذا سوف نقسم

٢٢ – د. هشام علي صادق، مصدر سابق، ص٧٩.

المطلب إلى فرعين الأول الاتجاه المعارض للإحالة وهو الاتجاه التقليدي، والفرع الثاني الاتجاه المؤيد للإحالة وهو الاتجاه المعاصر.

الفرع الأول: الاتجاه المعارض

يذهب الفقه التقليدي في فرنسا ومصر، وتبعه جانب من الفقه المعاصر في مصر، وكلٌ مؤيد ببعض إحكام القضاء [٢٣]. الى الرفض القاطع للإحالة، معللا رفضه بالحجج الآتية:-

اولا: ان قبول العمل بهذا الدفع يستلزم وجود سلطة عليا فوق سلطة الدول تتولى توزيع ولاية القضاء بين محاكم الدول المختلفة وهو مالا يتحقق في نطاق العلاقات الدولية الخاصة. لان في هذا الدفع لا نصادف نزاعاً مرفوعاً أمام محكمتين تتبعان سيادة دولة واحدة وانما امام قضاءين ينتميان لدولتين مستقلتين مختلفتين كل يود ان يصدر الحكم باسمه وفق ما رسمه مشرعه من اجراءات، ويبدو ان هذه الطبيعة الخاصة للمنازعات الدولية وعدم تماثلها مع المنازعات الداخلية هي التي دفعت القضاء الفرنسي ولقرابة قرن ونصف من الزمان — امتدت من بداية القرن التاسع عشر الى عام ١٩٦٢-الى الإعراب عن رفضه القاطع عن قبول الدفع بالإحالة بسبب سبق رفع الدعوى امام محكمة اجنبية [٢٤].

ثانيا: انتفاء الحكمة من وراء اعمال هذا الدفع في نطاق الاختصاص القضائي الدولي على خلاف الحال في نطاق الاختصاص القضائي الداخلي، اذ لا مجال من القول بوجوب تجنب صدور حكمين متناقضين مستقلين بعضهما عن البعض الاخر، لان من شروط تنفيذ الحكم الاجنبي في فرنسا او مصر الا يكون يتعارض مع حكم وطني صادر فيه، وبالتالي فلا يصح اذن استعارة الحجة المقول بها في نطاق الاختصاص الداخلي وهي ان قبول الاحالة يمنع تعارض الاحكام [٢٥].

ثالثا: ان قبول الدفع بالإحالة الى القضاء الاجنبي يؤدي الى عدم الاعتراف في اثار الاحكام الأجنبية قبل صدور الامر بتنفيذها كما هو الحال عليه في فرنسا، فإذا كان الحكم الاجنبي يعد عديم القيمة في فرنسا قبل صدور الامر بتنفيذه، فأنه من باب اولى عدم الاعتداد بالخصومة الماثلة امام القضاء الاجنبي ولا يجوز اعطاؤها افضلية على تلك القائمة امام القضاء الوطني بخصوص ذات الدعوى.

رابعا: ان قبول هذا الدفع يحمل في طياته اعتداءً على سيادة الدولة المطلوب فيها احالة النزاع الى محكمة دولة اخرى، والواقع ان مبدأ عدم قبول الاحالة لقيام نفس النزاع امام محكمة اجنبية كان يعبر عن نظرة الفقه القديم للقانون الدولي الخاص الذي اتخذ من مبدأ السيادة اساساً له فوفقاً لهذا المبدأ فأن

---

٢٣ – سنتناول هذه الأحكام القضائية في مطلب مستقل لاحقا.

٢٤ – د. علي ابو عطية هيكل، الدفع بإحالة الدعوى في قانون المرافعات، دار الجامعة الجديد للنشر، مصر، ٢٠٠٥، ص ٥٣٩ –٥٤٠. و د. حفيظة السيد الحداد، النظرية العامة في القانون القضائي الخاص الدولي، الكتاب الثاني، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، دون سنة طبع، ص ١٨٣ –١٨٤. ود. هشام علي صادق، القانون الدولي الخاص، القسم الثالث، دار المطبوعات الجامعية، مصر، ٢٠٠٤، ص٥٤. و د. محمد الروبي، الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمه اجنبيه، ط٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠١٣، ص ٥٥ و١٥٥.

٢٥ – د. محمد الروبي، مصدر سابق، ص٥٤ و١٥٥. و د. علي ابو عطية هيكل، مصدر سابق، ص ٥٣٩ –٥٤٠. و د. هشام علي صادق، مصدر سابق، ص٥٥.ود.حفيظة الحداد، مصدر سابق، ص ١٨٣ –١٨٤.

القانون الدولي الخاص يسعى الى فض التنازع المحتمل بين سيادات الدول المختلفة وبما ان الامر كذلك فأنه من غير المتصور ان تتنازل دولة عن جزء من سيادتها المتمثل في ممارستها لولاية القضاء لصالح دولة اخرى عن نظر دعوى هي اصلاً داخلة في اختصاصها لصالح محكمة دولة اجنبية دون ان يكون في ذلك اعتداء على سيادة الدولة.

خامسا: التوجس والريبة في العدالة التي تسهر على ادائها محاكم الدول الاخرى –اي ان المحاكم الوطنية اكثر قدره على تحقيق العدالة من المحاكم الاجنبية– وذلك بسبب النظرة التقليدية للعدالة الوطنية على انها العدالة المثلى التي تملك مالا يملكه قضاء دولة اخرى من حياد ونزاهة وكافة مقومات تحقيق العدالة وبالتالي فأن نظرة عدم الثقة والشك قد انسحبت الى كافة الصور التي يمكن ان تترجم فيها هذه العدالة سواء في صورة احكام ام في صورة اجراءات منظورة امام القضاء الوطني ولم تتم بعد الا انه مما تجدر الاشارة اليه ان قلة من الفقه المصري المعاصر قد عارض الاخذ بالإحالة لقيام ذات النزاع بين محكمتين تتبعان دولتين مختلفتين اذ استند هذا الفريق الى ذات متكأ الفقه التقليدي في رفضه لهذا الدفع مستندا الى بعض تلك الاسانيد اضافه الى ذلك ان المشرع المصري قد نص على قواعد الاحالة لتطبق فقط بين محكمتين مصريتين وليس بين المحاكم المصرية ولمحاكم الدول الاخرى اذ ان الاحالة بسبب قيام ذات النزاع لا تكون الا بين محكمتين وطنيتين تتبعان جهة قضاء واحدة... ومن ثم يستمر انصار هذا الرأي الى القول بأنه لا تجوز احالة الدعوى المنظورة امام القاضي الوطني لصالح دولة اجنبية.كذلك يرتكز انصار هذا الفريق الى حجة اخرى مفادها تعارض الاخذ بالإحالة مع احكام القانون المصري وبالذات المادة ٢٩٨ من قانون المرافعات والتي تنص على انه"لا يجوز الامر بالتنفيذ الا بعد التحقق من ان محاكم الجمهورية غير مختصة بالمنازعة التي صدر فيها الحكم"عليه فكيف تحيل المحاكم المصرية نزاعاً تختص به الى محاكم دولة اجنبية، في حين ان المشرع لا يجيز تنفيذ هذا الحكم الذي يتصور ان تصدره هذه المحاكم الاجنبية؟،لاشك ان هذا الامر غير جائز ولو طبقنا هذا الشرط على أي نزاع يطلب احالة الاختصاص به فأنه سيترتب على ذلك تخلف شروط الاحالة ويذكرون حجج اخر هي ان غالبية الدول لا تقر اعمال الدفع بالإحالة في الاطار الدولي، وكذلك لا يجوز القياس على الوضع الفرنسي لان عدم معالجة كل من المشرعين للإحالة في المجال الدولي ليس بالضرورة انسياق القضاء المصري وراء القضاء الفرنسي بسبب الاختلاف بين القانونين، وكذلك عدم الاقتناع بحجج الاتجاه المؤيد للإحالة حيث يستند الى الاعتبارات المثالية ويبتعد عن الاعتبارات الواقعية التي تقتضى الى ضرورة احترام إرادة المشرع وحرية كل دوله في تحديد الاختصاص القضائي الدولي لها بغض النظر عن القواعد السارية في الدول الاخر، لذا ان هذه الاعتبارات الواقعية تقتضي عدم قبول الدفع بالإحالة.

الفرع الثاني: الاتجاه المؤيد للإحالة

تعد المبادئ والمفاهيم التي ارتكز عليها الفقه التقليدي في رفضه للإحالة غير منسجمه مع التطورات الحديثة للمجتمع الدولي لذلك اتجه الفقه في فرنسا ومصر الى قبول الدفع بالإحالة محللا ومنتقدا لحجج الاتجاه الرافض لها ومستنداً على مجموعه من الحجج تدعم موقفه كما سنتناولها على النحو الآتي:–

اولاً: إن حجه الفقه الرافض لقبول الدفع بالإحالة بعدم وجود سلطه عليا تتولى توزيع الاختصاص بين سائر الدول غير مقبولة، وذلك لما درج عليه الفقه السائد فيما يتعلق بتنظيم قواعد الاختصاص وفقاً لاعتبارات ملائمة لاعتبارات السيادة فالمشرع الوطني عندما يستند الى اعتبار السيادة ويعقد الاختصاص لمحكمته الوطنية فقد يكون الحكم الذي تصدره غير مضمون التنفيذ فقبول الدفع بالإحالة سوف يكفل قابليه الحكم للنفاذ ومن ثم تحقيق مصالح الخصوم التي هي هدف اساس للتنظيم القضائي بشكل عام.

ثانيا: وان حجتهم في انتفاء الحكمة من اعمال هذا الدفع على الصعيد الدولي امراً غير مقبول ايضاً، لان قبول الدفع بالإحالة في القانون الداخلي هدفه تجنب التعارض بين الاحكام الصادرة من محكمتين وطنيتين تابعتين لدوله واحده، فأن صدور حكمين الاول من محكمه وطنيه والثاني من محكمه اجنبيه تكون فرصه التعارض بين الحكمين اكبر في هذه الحالة مما يكون من باب اولى قبول الدفع بالإحالة على الصعيد الدولي، وعلى الاخص بعد تعدد وتشابك العلاقات الدولية وكيفما تكون الطريقة التي تتخذها الدول في انهاء النزاعات الناتجة عن هذا التشابك الا ان وجود احكام متناقضة بشأن نزاعات مرتبطة ذات طبيعة دوليه امر يتنافى مع التطور الدولي واستقرار العلاقات الدولية.

ثالثا: وحجتهم بأن قبول الدفع بالا حاله يؤدي الى عدم الاعتراف في اثار الحكم الاجنبي في بعض الدول قبل صدور الامر بتنفيذه فيها كفرنسا مثلا قول مردود أيضا، وذلك لان الحكم الصادر من محكمه اجنبيه في دعوى موضوعها حاله الاشخاص او أهليتهم (اي الاحكام في مجال الاحوال الشخصية) يكون قابلا للتنفيذ في فرنسا وبقوة القانون ودون حاجه الى الامر بتنفيذه فاذا كان الامر كذلك بالنسبة للحكم الصادر في هذه الدعوى فأن التشدد الذي يكون في الاجراءات التي لم تتبلور في صدور حكم امر غير منطقي.

رابعا: واما حجتهم بان قبول الدفع بالإحالة لصالح محكمه اجنبيه اعتداء على سياده الدولة حجه غير مقبولة ايضاً،فقد ذهب الفقه الحديث الى ان هدف القانون الدولي الخاص لم يعد حمايه سياده الدولة بين سيادات الدول الاخرى، بل اصبح هدفه تنظيم العلاقات الدولية الخاصة وحل المشكلات التي تنشأ بسببها والعمل على تحقيق اهداف اخرى كالتعاون القضائي بين الدول تحقيقا للتعايش المشترك وحمايةً لمصالح الافراد المشروعة وهو ما استوجب تغليب مصالح الافراد على حمايه السيادة، وبما ان القانون الدولي الخاص قد تقررت مسائله من اجل تنظيم العلاقات الدولية الخاصة فمن باب اولى ان تكون حمايه المصالح الخاصة عبر الحدود هي هدفاً لهذا القانون.

خامسا: واخيراً لا يمكن الاخذ بالحجة التي نادى بها انصار الفقه التقليدي من ان المحاكم الوطنية اكثر قدره على تحقيق العدالة من المحاكم الأجنبية،وذلك بسبب تبدل النظرة التي كانت سائدة قديماً من شك وعدم ثقه في الاجراءات التي تتم امام المحاكم الأجنبية، فأن فكره ان المحكمة الوطنية هي الاقدر على تحقيق العدالة تدل على انعزاليه قانونيه لا تتلاءم مع تطور الافكار التي شهدتها العلاقات الدولية الخاصة بالإضافة الى ان هذه الفكرة تتناقض مع مصالح الافراد الأساسية عبر الحدود لأنها تؤدي الى ركود في العلاقات الدولية الخاصة فضلاً عن التناقض في الاحكام.

المطلب الثاني: التنظيم التشريعي

يلزم لقبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية وحدة السبب والموضوع والخصوم في الدعوتين وان تكون الخصومة فيها قائمة بالفعل امام محكمتين مختصتين وإذا كانت القوانين الوطنية قد عالجت ذلك الوضع بنطاق المرافعات الداخلية فإنها قد اهملته في مجال المرافعات المدنية الدولية، اي بخصوص الدعاوي ذات العنصر الاجنبي، على الرغم من ان تدخلها في هذا المجال وضرورة تنظيمها كانت اوجب [٢٦]. وبناء على ما تقدم يقتضي البحث في موقف التشريعي ان نستعرض التنظيم التشريعي على المستوى الداخلي كفرع اول وفي الثاني سنتناول التنظيم التشريعي على المستوى الدولي.

الفرع الاول: التنظيم التشريعي الداخلي

لم تفصح أكثر دول العالم في قوانينها عن موقفها من هذا الدفع الاجرائي او الشكلي [٢٧]. فبالنسبة للقانون العراقي نرى انه لم ينظم الاحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية على صعيد الاختصاص القضائي الدولي، الا انه يمكن القول بانه قد نظمه على الصعيد الداخلي، المشرع العراقي قد نظم حيث نظم الإحالة على الصعيد الداخلي المسائل المتعلقة بالإجراءات القضائية بشكل عام من خلال قانونين الاول قانون المرافعات تتكلم هذه المادة عن اقامة الدعوى الواحدة في اكثر من محكمة، فقد يحدث ان يقيم المدعي دعواه بالمطالبة بالدين من محكمة بداءة الكرادة باعتبار ان المدعي عليه يسكن ضمن منطقة اختصاصها، وعندما يجد ان اتجاه المحكمة في الدعوى يسير في غير صالحه او ان مواعيد تأجيل المرافعة في هذه الدعوى طويلة فيلجأ الى اقامتها على ذات المدعى عليه في محكمة بداءة الرصافة، باعتبار ان سبب الدين قد نشأ في محله الذي يقع ضمن اختصاص محكمة بداءة الرصافة في الوقت الذي لاتزال دعواه قائمة امام محكمة بداءة الكرادة. وبذلك نرى بأن المشرع العراقي قد منع اقامة الدعوى الواحدة امام محكمتين ولو كانت كل منهما مختصة بنظرها [٢٨]. ويمكن رد هذا الرأي من خلال القول بأنه لا يمكن في هذا المجال اعمال المادة (١/٧٦) لأنها قاصرة على الدعاوي المقامة في المحاكم العراقية. وتطبيقاً لذلك قضت محكمة تمييز العراق بأن (الاحالة بسبب الاختصاص تجري بين المحاكم العراقية فقط ويجب رد الدعوى إذا كانت من اختصاص محكمة اجنبية) [٢٩].

بينما يرى الرأي الثاني ان قانون المرافعات العراقي لم يتضمن نصوصاً تتعلق بتنظيم الاختصاص القضائي الدولي للمحاكم العراقية [٣٠]. ويظهر من ذلك انه اكتفى بما ورد في المادتين (١٤ — ١٥) من

---

٢٦ – د. احمد عبد الكريم سلامة، المختصر في قانون العلاقات الدولية الخاصة، دار النهضة، القاهرة، ١٩٨٥، ص١٩٩.

٢٧ – حددت بعض التشريعات موقفها صراحة من هذا الدفع، فهنالك من التشريعات ما نص صراحة على عدم قبول الدفع بالإحالة، وبالمقابل نصت تشريعات دول اخرى على قبول الدفع بالإحالة.

٢٨ – القاضي مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العملية، ط٤، المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠١١، ص١٢٧.

٢٩ – انظر قرار محكمة تمييز العراق المرقم ٢٦٠ / مدنية اولى / ٧٧ في ١ / ١٢ / ١٩٧٧ نقلا عن ابراهيم المشاهدي، المبادئ القانونية في قضاء محكمة التمييز، قسم المرافعات المدنية، ١٩٩٠، ص٤٨.

٣٠ – ينظر: المصدر نفسه. ص٤٨.

القانون المدني العراقي والمادة السابعة من قانون تنفيذ الاحكام الاجنبية رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٠ وبعض النصوص من قانون الاحوال الشخصية ويشمل هذا الاختصاص الحالات الأتية:

اولاً – المدعى عليه عراقياً: تنص المادة ١٤ من القانون المدني العراقي على ما يلي ((يقاضى العراقي امام محاكم العراق عما ترتب في ذمته من حقوق حتى ما نشأ منها في الخارج)) ان هذا النص يتسق والقاعدة المقررة في الاختصاص المكاني من ان دعوى الدين او المنقول تقام في محكمة موطن المدعى عليه ولا يهم في هذا المجال ان يكون المدعي اجنبياً ام عراقياً وسواء نشأ سبب الدعوى في العراق او خارجه وسواء كان محل الدعوى دين ام منقول بشرط ان يكون المنقول موجوداً في العراق.

ثانياً –المدعى عليه اجنبياً ((يقاضى الاجنبي امام محاكم العراق في الاحوال التالية:

أ – إذا وجد في العراق. ب – إذا كانت المقاضاة في حق متعلق بعقار موجود في العراق او بمنقول موجود فيه وقت رفع الدعوى. جـ – إذا كان موضوع التقاضي عقداً تم ابرامه في العراق او كان واجب التنفيذ فيه او كان التقاضي عن حادثة وقعت في العراق) وتطبيقاً على ذلك قضت محكمة تمييز العراق على انه (يقاضى الاجنبي امام محاكم العراق إذا وجد في العراق وقت رفع الدعوى إذا كان موضوع التقاضي عقدا واجب التنفيذ فيه) اساس هذا الاختصاص هو سيادة الدولة على اقليمها، ويسري هذا الاختصاص حتى على الاجنبي الموجود وقت اقامة الدعوى خارج العراق إذا كانت الدعوى يحكمها هذا النص. كأن يتعاقد عراقي مع صناعي أجنبي موجود في العراق على توريد معمل له فهنا العقد انعقد في العراق.

ان المشرع العراقي ذكر في المادة (١٥) من القانون المدني الحالات التي يقاضى فيها الاجنبي امام المحاكم العراقية ولم يذكر الاحالة من ضمن الحالات لا صراحة ولا دلالة، ومع ذلك فان المشرع العراقي لم يترك الاحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية دون النص عليها وانما نص بمفهوم المخالفة على حظرها على المحاكم العراقية وذلك بموجب نص المادة (٧٦) من قانون المرافعات. الا انه على الرغم من ذلك يمكن القول بأن النظام القانوني العراقي نظام متجاوب مع مقتضيات التعاون القضائي الدولي وهنالك بعض الامثلة تدل على ذلك:

١ – نظام الاعتراف بالأحكام الاجنبية في العراق: يعترف القانون العراقي بالأحكام والاوامر والسندات الصادرة عن محاكم الدول الاخرى وفقاً لشروط تنسجم في جملتها مع مقتضيات المعاملات الدولية اذ يؤمن مبدأ تنفيذ الاحكام الاجنبية استقرار المعاملات في النظام الدولي والتعاون بين الدول وضرورة احترام النظم القانونية والقضائية السائدة تنسجم في جملتها مع مقتضيات المعاملات الدولية اذ يؤمن مبدأ تنفيذ الاحكام الاجنبية استقرار المعاملات في النظام الدولي والتعاون بين الدول وضرورة احترام النظم القانونية والقضائية السائدة.

وبناءً على ما تقدم فأنه من المنطق ان الاعتراف بالأحكام الاجنبية يستتبع الاعتراف بالإجراءات القائمة امام محاكم الدول الاخرى ومن ثم قبول الدفع بالإحالة باعتبار ان ذلك يدعم الاهداف المتقدمة.

٢ – التزام العراق بعدة اتفاقيات للتعاون القضائي: اذ ابرم العراق العديد من الاتفاقيات الخاصة بالتعاون القضائي منها الاتفاقية المبرمة بين العراق ومصر لسنة ١٩٦٤وهنالك صورة اخرى يتبين فيها تجاوب النظام القانوني العراقي مع مقتضيات التعاون القضائي الدولي وهي انضمام العراق لاتفاقية الرياض للتعاون القضائي لعام ١٩٨٣حيث ورد في نصوص هذه الاتفاقية انه لا يجوز شمول الحكم الصادر من محاكم احدى الدول المنضمة لهذه الاتفاقية بالأمر بالتنفيذ على اقليم الدولة اذا كان يتعلق بذات الحق محلا وسبباً وكانت الدعوة قد رفعت الى محاكم هذه الدولة الاخيرة في تاريخ سابق على عرض النزاع على محكمة الدولة التي صدر فيها هذا الحكم، حيث ورد في نصوص هذه الاتفاقية انه لا يجوز شمول الحكم الصادر من محاكم احدى الدول المنضمة لهذه الاتفاقية بالأمر بالتنفيذ على اقليم الدولة اذا كان يتعلق بذات الحق محلا وسبباً وكانت الدعوة قد رفعت الى محاكم هذه الدولة الاخيرة في تاريخ سابق على عرض النزاع على محكمة الدولة التي صدر فيها هذا الحكم.

٣ –حق التقاضي: اذ ذكر الدستور العراقي على ان (التقاضي حق مصون ومكفول للجميع) وبذلك فأن الدستور العراقي قد جعل اللجوء الى القضاء العراقي حقاً مصوناً للناس كافة لا فرق في ذلك بين الوطني والاجنبي وهذه الامور مما لا شك فيها انها تنسجم مع مقتضيات التعاون الدولي في مجال اداء العدالة وتسيير وصول الحقوق الى اصحابها.

الفرع الثاني: التنظيم التشريعي الدولي

على الرغم مما اصبح عليه المجتمع الدولي من تطور وما سعت اليه العديد من الدول بعقد اتفاقياتها وقيام البعض منها لتعديل تشريعاتها لتواكب هذا التطور بشكل بات معه جعل جواز الإحالة الدولية لقيام ذات النزاع من المسلمات ولو لم يوجد نص يقررها، فهناك دول تنص بشكل صريح من خلال تشريعاتها على قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية وأخرى تتحفظ تجاه ذلك، وبناء على ذلك سنقسم هذا الفرع الى الدول التي تقرر قبول الدفع بالإحالة امام محكمة اجنبية اولا، والدول التي تتحفظ تجاهها ثانيا وذلك على النحو الاتي:

اولا: الدول التي تقرر قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية:

ان الغالبية العظمى من الانظمة القانونية المعاصرة تقرر قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية، فعلى سبيل المثال القانون الدولي الخاص المجري لعام ١٩٧٩ في المادة (٦٥)منه التي تنص على انه"عند وجود دعوى قائمة بين الاطراف تستند على حق مماثل، وتنتج من وقائع متماثلة امام محكمة اجنبية وسلطة اجنبية اخرى،ويكون من المحتمل ان تستقر عن حكم يمكن الاعتراف به وتنفيذه في المجر بمقتضى هذا المرسوم بقانون،وان المحاكم والسلطات المجرية الاخرى المرفوع اليها النزاع لاحقا توقف الفصل في الدعوى،او ترفض صحيفة اقتراحها بدون اعلان الاطراف".

ويتبين من هذا النص ان المشرع المجري قد اقر فيه قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية وذلك حرصا منه على عدم حدوث تنازع في الاجراءات، او تناقض في الاحكام ونزولا منه على مقتضيات التعاون القضائي الدولي.

وفي اليونان نرى ان القضاء والفقه الغالب منذ زمن بعيد نص على قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام المحكمة الاجنبية، اما بالنسبة لسويسرا فقد تطرق القانون الدولي الخاص السويسري الجديد لعام ١٩٨٩للاحاله في المادة (٩) التي تنص (عندما تكون هناك دعوى لها ذات الموضوع قائمة قبل ذلك بين الاطراف أنفسهم في الخارج فان المحكمة السويسرية توقف الفصل في القضية إذا توقعت ان المحكمة الاجنبية ستصدر خلال مدة معقولة حكما يمكن ان يعترف به في سويسرا).

اما في ايطاليا فبعد ان كان القانون الايطالي الملغى لا يجيز ذلك نرى ان القانون الايطالي الجديد قد بين جواز احاله القضاء الايطالي دعوى مرفوعة امامه الى محكمة اجنبية مرفوع اليها ذات النزاع اولا اذ تنص المادة(٧)من هذا القانون على انه(١-اذا دفع اثناء نظر الدعوى بان دعوى مرفوعة في تاريخ سابق بين الاطراف انفسهم بها نفس الموضوع وذات السبب امام قاضي اجنبي،فان القاضي يوقف الفصل في القضية اذا بدا له ان الحكم الاجنبي يمكن ان ينتج اثره في النظام القانوني الايطالي واذا اقر القاضي الاجنبي عدم اختصاصه او كان الحكم الاجنبي غير قابل لان يعترف به فان القضية تتابع سيرها في ايطاليا بناء على طلب الطرف ذي الشأن، ٢- قيام الدعوى امام القاضي الاجنبي يتحدد وفقا لقانون الدولة التي تنظر القضية.) وبذلك نرى ان المشرع الايطالي قد استجاب لدواعي التطور ومقتضيات التعاون القضائي الدولي والعمل على حماية مصالح الافراد من خلال اقراره الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية، واكد بذلك هجره لنظرة الشك التي كانت تتبعها النظم القضائية الاجنبية [٣١].

ثانيا: الدول التي تتحفظ تجاه الاخذ بالإحالة لقيام ذات النزاع امام المحكمة الاجنبية:

هناك بعض الدول ما زالت متحفظة او مترددة تجاه الدفع بالإحالة في الاطار الدولي،ولعل فرنسا ومصر ولبنان من اوضح الامثلة على ذلك، فبالنسبة للمشرع الفرنسي ونظيره المشرع المصري فقد تصدى لتنظيم الاحالة لقيام ذات النزاع في نطاق العلاقات الوطنية،الا انهما لم يوردا نصاً صريحا بصدد حل هذه المشكلة في نطاق العلاقات ذات العنصر الاجنبي اي على مستوى الاختصاص القضائي الدولي رغم ان تنظيم هذه المسألة على نطاق الاختصاص القضائي الدولي كان اولى واظهر والسبب في ذلك هو ان رفع الدعوى امام محكمتين هو امر استثنائي الحدوث من الناحية العملية في المجال الداخلي وذلك لكون المحكمتين تتبعان نظاما قضائيا واحدا وتطبقان ذات القواعد القانونية وبالتالي لا تتوافر مصلحة حقيقية لاحد اطراف النزاع في استمرار نظره امام المحكمتين في الوقت نفسه، الا ان الوضع قد لا يسير على هذا النحو في حاله قيام ذات النزاع امام قضاء دولتين مختلفتين اذ ليس من الغرابة في شيء ان ينعقد الاختصاص القضائي الدولي للمحاكم الوطنية وينعقد في الوقت نفسه لإحدى المحاكم الاجنبية،حيث كل دوله تتمتع بحرية مطلقة في صياغة القواعد المنظمة للاختصاص القضائي الدولي للمحاكم الاجنبية.اما بالنسبة للبنان فالدفع بالإحالة وفقا للتشريع اللبناني لا يكون مقبولا لصالح محكمة اجنبية مرفوع اليها ذات النزاع مالم توجد اتفاقية دولية تجيزه وينتقد هذا الموقف اذ يرونه لا يتماشى مع التطورات الحديثة التي

٣١ - د. محمد الروبي، مصدر سابق، ص٢٠٦.

تشهدها العلاقات الدولية الخاصة ويطالبون بناء على ذلك بان يعدل القضاء اللبناني من موقفه تجاه هذا الدفع وذلك بقبوله بمقتضى القواعد العامة للاختصاص وليس فقط في حالة وجود معاهدة دولية.

المطلب الثالث: الموقف القضائي

مر الموقف من الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمه اجنبية بتطورات ملموسه في كثير من النظم القانونية والقضائية، كما اهتمت بتنظيمه العديد من الاتفاقيات الدولية منذ زمن بعيد. ويبدو ان اعتبارات السيادة الإقليمية وغياب سلطه قضائية عليا تملك توزيع الاختصاص بالمنازعات الدولية على محاكم الدول المختلفة هي التي املت على الفقه والقضاء التقليدي موقفه الواضح والصريح في شان رفض قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمه اجنبية، على ان التطور المعاصر في فلسفه القانون الدولي الخاص والذي لم تعد احكامه تقوم على محض فكره السيادة الإقليمية وانما باتت تهدف اساسا الى تكريس التعاون الدولي قد دفعت القضاء الحديث الى الاستجابة لهذه المتغيرات الجديدة، اذ انقسم موقف القضاء من الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع في الدول العربية منها والأوربية الى اتجاهين كما هو الحال في الفقه فنجد احكام القضاء في تلك الدول تنقسم الى من ترفض الدفع بالإحالة واخرى تؤيد الدفع بالإحالة. وهذا ما سنتناوله في هذا المطلب الذي سنوضح في الفرع الاول منه الموقف من الإحالة في الدول الأوربية ونبين الموقف من الدفع بالإحالة في الدول العربية في الفرع الثاني.

الفرع الاول: الموقف من الاحالة في الدول الاوربية

شهد الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمه اجنبية تطورات عديده في فرنسا فخلال فتره تربو على قرن ونص من الزمان تواترت احكام القضاء الفرنسي مؤيده في ذلك من قبل الفقه الغالب على انكار الدفع بالإحالة في الإطار الدولي. وتعتبر الفترة ما بين مطلع القرن التاسع عشر حتى عام ١٩٦٢مرحله الرفض المطلق لمبدأ الدفع بالإحالة حيث كان يعتبر ضربا"من الشطط الفكري بل ان القول به كان يتعارض مع سيادة الدولة وربما كان يتعارض مع معاني الوطنية، وقد قرر القضاء الفرنسي ذلك صراحه في العديد من الاحكام من ذلك ما قررته محكمه Golmar عام١٨١٥ من انه"لما كان حق اللجوء إلى القضاء هو من مستلزمات السيادة فان المطالبة به والحصول عليه يعد ميزه ممنوحه للوطني من الحاكم ممثلا للسيادة وبالنظر الى هذه العلاقة المزدوجة فانه يجب على كل حاكم الا يتيح هذا الحق الا للوطنيين"غير ان القضاء الفرنسي قد عرف فتره تردد منذ عام ١٩٦٢وحتى اواخر ١٩٧٤ بين الاستجابة لمقتضيات العلاقات الدولية وبين الحنين الى المبدأ التقليدي، ففي حكم محكمه النقض الصادر في ١٩٦٢/٥/٥ الذي يعتبر بداية التحول الحقيقي للقضاء الفرنسي نحو قبول الدفع بالإحالة وتتلخص وقائع الدعوى التي صدر فيها الحكم في ان زواج السيد Verdier الفرنسي الجنسية والسيدة Zins أمريكية الجنسية قد ابرم في باريس عام ١٩١٨، ثم انفصل الزوجان جسمانيا بعد فتره من هذا الزواج، ثم غادرت الزوجة باريس الى الولايات المتحدة واقامت هناك في ولاية كاليفورنيا.وفي عام١٩٥٢ رفع الزوج دعوى تطليق امام محكمه السين الابتدائية، فدفعت الزوجة بعدم اختصاص المحكمة بالفصل في الدعوى

لكونها تقيم منذ سنوات عديده بالولايات المتحدة. لكن المحكمة لم تقبل هذا الدفع وقررت انها مختصة استنادا الى ان الزواج قد ابرم في باريس، التي يتوطن بها الزوج ويوجد بها الموطن القانوني للزوجة، مما يعقد الاختصاص للقضاء الفرنسي وفقا للمادة ٥٩ مرافعات. طعنت الزوجة على الحكم بالاستئناف فأيدته محكمه استئناف باريس لأسبابه المذكورة. ونظرا"لعدم الطعن على هذا الحكم خلال المدة المحددة قانونا"فقد غدا باتا، ومن ثم اضحى اختصاص القضاء الفرنسي ثابتا"بصفه نهائية واعيدت الدعوى بعد ذلك لمحكمه السين للفصل في الموضوع وفي اغسطس ١٩٥٦ قام الزوج برفع نفس الدعوى امام محاكم ولاية كاليفورنيا حيث تقيم الزوجة. وامام محكمه السين اثارت المدعى عليها الدفع بالإحالة وطالبت بتخلي هذه المحكمة لصالح محاكم ولاية كاليفورنيا المرفوع اليها ذات الدعوى، فقررت محكمه السين عدم قبول هذا الدفع، وحكمت بالتطليق لخطا الزوجة. ثم تايد هذا الحكم من قبل محكمه استئناف باريس. طعنت الزوجة على هذا الحكم بالنقض ونعت عليه مخالفته لصحيح القانون عند قضائه بالتطليق وتجاهله للدفع بالإحالة فقضت محكمه النقض بانه"لا يجوز قبول الدفع بالإحالة لصالح محكمه اجنبية متى ثبت ان المحكمة الفرنسية قد رفع اليها النزاع اولا وان هذه المحكمة قد قررت انها مختصة بالفصل بالدعوى بمقتضى اختصاصها المانع لكل اختصاص أجنبي مشترك وفقا للقواعد الفرنسية لتنازع الاختصاص، كما في هذا الحكم لم تذكر محكمه النقض لأول مره مبدا عدم جواز الدفع بالإحالة بل بررت عدم قبولها للدفع بعدم توافر شرطين هما:

١-رفع النزاع اولا امام القضاء الفرنسي.

٢-هو ان اختصاص المحاكم الفرنسية في هذه الدعوى كان من قبيل الاختصاص المانع الذي يفضي الى عدم اختصاص ايه محكمه اجنبيه بالفصل في النزاع. وبذلك فان هذا الحكم يعد بمثابة نقله نوعيه هامه في قضاء محكمه النقض حيث عبرت به من مرحله عدم جواز اعمال الدفع في المجال الدولي الى مرحله قبوله او عدم قبوله عند توافر شروطه او عدمها. وقد استقر القضاء الفرنسي نهائيا في ٢٦ نوفمبر ١٩٧٤ على قبول الدفع بالإحالة حيث ازالت محكمه النقض كل شك حول موقفها في هذا الشأن حيث قررت فيحكمها الصادر في هذا التاريخ ان"الدفع بالإحالة يمكن قبوله امام القضاء الفرنسي نظرا لقيام الدعوى امام محكمه اجنبيه مختصة هي الاخرى"ومنذ هذا التاريخ استقر القضاء الفرنسي نهائيا على مبدا جواز الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمه اجنبيه وهو ما أكدته محكمه باريس في حكميها الصادرين في ٧يوليو ١٩٧٦و١٢فبراير ١٩٨٠.

اما في سويسرا فقد استقر القضاء السويسري منذ اوائل القرن العشرين سواء في اقضيه المقاطعات او القضاء الفيدرالي على قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمه اجنبيه [٣٢]. وكذلك في اليونان

٣٢ – د. محمد الروبي، مصدر سابق، ص٧٨.

فان الفقه والقضاء مستقران منذ زمن بعيد على قبول الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمه اجنبيه [٣٣].

الفرع الثاني: الموقف من الدفع بالإحالة في الدول العربية

ان القضاء المصري وعلى راسه قضاء محكمه النقض لم يقل كلمته الفاصلة بعد على ان الاجماع الفقهي الذي يكاد ان ينعقد في مصر هو اجازه الدفع بالإحالة اما في الجزائر فقد جاء موقف القضاء هناك متعارضا مع مقتضيات التعاون الدولي، حيث رفض القضاء الجزائري اعمال الدفع بالإحالة ومن شان هذا الرفض الحاق الضرر بالمتقاضيين الجزائريين انفسهم وذلك لان الاحكام التي سيحصلون عليها من المحاكم الجزائرية سيرفض شمولها بالأمر بالتنفيذ من قبل المحاكم الاجنبية التي رفض القضاء الجزائري الإحالة اليها مما يضطرهم الى اعاده بدء الاجراءات من جديد في الخارج.اما في تونس فاتخذ القضاء التونسي تجاه الدفع بالإحالة موقفا مماثلا لموقف القضاء الجزائري ففي دعوى رفعت الى محكمه تونس المدنية عام ١٩٥٩ اثارت المدعى عليها الدفع بالإحالة في تاريخ سابق امام القضاء الفرنسي لم تقبل المحكمة هذا الدفع استنادا الى استقلال النظم القانونية يجعل اعماله يقتصر على حاله قيام ذات النزاع امام محكمتين وطنيتين مالم توجد اتفاقيه دولية تقضي بخلاف ذلك. وفي لبنان اعتمد القضاء اللبناني نفس الموقف المتخذ من قبل القضاء في تونس والجزائر فالدفع بالإحالة،وفقا"لهذا القضاء،لا يكون مقبولا لصالح محكمه اجنبية مرفوع اليها ذات النزاع مالم توجد اتفاقيه دوليه تجيزه وقد نصت بعض الاتفاقيات الثنائية المبرمة بين بعض الدول العربية على قبول الدفع بالإحالة المثار أمام محاكم احدى الدولتين المتعاقدتين بسبب قيام ذات الدعوى امام محاكم الاخرى، من ذلك الماده٢٠من الاتفاقية المبرمة بين سوريا ولبنان عام ١٩٥١، والمادة ١٩ من الاتفاقية المبرمة بين لبنان والاردن عام١٩٥٣ فهاتان المادتان تجيزان الدفع امام محاكم الدولة المرفوع اليها النزاع ثانية بالإحالة الى محاكم الدولة الاخرى المرفوع اليها ذات النزاع في تاريخ سابق.

اما في العراق فيمكن القول ان المشرع العراقي لم يتطرق للإحالة على صعيد الاختصاص القضائي الدولي وانما نظمه على المستوى الداخلي في قانون المرافعات المدنية ونعتقد بانه لا مانع من اعمال احكام الاحالة الموجهة في الاصل للنطاق الداخلي في مجال الاختصاص القضائي الدولي.

الخاتمة:

تعرضنا في هذه الدراسة إلى بحث فكرة الاحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية وبيّنا الحاجة الأكيدة على مستوى الاختصاص القضائي الدولي لهذه الفكرة، ويتضح ذلك من تبني التشريعات المقارنة والاتفاقيات الدولية للإحالة حرصا منها على النتائج الموضوعية التي توصل اليها، وخلال البحث توصلنا

٣٣ – د. هشام علي صادق، مصدر سابق، ص٧٢.

الى جملة من النتائج يتبعها بعض التوصيات نتمنى على المشرع العراقي اخذها بالاعتبار دعما لموقف المشرع العراقي من تنظيم احكام الموضوع محل الدراسة. ونتائج البحث تتمثل بالأمور الاتية:

١. ان فكرة الاحالة لقيام ذات النزاع تؤدي إلى توفير الوقت والنفقات بالنسبة للمتقاضين والقائمين على أداء مرفق العدالة كما يؤدي إلى صدور أحكام مضمونة التنفيذ على المستوى الدولي أي الحكم الذي يصدر يكون متمتعاً بقوة النفاذ ما دام أن المحكمة التي أصدرته هي الأقدر على حسم النزاع.
٢. يعد الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع أمام محكمة أجنبية من أهم الدفوع الإجرائية التي تثير الجدل في القانون الدولي الخاص، ولا يثير تحديد مركز الدفع بالإحالة في إطار القانون القضائي الدولي أية صعوبة، أذا كانت مثلا الدولة الاجنبية التي رفع النزاع أمام محاكمها أولا، والدولة الوطنية التي رفع ألنزاع أمام محاكمها أخيرا والتي يراد أبداء الدفع أمام محاكم كل منها مرتبط باتفاق دولي ثنائي أو جماعي ينظم تلك المسالة، فبالرجوع الى تلك النصوص الاتفاقية بشأن هذا الأمر سوف يزول كل لبس محتمل.
٣. كذلك لا تثور صعوبة تذكر أذا كان التشريع الوطني للدولة التي رفع ألنزاع أمام محاكمها أخيرا له موقف محدد وواضح من الدفع بالإحالة لقيام ذات ألنزاع أمام محكمة أجنبية إنما تبدو الصعوبة الحقيقية في الأنظمة القانونية الوضعية التي لم تضع تنظيماً قانونياً للمشكلة، ومن أمثلة تلك الأنظمة النظام القانوني المصري والنظام القانوني الفرنسي.
٤. ان الاعتراف بالأحكام الاجنبية يستتبع الاعتراف بالإجراءات القائمة امام محاكم الدول الاخرى ومن ثم قبول الدفع بالإحالة. وذلك حرصا من التشريعات الوطنية على عدم حدوث تنازع في الاجراءات، او تناقض في الاحكام ونزولا منها على مقتضيات التعاون القضائي الدولي.
٥. ان الانظمة القانونية الحديثة كالمشرع السويسري والمجري والايطالي من التشريعات التي استجابت لدواعي التطور ومقتضيات التعاون القضائي الدولي والعمل على حماية مصالح الافراد من خلال اقرارها الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية، واكد بذلك هجره لنظرة الشك التي كانت تتبعها النظم القضائية الاجنبية.
٦. على الرغم من عدم تنظيم المشرع العراقي لفكرة الاحالة في نطاق الاختصاص القضائي الدولي لا صراحة ولا دلالة الا ان النظام القانوني العراقي نظام متجاوب مع مقتضيات التعاون القضائي الدولي من خلال التزام العراق بعدة اتفاقيات للتعاون القضائي واعترافه بتنفيذ الاحكام الاجنبية في العراق وكذا اقراره لحق التقاضي في دستوره النافذ لعام ٢٠٠٥.

التوصيات:

في ضوء ما تم التوصل اليه من نتائج خلال البحث نجمل التوصيات في الامور الاتية:

١. نتمنى على المشرع العراقي ان يتولى تنظيم فكرة الاحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية وفقا لما ورد من تنظيم للموضوع في الانظمة القانونية الحديثة كالتشريع السويسري والمجري والايطالي والابتعاد عن اقتفاء أثر التشريع الفرنسي والمصري بالنسبة للتردد في معالجة هذا الموضوع.
٢. اعمام احكام المادة (٣٠) من القانون المدني العراقي من اجل ان تشمل جميع الحالات التي يظهر فيها أثر للتنازع سواء في إطار تنازع القوانين ام تنازع المحاكم اضافة الى ان ذلك يمنح القاضي فرص اوسع لتقدير ظروف كل قضية واختيار أفضل القوانين ملاءمة لحكمها.
٣. نقترح على السلطة التشريعية في العراق الاسراع بتصديق الاتفاقيات ذات الصلة بالقانون الدولي الخاص من اجل ايجاد معين يستقي منه المشرع العراقي رؤيته في تنظيم الاحالة لقيام ذات النزاع من خلال الاطلاع على اخر التطورات والانظمة الحديثة في العالم.
٤. نقترح الاستعانة بالخبرات المحلية والدولية في تنظيم احكام القانون الدولي الخاص العراقي في نصوص وتشريع مستقل عن احكام القانون المدني ليتسنى مواكبة ركب الحضارة في وضع الاحكام التفصيلية لميدان علاقات القانون الدولي الخاص اسوة بقانون الاثبات والقانون التجاري وقانون الشركات التي سبق وان كانت ضمن نصوص القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.

المصادر:

١- د. أبو العلى علي ابو العلا النمر، مقدمة في قانون الاجراءات المدنية الدولية، دار الكتب القانونية ف مصر، المحكمة الكبرى،,٢٠٠٣

٢-د.احمد ابو الوفا، نظرية الدفوع في قانون المرافعات، بدون مكان طبع، ط٦،,١٩٨٠

٣-د.احمد عبد الكريم سلامة، المختصر في قانون العلاقات الدولية الخاصة، دار النهضة العربية، القاهرة،,١٩٨٥

٤-د.احمد محمد مليحي، الاختصاص الفني والنوعي والمحلي للمحاكم والاحالة الى المحاكم المختصة، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة.

٥-د.ادم وهيب النداوي، المرافعات المدنية، مكتبة السنهوري، بغداد،,٢٠١٣

٦-د.أشرف عبد العليم الرفاعي، الاختصاص القضائي الدولي، بدون رقم طبعة، دار الكتب القانونية، مصر، المجلة الكبرى،,٢٠٠٦

٧-د.حفيظة السيد الحداد، الاختصاص القضائي الدولي وتنفيذ الاحكام الاجنبية واحكام التحكيم، الكتاب الثاني ط١، منشورات الحلبي،,٢٠٠٤

٨-د.جنان جاسم مشتت، الاحالة في الاختصاص القضائي الدولي (دراسة مقارنة)، رسالة ماجستير، الجامعة المستنصرية، كلية القانون ,٢٠٠٦

٩-د.علي ابو عطية هيكل، الدفع بإحالة الدعوى في قانون المرافعات، دار الجامعة الجديد للنشر، مصر،,٢٠٠٥

١٠-د.غالب الداوي، نظرية الاحالة في القانون الدولي الخاص، ط١، القاهرة،,١٩٨٨

١١-القاضي مدحت المحمود، شرح قانون المرافعات رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩ وتطبيقاته العلمية، ط٤، المكتبة القانونية بغداد،٢٠١١.

١٢-د.محمد الروبي، الدفع بالإحالة لقيام ذات النزاع امام محكمة اجنبية، ط٢، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،٢٠١٣.

١٣-د. ناصر عثمان ناصر، نحو توحيد قواعد الاجراءات المدنية الدولية في مجال علاقات الاسرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط٢٠١٢،١.

١٤-د.هشام علي صادق، القانون الدولي الخاص، دار المطبوعات الجامعية،٢٠٠٤.

الاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة على أعمال السلطة القضائية

العراقية-دراسة تحليلية نقدية في القانون ١٩ لعام ٢٠١٣-

The supervisory jurisdiction of the council of province on the actions of the judiciary -A critical analytic study in the law 19 of 2013-

د. علي سعد عمران القيسي [١] Dr. Ali S. O. Al-Qeisi

المستخلص

مما لاشك فيه ان المشرع يملك سلطة تقديرية في عملية تشريع القوانين، لكن ترد على عمل المشرع في هذا المجال قيود مهمة منه، أن لا يكون التشريع مخالفاً لمبدأ الفصل بين السلطات، وأن يكون محققاً للمصلحة العامة. غير ان هذا غير متحقق في القانون رقم ١٩ لسنة ٢٠١٣ الذي عدل قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم ذي الرقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨، وذلك عندما أعطى لمجلس المحافظة اختصاص الرقابة على أعمال السلطة القضائية، فيكون بذلك القانون قد وقع في حالة عدم الدستورية لمخالفة القانون للدستور العراقي لعام ٢٠٠٥،اضافة إلى تناقضه مع نصوص القوانين الاخرى في العراق، وهو ما نأمل من المشرع تداركه وتعديله.

Abstract

There is no doubt that the legislature has discretion in the process of law-making, but to respond to the work of the legislature in this area important limitations of it, that the legislation not be contrary to the principle

١ – جامعة كربلاء / كلية القانون.

of separation of powers, and that the investigators in the public interest. However, this is verified in Law No. 19 of 2013 which amended the governorates not organized in a region No. 21 of 2008 Act, and that when he gave to the provincial council jurisdiction of control over the work of the judiciary, so that the law has occurred in the absence of constitutional violation of the law of the Iraqi Constitution for 2005, in addition to its incompatibility with the provisions of other laws in Iraq, which is what I hope will be remedied by the legislature and modify it.

مقدمة عامة

فكرة موضوع البحث:

حينما يتجه المشرع في أي دولة إلى تبني نظام دستوري أو قانوني معين، فانه يحرص على إقامة توازن في هذا النظام المتبنى من خلال الاعتماد والتأكيد على المبادئ الأساسية التي تحكم هذا النظام، وبخلاف ذلك فانه ينتج نظام مشوه غير سوي يشوبه عدم الدقة في التنظيم مما سيؤثر على النتائج القانونية التي ستتولد عنه.

والمشرع العراقي اتجه في دستور ٢٠٠٥ إلى الجمع بين نظامي اللامركزية السياسية ونظام اللامركزية الإدارية، وبذلك يكون قد زاوج بين نظامين مختلفين من حيث النطاق والأسس التي يقوم عليها كل منهما، وهو ما أثر بالتالي على المشرع الاعتيادي حينما نظم فكرة اللامركزية الإدارية في قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم الصادر في عام ٢٠٠٨، فبمقتضى هذا القانون، نجد بان المشرع قد حاول أن يوجد تنظيماً تشريعياً متلائماً مع فكرة الدولة الاتحادية القائمة على اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية، غير إن ذلك التنظيم قد شابه الكثير من العيوب ومواطن الضعف وعدم الدقة في هذا المجال، ولذلك فقد توالت التعديلات التي طرأت على هذا القانون، غير انها هي الاخرى جاءت بما جاء به القانون من تعارضات وتناقضات مع المبادئ القانونية الحاكمة في هذا المجال. وكان من مصاديق ذلك إعطاء مجلس المحافظة الاختصاص بالرقابة على أعمال السلطة القضائية في حدود المحافظة استناداً إلى نص البند"سادساً"من المادة السابعة المعدلة بموجب قانون التعديل الثاني رقم ١٩ لسنة ٢٠١٣.

نطاق البحث:

ان بحثنا هذا سوف لن يتناول جميع ما جاء في قانون التعديل الثاني رقم ١٩ لسنة ٢٠١٣ لقانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨ وانما يتعلق فقط بجزء من المادة السابعة البند"سادساً"منها، وبالأخص اختصاص المجلس في الرقابة على أنشطة دوائر الدولة بما فيها السلطة القضائية. وتحليل ذلك من النواحي الدستورية والقانونية.

إشكالية البحث:

تظهر اشكاليات البحث من نواحٍ متعددة، نوضحها بالآتي:

١. حدد المشرع الدستوري المركز القانوني لمجلس المحافظة بأن يمارس عمله وفق اللامركزية الإدارية، غير ان النص الدستوري قد خالف هذا المركز القانوني وكذلك فعل المشرع الاعتيادي حينما منحه اختصاصات لاتنسجم ومركزه القانوني والتي منها الرقابة على السلطة القضائية بعد ان كانت مستثناة منها قبل التعديل الذي تم في عام ٢٠١٣.

٢. ان الاختصاص المذكور في أعلاه اضحى متعارضاً مع مبدأ علوية الدستور ولاسيما في جانبه الموضوعي، وبذلك سيهدر هذا المبدأ الدستوري.

٣. ان الاختصاص، محل البحث، الممنوح لمجلس المحافظة، يؤكد غياب المفهوم الصحيح لكل من نظامي اللامركزية السياسية واللامركزية الإدارية عند المشرع العراقي.

منهجية البحث:

سنعتمد في بحثنا على المنهج التحليلي للنصوص الدستورية والقانونية التي وضعها المشرع العراقي، مع الأخذ بالمنهج الاستقرائي للتنظيم القانوني العراقي من خلال تتبع الجزئيات للوصول إلى حكم كلي وهو جوهر المنهج الاستقرائي.

تقسيم البحث:

سنقسم هذا البحث على مبحثين ووفق الآتي:

المبحث الأول: مفهوم الاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة.

المبحث الثاني: نظرة تحليلية في رقابة مجلس المحافظة على أعمال السلطة القضائية.

ثم نردف ذلك بخاتمة نثبت فيها أهم النتائج المستخلصة من البحث والتوصيات التي نراها.

المبحث الأول: مفهوم الاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة

لقد أناط قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لعام ٢٠٠٨ المعدل، بمجلس المحافظة مجموعة من الاختصاصات، التي يفترض أن تمارس وفق مبدأ اللامركزية الإدارية[٢] كما صرح الدستور بذلك في المادة (١٢٢/ثانياً) التي يجري نصها على أن (تمنح المحافظات التي لم تنتظم في إقليم الصلاحيات الإدارية والمالية الواسعة. بما يمكنها من إدارة شؤونها على وفق مبدأ اللامركزية الإدارية. وينظم ذلك

٢– من الضروري الاشارة إلى وجود اختلاف جوهري بين نظامي اللامركزية الإدارية الإقليمية واللامركزية السياسية، فالأول يتعلق بتوزيع الاختصاصات الإدارية مابين الإدارة المركزية والهيئات المحلية وعلى ذلك فإن هذا التوزيع يتعلق باختصاصات واحدة من هيئات الدولة وهي التنفيذية وذلك في وظيفتها الإدارية فقط، وهو نظام معتمد في الدول الاتحادية والبسيطة في تركيبها الدستوري. أما الثاني فإنه يتعلق بتوزيع الاختصاصات السياسية لهيئات الدولة الثلاث (التشريعية، التنفيذية والقضائية) فيما بينها والوحدات الاقليمية للدولة وهو ماينتج عنه ازدواج السلطات السياسية الحاكمة في الدولة وهو نظام لايعتمد، بصورة عامة، الا في الدول الاتحادية. لمزيد من التفاصيل ينظر: د. إبراهيم عبد العزيز شيحا: النظم السياسية –الدول والحكومات–، الاسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٣، ص ١٨٨–١٨٩، د. داود الباز: اللامركزية السياسية الدستورية في دولة الإمارات العربية المتحدة، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٠، ص ٤٨ ومابعدها. د. كريم كشاكش: التنظيم الإداري المحلي –المركزية واللامركزية– ط١، عمان، ١٩٩٧، ص ٥٥ ومابعدها.
G. Lescuyer: Les Perspectivs Actuelles De La Decontralisation Territo Riale، Revue Al-Ulum Al-Qanuniya Wal-Iqtisadiya، 8em Annee، No.1، 1966، P. 42-43.

بقانون)، وهذه الاختصاصات التي نظمها المشرع لاتخرج عن كونها اختصاصات تشريعية[٣] وإدارية"تنفيذية"[٤] ورقابية. وبما ان الاختصاص الاخير هو الذي يدخل في ميدان بحثنا لذا سنوضحه دون سواه وذلك من حيث التعريف به في المطلب الاول، ثم سنعرج في المطلب الثاني على التنظيم القانوني له في المطلب الثاني.

المطلب الأول: التعريف بالاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة

سنعمد في هذا المطلب إلى بيان مفهوم مجلس المحافظة ومركزه الدستوري والقانوني، لاسيما بعد التعديل الاخير للقانون في عام ٢٠١٣، وذلك في الفرعين الآتيين.

الفرع الأول: تعريف مجلس المحافظة

من متطلبات نظام اللامركزية الإدارية الإقليمية، أن تقام مجالس مستقلة تعمل على إشباع الحاجات المحلية مع خضوعها في عملها إلى رقابة السلطة الإدارية المركزية[٥]، ولذلك فان هذه المجالس المحلية تعد جسداً متكاملاً في الدول المعاصرة وتشكل كياناً ذاتياً له مضمون واقعي ومفهوم قانوني له خصائص ومقومات ووظائف وصلاحيات[٦]، لذا فقد عرفها بعض الفقهاء بأنها تنظيمات إدارية تمارس اختصاصاتها على أساس إقليمي محلي يتخصص هذا التنظيم في شؤون إقليم من أقاليم الدولة وعلى مستوى مصالحه المحلية وبالنسبة لمجموعة الأفراد الذين يرتبطون بهذا الإقليم[٧]، أو هي هيئات تتمتع بنوع من الاستقلال في مواجهة السلطة المركزية، يعهد إليها إدارة المصالح المحلية، وذلك بأن يترك لها أمر الوفاء بالحاجات العامة المحلية، أي القاصرة من حيث الإفادة منها على أفراد إقليم معين من بين أقاليم الدولة[٨]، ولعل هذه بعض الاتجاهات الفقهية في تعريف المجلس المحلي الذي يعد مجلس المحافظة من مصاديقه في العراق.

أما بالنسبة للمشرع العراقي فقد ذهب الى تعريف مجلس المحافظة في قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لعام ٢٠٠٨ المعدل بانه (أولاً: مجلس المحافظة: هو السلطة التشريعية والرقابية في المحافظة

٣- وذلك وفقاً لنص المادة الثانية من القانون أعلاه والتي تقضي بان (أولاً: مجلس المحافظة: هو السلطة التشريعية والرقابية في المحافظة وله حق اصدار التشريعات المحلية....). والمادة السابعة من القانون ذاته التي بينت بان من مختصات المجلس المذكور هو (ثالثاً: اصدار التشريعات المحلية والأنظمة والتعليمات..).

٤- وهذا الاختصاص نظمه المشرع في المادة السابعة في البنود (أولاً، رابعاً. خامساً، سابعاً، ثامناً/٥، تاسعاً، عاشراً، احد عشر، ثاني عشر- سابع عشر). وهي تشتمل على صلاحيات إدارية بما فيها ممارسة اختصاصات ضبط إداري. على إن هذه الاختصاصات ليست حصرية للمجلس، فقد قضى البند (سابع عشر) من المادة السابعة بان للمجلس (ممارسة أية اختصاصات أخرى منصوص عليها في الدستور أو القوانين النافذة).

٥- ينظر في ذلك: G. Lescuyer،OP. Cit. P. 44-46 :

٦- ينظر في ذلك إلياس إنطوان الياس وادوار الياس: القاموس العصري (عربي ، إنكليزي) ، الطبعة التاسعة ، المطبعة العصرية ، القاهرة، ١٩٥٤، ص٦٩٣.

٧- د. نواف كنعان: القانون الإداري الأردني ، الكتاب الأول ، الطبعة الثالثة ، عمان ، ١٩٩٦ ، ص١٣٨.

٨- د. عصام عبد الوهاب البرزنجي، د. علي محمد بدير، د. مهدي ياسين السلامي: مبادئ وأحكام القانون الإداري ، بغداد ،١٩٩٣، ص١٢٣ ، ١٢٦.

وله حق إصدار التشريعات المحلية بما يمكنه من إدارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الإدارية بما لا يتعارض مع الدستور والقوانين الاتحادية التي تندرج ضمن الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية.)[٩].

ويتضح من النص أعلاه ان المشرع قد أورد تعريفا لمجلس المحافظة، غير إن هذا التعريف ترد عليه بالملاحظتين الاتيتين:

١. لقد منح المشرع لمجلس المحافظة سلطة التشريع وهو مايتعارض وأحكام الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ ولاسيما نص المادة (١٢٢/ثانياً) التي تقضي بأن (تمنح المحافظات التي لم تنتظم في إقليم الصلاحيات الإدارية والمالية الواسعة، بما يمكنها من إدارة شؤونها على وفق مبدأ اللامركزية الادارية، وينظم ذلك بقانون) وبذلك فان النص الدستوري لم ينص على منح مجلس المحافظة سلطات تشريعية ذلك لأنها تعمل على وفق مبدأ اللامركزية الإدارية وليس اللامركزية السياسية، وعليه فان المشرع قد جاء ببدعة تشريعية في هذا المجال[١٠]. وان كنا نتفق مع الرأي المتقدم، غير ان سلطة التشريع هذه، بحسب وجهة نظرنا، لاتتعدى الاختصاص بإصدار القرارات الإدارية التنظيمية فقط دون أن تمتد لإصدار القوانين، وهو مايتطلبه إدارة الشؤون وفق مبدأ اللامركزية الإدارية[١١]، كما ان الاختصاص بتشريع القوانين راجع الى السلطة التشريعية الاتحادية ممثلة بمجلس النواب استناداً الى نص المادة (٦١) من الدستور التي بينت بان من مختصات المجلس (أولاً – تشريع القوانين الاتحادية.) هذا من جهة ومن جهة ثانية فان نص المادة الثانية من القانون المذكور قد ألزم مجلس المحافظة بان لايصدر أي تشريع محلي يتعارض مع القانون الاتحادي في المسائل التي تندرج ضمن الاختصاصات الحصرية للسلطات الاتحادية، وهذا يعني ان التشريع المحلي الصادر وفقاً لمبادئ اللامركزية الإدارية يبقى في مرتبة أدنى من القانون الاتحادي[١٢]. وكنا نأمل لو ان المشرع قد اسقط عبارة"التشريع المحلي"لإثارته اللبس

٩– وذلك بحسب نص المادة الثانية من القانون أعلاه. وكانت هذه المادة تنص قبل تعديلها في عام ٢٠١٣ على الاتي(أولاً: مجلس المحافظة: أعلى سلطة تشريعية ورقابية ضمن الحدود الإدارية للمحافظة لها حق إصدار التشريعات المحلية في حدود المحافظة بما يمكنها من إدارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الإدارية بما لا يتعارض مع الدستور والقوانين الاتحادية).

١٠– ينظر في ذلك د.غازي فيصل مهدي: نصوص قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨ في الميزان ، بغداد ،٢٠٠٨، ص١٤٦.

١١– د. محمود محمد حافظ: القرار الإداري، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع، ص ٦.

١٢– وفي ذلك تقول المحكمة الاتحادية العليا في قرارها الصادر بالعدد ٦٧/اتحادية/٢٠١٣ وبتاريخ ٢٠١٤/٨/١٩ (.. وحيث ان لمجالس المحافظات حق إصدار التشريعات المحلية في حدود المحافظة بما يمكنها من إدارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الإدارية بما لايتعارض مع الدستور والقوانين الاتحادية..، وحيث إن مجلس محافظة ميسان أصدر قراره المرقم (٧٦) في (٢٠١٢/١٠/١٧) بتخصيص مبلغ قدره خمسة وعشرون مليون دينار سنوياً للنادي الرياضي من واردات منفذ الشيب الحدودي وحيث ان المادة (سادساً) من قانون الموازنة العامة الاتحادية لجمهورية العراق للسنة المالية ٢٠١٢ قد قضت على تخصيص الايرادات المتحققة فعلاً من المنافذ الحدودية (البرية والبحرية والجوية) بما فيها الإيرادات السيادية خلال سنة (٢٠١١) إلى موازنة المحافظات الحدودية كلاً حسب الإيرادات المتحققة فعلاً في المنافذ الحدودية التابعة لكل محافظة. لذا يكون القرار الصادر من مجلس محافظة ميسان بالعدد (٧٦) لسنة ٢٠١٢ مخالفاً للقانون الاتحادي (قانون الموازنة العامة الاتحادية لجمهورية العراق للسنة المالية ٢٠١٢) ومخالفاً للفقرة (ثالثاً) من المادة (١١٠) من دستور جمهورية العراق لعام ٢٠٠٥ والتي جعلت رسم السياسة المالية والكمركية وإصدار العملة وتنظيم السياسة التجارية عبر حدود الاقاليم والمحافظات في العراق ووضع الميزانية العامة للدولة من الاختصاصات الحصرية للسلطة الاتحادية... لذا وللأسباب المتقدمة يكون القرار الصادر من مجلس محافظة ميسان... مخالفاً لقانون الموازنة الاتحادية... والمادة (١١٠/ثالثاً) من دستور جمهورية العراق مما يقتضي التصدي له وإلغائه....)."القرار غير منشور".

والغموض والابقاء على سلطة المجلس في اصدار الانظمة والتعليمات الواردة في المادة (٧/ثالثاً) من القانون.

٢. بما أن مجلس المحافظة يتكون لغرض إشباع الحاجات المحلية التي هي علة وجوده، فانه بذلك يعد مجلساً خدمياً[١٣]، غير ان النص المتقدم الوارد في قانون المحافظات قد أغفل ذكر ذلك عند تعريفه لمجلس المحافظة، بل ولم يذكر ذلك في القانون عند صدوره في عام ٢٠٠٨ الا بعد التعديل الثاني الذي تم في عام ٢٠١٣ ولمرة واحدة وبعبارة واحدة فقط، وذلك بمقتضى نص المادة (٧/أحد عشر) بصدد بيان اختصاصات المجلس، التي جاء فيها (تخصيص ملكية الاراضي العائدة للوزارات... لغرض اقامة المشاريع الخدمية والعمرانية في المحافظة..).

الفرع الثاني: المركز الدستوري والقانوني لمجلس المحافظة

مما لاشك فيه ان تبني نظام اللامركزية الإدارية الاقليمية"الإدارة المحلية"يتأثر بمختلف الاعتبارات السياسية والاجتماعية والفلسفية التي تعتنقها الدولة، كما ان الاعتبارات الجغرافية والتكنولوجية تلعب دوراً هاماً في هذا الميدان[١٤]. ورغم ذلك تبقى المجالس المحلية جزءً من أجهزة الدولة"التنفيذية"ولايسوغ بحال من الأحوال تغيير وضعها القانوني هذا. وهنا يأتي دور المشرع ليتولى وضع الضوابط القانونية التي تتكفل ببان الأسس العامة وتفاصيل اختصاصات المجالس المحلية[١٥] وبالتالي بيان مركزها القانوني.

والسؤال الذي يطرح هنا عن المركز القانوني لمجلس المحافظة في العراق؟

في معرض الإجابة عن السؤال المتقدم لابد لنا من بيان الامور الآتية:

أولاً – لقد أوضح الدستور في المادة (١٢٢/ثانياً) بأن (تمنح المحافظات التي لم تنتظم في إقليم الصلاحيات الإدارية والمالية الواسعة، بما يمكنها من إدارة شؤونها على وفق مبدأ اللامركزية الادارية...). وبذلك يتضح ان الدستور قد أعتنق نظام اللامركزية الإدارية الإقليمية، غير إن الدستور قد خرج سريعاً عن تبني هذا النظام، وكما هو مطبق في دول العالم، حينما نص في المادة ذاتها البند (خامساً) على أن (لايخضع مجلس المحافظة لسيطرة وإشراف أية وزارة أو أية جهة غير مرتبطة بوزارة...). وبهذا يكون الدستور قد أزال أحد الأسس التي يقوم عليها نظام اللامركزية الإدارية والمتمثل بضرورة خضوع الهيئات المحلية لرقابة السلطة الإدارية المركزية ليقيم بذلك نظاماً مشوهاً لايصح وصفه باللامركزية الادارية((١٦)).

١٣– بهذا المعنى ينظر د. محمد عبد الله العربي: نظم الإدارة المحلية، مجلة القانون والاقتصاد، س٢٩، ع٢، جامعة القاهرة، ١٩٥٩، ص ٣٧٣.

١٤– للتفاصيل ينظر د. مصطفى محمد موسى: التنظيم الإداري بين المركزية واللامركزية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢، ٤٣ ومابعدها.

١٥– د. سليمان محمد الطماوي: أهم المشكلات التي تواجه البلديات في العالم العربي والحلول المناسبة لها، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، س١٢، ع٢، جامعة عين شمس –كلية الحقوق، ١٩٧٠، ص ٥٨٣، ٥٨٤. د. شاب توما منصور: القانون الإداري ، الكتاب الأول ، الطبعة الأولى ، جامعة بغداد ، ١٩٧٩ . ١٩٨٠، ص ١٢٣.

١٦– د. غازي فيصل مهدي: نظاما الفيدرالية واللامركزية في دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥، مجلة التشريع والقضاء، ع١، بغداد، ٢٠٠٩، ص ٢٤.

ليبقى بذلك مجلس المحافظة خاضعاً لرقابة السلطة التشريعية الاتحادية ممثلةً بمجلس النواب((١٧)) دون خضوعه لرقابة السلطة التنفيذية الاتحادية. ولعل هذا مايتعارض والاصول التنظيمية السليمة للامركزية الإدارية التي تقضي بان تكون الحكومة في نهاية الأمر مسؤولة أمام البرلمان عن جميع أنواع الخدمات العامة التي تقدم إلى المواطنين، سواء كانت هذه الخدمات مركزية أم محلية، وهذا مايتطلب إعمال الرقابة من الحكومة على أعمال المجالس المحلية((١٨)). ذلك ان استقلال هذه المجالس المحلية لايعد استقلالاً سياسياً وانما هو فقط استقلال ذاتي في اشباع الحاجات المحلية((١٩))، بحيث يكون للمجالس حق البت في جانب من الاختصاصات ذات الصبغة الإدارية المحددة في القانون واصدار القرارات المناسبة بشأنها لإشباع الحاجات المحلية((٢٠))، مع خضوعها في ذلك إلى رقابة السلطة الإدارية المركزية بوصف الأخيرة القائمة على تنفيذ السياسة العامة للدولة لكي يضمن عدم تعارض السياسات المحلية مع السياسة العامة للدولة((٢١)).

ثانياً – جاء في المادة (١٢٣) من الدستور النص الآتي (يجوز تفويض سلطات الحكومة الاتحادية للمحافظات، أو بالعكس، بموافقة الطرفين، وينظم ذلك بقانون.). وهذا النص محل انتقاد من عدة جهات: فمن الجهة الأولى تفويض الاختصاص((٢٢)) في ميدان القانون العام يكون من جهة إدارية عليا إلى جهة إدارية دنيا دون العكس، فيقوم الرئيس الإداري بتفويض أحد مرؤوسيه أو تقوم هيأةً أو مجلس ما بتفويض رئيسها جزءً من الاختصاصات المنظمة في القانون بناءً على قناعة واختيار، أما تفويض الاختصاص بناءً على اتفاق جهتين إداريتين فهو غير مستساغ في العمل الإداري. ومن جهة ثانية تفويض الاختصاص لايكون الا جزئياً أما التفويض الكلي فهو غير وارد لأنه يعد تنازلاً عن ممارسة الاختصاصات، وإن حدث التفويض الكلي من جانب مجلس المحافظة للحكومة الاتحادية، فما هي الحاجة إلى وجوده بعد ذلك؟ فلن يكون أمامه سوى أن يحل نفسه لأنه سيكون بدون اختصاص[٢٣]. ومن جهة ثالثة نجد ان النص الدستوري المتقدم يشوبه التعارض مع نص المادة (١١٠) من الدستور التي حددت وعلى سبيل الحصر اختصاصات السلطات الاتحادية فكيف يسوغ للأخيرة أن تفوض هذه

١٧– وذلك بحسب نص المادة الثانية من قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم البند (ثالثاً) الذي يقضي بان (تخضع المجالس لرقابة مجلس النواب). فضلا عن خضوع مجلس المحافظة لرقابة ديوان الرقابة المالية وفروع الهيئات المستقلة المشكلة بموجب أحكام الدستور بحسب المادة (٤٧) من القانون ذاته وخضوعه أيضاً للرقابة القضائية.

١٨– د. سليمان محمد الطماوي: المصدر السابق، ص ٥٨٤. من الضروري الإشارة بان الوزير لايسأل عن أعمال الهيئات الإدارية المستقلة كرئيس إداري لها بل يسأل سياسياً عن استعمال أو عدم استعمال سلطة الاشراف والرقابة إزاءها. د. كريم كشاكش: المصدر السابق، ص ٤٢.

١٩– د. عصام عبد الوهاب البرزنجي واخران: مصدر سبق ذكره، ص ١٢٧.

٢٠– د. شاب توما منصور: المصدر السابق، ص ٨٧ – ٨٨.

٢١– د. مصطفى محمد موسى: المصدر السابق، ص ٨٢.

٢٢– حول تفويض الاختصاص ينظر: د. صبري محمد السنوسي: ركن الاختصاص في القرار الإداري الكويتي والرقابة القضائية عليه ، مجلة الحقوق ، السنة ٣١ ، العدد ٤ ، جامعة الكويت ، ٢٠٠٧ ، ص٩٩ ومابعدها. مروان محمد محروس: تفويض الاختصاص التشريعي –دراسة دستورية مقارنة–، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد –كلية القانون، ٢٠٠٠، ص ٣٣ ومابعدها.

٢٣– لقد ورد النص على جواز قيام مجلس المحافظة بحل نفسه في المادة (٢٠/أولاً) من قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم. وهو مايسمى بالحل الذاتي.

الاختصاصات الاتحادية الحصرية الى جهات محلية خاضعة لنظام اللامركزية الادارية؟[٢٤]. ان هذا النص جاء متعارضاً في مضمونه مع النصوص الدستورية الاخرى وكذلك مع المبادئ القانونية العامة التي تنظم اللامركزية الإدارية وقواعد تفويض الاختصاص في القانون العام.

ثالثاً – لقد منح قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم بعد تعديله بموجب القانون (١٩) في عام ٢٠١٣، مجلس المحافظة الشخصية المعنوية، فورد في المادة الثانية منه الآتي (ثانياً: تتمتع المجالس[٢٥] بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي ويمثلها رئيسها أو من يخوله). ثم أورد المشرع في نص المادة (٢٢) بان (لكل وحدة ادارية[٢٦] شخصية معنوية، واستقلال مالي واداري...). ولنا على النصين المتقدمين الملاحظات الآتية:

١. ان الاضافة الجديدة التي جاء بها قانون التعديل الثاني في عام ٢٠١٣ بإضفائه الشخصية المعنوية على مجلس المحافظة، لهي محل نظر وتأمل، ذلك لأن المقرر في ميدان اللامركزية الإدارية الاقليمية أن الشخصية المعنوية لاتمنح الا إلى الوحدات الإدارية وكما نص عليها المشرع في المادة (٢٢) في أعلاه، أما المجالس المحلية –أياً كانت تسميتها– فلا تمنح هذه الشخصية القانونية، ويترتب على ذلك إن حل هذه المجالس – في حال منح الشخصية المعنوية للوحدات الإدارية دون المجالس التي تمثلها– سوف لن يؤثر على حياة واستمرارية الوحدات الإدارية، والحكم ذاته في حال انتهاء العضوية في هذه المجالس لأي سبب كان[٢٧]. أما اتجاه مشرعنا فهو يؤدي الى نتائج معاكسة تماماً لما هو مستقر عليه من مبادئ اللامركزية الادارية الاقليمية.
٢. بعد أن أسبغ المشرع الصفة القانونية على المحافظة ومجلسها كما هو موضح في أعلاه، عاد وقرر منحهما الاستقلال المالي، والإداري بالنسبة للوحدة الادارية، وهذان النصان لانؤيد المشرع بخصوصها ونعدها تزيد في الأحكام ليس الا، ذلك لأن من النتائج القانونية التي تترتب على منح الشخصية المعنوية هو الاستقلال المالي والإداري لأنها ستصبح أهلاً لاكتساب الحقوق والالتزام بالواجبات[٢٨].

وفي ضوء ماتقدم يتضح لنا ان المشرع قد أقام نظاماً خاصاً للامركزية الإدارية غير متفق مع الأصول العامة في هذا المجال، فكان مجلس المحافظة بذلك في مركز متناقض مع مبادئ اللامركزية الإدارية واللامركزية السياسية، وان كان الدستور قد المح إلى إنه سيمارس عمله وفق مبادئ اللامركزية الإدارية.

٢٤– ينظر في ذلك د. غازي فيصل مهدي: نظاما الفيدرالية واللامركزية، المصدر السابق، ص ٤٣–٥٢.

٢٥– يقصد بالمجالس: مجلس المحافظة ومجلس القضاء ومجلس الناحية، وذلك بدلالة المادة الاولى من القانون أعلاه البنود (ثالثاً، رابعاً، خامساً).

٢٦)– يقصد بالوحدة الإدارية: المحافظة– القضاء– الناحية. بحسب نص البند (سادساً) من المادة الاولى من القانون أعلاه.

٢٧– د. بكر القباني: القانون الإداري في الخليج العربي، مجلة القانون والاقتصاد للبحوث القانونية والاقتصادية، جامعة القاهرة –كلية الحقوق، س٤٦، ع٣–٤، ١٩٧٦، ص ٢٢١ – ٢٢٣، ٢٢٦. د. عثمان خليل عثمان: التنظيم الإداري في الدول العربية، القاهرة، منشورات معهد الدراسات العربية، ١٩٥٧، ص ٢٤٢.

٢٨– ينظر في عرض هذه النتائج د. شاب توما منصور: المصدر السابق، ص ٧٤ – ٧٦، ٩٠.

المطلب الثاني: التنظيم القانوني للاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة

يقصد بالرقابة في فقه القانون العام مجموعة السلطات التي تستعملها الدولة بقصد ضمان احترام القانون من جانب المنظمات الخاصة، أو حماية الصالح العام في هذا المجال دون أن يكون لها الحق في الامتناع عن ذلك[٢٩].

فإذا كانا أمام حقيقة قانونية مسلم بها والمتمثلة بتأثر التنظيم الإداري في أي دولة بنظام الحكم الذي تبنته نصوص الدستور[٣٠] فان تنظيم اللامركزية الإدارية الإقليمية سوف لن يغيب عنه عامل التأثير هذا، لاسيما وان الطبقة السياسية الحاكمة ستظهر إرادتها في التنظيم الإداري بالأدوات القانونية المتاحة لها من دستور وتشريعات اعتيادية[٣١]. وبإلقاء نظرة على نصوص الدستور العراقي نلحظ بانه لم يمنح مجلس المحافظة سلطة الرقابة بصورة صريحة، ولكن من الممكن أن نفهم هذا الاختصاص ضمناً لمجلس المحافظة وذلك من خلال نص المادة (١٢٢) سابق الذكر الذي منح المحافظات التي لم تنتظم في اقليم الصلاحيات الادارية والمالية الواسعة بما يمكنها من ادارة شؤونها على وفق مبدأ اللامركزية الادارية والذي يجب أن ينظم بقانون، وبالفعل صدر قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم وعد مجلس المحافظة السلطة الرقابية في المحافظة بمقتضى نص المادة الثانية منه، وكذلك نصت المادة السابعة، البند"سادساً"، منها على اختصاص مجلس المحافظة بالرقابة على جميع أنشطة دوائر الدولة في المحافظة لضمان حسن اداء عملها.

ومما هو جدير بالذكر إن نطاق الاختصاص الرقابي هذا لايمكن أن يمتد إلى المرافق والأنشطة المحلية جميعها ضمن الحدود الإدارية في المحافظة، وإلا كان ذلك اعترافاً من المشرع بالاستقلال الكامل للوحدة الإدارية، بل لابد من التحديد التشريعي للمرافق والمصالح التي تختص السلطات المحلية بإدارتها ومراقبتها[٣٢].

وعلى ذلك سنبحث في رقابة مجلس المحافظة على الهيئات الإدارية المحلية وعلى الهيئات القضائية. في فرعين مستقلين.

الفرع الأول: الرقابة على الهيئات الإدارية المحلية

كما أشرنا سلفاً، ان المادة السابعة في بندها"سادساً"قضت باختصاص مجلس المحافظة بالرقابة على جميع أنشطة دوائر الدولة في المحافظة لضمان حسن اداء عملها.

ولكي يتسنى للمجالس المحلية من ممارسة دورها الرقابي على أتم وجه تعمد إلى تقسيم أعضائها إلى لجان تخصصية دائمة تراعي في تشكيلها تخصص أعضاؤها للاستفادة من مزايا التخصص وتقسيم العمل الذي يوفره نظام اللجان، إضافة إلى تشكيل لجان مؤقتة أو الاستعانة بذوي الكفاءات والكوادر الفنية

٢٩– د. بكر القباني: الوصاية الإدارية، مجلة القانون والاقتصاد للبحوث القانونية والاقتصادية، جامعة القاهرة –كلية الحقوق، س ٥٢، ١٩٨٢، ص٤٩.

٣٠– د. عثمان خليل عثمان: المصدر السابق، ص ٣٣.

٣١– د. مصطفى محمد موسى: مصدر سبق ذكره، ص ٤٧.

٣٢– ينظر بهذا المعنى د. محمد عبد الله العربي: مصدر سابق، ص ٣٧٧ ومابعدها.

المتخصصة عندما يتطلب العمل الرقابي ذلك[٣٣]. ومجلس المحافظة في رقابته للهيئات الإدارية المحلية فان رقابته هذه أما أن تتحقق على الرؤساء الإداريين أو تمتد إلى للمجالس المحلية الأخرى، وكالآتي:

أولاً: رقابة مجلس المحافظة على الرؤساء الإداريين: نقصد بالرؤساء الإداريين في مورد بحثنا هذا كل من المحافظ وأصحاب المناصب العليا الوارد ذكرهم في قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم. فبالنسبة للمحافظ نجد بان القانون عرف المحافظ في المادة (٢٤) بان (يعد المحافظ الرئيس التنفيذي الأعلى في المحافظة...) وقد خول القانون المحافظ صلاحية الوزير المختص في اتخاذ الإجراءات القانونية والإدارية بحق موظفي الدولة العاملين في المحافظة[٣٤]، وقد عدد القانون في المادة (٣١) منه صلاحيات المحافظ بصفته المتقدمة والتي بمطالعتها يتضح ان من هذه الصلاحيات ما يدخل في الجانب الأعمال الإدارية والضبطية والرقابية أيضاً. ومن خلال هذه الصلاحيات التي يتمتع بممارستها المحافظ ستنصب رقابة مجلس المحافظة على أعمال المحافظ، فأوضحت المادة (٧/ثامناً) بان مجلس المحافظة له (١- استجواب المحافظ... بناءً على طلب ثلث اعضائه وعند عدم قناعة الاغلبية البسيطة بأجوبة المستجوب يعرض للتصويت على الاقالة في جلسة ثانية ويعتبر مقالاً بموافقة الاغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس...) على إن الطلب المقدم بإقالة المحافظ أو إذا توصل المجلس، على أثر استجوابه، بتقديم التوصية بإقالته فان مثل هكذا طلب لابد وأن يستند على أحد الأسباب التي حصرها القانون بالآتي:

أ- عدم النزاهة أو استغلال المنصب الوظيفي.

ب- التسبب في هدر المال العام.

ج- فقدان احد شروط العضوية.

هـ - الاهمال او التقصير المتعمدين في اداء الواجب والمسؤولية[٣٥].

أما بالنسبة لأصحاب المناصب العليا فقد اتجه قانون المحافظات في البداية إلى تعريف المناصب العليا بانها"المدراء العامون ورؤساء الأجهزة الأمنية في المحافظة ولا تشمل –أي المناصب العليا- رؤساء الجامعات والقضاة وقادة الجيش."، وذلك وفقاً لنص المادة الأولى من القانون، وما أن جاء التعديل الثاني لقانون المحافظات في عام ٢٠١٣ حتى تغير تعريف المناصب العليا، فقد قضت المادة ذاتها البند (ثامناً) بانه يقصد بالمناصب العليا (المديرون العامون ومديرو الدوائر ورؤساء الأجهزة الأمنية في حدود المحافظة.)، ويتضح من النصين ان المشرع قد عمد إلى إلغاء الاستثناء الذي سبق وان أورده ابتداءً، والنتيجة التي تترتب على هذا الاتجاه التشريعي –غير الدقيق- ان الفئات المستثناة سابقاً ستكون داخلة ضمن وصف المناصب العليا وبالتالي ستمتد اليهم رقابة المجلس فضلاً عن ترشيحهم لمناصبهم من المجلس

٣٣- د. محمد محمد بدران: الحكم المحلي في المملكة المتحدة ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٩١، ص٤٧٣.

٣٤- وذلك بحسب البند (ثامناً) من المادة (٣١) بعد تعديلها بموجب قانون التعديل الثاني رقم ١٩ لعام ٢٠١٣. ولم يكن هذا النص موجود في أصل القانون.

٣٥- لقد نصت المادة أعلاه ذاتها والبند نفسه في الفقرة (٢) على أن (لمجلس النواب اقالة المحافظ بالأغلبية المطلقة بناءً على اقتراح رئيس الوزراء لنفس الاسباب المذكورة اعلاه.) وهذا يعني ان المحافظ سيكون في حالة ازدواج في مسؤوليته، تارةً أمام مجلس المحافظة وتارةً أخرى أمام مجلس النواب.

ذاته وليس من الجهات التي يفترض أن ينتمون إليها وظيفياً[٣٦]. وقد أشار القانون بان من مختصات مجلس المحافظة إعفاء اصحاب المناصب العليا في المحافظة وذلك بالأغلبية المطلقة لأعضاء مجلس النواب بناءً على طلب خمس عدد أعضائه أو بناءً على اقتراح من المحافظ[٣٧]، ويكون الاعفاء هذا مستنداً على أحد الاسباب الواردة في أعلاه والتي اشرنا إليها فيما يتعلق بالمحافظ[٣٨].

ثانياً: رقابة مجلس المحافظة على المجالس المحلية: يقصد بالمجالس المحلية مجالس الاقضية والنواحي بحسب نص المادة الاولى البند"رابعاً"من قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم. وبما ان القانون، وكما أشرنا سلفاً، عد مجلس المحافظة هو السلطة التشريعية والرقابية في المحافظة، فإن المشرع بذلك يكون قد منح مجلس المحافظة سلطة الرقابة والأشراف على المجالس المحلية في القضاء والناحية، وتتجلى صورة هذه الرقابة بإناطة المشرع بمجلس المحافظة اقوى أداة قانونية في مواجهة المجالس المحلية، وهو سلاح الحل وبذلك يكون قد ضمن لمجلس المحافظة رقابة فاعلة على جميع المجالس المحلية ضمن الحدود الجغرافية للمحافظة. والقاعدة المقررة في الدول الديمقراطية تتمثل بجواز حل المجالس المحلية على النحو المقرر بالنسبة إلى المجالس النيابية[٣٩]، وعلى ذلك نص القانون على إن (لمجلس المحافظة حل المجالس المحلية بالأغلبية المطلقة لعدد أعضائه بناء على طلب من القائمقام بالنسبة لمجلس القضاء أو مدير الناحية بالنسبة لمجلس الناحية)[٤٠]، على إن هذا الحل لايتم مالم تتحقق احد الأسباب التي تعد مخالفات قانونية تستوجب الحل وهي:

١. الإخلال الجسيم بالإعمال والمهام الموكلة إليه.
٢. مخالفة الدستور والقوانين.
٣. فقدان ثلث الأعضاء لشروط العضوية[٤١].

٣٦– بينت المادة (٧/تاسعاً) بان من اختصاصات مجلس المحافظة (١– الموافقة على تعيين أصحاب المناصب العليا في المحافظة بالأغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس، بعد أن يتم ترشيح ثلاثة أشخاص من قبل المحافظ خلال مدة شهر من تاريخ ترشيحهم.)

٣٧– وذلك بحسب المادة (٧/تاسعاً) ويلاحظ ان هذه المادة قد جعلت من اصحاب المناصب العليا في حالة ازدواج في المسؤولية أيضاً وذلك حينما بينت بان الطريق الثاني لإعفائهم يتمثل بإقالتهم من الوزير المختص بناء على اقتراح المحافظ.

٣٨– ولابد لنا من الإشارة الى ان كل أمر إعفاء بالنسبة للمحافظ أو أصحاب المناصب العليا يجب أن يكون مسبوقاً بجلسة استجواب بالنسبة لأي منهم. وهو مايفهم من نص المادة (٥١) من قانون المحافظات التي نصت على أن (كل أمر فيه اعفاء أو إقالة ورد في هذا القانون يسبقه جلسة استجواب للشخص المعني).

٣٩– د. سليمان محمد الطماوي: الوجيز في القانون الإداري، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩١، ص ٣٢٠–٣٢١.

٤٠– وفقاً لنص المادة (٢٠/ثالثاً) من القانون أعلاه.

٤١– أورد المشرع هذه الأسباب في المادة (٢٠/أولا) من القانون ذاته. على إن النص وان منح لمجلس المحافظة حق حل المجالس المحلية فانه أجاز كذلك لهذه المجالس وبضمنها مجلس المحافظة أن تحل نفسها ذاتياً، فورد في المادة والبند ذاتهما بان (يحل المجلس والمجالس المحلية بالأغلبية المطلقة لعدد أعضاء المجلس بناء على طلب ثلث الاعضاء في الحالات الآتية..). وعلى مايبدو فان المشرع في مسألة حل المجالس – مجلس المحافظة والمجالس المحلية الاخرى – المنتخبة قد تأثر إلى حد بعيد بما هو مقرر في الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥، الذي جعل من حل مجلس النواب حلاً ذاتياً رغم تبني الدستور في المادة الاولى منه النظام البرلماني القائم على مبدأ توازن السلطتين التشريعية والتنفيذية. ينظر في تفاصيل ذلك: علي سعد عمران: حدود حل البرلمان –دراسة مقارنة–، اطروحة دكتوراه، جامعة بابل –كلية القانون، ٢٠١٤، ص ٥٩ ومابعدها.

الفرع الثاني: الرقابة على الهيئات القضائية المحلية

يقوم مبدأ الفصل بين السلطات على أساس إسناد وظائف الدولة الثلاث إلى ثلاث هيئات متميزة عن بعضها، بحيث لا تتركز ممارسة السلطة في جهة واحدة بل توزع على هيئات متعددة ومستقلة عن بعضها داخل الدولة وهي (التشريعية، التنفيذية والقضائية) فيكون لكل منها القيام بوظيفتها باستقلال عن الأخريات مع قدرة كل منها وقف الأخرى إذا تجاوزت الحدود المرسومة لها، وهذا الاستقلال بين السلطات الثلاث يعني الاستقلال العضوي والاستقلال الوظيفي في ممارسة الوظائف المعهودة لكل منها[٤٢]. ومن النتائج المنطقية للمبدأ المذكور أن تمارس السلطة القضائية مهامها بتطبيق القانون على المنازعات المعروضة أمامها دون تدخل من لدن السلطتين الاخريين[٤٣]. بغض النظر عن كون الهيأة القضائية مركزية أم محلية فالقضاء المحلي يتمتع بمبدأ استقلال القضاء مستنداً في ذلك على الأساس الدستوري لهذا المبدأ[٤٤].

وتختلف الدول في تنظيم قضائها وترتيب محاكمها بما يتفق مع حاجاتها وظروف كل منها الخاصة، فنلحظ فيها درجات متعددة من محاكم أول درجة إلى استئنافية وتمييزية، كما قد تتعدد في البلد الواحد جهات القضاء مابين قضاء اعتيادي وإداري، فضلاً عن الهيئات القضائية التي تنظر بتنازع الاختصاص بين الهيئات القضائية القائمة[٤٥]. يضاف إلى ذلك وجود القضاء الدستوري.

والسلطة القضائية الاتحادية في العراق تتكون من مجلس القضاء الأعلى، والمحكمة الاتحادية العليا، ومحكمة التمييز الاتحادية. وجهاز الادعاء العام، وهيئة الأشراف القضائي والمحاكم الاتحادية الأخرى، التي تنظم وفقاً للقانون[٤٦]. والهيئات القضائية المحلية في المحافظات تتكون عادةً من محاكم الاستئناف الاتحادية، وكل محافظة تضم محكمة استئناف اتحادية[٤٧]، التي تتشكل من الهيئات والمحاكم الآتية (الهيأة التمييزية، الهيئات الاستئنافية، محاكم البداءة، محاكم الأحوال الشخصية، محاكم المواد الشخصية، محكمة العمل، محاكم الجنايات، محكمة الاحداث، محاكم الجنح، محكمة تنظيم التجارة ومحاكم التحقيق)[٤٨]، ويلحق بمركز كل محكمة استئناف مجموعة أقسام هي (قسم الشؤون الإدارية، قسم الحسابات، مكتب رئيس الاستئناف)[٤٩]. كما إنه يوجد مدعٍ عام في كل منطقة فيها محكمة استئناف[٥٠].

٤٢- د. محمد كاظم المشهداني: النظم السياسية، بغداد، المكتبة القانونية، ٢٠٠٨، ص ١١٦ -١١٧.

٤٣- د. إبراهيم عبد العزيز شيحا: مصدر سابق، ص ٣٩٧.

٤٤- د. عبد الوهاب العبدول: مساهمات المحاكم العليا في تعزيز مبدأ استقلال القضاء-نموذج المحكمة الاتحادية العليا بدولة الامارات العربية المتحدة-، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني لرؤساء المحاكم العليا في الدول العربية المقام في الدار البيضاء/المغرب بتاريخ ١٧-٢٠١١/٩/١٨، ص ٧، ٩.

٤٥- ينظر في ذلك د. عثمان خليل، د. سليمان محمد الطماوي: القانون الدستوري، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠ – ١٩٥١، ص٢٧٨-٢٧٩.

٤٦- وذلك وفقاً لنص المادة (٨٩) من الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥.

٤٧- باستثناء بغداد التي تضم محكمتي استئناف.

٤٨- تنظر المادتان (٥-٦) من تعليمات تشكيلات السلطة القضائية الاتحادية رقم (١) لسنة ٢٠١٤.

٤٩- تنظر المادة (٧) من التعليمات ذاتها.

٥٠- وذلك بحسب نص المادة (٢٥/أولا-ج-٣) من قانون الادعاء العام رقم ١٥٩ لسنة ١٩٧٩.

فضلاً عن وجود محاكم القضاء الإداري ومحاكم قضاء الموظفين التي قسم المشرع وجودها على أربع مناطق في العراق، بحيث يشمل اختصاص كل منطقة منها أكثر من ثلاث محافظات، طبعاً باستثناء إقليم كردستان[٥١].

وبالتعارض مع المبادئ الدستورية المسلم بها اتجه قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم الى منح مجلس المحافظة اختصاصاً بالرقابة على أعمال السلطة القضائية، وذلك حينما نص في المادة (٧/سادساً) على أن من مختصات المجلس (الرقابة على جميع انشطة دوائر الدولة في المحافظة لضمان حسن اداء عملها.) واصبح نص المادة بالشكل المتقدم بعد أن عدل في عام ٢٠١٣ بموجب قانون التعديل الثاني، وقد كان النص قبل تعديله يجري وفق الآتي (الرقابة على جميع أنشطة الهيئات التنفيذية المحلية باستثناء المحاكم....)، وهذا يعني ان المشرع قد الغى هذا الاستثناء وبذلك أصبح لمجلس المحافظة سلطة الرقابة على أعمال المحاكم بوصفها جزء من السلطة القضائية.

والسؤال الذي يطرح هنا هو ما المقصود بأنشطة القضاء التي سيراقبها مجلس المحافظة؟ وماهي وسائل هذه الرقابة؟.

المقصود بأنشطة القضاء الأعمال التي تمارسها الهيأة القضائية المحلية والمتمثلة بتلك الأعمال التي تصدر عن القضاء سواء أكانت بصورة أحكام قضائية أم أعمال ولائية، أم أعمال تحضيرية، أم تصرفات اتخذت من القضاة بسبب مباشرة وظائفهم، وكذلك مايصدر عن الادعاء العام فيما يتعلق: بالاتهام، التحقيق، القبض والحبس الاحتياطي، وكذلك أعمال رجال الضبط القضائي[٥٢].

أما بخصوص وسائل رقابة مجلس المحافظة، نجد بان فقه القانون العام يشير بان الوسائل العامة التي يتم اللجوء إليها لرقابة أعمال الهيئات ذات التنظيم الخاص لاتخرج عن الآتي:

١. الرقابة على الأعضاء، وتتمثل بالقدرة على التعيين والعزل والنقل واصدار التعليمات والتوجيهات.
٢. الرقابة على الأعمال، وتظهر بالتفتيش على هذه الاعمال والمكنة القانونية في التصديق عليها وإلغائها أو الحلول محل هذه الهيأة واصدار القرار المناسب[٥٣].

وبالتأكيد فان مجلس المحافظة سيمتنع عليه ذلك جزماً باليقين لاختلاف طبيعة هذا المجلس والوسائل المتاحة قانوناً أمامه عن طبيعة الجهة –الهيئات القضائية المحلية– المراد إعمال الرقابة عليها. وهو ماسنلاحظ تفصيلاته في المبحث الثاني.

٥١– ينظر في تفاصيل ذلك د. علي سعد عمران: القضاء الإداري، بابل، منشورات مكتبة أبو الطيب المتنبي، ٢٠١٤، ص ١٣٣–١٣٥.

٥٢– د. علي سعد عمران: المصدر نفسه، ص ٢٨٢.

٥٣– للتفاصيل حول هذه الوسائل ينظر د. بكر القباني: الوصاية الإدارية، مصدر سبق ذكره، ص ٦١ ومابعدها. G. Lescuyer: OP. Cit، P 58 – 60.

المبحث الثاني: نظرة تحليلية في رقابة مجلس المحافظة على أعمال السلطة القضائية

تتحقق للمشرع سلطة تقديرية عندما يمارس وظيفته في سن القوانين، وهي سلطة تتمثل بحريته في التقدير والاختيار بين مجموعة مبادئ يجب أن تكون متفقة جميعها مع نصوص الدستور ومضمونه، غير ان هذه السلطة في الوقت ذاته ليست مطلقة بل هي قانونية تستهدف الوصول إلى النص الملائم والاكثر تحقيقاً للمصلحة العامة، فإن لم يحقق المشرع الملاءمة المشار اليها عند استخدامه سلطته التقديرية، عند ذلك يمكن القول ان المشرع لم يمارس وظيفته التشريعية بما يتفق والدستور(٥٤)، فإذا تعرض المشرع لاستقلال القضاء بتشريع يتضمن اشرافاً على القضاء بما يؤدي إلى الانتقاص من استقلاله، كان هذا التشريع باطلاً لمخالفته للمبادئ الدستورية(٥٥). إذ ان الدساتير عادةً ما تحرص على التأكيد على مبدأ استقلال القضاء إزاء السلطة التنفيذية –المركزية منها والمحلية– من خلال النص على مجموعة من الضمانات ومنها عدم جواز التدخل في شؤون العدالة أياً كانت صورة هذا التدخل(٥٦). غير إن المشرع العراقي قد وقع في حالة من التناقض مع المضامين الدستورية تارةً ونصوص القوانين الاخرى تارةً ثانية، وذلك حينما عهد إلى مجلس المحافظة بالاختصاص الرقابي على أعمال الهيئات القضائية المحلية. وهو ماسنعرضه في المطلبين الآتيين.

المطلب الأول: التناقض الدستوري للاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة على أعمال السلطة القضائية

يعد القانون الدستوري الأداة القانونية – السياسية التي تسعى لإقامة التوازن في العلائق القانونية من لدن السلطة السياسية داخل الدولة (٥٧). ولذلك يعد الدستور القانون الأعلى في الدولة، الذي يجب أن تلتزم بنصوصه سلطات الدولة جميعها، وان مبدأ أعلوية الدستور يمكن أن يكون منصوصا عليه في صلب الوثيقة الدستورية ذاتها، ولكنه قد يستنتج من وجود فقرة محددة في الدستور تمنع المشرع الاعتيادي من سن قوانين تتعارض مع مبادئ أساسية فيه(٥٨).

والمشرع العراقي حينما تناول الاختصاص الرقابي فانه جاء به بصورة متناقضة مع أحكام الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ ووجه ذلك يظهر من خلال تعارضه مع بعض المبادئ الدستورية ومع الطبيعة الدستورية للقضاء التي تضمنها الدستور وبنى عليها احكامها. وهو ماسنبحثه في الفرعين الآتيين.

٥٤– د. سامي جمال الدين: القانون الدستوري والشرعية الدستورية، ط٢، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٥، ص ١٦٨.

٥٥– د. رمزي طه الشاعر: النظرية العامة للقانون الدستوري، ط٥، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥، ص ٧٣٣.

٥٦– د. عثمان خليل، د. سليمان محمد الطماوي: المصدر السابق، ص ٢٧٤–٢٧٥.

(٥٦) Zerari Fathi: Le Naissance du Droit Constitutionnel، Journal of Law،Vol 33، No3، university of Kuwait،2009،p.14.

٥٨– وقد تستنتج أعلوية الدستور من الصعوبة النسبية في تغيير نصوص الدستور، بحيث يكون ذلك التغيير مختلفا عن تغيير القوانين الاعتيادية. ينظر في ذلك:

.p.9.، 1994، Baghdad University Press،S. J. Al - Kadhem: Constitutional and Administrative Law

الفرع الأول: تناقض الاختصاص الرقابي مع بعض المبادئ الدستورية

لما كان تطبيق الدستور محاطا بتحد سياسي كبير يتمثل بالانحراف في تطبيق نصوصه. ذلك أن خرق نصوص الدستور وسير الحياة السياسية، على خلافها ليس بالتصور المعدوم، لذا تقتضي الضرورة فهم وإدراك الحدود التي يقيمها الدستور لاختصاصات سلطات الدولة [٥٩]، وبالتالي فلا يمكن الاعتراف بقانونية تصرفاتها إلا إذا كانت ضمن الحدود الدستورية انطلاقا من مبدأ علو الدستور[٦٠] لاسيما السلطة التشريعية التي تعد أهم سلطات الدولة لأنها تقوم أساساً بسن القوانين[٦١]. وقد جاء نص المادة (٧/ سادساً) من قانون المحافظات بعد تعديله بالقانون رقم ١٩ لعام ٢٠١٣ متناقضاً مع جملة من المبادئ التي تضمنها الدستور في ثناياه وكالآتي:

أولاً: التناقض مع مبدأ الفصل بين السلطات: لقد اضحى من المستقر عليه في الفقه القانوني ان الدولة القانونية تستند ابتداءً على مبدأ الفصل بين السلطات في تقسيم الوظائف (التشريعية والتنفيذية والقضائية) بحيث تقسم هذه الوظائف على ثلاث هيئات تستقل كل واحدة منها عن الاخريات استقلالاً عضوياً ووظيفياً، وذلك منعاً لتركيز السلطة بيد شخص واحد او جهة واحدة فيجب أن يكون هناك فصل في الجهات وفصل في المهمات، وما ذلك الا حماية لحقوق الافراد وحرياتهم[٦٢]، وهذا الفصل لايمنع من وجود وسائل للتعاون والاتصال بين السلطات والقول بخلاف ذلك يوقف حركة الدولة ويؤدي إلى جمودها، على ان حقوق الافراد وحرياتهم لاتتحقق إذا لم تفصل السلطة القضائية عن السلطتين التشريعية والتنفيذية[٦٣].

وقد تبنى الدستور العراقي لعام ٢٠٠٥ مبدأ الفصل بين السلطات بصورة صريحة في المادة (٤٧) التي قضت بان (تتكون السلطات الاتحادية، من السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية، تمارس اختصاصاتها ومهماتها على أساس مبدأ الفصل بين السلطات). ولذا يكون نص البند (سادساً) محل البحث، متعارضاً بصورة صريحة والمادة أعلاه ذلك لأن (دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥ قد كرس في المادة (٤٧) منه المبدأ الذي عرفته غالبية دساتير العالم وهو مبدأ (الفصل بين السلطات) وقد عدد هذه السلطات في المادة ذاتها.... ورسم لكل منها مهامها واختصاصاتها بشكل دقيق. ولكي نكون أمام التطبيق السليم لأحكام هذه المادة والمبدأ الذي تأسست عليه، يلزم أن تتولى كل سلطة من هذه السلطات القيام بمهامها وممارسة صلاحياتها كاملة وفق ما رسمه لها الدستور فالسلطة التشريعية تمارس مهامها... وفي مقدمة هذه

٥٩– ينظر بهذا المعنى د. سعاد الشرقاوي: القانون الدستوري والنظام السياسي المصري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠١، ص ٢١٨.

٦٠– د. إحسان حميد المفرجي، د. كطران زغير نعمة، د. رعد ناجي الجدة: النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، بغداد، مطبعة دار الحكمة، ١٩٩٠. ص ٢٣٩.

٦١– د. عثمان خليل، د. سليمان محمد الطماوي: المصدر السابق، ص ١٧٢.

٦٢– ولقد عانى العراق في دساتير العهد الجمهوري من عام ١٩٨٥ وحتى عام ٢٠٠٤، من انتفاء مبدأ الفصل بين السلطات. ينظر د. أبراهيم طه الفياض: مبدأ الفصل بين السلطات في الدساتير العراقية والدساتير المقارنة، في كتاب"دراسات دستورية عراقية حول موضوعات أساسية للدستور العراقي الجديد"، كلية الحقوق جامعة دي بول، ٢٠٠٥، ص ٩٧–٩٨، ١٠٦ ومابعدها.

٦٣)– وهذه هي الافكار ذاتها التي أشار اليها مونتسكيو في كتابه روح القوانين. للتفاصيل ينظر د. علي صبيح التميمي: آفاق الفلسفة السياسية، ط١، بغداد، دار نيبور للطباعة والنشر، ٢٠١٤، ١٩١–١٩٢.

المهام القيام بتشريع القوانين الاتحادية التي تقتضيها المصلحة العامة ووفقاً للسياقات الدستورية، وممارسة هذا الاختصاص والصلاحية يلزم أن يكون مراعياً لمبدأ الفصل بين السلطات... وأن لايكون من بين القوانين التي يشرعها مجلس النواب مباشرة مايمس هذا المبدأ.... وأن لاتكون ماسة بمهام السلطة القضائية... لان في ذلك تعارضاً... مع مبدأ الفصل بين السلطات المنصوص عليه في المادة (٤٧) من الدستور...)[٦٤].

ثانياً: التناقض مع استقلال السلطة القضائية: دأبت الأنظمة الدستورية في العالم على ترديد مبدأ استقلال القضاء والنص على بعض الضمانات التي تجعل من هذا المبدأ حقيقة قانونية قائمة، ومن ذلك النص على أن القضاة غير قابلين للعزل وانهم مستقلون لاسلطان عليهم في قضائهم لغير القانون ولايجوز لأي سلطة التدخل في شؤون العدالة، ذلك لان السلطة القضائية هي الحامية للحقوق والحريات، وهي التي تعطي للقانون فاعليته والزاميته[٦٥]. ويعد مبدأ استقلال القضاء من النتائج المنطقية التي تترتب على مبدأ سيادة القانون الذي يعني خضوع ارادات الحكام، بوصفهم من مواطني الدولة، لحكم القانون بمفهومه العام[٦٦]. وتتجلى مظاهر استقلال السلطة القضائية بالآتي:

١. **الاستقلال الإداري**: والمتمثل باستقلال السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية فيما يتعلق بشؤون القضاة وعملهم، ومن مصاديق هذا الاستقلال: تعيين القضاة وترقيتهم، نقل القضاة وندبهم، الاشراف على عمل القضاة، المساءلة الانضباطية للقضاة وعزل القضاة) والمصاديق المذكورة جميعها يجب أن تكون من مختصات السلطة القضائية لوحدها دون تدخل من نظيرتها التنفيذية[٦٧].
٢. **الاستقلال المهني**: أي استقلال القاضي في اصدار الاحكام والقرارات فالقضاة وهم يباشرون أعمال وظيفتهم القضائية فهم لايخضعون في ذلك الا للقانون وحده دون أي تدخل في هذه الوظيفة من قبل السلطتين الاخريين[٦٨] كما انه لا يسوغ التدخل وتغيير منطوق الحكم أو القرارات من قبل أي جهة الا باتباع الطرق القانونية بالطعن أمام المحاكم ذات الدرجة الأعلى من المحكمة التي أصدرت الحكم[٦٩].

٦٤- ينظر حكم المحكمة الاتحادية العليا بالعدد ٢١/ اتحادية اعلام/٢٠١٥ الصادر بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٤."غير منشور".

٦٥- د. رمزي طه الشاعر: المسؤولية عن أعمال السلطة القضائية، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، س١٨، ع٢، جامعة عين شمس –كلية الحقوق، ١٩٧٦، ص ١.

٦٦- د. يحيى الجمل: النظام الدستوري في جمهورية مصر العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٤، ص ١٤٨، ١٥١.

٦٧- حول هذا النوع من الاستقلال ينظر: د. محمود عاطف البنا: الوسيط في النظم السياسية، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤، ص ٣٦٧-٣٧٠، نادية بو خرص: استقلالية القضاء كضمانة أولية للرقابة على الصفقات العمومية، الجزائر، بلا سنة طبع، ص ١٠، د. عثمان خليل، د. سليمان محمد الطماوي: المصدر السابق، ص ٢٧٥-٢٧٨..

٦٨- د. يحيى الجمل: المصدر السابق، ص ٢٣٨.

٦٩- د. عدنان عاجل عبيد: أثر استقلال القضاء عن الحكومة في دولة القانون، النجف الاشرف، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، ٢٠٠٨، ص ٢١٦-٢١٧.

٣. **الاستقلال المالي**: الذي يعني أن يكون للسلطة القضائية ميزانية مالية مستقلة، وأن يتمتع القضاة برواتب تكفيهم لعيش حياة كريمة دون الشعور بضغط الحاجة المالية[٧٠].

وتطبيقاً للمبادئ المتقدمة نجد ان الدستور العراقي قد ضمنها في نصوصه، فقد جاء في الفصل الأول الموسوم"الحقوق"من الباب الثاني من الدستور المعنون"الحقوق والحريات"نص المادة (١٩ /اولاً) القاضي بالآتي (القضاء مستقل لا سلطان عليه لغير القانون.).

وبذلك يكون المشرع الدستوري قد أوجد ضماناً للحقوق العامة بوصفه القضاء مستقلاً، لان القضاء المستقل يمثل واحدة من أهم ضمانات الحقوق والحريات، ولايجوز للدولة في تنظيماتها المختلفة أن تنزل بالحماية التي توفرها لحقوق مواطنيها عن الحدود الدنيا المقبولة بوجه عام في الدول الديمقراطية[٧١]. ثم جاء الفصل الثالث وهو معنون"السلطة القضائية"من الباب الثالث الموسوم"السلطات الاتحادية"متضمناً مجموعة من النصوص التي تنظم وجود السلطة القضائية، وهي الاتي:

١. بينت المادة (٨٧) من الدستور بأن (السلطة القضائية مستقلة وتتولاها المحاكم على اختلاف أنواعها ودرجاتها وتصدر أحكامها وفقاً للقانون)، و(ينظم القانون تكوين المحاكم وأنواعها ودرجاتها، واختصاصاتها...)[٧٢]، ثم ورد في المادة (٨٩) بان (تتكون السلطة القضائية الاتحادية من مجلس القضاء الأعلى والمحكمة الاتحادية العليا ومحكمة التمييز الاتحادية وجهاز الادعاء العام، وهيئة الأشراف القضائي والمحاكم الاتحادية الأخرى، التي تنظم وفقاً للقانون.).
٢. جاء في المادة (٨٨) بأن (القضاة مستقلون لا سلطان عليهم في قضائهم لغير القانون، ولا يجوز لأية سلطة التدخل في القضاء أو في شؤون العدالة). وتعزيزاً لهذا النهج الدستوري، جاء في المادة (٩٦) النص على أن (ينظم القانون....كيفية تعيين القضاة وخدمتهم وأعضاء الادعاء العام، وانضباطهم وإحالتهم على التقاعد.). وورد في المادة (٩٧) إن (القضاة غير قابلين للعزل إلا في الحالات التي يحددها القانون، كما يحدد القانون الأحكام الخاصة بهم وينظم مساءلتهم تأديبياً.).

وبذلك أسبغ المشرع الدستوري حمايته على الاستقلال المهني والإداري للسلطة القضائية ليحول دون تدخل السلطتين الاخريين في ذلك.

٣. وتأكيداً لما أورده المشرع من استقلال السلطة القضائية، فقد حدد الجهة المسؤولة عن إدارة شؤون الهيئات القضائية في العراق بالنص في المادة (٩٠) على أن (يتولى مجلس القضاء الأعلى إدارة شؤون الهيئات القضائية. وينظم القانون طريقة تكوينه واختصاصاته وقواعد سير العمل فيه[٧٣]). ورغم إن

٧٠– د. عثمان خليل، د. سليمان محمد الطماوي: المصدر السابق، ص ٢٧٥–٢٧٨..
٧١– د. صلاح الدين فوزي محمد: القانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠١٤، ص ٥٣.
٧٢– بحسب نص المادة(٩٦) من الدستور.
٧٣– وتطبيقاً لهذا النص الدستوري صدر قانون مجلس القضاء الأعلى بالرقم ١١٢ في عام ٢٠١٢، غير ان المحكمة الاتحادية العليا تصدت لهذا القانون والغته بعد أن طعن بعدم دستوريته وأسست المحكمة حكمها على أن (...اصدر مجلس النواب القانون المطعون فيه... بعد أن أجرى عليه تغييرات جوهرية في مواضع عديدة جعلته يختلف كلياً عن الاحكام التي تضمنها المشروع الاصلي... وبشكل مخالف لأحكام المواد (١) و (١٩/أولا) و (٤٧) و (٦٠/أولا) و (٨٠) من الدستور. في حين كان ينبغي اعادته الى الجهة التي ارسلته لان هذه التغييرات تعد بحكم المقترحات التي تقدم من إحدى لجان مجلس النواب.. وذلك للوقوف على رأيها في

المشرع قد أحال إلى القانون تنظيم مايتعلق بمجلس القضاء الأعلى، فانه مع ذلك بين في ثناياه اختصاصاته العامة، بالنص في المادة (٩١) على أن (يمارس مجلس القضاء الأعلى الصلاحيات الآتية:

أولاً: – إدارة شؤون القضاء والإشراف على القضاء الاتحادي.

ثانياً: – ترشيح رئيس وأعضاء محكمة التمييز الاتحادية، ورئيس الادعاء العام، ورئيس هيئة الإشراف القضائي وعرضها على مجلس النواب للموافقة على تعيينهم.

ثالثاً: – اقتراح مشروع الموازنة السنوية للسلطة القضائية الاتحادية، وعرضها على مجلس النواب للموافقة عليها.).

ومن خلال التنظيم الدستوري المتقدم يتضح لنا الآتي:

١. اتجه المشرع الدستوري إلى تحديد اختصاصات مجلس القضاء الاعلى في مجال الاستقلال القضائي في الجوانب المهنية والإدارية والمالية.
٢. وقد حدد المشرع بذلك الجهة المختصة بالرقابة على الجهات القضائية في العراق وحددها بمجلس القضاء الأعلى ذاته.
٣. كان من الأولى، والمشرع يضع خطة دستورية متكاملة الجوانب لاستقلال السلطة القضائية، أن لاتكون سلطة الموافقة على تعيين أعضاء هذه السلطة، لاسيما بهيئاتها العليا، راجعاً الى مجلس النواب، لان الاخير تغلب عليه الاعتبارات السياسية أكثر من سواها. فكان الاولى أن تترك إلى المجلس ذاته.

وانطلاقاً من النصوص الدستورية المذكورة في أعلاه فاني أرى عدم دستورية رقابة مجلس المحافظة على أنشطة المحاكم في حدود المحافظة، ذلك لان المجلس هو هيأة محلية منتخبة لإدارة شؤون المحافظة على وفق مبدأ اللامركزية الإدارية وبما لا يتعارض مع الدستور والقوانين الاتحادية، وكما هو معروف، فأن مبدأ اللامركزية الإدارية لايعني سوى توزيع ممارسة الاختصاصات الإدارية، التي هي واحدة من وظائف السلطة التنفيذية، بين الإدارة المركزية والوحدات المحلية المنتخبة لتحقيق مصالح أو تلبية حاجات خدمية محلية. فكيف يتسنى لمجلس منتخب من أجل إشباع حاجات محلية ذات طابع خدمي، أن يراقب عمل سلطة مستقلة عضوياً ووظيفياً وبنص الدستور كالسلطة القضائية؟.

الفرع الثاني: تناقض الاختصاص الرقابي مع الطبيعة الدستورية للسلطة القضائية

يتنازع الفقه القانوني اتجاهان في بيان طبيعة القضاء، هل هو جزء من السلطة التنفيذية؟ أم انه سلطة مستقلة تقف الى جانب السلطتين الاخريين؟ وذلك وفق البيان الآتي:

التغييرات المذكورة وعلى موقف السلطة القضائية من المشروع، وأخذ رأي الحكومة بالنسبة للالتزامات المالية التي يرتبها.... وبذلك فان القانون المطعون فيه فقد سنده الدستوري وما يتطلبه واقع القضاء في العراق...وعليه قرر الحكم بعدم دستورية القانون..). الحكم بالعدد ٨٧/اتحادية اعلام/٢٠١٣ وبتاريخ ٢٠١٣/٩/١٦."غير منشور".

أولاً: القضاء فرع من فروع السلطة التنفيذية: اتجه بعض الفقه إلى القول بان القضاء ماهو الا جزء من الحكومة، فالقانون لايكون له سوى مرحلتان هما مرحلة التشريع ومرحلة التنفيذ وهذا يعني انه لاتوجد سوى سلطتان هما التشريعية والتنفيذية، وقيام القاضي بالحكم في المنازعات المعروضة أمامه انما يدخل ضمن اختصاصات التنفيذ، ولما كان من المصلحة إسناد هذه المهمة إلى موظفين مختصين فقد رؤي اختيار هيأة خاصة بهم هي هيأة القضاء دون أن تكون سلطة مستقلة بطبيعتها، فإقامة العدل في الدولة مظهر مختلف عن ممارسة السيادة فيها.

ثانياً: القضاء سلطة مستقلة بطبيعتها: اتجه"مونتسكيو"سابقاً وحذى حذوه أكثر فقهاء القانون الدستوري من بعده، إلى وجود ثلاث سلطات في الدولة وليست اثنتين، فالقضاء هو السلطة الثالثة التي تقف على قدم المساواة مع نظيراتها التشريعية والتنفيذية، فالحكم في المنازعات يسبق من الناحية القانونية التنفيذ. ولو اخذنا بان القضاء فرع من السلطة التنفيذية لأصبح القضاة وكلاء عنها يحكمون باسمها ويجوز لها أن لاتتقيد برأيهم وهذه نتيجة غير مستساغة. فضلاً عن ان اختفاء مظاهر الاستقلال، التي سبق وان أوضحناها، لاسيما الإدارية منها والمهنية. ولذلك يكاد أن يتحقق الاجماع على ان القضاء ماهو الا سلطة مستقلة من سلطات الدولة الثلاث[٧٤]. ومن النتائج المهمة في مجال التمييز والمفاضلة بين الرأيين المتقدمين، إن الرأي الاول سيجعل من القضاء مرفق إداري عام تابع للسلطة التنفيذية، أما الرأي الثاني، فكما هو واضح، فهو يجعل من القضاء سلطة مستقلة عن التنفيذية[٧٥].

ومن خلال استعراض النصوص الدستورية السابقة اتضح لنا بان المشرع قد أخذ بالاتجاه الثاني الذي يجعل من القضاء سلطة مستقلة بطبيعتها، وبذلك يكون قانون التعديل الثاني الصادر بالرقم ١٩ في عام ٢٠١٣ الذي طال نص المادة السابعة البند"سادساً"، يتناقض مع طبيعة السلطة القضائية المثبتة في دستور ٢٠٠٥، فالنص سيخالف الدستور الذي جعل من القضاء سلطة مستقلة عن السلطتين (التشريعية والتنفيذية) من النواحي العضوية والوظيفية، وأنشئ مجلس القضاء الأعلى ليتولى النظر في أعمال السلطة القضائية وبذلك فصلها عن السلطة التنفيذية ممثلة في وزارة العدل. والتعديل يريد أن يلغي ذلك كله، لذا فهو نص غير دستوري لتعارضه مع النص الاعلى والاسمى حيث ورد في المادة (١٣) النص على أن (أولاً: – يُعَدُّ هذا الدستور القانون الأسمى والأعلى في العراق، ويكون ملزماً في أنحائه كافة، وبدون استثناء. ثانياً: – لا يجوز سن قانون يتعارض مع هذا الدستور ويُعد باطلاً كل نصٍ يرد في دساتير

٧٤– ينظر في تفاصيل ماتقدم: أدمار أيسمان: أصول الحقوق الدستورية ، ترجمة عادل زعيتر ، القاهرة ، المطبعة المصرية ، بلا سنة طبع. ص ٢٦٣ ومابعدها، د. زهير شكر: الوسيط في القانون الدستوري، ج١، ط٣، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٤، ص ١٧٦–١٧٨. د. عثمان خليل، د. سليمان محمد الطماوي: المصدر السابق، ص ٢٧٣–٢٧٤.، د. رمزي طه الشاعر: المسؤولية عن أعمال، المصدر السابق، ص ٧–٨.

٧٥– وقد كان القضاء في دستور العراق لعام ١٩٧٠ يعد مرفقاً تابعاً للسلطة التنفيذية وليس سلطة مستقلة حيث لم يسمها بالسلطة القضائية بل"القضاء" وجعله مرتبط بوزارة العدل. ينظر في ذلك د. عدنان عاجل عبيد: المصدر السابق، ص ٧٠ ومابعدها. وقد أشارت المحكمة الاتحادية العليا إلى هذه الحقيقة حينما أشارت (..ان القضاء فقد استقلاليته بإلغاء (مجلس القضاء) عام ١٩٧٧ وأصبح يدار من (مجلس العدل) وهو برئاسة وزير العدل الذي يمثل السلطة التنفيذية...). قرارها بالعدد ٨٧/اتحادية/٢٠١٣ السابق الاشارة إليه.

الأقاليم، أو أي نص قانوني آخر يتعارض معه.) وبما ان نص المادة السابعة محل البحث يتعارض مع الدستور لذلك فهو غير دستوري وباطل.

المطلب الثاني: التناقض التشريعي للاختصاص الرقابي لمجلس المحافظة على أعمال السلطة القضائية

للتحديد الدستوري لدور القضاء ومكانته في الدولة أهمية في إبراز علاقة القضاء بسائر السلطات في الدولة ووضعه بالنسبة للنظام السياسي بمجموعه[٧٦]، وبالتالي فان اعتبار الدستور القضاء سلطة مستقلة في الدستور يعني ان أعضاء هذه السلطة مستقلون استقلالاً كاملاً، فهم لايخضعون لأية سلطة رئاسية من خارج نطاق السلطة القضائية[٧٧]، وانطلاقاً من ذلك يمكن القول بان تنظيم رقابة مجلس المحافظة على أعمال السلطة القضائية المحلية في العراق فضلاً عن كونه غير دستوري فهو سيكون متناقض، بالتأكيد، مع نصوص التشريعات الاخرى، ذلك لان عمل المحاكم ورقابته يخضع لنصوص قانونية ليس من بينها نص البند"سادساً"محل البحث، لاسيما بعد تعديله بالقانون رقم ١٩ في عام ٢٠١٣، وذلك كالآتي:

أولاً: التناقض مع تشريع مجلس القضاء: يعد القانون الذي ينظم السلطة القضائية من القوانين الأساسية المكملة للدستور ذلك ان موضوعه يتعلق بتنظيم مسألة دستورية بطبيعتها فتكون أحكامه مرتبطة بقاعدة كلية تتضمنها الوثيقة الدستورية لاسيما تلك المتعلقة بصون استقلال السلطة القضائية بما يكفي مباشرتها لشؤون العدالة دون تدخل من أية جهة[٧٨]،وقد جاء في أمر إعادة تشكيل مجلس القضاء رقم ٣٥ في ٢٠٠٣/٩/١٨، القسم الثالث منه، بوصفه التشريع المنظم لعمل مجلس القضاء الأعلى النافذ حالياً[٧٩]، تحديد واجبات مجلس القضاء الأعلى في الرقابة على عمل القضاة بالنص على أن تكون للمجلس الواجبات المحددة التالية:

أ. توفير الرقابة الإدارية على جميع القضاة وجميع وكلاء النيابة، باستثناء أعضاء المحكمة العليا.

ب. التحقيق في الادعاءات الخاصة بسوء السلوك وعدم الكفاءة المهنية الواردة بحق أعضاء سلك القضاء والادعاء العام، وكلما كان ذلك مناسبا، اتخاذ الإجراءات التأديبية أو الإدارية المناسبة بحقهم، ويشمل ذلك على سبيل المثال لا الحصر، تنحية القاضي أو الادعاء العام عن منصبه بما في ذلك أعضاء محكمة التمييز...). وبذلك فان تصرفات القضاة تخضع لرقابة مجلس القضاء الأعلى بنص القانون. هذا من جانب الرقابة أما من جانب التعيين والترقية فقد بينها القسم ذاته من المادة ذاتها بالنص على أن:

ج. ترشيح أشخاص أكفاء، كلما لزم الامر، لشغل المناصب القضائية الشاغرة أو مناصب الادعاء العام الشاغرة والتوصية بتعيينهم.

٧٦- د. محمود عاطف البنا: المصدر السابق، ص ٣٦٥.

٧٧- د. عبد الغني بسيوني عبد الله: الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، الاسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٤، ص ٨٢٥.

٧٨- د. صلاح الدين فوزي محمد: المصدر السابق، ص ٣٩، ٤٣.

٧٩- لايزال هذا التشريع نافذ لإلغاء المحكمة الاتحادية العليا قانون مجلس القضاء الاعلى السابق الإشارة إليه.

د. ترقية القضاة والمدعين العامين وترفيعهم وتحديث مهاراتهم ونقلهم.).

ومن خلال النصوص أعلاه يتضح لنا بان المشرع في قانون المحافظات لم يكن مصيباً حينما أعطى لمجلس المحافظة الاختصاص بتعيين اصحاب المناصب العليا في المحافظة وبضمنهم القضاة وإعفائهم من مناصبهم[٨٠]، لان ذلك يدخل في اختصاص مجلس القضاء الاعلى صاحب الاختصاص الاصيل في هذا المجال. فضلاً عن ان كل مايتعلق بأمورهم الوظيفية من مختصات مجلس القضاء الأعلى، وهو ما يتفق وأحكام الدستور، وليس مجلس المحافظة.

ثانياً: التناقض مع تشريع قانون التنظيم القضائي: إن الرقابة على الأعمال والقرارات التي تتخذها المحاكم في العراق تخضع لرقابة محكمة التمييز الاتحادية للتأكد من التزام المحاكم الأدنى درجة بتطبيق أحكام القوانين عند نظرها للمنازعات المرفوعة أمامها. وهو ما أشار إليه قانون التنظيم القضائي رقم ١٦٠ لعام ١٩٧٩ النافذ، في المادة (١٢) منه بالقول إنَّ (محكمة التمييز هي الهيأة القضائية العليا التي تمارس الرقابة القضائية على جميع المحاكم مالم ينص القانون على خلاف ذلك.). والمقصود بالعبارة الأخيرة (مالم ينص القانون على خلاف ذلك) إن هناك بعض المحاكم التي لاتخضع لرقابة محكمة التمييز الاتحادية كالمحكمة الاتحادية العليا التي تكون أحكامها باتة بنص الدستور[٨١]، والمحاكم المرتبطة بمجلس شورى الدولة وهي محاكم قضاء الموظفين ومحاكم القضاء الإداري التي تميز أحكامها وقراراتها أمام المحكمة الإدارية العليا بحسب قانون مجلس شورى الدولة[٨٢].

وبذلك نخلص إلى تعارض رقابة مجلس المحافظة لأنشطة وأعمال المحاكم ذلك لان مثل هكذا اختصاص ولد وهو غير ذي محل لأنه عقد مسبقاً إلى مجلس القضاء الأعلى والى محكمة التمييز الاتحادية وهو ما يتفق وطبيعة عمل هذه الجهات التي تمثل سلطة واحدة بحسب الدستور هي السلطة القضائية. وهو اختصاص يتفق والمنطق القانوني، بخلاف منح مجلس المحافظة هكذا اختصاص يكون متناقضاً مع نصوص الدستور والقوانين الاتحادية المشار إليها سلفاً ومع المنطق القانوني السليم.

وقد يعترض معترض فيقول ان القانون رقم ١٩ لعام ٢٠١٣ لم يمنح المجلس أي سلطة في الرقابة على عمل السلطة القضائية. فنرد بالقول ان هناك أدلة لوجود هذا الاختصاص وهي مستقاة من القانون ذاته، وكالآتي:

١. لقد كان قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم يمنح مجلس المحافظة والمحافظ اختصاص رقابي على جميع الدوائر المحلية باستثناء بعضها ومن تلك المستثناة المحاكم، وعندما عدل القانون بموجب التعديل

٨٠– لقد نصت المادة السابعة بان من اختصاصات المجلس (تاسعاً:
١. الموافقة على تعيين أصحاب المناصب العليا في المحافظة بالأغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس، بعد أن يتم ترشيح ثلاثة أشخاص من قبل المحافظ خلال مدة شهر من تاريخ ترشيحهم.
٢. اعفاء اصحاب المناصب العليا في المحافظة بالأغلبية المطلقة لأعضاء المجلس بناءً على طلب خمس عدد اعضاء المجلس او بناءً على اقتراح من المحافظ ولمجلس الوزراء كذلك حق الاقالة باقتراح من الوزير المختص استناداً للأسباب الواردة في الفقرة (٨) من هذه المادة.).

٨١– تنص المادة (٩٤) من الدستور على ان (قرارات المحكمة الاتحادية العليا باتة وملزمة للسلطات كافة).

٨٢– في تفاصيل ذلك ينظر د. علي سعد عمران: القضاء الإداري، المصدر السابق، ص ١٦٣ – ١٦٥.

الثاني رقم ١٩ في عام ٢٠١٣ فان هذا الاستثناء الغي بالنسبة لمجلس المحافظة بينما بقي على حاله بالنسبة للمحافظ[٨٣]. وهذا يعني منح اختصاص الرقابة محل البحث لمجلس المحافظة دون المحافظ.

٢. لقد عرف المشرع المناصب العليا قبل صدور قانون التعديل الثاني بانها (المدراء العامون ورؤساء الأجهزة الأمنية في المحافظة **ولا تشمل** رؤساء الجامعات و**القضاة** وقادة الجيش.)، وذلك وفقاً لنص المادة الأولى من القانون، وما أن جاء التعديل الثاني لقانون المحافظات بالرقم ١٩ في عام ٢٠١٣ حتى تغير تعريف المناصب العليا، فقد قضت المادة ذاتها البند (ثامناً) بانه يقصد بالمناصب العليا (المديرون العامون ومديرو الدوائر ورؤساء الأجهزة الأمنية في حدود المحافظة.)، ومن خلال الجمع بين هذا النص مع نص المادة السابعة البند"تاسعا"[٨٤] والنص محل البحث يتضح بان لمجلس المحافظة سلطة التعيين في هذه الهيئات، وهو ما أشارت له تصريحات بعض أعضاء مجلس النواب ممن صوتوا على التعديل الثاني بان"التعديل التشريعي الجديد يمنح الحكومات المحلية صلاحية اختيار مسؤولي الجهاز القضائي"[٨٥] فضلاً عن سلطة الرقابة على أعمال الهيئات القضائية المحلية. وهذا يعني ان المشرع قد جعل النص عاماً في حكم الرقابة دون أي استثناء يرد على اختصاصه هذا.

وإلى حين قيام المشرع بتدارك هذا العوار الدستوري في القانون فإننا نتوجه إلى السلطة القضائية في العراق والى ممثلها بالطعن بعدم دستورية الاختصاص، محل البحث، الممنوح لمجلس المحافظة والمطالبة بإلغاء النص المذكور إلغاءً جزئياً في حدود اختصاص مجلس المحافظة في رقابة أنشطة المحاكم ضمن الحدود الإدارية للمحافظة.

الخاتمة

بعد أن انتهينا من بحثنا هذا فقد حق علينا تثبيت النتائج المستخلصة من البحث وأهم التوصيات التي نجدها مفيدة وكالآتي:

أولاً: النتائج:

١. لما كان المشرع الدستوري العراقي قد بين الخطوط العامة في التنظيم الإداري، بانه يتم وفقاً لمبدأ اللامركزية الإدارية الواسعة غير انه جاء بمقدمات غير دقيقة وغير منسجمة مع الاصول القانونية العامة، فقد جاءتنا النتائج متسمة بعدم الدقة وعدم الانسجام أيضاً.

٨٣- فبقيت المادة (٣١/رابعا) التي تتحدث عن صلاحيات المحافظ كما هي على الرغم من وجود تعديلات على اختصاصاته الواردة في هذه المادة بحيث كان ولايزال يجري نصها كالآتي (الاشراف على سير المرافق العامة في المحافظة وتفتيشها ما عدا المحاكم والوحدات العسكرية والجامعات والكليات والمعاهد.).

٨٤- التي بينت بان واحدة من مختصات مجلس المحافظة (١-الموافقة على تعيين أصحاب المناصب العليا في المحافظة بالأغلبية المطلقة لعدد اعضاء المجلس، بعد أن يتم ترشيح ثلاثة أشخاص من قبل المحافظ خلال مدة شهر من تاريخ ترشيحهم. ٢-اعفاء اصحاب المناصب العليا في المحافظة بالأغلبية المطلقة لأعضاء المجلس بناءً على طلب خمس عدد اعضاء المجلس او بناءً على اقتراح من المحافظ ولمجلس الوزراء كذلك حق الاقالة باقتراح من الوزير المختص استناداً للأسباب الواردة في الفقرة (٨) من هذه المادة.

٨٥- ينظر موقع نقاش الالكتروني تحت عنوان"البرلمان يمنح المحافظات استقلالية إدارية" www.niqash.org

٢. من المبادئ المعتمدة في ظل نظام اللامركزية الإدارية الإقليمية، وجود مجالس تمثل الوحدات الإقليمية تتولى اشباع الحاجات المحلية، وقد أعتمد المشرع ذلك، غير ان هذا المجلس لايمكن وصفه بانه يدار وفق مبدأ اللامركزية الإدارية بصورة سليمة.

٣. ان منح مجلس المحافظة سلطة الرقابة والاشراف على جميع دوائر الدولة الموجودة في المحافظة، لهو اتجاه غير محمود، فمن ناحية أولى لم يحدد المشرع بعد تعديل القانون في عام ٢٠١٣ ماهية المرافق التي ستخرج من رقابة المجلس لتشرف عليها الحكومة الاتحادية المركزية لأنه لايمكن للمجلس المحلي الاشراف على جميع المرافق المحلية. ومن ناحية ثانية، وكنتيجة للإطلاق الوارد في اختصاص المجلس الرقابي وقع المشرع في القانون رقم ١٩ لسنة ٢٠١٣ في حومة المخالفة الصريحة لنصوص الدستور وذلك حينما منح المجلس صلاحية الرقابة على أعمال السلطة القضائية.

ثانياً: التوصيات:

١. إعادة صياغة نص البند"سادساً"من المادة السابعة ليقرأ كالآتي (الرقابة على الدوائر المحلية باستثناء هيئات السلطة القضائية ومؤسسات التعليم العالي والبحث العلمي والقطعات العسكرية).

٢. إعادة صياغة نص المادة الثانية من القانون البند"أولاً"بإضافة العبارة الآتية (.. وله حق إصدار الأنظمة والتعليمات بما يمكنه من إدارة شؤونها وفق مبدأ اللامركزية الإدارية...). وتطبيقاً لذلك يعدل البند"ثالثاً"من المادة السابعة ليقرأ كالآتي (ثالثاً: اصدار الأنظمة والتعليمات لتنظيم الشؤون الإدارية والمالية...). لكي تفسر سلطة المجلس في التشريع بانها سلطة التشريع الفرعي أي اصدار الأنظمة والتعليمات فقط.

٣. إعادة صياغة المادة (٢٢) لتكون كالآتي (لكل وحدة إدارية شخصية معنوية، ولها في سبيل ممارسة أعمالها ما يأتي...) وذلك بحذف الاستقلال المالي والإداري الذي كان يتضمنه النص لأنه نتيجة منطقية لمنح الشخصية المعنوية.

٤. لغرض تحقيق الانسجام بين النصوص الدستورية ومبدأ اللامركزية الإدارية الذي تبناه الدستور صراحة نقترح على لجنة تعديل الدستور إلغاء نص البند"خامساً"من المادة (١٢٢) من الدستور وإعادة ترتيب البنود لتكون أربعة فقط.

٥. إلغاء نص المادة (١٢٣) من الدستور لتعارضها مع فحوى المادة (١١٠) من الدستور فضلاً عن مخالفتها القواعد القانونية العامة التي تنظم قواعد تفويض الاختصاص ومفهومه العام.

المصادر

أولاً: الكتب:

١. د. إبراهيم عبد العزيز شيحا: النظم السياسية –الدول والحكومات–، الاسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٣.

٢. د. إبراهيم طه الفياض: مبدأ الفصل بين السلطات في الدساتير العراقية والدساتير المقارنة، في كتاب"دراسات دستورية عراقية حول موضوعات أساسية للدستور العراقي الجديد"، كلية الحقوق جامعة دي بول، ٢٠٠٥.
٣. د. إحسان حميد المفرجي، د. كطران زغير نعمة، د. رعد ناجي الجدة: النظرية العامة في القانون الدستوري والنظام الدستوري في العراق، بغداد، مطبعة دار الحكمة، ١٩٩٠.
٤. أدمار أيسمان: أصول الحقوق الدستورية، ترجمة عادل زعيتر، القاهرة، المطبعة المصرية، بلا سنة طبع.
٥. إلياس إنطوان الياس وادوار الياس: القاموس العصري (عربي، إنكليزي)، الطبعة التاسعة، المطبعة العصرية، القاهرة، ١٩٥٤.
٦. د. داود الباز: اللامركزية السياسية الدستورية في دولة الإمارات العربية المتحدة، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٠.
٧. د. رمزي طه الشاعر: النظرية العامة للقانون الدستوري، ط٥، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥.
٨. د. زهير شكر: الوسيط في القانون الدستوري، ج١، ط٣، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٩٤.
٩. د. سامي جمال الدين: القانون الدستوري والشرعية الدستورية، ط٢، الإسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٥.
١٠. د. سعاد الشرقاوي: القانون الدستوري والنظام السياسي المصري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠٠١.
١١. د. سليمان محمد الطماوي: الوجيز في القانون الإداري، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩١.
١٢. د. شاب توما منصور: القانون الإداري، ك١، جامعة بغداد، ١٩٧٩ -١٩٨٠.
١٣. د. صلاح الدين فوزي محمد: القانون الدستوري، القاهرة، دار النهضة العربية، ٢٠١٤.
١٤. د. عبد الغني بسيوني عبد الله: الوسيط في النظم السياسية والقانون الدستوري، الاسكندرية، منشأة المعارف، ٢٠٠٤.
١٥. د. عثمان خليل عثمان: التنظيم الإداري في الدول العربية، القاهرة، منشورات معهد الدراسات العربية، ١٩٥٧.
١٦. د. عثمان خليل، د. سليمان محمد الطماوي: القانون الدستوري، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٥٠ – ١٩٥١.
١٧. د. عدنان عاجل عبيد: أثر استقلال القضاء عن الحكومة في دولة القانون، النجف الاشرف، مؤسسة النبراس للطباعة والنشر، ٢٠٠٨.
١٨. د. عصام عبد الوهاب البرزنجي، د. علي محمد بدير، د. مهدي ياسين السلامي: مبادئ وأحكام القانون الإداري، بغداد،١٩٩٣.
١٩. د. علي سعد عمران: القضاء الإداري، بابل، منشورات مكتبة أبو الطيب المتنبي، ٢٠١٤.

٢٠. د. علي صبيح التميمي: آفاق الفلسفة السياسية، ط١، بغداد، دار نيبور للطباعة والنشر، ٢٠١٤،
٢١. د.غازي فيصل مهدي: نصوص قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨ في الميزان، بغداد،٢٠٠٨.
٢٢. محمد محمد بدران: الحكم المحلي في المملكة المتحدة، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٩١.
٢٣. د. محمد كاظم المشهداني: النظم السياسية، بغداد، المكتبة القانونية، ٢٠٠٨.
٢٤. د. محمود عاطف البنا: الوسيط في النظم السياسية، ط٢، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٩٤.
٢٥. د. محمود محمد حافظ: القرار الإداري، القاهرة، دار النهضة العربية، بلا سنة طبع.
٢٦. د. مصطفى محمد موسى: التنظيم الإداري بين المركزية واللامركزية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
٢٧. نادية بو خرص: استقلالية القضاء كضمانة أولية للرقابة على الصفقات العمومية، الجزائر، بلا سنة طبع.
٢٨. د. نواف كنعان: القانون الإداري الأردني، الكتاب الأول، الطبعة الثالثة، عمان، ١٩٩٦.
٢٩. د. كريم كشاكش: التنظيم الإداري المحلي –المركزية واللامركزية– ط١، عمان، ١٩٩٧.
٣٠. د. يحيى الجمل: النظام الدستوري في جمهورية مصر العربية، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٤.

ثانياً: الأبحاث القانونية:

١. د. بكر القباني: الوصاية الإدارية، مجلة القانون والاقتصاد للبحوث القانونية والاقتصادية، جامعة القاهرة –كلية الحقوق، س ٥٢، ١٩٨٢.
٢. د. بكر القباني: القانون الإداري في الخليج العربي، مجلة القانون والاقتصاد للبحوث القانونية والاقتصادية، جامعة القاهرة – كلية الحقوق، س٤٦، ع٣-٤، ١٩٧٦.
٣. د. رمزي طه الشاعر: المسؤولية عن أعمال السلطة القضائية، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، س١٨، ع٢، جامعة عين شمس –كلية الحقوق، ١٩٧٦.
٤. د. سليمان محمد الطماوي: أهم المشكلات التي تواجه البلديات في العالم العربي والحلول المناسبة لها، مجلة العلوم القانونية والاقتصادية، س١٢، ع٢، جامعة عين شمس –كلية الحقوق، ١٩٧٠.
٥. د. صبري محمد السنوسي: ركن الاختصاص في القرار الإداري الكويتي والرقابة القضائية عليه، مجلة الحقوق، السنة ٣١، العدد ٤، جامعة الكويت، ٢٠٠٧.
٦. د. عبد الوهاب العبدول: مساهمات المحاكم العليا في تعزيز مبدأ استقلال القضاء–نموذج المحكمة الاتحادية العليا بدولة الامارات العربية المتحدة–، بحث مقدم إلى المؤتمر الثاني لرؤساء المحاكم العليا في الدول العربية المقام في الدار البيضاء/المغرب بتاريخ ١٧-٢٠١١/٩/١٨.
٧. د. غازي فيصل مهدي: نظاما الفيدرالية واللامركزية في دستور جمهورية العراق لسنة ٢٠٠٥، مجلة التشريع والقضاء، ع١، بغداد، ٢٠٠٩.

٨. د. محمد عبد الله العربي: نظم الإدارة المحلية، مجلة القانون والاقتصاد، س٢٩، ع٢، جامعة القاهرة، ١٩٥٩.

ثالثاً: الاطاريح الجامعية:

١. علي سعد عمران: حدود حل البرلمان –دراسة مقارنة–، اطروحة دكتوراه، جامعة بابل –كلية القانون، ٢٠١٤.
٢. مروان محمد محروس: تفويض الاختصاص التشريعي –دراسة دستورية مقارنة–، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد –كلية القانون، ٢٠٠٠.

رابعاً: الاحكام القضائية:

١. حكم المحكمة الاتحادية العليا الصادر بالعدد ٢١/ اتحادية اعلام/٢٠١٥ الصادر بتاريخ ٢٠١٥/٤/١٤."غير منشور".
٢. حكم المحكمة الاتحادية العليا الصادر بالعدد ٦٧/اتحادية/٢٠١٣ وبتاريخ ٢٠١٤/٨/١٩"غير منشور".
٣. حكم المحكمة الاتحادية العليا الصادر بالعدد ٨٧/اتحادية اعلام/٢٠١٣ وبتاريخ ٢٠١٣/٩/١٦."غير منشور".

خامساً: الدستور والتشريعات العراقية الاخرى:

١. دستور العراق لعام ٢٠٠٥.
٢. قانون الادعاء العام رقم ١٥٩ لعام ١٩٧٩ المعدل.
٣. قانون التنظيم القضائي رقم ١٦٠ لعام ١٩٧٩ المعدل.
٤. أمر اعادة تشكيل مجلس القضاء لعام ٢٠٠٣.
٥. قانون المحافظات غير المنتظمة في إقليم رقم ٢١ لسنة ٢٠٠٨ المعدل.
٦. تعليمات تشكيلات السلطة القضائية الاتحادية رقم (١) لسنة ٢٠١٤.

سادساً: مواقع الانترنت:

موقع نقاش الالكتروني تحت عنوان"البرلمان يمنح المحافظات استقلالية إدارية"www.niqash.org

سابعاً: المصادر الاجنبية: (الانجليزية والفرنسية)

1- S. J. Al - Kadhem: Constitutional and Administrative Law Baghdad University Press، 1994.

2-Zerari Fathi: Le Naissance du Droit Constitutionnel، Journal of Law،Vol 33، No3، university of Kuwait، 2009.

3- G. Lescuyer: Les Perspectivs Actuelles De LaDecontralisation Territo Riale، Revue Al-Ulum Al-Qanuniya Wal-Iqtisadiya، 8em Annee، No.1، 1966.

أحكام وآداب السياحة

Ethics of Tourism

م.م علاء كاظم ابراهيم[1] Assist.lec. Alaa Kadhim Ibraheem

ملخص البحث

هذا المبحث لتسليط الضوء فقهياً على واحد من أهم معالم الحياة وأخصبها فائدة، وهو السياحة، دينية كانت أو عامة متنوعة، و بيان أحكامها وآدابها، لأنها من الأمور المبتلى بها غالباً ولا يكاد يخلو منها أو من الارتباط بها مجال، وهي اليو م من الصناعات الحديثة التي زاولها الانسان بدائياً في القدم؛ و لأنها تحتاج الى تطوير صناعي مع فهم فقهي، حتى يقع الإنسجام بين الحركتين علميا، إضافة لضرورة بيان مقدار المخاطر التي تكتنف الموضوع.

ولم أجد بحثاً مستقلاً سبق في هذا الباب.

و المبحث يقع في مدخل وأحد عشر مبحثاً، الأول: بيان معنى السياحة، والثاني في أدلة جواز السياحة، و الثالث: السياحة في الدعاء، والرابع: السياحة في الشعر و الخامس: في بيان الضررمن ترك السياحة، و السادس: في السياحة القسرية، والسابع: في رد شبهة الرهبانية في السياحة، وثامنها: السياحة الفكرية، وتاسعها: ما يأتي من الفساد في السياحة، والعاشر بعض معالم السياحة في العراق والعالم الاسلامي، والحادي عشر: في بعض مسائل السياحة الفقهية، ثم خاتمة المبحث و ملخص مترجم الى الانكليزية لهذا المبحث.

و أهم المصادر التي رجعت اليها، تفسيرأبي حمزة الثمالي و تبيان الطوسي و تفسير القمي والبيان للطبرسي و صحيح البخاري و تفسير القرطبي و التحفة السنية للجزائري.

١ – جامعة اهل البيت عليهم السلام/كلية العلوم الاسلامية.

Summary Section:

This section to highlight doctrinal on one of the most important features of life and O_khasbha interest, which is tourism, religious were public or variety, and a statement of its provisions and literature, because they are things plagued by often and almost devoid of them or from the link to the area, which Alliot m of modern industries exercised by primitive man in the foot; and they need to develop an industrial with a jurisprudential understanding, even located harmony between the two movements scientifically, in addition to the need to indicate the amount of risk surrounding the subject.

I did not find an independent search of the above in this section. And the section is located at the entrance and a ten Mbgesa, first: Statement meaning of tourism, and the second in evidence passport tourism, and the third: Tourism in supplication, and fourth: Tourism in hair and fifth: in a statement Aldharrmen leaving tourism, and sixth: in tourism forced,seventh: In response suspicion of monasticism in tourism, eighth: tourism, intellectual, and ninth: What comes from corruption in tourism, and tenth: some features of tourism in Iraq and the Islamic world, and eleventh: in some matters of tourism jurisprudence, then the conclusion section and a summary translated into English for this section.

And the most important sources that returned reference, Tfseriba the Hamza and residual indicate Toosy and interpretation of the apical and the statement of the divine secret, Sahih Al-Bukhari and interpretation of verse and Sunni masterpiece of Algeria.

مدخل

السياحة قديماً وحديثاً من الامور المبتلى بها كثير من الناس ان لم يكن جميعهم، بصورة واخرى. وهي على اهمية كبيرة من حيث انها ترتبط بأكثر من جانب من جوانب حياة الانسان، الامر الذي يستدعي معرفة رأي الشارع المقدس في جميع ذلك وكذا في الفروع التي تتفرع من حاق المسألة، ومعلوم ان اية جهة تُعنى بالأمور المهمة الحياتية لم يَفُتْها ان افردت ذوي اختصاص وانشأت هيئات بل ووزارات وارصدت الاموال الكثيرة، والدراسات المفصلة للنهوض بواقع السياحة بعد الفراغ من الالمام بكل ما يتعلق بالسياحة كعلم وفن و ذوق واخلاقيات، بل ودراسة اثارها على جميع الصّعد، حتى غدت احدى اهم الموارد الاقتصادية للبلد ومن اهم وسائل التواصل والتلاقح الحضاري بين الامم على الصعيد الثقافي وكفى بهما اهمية انهما (الثقافة والاقتصاد) لا يكاد يخلو من سلطانهما رواق ولا مجال من المجالات الحيوية واروقة العيش والحياة من اجل ذلك كان هذا المبحث.

معاني السياحة

السياحة لغة: (الذهاب في الارض للعبادة والترهب، وساح في الارض يسيح سياحة وسيوحاً وسيحاً أي ذهب. قال ابن شميل: المسيح من العباءة الذي فيه حدد واحد بيضاء واخرى سوداء ليست بشديدة السواد وكل عباءة مسيح ومسيحة، ومالم يكن حدد فهو كساء وليس بعباء، وبرد مسيح مخطط)[٢]، والسيح الماء الظاهر الجاري على وجه الارض. من سيح، يعني الجريان والاستمرار، السائحون في قول اهل اللغة جميعاً صائمون [٣]. قال الجوهري: ساح في الارض يسيح سياحة وسيوحاً وسيحاً وسيحاناً، أي ذهب وانساح باله أي اتسع[٤]، السيح مصدر قولك ساح الماء سيحاً اذا جرى على وجه الارض ويطلق ايضاً على الماء الجاري، ومنه الساحة المتسع [٥].

السياحة اصطلاحاً: سائح مهاجر هاجر مهاجرةً من البلد وعنه خرج منه الى بلد اخر[٦]. جال في البلاد للتنزه او التفرج او غير ذلك، المتجولون في البلاد بقصد الاطلاع والاستمتاع[٧].

السياحة شرعاً: قيل للصائم (سائح) لأنه يستمر في الامساك عن الطعام والشراب كما يستمر السائح في الارض[٨]، لأن الذي يسيح في الارض متعبد يسيح ولا زاد له ولا ماء فحين يجد يطعم، والصائم يمضي نهاره لا يأكل ولا يشرب شيئاً فشبه به.

وقال تعالى: [(فسيحوا في الارض)[٩]، أي سيروا فيها امنين حيث شئتم. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: (سياحة امتي الغزو والجهاد). وفي الحديث الشريف: (كان من شرائع عيسى عليه السلام السيح في البلاد)، وفيه من اوصاف الامام عليه السلام (للعابد) سياحة الليل وسياحة النهار][١٠]. وقال الفراهيدي(في معنى السياحة): [الذهاب في الارض للعبادة، الحديث. (اولئك ائمة الهدى ليسوا بالمسايح)، أي الذين يسيحون في الارض بالنميمة والشر][١١]. وكذلك قال ابن سلام[١٢] ومنه المسيح ابن مريم عليه السلام، في بعض الاقاويل كان يذهب في الارض فأينما ادركه الليل صف قدميه وصلى حتى الصباح، فاذا كان كذلك فهو مفعول بمعنى فاعل[١٣]. [وفي الحديث: (لا سياحة في الاسلام)، والمسياح الذي يسيح في

---

٢ - ابن منظور ، لسان العرب ج٢ ص٤٩٣ ، الزبيدي ، تاج العروس ج٢ ص٣٦٨ ، لويس معلوف ، المنجد في اللغة ص٣٦٨.

٣ - ابن منظور ، لسان العرب ج٢ ٤٩٢ ، الطريحي ، مجمع البحرين ج٢ ص١٦٨.

٤- الجوهري ، الصحاح ، ج١ ص٣٧٧ مادة سيح.

٥- ابن منظور ، لسان العرب ج٢ ص٤٩٢.

٦- لويس معلوف ، المنجد في اللغة ص٨٥٥.

٧- لويس معلوف ، المنجد في اللغة ص٣٦٨.

٨- ابن الاثير ، النهاية ج٢ ص٤٣٤ ، الطريحي ، مجمع البحرين ج٢ ص٤٦٥ الطوسي ، التبيان في تفسير القران ج١٠ ص٤٧ ، الطبرسي ، مجمع البيان ج١٠ ص٥٠.

٩- اية ٢ سورة التوبة.

١٠- الطريحي ، مجمع البحرين ج٢ ص٤٦٥.

١١- الفراهيدي ، العين ص٢٧٢.

١٢- ابن سلام ، غريب الحديث ص٤٦٣.

١٣- ابن منظور ، لسان العرب ج٢ ص٤٩٣.

الارض بالنميمة والشر، وكذلك الحديث عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليهما السلام (ليسوا بالمساييح ولا بالمذاييح البذر)][١٤]. قال ابن الاثير: اراد بـ (لا سياحة في الاسلام)، مفارقة الامصار وسكنى البراري وترك شهود الجمعة والجماعات، وقيل اراد الذين يسيحون في الارض بالشر والنميمة والافساد بين الناس[١٥]. قال تعالى (سائحات)[١٦]، (السائحون)[١٧] والسائحات، الصائمون و الصائمات. وقيل هم الذين يديمون الصيام، وهو مما في الكتب الاول[١٨]. وعلى كل حال يظهر وجه الاشتراك اللفظي في السائح فيما يلي: الصائم المتجول في البلدان والبراري وفي الماشي بالنميمة والشر بين الناس وجهة الاشتراك المادة، السين، والياء، والحاء، وملاحظة انهم جميعاً يجرون في شيء كالماء السيح، السائح، يجري على وجه الارض في مساحة واسعة وذلك (النمام) يجري في الناس والصائم يجري في صيامه والدوام عليه والقماش جرت فيه الخيوط فهو مسيح بمعنى مفعول. ويظهر ايضاً السياحة المنهي عنها في الحديث الشريف هي الرهبانية والتقشف وهجران الناس وعدم حضور جمعتهم وجماعتهم، او المشي بالفساد فيهم، قال تعالى:(مشّاء بنميم)[١٩]. والملاحظ ان في قولنا سياحة دينية اجتماع المعنى الديني للفظ (سياحة) وهو الكون في طاعة الله سبحانه دائماً مع لفظ دينية التي هي بيان لشكل السياحة تمييزاً لها عن السياحة الترفيهية فهو من قبيل ذكر الخاص بعد العام كقوله تعالى: (فاكهة ونخل ورمان)[٢٠]. او هي تأكيد كقولنا دينية دينية.

الفصل الاول: ادلة جواز السياحة وإباحتها

الاول: القران الكريم:

اولاً:الآيات الدالة باللفظ واشتقاقاته.

الاولى: قوله تعالى: (السائحون الراكعون)[٢١].

وجه الدلالة بعد التسليم ان للفظ ظهوراً في الصيام أي الصائمون الراكعون، بضميمة الحديث الشريف الذي يبين ان السائح هو الصائم والذي مر ذكره، الا ان له ظهوراً اخراً من باب الاشتراك اللفظي، وهو الذي يسيح في الارض، والسياق ايضاً يدل عليه اذ ذكر سبحانه بعد العبادة انواعاً اخرى من الاعمال الصالحات ومعلوم ان العبادة تشمل الصيام فتكون عبارة السائحون دالة على معنى اخراً دفعاً للتكرار، قال تعالى: (التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين). وفيها كذلك وبنفس الدليل الراكعون يعني

١٤- الجوهري ، الصحاح ج١ ص٣٧٧.
١٥- ابن الاثير ، النهاية في غريب الحديث ج٢ ص٤٣٢.
١٦- اية ٥ سورة التحريم.
١٧- اية ١١٢ سورة التوبة.
١٨- ابن منظور ، لسان العرب ج٢ ص٤٩٣.
١٩ - الاية ١١ سورة القلم.
٢٠- الآية ٦٨ سورة الرحمن.
٢١- (١-٢)- اية ١١٢ سورة التوبة.

الخاشعون، والساجدون الخاضعون وهذا لا يدفع (كما بينا) ان يكون المقصود الصائمين المصلين الآمرين بالمعروف... وهذا يدل على كون السياحة للمقاصد الخيرية محمودة كطلب العلم[٢٢].

الثانية: قوله تعالى: (سائحات)[٢٣].

وهنا ايضاً يظهر اللفظ وهو في سياق المدح والمراد به العمل الصالح الذي ينشغل به المؤمن ويجري فيه، ومنه السياحة في الارض بقصد الخير والبر، ولأنه ذكرت قبله العبادة، فتبين انه لا يراد به خصوص الصيام وان لم يمتنع ان يكون كذلك فالاشتراك اللفظي لا يحصر المراد في معنى واحد كما ذهب اليه المفسرون حديثاً، كآية الله الدكتور صادقي طهراني حيث انه بين في مقام شرحه لقوله تعالى: (والمطلقات يتربصن بأنفسهم ثلاثة قروء)[٢٤]. ان المراد بالقرء الطهر مرة والحيض مرة ولما لم يقم الدليل على ارادة واحد منهما بعينه، فالاحتياط الجمع بينهما لأنه مراد المولى حينئذٍ ان المراد الطهر والقرء معاً وكذا فيما نحن فيه فلما لم يقم الدليل على ان السائحات هو خصوص الصائمات، ولا يمكن صرفه عن معناه ذاك فالمراد الصائمات المهاجرات في الله سبحانه.

ويظهر ايضاً انه من قبيل اذا اجتمعا افترقا واذا افترقا اجتمعا فكلما جاء لفظ سائح في جملة واحدة لوحده فيكون اجتماع المعاني فيه، وكلما فصل بالتعداد للأعمال اخذ معناه الذي وضع له في الجملة، كالصيام، او خصوص التجوال في الارض، ومثال اذا قال تعالى: (مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وابكاراً)، وهي الآية التي نحن بصددها فالتفصيل واضح لأفراد المرأة المؤمنة الممدوحة ولفظ مسلمات لا يدل على ما يدل عليه لفظ مؤمنات لانهما اجتمعا فافترقا فالأولى تدل على مجرد النطق بالشهادتين والثانية تدل على اكثر من ذلك في شدة الايمان واستقراره في القلب، و بذلك ايضاً لا تدل سائحات على خصوص الصائمات بل على اعم من ذلك فالصائمات يدخل مفهومها في لفظ العابدات الذي سبق لفظ السائحات، فيظهر السائحات في المهاجرات ولأنه في مقام المدح، فيخرج السائح بالشر والنميمة وما الى ذلك من الرهبانية او هجران جماعة المسلمين، ولا يخفى أن لفظ (السائحون)، وكذا (السائحات) يدل على نفس المعنى وقد تقدم بيانه.

الثالثة: قوله تعالى: (فسيحوا في الارض اربعة اشهر)[٢٥].

وقد مر بيانها وان المراد بالسياحة هو التنقل بالأرض واطرافها ولو كان ممنوعاً على نحو الحرمة او الكراهة لما اباحه الله سبحانه للمخاطبين. فان قلت: ان المخاطبين مشركون والآية لا تخاطب المسلمين

٢٢- المازندراني ، شرح اصول الكافي ، ج٢ ص٥٤١ المجلسي ، البحار ج٦٦ ص٣٥٦.المحمودي ، محمد الباقر ، نهج السعادة ، ج٣ ص٤١٤ ، قال السائحون: الجارون او السائرون في الارض في اداء واجبهم من تبليغ احكام او اصلاح بين المجتمع او عيادة مريض او قضاء حاجة ، الطبرسي الفضل بن الحسن ، مجمع البيان ، ج٥ ص١٣١ ، قال يسيحون في الارض فيعتبرون بعجائب الله تعالى ، الخطيب البغدادي ، احمد بن علي ، الرحلة في طلب الحديث ، قال السائحون هم طلبة الحديث. الثمالي ، ابو حمزة تفسير ابي الثمالي ص١٩٤.

٢٣- الآية ٥ سورة التحريم.

٢٤- اية ٢٢٨ سورة البقرة. (حضرت تفسيره في جامع الامام السجاد عليه السلام في قم المقدسة سنة ١٩٨٤م ، وله تفسير (الفرقان في تفسير القران) وهو ثلاثون مجلداً.

٢٥ – سورة التوبة ، الآية ٢

يقال: ان موضوع الآية جواز التنقل في الارض وكون الفاعل مشركاً لا يمنع ممارسة المباح، وهو التنقل في اطراف الارض ومناكبها. فان قلت: الامر يدل على الوجوب ولعل الآية تامرهم. فكيف نستفيد الاباحة. يقال: كان السيح مباحاً فبقي على اباحته ولا يهمنا ان كان امَرهم او لا فهو متوجه لهم لا للمسلمين، فضلاً عن ان الآية في مقام التهديد وليس الايجاب فهم ممهلون الى اربعة اشهر ضمن عهودهم وعقودهم مع المسلمين فبعدها يمنع المشركين من التنقل لقصد الحرب والشر ولهم ان يرجعوا الى مأمنهم خلال المدة ولهم ان يسيحوا في الارض اربعة اشهر.

وبالتالي فان المشرك لا يمتثل لأمر الله تعالى سواء كان بالوجوب او بالحرمة او حتى بالإباحة ولذا فلا يعقل ان الله سبحانه اوجب عليهم السيح في الارض، وانما يعقل ذلك في حق المسلم الذي امن بالله تعالى فصح منه الامتثال لأوامره ونواهيه واما ظهور الاباحة للسياحة في الآية المباركة فهو للأصل ولم يقم على منعه نصف الآية تؤكد هذا الاصل الى حين للمشركين أي بعد اربعة اشهر.

الرابعة: قوله تعالى: (ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم)[٢٦].

وجه الدلالة انه وصف قام مقام الاسم ثم تلاه اسمه عليه السلام، ولولا انه ممدوح في سياحته بالصالحات كما مر معناه لما وصف به.

وقوله تعالى: (انا قتلنا المسيح)[٢٧].

وقوله تعالى: (انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله)[٢٨].

وقوله تعالى: (لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله)[٢٩].

وقوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح)[٣٠]. وهذه الآية ذكرت مرة.

وقوله تعالى: (وقال المسيح يا بني اسرائيل)[٣١].

ويظهر بذلك:

١. التأكيد على استعمال الوصف المادح لعيسى بن مريم على نبينا واله وعليه الصلاة والسلام.
٢. انها صفة محببة محبوبة عند الله سبحانه.
٣. ان المسيح ليس عنده رهبانية و لاهوتية كهنوتية، حلولية وما يشبهها فهو ليس الله سبحانه ولا ابن الله، ولا يستنكف في عبادته وسياحته بالذات ان يكون عبداً غير مستكبر ولا متكبر، خالصاً للمعبود الاحدي الله سبحانه.

ثانياً: الاستدلال بالآيات الشريفة الدالات على المقصد بألفاظ اخرى غير لفظ السياحة

الاولى: قوله تعالى: (فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)[٣٢].

---

٢٦ – سورة ال عمران اية ٤٥.
٢٧– الآية ١٥٧ سورة النساء.
٢٨– الآية ١٧١ سورة النساء.
٢٩– الآية ١٧٢ سورة النساء.
٣٠– الآية ١٧ سورة المائدة.
٣١ – الآية ٧٢ سورة المائدة.

وجه الدلالة واضح في طلب السير في الارض والتنقل والتجوال بين اطرافها بقصد الاعتبار والعظة مما اصاب الاقوام السابقين ومدنهم ومساكنهم، وهل هذا الا السياحة في الارض لأحد أهم المقاصد الخيرية والأعمال الصالحة ليتعظ المتعظين، وقد ذكرت الآية مرتان.

الثانية: قوله تعالى: (قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدا الخلق)[٣٣].

وهذه ايضاً دعوة اخرى للسياحة بقصد الدراسات العلمية والحث الظاهر عليها، وبها يتأكد ليس فقط اباحة السياحة بل استحبابها.

الثالثة: قوله تعالى: (قل سيروا فيها ليالي وايام آمنين)[٣٤].

وجه الدلالة واضح في استحباب السياحة و الندب اليها، فضلاً عن اباحتها، والملاحظ هنا فتح الدعوة اليها لتكون ليلاً او نهاراً، حتى تعم الزمان كله ولا تقتصر الحركة السياحية على الليل فقط او على النهار فقط.

وهناك جملة من الآيات الشريفات تبين المقصود من السير والسياحة، فمرة لينظروا كيف كان عاقبة المكذبين[٣٥]، ومرة لينظروا كيف بدأ الخلق[٣٦].

ومرة لينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم[٣٧]. بصورة عامة ومرة لينظروا كيف كان عاقبة المجرمين[٣٨].

وبذلك تظهر الضرورة العلمية القصوى المتعلقة حصراً بالسياحة وانها متعددة المقاصد والغايات، فدراسة احوال المكذبين دراسة في الفكر المنحرف. ودراسة احوال المجرمين دراسة في المجتمعات في السلوك المنحرف، ودراسة حال الامم دراسة في المجتمعات على جميع احوالهم الاقتصادية والسياسية والاجتماعية وغيرها، وانما يحصل ذلك كله بالاستطلاع والاطلاع عليها.

وهكذا في قوله تعالى: (افلم يسروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها او آذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور)[٣٩].

والدلالة واضحة فيها لاستعمال السياحة مقدمة للحركة الفكرية والمناقبية او ما يصطلح عليه بالبصيرة، فالذي يسير في الارض مستعملاً الفكر للاستطلاع والزيادة من المعلومات عن كل شيء مرة، ومرة ان نفس العمل يورث صاحبه نضجاً ورشداً يمنع على صاحبه ((المهاجر، السائح، المتجول)) عمى البصيرة والغباء، فيندفع ويرتفع عنه واسماه القران الكريم عمى القلوب، ومن هنا ايضاً يمكن معرفة حجم

٣٢- الآية ١٣٧ سورة ال عمران.الصافي ، التفسير الصافي ، ج١ ص٣٨٢.
٣٣- الآية ٢٠ سورة العنكبوت. الشهدي ، محمد القمي ، تفسير كنز الدقائق ، ج٢ ص٢٣٦. الطباطبائي ، الميزان ، ج٤ ص٢٢. الصالحي الشامي ، سبل الهدى والرشاد ، ج١٢ ص٣٨٤.
٣٤- الآية ١٨ سورة سبأ. الطبرسي ، مجمع البيان ، ج٨ ص٢١١.
٣٥ - الآية ١١ سورة الانعام.
٣٦- الآية ٢٠ سورة العنكبوت.
٣٧- الآية٩ سورة الروم.
٣٨- الآية ٦٩ سورة النمل.
٣٩- الآية ٤٦ سورة الحج.

الاهمية القصوى للسياحة اذا ارتبطت بخصوص هذا العمل الصالح أي البحث والتنقيب في سير الامم والخلق وما الى ذلك[٤٠].

قوله تعالى: (أُحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة)[٤١].

وقوله تعالى: (يلتقطه بعض السيارة)[٤٢].

وجه الدلالة التشجيع على السير في البر والبحر ببيان حلية صيد البر والبحر، (البر في اية اخرى)، ومعلوم ان السيارة هي القافلة التي تسير فتقطع الفيافي والقفار اما لمقصد نهائي او مقصد مشترك مع قصد الطريق كالرحالة ماجلان او ابن بطوطة[٤٣].

وقوله تعالى: (وانكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل افلا تعقلون)[٤٤]. وفيها دلالة على ان المار او السائح، او القافلة التجارية التي تدخل ليلاً ذهاباً وصباحاً اياباً او بالعكس ليجد اية وعلامة من علامات الفهم مما جرى على الامم السابقة وليستفيد استفادة علمية برؤية اثار قرية سديم التي دمرها الله سبحانه واهلها اجمعين وهي اليوم من المعالم السياحية في الاردن يرتادها العشرات من السياح من شتى انحاء العالم.

قوله تعالى: (فامشوا في مناكبها)[٤٥].

وقوله تعالى: (فنقبوا في البلاد هل من محيص)[٤٦].

أي سيروا في البلاد فانظروا هل من خلاص، (أي) مرّوا[٤٧]، وقال الطوسي: أي فتحوا مسالك في البلاد بشدة بطشهم، فالتنقيب التفتيح بما يصلح للسلوك، من نقض الابنية، ومنه النقب الفتح الذي يصلح للسلك وليس كل فتح نقباً: فالنقب نقض موضع بما يصلح للسلوك، وقال مجاهد: نقبوا في البلاد أي ضربوا في الارض ضرب جاعل المسالك بالنقب[٤٨]، قال امرؤ القيس:

لقد نقبت في الافاق حتى رضيت من الغنيمة بالإياب[٤٩]

قال الزجاج: فنقبوا، طوفوا وفتشوا[٥٠]

٤٠- الطبرسي مجمع البيان ج٧ ص١٦٠.

٤١- الآية ٩٦ سورة المائدة.

٤٢- الآية ١٠ سورة يوسف.

٤٣- ماجلان (فرناو دي) magalhaes(١٤٨٠م - ١٥٢١م) ، رائد برتغالي اكتشف المضيق المعروف باسمه ١٥٢٠م ، اول من دار حول العالم ، قتل في الفلبين (اويس معروف ، المنجد في الاعلام ص٥٠٩). ابن بطوطة: (محمد بن عبد الله) ، (١٣٠٤م - ١٣٧٧م) ولد في طنجة رحالة ، طاف في انحاء العالم المعروف واستغرقت رحلاته الثلاث زهاء ٢٩ سنة زار خلالها افريقية وبلاد العرب واسيا والشرق الاقصى استقر في فاس ، له ((تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) المعروفة برحلة ابن بطوطة ، امتازت بالدقة في الملاحظة والامانة في الرواية. (ن. م) ص٥. والمتأمل في تاريخ الاثنين لنفس المصدر يجد ابن بطوطة سبق ماجلان في رحلته.

٤٤- الاية ١٣٨ سورة الصافات. الكليني ، الكافي ج٨ ص٢٤٩.

٤٥- الاية ١٥ سورة الملك.

٤٦- الاية ٣٦ سورة ق.

٤٧ - القمي تفسير القمي ج٢ ص٣٢٧.

٤٨ - الطوسي ، التبيان ج٩ ص٣٧٣.

٤٩- امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ص٤٨.

٥٠- الزبيدي تاج العروس ج١ ص٤٩٢.

وقوله تعالى: (وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم الا قليلاً وكنا نحن الوارثين)[٥١].

وفيها جميعاً دعوة للتنقل والسفر للتأمل والتعلم ورؤية الدروس العلمية والعملية.

وقوله تعالى: (قل انظروا ماذا في السموات والارض)[٥٢].

وفيها دعوة للسياحة الفضائية في السماوات، كما هي دعوة فكرية للتأمل في منظرها، كما يتبين من الآية التالية:

قوله تعالى: (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا)[٥٣].

وقوله سبحانه: (وعلامات وبالنجم هم يهتدون)[٥٤].

وفيها بيان واشارة الى السياحة الليلية والنهارية فالعلامات نهارية والنجم ليلية.

وقال تعالى: (ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف الوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والانعام مختلف الوانه كذلك)[٥٥].

وبالتأمل في قوله تعالى ومن الناس مختلف الوانه كذلك أي هناك ناس بيض وموطنهم اوربا وناس حمر وموطنهم امريكا الشمالية وناس سود وموطنهم افريقيا وناس صفر بدلالة (مختلف الوانها) لان مزج الالوان يعطي الواناً جديدة يعرف ذلك في زمن نزول القران الكريم بالسياحة والسفر والاكيف عرف العربي في الجزيرة العربية بوجود الاحمر في امريكا الشمالية والاصفرفي شرق آسيا.

وقوله تعالى: (قال لا ابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا)[٥٦]

وقوله تعالى: (حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها ستر)[٥٧].

وقوله تعالى: (حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوماً)[٥٨].

قال المجلسي بلغ اخر العمارة من جانب المغرب[٥٩].

قوله تعالى: (ثم اتبع سبباً حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوماً لا يكادون يفقهون قولاً)[٦٠].

٥١- الآية ٥٨ سورة القصص.
٥٢- الآية ١٠١ سورة يونس.
٥٣- الآية ٣٣ سورة الرحمن. الصافي تفسير الصافي ج٥ ص١١١.
٥٤- الآية ١٦ سورة النحل ، الطوسي ، التبيان ج٦ ص٣٦٨.
٥٥- الآية ٢٨ = فاطر ، الطبرسي ، مجمع البيان ج٨ ص٢٤٢.
٥٦- الآية ٦٠ سورة الكهف.
٥٧- لآية٩٠ سورة الكهف.
٥٨- لآية ٨٦ سورة الكهف.
٥٩- المجلسي بحار الانوار ج١٢ ص١٧٢.
٦٠- اية ٩٣ سورة الكهف.

قال المجلسي يعني طريقاً ثالثاً بين المشرق والمغرب اخذاً من الجنوب الى الشمال حتى اذا بلغ بين السدين، بين الجبلين المبني عليهما سدة وهما جبلا ارمينيا واذربيجان وقيل في اواخر الشمال في منقطع ارض الترك[٦١].

يظهر مما تقدم من الآيات المباركات وغيرها الكثير من اعرضنا عن ذكرها مخافة التطويل ان السياحة مستحبة ومندوب اليها مالم يخالطها فساد او افساد، واما اذا كانت لطلب العلم والتعلم بما فيه النجاة من النيران والفوز بالجنان فان حكمها يتغير الى الوجوب الكفائي أي يكفي ان يذهب جماعة لتحصيل ذلك العلم من اجل نشره بين غيرهم ممن تعذر عليه الذهاب الى نفس تلك المناطق فهو يشابه موضوع طلب العلم الفقهي الذي قال عنه سبحانه: (وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون)[٦٢].فوجوب طلب العلم والتفقه واجب كفائي ينفرد به جماعة وعلى الباقين وجوب التعلم منهم، وكذا اذا انحصر هذا العلم بالسياحة (فرضاً)، لزم على جماعة التفرغ لتعلمه لتعليمه للآخرين. وبذلك يتبين بالدليل الاول من القران الكريم الندب الى السياحة في الارض.

الثاني: السنة المطهرة

اولاً: قال ﷺ: (من اراد ان ينظر الى ادم في علمه والى نوح في فهمه وابراهيم في خلقه وموسى في مناجاته وعيسى في سياحته وايوب في صبره ببلائه فلينظر الى هذا الرجل المقبل) أي الامام علي بن ابي طالب عليه السلام(٦٣).

وجه الدلالة على الاباحة والندب واضح، لا يقال لعلها ظاهرة في العبادة لأنه يقال: هي ظاهرة ايضاً في التنقل في الارض كما المسيح على نبينا واله وعليه السلام وقد تقدم بيان ذلك.

ثانياً: قال امير المؤمنين علي عليه السلام في جواب اليهودي الذي قال: فان عيسى يزعمون انه كان سياحاً (أي له فضيلة السياحة)، قال: لقد كان كذلك، ومحمد كان سياحته في الجهاد(٦٤).

وفيه ظهور ان السياحة ممدوحة لامتداح عيسى والرسول محمد ﷺ وعليه بها.

٦١- المجلسي ، بحار الانوار ج١٢ ص١٧٣.
٦٢- الآية١٢٢ سورة التوبة.
٦٣- شاذان بن جبرائيل القمي ، الفضائل ص٩٨ ، المجلسي ، بحار الانوار ج٣٩ ص٣٨.
٦٤- الطبرسي ، الاحتجاج ج١ ص٣٣٤.

ثالثاً: قال المعلّى بن خنيس: (قلت لابي عبد الله يوماً: جعلت فداك، ذكرت ال فلان وماهم فيه من النعيم، فقلت: لو كان هذا اليكم لعشنا معكم فقال: هيهات يا معلّى اما والله لو كان ذاك ما كان الا سياسة الليل وسياحة النهار ولبس الخشن واكل الجشب، فزوي ذلك عنا، فهل رأيت ظلامة قط صيرها الله نعمة الا هذه)(٦٥)،

وانما اضافها (السياحة) الى النهار لان الذهاب الى الجهاد والجماعة و نحوهما الحركة في الارض لإجراء الاحكام على الخلق (وسائر القصود الصالحات) ونحوه يقع في النهار غالباً، وحمل سياحته عليه السلام على الصوم بعيد في هذا المقام اذ لا مدخل لكثرة النعمة فيه الا ان يكون المراد زجر النفس عنها، وهذا الحمل مع قلته منقول عن الشرع، حيث اعتبر الامام عليه السلام السياحة في النهار (بمعنى الصوم) لأجل الرعية نعمة لان فيها زجر للنفس عن الهوى. الا ان المراد واضح في الندب الى السياحة.

رابعاً: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (سيروا سير اضعفكم) لبيان شكل وهيئة المسافر والسائر للقصود الشرعية في الارض(٦٦). وهو يشمل السياحة.

خامساً: وجاء في الحديث القدسي: ((يا عيسى انت المسيح بأمري))(٦٧) ، لأنه سائح في الارض للعبادة وهداية الناس وعمل الصالحات.

سادساً: قال الامام الصادق عليه السلام: (لجاهل سخي افضل من سائح بخيل).

أي جاهل كريم افضل (بالتقابل) من عالم بخيل تعلم من سياحته وتجاربه او عابد سائح في عبادته ولكنه بخيل لا يجود بالمكرمات.

سابعاً: قال سلمان بن غانم: سألني ابو عبد الله : كيف تركت الشيعة فقلت: تركت الحاجة والبلاء اسرع اليهم من الميزاب السريع في ماء المطر، فقال: الله المستعان، ثم قال: ايسرك الامر الذي انت عليه ام مائة الف، قلت: لا والله ولا جبال تهامة ذهباً(٦٨)، فقال من اغنى منك ومن اصحابك ما على احدكم ولو ساح في الارض يأكل من ورق الشجر ونبت الارض حتى يأتيه الموت(٦٩).

ودلالة جواز السياحة وندبها حتى في اصعب الحالات المادية مع الحفاظ على طلب العلم وهجران الباطل واضح في منطوق الحديث الشريف. ولو لم يكن فيها الا الترويح عن النفس لكانت مستحبة كثيراً ايضاً لكونها احد مصاديق الساعة الرابعة الواردة في الحديث الشريف عن الرسول صلى الله عليه وآله: ((... وساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يلقى فيها اخوانه الذين يناجي، الذين ينصحونه في

٦٥- المازندراني ، شرح اصول الكافي ، ج٧ ص٤٣.
٦٦- الميرزا النوري ، مستدرك الوسائل ، ج٨ ص٢٤٠.
٦٧- المازندراني ، شرح اصول الكافي ، ج٢٠ ص١٨٧.
٦٨- تهامة: مكة شرفها الله تعالى الفيروز ابادي ، القاموس المحيط ، ص١٤٠٠.
٦٩- علي الطبرسي ، مشكاة الانوار ، ص٥٠٥.

نفسه ويخبرونه بعيوبه وساعة يخلو بين نفسه وبين ربها فيما يحل ويجمل فان في هذه الساعة عوناً على هذه الساعات))[٧٠].

الثالث: الاجماع

من ساح بقصد الاجتماع بعالم او صالح فلا يحرم عليه ذلك وان صدق عليه انه هائم لا يقصد محلاً معلوماً[٧١]، وقوله ﷺ: ((ولا سياحة)) من ساح في الارض يسيح سياحة اذا ذهب فيها، اراد ﷺ مفارقة الامصار وسكنى البراري وترك شهود الجمعة والجماعات[٧٢].

بيان معنى قوله عليه السلام: (... ما كان حالنا الا سياسة الليل وسياحة النهار) (الذي مر ذكره)، والسياحة مصدر ساح في الارض يسيح سياحة اذا ذهب فيها واصله من السيح وهو الماء الجاري على وجه الارض وانما اضافها الى النهار لان الذهاب الى الجهاد والجماعة ونحوهما الحركة في الارض لإجراء الاحكام على الخلق ونحوه يقع في النهار غالباً[٧٣] وقوله الصادق عليه السلام: (ان عيسى بن مريم كان من شرائعه السيح في البلاد)، ساح في الارض يسيح سيحاً اذا سار وذهب فيها ومنه المسيح عيسى بن مريم عليه السلام[٧٤]

عن الشيخ الطوسي في اماليه عن ابن مخلد عن جعفر بن محمد بن نصير.عن احمد بن مسروق عن يحيى الجلاء، قال: سمعت بشراً يقول لجلسائه: سيحوا، فان الماء اذا ساح طاب واذا وقف تغير واصفر[٧٥] وقال ابن معصوم في السلافة[٧٦]: (لقد عرف الشيخ البهائي بكثرة اسفاره و تجواله في البلدان الاسلامية، حتى قيل: انه امضى في سياحته ثلاثين عاماً[٧٧] ثم استبعد السيد مهدي الخرسان ذلك (اي السياحة ثلاثين عاما) ثم ذكر اسفار الشيخ البهائي الى الحرمين ومصر والقدس الشريف ودمشق وحلب وكرك والعراق وايران واصفهان ومشهد وهرات وقزوين وتبريز كل على التوالي[٧٨]

قال السيد علي خان المدني في كتاب الدرجات الرفيعة يذكر فضل (أي الفضل القطب الراوندي)، ان داره محطاً لرُحّال الغرباء ومأوى للرحالة من اقطار العالم ويقصده اهل الفضل من كل فج عميق للاستفادة من امالية ومروياته (ثم يصفه قائلاً) ساح وجال هذا الشريف الجليل لسماع الحديث والاستفادة عن ارباب الفضل، فهاك اسماء بعض البلاد التي سافرها لتحصيل العلم واملائه واستملائه، مكة المكرمة، المدينة المنورة، النجف الاشرف، كربلاء المقدسة، مشهد الرضا عليه السلام، قم المباركة، الري، آبه

---

٧٠ – المتقى الهندي ،كنز العمال ج٥٣٨١ ، الري شهري ، ميزان الحكمة ج ٢ ص ١١١١ الصدوق ، الخصال ، ص٥٢٥ فيها اضافة (واستجمام للقلوب وتفريغ لها).

٧١– الشيرواني ، حواشي الشيرواني ، ج٢ ص٣٨١.

٧٢– الصدوق ، الخصال ، ص ١٣١.

٧٣– لمازندراني ، شرح اصول الكافي ، ج٧ ص٤٣.

٧٤– المازندراني ، شرح اصول الكافي ، ج٩ ص٣١٧.

٧٥– النوري ، مستدرك الوسائل ، ج٨ ص٢٤٠. الطوسي ، الامالي ، ج٢ ص٣

٧٦– ابن معصوم ، سلافة العصر ص٢٩٠ كما عن نهاية الدراية للسيد حسن الصدر ص٤١.

٧٧– الصدر ، نهاية الدراية ، ص٤١.

٧٨– حسن الصدر ، نهاية الدراية ، ص٤٢.

(آوه)، قزوين، بيهق، (سبزوار)، قومس (دامغان)، شيراز، زنجان، ساوه، ابهر، نيسابور، بغداد، الحلة الفيحاء، وغيرها وحج وزار مشاهد الائمة عليهم السلام ومراقدهم مراراً[٧٩].

وقال السيد محسن الامين عن ضامر المدني يعرّف كتابه ويعرفه: ويظهر من كتابه انه ساح وكتب في سياحته جملة من الانساب[٨٠]، قال المجلسي: كان من شرايع عيسى عليه السلام السياحة في الارض للاطلاع على عجائب قدرة الله وهداية عباد الله والفرار من اعدائه وملاقاة اوليائه، فنسخ ذلك في شرعنا وقد روي، (لا سياحة في الاسلام وسياحة هذه الامة الصيام)[٨١].

ويظهر ان المعنى الذي ذهب اليه المجلسي هو الهجران للجمعة والجماعة والا فان الذي ذكره هو من افضل ما يسيح المؤمن من اجله، من الاطلاع على عجائب قدرة الله تعالى والهداية وما الى ذلك. بل ذكر هو عن الميرزا عبد الله بن عيسى الاصفهاني المشهور بالتبريزي الافندي، قال: (كان فاضلاً علامة محققاً متبحراً كثير الحفظ والتتبع، (حتى يقول)، ساح في اقطار الدنيا كثيراً) وبذلك يتبين المعنى المقصود الذي اراده من العبارة السابقة[٨٢]. وكذا قال المجلسي ناقلا عن صاحب كتاب (سلافة العصر) وقد مر ذكره مدح الشهيد الثاني، (وكان قد ساح في الارض وطوى منها الطول والعرض فدخل الحجاز واليمن والهند والعجم والعراق ونظم في ذلك رحلة اودعها من بديع نظمه ما رق وراق)[٨٣]. وكذا قال الحسيني عن بدر الدين الطبري: (من اعلام القرن السابع او الثامن، مشتغل بالنجوم والعلوم الرياضية، متضلع فيها، ساح اطراف العالم ليجد استاذاً كاملاً في هذه العلوم فلم يجد كما صرح بذلك في مقدمة شرحه..)[٨٤].

ومن العامة

قال الذهبي عن النوري: (وقد ساح النوري الى الشام)[٨٥].

وقال عن ابي صالح مفلح: (وقد ساح بلبنان في طلب العباد)[٨٦].

وقال عدي بن صخر الشامي: (ساح سنين كثيرة)[٨٧].

وقال ابن حجر عن الخضر عليه السلام: (ساح الخضر في الارض)[٨٨].

وقال خليفة عن محمد الحارثي السرخسي: (ساح اكثر الاقاليم لطلب الحكمة)[٨٩].

٧٩- قطب الدين الراوندي ، كتاب النوادر ، ص٣٩.
٨٠- ضامن بن شدقم المدني ، الجمل ، ص٥٥.
٨١- المجلسي ، بحار الانوار ج٧٠ ص٣٤٥.
٨٢- المجلسي ، بحار الانوار ج١٠٢ ص١٢.
٨٣- المجلسي ، البحار ، ج١٠٦ ص١٦٢.
٨٤- احمد الحسيني ، تراجم الرجال ج١ ص١١٤.
٨٥- الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج١٤ ص٧٠.
٨٦- ن. م ج١٥ ص٨٥.
٨٧- ن. م ج٢٠ ص٣٤٢.
٨٨- ابن حجر ، الاصابة ص٢٤٩.
٨٩- حاجي خليفة ، كشف الظنون ج٢ ص١٩٢٩.

وقال البغدادي عن عفان جلبي بن عبد الله البغدادي: (الشاعر المتخلص بروحي ساح في البلاد)[٩٠].

وكذا قال عن كوجك امير: (ساح البلاد)[٩١].

وكذا قال عن نصرت افندي: (ساح البلاد)[٩٢].

وقال عن الاصبهاني نور علي شاه: (ساح في اكثر البلاد)[٩٣].

وقال الياس سركيس عن ابن بطوطة: (ساح في الاقطار الصينية والتترية واواسط افريقية في بلاد السودان وفي الاندلس ثم انقلب الى المغرب)[٩٤].

ولا يكاد يُخرّج معرّف في مصادر الياس سركيس او هدية العارفين او اكثر كتب تعريف العلماء كالذريعة للطهراني والاعلام للزركلي حتى يمر عليك لفظ سافر، وساح، وتنقل في البلدان فراجع.

يقول محمد هادي الاميني: (فان الرجل الذي ساح البلاد وانتقل في اصقاع الارض وبلادها وبقاعها ووقف على كثير من المعارف والاشياء واحتك بأناس مختلفين يكون اكثر علماً واوسع اطلاعاً من رجل قروي لم يزايل قريته ولم يتعد نظره دائرة ضيقة يظل محصوراً فيها ولا يقوى فكره على اجتياز حدودها ومحيطها)[٩٥].

وقال القمي عن احمد بن ابي يعقوب الكاتب: (كان رحالة يحب الاسفار، ساح في بلاد الاسلام شرقاً وغرباً ودخل ارمينية سنة ٢٦٠، ثم رحل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد الغرب فالف في سياحته كتاب البلدان وله التاريخ المعروف بالتاريخ اليعقوبي)[٩٦].

الرابع: العقل

ولا نرانا بحاجة لبيان دلالة العقل على اباحة السياحة ومحبوبيتها اذ ان ما تقدم من الادلة يكشف عن ذلك.

والعقل النوعي يرى الشيء بما هو خلياً من الاغيار كثير الفائدة عظيم المنفعة متنوع الخير قليل الضرر او بلا ضرر يذكر، وهو ما يفعله كل عقلاء العالم على اختلاف مذاهبهم ومشاربهم وادياتهم بل ومستوياتهم، فيرجحه ويحبب فعله.

٩٠- اسماعيل البغدادي ، هدية العارفين ج١ ص٦٥٧.
٩١- ن. م ج١ ص٨١٣.
٩٢ - ن. م ج٢ ص٤٩٤.
٩٣- ن. م ج٢ ص٤٩٩.
٩٤- الياس سركيس معجم المطبوعات العربية ج١ ص٤٨.
٩٥- محمد هادي الاميني ، معجم المطبوعات النجفية ص٥٠.
٩٦- الشيخ عباس القمي ، الكنى والالقاب ص٢٩٦.

الفصل الثاني: فوائد السياحة

فائدة (١) السياحة في الدعاء

جاء في دعاء المسافر او السائح عن الصادق عليه السلام: (... وانصرني عليه بحق كل ملك سائح في رياض قدسك)[٩٧].

وكذا: (واجعل ذلك كله سائحاً في جلالك)[٩٨].

ونقل الشيخ الطوسي في الآداب الدينية مارواه عن العترة النبوية: (اذا اردت الرحيل فصل ركعتين وادع الله بالحفظ والكلاءة وودع الموضع واهله فان لكل موضع اهلاً من الملائكة، وقل السلام على ملائكة الله الحافظين، والسلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ورحمة الله وبركاته)[٩٩]. وهناك مجموعة كثيرة من الادعية والاذكار في نوادر ما يتعلق بأبواب اداب سفر الحج وغيره وآلاته، لمن اراد مطلق الاسفار والسياحة او خاف من مخاطرها وعقباتها وقاطع طريقها، او اراد بركتها وخيرها ونعيمها وكذا آداب الدعاء للمسافر للعودة بالسلامة، والوليمة حين عودته. ذكرها الميرزا النوري في كتابه مستدرك الوسائل[١٠٠].

وكذلك ذكرها الشيخ عباس في مفاتيحه[١٠١].

وكذلك ذكر الشيخ الكفعمي في المصباح والبلد الامين[١٠٢]. وفيها جميعاً فوائد ونكات جمة لمن احب الاستزادة. بل هناك كتب متخصصة في دعاء السفر[١٠٣].

فائدة (٢) السياحة في الشعر

وورد ذكر السياحة في الشعر العربي كثيراً قديماً وحديثاً، هنا بعض المقتطفات:

الاول: ان السياحة عند العرب مكرمة ينفرد بها الكرام، لذا لما هجا شاعر الهجاء الحطيئة الزبرقان بن بدر اتى عمر بن الخطاب وكان سيد قومه فقال ان جرولا هجاني يعني الحطيئة فقال عمر: بم هجاك فقال بقوله:

دع المكـــارم لا ترحـــل لبغيتهـــا واقعـد فانـك انـت الطـاعم الكاسـي

فقال عمر: ما اسمع هجاءاً، انما هي معاتبة، فقال الزبرقان: والذي نفسي بيده ما هجي احد بمثل ما هجيت به فخذ لي ممن هجاني فقال عمر علي بابن الفريعة، يعني حسان بن ثابت، فلما اتى به قال له: يا حسان ان الزبرقان يزعم ان جرولاً هجاه فقل حسان بم، فقال بقوله (وذكره)، فقال حسان: ما هجاه، قال: فماذا صنع به، قال: سلح عليه. فقال عمر: علي بجرول فلما جيء به قال له: يا عدو نفسه تهجو

٩٧- المجلسي ، البحار ج٩١ ص٢٨١.
٩٨- ابن طاووس ، الاقبال ص٤٩٩.
٩٩- النوري ، مستدرك الوسائل ج٨ ص٢٤٠.
١٠٠- لنوري، مستدرك الوسائل ج٨ ص٢٤٠.
١٠١- عباس القمي ، مفاتيح الجنان ص٧٤٦ ، ص٧١١ ، ص٦٧٨ ، ص٦٧٩.
١٠٢ - الكفعمي ، المصباح ص٢٢٣ ـ ٢٣٤ الكفعمي ، البلد الامين ، دعاء السفر.
١٠٣- الطهراني ، اقابزرك ، الذريعة ج٨ ص١٨٩.

المسلمين فامر به فسجن.. الى اخر القصة التي اعترف فيها جرول انه فعلاً هجاه لأسباب ذكرها، والشاهد هو ان من لا يرحل لابتغاء المكارم فانه محل سخرية وهجاء، حيث لاهمة له ولا طموح الا الاكل والشرب واللبس بما يتصدق عليه [١٠٤]

وقال ابن قلاقس يمدح الملك ياسر:

سافر اذا مارمت امراً ... سار الهلال فصار بدراً
وبنقلها الدرر المنيرة ... ابدلت بالبحر نحراً [١٠٥]

وينسب الى امير المؤمنين الامام علي بن ابي طالب عليه السلام.

تغرب عن الاوطان في طلب العلا ... وسافر ففي الاسفار خمس فوائد
تفرج هم واكتساب معيشة وعلم ... وآداب وصحبة ماجد
فان قيل في الاسفار ذل ومحنة ... وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير له من معاشه ... بدار هوان بين واشٍ وحاسد [١٠٦]

وقال اخر:

ارحل بنفسك من ارض تضام بها ... ولا تكن في فراق الاهل في حرق
فالعنبر الخام روث مواطنه ... وفي التغرب محمول على العنق
والكحل نوع من الاحجار تنظره ... في ارضه وهو مرمي على الطرق
لما تغرب حاز الفضل اجمعه ... وصار يحمل بين الجفن والحدق [١٠٧]

وقد مر قول امرؤ القيس:

لقد نقبت في الافاق حتى ... رضيت من الغنيمة بالإياب [١٠٨]

وقال بديع الزمان الهمداني: بينا ان بمدينة السلام قافلاً من البلد الحرام اميس ميس الرجلة على شاطئ الدجلة.. الخ [١٠٩].

وقال الثعلبي:

بروضة من مليص ساح سائحها ... الى مذانب اخرى نبتها خضل [١١٠]

فائدة(٣): في بيان الضرر من ترك السياحة

تبين مما تقدم ان السياحة تراد لعدة امور منها طلب العلم والمعرفة والترويح عن النفس وامور غيرها كثيرة، واما مضار تركها فما يترتب على فاقد كل تلك المسائل واهمها العلم قال تعالى: (والذين امنوا ولم

١٠٤- المتقى الهندي ، كنز العمال ج٣ ص٨٤٥.
١٠٥- ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ج٤ ص٢١٩.
١٠٦- الجزائري ، التحفة السنية ص٣٣٩ ، النوري ، مستدرك الوسائل ج٨ ص١١٥.
١٠٧- املاه علي الشاعر عبد الستار الكاظمي اخو الشاعر الحسيني الشهير جابر الكاظمي.
١٠٨- امرؤ القيس ، ديوان امرؤ القيس ص٤٨.
١٠٩- الهمداني ، بديع الزمان مقامات بديع الزمان الهمداني ج١ ص٢٢.
١١٠- كما عن معجم البلدان للحموي ص٩٥.

يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا)[١١١]، وقال تعالى: (فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله)[١١٢]، وموضوع الهجرة الى المدينة بقصد العلم واجب وترك ذلك والتعرب أي عدم الهجرة والذهاب بعيداً عن العلم حرام او مكروه بحسب العلم المتروك، وقد عده الامام الصادق من الكبائر[١١٣].

فائدة (٤): في السياحة القسرية

قال تعالى: (يا عبادي الذين امنوا ان ارضي واسعة فإياي فاعبدون)[١١٤].

وقال تعالى: (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها)[١١٥].

قال الشيخ الاردبيلي حكاية عن الكشاف: معنى الآية الاولى ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلباً واصح ديناً واكثر عبادة واحسن خشوعاً، وعن رسول الله صلى الله عليه وآله: (من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبراً من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابراهيم عليه السلام ومحمد صلى الله عليه وآله)[١١٦]. وكذا في الآية الثانية. وقال تعالى: (ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الارض مراغماً كثيراً وسعة)[١١٧]. قال القمي أي يجد خيراً اذا جاهد مع الامام[١١٨]، قال الطبرسي متحولا من الارض وسعة في الرزق. وقيل مهاجراً فسيحاً متسعاً[١١٩].وقد اسهب المفسرون في شروح الهجرة لكثرة ورودها في الادلة النقلية، وبيان ما يتعلق بها من الثواب وبتركها من العقاب هذا اذا كان القصد خيراً وكذا العكس اذا كان القصد شراً لما سياتي البيان لذلك.

فائدة (٥): شبهة الرهبانية

مر ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن السيح في الارض بقصد الرهبانية وهي ترك الجمعة والجماعات والزواج والطعام والنوم وما الى ذلك من سبل العيش الطبيعي والحياة للإنسان السوي، فلا مجال لفتح الباب امام التقشف والرهبنة على حساب الزوجة والاولاد والمجتمع، فقال صلى الله عليه وآله: (ليس في امتي رهبانية ولا سياحة)[١٢٠]، وقال امير المؤمنين علي عليه السلام: (ليسوا بالمساييح ولا بالمذاييع البُذّر)[١٢١]، وقصة اولئك النفر الذي (قال احدهم: اما انا فاني اصلي الليل ابداً وقال اخر انا اصوم الدهر ولا افطر وقال اخر انا

١١١- الآية ٧٢ سورة الانفال.
١١٢ - الآية ٨٩ سورة النساء.
١١٣- الفاضل الهندي ، كشف اللثام ج٢ ص٣٧٠ ، البحراني ، الحدائق الناضرة ج١٠ ص٩.
١١٤- الآية ٥٦ سورة العنكبوت.
١١٥- الآية ٩٧ سورة النساء.
١١٦- الاردبيلي ، زبدة البيان ، ص٣١٨ ، الطوسي ، التبيان ، ج٣ ص٣٠٢.
١١٧- الآية ١٠٠ السورة النساء.
١١٨- القمي ، تفسير القمي ج١ ص١٤٩.
١١٩- الطبرسي ، مجمع البيان ج٣ ص١٧٢.
١٢٠- المجلسي ، بحار الانوار ج٢٤٤ ص ٣.
١٢١ - المجلسي ، بحار الانوار ج٢ ص١٩٢.

اعتزل النساء فلا اتزوج ابداً فجاء رسول الله ﷺ فقال انتم الذين قلتم كذا وكذا اما والله فاني اخشاكم لله واتقاكم له لكني اصوم وافطر واصلي وارقد واتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)[١٢٢]. هذه القصة معروفة والنهي فيها واضح عن الرهبانية فلا يدعي احدٌ ان بإمكانه ان يسن في الاسلام بداعي التكفير عن الذنوب والهجرة الرهبانية او يبتدع ما ليس فيه من السياحة على طريقة الهيام في الارض بعد ما نهى الاسلام عنها صريحاً.

فائدة (٦): ما ياتي من الفساد في السياحة

وجه الايراد:

ان السائح اما ان يُفسد في سياحته او يفسد بها، بمعنى اما ان يرافقها الفساد كشرب الخمر والزنا والفجور والقمار وغير ذلك او ان يترك واجباته بالسياحة فيكون قد فسد وافسد بها، وجوابه، اضافة الى ما مر سابقاً في التعريف اللغوي من ان السياحة هي نوع من انواع العبادات، ان كان القصد منها خيراً وهي في بعض الاحيان واجبة اذا انحصر طلب العلم او تعليمه بها لان طلب العلم واجب وتعليمه كذلك. وان الشارع المقدس قد نهى عن الفساد اينما كان بل ونهى عن مقدماته حتى ولو كان ذلك في العبادات حيث لا يطاع الله سبحانه من حيث يعصى بهذا نهى عن السياحة الفاسدة واكد على السياحة الصالحة.

فائدة (٧): ببعض معالم السياحة والسياحة الدينية في العراق والعالم

الاول: المحال المقدسة بصورة عامة وهي تشمل مكة المكرمة ولواحقها والمدينة المنورة على ساكنها واله الاف التحية والصلوات وبيت المقدس ولواحقه ومسجد الكوفة ولواحقه ومرقد ال رسول ﷺ في النجف الاشرف وكربلاء المقدسة والكاظمين ببغداد والرضا في خراسان والهاديين في سامراء المقدسة عليهم السلام. وكذا اولادهم عليهم السلام كمرقد السيدة زينب الكبرى في غوطة دمشق والسيدة ام كلثوم في داريا دمشق والسيدة سكينة في دمشق، والسيدة نفيسة في القاهرة والسيد محمد في بلد، وغيرها كثيراً جداً في فلسطين كجد السادة هاشم في غزة فلسطين ويحيى في اليمن وادريس في المغرب ويحيى في افغانستان وهيبت في اذربيجان وقبور النبيين والصديقين المنتشرة في جميع أصقاع العالم تقريباً.

ثانياً: المحال المقدسة من الصديقين والاصحاب والشهداء كمرقد اصحاب الكهف في الاردن ومحمد بن ابي بكر ومالك الاشتر في مصر وابو ايوب الانصاري في اسطنبول وعمار وادريس في رقة سوريا وما الى ذلك رضي الله عنهم جميعاً.

ثالثاً: الاماكن التي فيها عبر وعظات وآيات عجيبات كقرى سديم الممتدة في الاردن الى جهة بصرى الشام واوائل بلاد الحجاز، وقرى عاد الاولى والثانية في حضرموت واليمن وقرية مدين واثار الاسكندر في الاسكندرية واثار الهند وافغانستان وايران بما لا يمكن حصره.

١٢٢- البخاري ، صحيح البخاري ج٦ ص١١٦.

رابعاً: الاثار فيما تركه الاقدمون من معالم ومعارف اكثرها في بعض اشهر متاحف العالم كمتحف اللوفر في باريس، ومثاله مسلة حمورابي والجنائن المعلقة والزقورة وسور الصين العظيم وبرج بيزا وايفل واهرامات الفراعنة في مصر.

خامساً: المعالم الطبيعية العجيبة، كشلالات نياكارا في كندا ونهر المسسبي في امريكا، وجبال الهملايا في الهند وما شابه ذلك.

سادساً: الاثار الادبية لأدباء ومفكري العالم لتولستوي وكتابه الحرب والسلام، ودافنشي ولوحته الجوكندا (المونوليزا) وما شابه ذلك[١٢٣].

مسائل السياحة الفقهية

الاولى: السياحة مباحة ومندوبة على كل حال الا اذا طرأ عليها عنوان اضافي يغير حكمها الاولي، كالضرر البالغ، او الفساد او ما شابه.

الثانية: لا فرق بين ان يكون السائح امرأة او رجل او مجموعة مع امن السرب والطريق الا انه ورد كراهة السفر منفرداً واستحباب الرفقة[١٢٤].

الثالثة: حرمة السياحة مع احتمال الضرر البالغ، وكراهته مع وجود الضرر الذي يطيقه المسافر الا اذا حصل عنوان اهم ضروري والضرورات تقدر بقدرها.

الرابعة: السياحة لمجرد النزهة مستحبة كما مر عليك في حديث الامام الصادق عليه السلام وان ساعة التفريح عون على الساعات.

الخامسة: السياحة للتعلم والتعليم الواجب واجبة.

السادسة: السياحة في ارض العدو مطلقاً او حين الحرب او حين السلام، يحددها الحاكم الشرعي.

السابعة: يكره السياحة تسكعاً.

الثامنة: يكره السياحة لقصد الابتعاد عن الوطن والاهل والمؤمنين وجماعتهم وجمعتهم وفي بعض صورها حرمة.

التاسعة: يلزم معاملة السياح من غير المسلمين الداخلين باذن منهم معاملة محترمة حافظة لحقوقهم لانهم حينئذ بمنزلة المعاهدين.

العاشرة: يلزم المحافظة على معالم البلد السياحية لما فيها من العلم والمعرفة مما دعا لتعلمه الاسلام، او لما فيها من فائدة مادية بل فوائد جمة اخرى كهداية السواح الاجانب الوافدين اليها.

١٢٣- راجع في جميع ذلك المنجد في الاعلام لويس معلوف.

١٢٤- البحراني ، الحدائق الناضرة ج١٤ ص٥٣ ،كاشف الغطاء ،كشف الغطاء ج٢ ص٤٢٣ ، اليزدي ، العروة الوثقى ج٢ ص٤١٤ ، ج٤ ص٣٣١.

الحادية عشرة: يلزم تصنيف المصنفات وبيان علم السياحة وتعليمه كيما يجهله من ينبغي ان يعلمه وجعل مديريات ذات قوة مالية وعلمية لمتابعة ذلك كالوزارة، وان تتفاعل هذه القوة مع مثيلاتها في العالم الاسلامي والانساني في هذا المضمار لسعادة وخدمة البشرية.

الثانية عشرة: يجوز استحداث معالم سياحية للبلد لعظيم الفائدة.

الثالثة عشرة: يلزم مراعاة الواجبات الشرعية وباقي الاحكام قدر الامكان في جميع ما يتعلق بالسياحة داخل وخارج البلد.

الرابعة عشرة: يحرم التشبه بالكفار فيما يختصون به في السياحة وغيرها.

فائدة (٨): في السياحة الفكرية

مر ذكر السياحة العبادية كالصيام والنسك والاعتكاف وهذه فائدة في السياحة بالتفكر قال رسول الله ﷺ في بيان صفات المؤمن: (جوال الفكر)[١٢٥].

قال المجلسي أي فكره في الحركة دائماً او في حركة

وقال النمازي: هذا من اعالي درجات كمال الايمان.

قال سبحانه: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار)[١٢٦]، وقد وردت لفظة يتفكرون مراراً في القران الكريم. فهناك نوع من التلازم بين السياحة الفكرية والسياحة البدنية بالتنقل اذ كيف يتفكر المؤمن فيما لم يره ويشاهده من الارض وآياتها والسماء ومعالمها وكواكبها فينبغي ان تسبق الحركة الفكرية سفرة سياحية في مناكب الارض ومعالمها، وتأمل لطائفها ولطائف السموات واذا كان النظر الى السماء نوع من سياحة فان الآية الكريمة في قوله تعالى: (يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان)[١٢٧].

اشارة وتشويقاً الى السياحة البدنية بين الكواكب كما حصل فعلاً بهبوط الانسان على القمر وارساله المجسات الفضائية الى المريخ واستطلاعه مجاهيل الكون والمجرات والمجموعات الشمسية العظيمة هذا فضلاً عن البحث والتنقيب في معالم ما امكنه ان يصل اليه في نفس الكوكب الواحد.

والتنقل بالفكر يعم العالم المادي والمعنوي، وهو اسرع من التحرك والتنقل البدني وألطف في سبر اغوار المعالم والهيئات المادية والفكرية اذ الفكر بتأمله ولطافته يصل الى اعماق الشيء ولا يكتفي بظواهر الاشياء كما البدن بالنظر. فمساحة التجوال والسياحة الفكرية اوسع بكثير واعمق بكثير وانفع بكثير من سياحة وتجوال الجسد، وكذلك اثار الفكر ابقى وادوم، لأنه يورث القناعة والاعتقاد والعلم بالجواهر بينما

١٢٥- كتاب التمحيص ـ محمد بن همام الاسكافي ، مستدرك الوسائل الفوري ج٨ ص٤٦ ، بحار الانوار ـ المجلسي ج٦٤ ص٣١٠ ، مستدرك سفينة البحار علي النمازي ج٩ ص١٨٨ ، الف حديث في المؤمن النجيفي ص٢٢٣.

١٢٦- الاية ١٩١ سورة ال عمران.

١٢٧- الاية ٣٣ سورة الرحمن.

يكتفي السائح بالصور والمناظر الملتقطة والمعالم الجميلة الخلاّبة، نعم اذا ضم اليها سياحة فكرية وعبادية كان اجمل واوقع وانفع للنفس وللآخرين.

خلاصة المبحث

بعد بيان اهمية المبحث في علم السياحة وفقهها، وتسليط الضوء على العناوين البارزة والمجالات الحيوية المتعلقة بها ترتب المبحث على بيان المعنى اللغوي والاصطلاحي والشرعي للسياحة، ثم بيان حلية السياحة من الادلة الاربعة: القران والسنة والاجماع والعقل، وكذلك بيان ما يتعلق بمعنى السياحة لا لفظها كالسير في الارض والتنقيب فيها، ثم بيان بعض المسائل الفقهية التي تخص السياحة.

وقد ذيل ببعض الفوائد في بيان العزوف عن السياحة وكذا تطوير السياحة في المجال الاقتصادي و الثقافي، والسياحة المجازية ((بالفكر))، والسياحة في الشعر والنثر، والسياحة عند العامة، واخيراً الدعاء عند الشروع في السياحة والسفر وعند الرجوع منها.

راجعت الكثير من المصادر، أهمها تفاسير الطوسي والقمي والطبرسي و الثمالي والقرطبي.

المصادر

١ ـ القران الكريم.... كتاب الله العزيز الحميد

٢ ـ ابن الاثير الاجزري، النهاية في غريب الحديث،(ت:٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م.

٣ – ابن حجر، احمد بن علي العسقلاني، الاصابة في تمييز الصحابة، (ت:٨٥٢هـ)، ط١، دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م، بيروت لبنان.

٤ – ابن خلدون عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، (ت: ٨٠٨هـ)، ط٤١، ١٣٩١هـ ـ ١٩٧١م، مؤسسة الاعلمي، بيروت، لبنان.

٥ ـ ابن سلام ابو عبيدة القاسم، غريب الحديث، (ت: ٢٢٤هـ)، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر اباد، الهند، ط١، ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م.

٦ ـ ابن طاووس، علي بن موسى، اقبال الاعمال،(ت: ٦٦٤هـ)، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٧ ـ ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، (ت: ٧١١هـ)، بيروت دار احياء التراث العربي، ط١، بيروت، ١٤٠٥هـ.

٨ – الاردبيلي، احمد بن محمد، زبدة البيان، (ت: ٩٩٣هـ)، نشر المكتبة الرضوية لاحياء الاثار الجعفرية، طهران، ايران.

٩ – الاسكافي، محمد بن همام، التمحيص،(ت: ٣٣٦هـ)، نشر مدرسة الامام الهادي عليه السلام، قم المقدسة ـ ايران، ١٤٠٣هـ.

١٠ – الاصفهاني، الحسين بن محمد الراغب، في غريب القرآن، (ت: ٥٠٢هـ)، طبع ونشر دار الكتاب، ايران ١٤٠٤هـ.

١١ – امرؤ القيس، حندج بن حجر، ديوان امرؤ القيس، (ت: ٨٠ ق.هـ)، ط ١، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧م، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان.

١٢ – الاميني، محمد الهادي، معجم المطبوعات النجفية،(معاصر)، ط١، ١٩٦٦م، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، العراق.

١٣– البحراني، يوسف، الحدائق الناضرة، (ت: ١١٨٦)، نشر مؤسسة النشر الاسلامية، قم المقدسة، ايران، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م.

١٤ ـ البخاري، محمد بن اسماعيل، صحيح البخاري، (ت:٢٥٦هـ)، ط٢، بيروت ـ لبنان، ١٤٠١هـ.

١٥ ـ البغدادي، اسماعيل باشا، هدية العارفين،(ت: ١٣٣٩)، ط٢، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان.

١٦ – الثعالبي، عبد الرحمن بن محمد، تفسير الثعلبي، (ت: ٨٧٥هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

١٧ – الثمالي: ابو حمزة، تفسير ابي حمزة الثمالي، (ت:١٥٠ هـ)، ط١، (دفتر نشر الهدى)، ١٤٢٩هـ، قم المقدسة، ايران.

١٨ ـ الجزائري، عبد الله بن نعمة الله، التحفة السنية، (ت: ١١٧٣ هـ)، مخطوط تحت رقم ٥٩ في دار الاستانة المقدسة في مشهد خراسان، ايران.

١٩ ـ الجوهري، اسماعيل بن حماد، الصحاح،(ت:٣٩٣ هـ)، ط٤، دار العلم للملايين، ط١، بيروت، لبنان، القاهرة، ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م.

٢٠ ـ حاجي خليفة مصطفى بن عبد الله، كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون، (ت: ١٠٦٧ هـ)، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان.

٢١ – الحسيني، احمد، تراجم الرجال، (معاصر)، ط١، مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٢٢ – الحموي، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (ت:٦٢٦)، دار احياء التراث العربي، بيروت لبنان، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

٢٣ ـ الخطيب البغدادي، احمد بن علي، الرحلة في طلب الحديث،(ت: ٤٦٣)، دار الكتب العملية، ط١، ١٣٩٥هـ، بيروت، لبنان.

٢٤ – الذهبي، محمد بن احمد، سيد اعلام النبلاء، (ت: ٧٤٨ هـ)، ط٢، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

٢٥ – الراوندي، ضياء الدين، فضل الله بن علي، النوادر، (ت: ٥٧٣ هـ)، ط١، ١٣٧٧هـ، دار الحديث، قم المقدسة ـ ايران.

٢٦ – الري شهري، محمد، ميزان الحكمة، (معاصر)، ط٢، مؤسسة دار الحديث، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، قم المقدسة ـ طهران.

٢٧ – الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، (ت:١٢٠٥ هـ)، منشورات دار كتب الحياة، بيروت، صورة عن الطبعة الاولى بالمطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٦هـ.

٢٨ – سركيس، اليان، معجم المطبوعات العربية، (ت: ١٣٥١هـ)، ط١ ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، منشورات مكتبة اية الله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ايران.

٢٩ ـ الشيرواني، عبد الحميد الشرواني وابن قاسم العبادي، حواشي الشيرواني، (ت١١١٨ هـ)، ط١، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

٣٠ ـ الصادقي، محمد، حضرت درسه في قم المقدسة لمدة نافت على السنتين ١٩٨٣م ـ ١٩٨٦م.

٣١ ـ الصالحي الشامي، محمد بن يوسف، سبل الهدى والرشاد،(ت:٩٤٢ هـ)، ط١، ١٤١٤هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

٣٢ – الصدر، حسن، نهاية الدراية، (ت:١٣٥٤ هـ)، ط١، دار المشعر، مطبعة اعتماد، طهران ـ ايران ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

٣٣ ـ الصدوق، محمد بن علي، الخصال،(ت:٣٨١ هـ)، ط٢ جامعة المدرسين، قم المقدسة، ١٤٠٣ هـ.

٣٤ ـ الطباطبائي: محمد حسين، الميزان في تفسير القران،(ت: ١٤٠٢هـ)، ط١، ١٤٢٠هـ، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ايران.

٣٥ – الطبرسي: ابو الفضل علي، مشكاة الانوار، (ت:اوائل القرن التاسع الهجري)، ط٢ المطبعة الحيدرية، النجف الاشرف، العراق ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م.

٣٦ – الطبرسي: ابو علي الفضل بن الحسن، مجمع البيان في تفسير القران، (ت: ٥٤٨ هـ)، منشورات الاعلمي، ط١، بيروت لبنان، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٣٧ – الطريحي، فخر الدين، مجمع البحرين، (ت: ١٠٨٥ هـ)، ط٢، مطبعة مكتب نشر الثقافة الاسلامية، ١٤٠٨هـ، قم، ايران.

٣٨ ـ الطهراني، اقابزرك، الذريعة، (ت:١٣٨٩ هـ)، ط٢، ١٤٠٣هـ، دار الاضواء بيروت، لبنان.

٣٩ـ الطوسي: ابو جعفر بن محمد بن الحسن، التبيان في تفسير القران، (ت: ٤٦٠ هـ)، منشورات مكتبة الاعلام الاسلامي، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٤٠٩هـ.

٤٠ ـ الطوسي، ابو جعفر محمد بن الحسن، الامالي،(ت:٤٦٠ هـ)، ط١، دار الثقافة، قم المقدسة، ايران، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

٤١ ـ العياشي، أبو النظر محمد بن مسعود بن عياش، تفسير العياشي، (ت:٣٢٠هـ)، طبع و نشر المكتبة العلمية الاسلامية، طهران، ١٣٨١هـ.

٤٢ ـ الغفاري، عبدالرسول، الكليني والكافي، (معاصر)، ط١،مؤسسة النشر الاسلامي ، قم المقدسة، ايران، ١٤١٦ هـ.

٤٣ – الفاضل الهندي، محمد بن الحسن، كشف اللثام، (ت: ١١٣٧هـ)، منشورات مكتبة آيةالله العظمى المرعشي النجفي، قم المقدسة، ايران، ١٤٠٥هـ.

٤٤ – الفراهيدي، الخليل بن احمد، العين،(ت: ١٧٥هـ)، ط٢، نشر مؤسسة دار الهجرة، ايران ١٤٠٩هـ.

٤٥ ـ الفيروز ابادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، (ت: ٨١٧هـ)، مصر، مطبعة البابي الحلبي ١٣٧١هـ.

٤٦– القرطبي، محمد بن أحمد الانصاري، تفسير القرطبي، (ت: ٦٧١هـ)، دار احياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٤٧ ـ القمي: علي بن ابراهيم، تفسير القمي، (ت:٣٢٩هـ)، ط٣ مؤسسة دار الكتاب، ١٤٠٤هـ، قم المقدسة، ايران.

٤٨ – القمي، شاذان بن جبرائيل، الفضائل،(ت: ٦٦٠هـ)، طبعة الحيدرية، النجف الاشرف، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

٤٩ – القمي، عباس، الكنى والالقاب، (ت: ١٣٥٩هـ)، ط١، ١٩٧٠م، مكتبة الصدر، طهران ـ ايران.

٥٠ – كاشف الغطاء، جعفر، كشف الغطاء، (ت: ١٢٢٨هـ)، انتشارات مهدوي، اصفهان (حجرية).

٥١– الكاظمي، عبد الستار الكاظمي، في زيارتي له في بيته في قم المقدسة سنة ١٩٨٤م.

٥٢ – الكفعمي، ابراهيم بن علي، المصباح، (ت:٩٠٥هـ)، ط١، دار الكتاب العربي، بغداد، العراق، ١٤٢٩هـ ـ ٢٠٠٨م.

٥٣ – الكفعمي، ابراهيم بن علي، البلد الامين، (ت:٩٠٥هـ)، ط١، مكتبة الصدوق ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م. طهران، ايران.

٥٤– الكوفي، فرات بن ابراهيم، تفسير فرات الكوفي، (ت:٣٥٢هـ)، ط١ وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي، ١٤١٠هـ، قم المقدسة ـ ايران.

٥٥ ـ الكاشاني، محسن الفيض ط٢، مؤسسة الهدى ١٤١٦هـ ـ قم المقدسة، ايران.

٥٦– المازندراني، محمد صالح، شرح اصول الكافي، (ت: ١٠٨١هـ)، ط١، دار احياء التراث العربي للطباعة، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م، بيروت، لبنان.

٥٧- المتقى الهندي، علاء الدين، كنز العمال، (ت:٩٥٢هـ)، ط٢ مؤسسة الرسالة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م، بيروت ـ لبنان.

٥٨- المجلسي، محمد باقر، بحار الانوار، (ت:١١١١هـ)، ط٢، طبع مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

٥٩- المحمودي، محمد باقر، نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة،(معاصر الى سنة ١٣٩٦هـ)، ط١، دار التعارف للمطبوعات، ١٣٩٧، بيروت، لبنان.

٦٠- المدني، ضامن بن شدقم، وقعة الجمل، (ت:بعد١٠٨٨هـ)، ط١، مطبعة محمد، نشر المحقق، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م.

٦١- المشهدي، محمد القمي، تفسير كنز الدقائق، (ت:١١٠٥هـ)، ط١، ١٤٠٧هـ، مؤسسة النشر الاسلامي، قم المقدسة، ايران.

٦٢ـ معلوف، لويس، المنجد في اللغة، (ت:١٣٦٥هـ)، قم المقدسة، (صورة عن الطبعة ٣٥) دار العلم بيروت، نشر بلاغت، ١٣٧٣هـ. ش.

٦٣- النجفي، هادي، الف حديث في المؤمن، (معاصر)، ط١، مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٦هـ، قم المقدسة، ايران.

٦٤ – النسفي، عبد الله بن محمد، مدارك التنزيل و حقائق التاويل، (ت: ٧٠١هـ)، مطبعة السعادة، مصر، ١٣٢٦هـ.

٦٥- النمازي، علي، مستدرك سفينة البحار، (ت: ١٤٠٥هـ)، طبع مؤسسة النشر الاسلامي، ١٤١٩هـ، قم المقدسة ـ ايران.

٦٦- النوري، حسين بن محمد تقي، خاتمة مستدرك الوسائل، (ت:١٣٢٠هـ)، ط١، مؤسسة ال البيت عليهم السلام لإحياء التراث مطبعة ستارة، قم المقدسة، ١٤١٥هـ.

٦٧- الهمداني، بديع الزمان، مقامات بديع الزمان الهمداني، (ت:٣٩٨هـ)، موقع الوراق المكتب الشاملة سي دي، htt://www.alwarraq.com.

٦٨- اليزدي، محمد كاظم، العروة الوثقى، (ت:١٣٣٧هـ)، ط٢، منشورات مؤسسة الاعلمي، بيروت لبنان، ١٤٠٩هـ.

جماليات الزخرفة الإسلامية على أبواب الروضة ألكاظمية

Aesthetics Islamic decoration in kindergarten doors Kazimiyah

م.د. أثمار حميد كريم [1] Dr. A thmar Hamid cream

المقدمة

(الروضة الكاظمية): تضم الروضة الكاظمية مرقدي الأمام موسى الكاظم عليه السلام وحفيده الإمام محمد الجواد عليه السلام، يقع في منطقة الكاظمية في بغداد وتسمى الروضة الكاظمية عند البعض أبو طلبه أي قاضي الحاجات للطالبين و للملهوفين و للقاصدين حضرته كيف لا وهو ذرية بعضها من بعض نور وملاذ الخلق"[2]،الرجوع إلى كتاب المفيد: و قد روى الناس عن أبي الحسن موسى عليه السلام فأكثروا و كان أفقه أهل زمانه حسبما قدمناه و أحفظهم لكتاب الله و أحسنهم صوتا بالقرآن الكريم.في تحف العقول: سأله رجل عن الجواد فقال إن كنت تسأل عن المخلوقين فإن الجواد الذي يؤدى ما افترض الله عليه و البخيل من بخل من افترض الله و إن كنت تعنى الخالق فهو الجواد إن أعطى و هو الجواد إن منع لأنه إن أعطاك أعطاك ما ليس لك و إن منعك منعك ما ليس لك."[3]

مر أكثر من اثني عشر قرنا على أول بناية ضمت القبرين الطاهرين للإمامين موسى الكاظم وحفيده محمد الجواد عليهما السلام، الا ان وصلت الى ماوصلت الية اليوم استطاع فيها العقل العراقي المبدع أن ينجز هذه الروضة المتكاملة المتناسقة في منشآتها، الباهرة في عناصر جمالها بما يتناسب مع مكانة أهل البيت الأطهار عليهم السلام.

---

١ – جامعة بابل /كلية الفنون الجميلة/ قسم التربية الفنية.

٢ – المرشدي، عباس، قاضي الحاجات، مطبع الرشاد، النجف، ١٩٧٧.ص٨٤

٣ – جواد،مصطفى،دليل خارطة بغداد،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،١٩٥٨،ص٣٧

ولد الإمام موسى الكاظم عليه السلام في المدينة المنورة في موضع يدعى الابواء في الطريق إلى مكة المكرمة، في السابع من صفر سنة128 هـ والده جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين علي بن أبي طالب عليهم السلام[٤]. استقدمه الخليفة المهدي إلى بغداد و أودعه السجن ثم رده إلى المدينة وأقام بها إلى أيام الرشيد، وفي سنه ١٧٩ هـ أمر الرشيد بنقله إلى بغداد وحبسه كان موسى بن جعفر عليه السلام يدعى العبد الصالح من عبادته واجتهاده، وكان سخيا كريماً و كان يصر الصرر ثلاثمائة دينار و أربعمائة دينار و مائتي دينار ثم يقسمها بين المحتاجين بالمدينة سرا.يطلق علي الإمامين موسى الكاظم ومحمد الجواد عليهما السلام اسم الكاظمين لكظمها الغيظ وسماحة خلقهما، والجوادين لجودهما وكرمهما.

أبواب الخارجية في سور الروضة الكاظمية،هناك ثلاثة أبواب رئيسة متجانسة التصميم والحجم هي:

١. مدخل باب المراد في الجهة الشرقية.
٢. مدخل باب القبلة في الجهة الجنوبية.
٣. مدخل باب صاحب الزمان في الجهة الغربية.

ارتفاع كل منها5.10 م و بعرض أربعة أمتار، زينت واجهاتها من الداخل والخارج بالكاشي الكربلائي المورد، وتقابل كل باب من هذه الأبواب طارمة تحمل اسمه وهناك خمسة أبواب متوسطة الحجم منتشرة على طول الأسوار الأربعة للصحن، اثنتان في الشمال واثنتان في الجنوب، و واحدة في الشرق هناك بابان صغيران احدهما في الزاوية الشمالية الشرقية من الصحن والآخر في الزاوية الجنوبية الغربية من السور الغربي للصحن

الطارمات:هناك ثلاث طارمات تحيط بالحرم تحمل اسم الباب المقابل لها وهي:

١. طارمة باب المراد في الجهة الشرقية
٢. طارمة باب القبلة في الجهة الجنوبية
٣. طارمة باب صاحب الزمان في الجهة الغربية

ولطارمة باب المراد باب ذهبية كبيرة صنعت عام ١٢٨٥ هـ[٥]وعلى جهتيها بابان فضيان ويزين الذهب طارمة باب القبلة، فلها إيوان مغطي بالذهب، وباب ذهبية رئيسة وعلى جانبها بابان ذهبيان.أما طارمة صاحب الزمان (عجل الله فرجة) فلها باب واحد من الفضة.

وبذلك يكون مجموع الأبواب الذهبية في الطارمات أربعة أبواب والأبواب الفضية ثلاثة.

أبواب الأروقة: للأروقة أبواب تتصل بالطارمات من جهة وبالحرم من جهة أخرى وهي كما يلي:

الرواق الشرقي: له باب رئيس من الذهب صنع عام 1383 هـ وباب فضي واحد يتصل بالحرم كبير الحجم مصنوع من الذهب عام 1314 هـ.

٤ – السجاني،مصعب،ال البيت،دار صفا،لبنان، ١٩٩٩، ص٣٧.
٥ – جواد،مصطفى،المصدر السابق،ص٦٢.

الرواق الجنوبي: له ثلاثة أبواب تتصل بطارمة باب القبلة و له باب واحد يتصل بالحرم كبير الحجم مصنوع من الذهب عام1383 م.

الرواق الغربي: له مدخل واحد من جهة الطارمة، وله بابان خشبيان مغلفان بالواح يتصلان بالحرم الشمالي منهما عام ١٣٢٧ هـ والجنوبي عام ١٣٣٣ هـ.

الرواق الشمالي: له باب فضي واحد يتصل بالحرم صنع عام ١٣٠٤هـ.

مجموع الأبواب الذهبية والفضية في الطارمات والأروقة كما يلي

٦ ستة أبواب ذهبية منها أربعة في الطارمات واثنان في الأروقة

٧ سبعة أبواب فضية منها ثلاثة في الطارمات وأربعة في الأروقة

تنقسم الروضة إلى قسمين، جنوبية وبها ضريح الإمام موسى الكاظم، وشمالية وبها ضريح الإمام محمد الجواد علية السلام، ويصل بينهما ممران ضيقان. ويقع الضريحان وسط القسمين وفوق كل منهما قبة، وقد قطع جانب من كل ضريح بحاجز حديدي ليفصل بين الرجال والنساء أثناء الزيارة. وقد وضع على الضريحين صندوقان من الخشب مغطيان بالزجاج السميك حماية لهما من الغبار، ومنقوش عليهما عناصر زخرفية إسلامية جميلة. ويحيط بالقبر شُبَّاك فضي مطعم بالمينا تعلوه سورتي الدهر والفجر نقشت على المينا الأزرق، وكتبت بالذهب الخالص.

Submitted

Al-Kadhimiya Mosque is the shrine of Imam Musa al-Kadhim and his grandson Imam Muhammad al-Jawad, was built over their graves in the Kadhimiya district in Bgdad.tzmy Al-Kadhimiya Mosque at some Abu request any needs judge for asking for Mlhovin for Kadchin attended by how not a progeny from each other Nur haven creation ((, said useful: and people have narrated from Abu Hassan Moses Voktheroa and was knowledgeable people of his time as we did and keep them to the Book of Allah and the Koran. In the best in voice Antiques minds: a man asked him about the horse, he said that you ask for the creatures, which leads the horse, I suppose God him and Scrooge of stinginess of God and I suppose if you're dealing with the Creator is to give the horse and the horse is to prevent that he gave you that gives you what you do not have and that prevented prevented what is not yours() .

Okspa region surrounding state of holiness and honor until the area has been derived its name from the two Imams, or the city became known as Kazemiya Jawadain proportion to their generosity and presence.

Over more than twelve centuries on the first building included the graves of divine of Imams Musa al-Kadhim and his grandson Mohammed Jawad, peace be upon them, Iraqi creative mind could it be this integrated

kindergarten harmonious performed in facilities, impressive elements beauty commensurate with the status of the household pure peace be upon them, was born Imam Musa al-Kadhim in Medina in a position called Aloboa on the road to Mecca, on the seventh of the year 128 AH zero father Ja'far Ibn Muhammad al-Baqir Ali bin Hussein, Zine El Abidine Ben Ali ibn Abi Talib (peace be upon him) (). Recruited him Caliph al-Mahdi to Baghdad and put him in prison, and his response to the city and he stayed to the days of good, and in 179 AH is rational him to Baghdad and imprisoned was Musa Bin Jaafar called good servant of worship and diligence, and was generous generous and he insists hubs three hundred dinars and four hundred dinars and two hundred dinars and then divided among the needy in the city secretly.ataleg Imams Ali Musa al-Kadhim and Mohammed Jawad name for Kzationa who repress anger and generosity made them, and Jawadain for their presence and their generosity.

External doors in the wall of the kindergarten Alcatmah, there are three doors president of homogeneous design and size are:

1. door to be on the east side.
2. Door kiss on the south side.
3. door of his time in the West End.

Rising each 5.10 m and width of four meters, their windows decorated inside and out Eashi Karbalai supplier, corresponding to each section of these doors Tarma bears his name, and there are five medium doors Size scattered along the four walls of the courtyard, two in the north and two in the south, and one in Middle there are two small doors, one in the northeast corner of the courtyard and the other in the south-western corner of the western wall of the bowl

Tarmat: There are three Tarmat surround the campus carrying the opposite door for her name, namely:

1. Tarma door to be on the east side
2. Tarma door kiss on the south side
3. Tarma door of his time in the West End

Tarma and door to be a big golden door built in 1285 (e) and the Jhettiha Baban Vzian decorated gold Tarma door kiss, they have Ewan covered with gold, and the head of the golden door on its side doors Zhbaan Tarma. As the owner of the time it may one silver door

Thus, the total gold doors in Tarmat four doors and three silver doors.

Hallway doors: doors to the corridors relate Btarmat the one hand and on the other hand campus are as follows:

Corridor east: the door to his Head of making gold in 1383 and silver door and one related to a large size made of gold in 1314 AH campus

South Gallery: It has three sections relate Btarma door and kiss him one door connects large size made of gold in 1383 m campus

Corridor west: a single entry from the point of Tarma, and has two doors Vzian relate to the northern campus making them in 1327 and 1333 in the southern e

The northern corridor: the door to his silver and one campus-making in relation to 1304 e

Total gold and silver in Tarmat doors and corridors as follows

6six golden doors of which four are in Tarmat and two in the hallway

7seven silver ones in Tarmat doors three and four in the hallway.

Kindergarten is divided into two parts, the southern and the tomb of Imam Musa al-Kadhim, the northern and the tomb of Imam Muhammad al-Jawad, and extending between the two corridors too narrow. And shrines located above the center sections and each dome, was cut from each side of the tomb of the barrier railing separates men and women during the visit. Has been placed on the graves of the two funds wood Mglvan thick glass to protect them from dust, and engraved on them beautiful Islamic inscriptions. The tomb is surrounded by nets Silver Restaurant enamel topped with Koranic ever and Dawn engraved on blue enamel, and written with pure gold

جمالية تزيين الأبواب بالعناصر الزخرفية الإسلامية

أسهمت العناصر الزخرفية في انعكاس المعاني الكامنة ضمن خصوصيتها المكانية لما لها من غايات وظيفية جمالية وتعبيرية، اذ استهدفت بشكل كبير وبالغ من خلال انتشارها واعتمادها لتزيين المنجزات المرتبطة بالجانب الديني، ويتضح هذا الدور البارز في أبواب الروضة الكاظمية. إذ يعد هذا العنصر المعماري من العناصر المهمه في طرز العماره والزخرفه (لكونه اصبح قطعه فنيه متممه لابراز الفن العماري للمرقد من جراء ضخامته الواضحه وتحليته بقطع المعادن والمينا الثمينه مما ينم عن نكهه روحيه اسلاميه وبعد تقديسي ملتزم، دل على ان الفن الاسلامي قد وصل الى مرحلة نادره)[٦].

٦ – شاكر هادي غضب، الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمراقد المقدسة، ملحق"التراث الشعبي" العدد٨،السنة الثانية، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧.ص٤٥-٤٦

اخذت الزخارف بمختلف انماطها تعد بحق التعبير الاصدق والشاهد الأسمى لتؤكد الطبيعة التعبيرية لهذه الأبواب وإضفاء صفة الفخامة كما (ان لكل نمط زخرفي تعبير خاص به يحتوي على نظام يخاطب الوعي الانساني الداخلي بتعبيرية اشكاله – وفي الوقت نفسه، تعد (الصفه التعبيريه expression) في هذا النظام عامل الربط الاساسي لبناء الوحد النمطيه)[٧]، ولكون ان التعبير هو تأثير التكوين الزخرفي على فكر من يلاحظه ويشاهده وان المضمون هو جوهر العمل الفني، والشكل هو مظهره الخارجي ولايمكن فصلهما، وعليه فلابد من وجود ارتباط وثيق بينهما، لذا فقد عمد المصمم الى تبؤ النصوص الخطية فيها مركزا منفردا"وحضورا"متميزا"عن باقي عناصر الزخرفه وسماتها القومية لقدرته التعبيريه ومواءمته للمعاني التي تعبر عن قدسية المرقد،(لكونه ذو صلة وثيقة بالدين الإسلامي الحنيف،وكونه يعد الوسيلة التي انزل بها كلام الله عز وجل)[٨]، اذ أكسبت الأبواب صفتها من خلال ما أضافه لها من معنى روحي بليغ ودلالات تعبيرية، فضلا عن اسهامه في توكيد فضاءات الأبواب ضمن الفضاء الواحد وإبراز أهميتها من خلال الاشرطة والتكوينات الخطية التي تضمنت مساحات الباب والتي عملت على خلق التواصل والربط بين اجزاء الباب.

وبما ان النمط والاسلوب هما من المظاهر التعبيرية المهمة، اذ يعد اسلوب كل مصمم هو مجموعة من المعادلات يكونها بنفسه من اجل تحقيق عملية التعبير والتي تكشف لنا طريقته الخاصة[٩]، لذا فقد اظهر الفنان المسلم أسلوبه في توقف هذه النصوص ضمن أبنية المرقد لتؤكد على أهمية هذا العنصر العماري (الأبواب) ثم تواصل انسيابيتها إلى الخارج على الجدران المطلة الى الصحن المكشوف فهي بذلك تعمل على كشف هوية المبنى وشخصيته[١٠]، كون إن طبيعة النصوص التي وظفت على الأبواب تضمنت آيات من الذكر الحكيم و أشعارا"دينية نسبت إلى آل البيت عليهم السلام ، لذا يمكن القول إن طبيعة النصوص والتكوينات الخطية تعلقت معانيها ورموزها بطبيعة الفضاء ونوعة،[١١] أسهمت في إزالة الغموض عن طبيعة المرحلة التاريخية، وقد تمكن من استقراء العوامل المؤثرة في صياغة بعض المفردات والعناصر العمارية بسهوله ويسر،هكذا جنبا"الى جنب مع التاثيرات التعبيرية والتشكيلية والفنية التي يتركها استخدام الخط وباقي انواع الزخارف الاخرى.

فضلا عن ذلك ان نوعية الخامات والمواد المستخدمة في صناعة الابواب لها القدرة على التعبير، اذ ان لكل خامة وما تتطلبه من تقنية تنفيذية خصائصها المميزة التي تهيء للمصمم المزخرف امكانيات تعبيرية

٧ – شيرين إحسان شيرزاد،مبادئ في الفن والعمارة،الدار العربية، بغداد، ١٩٨٥.ص١٩٢

٨ – الدوري، ضياء شاكر علي، المطلق والنسبي في الرقش العربي الإسلامي، اطروحة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٩.ص٧٩

٩ – زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، ١٩٧٦.ص١٨٨

١٠ – علاء ياسين عبد الحسين، الفنون الزخرفية في العمارة العربية، مجلة آفاق، تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام،السنة العشرون، كانون الثاني – شباط،١٩٩٥.ص٤٩

١١ – شاكر هادي غضب،المصدر السابق،ص٥٩.

وجمالية وعملية، كذلك تحقق استجابة للاهداف والغايات الذاتية والموضوعية، كما انها توفر تأثيرات متباينة في المظهر النهائي لكل تكوين.

الانظمة المتبعة لتكوينات الابواب

ان الناتج الشكلي النهائي للباب هو ناتج لتفاعل العمليات التصميمية كافة من اختيارات شكلية وخيارات لاساليب معالجة تنظيمية ذات تنوعات متعددة لكافة تقسيمات الباب ومن هذه الأساليب:-

١. أسلوب يقوم على معالجة ذات تنظيم ثنائي متناظر للمساحة الكلية للباب.

٢. أسلوب يقوم على معالجة ذات تنظيم رباعي متناظر للمساحة الكلية للباب.

٣. أسلوب يعتمد على تقسيم المساحة الاساسية الى جزئين او ثلاثة مفصولة ضمنياً (ضمن المساحة الاساسية) ويتخذ كل جزء اسلوب معالجة تنظيمية مختلف.

ففي التنظيم ذي (التناظر الثنائي) للباب يصار الى اعتماد محور واحد (عمودي او افقي) يمر بالمركز البؤري المنصف لفضاء الباب اذ (اتخذ المزخرف هذا النظام في كثير من تعبيراته الزخرفيه فكان يبني وحدته على محور يقسمها الى قسمين متساويين)[١٢] حيث يتيح هذا النوع تنظيماً شكلياً متوازناً للتكوينات الزخرفية الداخلة في بنائه من خلال مساحات الباب وتكويناتها وقيمها اللونية، وان يكون لكل تكوين فيها فاعلية اتزانية على وفق حسابات توزيع مراكز الثقل والتناسب ضمن كلية النظام التصميمي للباب،مراعياً في ذلك التتابع المساري للتكوينات الزخرفية ومحاولة تأكيد لتكوين دون اخر ضمن فاعلية الكل العام للباب.

أما الأسلوب الثاني للتنظيم ذو (التناظر الرباعي) للباب،فيصار فيه الى اعتماد محورين (افقي وعمودي) يمر كلاهما بالمركز البؤري المنصف لفضاء الباب، ويعول في هذا النوع من المعالجة التنظيمية الى تصميم ربع زخرفي يكرر اربع مرات فتكون الاشكال متقابلة في كل ربع، وغالباً ما يكون توزيع الاشكال في هذا التنظيم بشكل يوحي الى التقارب نحو المركز المحوري تحقيقاً للتوازن، مما ينتج سحباً بصرياً يشمل كافة تكوينات النظام التصميمي للباب (اعلى واسفل) واحداث تتابعي من خلال تحقيق مسارات بصرية باتجاهات مختلفة مرنة وشد بصري نحو مركز الثقل.

وقد انضوى تحت اساليب المعالجة التنظيمية للمساحة الكلية للابواب تكوينات زخرفية متنوعة ذات اساليب متعددة في معالجاتها التنظيمية ومن هذه الاساليب التي تتضمنها مساحات الابواب هي:-

١. **تكوين ذو تنظيم متناظر:-** يتجسد هذا النوع من التنظيم في التكوينات التي تكون هيئتها العامة ذا تنظيم هندسي قابلاً للانقسام الى نصفين متناظرين او اربع متناظرة، من خلال تكامل الاداء الوظيفي الشكلي لعناصر التكوين،(ولزخرفتها اذ تتكرر الوحدات على امتداد متلاق)[١٣]، ويكمن تحت هذا النوع من التنظيم عدداً من الركائز الاساسية التي ينبغي الاستناد اليها، في تنظيم هيئات التكوينات الزخرفية

١٢ - عبد الحميد يوسف، الزخرفة، مطابع رمسيس، القاهرة، ب. ت.ص٣٦

١٣ - حسن علي حمودة،فن الزخرفة،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٢.ص٧

للابواب تتمثل بمراعاة الشكل العام للتكوينات الزخرفية ويتحقق ذلك من خلال امكانية رسم خط فاصل وهمي يمر بمحور التناظر، وان القسمين الناتجين سيكونان مرآة لبعضهما الاخر، وهذا لا يعني ان كل تكوين يظهر شكله العام قابلاً للانقسام بشكل متوازن يتوجب عليه ان يكون ذو تنظيم متناظر، بل قد يكون التنظيم الداخلي للتكوين موزعاً بشكل حر غير خاضع لهكذا تنظيم.

٢. **تكوين ذو تنظيم غير متناظر:** يؤسس هذا النوع من التنظيم في التكوينات التي تخضع الى اسلوبين في بنائها الشكلي: اولهما اسلوب يعتمد على التنظيم الهندسي الشكل التكوين العام المتناظر على وفق التقسيم المحوري، واسلوب يعتمد على التكوينات التي تكون هيئاتها الخارجية غير خاضعة للتنظيم الهندسي والتقسيم المحوري وذات هيئة غير متناظرة، وفي الحالتين كليهما(توزع المكونات الزخرفية بشكل حر لتغطية اكبر قدر من الفضاء المتاح للتكوينات على وفق حركة غير متناظرة للاغصان والمفردات لينجم إزاءه التنوع وكسر الرتابة التكرارية وإضفاء الإيحاء الحركي الناتج عن التغير في مواقع الاشغال الفضائي للمكونات الزخرفية)[١٤]. ورغم عدم وجود تناظر وتكرار ضمن الفضاء المشغول زخرفيا"الا ان التصميم لابد (ان يكون ثمره لعملية منهجية خاصة، الا وهي تنظيم العناصر التي تتألف منها حركتها)[١٥].

٣. تكوين مدمج من تنظيم متناظر _ وغير متناظر:_ ويتجسد هذا النوع من التنظيم المزدوج في تكوينات الاركان الزخرفية للابواب والتي تتصف مساحتها بكونها غير خاضعة لاشتراطات التقسيم المحوري، اذ يتألف هذا التكوين من ترتيب مكوناته الزخرفية ضمن الفضاء المتاح له وتأسيسه على محور التناظر وعمليات التكرار في المناطق الفضائية المتقاربة المواصفات للحصول على تنظيم شكلي متناظر، ومن ثم اللجوء الى التوزيع الحر للاغصان والمفردات الزخرفية في المناطق المختلفة المواصفات التي يصعب تقسيمها محورياً او اجراء عمليات التكرار.

العينة (١)

١٤ – وسام كامل عبد الأمير،أساليب تصميم الزخارف النباتية في واجهات الحضرة العباسية، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة،جامعة بغداد، ٢٠٠٣.ص٣٨

١٥ – زكريا ابراهيم، مشكلة الفن، دار الطباعة الحديثة، ب.ت.ص٤٢

الأبعاد:٣م الارتفاع×١,٢م العرض.

الزخـــارف الموظفة:نباتية(كأســـية–زهرية)، خطية.

نوع الخامة: ذهب – مينا.

التحليل

الفضاء العام للباب

اعتمد هذا الباب ذو الشكل الهندسي المنتظم بالهيئة المستطيلة الى تقسيم مساحي تمثل بـ (أطر زخرفية – مساحة أساسية مفردة) أتاح إحداث نظام ثنائي متناظر عبر محوري التنظيم الفضائي للباب (العمودي والأفقي) بغية إظهار توزيع متكافئ لتكويناته الزخرفية على كلا جانبي المحورين.

حققت التكوينات الزخرفية الشاغلة لكلا المساحتين ذات التطابق الشكلي في الهيئة المظهرية اتباع أسلوب نظام موحد ارتكز أحدهما على التناظر الثنائي للمحور العمودي المتمثلة به التكوينات الخطية الشاغلة للمساحة الأساسية، في حين حققت التكوينات النباتية المجسدة للأركان الأربعة لفضاء الأطر إلى عدم إخضاعها لأي محور تنظيمي و اعتمادها على النشر الغصني لأشغال كافة فضاء التكوين، أما المركز المتمثل بمنتصف الفضاء التصميمي فقد اظهر استثناءا"في نظامه الزخرفي بفعل التناظر الرباعي مما حقق تكافؤا مع النظام العام لمجمل فضاء الباب.

أنواع التكوينات وإشغالها الزخرفي

نتيجة لما تقتضيه طبيعة مساحة الأطر الزخرفية، لذا فقد تضمنت تكوينات متباينة (خطية ونباتية) ذات تكافؤ في النسب القياسية بينهما، أضفت على التصميم العام للباب ثباتية واستقرار بأسلوب التجاور الشكلي، اذ حققت جذبا"بصريا نحو المحيطات الأربعة وأسست تتابعا أوجد إيحاءا بالحركة والدوران حول المساحة الأساس من خلال الأسطر الخطية الممتدة عبر هذه المساحة المتمثلة بخط النسخ

على وفق تنظيم خطي منفرد بمستوى واحد. فضلا عن التكوينات النباتية التي أظهرت تباينها في الهيئة المظهرية واللونية أسهمت في إحداث الوحدة والتنوع على الرغم من الرتابة والسكون الذي ساد مجمل هذه المساحة، نتج عن كلا التكوينين إلغاء"لفضاء الأطر إلا من ثغرات شغلت بمفردات زهرية حققت تغايرا في تقنيتها الأظهارية.

أثمر عن المساحة الأساسية تكوينات متنوعة تمثلت بـ (أرباع ركنية) حققت إغلاقا فضائيا لها من خلال امتدادها بشكل أنصاف تكوينات على محيط المساحة الأساسية وبقيمة لونية مهيمنة على فضاء الباب ومن المعدن ذاته، اظهر تناظرها الرباعي المتماثل ضمن المساحة الأساسية. إما تكوينات(القلوب الزخرفية) المتضمنة للمساحة نفسها فقد حققت تجسيدا"للثقل الأكبر من الفضاء عبر تعددية هيئاتها التكوينية على وفق تنوع شكلي_ صفاتي مظهري انسجمت مع الفضاء العام ركزت على فاعلية التدرج في الحجم المساحي من (القلب المركزي نحو القلوب المتوجة لنهاياتها العليا والسفلي على وفق تماس شكلي مترابط)، تمثل القلب المركزي بهيئة لوزية مفصصة أخضعت بنيته إلى تقسيم على وفق تراكب من جزئين ذي تدرج باستخدام الخطوط الفاصلة يصار فيها إلى التعويل على المغايرة اللونية و الشكلية ضمن الوحدة الواحدة المتضمنة للتكوين في حين تمثلت باقي القلوب الزخرفية المكملة للإشغال الفضائي على وفق مظهر ينطوي على تراكب جزئين و لكن بتدرج مساحي اصغر وبهيئة مستوحاة من عناصر كأسية أسهمت في إعطاء صفة التكافؤ في الحجم المساحي من جراء التقارب في النسب القياسية والتمايز للقلب المركزي الكبير المساحة.

أما فيما يخص الأشغال الزخرفي فقد تعاضدت المفردات الزخرفية الزهرية مع الكأسية في أشغالها للمساحة الأساسية مما أحدثت إنشاء مزدوجا من نوعين ترجحت فيه السيادة المظهرية للزخارف الكأسية بفعل معالجتها من المعدن ذاته نسبة إلى الأشغال الزهري الذي تميز هو والفضاء بمعالجته بالمينا، في حين ورد توظيف أسلوب (أحادي ومزدوج) ضمن القلب المركزي اعتمد في أشغال جزئه الخارجي بمفردات زهرية على وفق شكل مظهري محور زخرفيا، أما جزئه المركزي فقد شغل بمفردات زهرية وفق شاكلة مستوحاة من الطبيعة فضلا عن أشكال حيوانية (طيور) بمظهرها الواقعي، أما باقي القلوب المكملة فقد حققت أشغالا مزدوجا من نوعين (نصوص خطية بخط الثلث وفق تنظيم سطري بمستويين وثلاثة، نفذت على أرضية شغلت بمفردات زهرية.

التنظيم المكاني للتكوينات الزخرفية

أتاح التنظيم المكاني للتكوينات الخطية للأطر الزخرفية تأسيس تفعيل اتجاهي نحو امتداديين (عمودي وأفقي) نتج عنه إغلاقا فضائيا وتحديدا لمحيطية شكل الباب عبر الامتداد الشريطي التتابعي للتكوينات من الجوانب الأربعة للباب.

أما المساحة الأساسية فقد أظهرت القلوب الزخرفية فاعليتها المكانية عبر تنظيم شريطي بصورة عمودية متتابعة على وفق تدرج مساحي متسلسل عبر إيقاع متناقص بدءا"من التكوين المجسد لمنتصف

الفضاء التصميمي وانتهاءاً إلى الأعلى وإلى الأسفل والمتمثله به القلوب المكملة، حققت امتدادها للمحور الواحد المنصف لمجمل الفضاء العام على وفق تنظيم عمودي، أسهمت هذه القلوب في إحداث التنوع لتمركزها المكاني ضمن المساحة الأساسية حقق بعضها تمركزا في الأعلى و الأسفل تمثلت به القلوب الخطية في حين حقق بعضها الآخر تمركزها في الوسط تمثل بالقلب الزخرفي الكبير المساحة، نتج عن هذه القلوب الزخرفية العليا والسفلى تفعيلا اتجاهيا متعاكسا في حين حقق القلب المركزي تفعيلا يكافئ الاتجاهين.

أما فيما يخص مسارات الحركة الغصنية ضمن (المساحة الأساسية) فقد تمثلت التكوينات الركنية بالتوزيع الحلزوني المعتمد على الانبثاق من منطقة واحدة ضمن الركن الواحد اما الاشغال الكأسي لفضاء المساحة فيعول على حركة غصنين بمسارات حلزونية تلتف نحو الداخل ضمن النصف الواحد وتتكيف الزخارف الزهرية في أشغالها الزخرفي بموجب مسارات الأغصان الكأسية السائدة، في حين جاء تنظيم الحركة الغصنية للقلب المركزي على وفق أسلوبين أحدهما يعتمد على الحركة المتموجة من غصنين، أما الجزء الداخلي فيعتمد على التنظيم الغصني الحر.

الأسس البنائية المعتمدة في التكوينات الزخرفية

نتج عن التنظيم المكاني المعتمد في تكوينات القلوب الزخرفية عبر تسلسل تتابعي بصورة عمودية وفق إيقاع مساحي متناقص بدءا"من التكوين المجسد لمنتصف الفضاء التصميمي وانتهاء"إلى الأعلى والأسفل الذي تمثلت به القلوب الخطية حققت ثباتية شكلية من خلال اعتمادها على مبدأ التكرار المتطابق المجسد لمقتطع مكاني في الجزء العلوي والسفلي من فضاء المساحة الأساسية، نتج عنها تحقيق امتداد لمسار الرؤية نحو القلوب الزخرفية ذات التضاد الشكلي الذي تمثل به القلب المركزي مما كون منطقة سحب سائدة على سواها من التكوينات ترجحت له السيادة المظهرية بفعل كبر مساحته ومغايرته لبنيته التكوينية (شكل حيواني ضمن منظر طبيعي) فضلا"عن تحقيق سيادة متناقصة الأهمية للقلوب ذات النصوص الخطية التي بدت مكملة له ضمن الفضاء الأساس بفعل انسجامها اللوني والمساحي وتجاورها له عبر تماس انطوى على الشد الشكلي، أما فضاء الأطر الزخرفية فقام على تكرار وحداتها الشكلية وإحداث التباين من جراء التكوينات النباتية التي حققت توازنا"رباعيا"لأركان الأطر نتج عنها سيادة جزئية من خلال ما أظهرت به من تباين لوني بين مجمل تكوينات هذه المساحة.

الخامة والتقنية التنفيذية

أظهرت الخامة الأساس المتجسدة لهذا الباب من(الذهب) الذي طعمت بعض أجزائه من خلال أسلوب التلوين المباشر بالمينا،ضمن التقسيم المساحي للأطر الزخرفية، اذ عولجت فضاءات تكويناته الخطية بالمينا الخضراء، فضلا"عن أحداث مغايرة لونية للنصوص الخطية لبروزها على حساب أرضياتها التي عولجت بخامة الذهب مما حققت تنوعا"مظهريا"وإظهارا واضحا للتتابع الكلماتي من جراء هيمنة القيمة اللونية لخامة الذهب على باقي الأجزاء و مما عزز من ذلك هو بروز الحروف الخطية عن أرضياتها. أما

تكوينات المساحة الأساسية فقد حققت تكويناتها الركنية تجسيدها بخامة الذهب عبر أشغال زخرفي بتقنية البارز أظهرت تباينها العالي مع أرضية المساحة الشاغلة لها مما حققت إيحاءا"بالإغلاق الفضائي. في حين أظهرت تكوينات القلوب الزخرفية المنطوية على تراكب لجزئين عبر مغايرة لونية بين جزئها الخارجي الذي شغل بالذهب وفق إظهار شكلي لمفرداته بتقنية البارز حققت تكافؤا في الرؤية الاظهارية مع التكوينات الركنية، في حين عولج جزؤها المركزي بالمينا البيضاء مما أسهمت تكوينات القلوب الزخرفية قاطبة في ضوء التكرار اللوني لتكويناتها المتطابقة شكليا"الى أحداث السيادة اللونية المحققة لتباينها مع فضاء المساحة الأساسية المعالجة بالمينا الزرقاء مع أحداث تتابع لحركة غصنية تم معالجتها بخامة الذهب حققت وضوحها عن باقي المكونات البنائية الشاغلة لنفس المساحة.

العينة (٢)

الأبعاد:٣م الارتفاع × ١,٢٠م العرض.
الزخارفالموظفة:نباتية(زهرية)، خطية.
نوع الخامة: ذهب – مينا.

التحليل

الفضاء العام للباب

اخضع الفضاء العام للباب إلى تقسيم مساحي تمثل بـ (أطر زخرفية- مساحة أساسية مفردة)، أتاح لعين الرائي ان ترى عموم المساحة بتفعيل متكافئ من خلال إخضاعها إلى التنظيم الرباعي عبر المحور العمودي والأفقي مما حقق توازنا متماثلا". أعطت التكوينات الزخرفية الشاغلة للمساحة الأساسية تنوعا في تنظيمها الزخرفي اعتمد أحدهما على التناظر الثنائي على وفق المحور العمودي في حين اعتمد الآخر على التناظر الرباعي، أما بالنسبة للتكوين المركزي فقد حقق تفعيلا"استثنائيا"واضحا لما أولاه المصمم من درجة أظهارية تثمر عن جذب الانتباه عبر المعالجة التنظيمية لأشغاله الزخرفي بأسلوبين من جراء انطوائه

على تراكب لاجزاء اعتمد البعض على التناظر الرباعي، واعتمد جزءه المركزي على الأشغال الكامل للفضاء التكويني من دون إخضاعه إلى محور التناظر، في حين اتخذت الوحدات المتنوعة الشاغلة للمساحة تناظرا رباعيا وأخرى لا تعتمد على أي من محور التناظر.

أنواع التكوينات وإشغالها الزخرفي

اظهر التقسيم المساحي للأطر الزخرفية بوحدات مستطيلة متمثلة بتكوينات خطية متعاقبة ذات تماس شكلي مترابط حققت نوعا"من التتابع البصري لاتمام قراءة النص القرآني وفق التسلسل السطري، نتج عنها تحديدا"لمحيطية الباب من خلال الانتقال من تكوين إلى آخر بصورة ممتدة عبر مسح شامل لجوانب الباب الأربعة. في حين أظهرت الأركان الأربعة لهذه المساحة بتكوينات نباتية حققت تكافؤا"للرؤية البصرية مع باقي تكوينات هذه المساحة وتفعيلا مترابطا ما بين التكوينات الأفقية والعمودية من جراء ما عولجت به من تفعيل لوني موحد لمجمل تكوينات هذه المساحة، إلا انه في الوقت نفسه عمد المصمم إلى فصل تكوينات الامتداد الأفقي بعضها عن البعض بتكوين يتوافق في هيئته المظهرية مع تكوينات الأركان الأربعة و لكن بتقنية أظهارية مغايرة عبر تضاد لوني يحقق تكافؤا"لونيا مع فضاء المساحة الأساسية و أحداث نوعا من الحركة والتنوع في عموم التنظيم العام لمساحته.

اعتمد فضاء (المساحة الأساسية)على التكثيف الشكلي للتكوينات الزخرفية مع إحداث تنوع مكاني لموقعها على وفق مساحة فضائية محدودة ذات قيم لونية متنوعة والتعددية في حركاتها الاتجاهية نتج عنها قوة إظهار اكبر لناتج الشكل العام لفضاء الباب. في حين أتاحت أركان هذه المساحة فرصة إشغالها بتكوينات ركنية اتخذت من الأركان تنظيما رباعيا"متناظرا"، ظهرت بتقنية تنفيذية عبر أحادية لونية هي والفضاء الأساس من المعدن ذاته، تجسدت ضمنه وحدات زخرفية شكلت استثناءا إظهاريا بالنسبة للفضاء الأساسي من خلال فاعلية التباين العالي مع التكوينات الركنية،كما توجت نهايات التكوينات الركنية بوحدات أخرى حققت إظهارا بهيئة أنصاف وحدات تستقر على الحدود الفاصلة بين الفضاء الأساسي والأطر الزخرفية على وفق نمط يرمي إلى أحداث تراكبها إلى جزئين، شغل الخارجي بزخارف غصنية ذات توريقات مسننة عولجت بالمعدن ذاته، في حين شغل الجزء المركزي بزخارف زهرية ذات هيئة مظهرية قريبة من الواقع بقيم لونية متدرجة.

أما القلوب الزخرفية الشاغلة لفضاء المساحة الأساسية فتضمنت قلبا"مركزيا"ذا هيئة لوزية نتج عنه تحقيق تنوع تقني في أسلوبه التنفيذي عبر تقسيمه إلى ثلاثة أجزاء داخلية ذات تراكب كلي فيما بينهما، شغل الجزءان الخارجيان بزخارف زهرية على وفق هيئة مظهرية محورة عن أشكالها الواقعية مع التدرج الحجمي لمفردات الجزئين من الأصغر إلى الأكبر والتباين في التقنية البارزة، أما الجزء المركزي الذي اسهم في تحقيق قوة جذب بصري فقد شغل بزخارف زهرية بهيئة قريبة من مظهرها الواقعي بقيم لونية أحدثت تضادا"عاليا مع التكوينات الزخرفية والفضاء العام، نتج عن هذا التكوين جذبا"بصريا"مثيرا"للانتباه يحقق له رؤية انفرادية واضحة عن باقي التكوينات على الرغم من التعددية الشكلية للهيئة التكوينية كما. في حين اتخذت باقي تكوينات القلوب المكملة مظهرا"مستوحى من عناصر كاسية وأخرى بهيئة متنوعة

ارتكز أشغالهما الفضائي على نصوص خطية بخط الثلث من خلال اعتماد التكثيف في نشر وتنظيم التكوينات وتم تأكيد فضاء هذه المساحة بوحدات بسيطة ذات هيئة كروية وأخرى تظهر تنوعا تصميميا لعنصر كاس الزهرة ثنائي الفلق شغل كلاهما بقيم لونية متماثلة وبزخارف زهرية بأسلوب تنظيمي متباين.

أما الأشغال الفضائي للمساحة الأساسية فشغل بمفردات زهرية بمظهرها البسيط والمعقد مع أغصان أحادية مصمتة من المعدن وأوراق سعفية، فضلا عن أوراق نباتية بحافة بسيطة، شغلت المساحة الأساسية بالكامل حققت تكافؤا"مع حجم مفردات التكوينات الركنية.

التنظيم المكاني للتكوينات الزخرفية

أسست تكوينات الأطر الزخرفية عبر إغلاق تام لفضائها الأساس تعددية تنظيمها المكاني عبر الامتداديين (الأفقي والعمودي)، الى تحقيق ترابطا للتتابع البصري عبر الامتداد المساحي لهذه التكوينات ومما عزز من ذلك التفعيل اللوني بقيمة واحدة باستثناء الوحدات الفاصلة لتكوينات الامتداد الأفقي التي مثلت نقاط ارتكاز جاذبة للبصر. في حين نتج عن التكثيف الشكلي لتكوينات المساحة الأساسية الى أحداث التنوع في التنظيم المكاني بين تكوينات القلوب الزخرفية التي اتخذت تنظيما عموديا عبر امتدادها الشريطي للمحور العمودي باستثناء التكوينات الخطية التي اتخذت تنظيما كلماتيا على وفق ثلاثة مستويات أسست عبر تنظيم أفقي حققت نوعا من الاتزان يتوافق مع اتجاهية الحركة والسحب إلى الأعلى والأسفل عبر التكوينات المكملة له، ومما عزز من ذلك هو التباين اللوني العالي بينهما وبين تكوينات التنظيم المتماثل، أما الوحدات الزخرفية المنتشرة على جانبي المحور العمودي فقد اتخذت بعضها تنظيما مائلا وبعضها الآخر تنظيما ذا ثباتية واستقرار، احدث كلاهما عبر تعددية الموقع المكاني ضمن الفضاء الأساس إلى تحقيق إيهام بالحركة المتوازنة والتوسع الفضائي والانطلاق من القلب المركزي إلى الخارج عبر الاتجاهين وفق منظور شكلي ينطوي على التباعد بإيقاع تدريجي بين كل وحدة وأخرى.

أما تنظيم حركة الأغصان فقد تمثلت (المساحة الأساسية) بحركة حلزونية متعددة مناطق الانبثاق عبر اكثر من غصن حلزوني متقاطع ومتداخل التفرعات الحلزونية الملتفة ترتبط فيها المفردات الزهرية والقلوب (الوحدات الزخرفية الصغيرة) من خلال دمجها بالغصن وتسير طبقا لحركته واتجاهاته، أما الأركان الزخرفية فأظهرت حركتها الغصنية على وفق تنظيم حلزوني متعدد الالتفافات والتقاطعات والتفرعات المتداخلة فيما بينها بصورة كثيفة. فضلا عن القلب المركزي الذي انطوى على تراكب ثلاثة أجزاء اعتمدت الحركة الغصنية لجزئه الخارجي على تنظيم حلزوني حقق تعاكسا اتجاهيا للمفردات الزهرية، والجزء الوسطي ذو حركة متموجة من غصنين، أما الجزء الداخلي فقد تمثل بالتنظيم الغصني الحر.

الأسس البنائية المعتمدة في التكوينات الزخرفية

من خلال ما ظهر به النظام العام للباب فقد بني على مبدا التوازن المتماثل عبر المحورين (العمودي والأفقي) في حين ارتكز النظام التصميمي لفضاء الأطر على وفق مبدا التكرار بطريقة تنظيم وحداته المتماسة وبحجم مساحي واحد حققت توازنا"في إشغالها لفضاء الأطر نتج عن هذا المبدأ تحقيق رؤية

تتابعية نحو المساحات الفضائية المتجسدة ضمن أركان المساحة أحدثت تنوعا في هيئتها التكوينية وأشغالها الزخرفي حققت تكافؤا بين الاتجاهين بني على وفق الوحدة التصميمية بين مجمل تكوينات هذه المساحة.

في حين عملت التعددية الشكلية في الصفات المظهرية لتكوينات المساحة الأساسية إلى تأسيس نمطٍ من التكوينات اعتمدت على تكرارها من خلال نشرها المكثف بين ثنايا الفضاء الأساس، فضلا عن التنوع في التعددية الاتجاهية أعطت ثباتية شكلية واتزانا"فضائيا"قصد منه تحريك العين نحو مسح شامل عبر التنوع في التنظيم المكاني للتكوينات الزخرفية، أما القلوب الزخرفية ذات التنظيم الشكلي على وفق التسلسل التتابعي للمحور العمودي فقد تحققت السيادة المظهرية المتفردة للقلب المركزي من جراء المبالغة في مساحة الأشغال الفضائي بالنسبة لباقي القلوب إلا إنها في الوقت نفسه أخذت تتناسب مع قلوب الكل العام للفضاء الأساسي في ضوء اتزان متماثل ذي تكرار متطابق للقلوب المكملة على كلا جانبي المحور الأفقي ذات التناوب في التنظيم المكاني مما نم عن وحدة تصميمية متنوعة.

الخامة والتقنية التنفيذية

تمثل الباب بخامة الذهب عبر تقنية تنفيذ زخارف الفضاء الاساس بأسلوب البارز والتلوين المباشر بالمينا لباقي التكوينات بغية احداث البروز والوضوح بصورة منسجمة ومتناسقة بين الفضاء والتكوينات، فضلا"عن ذلك اعتماد التضاد اللوني بين تكوين واخر مما حقق انفرادية واضحة وتمايزا"لكل تكوبن دون اخر بأستثناء التكوين المجسد لمنتصف الفضاء الاساس الذي حقق تنوعا"في اسلوب تنفيذ الزخارف عبر تعدديتها بواسطة البارز والتخريم والتلوين المباشر بالمينا مما تحققت له السيادة المظهرية. اما مساحة الاطر الزخرفية فقد تم اعتمادها على تقنية البارز والتلوين المباشر بالمينا اثمر عنها تحقيق رؤية واضحة للنصوص الخطية من جراء تباينها العالي مع لون الارضية وفضاء الاطر.

العينة (٣)

الأبعـــاد: ٣م الارتفـــاع × ١,٢٠م العرض.

الزخارف المستخدمة: نباتية (زهرية – كأسية) خطية وحيوانية.

نوع الخامة: ذهب – مينا.

التحليل

الفضاء العام للباب

اعتمد التناظر الثنائي على وفق المحور العمـودي أساسـا في تحقيـق النظـام العـام للباب، مما حقق توازناً مماثلاً على جانبي المحور العمودي من خلال تنظيم التكوينات الزخرفية ذات الهيئة التكوينية المتنوعة وفق تسلسـل تتـابعي بإيقاعيـة متناقصـة في الترتيب صعودا إلى الأعلى بصورة شريطية عـبر محـور واحـد.تم إخضـاع التقسـيم المساحي وفقا لهذا النظام إلى (أطر زخرفية و مساحة أساسية مفردة) عمد المصمم إلى استخدام التضاد اللوني بين المساحتين مما عـزز مـن فاعليـة التقسـيم، وجـاء أشـغال المسـاحة الأساسـية بتكوينـات زخرفيـة حققت أسلوباً تنظيمياً متنوعاً لفضاءاتها جمع بين التناظر الثنائي الذي يحقق تماثليته مع النظام العام للباب وآخر على وفق تنظيم رباعي حقق تكافؤا وتوازنا لعموم التنظيم تمثل به التكوين المركزي.

أنواع التكوينات و إشغالها الزخرفي

ارتكز التقسيم الفضائي للأطر الزخرفية إلى إحداث تكوينات زخرفية (خطية ونباتية) حققت تنظيماً شكلياً متماساً بين مساحاتها التكوينية بأحجام متباينة بين تكوينات الأشغال الخطي والنباتي المتجسدة ضمن أركان الأطر الزخرفية والمحققة لتفعيل يكافئ الامتداديين احدث كلاهما إلغاء"لفضاء الأطر الزخرفية إلا من ثغرات شغلت بمفردات زهرية بسيطة بهيئة مظهرية قريبة من أشكالها الواقعية، وجاء هذا التنوع

التكويني ليحقق تنظيماً شكلياً عزز بالتكافؤ لتكويناته من حيث تقسيمها المساحي و إشغالها الفضائي الذي اعتمد أحدهما على نصوص بخط الثلث على وفق تنظيم سطري يعتمد على مستويين عملت الحروف الصاعدة كالألفات و اللامات الى إعطاء الاستقرار و الوحدة للتكوين ضمن مجالين متعادلين شغلت أرضياتها بزخارف زهرية واقعية المظهر، في حين اعتمد الأشغال الثاني بزخارف زهرية ذا تنظيم غير خاضع للتكرار بقيمة لونية مماثلة لمجمل تكوينات المساحة، مما أسهمت في تأسيس مسارا"بصريا"ذي تتابعية لاتمام قراءة النص الخطي و إثارة الاهتمام نحو مضمونه القدسي و مما عزز من ذلك هو أسلوب التنفيذ المغاير للفضاء العام بلون المعدن الذي أعطى فرصة إظهاره بشكل واضح بالنسبة لباقي مساحات الباب.

عمد المصمم من خلال التقسيم الشكلي للمساحة الأساسية إلى إخضاعها لتعددية الهيئة المظهرية لأنواع التكوينات الشاغلة لفضائها، إذ اتخذت (التكوينات الركنية) تنظيماً رباعياً متناظراً عبر كل ركن من أركان الفضاء الأساس، نتج عنه إنشاءً زخرفياً من نوعين (زهري و كأسي) بصيغة ممتزجة، إذ سايرت الأغصان الزهرية حركة الأغصان الكأسية مع ترجيح السيادة الواضحة للزخارف الكأسية، في حين أثمر عن التكوينات التي تمثلت بهيئة أنصاف وحدات والتي تعد امتداد للتكوينات الركنية الى إشغالها بنوع واحد (زهري) احدث مغايرة في الهيئة المظهرية لمفرداتها عبر أزهار بسيطة تعكس المسقط الجانبي و الرأسي فضلا عن توريقات ذات حافة بسيطة. كما تضمنت الزخارف الركنية وحدات اتخذ إحدها هيئة مظهرية كاملة معينية شغلت بزخارف زهرية بمظهرها الواقعي، في حين اتخذت الأخرى هيئة أنصاف وحدات شغلت بعناصر زهرية ذات تنظيم انتشاري وأشكال حيوانية (طير الهدهد).

أما التكوينات الأخرى الشاغلة لمنتصف الفضاء الأساسي فقد حققت تنوعاً في هيئتها التكوينية تمثل التكوين السفلي (بهيئة آنية زهرية) اذ تتألف من (قاعدة) بهيئة مستوحاة من عنصر كأسي ذي قاع مزدوج و(بدن) ذي اتساع من الأعلى ونهاية مستدقة ترتكز على القاع المزدوج، فضلا عن مقابض وفوهة محملة بالأزهار الواقعية المستديرة في مراحل النمو البسيطة وأخرى مستكملة لنموها،أثمر عن الأشغال الزخرفي لبدن الآنية تحقيقها للمماثلة و الانسجام مع التكوينات الركنية عبر التوحيد المظهري لمفرداتهما فضلا عن إن بدن الآنية مثل نقطة ارتكاز لانبثاق التكوينات التي تعلوه و انطلاقها إلى الأعلى عبر تسلسل تتابعي بامتداد عمودي ذي تماس شكلي بين تكويناته. و قد جاء التكوين الذي يعقبه ليعزز من فاعلية التماسك من خلال الهيئة التكوينية بأشغال مساحي صغير بإظهار لوني ليحقق تباينيته مع الفضاء العام وباقي التكوينات التي تعلوه والتي امتازت بصفة التدرج في الحجم المساحي من الأكبر إلى الأصغر، كما تمثل القلب المركزي بالحيز الأكبر على وفق هيئة لوزية تنطوي على تراكب لجزئين تم اعتماد الأشغال الفضائي لجزئه الخارجي بزخارف من نوعين(كأسي وزهري) بصيغة ممتزجة إذ سايرت الأغصان الزهرية حركة الأغصان الكأسية ذات السيادة الواضحة و تنتظم وفقا لتنظيمها، في حين شغل جزئها المركزي بزخارف زهرية ذات المظهر الواقعي وبأشكال حيوانية لطيور مختلفة. أما باقي تكوينات القلوب ذات الهيئة المستوحاة من عناصر كأسية فقد شغلت بنصوص خطية بخط الثلث على وفق تنظيم شريطي

متراكب بمستوى واحد وآخر بمستويين، وحققت تكوينات القلوب الزخرفية شداً فضائياً ذا جذب بصري على وفق تدرج مساحي عبر تعددية شكلية ذات ترابط متكافئ بقيمة لونية موحدة.

ارتكز الأشغال الفضائي للمساحة الأساسية بإنشاء واحد من نوع زهري تمثلت مفرداتها هيئة مظهرية بسيطة ومركبة تلحق بالغصن الأحادي ذي اللون المصمت من المعدن ذاته تتفرع منه الأوراق النباتية ذات الحافات البسيطة والمسننة. وقد حققت أشغالاً كاملاً للمساحة مما عززت من النواحي التعبيرية والجمالية لتكوينات الباب بتقنية تنفيذية ذات تباين عالٍ مع تكوينات هذه المساحة.

التنظيم المكاني للتكوينات الزخرفية

أعطى الناتج المتحقق لتكوينات الأطر الزخرفية إلى إحداث تنظيم مكاني متباين (افقي وعمودي) ذي ترابطٍ شكليٍ لتكويناتها ذات الاستخدام التماثلي لمساحاتها الفضائية المتماسة، مما حقق مساراً تتابعياً نحو مجمل المساحة من خلال الاظهارات التي اتصفت بها تكويناتها الأفقية والعمودية بخصوصية الاستقرار المكاني ضمن فضاء المساحة وتنظيمها السطري والفاعلية المتحققة من جراء تكامل النص القرآني على طول الامتداد التتابعي لتكوينات الفضاء التصميمي لهذه المساحة، ومما زاد من تكافؤية التتابع البصري هو التكثيف في الأشغال الزخرفي لأرضية النصوص الخطية والتكوينات الركنية بزخارف زهرية وبأمتداد فضائي بقيمة لونية موحدة.

أما تكوينات المساحة الأساسية التي نظمت على وفق المحور العمودي المنصف لفضاء المساحة الأساسية بصورة شريطية ضمن محور التناظر، فقد حققت تنظيماً متناوباً عمودياً وأفقيا بدءا"من الآنية الزهرية وانتهاءاً بالقلب الزخرفي، اسهم تنظيمها المتكافئ في تعزيز التركيز على التفعيل العمودي والذي أتاح تتابعاً بصرياً واتجاهياً ساحباً إلى أعلى الفضاء التصميمي للباب.

في حين نتج عن التنظيم الأفقي للقلوب الزخرفية الى تحقيق توازنا"ذي رؤية واضحة ضمن النظام التصميمي للباب، فضلا"عن ظهور تكوينات ذات تنوع في تنظيمها المكاني اتخذت من المحاور المائلة مرتكزًا"أساسياً في تفعيلها الاتجاهي نحو المواقع الركنية للباب أثمر عنها شدا"فضائياً قصد منه تحريك العين عبر المواقع الركنية الأربعة لفضاء المساحة الأساسية، أعطى تنوعاً استثنائياً بالنسبة للتنظيم المكاني لباقي التكوينات وانسجاماً بين التنظيم الأفقي والعمودي يحقق التوازن الاتجاهي،عزز من خلال القيمة اللونية المماثلة لباقي التكوينات والمحققة للتضاد بالنسبة للفضاء الأساس.

الأسس البنائية المعتمدة في التكوينات الزخرفية

أسس التصميم العام للباب على وفق مبدأ التوازن المتماثل عبر المحور العمودي، نتج عنه حركة اتجاهية عمودية للآنية الزهرية والقلوب الزخرفية بفعل التكرار المتغير لها بصورة محورية شريطية واعتماد التدرج المتسلسل في الأشغال المساحي للقلوب الزخرفية على وفق إيقاع متناقص ينطوي على الشد الشكلي أحدثته تلامس التكوينات الزخرفية و تجاورها مع بعضها على وفق امتداد واحد، نتج عنها سيادة مظهرية واضحة للقلب المركزي في منتصف الفضاء العام بفعل كبر قياسه يسانده إزاء هذا الإظهار

التعددية في مراكز الثقل للقلوب التي تشكل مناطق سحب بصري متتابعة نحو الأعلى ذات سيادة متناقصة الأهمية، في حين حققت الآنية الزهرية تضادا في هيئتها التكوينية و قيمتها اللونية التي جاءت منسجمة مع الفضاء الأساس في ضوء شاكلة مستوحاة من الطبيعة الواقعية مثلت نقطة الارتكاز الأساس لتكوينات القلوب الزخرفية.

الخامة والتقنية التنفيذية

اعتمدت الباب على خامة الذهب بصورة أساسية في حين نفذت مناطق منها بالمينا على وفق أسلوب التلوين المباشر كما في التكوينات الخطية المسطحة ضمن المساحة الأساسية ذات الوضوح بفعل التباين اللوني بين الأزرق والأبيض واعتماد الحفر البارز في تنفيذ زخارف التكوينات الركنية ذات الإنشاء المزدوج من نوعين والتلوين بالمينا وهو الأسلوب ذاته في تنفيذ القلب الزخرفي الوسطي والآنية الزهرية، أما بقية المساحة الأساسية فقد نفذت بأسلوب الحفر الغائر لزخارفها الزهرية التي تبدو اقل وضوحا"من باقي التفاصيل واعتماد الأرضية المسطحة المشغولة بالمينا في تنفيذ التكوينات الخطية ضمن الأطر الزخرفية.

خلاصة البحث

١- اسهم ثبات المدى الفضائي لأبواب الروضة الكاظمية على وفق الهيئة المستطيلة وبأبعاد ثابتة تبعاً لنوع الخامة، إلى تجسيد هوية البنية التكوينية لأبواب المراقد المقدسة، وفي الوقت ذاته نتج عنه غياب عامل التميز بين الأبواب المجاورة ضمن المرقد الواحد مما استدعى التأكيد على المصمم إلى بذل جهد كبير لتشديد فعاليات عملية لتحقيق المغايرة الشكلية وفق خيارات تصميميه متنوعة في التكوينات الزخرفية لتأسيس رؤية تصميميه تدعو إلى خصوصية التكوين الزخرفي لكل باب.

٢- أتاح الفضاء العام للباب قابليات واسعة للتقسيم المساحي كيفت للتعبير عن الانتماء والهوية للمراقد المقدسة من خلال تخصيص مساحات فضائية تشغل بالنصوص القرآنية المباركة والأشعار الدينية الخاصة بالمرقد ذاته من قريب آو بعيد، فضلا عن تاسيس إمكانيات هائلة في عمليات التتابع لفعاليات التنوع في أساليب تصميم التكوينات الزخرفية والتي قدمت مستواً من التمايز بين تكوينات الباب الواحدة من خلال التنوع في نظامها الزخرفي الذي حقق تداخلا مع الفضاء الأساس أثمر عن توازنه الشكلي مع الباب.

٣- تحقق الثراء المظهري لبنية التكوينات الزخرفية بفعل التنوع المتغير في العناصر الداخلة في تنظيمها الشكلي وفق تعددية أشغالها الزخرفي بنوع آو نوعين فضلا عن الاختلاف في الحجم آو الخامة آو أسلوب التنفيذ بين مفردة واخرى ضمن التكوين الواحد مما اسهم في إضفاء التنوع و الحركة في الصفات المظهرية بين تكوينات الباب وفق وحدة تصميميه مترابطة.

٤- لم تحقق المكونات البانية للتكوين وفق نوع زخرفي واحد ثباتا في شكلها المظهري بين تكوينات الأبواب المختلفة مما أثمر عن تمايز واضح ومتفرد لكل تكوين من تكوينات الباب ذات الأشغال الموحد بالنوع الزخرفي.

٥- نتيجة لما اتسمت به فضاءات الأبواب بصفة الاتساع العمودي الواضح لجميعها، لذا فقد أسست إمكانيات هائلة من التقسيمات الفضائية التي تتابع فيها فعاليات متنوعة من أساليب تنظيم اتجاه التكوينات الزخرفية على المستوى العمودي والأفقي والمائل.

٦- أدى الاتساع العمودي لبنية باب المرقد إيحاءً بالقدرة على التنوع في التنظيم المكاني للتكوينات الزخرفية، فضلا عن التعويل على التنظيم الشريطي للتكوينات وفق نظام مترابط أضفى ثباتا و تنوعا ضمن وحدة تصميميه متكاملة لبنية شكل الباب.

٧- التنوع الضمني في التنظيم المكاني للتكوينات الزخرفية عبر استخدام تعدد في التنظيم الشريطي والبؤري والتربيعي جاء لأسباب تتعلق بالتنوع التكويني والشكلي واللوني والاتجاهي ضمن باب يستحوذ عليها الشكل المستطيل عمودياً.

٨- استخدام اكبر قدر من الأنواع الزخرفية (النباتية،الخطية،الهندسية،الحيوانية) بصياغات متنوعة على وفق تكثيف شكلي وإغلاق فضائي وتنوع في الخامات وتقنيات التنفيذ جاء ليعكس الثراء المظهري،والقدرة على جمع وضم التنوعات التكوينية ضمن باب واحدة.

٩- تم الفصل بين تعددية التكوينات الزخرفية المختلفة، من خلال المغايرة في الإخراج اللوني أو كبر الأشغال المساحي أو الاختلاف في تقنية التنفيذ بغية إحداث الوضوح والفصل لكل نوع دون أن يقوض من الوحدة الكلية للتكوينات.

١٠- اقتنصت التكوينات الشاغلة لمحور اتجاهي واحد(عمودي) فرصة إعطاء إيحاءً بالامتداد والتوسع إلى الأعلى والأسفل، في حين أثمر عن التكوينات ذات التنظيم الأفقي إلى إعطاء صفة الاتزان المظهري لشكل الباب فضلا عن التنوع بالحركة الاتجاهية.

١١- استخدام اكثر من أسلوب في التوزيع الغصني جاء ليوائم التنوع في التقسيم المساحي للفضاء ضمن تكوينات الأطر الزخرفية والمساحة الأساسية وليظهر المطاوعة على التكيف والتخلل مهما اختلفت مواصفات الفضاء.

١٢- التركيز على النظام السطري والشريطي في التكوينات الخطية ضمن الأشرطة والأطر الزخرفية واعتماد خطوط ذات أداء وظيفي كالنسخ والثلث غير المتراكب هو لإحداث الفعل الاتصالي لقراءة النص فضلاً عن الجاني التزييني لاسيما في ضوء اعتماد زخارف ملحقة تزين أرضيات التكوين الخطي.

١٣- الأهمية الموقعية للتكوينات الزخرفية المركزية الموقع وكبر أشغالها المساحي وتفعيل معالجتها اللونية المغايرة كلاً أو جزءً لمجمل تكوينات الباب، هو لتأسيس نقطة جذب بصري تعمل على توزيع اهتمام المتلقي و تحدث تتابع انسيابي في المسح البصري لاسيما في ضوء اعتماد التدرج المتسلسل في حجم التكوينات الزخرفية عند تنظيمها.

المصادر:

١. جواد،مصطفى،دليل خارطة بغداد،مطبعة المجمع العلمي العراقي،بغداد،١٩٥٨.

٢. حسن علي حمودة،فن الزخرفة،مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٢.
٣. الدوري، ضياء شاكر علي، المطلق والنسبي في الرقش العربي الإسلامي، اطروحة دكتوراه، كلية الفنون الجميلة، جامعة بغداد، ١٩٩٩.
٤. زكريا ابراهيم، مشكلة الفن، دار الطباعة الحديثة، ب.ت.
٥. زكريا إبراهيم، مشكلة البنية، دار مصر للطباعة، ١٩٧٦.
٦. السجاني،مصعب،ال البيت،دار صفا،لبنان، ١٩٩٩.
٧. شاكر هادي غضب، الفن المعماري والهندسة التشكيلية العامة في المساجد الإسلامية والمراقد المقدسة، ملحق"التراث الشعبي"العدد٨،السنة الثانية، دار الحرية للطباعة، ١٩٧٧.
٨. شيرين إحسان شيرزاد،مبادئ في الفن والعمارة،الدار العربية، بغداد، ١٩٨٥.
٩. عبد الحميد يوسف، الزخرفة، مطابع رمسيس، القاهرة، ب. ت.
١٠. علاء ياسين عبد الحسين، الفنون الزخرفية في العمارة العربية، مجلة آفاق، تصدر عن دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والأعلام،السنة العشرون، كانون الثاني – شباط،١٩٩٥.
١١. المرشدي،عباس،قاضي الحاجات،مطبع الرشاد، النجف،١٩٧٧.
وسام كامل عبد الأمير،أساليب تصميم الزخارف النباتية في واجهات الحضرة العباسية، رسالة ماجستير، كلية الفنون الجميلة،جامعة بغداد، ٢٠٠٣.

الطائفية واثرها في بنية المجتمع المدني: مقاربة لترسيخ حالة التعايش السلمي في العراق

Sectarianism and its impact on the structure of civil society: An approach to strengthen the peaceful co-existence in Iraq

أ.م.د. سامر مؤيد عبد اللطيف[١] Assist.Prof. Samir M. Abdul-lateef
أ.م.د. خالد عليوي جياد العرداوي[٢] Assist.Prof. Khalid U. J. Al-Ardawi

المقدمة

اولا: أهمية البحث

يعد العنف الطائفي أقدم وأخطر داء منيت به شعوبنا ودولنا على اختلاف دوراتها الحضارية؛ وبالذات منذ فجر تأسيس الدولة الوطنية عقب انتهاء الحرب العالمية الأولى. ومع التغييرات التي اجتاحت الأنظمة السياسية في المنطقة العربية بفعل تصاعد حركة الاحتجاجات الشعبية فيها، برزت حالة من إعادة الفرز المجتمعي والسياسي لهذه المجتمعات وفق أسس الانتماء الطائفي والقومي والديني. وقد انعكست هذه الحالة على العلاقات بين الدول العربية ودول الجوار لتشهد هي الأخرى توترا طائفيا ينذر بتصاعد احتمالات الصدام او حتى النزاعات الأهلية والدولية في المنطقة عموما. وهكذا أصبح العنف الطائفي أعظم مشكلة بنيوية تهدد بتفتيت الأواصر المجتمعية لدول الشرق الأوسط وفق أسس طائفية بعيدةً عن الأسس الوطنية والمدنية وحتى الإنسانية لهذه المجتمعات. والواقع أن خطورة هذه

---

١ – جامعة كربلاء/ مركز الدراسات الاستراتيجية.
٢ – جامعة كربلاء/ مركز الدراسات الاستراتيجية.

الظاهرة قد انسحبت إلى قطاعات كثيرة في الدولة العربية المعاصرة ولاسيما قطاع المجتمع المدني لتعاني هي الأخرى من حالة التجاذب والاستقطاب الطائفي.

ثانيا: مشكلة البحث

إن المشكلة التي يعالجها البحث تتمحور حول فهم كنه الطائفية، وسبر أغوارها، وتقصي أثارها وتداعياتها على بنية وتكوين المجتمع المدني في دول المنطقة ومنها العراق وسبل تلافيها لترسيخ حالة التعايش والسلم الأهلي.

ثالثا: فرضية البحث

يسعى البحث إلى إثبات فرضية مفادها"إن توظيف الطائفية ضمن المنطلقات والمصالح السياسية والفئوية الضيقة اثر وسيؤثر سلبا في بنية المجتمع المدني، وزعزع حالة التعايش السلمي لدول المنطقة عامة والعراق بشكل خاص ".

رابعا: منهجية البحث

اعتمد الباحثان في إثبات فرضيتهما على منهج التحليل الوصفي في بيان مشكلة البحث وتداعياتها، ومنهج التحليل المقارن للتفريق بين الطائفية والمجتمع المدني مفهوما ومجتمعا ونمط سلوك، وفقا لطريقة الاستقراء في البحث العلمي.

خامسا: خطة البحث

تم تقسيم البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة. المبحث الأول يعمل على بيان مفهوم الطائفية على مستوى التعريف وأسباب الظهور بمطلبين، والمبحث الثاني يذهب إلى توضيح مفهوم المجتمع المدني على مستوى التعريف والخصائص والوظائف بمطلبين، بينما يتطرق المبحث الثالث إلى عملية التحول من المجتمع الطائفي إلى المجتمع المدني مبينا مجالات التقاطع بين المجتمعين ومتطلبات التحول من الأول إلى الثاني بمطلبين أيضا.

المبحث الأول: مفهوم الطائفية

يتطلب فهم الطائفية بشكل واضح تعريفها أولا، وبيان أسباب ظهورها في مجتمعاتنا الإسلامية ثانيا، وهذا ما سيتم من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الطائفية

تتفق معاجم اللغة على أن معنى الطائفة هو الجماعة والفرقة من الناس، أما الطائفية فتعني التعصب لطائفة معينة، وهي مصدر صناعي أو اصطلاح مشتق من لفظ (طاف، يطوف طوافا، فهو طائف)، والطائفي هو المتعلق بطائفته بشكل متطرف، والذي يبقى ملازما ملتصقا بما يطوف أو يدور في فلكه؛

كما الجزء من كل لا فكاك له منه. [٣]، ويقابل هذا المصطلح في اللغة الانكليزية مفردة (Sectarian) التي تعني العضو في جماعة او الشخص ذو الافق الضيق والمنغلق على افكار جماعة معينة.[٤] إذ التعصب هنا ليس لمذهب بمعنى اختيار الاعتقاد أو الإيمان باجتهاد (ديني) كما هو تعريف المذهب وإنما التعصب بالانشداد والتبعية السلبية واستلاب لإرادة الطائفي في مواجهة حركة الطائفية، إذ قال صلوات الله وسلامه عليه:"ليست العصبية أن يحب المرء قومه، بل أن يرى المرء شرار قومه خيرا من خيار قوم آخرين". وقد وردت مفردة الطائفية في القران الكريم ست عشرة مرة في اشارة الى جماعة من الناس ليس فيها تمييز في مدح او ذم.[٥]من هنا يبرز الفرق بين مفهومي الطائفة التي تشير الى التنوع في المعتقدات والممارسات الدينية بين الافراد، والطائفية التي تعني استخدام هذا التنوع الديني لتحقيق اهداف سياسية واقتصادية وثقافية.[٦] وعن هذا الاتجاه في تعريف الطائفية وجد احد الباحثين بأنها:"نزعة سياسية لا علاقة لها بالعقائد الدينية أو المذهبية، وإنما استغلت الخلافات المذهبية لأغراض مصلحيه بعيدة عن الدين".[٧]

وعندما يتداخل مفهوم الطائفية مع مفاهيم أخرى فلسفية أو مذهبية أو عرقية ليبين دور الأقلية العددية في المجتمع المنفصل عن دور الأمة التي تعيش ضمنها هذه الأقلية، فيغدو بديلاً لمفاهيم: (الدين، العِرقْ والملّة)، سيعيش المجتمع عندها حالة من التأزم الناشئ عن تحول (الطائفية) إلى مذهب أو هوية انتماء تحل محل الانتماءات الأعلى وتتعالى عليها لتتفاقم عوامل الانقسام والاقتتال الطائفي وتتغلغل في الأوساط الشعبية أكثر من غيرها ثم تعم باقي الأوساط والطبقات الاجتماعية لتقع البلاد ضحية لنهم التطرف والتعصب الطائفي وتتحول الجماعات الطائفية إلى مِلَلٍ ونِحَلٍ متصارعة، كل مِلّة أو نِحلة تتشدق بكونها الفرقة الوحيدة التي تملك الحقيقة سواء أكانت حقيقة تاريخية أم حقيقة معاصرة.

إنَّ مفهوم الطائفية ينبني على فكرة الانتماء لطائفة معينة دينية أو اجتماعية. فإذا ما كان انتماء الإنسان إلى طائفة أو مذهب معين لا يجعله بالضرورة طائفيّاً، فانه يصبح كذلك، عندما يسعى بأي عمل للإضرار بحقوق الطوائف الأخرى ويتخذ سلوكاً يحاول من خلاله إكساب طائفته تلك الحقوق التي تكون لغيرها تجاهلاً لها وتعصباً ضدها. وإذا كان ميل الإنسان لطائفته وفرقته التي ينتمي إليها جزء من التركيبة الإنسانية والفطرة البشرية، فان الطائفية تمثل تلك الظاهرة التي تحول الإنسان من عنصر بناء

٣- انظر في ذلك كل من: إبراهيم مصطفى وآخرون . المعجم الوسيط . استانبول ، دار الدعوة، ١٩٨٩ . ص٥٧١ . أنطوان نعمه وآخرون. المنجد في اللغة العربية المعاصرة. ط ١ . بيروت، دار المشرق ، ٢٠٠٠. ص ٩٢٥

4 – Sidny I.Landan، Webster Illastrated Contemporary dictionary ، J.G.Ferguson publishing com،Chicago،1992،p.661

٥ – رشيد الخيون ، ضد الطائفية : العراق .. جدل ما بعد نيسان ٢٠٠٣ ، مدارك للطباعة والنشر ، بيروت ، ٢٠١١ ، ص ١٦

٦ – عبد السلام متعب ، النظام السياسي في العراق بين المحاصصة والطائفية منذ عام ١٩٢١-٢٠٠٣ ، مجلة حوار الفكر ، المعهد العراقي حوار الفكر ، بغداد ، العدد (١٤) ،ايلول ٢٠١٠ ، ص ١٧٤

٧- د.عبد الخالق حسين ، دور الطائفية في الأزمة العراقية ، ورقة بحثية قدمت أثناء الملتقى الفكري الذي عقد في بغداد خلال يومي ٤ -٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩، منشور على الرابط الالكتروني: http://www.hdriraq.com/modules.php

وتقدم لانتمائه الضيق وانتمائه العريض إلى عنصر هدم وتخريب لكل الانتماءات من اجل مصلحة انتمائه الضيق، وهو ما يقود بالمحصلة إلى تفتيت بنية المجتمعات ويقضي على مبادئ الوحدة الإنسانية بصورة متطرفة ترسخ الكراهية والعداوة بين الإنسان وأخيه الإنسان. فالطائفية منهج سياسي يقوم على تسييس الانتماء الطائفي للمواطن وأدلجته في الحياة السياسية على مستوى الأفكار والمجتمعات والسلطة؛ وعندما يوظف البعض المشاعر الطائفية المتولدة عن ذلك الانتماء الطائفي تحت شعار الدفاع عن حقوق طائفته لحشد تأييد أنصارها لتحقيق مكاسب سياسية خاصة او ضيقة، فان التسييس المذهبي سيدفع الطرف الآخر إلى مواجهته بتسييس مذهبي مقابل له، فيساهم تصعيد وتيرة التسييس المذهبي المتقابلين في تصعيد العواطف الطائفية والعواطف الطائفية المضادة. وستعمل الطائفية ضمن مجالها السياسي على إقصاء المواطنة كرابطة عضوية وحيدة للدولة واستبدالها بالرابطة الطائفية في أصل إنشاء الحياة السياسية وإدارة مفاصلها وحصد أهدافها، وفي تكوين الدولة وفي إقامة هياكلها وتنظيم شؤونها ومصالح مجتمعها، متجاهلة بذلك أنَّ الوحدة الأساس في الدولة هو الفرد المواطن وليس الجماعة الفرعية، وأنَّ أدنى محورية ولاء للجماعة الفرعية على حساب الوحدة العضوية الفردية (المواطنة) سيصادر وحدة أمة الدولة ويقضي على الدولة الوطنية بالتبعية. وهكذا تغدو الطائفية سلاحاً فتاكاً يهدد وحدة أمة الدولة والدولة معاً. [٨]

المطلب الثاني: أسباب ظهور الطائفية في المجتمعات الإسلامية

لظهور الطائفية في المجتمعات الإسلامية، ومنها المجتمع العراقي أسباب عدة، يمكن إيجازها بالاتي:

الفرع الاول: الاسباب الدينية:

تعد التأويلات المختلفة لنصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية المطهرة والاجتهادات الخاصة بابا من الأبواب المهمة التي فتحت المجال للفتن الطائفية على مصراعيه في مجتمعاتنا الإسلامية، لاسيما أنها انتقلت من الصعيد النظري إلى المجال العملي لتتجسد بشكل تعصب أعمى، فأصبح الطائفيون يتصارعون على تأويلات للكتاب والسنة تقبل اجتهادات مختلفة، وكان واقع الحال يستدعي من كل فريق قبول الحوار الهادف والبناء مع الآخر، لكن ذلك لم يحصل إذ ذهب كل فريق إلى اعتبار نفسه فقط ممثلا للفرقة الناجية التي تستحق الحياة، ليتحرك بهذا الباعث مكفرا ومفسقا للآخر، ومبيحا هدر دمه وعرضه ودينه.

إذ ان كل طائفة تزعم احتكار الشرعية الدينية والحقيقة التاريخية المطلقة دون الآخرين،، مما خلق صراعا مستحكما بين الطوائف تارة يبرز سافرا في سلوك أفرادها، وتارة أخرى يبقى دفينا ينتظر الفرصة المناسبة ليطل برأسه من جديد في متوالية أزلية لا انفكاك منها على الرغم من علاقات التصاهر والصداقة وتبادل المصالح والعيش المشترك ووجود التحديات المشتركة؛ لأن وقائع التاريخ دائما هناك من يحاول استحضارها وبعثها وتغذيتها وتأجيجها من جديد.

٨ – انظر للمزيد: حسين درويش العادلي، الطائفية المجتمعية والطائفية السياسية ، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://arabs-for-democracy.com/democracy/pages/view/pageId/1742

الفرع الثاني: الاسباب السياسية

نجحت نظم الاستبداد والطغيان التي حكمت الشعوب الإسلامية لفترات طويلة، ومنها المجتمع العراقي في توظيف فسيفسائية الهوية الاجتماعية عبر الإفادة التامة من منطلق قاعدة"فرق تسد". فعمدت إلى تقسيم المجتمع إلى فريقين: فريق حليف للنظام مستفيد منه متحول إلى أداة من أدوات قمعه، وفريق منبوذ متهم مطارد مقصى ومضطهد.

وعندما تغيب فرص المساواة بين افراد وفئات المجتمع وتوصد ابواب المشاركة والحراك السياسي، يلجا البعض لاستخدام مختلف الاساليب والادوات وتصبح الانتماءات العرقية والمذهبية اوراقا وعملة رائجة فتتعمق الهوة بين مكونات المجتمع، وتبرز مشاعر الكراهية والعداوة بينها بشكل خطير ودائم، عندها سيلج المجتمع في اتون صراع وتناحر بين مكوناته فئاته.[٩] ومع ازدياد حالات الاستبداد وقسوة الطغيان وحصره الأمور باتجاه التشظي والتقسيم احتمت مكونات اجتماعية بالقبيلة وأخرى بالطائفة مما اضعف مشاعر الاحترام للتعددية الدينية والمذهبية اجتماعيا،وجعل الطائفية السياسية آلية مرضية تتقاطع عدائيا والتعددية ولا تعبر عنها في أي حال من الأحوال. [١٠]

الفرع الثالث: الاسباب الاجتماعية

يمكن استخلاص الاسباب الاجتماعية للعنف الطائفي من متلازمة الماسي الاجتماعية التي تعانيها مجتمعاتنا والمتمثلة في الجهل والتخلف والفقر، والتي تعد موارد مهمة لتغذية مثل هذه النزعات المتطرفة؛ اذ يشكل أرضية خصبة للتطرف والتعصب بكل ألوانه القبلية والمناطقية وغيرها، وأخطرها التعصب الديني والمذهبي؛ بسبب استعداد المجتمع الجاهل لإضفاء عامل القداسة المدعاة أو المتوهمة على إفراد معينين أو أفكار معينة؛ وهذا ناجم من كون الجهل والأمية تنتج لونا من التدين، فيه الكثير من ملامح السطحية والخرافة والتعصب، لاسيما إذا ما استثمرت أياد خبيثة عامل الجهل لتوظفه باتجاه تأجيج العصبيات، لمآرب خاصة بها، سياسية أو غير ذلك. [١١]

وبالمثل كان الفقر مصدرا لتوليد العنف والتطرف بمختلف أشكاله، ومنها الطائفية، فالفقير لا يمكنه التعلم، ولا التأمل الواعي بحقائق الحياة، ولا الشعور بالأمان الفردي والأسري والاجتماعي، بل تنعدم لديه ضمانات الغد السعيد، والى هذه الحقيقة أشار (موريس دوفرجيه) بالقول:(...عندما يرتدي شعب ثيابه الرثة، ويكون قابعا في مجاعة حقيقية، ويعيش في أكواخ، وتلطخه سيارات الأغنياء الفاخرة...عندها يغدو الشعور بالظلم أقسى والرغبة اكبر، في هذه الحالة العنف وحده أو الاستسلام الذي يولده البؤس والجهل

٩ – حسن الصفار ، الفتن الطائفية : منافذ المحاولات الخارجية ، مجلة المنهاج ، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع ، لبنان ، العدد الثامن والاربعون ، السنة الثانية عشرة ، ٢٠٠٨ ، ص ١٠

١٠– انظر للمزيد: د. تيسير عبد الجبار الآلوسي. مصدر سابق.

١١– عماد غالب بلان . الطعم الآخر للطائفية ، مجلة همس النوافذ ، العدد ١٢ ، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٢ .

بإمكانهما أن يبقيا هذا الوضع...) [١٢]، أما (هارولد لاسكي) فقد قال(...ولكن هؤلاء الذين يعرفون حياة الفقير العادية، وخوفها الدائم من الغد وإحساسها المرتعب بالكارثة الوشيكة، وبحثها المستمر عن جمال دائم التهرب، سوف يفهمون إن الحرية بدون الاطمئنان الاقتصادي لا تستحق الحصول عليها، فالناس قد يكونون أحرار بالفعل، ولكنهم يظلون عاجزين عن تحقيق أهداف الحرية) [١٣]. كما أشار إلى ذلك (توماس بين) بالقول:"إن الفقر ليتحدى كل فضيلة وسلام؛ لأنه يورث صاحبه درجة من الانحطاط والتذمر تكتسح أمامها كل شيء، ولا يبقى قائما غير هذا المبدأ كن أو لا تكن"[١٤]، ويقول محمد الحسيني الشيرازي في هذا الصدد:"الفقراء فحيث لا مال لهم لابد أن يلتجئوا إلى الحرب لحل مشكلاتهم...إن إمكانات السلام في الفقراء اقل من إمكانات السلام في غيرهم"[١٥]. وعليه، فالفقر سبيل إلى خلق العنف والتطرف لدى الإنسان، وهذا يقود إلى سيادة الاحتراب الاجتماعي بدلا من السلم، وان التنامي الخطير في تيارات العنف في البلدان الإسلامية عموما، وفي العراق حصرا لا تنبع مصادره من أفكار مستوردة أو استفزازات وتدخلات أجنبية فقط، بل إن طبيعة الحكومات التي حكمت هذه البلدان لقرون طويلة من الاستبداد والقهر والإفقار، أنتجت شعوبا فقيرة ماديا وفكريا تبحث عن سبب بؤسها في ميادين خاطئة وتوجهات أيديولوجية اقصائية للآخر، دون أن تدرك إن السبب الحقيقي في بؤسها هو غياب العدالة الاجتماعية التي تنتشلها من حالة الفقر التي تعيش فيها.

ان جل ما تقدم قد انتج خللا في العلاقة بين ابناء الطوائف الاسلامية يفصح عن ذاته عبر ثقافة من التعبئة المتبادلة القائمة على التحريض والكراهية واحكام التكفير والتفسيق وتأجيج لمشاعر العداء والبغض [١٦] الذي سيكون العنف هو الوسيلة المثلى للتعبير عنه.[١٧]

المبحث الثاني- مفهوم المجتمع المدني

في هذا المبحث سيتم تحديد المقصود بالمجتمع المدني وتأصيله التاريخي، ومن ثم تحديد بنيته ووظائفه التي يقوم بها، وذلك من خلال المطلبين الآتيين:

١٢- موريس دوفرجيه.المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى. ترجمة جورج سعد. ط١. بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢. ص ١٧٣ .

١٣- هارولد لاسكي. الحرية في الدولة الحديثة. ترجمة احمد رضوان عز الدين. ط٢. بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨. ص٢٨ .

١٤- علي الوردي. وعاظ السلاطين.ط١ . بغداد، دار الحوراء للطباعة والنشر، ٢٠٠٥. ص٦٧ .

١٥- محمد الحسيني الشيرازي.فقه الاجتماع. الجزء الأول.ط٧. بيروت، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٢.ص ١٩٣ .

١٦ - حسن موسى الصفار ، الطائفية بين السياسة والدين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ٢٠٠٩، ص١٧.

١٧ - لقد اسهبت الدراسات والبحوث النفسية والاجتماعية في تحري اسباب اللجوء للعنف بين الجماعات الانسانية عبر اعتماد العديد من النظريات السلوكية والاجتماعية ، للمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى : فرحان محمد حمزة ، العنف الجمعي وعلاقته بالتعصب والتسهيل الاجتماعي ، المركز العراقي للمعلومات والدراسات ، بغداد ، ٢٠٠٩ ، ص ١٥٤ وما بعدها .

المطلب الأول - تعريف المجتمع المدني وتأصيله التاريخي:

تتألف عبارة المجتمع المدني من مصدرين مجتمع، وهو صيغة ترد في اللغة العربية إما اسم مكان أو اسم زمان أو مصدراً ميمياً، بمعنى أنها إما حدث بدون زمان (اجتماع)، وإما حدث يحدد مكان و زمان حصول هذا الحدث (مجتمع القوم، بمعنى موضع اجتماعهم).[١٨] والمصدر الآخر مدني فهو يميل في اللغة العربية إلى المدينة أي الحاضرة. [١٩] أي ان مدني في اللغة العربية مشتق من التمدن والمدنية والمدينة دون ان ينطوي على دلالة معنى المواطنة الذي انطوى عليه الجذر اللاتيني للمصطلح. [٢٠]

ويرى محمد عابد الجابري أن عبارة المجتمع المدني، بالنسبة للغة العربية، تكتسب معناها من مقابلها الذي هو "المجتمع البدوي"، تماماً كما فعل ابن خلدون حينما استعمل "الاجتماع الحضري" ومقابله "الاجتماع البدوي" كمفهومين إجرائيين في تحليل المجتمع العربي في عهده والعهود السابقة له (أيضاً اللاحقة). وبما أن القبيلة هي المكون الأساسي في البادية العربية فإن "المجتمع المدني" سيصبح المقابل المختلف، إلى حد التضاد لـ"المجتمع القبلي"، وفي اللغة اللاتينية يعد لفظ "CIVIL" والذي يترجم بـ"مدني"،[٢١] كنمط من التفكير والسلوك يتولد في كنف المجتمع المتحضر، والذي يتناقض مع ذلك النمط من التفكير والسلوك المتواجد في المجتمع الذي تهيمن عليه النزعة العسكرية او الدينية، وهنا يبرز الفارق الكبير بين مدلول عبارة "المجتمع المدني" في اللغة العربية وبين مفهومها في الفكر الأوروبي. [٢٢]

ظهر مصطلح المجتمع المدني في قاموس البشرية قديما عند الرومان، وكان يقصد به وجود مجموعة سياسية خاضعة للقوانين.[٢٣] ومن ثم اختفى ليعود إلى الظهور مجددا في القرنين السابع عشر والثامن عشر في ظل التحول الجذري الذي اجتاح أوروبا والانتقال من عصر الظلام الى عصر الدولة الحديثة والنظام الجديد، عندما استخرجه المفكرون الغربيون مثل (هوبز، وروسو)، من رحم مفهوم العقد الاجتماعي، وربما يكون (جون لوك) أول من استخدمه بعد الثورة الإنكليزية ١٦٨٨، في نصه المشهور (رسالة التسامح، ١٦٨٩)، ثم وجد فيه (هوبز) المجتمع المنظم سياسياً عن طريق الدولة القائمة على التعاقد. أما روسو في القرن الثامن عشر فكان المجتمع المدني بالنسبة له:"هو المجتمع القادر على تشكيل

---

١٨ - أنظر للمزيد: إبراهيم مصطفى وآخرون. مصدر سابق. ص ١٣٦.

١٩ - أنظر للمزيد: أنطوان نعمه وآخرون. مصدر سابق. ص ٢٩٦ .

٢٠ - انظر : د. سهيل عروسي ، المجتمع المدني والدولة : دراسة في بنية ودلالة المجتمع المدني والدولة وعلاقتهما بالديمقراطية ، دار الفكر ، دمشق ، ٢٠٠٨ ، ص٩٧ . وكذلك : Amerriam Webster، Websters school dictionary، Merriam P.161،USA،Massachusetts،Webster.INC

21 – Joyce .M.Hawkins، The Oxford reference dictionary، Clarendon press،Oxford University، New York،1986، p162.

٢٢ - محمد عابد الجابري، المجتمع المدني .. المعنى والمفهوم، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.hewaraat.com/forum/showthread.php?t=512 ، وانظر للمزيد: رشيد جرموني، المجتمع المدني بين السياق الكوني والتجربة المغربية، مقال منشور على الشبكة الدولية (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.aljabriabed.net/n97_02jarmounii.htm

٢٣ - انظر : حسن عز الدين بحر العلوم ، المجتمع المدني في الفكر الاسلامي ، مركز النجف للثقافة والبحوث ، النجف الاشرف ، ٢٠٠٨ ، ص ٦٧ .

إرادة عامة"، والملاحظ أن مفهوم المجتمع المدني قد استعمل في الفكر الغربي حتى القرن الثامن عشر للدلالة على المجتمعات التي تجاوزت حالة الطبيعة والتي تأسست على عقد اجتماعي وحد بين الأفراد وأفرز الدولة، أي ان العبارة كانت تدل على المجتمع والدولة معاً؛ فالمجتمع المدني بحسب صياغاته الأولى هو"كل تجمع بشري خرج من حالة الطبيعة إلى الحالة المدنية التي تتمثل بوجود هيئة سياسية قائمة على اتفاق تعاقدي، والمجتمع المدني وفقاً لذلك هو المجتمع المنظم سياسياً، وهو يضم المجتمع والدولة معاً". فالمجتمع المدني كما ظهر مع فلاسفة التنوير هو مجتمع لا يعرف المراتب الاجتماعية ولا التدرج الاجتماعي، وتركيبه الداخلي لا يعرف السيطرة ولا التبعية، والعلاقات داخل المجتمع المدني ليست علاقات بين قوى سياسية أو طبقات اجتماعية ولكنها علاقات بين أحرار متساوين. [٢٤] فهو مجتمع الافراد الذين حررهم العمل من اسر العلاقات التقليدية، لينتظموا في بنى وتنظيمات حديثة كالجمعيات والنوادي والنقابات وهو شرط ضروري لتحقيق مبدا المواطنة. [٢٥] وثمة من يرى في مفهوم المجتمع المدني بنياناً واسعا لاستيعاب ادوات الدولة المعاصرة الى جانب ادواتها التقليدية عبر تعريفه بكونه:"مجموعة من الفعاليات والانشطة التي تحتل مركزا وسطا بين العائلة والنظام القيمي في المجتمع من ناحية، والدولة ومؤسساتها واجهزتها ذات الصبغة الرسمية من ناحية اخرى". وعليه تستوعب مفردة المجتمع المدني البنى والمؤسسات التقليدية مثل العائلة والعشيرة الى جانب المؤسسات الحديثة المتمثلة بـ(الجمعيات والنقابات والاحزاب السياسية) خلافا لمن يعرف المجتمع المدني ضمنه افقه الضيق المعاصر بكونه"مجموعة من المنظمات والممارسات التي تنشا بالإرادة الحرة في أي مجتمع في استقلال نسبي عن المؤسسات الارثية مثل الاسرة والعشيرة"[٢٦]

ولم يظهر التمايز بين المجتمع المدني والدولة في الفكر الغربي الحديث إلا مع (هيغل) الذي اعتبر أن المجتمع المدني يمثل الحيز الاجتماعي والأخلاقي الواقع بين العائلة والدولة، وهذا يعني أن بناء المجتمع المدني يتم بعد بناء الدولة، وهو ما يميز المجتمع الحديث كما رأى ذلك عن المجتمعات التقليدية، ومع هذا فهيغل لم يجعل المجتمع المدني شرطاً للحرية وإطاراً طبيعياً لها، فالمجتمع المدني عند (هيغل) هو مجتمع الحاجة والأنانية، وعلى هذا فهو في حاجة مستمرة إلى المراقبة الدائمة من طرف الدولة؛ بعبارة اخرى وجد هيغل في المجتمع المدني"مجموعة روابط قانونية تنظم علاقات الناس فيما بينهم وتضمن تعاونهم واعتمادهم على بعضهم البعض، فهو أي المجتمع المدني في صيرورة اكبر يتم تجسيدها في الدولة"[٢٧]

---

٢٤ – انظر للمزيد: د. أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ٢٠٠٠، ص٢٠.ود.كمال عبد اللطيف. المجتمع المدني: ملاحظات حول تشكل المفهوم وتطوره، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٥٥، الكويت، ١٩٩٦، ص ٦٦ .

٢٥ – جاد الكريم الجباعي ، المجتمع المدني : هوية الاختلاف ، النايا للدراسات والنشر والتوزيع ، دمشق ١٩٩٢ ، ص ٥٥.

٢٦ – ينظر في ذلك : عبد الباقي الهرماسي ، المجتمع المدني والدولة في الممارسة السياسية الغربية من القرن التاسع عشر الى اليوم : دراسة مقارنة ، ضمن كتاب المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ٩٤ .

٢٧ – نقلا عن علي عبود المحمداوي وحيدر ناظم محمد ، مقاربات في الديمقراطية والمجتمع المدني ، صفحات للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠١١ ، ص ٧٢ .

أما ماركس فقد نظر إلى المجتمع المدني باعتباره الأساس الواقعي للدولة، وقد شخصه في مجموعة العلاقات المادية للأفراد في مرحلة محددة من مراحل تطور قوى الإنتاج، فالمجتمع المدني عند ماركس هو مجال الصراع الطبقي، وهو يشكل كل الحياة الاجتماعية قبل نشوء الدولة ويحدد المستوى السياسي، أو الدولة، بوصفه مستوى تطور العلاقات الاقتصادية، وبذلك يتطابق المجتمع المدني في المعالم العريضة مع البنية التحتية وبشرط مستويي البنية الفوقية، الايدولوجيا والمؤسسات السياسية. (٢٨)

ومع احتدام الصراع الثوري ضمن سياق إعادة بناء الإستراتيجية الثورية في مجتمعات أوربا الصناعية في النصف الأول من القرن العشرين جاء المفكر الإيطالي (أنطونيو غرامشي) ليجدد النظر إلى مفهوم المجتمع المدني ضمن الحقل الماركسي نفسه عندما رفض اعتباره فضاء للتنافس الاقتصادي – مثلما يعتقد هيغل وماركس– واعتبره حقلاً للتنافس الأيديولوجي، وهو لذلك جزء من البنية الفوقية، وهذه البنية تنقسم بدورها إلى مجتمع مدني ومجتمع سياسي، وظيفة الأول الهيمنة عن طريق الثقافة والأيديولوجيا، ووظيفة الثاني السيطرة والإكراه، على الرغم من تحرره من الأطر المسبقة التي فرضها هيغل وماركس إلا أنه بقي وفياً لهما فيما يتعلق بعلاقة المجتمع المدني مع الدولة في ضوء جدليتهما المركبة. وفي رأي غرامشي أنه"لا يكفي للوصول إلى السلطة والاحتفاظ بها السيطرة على جهاز الدولة ولكن لابد من تحقيق الهيمنة على المجتمع، ولا يتم ذلك إلا من خلال منظمات المجتمع المدني عبر العمل الثقافي بالدرجة الرئيسية، ذلك أن المجتمع المدني هو المجال الذي تتجلى فيه وظيفة الهيمنة الاجتماعية مقابل المجتمع السياسي أو الدولة الذي تتجلى فيه وظيفة السيطرة أو القيادة السياسية المباشرة". (٢٩)

ويوجز المفكر الالماني المعاصر (يورغان هابرماس) رؤية غرامشي الى المجتمع المدني بالقول."ان وظائف المجتمع المدني تعني لدى غرامشي الراي العام — أي الذي لايخضع لسلطة الدولة"وبكل الاحوال والتوصيفات لايمكن مغادرة الهدف الذي رامه غرامشي من بلوغ ضفاف المجتمع المدني عبر بوابة انتصار الثورة العمالية ضمن اطر مقولات الرؤية الماركسية.(٣٠)

ولم يعرف الفكر العربي مفهوم المجتمع المدني بحد ذاته بل جاء هذا التعرف عبر الاهتمام المتزايد الذي لاقته مؤلفات (انطونيو غرامشي) في العالم العربي بعد السبعينيات. وبدرجة أقل مفردات الفلسفة والفكر الليبرالي عبر ترجمة بعض أعمال الفلسفة الكلاسيكية (العقد الاجتماعي لروسو، في الحكم المدني لجون لوك)، مما يعني أن الفكر العربي لم يتعامل مع المفهوم قبل تلك الفترة باعتباره ظاهرة مستقلة بحد ذاتها. لا على مستوى التأصيل النظري ولا على مستوى الاستخدام الأدائي الأيديولوجي، اذ لم يخرج مفكروا عصر النهضة العربية في نهايات القرن التاسع عشر عن معالجة معطيات المجتمع المدني ومفرداته من زاوية حاجة

٢٨ – انظر للمزيد: د.كمال عبد اللطيف. مصدر سابق، ص ص ٦٩–٧١ .

٢٩ – انظر : أماني قنديل، عملية التحول الديمقراطي في مصر (١٩٨١–١٩٩٣) ، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، دار الأمين للنشر، ١٩٩٥، ص ١١٩. و د. عزمي بشارة، المجتمع المدني دراسة نقدية مع إشارة للمجتمع المدني العربي ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨، ص ٦٦.

٣٠ – ينظر : د. الحبيب الجنحاني و د. سيف الدين عبد الفتاح ، المجتمع المدني وابعاده الفكرية ، دار الفكر المعاصر ، بيروت ٢٠٠٣، ص ص ١٨–٢٠ .

مجتمعاتهم الى (الحرية والسيادة والمساواة).[٣١] وهكذا لم يظهر المفهوم الحديث والمستقل للمجتمع المدني في الفكر العربي المعاصر الا مع ثمانينيات القرن العشرين وخصوصاً في دول المغرب العربي، حيث ارتبط المفهوم بالتفكير في ظروف التحول من الحزب الواحد إلى التعددية (تونس، الجزائر). [٣٢]

وقد شهدت نهاية القرن العشرين إعادة اكتشاف المفهوم بعد تنقيته من بعض القضايا التي كانت موضع سجالات ساخنة خلال المراحل السابقة، فصار يقصد بالمفهوم المعاصر للمجتمع المدني"تلك الشبكة الواسعة من المنظمات التي طورتها المجتمعات الحديثة في تأريخها الطويل والتي ترفد عمل الدولة"[٣٣]. لقد أثرت هذه الرحلة الفكرية الطويلة في إثراء مفهوم المجتمع المدني وبلورة ملامحه. ومن هنا جاءت التعريفات المقدمة لهذا المفهوم لتؤكد حالة النضوج الفكري في النظرة إليه وتحري مبانيه النظرية. وهكذا تنوعت التعاريف المقدمة لمفهوم المجتمع المدني بتنوع المرجعيات والأغراض لمن تناول المفهوم بالتعريف. وهنا يشير حسنين توفيق إلى"المجتمع المدني"على أنه عبارة عن مجموعة من الأبنية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقانونية التي تنتظم في إطارها شبكة معقدة من العلاقات والممارسات بين القوى والتكوينات الاجتماعية في المجتمع، ويحدث ذلك بصورة ديناميكية ومستمرة من خلال مجموعة من المؤسسات التطوعية التي تنشأ وتعمل باستقلالية عن الدول. [٣٤]

وعرف سعد الدين إبراهيم المجتمع المدني بأنه"مجموعة من التنظيمات التطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة في ذلك بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والإدارة السلمية للتنوع والخلاف"[٣٥]، وتشمل تنظيمات المجتمع المدني كلا من الجمعيات والروابط والنقابات والأحزاب والأندية والتعاونيات، أي كل ما هو غير حكومي وكل ما هو غير عائلي أو إرثي (وراثي). والى هذا المعنى ذهبت الدكتورة أماني قنديل عندما عرفت المجتمع المدني باعتباره"مجموعة التنظيمات الطوعية الحرة التي تملأ المجال العام بين الأسرة والدولة؛ لتحقيق مصالح أفرادها ملتزمة بقيم ومعايير الاحترام والتراضي والتسامح والإدارة السليمة للتنوع والاختلاف".[٣٦] كما عرفه محمد عابد

---

٣١ – للمزيد من التفاصيل حول موقف رواد النهضة العربية من قضية المجتمع المدني ينظر : معن زيادة ، المجتمع المدني والدولة في فكر النهضة العربية الحديثة ، ضمن كتاب المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ١٩٩٢ ، ص ص ١٥٣–١٧٢ .

٣٢ – ينظر للتفاصيل : د. عيسى الشماس ، مصدر سابق ، ص ٣٠.

٣٣ – مر مفهوم المجتمع المدني خلال هذه المرحلة المعاصرة بثلاث فترات رئيسية: الأولى– هي فترة الانفتاح على المجتمع المدني من قبل الأحزاب والقوى والنظم السياسية بهدف ضخ دم جديد في السياسة وإضفاء طابع شعبي عليها. الثانية– هي فترة التعامل مع المجتمع المدني بوصفه منظمات مستقلة موازية للدولة ومشاركة في تحقيق الكثير من المهام التي تقم هذه الأخيرة بالتراجع عنها.وهذا المفهوم يتوافق مع انتشار مفهوم العولمة.الثالثة– فترة انتقال المجتمع المدني إلى قطب قائم بذاته ومركز لقيادة وسلطة اجتماعية، على مستوى التنظيم العالمي بشكل خاص، في مواجهة القطب الذي تمثله الدولة– الدول المتآلفة في إطار سياسات العولمة والنازعة إلى الخضوع بشكل أكبر فأكبر في منطق عملها للحسابات التجارية والاقتصادية.

٣٤ – حسنين توفيق، بناء المجتمع المدني، المؤشرات الكمية والكيفية، ندوة المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ط١، ١٩٩٢، ص ص ٦٩–٧٠

٣٥– سعد الدين إبراهيم، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، عمان، منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨، ص ص ٣٢–٣٣ .

٣٦ – أماني قنديل ، تطور المجتمع المدني في مصر ، عالم الفكر ، المجلد ٢٧ ، العدد : ٣ ، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩ ، ص٩٩ .

الجابري"بكونه مجتمع المدن، وأن مؤسساته هي تلك التي ينشئها الناس بينهم في المدينة لتنظيم حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية، فهي إذن مؤسسات إرادية يقيمها الناس وينخرطون فيها أو يحلونها أو ينسحبون منها، على النقيض تماما من مؤسسات المجتمع البدوي والتقليدي والتي تتميز بكونها مؤسسات طبيعية، أو عضوية يولد الفرد منتميا إليها مندمجا فيها لا يستطيع الانسحاب منها مثل القبيلة والطائفة.."."[٣٧]

وعلى ضوء ما تقدم يمكن تعريف المجتمع المدني في إطار تأصيله الفلسفي والفكري بأنه"عبارة عن مجموعة من المؤسسات، التي تقع خارج شبكة سلطة الدولة(والمجتمع التقليدي)، تتيح للقوى الاجتماعية العاملة في مجالات الاقتصاد والحياة الثقافية والأيديولوجيا والسياسة أن تنظم نفسها بشكل حر بحيث تستطيع أن تلعب دورها في التطور الاجتماعي".[٣٨]

المطلب الثاني: بنية المجتمع المدني.

يتطلب فهم بنية المجتمع المدني تحديد خصائصه البنيوية أولا، ووظائفه الأساسية ثانيا، وكما يلي:-

الفرع الأول: الخصائص البنيوية للمجتمع المدني.

هناك مجموعة من السمات التي يتميز بها المجتمع المدني عن غيره من الهيئات والكيانات القانونية الأخرى، هذه السمات تمثل الخصائص المميزة لمؤسساته،ويمكن إجمالها بالاتي[٣٩]:

١) **الطوعية**: وتعني أن تنظيمات المجتمع المدني باختلاف أنواعها وأهدافها، تتأسس بناء على الرغبة المشتركة لأصحابها، وانطلاقا من إرادتهم الحرة، أو الطوعية، وبالتالي فهي غير مفروضة من طرف أي جهة، ولا يتم إحداثها استجابة لتعليمات أو توجيهات الحاكمين وذوي النفوذ، أو غيرهم، وتمارس نشاطاتها التي تستجيب للأهداف التي سطرتها لنفسها بعيدا عن أي ضغط أو تأثير خارجي، ويكون الانتماء إليها والخروج منها بإرادة الفرد؛ لأن مؤسسات المجتمع المدني لا تتماثل مع الجماعات المرتبطة بالصلات القرابية كالأسرة والعشيرة والقبيلة، بل هي بعيدة كل البعد عنها. وعادة ما تنبع الرغبة في تكوين هيئات المجتمع المدني، من شعور الأفراد بانتمائهم للمجتمع الذي يعيشون فيه، وبكونهم معنيين بما يحدث فيه سلبا أو إيجابا، ووعيهم بما لهم من مسؤولية تجاهه، وبأهمية الانخراط في قضاياه بالاشتراك مع

---

٣٧ – د. محمد عابد الجابري،الديمقراطية وحقوق الإنسان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤، ص ص١١٦-١١٧.

٣٨ د. صالح ياسر ، بعض إشكاليات المجتمع المدني والمجتمع السياسي والديمقراطية، منشورات طريق الشعب، سلسلة قضايا فكرية، بغداد، ٢٠٠٥،ص ٣٠-٣٣.

٣٩ – انظر للمزيد: د. خالد عليوي العرداوي، المجتمع المدني العراقي: إشكالية الولادة وضرورة التفعيل، بحث منشور في كتاب (مدخل إلى بناء الديمقراطية في العراق). كربلاء المقدسة، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٥ ، ص ص ٣٥-٣٦.
د.علاء عبد الرزاق، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في العراق، بحث منشور في كتاب(آليات التحول الديمقراطي في العراق)، كربلاء المقدسة،مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية،٢٠٠٥، ص ص ٣٩-٤١.
وكذلك : علي زيد الزعبي ، واقع المجتمع المدني العربي ومستقبله ، مجلة العلوم الاجتماعية ، مجلس النشر العلمي ، الكويت ، المجلد ٣٥ ، العدد ١ ، ٢٠٠٧ ، ص ١٨ .

الآخرين، وما يقتضيه ذلك من تطوع وتضامن وتعاضد وتعاون من أجل الصالح العام، ثم الإحساس بلذة تحقيق النتائج، وجني الثمار، التي تعود بالنفع على المجتمع ككل، وعلى أفراده من خلال العمل المشترك.

٢) **التنظيم**: إن الحرية والتلقائية التي تطبع تأسيس المنظمات التي تندرج ضمن مفهوم المجتمع المدني، لا تعني العشوائية أو عدم الضبط؛ لأن وجود كل واحدة من هذه المنظمات يخضع للقوانين السائدة والتي تتيح حرية تأسيسها من جهة، كما تخضع في تسييرها وقيامها بمهامها لقوانينها الأساسية، وأنظمتها الداخلية من جهة ثانية، وبذلك تتميز عن الجماعات والمكونات التي عرفتها المجتمعات الإسلامية التقليدية، ومنها المجتمع العراقي كالقبيلة والعشيرة والزاوية والطريقة والمذهب. وتقوم العلاقة بين أعضاء المؤسسة على أساس التكافؤ واحترام كل الآراء والاجتهادات، في إطار العمل الجماعي لفريق يتوخى تحقيق نفس الأهداف، وهي علاقات أفقية، وليست رأسية أو عمودية، مثل العلاقة بين الأجير والمؤجر، أو بين السلطة والمواطن، أو بين شيخ الزاوية والأتباع، مما يجعل المجتمع المدني إطارا يتيح ويشجع كل الأعضاء على الابتكار والإبداع، والمساهمة الإيجابية في الوصول إلى الغايات المشروعة المشتركة.

٣) **الاستقلال**: ويقصد به أن لا تكون منظمات المجتمع المدني خاضعة للسلطة في تحديد طريقة تشكيلها وتحركها – مع احترامها للقانون- لكي تتمكن من التأثير في السلطة ومنعها من السير في طريق الاستبداد. ويمكن تحديد درجة استقلال منظمات المجتمع المدني عن الدولة من خلال عدة مؤشرات منها:

أ- الاستقلال من حيث النشأة: الأصل أن منظمات المجتمع المدني تنشأ بشكل حر وبدون تدخل من قبل الأطراف الحكومية وان ما يبرر نشأتها وجود الحاجة إلى نشاطها في الميادين التي تعمل فيها.

ب- الاستقلال المالي: ويظهر ذلك من خلال تحديد مصادر تمويل هذه المنظمات، فبعضها تتلقى جزءاً من تمويلها من الدولة أو بعض الجهات الخارجية، وبعضها الأخر يعتمد بصورة كاملة على التمويل الذاتي من خلال مساهمات الأعضاء في شكل اشتراكات للأعضاء أو التبرعات أو على بعض أنشطتها الخدمية أو الإنتاجية. بعبارة أخرى، يعتبر التأسيس الاقتصادي أهم عناصر الاستقلالية؛ لأن صاحب التمويل هو صاحب القرار.

ج- الاستقلال الإداري والتنظيمي: ويشير إلى مدى استقلال منظمات المجتمع المدني في إدارة شؤونها الداخلية طبقاً للوائحها وأنظمتها الداخلية وبعيداً عن تدخل الدولة، ومن ثم تنخفض إمكانية الهيمنة على عمل هذه المؤسسات وتوجيهها بالشكل الذي تختاره السلطات الحكومية، أو إخضاعها للرقابة والسيطرة الشديدة وبذلك تصبح عديمة الفاعلية وقد تطرح بعض الحكومات مؤسساتها الرسمية بديلاً لمنظمات المجتمع المدني محاولة بذلك احتواء دور تلك المنظمات أو تهميشها. إن استقلال المجتمع المدني عن الدولة لا يعني بالضرورة أنه نقيض أو خصم لها، أو لا توجد بينهما أي صلة، وإنما تفيد أن علاقته بها لا تتسم برابطة التبعية، بل تكون العلاقة في هذه الحالة مبنية على الشراكة والتعاون، ووظيفة المجتمع المدني وإن كانت لا تختلف في مجالات تدخلها عن تلك التي تهتم بها مؤسسات الدولة، فإنها قد لا

تكون من بين أولوياتها، ولذلك يصف البعض دور المجتمع المدني بأنه مكمل للمهام التي تقوم بها مصالح الدولة، ويسد الفراغ أو النقص في بعض الخدمات التي تهم العموم، أو تهم فئات معينة.

٤) **خدمة الصالح العام:** إن أعمال ومبادرات منظمات المجتمع المدني لابد أن تصب في خدمة الصالح العام، من خلال تقديم خدمات لفائدة المجتمع، أو بعض الفئات المستهدفة منه، وهناك مجالات كثيرة ومتنوعة لاشتغال المجتمع المدني، في بلد يعاني من التخلف، ويعرف الكثير من الاختلالات والخصائص، ومن هذه المجالات: الأعمال الاجتماعية التي تستهدف الفئات المحتاجة، ورعاية الأشخاص المعاقين، وحماية الطفولة، والاهتمام بقضايا المرأة والشباب، ومحاربة الأمية، والوقاية الصحية، والدفاع عن حقوق الإنسان، وتعميم مفاهيمها وثقافتها، ونشر قيم المواطنة، وحماية البيئة، والمساهمة في تنمية الحواضر والقرى، ومحاربة الفقر والإقصاء الاجتماعي، وترسيخ مقومات الهوية الوطنية، وما تتميز به من غنى وتنوع، والنهوض بالفنون، والتشجيع على الإبداع، وخلق فضاءات للتنشيط الثقافي والرياضي والترفيهي، وغير ذلك من المجالات التي يمكن للمجتمع المدني أن يساهم من خلال الاشتغال بها في تنمية المجتمع والنهوض به، دون أن تكون الغاية من وراء ذلك هي التجارة أو الربح، أو المصلحة الذاتية للأعضاء.وخدمة الصالح العامة من قبل المجتمع المدني دفعت ستيفين ديلو وتيموثي ديل مؤلفا كتاب(التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني) إلى القول:"..يشير المجتمع المدني الى مؤسسات سياسية وطنية،لديها هدف رئيسي يتمثل في الالتزام بتعزيز حكم القانون لصالح مفهوم مشترك للصالح العام. والصالح العام.. يشمل توفير الحقوق الأساسية، مثل التعبير والتنظيم وحرية الاعتقاد والدين، وحماية الملكية الخاصة إلى غير ذلك"".(٤٠)

٥) **عدم السعي للوصول إلى السلطة:** على الرغم من كون أنشطة وأهداف المجتمع المدني لا تبتعد عن مجالات الشأن العام، وأن بعض المؤسسات تشكل أحيانا قوة ضاغطة على السلطات العمومية، وتقوم بانتقاد العمل الحكومي، فإنها لا تسعى من خلال ذلك إلى الوصول إلى السلطة، ومن هذه الزاوية يتميز المجتمع المدني عن الأحزاب السياسية التي من طبيعتها أن تعمل للوصول إلى الحكم. وتجدر الإشارة إلى أن هناك من يتوسع في مفهوم المجتمع المدني فيعتبر الأحزاب السياسية جزءا منه، غير أن أهداف الأحزاب ومنهج عملها مغايران، فهي تتنافس في الاجتهادات والبرامج التي تهم مختلف مجالات الشأن العام، وتقوم بعرضها على الرأي العام، وعلى الناخبين لنيل ثقتهم، والوصول بالتالي إلى الحكومة لتنفيذ تلك البرامج؛ بينما أي منظمة في المجتمع المدني لا تتدخل في كل المجالات، وإنما تختار أن تقدم خدمات معينة في مجال محدد، ولا تدخل في المنافسة الانتخابية التي تعني الأحزاب السياسية.

٦) **عدم اللجوء إلى العنف:** إذا كان من حق منظمات المجتمع المدني أن تقوم بالاحتجاج على السياسة التي تتبعها السلطات العمومية في مجال ما، أو في مواجهة إحدى الظواهر السلبية في المجتمع،

٤٠ – ستيفين ديلو وتيموثي ديل، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة ربيع وهبه،ط١، القاهرة، المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠، ص ٧٨٣.

ومن حقها أيضا ممارسة الضغوط لتحقيق فوائد للمجتمع، ومكتسبات للشرائح الاجتماعية التي تدافع عن مصالحها، فإنها لا يمكن أن تستعمل في ذلك إلا الوسائل السلمية المتحضرة، والمتمثلة في رفع المطالب، وإبداء الملاحظات، والحوار مع الجهات المعنية، واستعمال وسائل الإعلام والاتصال لتوضيح مواقفها، ويمكنها أن تلجأ إلى التظاهر السلمي إذا اقتضى الأمر ذلك؛ ولا يمكنها مطلقا اللجوء إلى العنف؛ وقد كان كانط يعتقد ان العنف سيتقلص بحكم ان المجتمع سيخضع اكثر للتشريعات والقوانين وهو الامر الذي لن يوجد معه سبب معقول لاستخدام العنف من طرف الدولة ما دام الخضوع والطاعة قائمين؛اذ من المفترض ان يسهم المجتمع المدني في تهذيب السلوك العام، وليس في ترهيب المجتمع، ويعبئ الطاقات لخدمة الصالح العام، ولا يهيج الناس من أجل التخريب، ويعمل على نشر قيم التضامن والتسامح، ولا يزرع الحقد والكراهية. (٤١)

ولذلك فإن التنظيمات التي لا تتورع عن استعمال العنف، وتمارس الإرهاب بأي شكل من الأشكال، مهما كانت أهدافها المعلنة، لا يمكن أن تندرج ضمن المجتمع المدني، لأنها تجعل نفسها ضد أمن وسلامة واستقرار المجتمع، وبالتالي تكون ضد الأهداف النبيلة، والرسالة الحضارية التي يضعها المجتمع المدني على عاتقه.

٧) **العمل الجماعي**: إذ تعتمد منظمات المجتمع المدني على الجهد الجماعي في تحقيق أهدافها؛ لأن ذلك يعطيها القوة والتأثير في عملها.

٨) **البعد الأخلاقي– السلوكي**: تستند منظمات المجتمع المدني إلى منظومة أخلاقية –سلوكية أساسها قيم المواطنة، والحوار، والتسامح، والاعتراف بالآخر، واحترام الرأي المغاير، والتعاون، والتنافس، والصراع السلمي.

الفرع الثاني: وظائف المجتمع المدني.

يبرز الدور الحيوي للمجتمع المدني من خلال الوظائف المهمة التي تضطلع بها مؤسساته، والتي يمكن تحديد أبرزها بما يلي: (٤٢)

١– بناء الثقافة الديمقراطية: من أهم الوظائف التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني؛اذ توفر قناة للمشاركة الاختيارية في المجال العام وفي المجال السياسي حين تعمل على نشر قيم احترام العمل الجماعي

---

٤١ – د.محمد غيلان ، المجتمع المدني : حججه مفارقاته ومصائره ، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٢٦.

٤٢ – تم تحديد هذه الوظائف من خلال مراجعة مصادر عدة منها:

هاشم الهاشم ، المجتمع المدني ودوره الديمقراطي ، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.sdp-sy.org/news/94.html

عباس فاضل محمود، دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز البناء الديمقراطي في العراق، بحث منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني:http://www.google.iq =

=عبد الغفار شكر ، دور المجتمع المدني في بناء الديمقراطية ، على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=26354

بلا كاتب، وظائف المجتمع المدني، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني: https://sites.google.com/site/tarekprof72/wazafmogtamamadani

والعمل التطوعي وقبول الاختلاف والتنوع وإدارة الخلاف بوسائل سلمية في ضوء قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمي مع الالتزام بالمحاسبة العامة والشفافية.[٤٣] وهكذا نرى أن مؤسسات المجتمع المدني تلعب دوراً تربوياً تدريبياً على العملية الديمقراطية من خلال العلاقات الداخلية لكل مؤسسة والتي تنظمها لائحة داخلية أو نظام أساسي يحدد حقوق وواجبات الأعضاء وأسس إدارتها من خلال مجلس إدارة منتخب وهيئة عامة تضم كل الأعضاء وتعتبر أعلى سلطة في المؤسسة تنتخب مجلس الإدارة وتراقب أداءه وتحاسبه على ما يحققه من نتائج. وما تتضمنه هذه العملية من مشاركة في النشاطات والتعبير عن الرأي والاستماع للرأي الآخر والتصويت على القرارات والترشيح في الانتخابات وهي جميعها أمور ضرورية لأي ممارسة ديمقراطية. وبالتالي لا يخطئ الباحث الغربي (بوتنام) حينما اتعقد ان منظمات المجتمع المدني تضطلع بوظيفة التنشئة الاجتماعية للمشاركين فيها ضمن معيار الاعتماد المتبادل كاساس لراس المال الاجتماعي اللازم للتعاون الفاعل. [٤٤]

وما تقدم يدل على العلاقة الترابطية المتينة بين الديمقراطية بوصفها شرطا ونتاجا حيا للطرف الاخر المتمثل بالمجتمع المدني. [٤٥]

٢– حماية الحقوق والحريات: ارتبط مفهوم المجتمع المدني عادة بصفة الملجأ أو الحصن الذي يلجأ إليه الأفراد في مواجهة الدولة وحكومتها من ناحية، وقوى السوق من ناحية ثانية. فكل من الدولة وقوى السوق قد يهدد بتصرفاته الحريات والحقوق الإنسانية ويمارس الاستغلال والقهر ضد الفئات الضعيفة في المجتمع. ولا تجد هذه الجماعات درع وقاية تتسلح به ضد هذه التهديدات إلا بالانضمام إلى أحد تنظيمات المجتمع المدني التي لديها من القوة المادية والمعنوية ما يمكنها من الضغط على الحكومة لاحترام تلك الحقوق ووقف التعدي عليها، أو الضغط على قوى السوق كالمنتجين والتجار وأصحاب المشروعات مثل النقابات وجمعيات حماية المستهلك. والواقع أن وجود المجتمع المدني ومؤسساته يشعر الأفراد بأن لديهم قنوات مفتوحة لعرض آرائهم ووجهات نظرهم بحرية حتى لو كانت تعارض الحكومة وسياساتها للتعبير عن مصالحهم ومطالبهم بأسلوب منظم وبطريقة سلمية ودون حاجة إلى استعمال العنف طالما أن البديل السلمي متوافر ومتاح.

٣ – إفراز القيادات الجديدة: يتطور المجتمع وتنضج حركته بقدر ما يتوفر له من قيادات مؤهلة للسير به إلى الأمام باستمرار. ولكي يواصل المجتمع تقدمه فإنه في حاجة دائمة لإعداد قيادات جديدة من الأجيال المتتالية. ويقصد بالقائد ذلك الإنسان الذي يتمتع بنفوذ حقيقي على جماعة محددة من الناس تثق فيه وتسعى إليه كلما واجهتها مشكلة، وتتحرك في الاتجاه الذي يحدده لها على نحو ما يحقق

---

٤٣ – انظر : د. ابو بلال عبد الله الحامد ، ثلاثية المجتمع المدني عن سر نجاح الغرب واخفاقنا ، الدار العربية للعلوم ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ٢٥

٤٤ – انظر : بوتنام ، مفارقات المجتمع المدني ، مجلة الثقافة العالمية ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب ، دولة الكويت ، ص٩.

٤٥ – انظر : ابراهيم محمود عبد الباقي ، دور الوقف في تنمية المجتمع المدني : نموذج الامانة العامة للاوقاف بدولة الكويت ، اطروحة دكتوراه منشورة ، جامعة الكويت ، ٢٠٠٦ ، ص ٩١ .

مصالحها. ومن خلال هذه المسؤولية فإن القائد يطور معرفته بأحوال الناس ويزداد الماما بأوضاعهم فتزداد قدرته وخبرته على الاستجابة الفاعلة لمطالب الجماهير، فتزداد شعبيته ويزداد نفوذه وتأثيره لدى دوائر أوسع من هذه الجماهير، ويتحول من قائد نوعى أو محلي يعمل في قطاع جماهيري أو جغرافي محدد إلى قائد سياسي ينشط على مستوى المجتمع كله، وبذلك تزداد ثروة المجتمع من القيادات. وتكوين القيادات الجديدة بهذا المفهوم يبدأ داخل مؤسسات المجتمع المدني في النقابات المهنية والعمالية والجمعيات الأهلية والتعاونيات والمنظمات الشبابية والنسائية.. إلخ. حيث تعتبر مؤسسات المجتمع المدني في الحقيقة المخزن الذي لا ينضب للقيادات الجديدة، ومصدرًا متجددًا لإمداد المجتمع بها فهي تجتذب المواطنين إلى عضويتها، وتمكنهم من اكتشاف قدراتهم من خلال النشاط الجماعي، وتوفر لهم سبل الممارسة القيادية من خلال المسؤوليات التي توكلها لهم، وتقدم لهم الخبرة الضرورية لممارسة هذه المسؤولية، وتؤكد الدراسات الميدانية أن العناصر النشطة في مؤسسات المجتمع المدني والتي تتولى فيها مسؤوليات قيادية هي القاعدة الأساسية التي يخرج منها قيادات المجتمع المحلية والقومية ابتداء من أعضاء المجالس الشعبية المحلية إلى القيادات البرلمانية في المجالس التشريعية إلى قيادات الأحزاب السياسية على كل المستويات، وبذلك تساهم مؤسسات المجتمع المدني في دفع التطور الديمقراطي للمجتمع وإنضاجه من خلال ممارستها لوظيفة إفراز القيادات.

٤ـ وظيفة تجميع المصالح: تعمل مؤسسات المجتمع المدني على بلورة مواقف جماعية من القضايا والتحديات التي تواجه أعضاءها، وتمكنهم من التحرك جماعيا لحل مشاكلهم وضمان مصالحهم على أساس هذه المواقف الجماعية. وتمارس هذه الوظيفة بشكل أساس من خلال النقابات العمالية والمهنية والغرف التجارية والصناعية وجماعات رجال الأعمال وسائر المنظمات الدفاعية. ومن خلال هذه الوظيفة يتعلم الأعضاء كيفية بحث مشاكلهم ودراسة الأوضاع القائمة في المجتمع، وتحديد كيفية الحفاظ على مصالحهم في مواجهة مصالح فئات أخرى وصياغة مطالب محددة قد تكون جزئية في بعض الأحيان أو تتضمنها برامج متكاملة. وبهذا فإن وظيفة تجميع المصالح التي تقوم بها مؤسسات المجتمع المدني لا تقتصر نتائجها على العمل المباشر لهذه المؤسسات بل تمتد إلى المجتمع فتوفر لأعضائه هذه الخبرات الهامة للممارسة الديمقراطية السياسية.

٥– الوساطة والتوفيق: أي التوسط بين الحكام والجماهير من خلال توفير قنوات للاتصال ونقل أهداف ورغبات الحكومة والمواطنين بطريقة سلمية. وتسعى جماعات المصالح في هذا الإطار للحفاظ على وضعها وتحسينه واكتساب مكانة أفضل لها في المجتمع، ولذا فإنها تتحرك مباشرة للتأثير على عملية تشريع ووضع القوانين وتهدف إلى الوصول إلى نقطة اتفاق والتقاء بين الآراء المتعددة كأساس للاستقرار. وترتبط وظيفة التعبير والتمثيل والتحدث باسم جماعات معينة بتلك الوظيفة التنظيمية حيث تتولى مؤسسات المجتمع المدني مهمات متعددة تبدأ بتلقي المطالب التي عادة ما تكون متعارضة ومتضاربة وتجميعها وإعادة ترتيبها وتقسيمها إلى فئات محددة قبل توصيلها إلى الحكومة. وكلما زاد التنوع والاختلاف في المجتمع كلما احتاج إلى عدد أكبر من المنظمات والجمعيات للتعبير عن هذا التنوع

وتنظيمه والتوفيق بين أطرافه المتعددة، وكلما كان النظام الثقافي في المجتمع منسجما مع النظام الاجتماعي الاكثر استقلالية وتطور ومرونة توافرت الظروف المساعدة على وجود واستقرار المجتمع المدني والدولة على حد سواء. [٤٦] تتضح أهمية هذه الوظيفة الخطيرة إذا ما تخيلنا ضعف أو ضيق منافذ التعبير عن الرأي أمام الناس بحيث يفقدون القدرة على التأثير في القرارات السياسية التي تمس حياتهم بشكل مباشر، فيتعرض الساخطون على الأوضاع القائمة لكبت مشاعرهم الغاضبة وهذا الكبت قد يولد الانفجار عند وصوله إلى نقطة الغليان طالما أنه ليس متاحاً له فرصة التنفيس عن نفسه بحرية، وهو ما يعني تعريض المجتمع بشكل متكرر للاحتجاجات العنيفة لأن الأفراد والجماعات لم يجدوا منظمات تستقبل مطالبهم. [٤٧]

٦- تسوية الصراعات: حيث يتم من خلال مؤسسات المجتمع المدني حل معظم النزاعات الداخلية بين أعضائها بوسائل ودية دون اللجوء إلى الدولة وأجهزتها البيروقراطية وبذلك فأن مؤسسات المجتمع المدني تجنب أعضاءها المشقة وتوفر عليهم الجهد والوقت وتجنبهم كثيراً من المشاكل المترتبة على العجز عن حل ما ينشأ بينهم من منازعات، بذلك تساهم في توطيد وتقوية أسس التضامن الاجتماعي فيما بينهم. وإذا كانت الديمقراطية بالمفهوم الإجرائي هي صيغة لإدارة الصراع في المجتمع بوسائل سلمية فإن حل المنازعات بين الأعضاء بوسائل ودية داخل مؤسسات المجتمع المدني هي ترجمة سلوكية لمثل ديمقراطي اشمل. وعندما ينجح هؤلاء الأعضاء في حل منازعاتهم بالطرق الودية داخل مؤسساتهم المدنية، فإنهم يكتسبون الثقافة والخبرة اللازمة لممارسة الصراع الطبقي والسياسي في المجتمع بوسائل سلمية. تشمل هذه الخبرة والثقافة، الاعتراف بالآخر وبحقوقه ومصالحه والحوار معه والوصول إلى حلول وسط من خلال التفاوض. وهكذا تلعب وظيفة حسم وحل الصراعات وديا داخل مؤسسات المجتمع المدني دورا هامًا في تهيئة المجتمع لممارسة الديمقراطية السياسية وجوهرها إدارة الصراع والمنافسة بوسائل سلمية.[٤٨]

٧- التنمية الشاملة: صحيح أن المجتمع المدني هو أداة هامة في تحقيق الاستقرار إلا أن ذلك لا يعني أنه لا يحقق التغيير والتطوير. ومنذ فترة قريبة بدأت المنظمات الدولية المهتمة بالتنمية تؤكد على معنى جديد لها هو التنمية بالمشاركة؛ على أساس أن تجارب التنمية العديدة قد أصابها الفشل؛ لأنها تم فرضها من جانب الحكومة على المحكومين دون إشراكهم فيها. بينما أثبتت حالات أخرى أن مشاركة المستويات الشعبية الدنيا هي خير ضمان لتحقيق النجاح. أن مشكلة التنمية لا تكمن دائما في قلة الموارد المادية، وإنما في كيفية استغلال تلك الموارد، وهذه الكيفية تتوقف بدورها على طبيعة ونوعية البشر الذين يقومون باستغلالها ولذا، فإن الاستثمار الحقيقي لابد أن يتم في الثروة البشرية وليس المادية فقط، وهنا تبرز أهمية المجتمع المدني في القيام بهذا النوع من الاستثمار، حيث يتم من خلال منظماته تنمية وتطوير المهارات

---

٤٦ - ماجد الغرباوي ، محاولة اولية لتبيئة المفهوم ، مجلة التوحيد ، مؤسسة الفكر الاسلامي ، قم ، العدد ٩٧ ، السنة ١٩٩٨ ، ص ٣٣.

٤٧ - انظر للتفاصيل : د. ابو بلال عبد الله الحامد ، مصدر سابق ، ص ٣١.

٤٨ - انظر كذلك : المصدر السابق ، ص ٣٦

والقدرات الفردية للأعضاء بشكل يقلل من العبء على الحكومة حيث يصبح لمؤسسات المجتمع المدني دور شريك للدور الحكومي في تنفيذ برامج وخطط التنمية الشاملة بمختلف جوانبها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والبشرية وهي تتلقى من الحكومة الدعم والمساندة للقيام بهذا الدور.

ولا تقتصر وظائف المجتمع المدني على ما ذكر أعلاه، فان الدراسات المهمة بهذا الموضوع تضيف وظائف أخرى، كتحقيق النظام والانضباط في المجتمع، وملأ الفراغ في حالة غياب الدولة أو انسحابها، وتوفير الخدمات والمساعدة للمحتاجين، وتحقيق التكافل الاجتماعي..وغيرها، مما يدل على أهمية هذا المجتمع وضرورته في بناء الحضارة الإنسانية المعاصرة.

المبحث الثالث: التحول من المجتمع الطائفي إلى المجتمع المدني في العراق.

في هذا المبحث سيتم بيان مجالات التقاطع بين الطائفية والمجتمع المدني أولا، وتحديد آليات التحول من المجتمع الطائفي إلى المجتمع المدني ثانيا.

المطلب الأول: مجالات التقاطع بين الطائفية والمجتمع المدني

اذا جاز لنا قبول راي لوك بكون"المجتمع المدني هو اختراع بشري بحثا عن بديل مدني لمخاطر الدولة الطبيعية اذ ان الطبيعة لم تعدنا لنكون مواطنين"[٤٩] تكون الدولة بوجه عام والدولة القانونية بوجه خاص التي تترسخ فيها جذور المواطنة ووعيها، هي البيئة الصالحة لاستنبات وتطوير وشائج بنى المجتمع المدني. ومن هنا تتولد علاقة تلازمية تبادلية بين الدولة والمجتمع المدني؛ فهذه الاخيرة لاتناقض الدولة بل تعمل على توافر اسس الاستقرار فيها كونها افضل اليات ادارة الحوار والتعايش السلمي بين مكونات المجتمع ضمن اطر القانون الذي توظفه الدولة لفرض سيطرتها وتحقيق الغايات الوظيفية لها، وبافتراض النقيض المنطقي، أي عندما تكون الدولة حاضنة لمنطق الفرقة والتعصب او حتى تنحدر قوة الاكراه الرسمي من اجهزة الدولة الى القوى الاخرى اعتمادا على منطلقات طائفية، يكون وجود الدولة بحد ذاته مشكوكا فيه [٥٠]

وعلى هذا يكون المجتمع المدني مجالا متمايزا عن السلطة والبنى التقليدية الموروثة في الدولة ليؤسس بنيان الدولة العصرية المستندة الى المواطنة والمشاركة والمنظمات على اساس الخيارات الفكرية التي تشكل تحولا تدريجيا من العلاقات التقليدية باتجاه العلاقات المدنية الحديثة.[٥١]

يتضح من خلال ما تقدم من فهم للطائفية والمجتمع المدني أنه يوجد في المجتمعات الإنسانية عامة لغتان متضادتان تتمثل الأولى بلغة السلام والمحبة والتسامح و الحوار المدني الذي هو الأساس في الحياة لا

49 - Edward C.Banfield، Civility and citizenshipin Liberal Democratic Societies،World Peace Academy،1992،p56

٥٠ – محمد محسوب عبد المجيد ، اصول علمانية الدولة والقانون ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ٢٠٠٧ ، ص ٢١١.

٥١ – زياد عبد الصمد ، المجتمع المدني وتحديات التنمية والديمقراطية في عالم متغير ، بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر المجتمع المدني العربي والتحدي الديمقراطي ، بيروت ، ٢٠٠٤ ، ص ١٥٤ .

بل القاعدة، بينما تتمثل اللغة الأخرى في العنف و التطرف والتسلط والإقصاء، والتحريض سواء من خلال الكلمة أو من خلال الموقف أو حتى من خلال الدعم المادي. وتبرز مؤسسات المجتمع المدني لتقوم بأهم وظائفها حينما تتموضع في زاوية احتواء حالات الاحتقان السياسي والاجتماعي، والتنفيس عنها عبر تفجير الطاقات بصورة إيجابية، واعتماد النهج السلمي في اتخاذ المواقف المختلفة، والتعبير العلني عن القناعات المتباينة.؛ فتوفر قناة للمشاركة الاختيارية في المجال العام وفي المجال السياسي، مثلما تعمل على نشر قيم احترام العمل الجماعي والعمل التطوعي وقبول الاختلاف والتنوع وإدارة الخلاف بوسائل سلمية في ضوء قيم الاحترام والتسامح والتعاون والتنافس والصراع السلمي مع الالتزام بالمحاسبة العامة والشفافية. (٥٢)

وعلى النقيض من هذه الوظيفة المهمة وهذا المناخ السلمي الذي ينهض به المجتمع المدني أو يفترض تواجده كأساس ومنطلق لحركته المؤثرة في إنضاج شروط الممارسة الديمقراطية وتعزيز روح التسامح والحوار المدني البناء داخل المجتمع ، فان النزعة الطائفية المسيسة لن تسهم إلا في إيجاد أجواء الاحتقان وتقطيع سبل الوصال وتزيد من نسب الكراهية بين أفراد المجتمع الواحد؛ لأنها تستمد حضورها وتمددها في الذات الاجتماعية من إضفاء الشرعية على متعاطيها مع إلغاء الآخر وتسفيه مبانيه الفكرية والعقائدية ومصادرة حقه بممارسة شعائره وطقوسه الدينية. ليبرز التطرف والإقصاء تحت مسمى (التكفير) كمحصلة لمثل تلك الرؤى والممارسات. لهذا فان آثار التحرك الطائفي يتجاوز الفرد والمؤسسة إلى العمق الاجتماعي ويضرب بآلامه وأخطاره أعمدة الاستقرار الاجتماعي. وهي أجواء لا يمكن أن تنتج بيئة خصبة وقادرة على احتضان المجتمع المدني؛ لأن مفهوم الإدارة السلمية للصراع والمنافسة هي جوهر مفهوم المجتمع المدني الذي لا يمكن له أن يرى النور إلا بتوافر الحرية، أما نموه وتحقيقه لأهدافه فيبقى مرتبطا بطبيعة المحيط الذي يوجد فيه بأبعاده السياسية والاجتماعية والثقافية، وكلما كانت العلاقات التي تسود المجتمع مرتكزة على القواعد الديمقراطية المؤسساتية، ومتشبعة بقيم التعدد والاختلاف، وروح المواطنة، والتنافس في خدمة المصلحة العامة، وحرية الاجتهاد، والمراقبة والمساءلة والنقد، فإن توفر هذه القواعد والقيم يفتح الفضاء الطبيعي لنمو المجتمع المدني وتطوره؛ اذ ان للديمقراطية بغية ممارستها بصورة فعالة، الحاجة الضرورية في ايجاد الية التعامل العقلاني مع الظواهر والعلاقات بين الافراد والمؤسسات ووجود افاق واسعة لقبول الانتقادات والتعامل معها بصورة عقلانية.(٥٣) وعلى العكس من ذلك حينما تسود قيم الطائفية المشجعة على التطرف والتعصب المنزوي عن منطق قبول الآخر والمرتكن إلى تغليب منطق القوة والفرض والإقصاء تنغلق كل آفاق محتملة لإنماء تلك الأجواء التي يتطلبها نشوء المجتمع المدني. أي بعبارة أخرى مثلما يسهم المجتمع المدني في إنضاج شروط الديمقراطية وبلورة قواعدها وترسيخ مرتكزاتها، فانه أي المجتمع المدني يحتاج

٥٢- د. سعد الدين إبراهيم، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، القاهرة ، مركز ابن خلدون، ١٩٩٣. ص ١٣.

٥٣ – القاضي عثمان ياسين علي ، العقلانية التواصلية ودورها في بناء الدولة القانونية لدى يورغن هابرماس ، اربيل ، ٢٠١٠ ، ص٤٥.

هذه الظروف أو حتى الحد الأدنى منها ليثمر ويستجيب بفاعلية للواقع الاجتماعي الايجابي. والواقع إن تفشي الفكر الطائفي – ضمن الإطار الهدام – في مجتمع ما، وتقدمه في سلم اهتمامات الفرد والجماعة سيجعل منه المرجعية والمعيار لسلوك الفرد تجاه الآخر، وتجاه المجتمع والدولة ونظام الحكم والسياسة المحلية والإقليمية والدولية. وهنا تكمن الخطورة من تحول ذلك الفكر إلى مواقف وسلوك في التعامل مع الآخر تتخطى إلى حد بعيد الثوابت الوطنية وحتى المفاهيم الأخلاقية والإنسانية بوصفها من أهم دعامات تحقق الوحدة ومتطلبات تامين التعايش السلمي بين أبناء الشعب الواحد.(٥٤)

إنّ التمسك بالبعد الوطني ورفض التبعية يقف على تقاطع مع قوة الدعاية التي تحملها الطائفية السياسية بزعمها التعبير عن أتباع المذهب وأبناء الطائفة وبأن الفكر النفس مع نظم سياسية إقليمية يعبر عن مصلحة أبناء الطائفة على حساب وجودها الوطني الذي يمثل استغلالا مزعوما لها. وإن دمج آليات الحياة اليومية للشعب بآليات اشتغال مؤسسات الدولة بواسطة منطق الطائفية وفلسفتها التي تمارسها الحركات السياسية الحاكمة وادعاء أن ذلك يمثل التعددية الطائفية تحديدا، أمر من التزييف والخطورة بما لا يقبل حتى توصيف أنه ادعاء تضليلي... فهذه الفلسفة تعني عمليا تعارضا فعليا هو الأخطر مع الوحدة الوطنية ويعني بالملموس تفكيك وحدة المجتمع وعلاقات مكوناته وطنيا وجعل الحركات المتحكمة بمؤسسات الدولة، طائفة تحتكر السلطة والثروة بصورة مطلقة، وتضع نفسها بديلا للشعب وبمواجهة تطلعاته ومطالبه وحقوقه وهي تمارس جهدها لتشظية الواقع ومشاغلته بصراعات هامشية فيما يجري تعطيل كل حركة شعبية من تنظيمات نقابية وحزبية وطنية ومن جمعيات ومؤسسات مجتمع مدني أو إفراغها من محتواها ومن إمكانات التأثير بل أية إمكانية للعمل إلا من فسحة ضيقة عبر حركات احتكار السلطة أي حركة الطائفية السياسية وهي أحادية نخبوية فوقية مهما تعددت مفردات وأشكال تمظهرها. وعندها تتحول الطائفية إلى مشروع للتفريق والتباعد بين أبناء الشعب الواحد من خلال التعصب للتفكير الطائفي الجمعي الذي يستخدم الدين أو أي نسق عقائدي آخر بشكل سلبي، فيؤدي ذلك بدوره إلى احتضار مقومات التقارب والوحدة الوطنية وحتى الرابطة الوطنية التي ينسج منها المجتمع المدني خيمته الآمنة لنشر قيمه في الحوار السلمي والتعايش المشترك بين أبناء الشعب الواحد. (٥٥)

ومع استحكام حلقات النظرة الطائفية الضيقة وتبلورها في صيغة سلوك متعصب يستسيغ الميل إلى العنف والقوة والقهر في فرض تصوراته على مخالفيه أو حتى القضاء عليهم، منتجا بذلك حالة من الكراهية المتنامية والمتبادلة والسلوك ألعنفي من باقي الطوائف أو التيارات المستضعفة في المجتمع الذي

٥٤ – ينظر في ذلك : د. احمد فوراية ، ثقافة الديمقراطية وحقوق الانسان : في الفكر النفسي ، الاجتماعي ، والسياسي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، ٢٠١٢، ص ص ١٥٤– ١٥٧.

٥٥– انظر للمزيد: د.سامر مؤيد عبد اللطيف،الطائفية والمجتمع المدني: ميكانزمية العمل ومجالات التقاطع، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:-http://law.uokerbala.edu.iq/index.php/art/125-different-articles/545-samer-artc3

سيدخل عندها في أتون دوامة من العنف المتبادل وانعدام الاستقرار، وهو أحد أهم مهددات الأمن العام والسلم الاجتماعي. [٥٦]

لقد أدت مثل هذه الخلافات التي تطورت إلى نزاعات طائفية مسلحة تستبيح الدماء والحرمات؛ فانقسمت بعض المجتمعات انقساماً عمودياً حسب الطوائف، وغابت مرجعية الدولة الحديثة الرئيسة أعني المواطنة، وتضاءلت مع غيابها مفاهيم المساواة والعدالة والحريّة على النطاق الفردي، ومفاهيم الديمقراطية وتداول السلطة وفصل السلطات على النطاق المجتمعي والسياسي. وإذا كانت بنية المجتمع المدني تتكامل وتتفاعل بايجابية وحيوية ضمن وسط مؤسساتي تحكمه نوابض القانون وضوابطه، وتستكين حركته لبيئة مستقرة آمنة؛ للقيام بدور مهم آخر في مراقبة سلطة الحكومة ومتابعة وانتقاد عملها على قاعدة الحريات المكفولة بطوق القانون، فان الطائفية وما تنتجه من مضاعفات وانعكاسات ستسهم وبدرجات مختلفة في تآكل القاعدة المؤسساتية للمجتمع المدني عبر إخضاع تلك المؤسسات لمنطقها ولدائرة نفوذها فتتحول هي الأخرى إلى أداة للقهر والإقصاء الطائفي، ولن يكون القانون عندها إلا مرتعا وملاذا لتمرير الإرادة المتطبعة بطابع طائفي ضيق. وحتى المؤسسة الأمنية ستقف هي الأخرى عند تخوم الانقسام الطائفي ولا تستطيع اتخاذ قرار مهني حرفي في إطار مسؤولياتها عندما يصل الأمر إلى الحدود التي رسمها التقسيم الطائفي سواء جغرافيا.. أم سياسيا عندما يصل الأمر لشخصية محمية من أحد الأطراف لأسباب طائفية. [٥٧]

وعليه:"ليس المطلوب أن يتحرر المجتمع المدني من عصبياته أو تضامناته الطبيعية المتعددة، الدينية أو المذهبية أو الإثنية التي تعكس واقع الحال، خاصة في مجتمعات تقليدية، أو خارجة حديثا من التقاليد، وإنما أن تتحرر النخبة السياسية من تماهياتها الجزئية لتتمكن من تجسيد مثال الوطنية وأن تحرر معها الدولة ومؤسساتها من احتمال ارتهانها للعصبيات الخاصة، حتى تتحول بفضل سياساتها الوطنية إلى دولة أمة، أي دولة مواطنيها."[٥٨] ومثلما يتغذى مفهوم المجتمع المدني من واقع تعددي مدعم بضمانات الحرية واحترام الحقوق و يعمل تباعا – في الوقت عينه– على رفده بمقومات الاستمرار والفاعلية والتغلغل في الثقافة المجتمعية، فان الفكر الطائفي بالمقابل لن ينتج إلا واقعا ميالا للقمع والإقصاء والتسلط عبر فرض اللون العقائدي الواحد على سلوكيات المجتمع وتوجهاته، إذ ستشيع الطائفية السياسية فلسفة التبرير لكل ما يصب في خانة فلسفتها ومصالحها الضيقة من أشكال التعذيب والانتقام تجاه المخالفين إلى تعطيل آليات العمل المؤسساتي الديمقراطي كالتداول السلمي للسلطة برفع شعارات مضللة بأحقية طرف

٥٦– د. علي رمضان الأوسي ، الطائفية والصراع القائم ، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.kitabat.info/subject.php?id=15175

٥٧– محمود حيدر ، من صور المواطنة الطائفية ، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.albayan.ae/opinions/1265973970828-2010-02-17-1.220030

٥٨ – عزو محمد عبد القادر ناجي، اثر التمايز الاجتماعي في عدم الاستقرار السياسي في الدولة الطائفية، دراسة منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=124634

طائفي وزعاماته من دون ممثلي المجتمع المدني وطنيا؛ الأمر الذي يعني تقييد البدائل وخنقها في سبيل إنتاج نمط مشوه من الثقافة المكرسة بأدوات القهر والإبادة غير المستجيبة لمنطق وافتراضات التناغم البناء تحت سقف التنوع وقيم الحوار والتسامح الذي تحتاجه ركائز المجتمع المدني. وهكذا يتمّ في ظل الطائفية السياسية إطلاق عوامل التخلف والانكفاء الماضوي باتجاه مرحلة مظلمة في تاريخ البشرية هي مرحلة دويلات (الطوائف) أو ما قبلها في البحث عن المسوغات التاريخية لإسناد صحة ادعاء هذا الفريق ضد الآخر ومن ثم صياغة إطار فاصل مفترض من الشرعية في إصدار الأحكام وبناء المواقف مع الآخر. أي بعبارة أخرى تشيع الطائفية السياسية فلسفات الفكر الماضوي السلفي سواء باختلاق سلفية مقيتة مرفوضة تمثل بعبعا همجيا عنفيا يتقاطع مع استدعاء طقسي لمظلومية تاريخية لا بقصد دراستها والاتعاظ منها كما يدعو المنطق العقلي بل لاستثارة أشكال الاحتراب والاقتتال والروح الانتقامي الثأري الذي لا يفضي إلا إلى حرب أهلية تستعيد منطق حرب البسوس وداحس والغبراء (الجاهلية) فكرا ولكنها تؤدي إلى حروب الإبادة الجماعية المعاصرة كارثيةً وبشاعة.. [٥٩]

ومثل هذا الفكر النكوصي أو الاسترجاع السلبي للنماذج التاريخي ستضيق في الوعي الجمعي مساحة التفكير العقلاني وإمكانيات التصالح مع الحاضر على أرضية التفاعل الايجابي مع الواقع. وعندها سينزوي الخط العام للتفكير في زوايا ضيقة من التعصب لاتجاه مذهبي أو عرقي ما على قاعدة الانتماء السلبي المعرف بالتسليم غير المقيد للمنطلقات الفكرية لهذا الاتجاه او التيار المذهبي أو العرقي. وعند هذا المنحنى الضيق ستتحدد مساحة الحرية التي سيتحرك في مجالها المجتمع المدني، هذا إن لم ينجرف هو الآخر إلى دائرة الاستقطابات الطائفية ليفارق بذلك أرضية المنطق العقلاني والنزعة العلمية المنفتحة للتخطيط والتحرك على أكثر من خط وقناة بعد ضمان هامش المناخ ألتعددي لهذه الحركة. وعلى هذا يمكن القول أن المجتمع المدني يتشوق إلى المناخ العقلاني المبني على التفكير العلمي ليدشن أمامه الخيارات المتعددة لبلوغ أهدافه بحرية وانسجام بعيدا عن أي منزلقات أو مقيدات فكرية تخلقها الطائفية المقيتة بميولها التعصبية إلى نمط من التفكير غير العقلاني المحدد بأحكام مسبقة ومسلم بها مستنبطة من نماذج تاريخية أو غيبية غير مثبتة. وحتى من حاول إضفاء الطابع العلماني على الطائفية بمضمونها السلبي، اعتمادا على فكرة مفادها أن الطائفية لا تهتم بسلوكيات ولا حتى معتقدات الشخص المنتمي، فيكفي انتسابه لمجموعة من الناس يحملون هوية هذه الطائفة دون شرط الاعتقاد اليقيني بصحة منطلقاتها العقائدية والفكرية. فالمهم في الطائفية هنا هو التعصب لأفراد الطائفة وليس لعقيدة الطائفة ولا لفكرها ولا لقيمها، بل إن اقتضى الأمر يتم التغاضي على القيم المقدسة للطائفة في سبيل تحقيق مبدأ التعصب لأفراد الطائفة. وإن كان أغلب الطائفيين يأخذون العقيدة كذريعة للتعصب لطائفتهم، وصولا لبلورة قناعة مؤداها أن الطائفية تتشابه مع العلمانية في أنها لا تقيم وزنًا للالتزام بتعاليم الدين ولا حتى الإيمان به، ولو

٥٩ – انظر للمزيد: تيسير عبد الجبار الالوسي، مصدر سابق.

تعارضت مصلحة الطائفية مع مبادئ الدين فتقدم مصلحة الطائفة، وهي نفس الطريقة التي تتعامل بها العلمانية مع الدين.[٦٠]

إن دوامة التجاذبات والعنف الذي ستنتجه النزعة الطائفية الضيقة ستعصف بالبنى المادية للمجتمع وقدراته البشرية بعد أن أسهمت في تصدع مبانيه الفكرية والمعنوية؛ فتضيع طاقات المجتمع في مواجهة مخلفات الصراع الطائفي وتتبدد ثرواته في تامين الترسانة المسلحة التي يمكن أن تجابه دوامة العنف المتبادل بين القوى المتصارعة، مثلما سيدفع هذا المجتمع ثمنا باهضا آخر من إفرازات الدمار الذي سيخلفه ذلك الصراع في البنى التحتية. هذا إلى جانب نزيف الطاقات والخبرات البشرية التي سيكون مصيرها إما التصفية الجسدية أو الهجرة والفرار؛ مما يعني خسارة مضاعفة لذلك المجتمع وتراجعا في كل المجالات المادية والفكرية وانكفاءً مؤكدا وموازيا في معدلات التنمية التي ستتحول مع استطالة أمد الصراع إلى تخلفٍ مزمن في بنيان المجتمع ككل. وعندها لن يبق أمام المجتمع المدني فرصة واعدة للنهوض بواجبه في تنمية المجتمع وتلبية احتياجات أبنائه مع اندثار تلك الموارد بشطريها المادي والبشري تحت وطأة لهيب الصراع الطائفي. وحتى مع صمود بعض بنى المجتمع المدني في وجه ذلك الإعصار الطائفي فان وجودها سيكون شبحيا يفتقد إلى الفاعلية والقدرة على التأثير والتغيير، أي بعبارة أخرى سيكون بنيان المجتمع المدني جسد بلا روح مصدر طاقتها الحرية والحوار والتعددية واحترام القانون التي يفتقدها بالضرورة أي مجتمع مبتلى بآفة الطائفية. [٦١]

المطلب الثاني: متطلبات التحول من المجتمع الطائفي إلى المجتمع المدني

إن التحول من مجتمع مغرق بالتعصب الطائفي، كما هو حال المجتمع العراقي اليوم ومعه اغلب المجتمعات الإسلامية إلى مجتمع مدني حقيقي بمنظومة قيمية مدنية متماسكة ومحفزة على التقدم والتطور الإنساني ليست عملية سهلة أبدا، ولا تتم بجرة قلم لاسيما في ظروف الصراع والاستقطاب الطائفي المعاصرة التي يمر بها العالم الإسلامي. لكن صعوبة هذه العملية لا تعني الاستسلام للأمر الواقع وتقبل نتائجه الكارثية على مستقبل الدول والشعوب، أي لابد من عمل شئ ما لبناء المجتمع المدني في العراق – محل البحث– وهنا ستبرز بعض المتطلبات الرئيسة لتحقيق هذا الهدف منها:

أولا: دور الحكومة العراقية: إن العراق ألان بأمس الحاجة إلى أيجاد رابطة قوية ما بين الحكومة و المجتمع المدني لا على أساس الانتماء الرسمي و أنما على أساس الانتماء ألمصلحي العام؛ لأن نجاح الحكومة في أداء دورها يعني نجاح المنظمات المنضوية تحت لواء المجتمع المدني، و أن نجاح الأخير يعني أن هذه الحكومة ستستمر دون مشاكل أو عقبات. و لكي يكون هنالك دور فعال للحكومة في دعم المجتمع المدني لابد أولا من:

---

٦٠ – ياسين عز الدين ، الطائفية والعلمانية ، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني: https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=952774

٦١ – عزو محمد عبد القادر ، مصدر سابق .

١. وضع ضوابط قانونية بعيدة كل البعد عن التطرف و الأبعاد المتعمد لمنظمات المجتمع المدني، من حيث إنشاءها أو دعمها مستقبلا.
٢. وضع سياسة حكومية لمساعدة المجتمع المدني في أبراز نتاجه الفكري، و الاهتمام به و ترجمته على سبيل قرارات حكومية فعالة.
٣. تذليل العقبات المادية أمام إمكانية تفعيل محاور عمل المجتمع المدني، وذلك من خلال توفير الدعم المالي واللوجستي لمنظماته الفاعلة.
٤. توفير الحماية الكافية لمنظمات المجتمع المدني للتحرك بعيدا عن الاستقطابات والتجاذبات الطائفية.
٥. تنمية ثقافة مجتمعية واعية لخطورة الحشد الطائفي بمحتواه السلبي ومدركة لأهمية التفاعل الايجابي البناء مع افتراضات ومنطلقات المجتمع المدني.

ثانيا: إصلاح المنظومة الدستورية: من خلال جعل الدستور في العراق واقعا لا نظريا متضمنا للمبادئ الخمسة المهمة التي ذكرها الدكتور علي خليفة الكواري في بحثه القيم(مفهوم الديمقراطية المعاصرة)، وهذه المبادئ هي: [٦٢]

١. لا سيطرة لفرد أو قلة على الشعب.
٢. سيطرة أحكام القانون، وأن يكون الناس سواسية أمام القانون.
٣. عدم الجمع بين السلطات، إذ أن جهاز الدولة الحديثة، يجعل اليد التي تمسك به تلحق أضرارا كارثية بالوطن والمواطن إذا ما انحرفت عن جادة الصواب.
٤. ضمان الحقوق والحريات العامة، ولا يقتصر الأمر على تضمين هذه الحقوق والحريات في النصوص الدستورية، بل يجب توفير الضمانات الفاعلة لعدم انتهاكها.
٥. تداول السلطة، لا على أساس النص الدستوري الذي يحدد ولاية الحكام، وإنما أيضا على مستوى الاستعداد النفسي والفكري والسلوكي للتخلي عن السلطة من قبل الحكام ومن دونهم سواء في حالة انتهاء الولاية الرسمية للتكليف الحكومي أو في حالة العجز عن تقديم أداء أفضل للمواطنين من خلال هذا التكليف.

إن النصوص الدستورية لدستور عام ٢٠٠٥ العراقي النافذ تنطوي على هذه المبادئ نظريا، ولكن حان الوقت إلى أن تأخذ هذه النصوص طريقها للتطبيق الفعلي بشكل يساعد على ترسيخها وانمطتها في الحياة العراقية العامة والخاصة.

ثالثا: مسؤولية النخب العراقية في خلق التعايش بين الطوائف وإيجاد الأرضية المناسبة لتفعيل دور المجتمع المدني: في الوقت الذي يزول فيه الاستبداد من المجتمع ويبدأ الانتقال نحو الديمقراطية، سوف يحتاج هكذا مجتمع إلى نخب سليمة النية وحسنة الثقافة تحرص على تهدئة المخاوف المتوقعة وترفع الشوائب الطائفية العالقة في ثقافة الأفراد؛ لكي يتحولوا من مرحلة الحذر من الآخر إلى مرحلة الثقة به،

٦٢ – انظر للمزيد: د.علي خليفة الكواري، مفهوم الديمقراطية المعاصرة، بحث منشور في كتاب(المسألة الديمقراطية في الوطن العربي)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠، ص ص ٤٤– ٥٤.

والإقبال عليه والتعايش معه، ويمكن أن نسمي هذه بمرحلة انتقالية ثقافية، إذ في هذه المرحلة سوف تكون هناك فوضى ثقافية يختلط فيها الماضي بالحاضر ما بين رؤى تاريخية خادعة ومشاكل آنية ملحة، وآمال مستقبلية يطمح الأفراد إليها، وسوف تؤدي هذه الفوضى إلى إرباك تفكير الأفراد وتهييج عواطفهم. في هذه اللحظة ستبرز أهمية النخب الاجتماعية والسياسية والثقافية في تهدئة الرأي العام وترتيب القضايا حسب الأولويات، وشرح فوائد الانفتاح والتعايش ومخاطر الانغلاق والتصارع، وطبيعة تحديات العصر وحقائقه؛ لأجل أن تمر هذه المرحلة الانتقالية بسلام ويبرز فضاء ثقافي واحد يحتوي جميع أبناء الطوائف، في ظل الهوية الوطنية الموحدة، وسينظر عندها إلى الصراع الطائفي على انه حدث يستحق أن يرقد في متاحف التاريخ، أما إذا لم تبرز مثل هكذا نخب في هذه الفترة الحرجة من حياة الشعوب، وكانت النخب مصلحيه تهييجية تلعب على وتر العواطف الطائفية فستحول مرحلة الحذر الطائفي إلى مرحلة احتراب داخلي يهلك فيه الكل. إن مشكلة العراق الحالية في مجال الطائفية، هو وجود بعض النخب غير المدركة لمتطلبات المرحلة، لذا نجدها تكتب بمنطق طائفي وتتكلم بمنطق طائفي وتتحاور بمنطق طائفي سواء مع الداخل العراقي، أو مع قوى إقليمية ذات سياسات محشوة بالمنطق الطائفي، وهذه النخب هي التي ساعدت على بروز فتاوى التكفير والتفسيق والاستباحة للآخر، كما ساعدت من خلال خداعها وتضليلها لأبناء طائفتها على خلق بيئة تحتوي الإرهابيين من الطائفيين القادمين من خارج الحدود، لكن يجب أن تدرك هذه النخب إنها بسلوكها غير الصحيح هذا إنما تغامر بحاضر العراق ومستقبله، وتنمي مشاعر الحقد والكراهية والعداء بين أبناء الشعب، في مرحلة من حياة الشعوب تكون فيها أحوج ما تكون إلى الهداة الذين يبحرون بسفينتها نحو شاطئ التطور والترقي وبناء النموذج في ظل ثقافة التعايش السلمي. نخلص مما تقدم إلى أن نخب العراق الحالية تقع عليها مسؤولية جسيمة في معالجة المسالة الطائفية وبناء العراق الديمقراطي الحر بثقافته ونظام حكمه، والقوي بمجتمعه المدني ونموذجه الإداري.

رابعا: إيجاد البنية الثقافية المناسبة للمجتمع المدني: إن الديمقراطية والمجتمع المدني كأحد ركائزها الأساسية لا يمكن أن تنضج وتتقدم بدون وجود البنية الثقافية الملائمة؛ لأنها يمكن أن تنهار بسهولة بسبب سلطة مستبدة، أو فوضى اجتماعية وحرب أهلية عارمة، ولكي يتجنب التحول الديمقراطي في العراق هذا المصير لابد من وجود الثقافة الديمقراطية على المستوى الاجتماعي والمستوى السياسي، ووجود مثل هذه الثقافة يتطلب ترسيخ عدد من المبادئ الأساسية منها على سبيل المثال:

١. إن الإنسان بغض النظر عن انتمائه العرقي أو الطائفي أو الديني، يجب أن يحض بالاحترام والتقدير والحرية، وهو ليس أداة تتلاعب بها أهواء وأطماع داخلية أو خارجية.
٢. إن المواطنة مبدأ أساس في أي دولة ديمقراطية، لذا يجب اعتمادها في التعامل مع الإنسان العراقي، وترك الانتماءات الضيقة التي تقود إلى اللبننة و المحاصصة، لذا ينبغي ترك أسلوب المحاصصة الذي تم اعتماده في العراق بعد ٢٠٠٣/٤/٩؛لأن عواقبه كانت ولازالت خطيرة على حاضر ومستقبل هذا البلد.

٣. أن الاختلاف في القيم بين أبناء الوطن الواحد حقيقة أزلية وسنة إلهية ينبغي عدم إنكارها، بل لابد قبولها والتحاور على أساسها.
٤. من المفيد جدا التخلي عن الفكر المطلق الذي يحتكر الحقيقة سواء أكانت تاريخية أو معاصرة، ويعد صاحبه على حق دوماً، والآخر على باطل دوماً، فمثل هذا الفكر هو الذي يفتح الباب للاستبداد والمستبدين، وهل المستبد إلا فرعون يقول:﴿يا أيها الملأ ما علمت لكم من اله غيري.. ﴾ (سورة القصص الآية ٣٨)، والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ...﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥٦).
٥. الأيمان بأن قيادة من اجل تنميتها، قضية أصعب من أن يقوم بها فرد أو حزب واحد أو فئة أو طائفة واحدة، بل هي قضية تحتاج إلى تعاون وتضافر جميع أبناء الوطن للوصول إلى غاياتها النهائية، وأنها تتطلب الصبر بشرط وجود مقدمات صحيحة للحركة.
٦. عقلنة الخطاب الديني بمختلف مستوياته المذهبية والطائفية، ليكون أول أهدافه ترسيخ وتعزيز الوحدة الوطنية لمواجهة محاولات الفتنة والفرقة الناتجة عن توظيف واستغلال الوجه المدمر للعصبية الدينية والطائفية.. وهذه مهمة تحتاج إلى التصدي لها من قبل المؤسسات الدينية والأكاديمية ومؤسسات الإعلام والرأي العام، فضلا عن المؤسسات الاجتماعية التقليدية كالعشيرة والقبيلة التي من المفيد توظيف دورها ايجابيا في بناء الثقافة المدنية المعززة لوجود المجتمع المدني.

خامسا: إصلاح البنية الاقتصادية للمجتمع والدولة: إن وجود مؤشرات مخيفة حول الفقر والبطالة وضعف القطاع الخاص في بلد يصنف ضمن البلدان العشرة الأكثر غنى في العالم من حيث الموارد، يدل على غياب خطير لقيم العدالة الاجتماعية ناجم عن غياب الفلسفة الاقتصادية الصحيحة وما يربط بها من سوء في التخطيط وإدارة الموارد والثروة، ومن الطبيعي أن يؤدي غياب الشعور بالعدالة إلى تنامي مشاعر الظلم والقهر والكراهية، وهي المشاعر التي توفر الأرضية الخصبة للتعصب والتطرف على اختلاف مسمياته. إن عملية التحول من المجتمع الطائفي المتطرف إلى المجتمع المدني المتسامح في العراق تحتاج إلى أن تقترن بإصلاح البنية الاقتصادية في البلد من خلال إيجاد فلسفة اقتصادية تنبثق منها خطط اقتصادية للتنمية الشاملة تحقق العدالة الاجتماعية، وتوزع الثروة والرفاهية بشكل عادل على الجميع، ومن دون ذلك لن تنجح عملية التحول وستتنامى مشاعر العصبية والتطرف لتبرز بمظاهر وأشكال مختلفة.

الخاتمة

إن بناء حالة السلم والتعايش في المجتمعات تمثل رغبة متأصلة لدى الإنسان بصرف النظر عن الزمان والمكان؛ لما يعانيه من حيف وظلم من أخيه الإنسان؛ بسبب أطماعه وأهوائه أو بسبب تطرفه وتعصبه الأعمى. ولكن لا يمكن الوصول إلى السلم والتعايش من خلال الرغبات فقط، وإنما يتطلب الحال وجود الإرادة الحقيقية المستعدة لقبول التحديات، وتجاوزها مهما كانت التضحيات، وهذا الأمر يتطلب جهودا مخلصة ومبدعة في ميادين الفكر السياسي والنظم السياسية والاجتماعية والاقتصادية تبذلها عقول تتخلى عن مصالحها الضيقة لخدمة المصالح العامة الوطنية والإنسانية، وبدون هذه الإرادة والإنسان الذي يحملها

ستبقى أمنية الإنسان في عيش حياة الرفاهية والأمن والسعادة الناجمة عن حالة السلم والتعايش المجتمعي مجرد رغبة طوباوية يتأملها صاحبها عندما يخلو وحيدا مع نفسه بعد يوم مرهق من الذل وانتهاك الكرامة على يد النظام الحاكم أو أمثاله من المتعصبين المتطرفين وأصحاب الأهواء والأطماع، أو يكتبها مثقف ما في صفحات كتابه وهو مؤمن في قرارة نفسه باستحالة العمل بها سواء على مستوى سلوكه الفردي أو على مستوى المجتمع الذي يعيش فيه، أو مجرد شعار سياسي تخدع به سلطة غير مؤهلة شعبا جاهلا بما تعنيه.

صفوة القول، لا يمكن التحول في العراق من حالة المجتمع الطائفي إلى حالة المجتمع المدني بالأماني والرغبات، وإنما يتطلب تحقيق هذا الهدف وجود إرادة سياسية واجتماعية تلتف حوله، وجهود مضنية صبورة وواعية تسير نحوه، وإنسان حر يتحرر من أغلاله لتغدو الحرية لديه أثمن من الشراب والطعام، وأثمن من الحياة في حال فقدانها.

المصادر

اولا: الكتب العربية والمعربة

١. إبراهيم مصطفى وآخرون. المعجم الوسيط. استانبول، دار الدعوة، ١٩٨٩
٢. أنطوان نعمه وآخرون. المنجد في اللغة العربية المعاصرة. ط ١. بيروت، دار المشرق، ٢٠٠٠.
٣. د. ابو بلال عبد الله الحامد، ثلاثية المجتمع المدني عن سر نجاح الغرب واخفاقنا، الدار العربية للعلوم، بيروت، ٢٠٠٤
٤. د. أحمد شكر الصبيحي، مستقبل المجتمع المدني في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ، ٢٠٠٠
٥. د. احمد فوراية، ثقافة الديمقراطية وحقوق الانسان: في الفكر النفسي، الاجتماعي، والسياسي، ديوان المطبوعات الجامعية، ٢٠١٢.
٦. د. الحبيب الجنحاني و د. سيف الدين عبد الفتاح، المجتمع المدني وابعاده الفكرية، دار الفكر المعاصر، بيروت ٢٠٠٣.
٧. أماني قنديل، عملية التحول الديمقراطي في مصر (١٩٨١-١٩٩٣)، مركز ابن خلدون للدراسات الإنمائية، دار الأمين للنشر، ١٩٩٥.
٨. جاد الكريم الجباعي، المجتمع المدني: هوية الاختلاف، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩٢.
٩. حسن موسى الصفار، الطائفية بين السياسة والدين، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ٢٠٠٩.
١٠. حسنين توفيق، بناء المجتمع المدني، المؤشرات الكمية والكيفية، ندوة المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ١٩٩٢

١١. د. خالد عليوي العرداوي، المجتمع المدني العراقي: إشكالية الولادة وضرورة التفعيل، بحث منشور في كتاب (مدخل إلى بناء الديمقراطية في العراق). كربلاء المقدسة، مركز الفرات للتنمية والدراسات الإستراتيجية، ٢٠٠٥.

١٢. رشيد الخيون، ضد الطائفية: العراق.. جدل ما بعد نيسان ٢٠٠٣، مدارك للطباعة والنشر، بيروت، ٢٠١١

١٣. ستيفين ديلو وتيموثي ديل، التفكير السياسي والنظرية السياسية والمجتمع المدني، ترجمة ربيع وهبه،ط١، القاهرة،المركز القومي للترجمة، ٢٠١٠.

١٤. د. سعد الدين إبراهيم، المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في الوطن العربي، القاهرة، مركز ابن خلدون، ١٩٩٣.

١٥. = == ، مستقبل المجتمع والدولة في الوطن العربي، عمان، منتدى الفكر العربي، ١٩٨٨.

١٦. د. سهيل عروسي، المجتمع المدني والدولة: دراسة في بنية ودلالة المجتمع المدني والدولة وعلاقتهما بالديمقراطية، دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٨.

١٧. د. صالح ياسر، بعض إشكاليات المجتمع المدني والمجتمع السياسي والديمقراطية، منشورات طريق الشعب، سلسلة قضايا فكرية، بغداد، ٢٠٠٥.

١٨. عثمان ياسين علي، العقلانية التواصلية ودورها في بناء الدولة القانونية لدى يورغن هابرماس، اربيل، ٢٠١٠.

١٩. عبد الباقي الهرماسي، المجتمع المدني والدولة في الممارسة السياسية الغربية من القرن التاسع عشر الى اليوم: دراسة مقارنة، ضمن كتاب المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.

٢٠. د. عزمي بشارة، المجتمع المدني دراسة نقدية مع إشارة للمجتمع المدني العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٨.

٢١. علي الوردي. وعاظ السلاطين.ط١. بغداد، دار الحوراء للطباعة والنشر، ٢٠٠٥.

٢٢. د.علي خليفة الكواري، مفهوم الديمقراطية المعاصرة، بحث منشور في كتاب(المسألة الديمقراطية في الوطن العربي)، ط١، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٠.

٢٣. علي عبود المحمداوي وحيدر ناظم محمد، مقاربات في الديمقراطية والمجتمع المدني، صفحات للدراسات والنشر، دمشق، ٢٠١١.

٢٤. د. عيسى الشماس، المجتمع المدني: المواطنة والديمقراطية، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق، ٢٠٠٨.

٢٥. فرحان محمد حمزة ، العنف الجمعي وعلاقته بالتعصب والتسهيل الاجتماعي، المركز العراقي للمعلومات والدراسات، بغداد، ٢٠٠٩.

٢٦. د. محمد عابد الجابري،الديمقراطية وحقوق الإنسان، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٤.

٢٧. د.محمد غيلان، المجتمع المدني: حججه مفارقاته ومصائره، دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤.
٢٨. محمد الحسيني الشيرازي.فقه الاجتماع. الجزء الأول.ط٧. بيروت، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع،١٩٩٢.
٢٩. محمد محسوب عبد المجيد، اصول علمانية الدولة والقانون، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٧.
٣٠. معن زيادة، المجتمع المدني والدولة في فكر النهضة العربية الحديثة، ضمن كتاب المجتمع المدني في الوطن العربي ودوره في تحقيق الديمقراطية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٢.
٣١. موريس دوفرجيه.المؤسسات السياسية والقانون الدستوري والأنظمة السياسية الكبرى. ترجمة جورج سعد. ط١. بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٩٢.
٣٢. هارولد لاسكي. الحرية في الدولة الحديثة. ترجمة احمد رضوان عز الدين. ط٢. بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٨.

ثانيا: البحوث والدوريات

١. أماني قنديل، تطور المجتمع المدني في مصر، عالم الفكر، المجلد ٢٧، العدد: ٣، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٩٩٩.
٢. بوتنام، مفارقات المجتمع المدني، مجلة الثقافة العالمية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، دولة الكويت.
٣. حسن الصفار، الفتن الطائفية: منافذ المحاولات الخارجية، مجلة المنهاج، مركز الغدير للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، العدد الثامن والاربعون ، السنة الثانية عشرة، ٢٠٠٨
٤. زياد عبد الصمد، المجتمع المدني وتحديات التنمية والديمقراطية في عالم متغير، بحث منشور ضمن وقائع مؤتمر المجتمع المدني العربي والتحدي الديمقراطي، بيروت، ٢٠٠٤
٥. عبد السلام متعب، النظام السياسي في العراق بين المحاصصة والطائفية منذ عام ١٩٢١-٢٠٠٣، مجلة حوار الفكر، المعهد العراقي حوار الفكر، بغداد، العدد (١٤)،ايلول ٢٠١٠
٦. علي زيد الزعبي، واقع المجتمع المدني العربي ومستقبله، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلس النشر العلمي، الكويت، المجلد ٣٥، العدد ١، ٢٠٠٧.
٧. عماد غالب بلان. الطعم الآخر للطائفية، مجلة همس النوافذ، العدد ١٢، ٣٠ ديسمبر ٢٠١٢
٨. د.كمال عبد اللطيف. المجتمع المدني: ملاحظات حول تشكل المفهوم وتطوره، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، العدد ٥٥، الكويت، ١٩٩٦.
٩. ماجد الغرباوي، محاولة اولية لتبيئة المفهوم، مجلة التوحيد، مؤسسة الفكر الاسلامي، قم، العدد ٩٧، السنة ١٩٩٨.

ثالثا: الاطاريح الجامعية

– ابراهيم محمود عبد الباقي، دور الوقف في تنمية المجتمع المدني: نموذج الامانة العامة للاوقاف بدولة الكويت، اطروحة دكتوراه منشورة، جامعة الكويت، ٢٠٠٦.

رابعا: مصادر الشبكة الدولية للمعلومات

١. حسين درويش العادلي، الطائفية المجتمعية والطائفية السياسية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:
http://arabsfordemocracy.com/democracy/pages/view/pageId/1742
٢. د.عبد الخالق حسين، دور الطائفية في الأزمة العراقية، ورقة بحثية قدمت أثناء الملتقى الفكري الذي عقد في بغداد خلال يومي ٤ –٥ تشرين الأول/أكتوبر ٢٠٠٩، منشور على الرابط الالكتروني: http://www.hdriraq.com/modules.php
٣. محمد عابد الجابري، المجتمع المدني.. المعنى والمفهوم، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني:
http://www.hewaraat.com/forum/showthread.php?t=512 ،
٤. رشيد جرموني، المجتمع المدني بين السياق الكوني والتجربة المغربية، مقال منشور على الشبكة الدولية (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.aljabriabed.net/n97_02jarmounii.htm
٥. هيثم الحلي الحسيني، المجتمع المدني وأثره في دولة الديمقراطية والمؤسسات، دراسة منشورة على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:
http://www.iraqfuture.net/all-article/2007/article_51.htm
٦. د.سامر مؤيد عبد اللطيف،الطائفية والمجتمع المدني: ميكانزمية العمل ومجالات التقاطع، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:
http://law.uokerbala.edu.iq/index.php/art/125-different-articles/545-samer-artc3
٧. د. علي رمضان الأوسي، الطائفية والصراع القائم، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.kitabat.info/subject.php?id=15175
٨. عزو محمد عبد القادر ناجي، اثر التمايز الاجتماعي في عدم الاستقرار السياسي في الدولة الطائفية، دراسة منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=124634
٩. هاشم الهاشم، المجتمع المدني ودوره الديمقراطي، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني: http://www.sdp-sy.org/news/94.html
١٠. عباس فاضل محمود، دور منظمات المجتمع المدني في تعزيز البناء الديمقراطي في العراق، بحث منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني:http://www.google.iq

١١. عبد الغفار شكر، دور المجتمع المدني في بناء الديمقراطية، على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:
http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=26354
١٢. محمود حيدر، من صور المواطنة الطائفية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنيت) على الرابط الالكتروني:-http://www.albayan.ae/opinions/1265973970828-2010-02-17-1.220030
١٣. بلاكاتب، وظائف المجتمع المدني، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني:https://sites.google.com/site/tarekprof72/wazafmogtamamadani
١٤. ياسين عز الدين، الطائفية والعلمانية، مقال منشور على الشبكة الدولية للمعلومات(الانترنيت) على الرابط الالكتروني: https://www.paldf.net/forum/showthread.php?t=952774

خامسا: الكتب الاجنبية

1. Amerriam Webster,Websters school dictionary, Merriam Webster.INC,Massachusetts,USA.
2. Edward C.Banfield, Civility and citizenshipin Liberal Democratic Societies,World Peace Academy,1992.
3. Joyce.M.Hawkins, The Oxford reference dictionary, Clarendon press,Oxford University, New York,1986.

Sidny I.Landan, Webster Illastrated Contemporary dictionary, J.G.Ferguson publishing com,Chicago,1992

قواعد الإسناد وآليات التطبيق في العراق

The Rules of attribution and the mechanisms of application in Iraq

د. حسن علي كاظم [1] Dr. Hassan A. Kadhim

الخلاصة

النمو الحاصل في العلاقات القانونية الخاصة العابرة للحدود، أدى إلى أن تخفف كل دولة من التمسك بمبدأ الإقليمية المطلقة في تطبيق قوانينها، والسماح لمحاكمها وسلطاتها بتطبيق قوانين الدول الأخرى على العلاقات والروابط التي تتصل بها. وهذه المسألة تحتاج إلى الترجيح بين القوانين التي تتصل بها العلاقة القانونية ذات العنصر الأجنبي، سواء من ناحية أشخاصها أو موضوعها أو سببها أي الواقعة المنشئة لها.وهذا ما يسمى بالتنازع الذي يستلزم تفضيل أحد القوانين الوطنية أو الأجنبية وتطبيقه على النزاع، ويتم ذلك بالرجوع إلى قواعد الإسناد (تنازع القوانين من حيث المكان)، التي يضعها المشرع الوطني، فكل دولة تضع لنفسها ما تراه ملائما من قواعد الإسناد. وتؤدي حرية الدول في اختيار قواعد تنازع القوانين إلى تنوع هذه القواعد واختلافها بالنسبة للعلاقة الواحدة.، خاصة بعد التحولات الجذرية التي حصلت في العراق عام ٢٠٠٣، والانفتاح في جميع النواحي لاسيما الاقتصادية منها والتعاملات المالية والتجارية، لما يحتاجه العراق من المشاريع الاستثمارية التي يمكن أن تساهم في إعادة بناه التحتية وإعادة أعمار البلد.

Abstract

The growth of the legal relations of cross-border, led to the ease of each State to adhere to the principle of absolute territorial in the application of its laws, and allow the courts and powers of the application of laws of other countries on the relations and links to which they relate. This issue needs to weigh up the laws that relate to the legal relationship with a foreign element, both in terms of their subjects or subject matter or caused by any

١ – جامعة كربلاء/ كلية القانون.

incident establishing them. This is called Balthazar which requires preference for a national law or foreign and applied to the conflict, and this is done by reference to the rules Attribution (Conflict of laws in terms of location), established by the national legislature, each state sets for itself as it deems appropriate rules of attribution. And lead the freedom of States to choose the conflict of laws rules to the diversity of these rules and different for each relationship., especially after the radical transformations that took place in Iraq in 2003, and openness in all aspects, especially in the economic and financial and commercial transactions, what Iraq needs investment projects that can contribute in the recons traction of its infrastructure and rebuilding the country.

المقدمة

إن القانون بمفهومه الضيق والواسع معا، لم يكن يوما علما مغلقا أو جامدا يستمد سبب وجوده ومضمونه، ليس من ذاته بل من الظروف الواقعية للحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية...ولما كانت مصالح الأفراد وظروف الحياة تختلف من مجتمع إلى آخر، فإنه من المنطقي أن تختلف القواعد القانونية السارية أو المطبقة في مجتمع معين عن تلك السائدة في مجتمع آخر، وأن القواعد القانونية تسري داخل حدود إقليم المجتمع الذي نشأت أو صنعت له. وبالتالي النمو الحاصل في العلاقات القانونية الخاصة العابرة للحدود، أدى إلى أن تخفف كل دولة من التمسك بمبدأ الإقليمية المطلقة في تطبيق قوانينها، والسماح لمحاكمها وسلطاتها بتطبيق قوانين الدول الأخرى على العلاقات والروابط التي تتصل بها. وهذه المسألة تحتاج إلى الترجيح بين القوانين التي تتصل بها العلاقة القانونية ذات العنصر الأجنبي، سواء من ناحية أشخاصها أو موضوعها أو سببها أي الواقعة المنشئة لها.وهذا ما يسمى بالتنازع الذي يستلزم تفضيل أحد القوانين الوطنية أو الأجنبية وتطبيقه على النزاع، ويتم ذلك بالرجوع إلى قواعد الإسناد (تنازع القوانين من حيث المكان) التي يضعها المشرع الوطني، فكل دولة تضع لنفسها ما تراه ملائما من قواعد الإسناد. وتؤدي حرية الدول في اختيار قواعد تنازع القوانين إلى تنوع هذه القواعد واختلافها بالنسبة للعلاقة الواحدة.

وقد نظم المشرع العراقي هذا الموضوع في القانون المدني رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١م، الذي نسلط عليه الضوء في بحثنا هذا بصفة أساسية على قواعد تنازع القوانين فيه، لنرى مدى كفايته أو نقصه أو حاجته للتعديل أو الإضافة.لكون تنازع القوانين يعتبر من أهم موضوعات القانون الدولي الخاص، وتزداد هذه الأهمية مع مرور الزمن لأن الدول لا يمكن أن تعيش منعزلة فتوصد أبوابها في وجه الأجانب وتمنعهم من الدخول والإقامة أو التوطن فيه، خاصة بعد التحولات الجذرية التي حصلت في العراق عام ٢٠٠٣، والانفتاح في جميع النواحي لاسيما الاقتصادية منها والتعاملات المالية والتجارية، لما يحتاجه العراق من المشاريع الاستثمارية التي يمكن أن تساهم في إعادة بناه التحتية وإعادة أعمار البلد.كذلك إنشاء محكمة

متخصصة في نظر النزاعات التجارية الخاصة الدولية في بغداد، وحاجة القضاة إلى قواعد من شأنها أن تساعد وترشد القاضي في اختيار القانون الواجب التطبيق في النزاعات المعروضة على المحكمة. وبالتالي هذا كله قد ينتج عنه نوع من النزاعات ذات الطابع الدولي لعلاقات الأشخاص والشركات الاستثمارية الأجنبية. التي تستلزم إيجاد الحلول المناسبة لها.

لذا سنتبع في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى نتائج يمكن أن تساهم في تصحيح مسار القانون وجعله يتلاءم مع التطورات الحاصلة في العراق.

المبحث الأول: البناء الفني لقاعدة الإسناد

أن الطابع الفني في قاعدة الإسناد الذي سنتعرض له تفصيلا فيما بعد، مقتضاه أن الحل الموضوعي للنزاع لا تقدمه تلك القاعدة، بل يقدمه القانون الوطني أو الأجنبي، الذي تحدده قاعدة الإسناد، فهي أذن قاعدة وسيطة Règle Médiate بين القاضي المختص والقانون واجب التطبيق على العلاقة محل النزاع[٢].

ويجسد الطابع الفني القول بأن قاعدة الإسناد هي أداة مفاضلة Préférentiel بين القوانين التي تتزاحم لحكم العلاقة القانونية ذات العنصر الأجنبي، وأداة إرشاد إلى القانون الملائم، فمن خلالها يتم الموازنة والترجيح بين أسباب كل منها في حكم العلاقة القانونية. وتلك المفاضلة يفرضها أمران، الأول أن قانون القاضي lex Fori ليس هو الأفضل دائما في أحكامه، التي قد لا يتلاءم مع حاجات المعاملات التي تتم عبر الحدود، بالنظر إلى أنها موضوعة أصلا لتنظيم المعاملات الوطنية التي تتم داخل إقليم البلد، والثاني أن كافة قوانين دول العالم بما فيها قوانين الدول التي تتصل بها العلاقة محل النزاع، لديها قدر و القابلية للتطبيق وتقديم حل موضوعي معين لذلك النزاع[٣].

ولغرض الوقوف على تفصيلات أكثر، سوف نبين في مطلب أول ماهية قاعدة الإسناد، وفي مطلب ثان نبين من خلاله نطاق قاعدة الإسناد.

المطلب الأول: ماهية قاعدة الإسناد

تعتبر قاعدة التنازع قاعدة قانونية Droit Règle de بالمعنى الصحيح، وهي تشترك مع القواعد القانونية العامة في بعض مكونات ماهيتها، إلا أنها تتميز عنها فيما وراء ذلك.ولغرض بيان ماهية قاعدة الإسناد يقتضي أن نتعرض لمفهوم قاعدة التنازع في مطلب أول، وبيان أركانها في مطلب ثان، وخصائصها في مطلب ثالث.

الفرع الأول: مفهوم قاعدة الإسناد

من المسلم فيه أن قواعد الإسناد هي قواعد وضعية Règle Positive، أي من وضع السلطات

٢ – د. عز الدين عبد الله– القانون الدولي الخاص، ط ٦، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٢ ص ١١١.
٣ – د. هشام علي صادق– تنازع القوانين، منشأة المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٢، ص ٤٥.

المختصة في كل دولة حسب ما تراه مناسباً ويحقق مصلحتها ومواطنيها في آن واحد[٤]. وهذا يعني أن لكل دولة قواعد إسناد خاصة فيها، والتي قد تختلف عن القواعد النافذة في الدول الأخرى. كما أن طابعها الوضعي لا يعني دائما أنها من صنع المشرع، فقد تكون من صنع القضاء كما هو الحال في فرنسا وانكلترا وغيرهما، بل إن أغلب هذه القواعد نشأ في الأصل نشأة عرفية. كما أنها يمكن أن يكون مصدرها في الاتفاقيات الدولية المتعلقة بالقانون الدولي الخاص[٥].

اولا/ تعريف قاعدة الإسناد

يمكننا تعريف قاعدة الإسناد بأنها (قاعدة قانونية وضعية ذات طبيعة فنية، تسري على العلاقات الخاصة الدولية، فتصطفي أكثر القوانين مناسبة وملائمة لتنظيم تلك العلاقات، حينما تتعدد القوانين ذات القابلية للتطبيق عليها).[٦]

وهذا التعريف لا يغنى عن حقيقة أن قاعدة الإسناد هي التي تسند العلاقة إلى نظام قانوني معين، أو هي القاعدة التي تحدد القانون الواجب التطبيق بالنسبة لعلاقة قانونية تشتمل على عنصر أجنبي، من خلال اختيار القانون الملائم إذا وقع تنازع بين القوانين.

ثانيا/ وظيفة قاعدة الإسناد

يرى بعض من الفقه الحديث[٧]،أن القانون كالقضاء كل منهما يمثل مظهراً من مظاهر سيادة الدولة.فلكل دولة نطاق اختصاص إقليمي تمارس فيه سلطتها التشريعية، ويسري فيه القانون الذي تصدره، ولا يقبل داخل هذا النطاق الإقليمي سريان قانون دولة أجنبية.

والأمر كذلك فان قاعدة التنازع لا يكون لها غير وظيفة سياسية la Fonction Politique، وهي تحديد السيادة التشريعية الوطنية، وعدم ترك ذلك للدول الأخرى. ولكن يجب عند إعمال تلك القاعدة وفض تداخل السيادات التشريعية، مراعاة أكبر قدر من الاحترام المتبادل بين تلك السيادات، وهذا يتم باختيار أوثق القوانين ارتباطا بالعلاقة القانونية ذات العنصر الأجنبي[٨].

عندما نمعن النظر بالرأي السابق للفقه، فلا يمكن التسليم به كون وظيفة قاعدة الإسناد ليست حل التنازع بين سيادات الدول التي تتصل بالعلاقة القانونية ذات العنصر الأجنبي. فمن جهة يلاحظ أن فكرة السيادة في حد ذاتها غير محددة المضمون، وهي فكرة سياسية أكثر منها قانونية. وتوحي بأن الأمر يتعلق بتنازع مصالح عامة للدول التي تتصل بها العلاقة محل النزاع. والحقيقة غير ذلك، فالمشكلات التي تعنى بحلها قاعدة الإسناد هي تلك التي لا تمس مصالح الدول، وإنما التي تتصل بالمصالح الخاصة للأفراد. وإذا

٤ – د. إبراهيم أحمد إبراهيم– القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، دار النهضة العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥١.

٥ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– علم قاعدة التنازع والاختيار بين الشرائع (أصولا ومنهجا)، ط١، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، ١٩٩٦، ص ٩٨.

٦ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– المصدر نفسه، ص ٢١.

٧ – د. غالب علي الداودي– القانون الدولي الخاص، النظرية العامة للموطن والمركز القانوني للأجانب وأحكامهما في القانون العراقي، بغداد، ١٩٧٦، ص ٨٨. وكذلك د. عز الدين عبد الله– المصدر السابق، ص ٨٩.

٨ – د. هشام علي صادق– مركز القانون الأجنبي أمام القضاء الوطني، ١٩٦٨، ص ٦٤.

قلنا بأن قاعدة الإسناد تختار القانون الملائم والمناسب، فالمقصود هو الملاءمة والمناسبة بالنسبة لتلك المصالح والعمل على نموها عبر الحدود، وذلك بغض النظر عما إذا كان ذلك القانون يلبي الحاجات والمصالح الذاتية للدول من عدمه.ونصل إلى القول أن قاعدة الإسناد لها وظيفة قانونية la Fonction Juridique بالدرجة الأساس[٩]، وتتمثل بثلاثة أمور هي:-

الأول / مشاركة كل دولة في تنظيم الروابط والعلاقات التي تتم بين الأفراد عبر الحدود. أي تترجم نصيب كل دولة مع الدول الأخرى في تنظيم العلاقات الخاصة الدولية.

الثاني / تحقيق الآمان في تنظيم العلاقات الخاصة الدولية، وذلك عن طريق اختيار القانون الملائم والمناسب لذلك التنظيم، حتى ولو كان هذا القانون قانونا أجنبيا وليس قانون القاضي.

الثالث / تبرير تطبيق القانون الأجنبي، فقاعدة الإسناد تقدم الأساس أو التبرير القانوني المقبول لتطبيق قانون دولة أجنبية من جانب محاكم دولة معينة، بالأفضلية على قانونها الوطني، أي أن قاعدة الإسناد تفتح الباب أمام نفاذ قانون دولة أمام سلطات دولة أخرى، وتعكس تسامح المشرع الوطني في تطبيق السلطات الوطنية لقانون من وضع مشرع أجنبي. ولكن كيف تترجم صياغة قاعدة الإسناد هذا التسامح...؟هذا ما نحاول الرد عليه من خلال بحث أركان قاعدة الإسناد.

الفرع الثاني: أركان قاعدة الإسناد

إنَّ قاعد الإسناد تشترك مع سائر قواعد القانون في الأركان التي لا يمكن لقاعدة قانونية أن تقوم بدونها. غير أنها تفترق عنها في ذاتية تظهر خصوصيتها، وتساعدها على النهوض بوظيفتها التي أناطها المشرع بها على نحو ما اشرنا إليه من قبل. لذا سنخصص النقطة الأولى لبحث الأركان الخارجية وفي النقطة الثانية للأركان الداخلية لقاعدة الإسناد.

اولا/ الأركان الخارجية

الأركان الخارجية في القاعدة القانونية عموما هي:-

١- ركن الفرض:- الثابت في الفن القانوني أن القاعدة القانونية la Règle de Droit قاعدة عامة مجردة، أي أنها عند نشأتها تخاطب الأفراد والأشياء بصفاتهم وليس بذاتهم، ولا تقصد فردا بعينه أو شيئا محدد.

وعند التطبيق تسري على الجميع ما لم يرد استثناء يقيد عمومها، بالنسبة للأفراد أو الأشياء أو الوقائع. وصفة العمومية والتجريد في القاعدة القانونية يعني أنها قاعدة فرضية Règle Hypothétique [١٠]، بمعنى أن عنصر الأمر الذي تتضمنه يرتبط بصفة في الشخص أو الشيء أو الحدث، ولا يسري حكم ذلك الأمر إلا في الفرض الذي تتوفر في الشخص أو الشيء أو الحدث تلك الصفة. وعلى هذا

٩ – د. عز الدين عبد الله- القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين، ط ٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦، ص ٩٦.

١٠ – د. هشام علي صادق- الموجز في القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ٥٤.

الأساس يمكن القول أن ركن الفرض هو، عبارة عن وصف لوضع معين أو مجموعة من الأوضاع مثل إبرام زواج أو ارتكاب عمل خاطئ أو إبرام عقد.... ويحتوي الفرض على شروط انطباق القاعدة القانونية.

أما ركن الفرض في مجال تطبيق قواعد الإسناد، فهو مسألة أو وضع معين أو مجموعة المسائل والأوضاع الواقعية. وهذا يشكل النطاق أو الإطار l étendue لعمل قاعدة الإسناد. من ذلك مثلا الحالة المدنية وأهلية الشخص، أو الشروط الموضوعية للزواج أو الطلاق والتفريق أو النسب أو شكل التصرفات.... وفي مجال العلاقات والروابط ذات العنصر الأجنبي أو الطابع الدولي، فأن الوصف القانوني لا يلقها إلا بمقتضى القانون واجب التطبيق عليها، والذي تختاره وتحدده قاعدة الإسناد[١١]. فتلك القاعدة بذاتها لا تضفي الوصف القانوني على العلاقات والروابط التي تحدد نطاق إعمالها ولعل هذا هو السبب في ميلاد مشكلة التكييف Qualification.

٢- ركن الحكم:- هو الحكم أو الأثر القانوني le dispositif – effet juridique، أي الحل الذي يقرره القانون بالنسبة للوضع الواقعي أو مجموع الأوضاع الواقعية، وينطبق الحكم عند توفر عدة شروط وظروف محددة في الفرض[١٢]. بحيث القاعدة القانونية تقيم علاقة شرطية Relation conditionnelle بين ركن الفرض وركن الحكم فيها، بحيث إذا توفرت شروط الفرض وجب إعمال الحكم. فمثلا تنص المادة(٢٠٤) من القانون المدني العراقي على أن (كل تعد يصيب الغير بأي ضرر آخر غير ما ذكر في المواد السابقة يستوجب التعويض). ومقتضى النص هذا أنه إذا سبب شخص بخطئه ضررا للغير(ركن الفرض)، فأنه يتعين إلزامه بالتعويض (ركن الحكم). أما في قاعدة الإسناد فيعني الحكم هو الإرشاد إلى القانون الذي يحكم العلاقة أو الرابطة محل النزاع، ويظهر ركن الحكم بصيغ مختلفة، فبالنسبة للحالة والأهلية للأشخاص (ركن الفرض)يسري عليها قانون الدولة التي ينتمون إليها بجنسيتهم (ركن الحكم)، وبالنسبة لآثار الزواج (ركن الفرض) يسري قانون الدولة التي ينتمي إليها الزوج وقت انعقاد الزواج (ركن الحكم)، وهكذا...

غير أنه ينبغي توجيه النظر إلى أن ركن الحكم في قاعدة الإسناد ينطوي على الإلزام الموجه للمخاطب بقاعدة الإسناد بتطبيق القانون الذي ترشد إليه وتختاره تلك القاعدة، والأمر يتعلق هنا بالتزام Obligation حقيقي[١٣]، ونقصد بالمخاطب هنا بقاعدة الإسناد هو سلطات الدولة الصادرة عنها

وبالدرجة الأولى محاكم تلك الدولة، لكونها يجب أن تلتزم دون غيرها بتطبيق تلك القاعدة عند توفر الشرط الأساسي لذلك، وهو وجود علاقة ذات عنصر أجنبي. ويمكن القول أن أطراف العلاقة هذه هم المخاطبون بقاعدة الإسناد بطريق غير مباشر. عندها تسمح قاعدة الإسناد لهم بتحديد القانون الواجب التطبيق، أو يتمسكون بتطبيق قانون معين أمام الجهات القضائية وغيرها.ويبدو أن ركن الحكم هو المميز

١١ – د. عكاشة عبد العال– تنازع القوانين، دراسة مقارنة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢، ص ١٠٦.
١٢ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– المصدر السابق، ص ٣٢.
١٣ – د. حسن الهداوي– تنازع القوانين وأحكامه في القانون الدولي الخاص العراقي، بغداد، ١٩٧٢، ص ٨٨.

الأصيل لقاعدة الإسناد ويظهر في ذات الوقت الأركان الذاتية لها، كما سنرى في الفرع التالي.

ثانيا/ الأركان الداخلية

قاعدة الإسناد هي قاعدة قانونية لها طبيعة فنية ووظيفة خاصة[١٤]، هي اختيار القانون الملائم والمناسب كما قلنا سابقا لحكم العلاقات الخاصة الدولية. وإذا حللنا إحدى قواعد الإسناد التي أوردها المشرع العراقي في القانون المدني، تبين لنا أنها تقوم على ثلاثة أركان هامة. فمثلا تنص المادة (٢/١٩) على أنه (يسري قانون الدولة التي ينتمي إليها الزوج وقت انعقاد الزواج على الآثار التي يرتبها عقد الزواج بما في ذلك من أثر بالنسبة للمال). والأركان الداخلية التي احتواها النص السابق هي:-

١) موضوع الإسناد أو الفكرة المسندة Notion Rattachée، وهو الوضع أو الحالة الواقعية التي تشكل مضمون ركن الفرض السابق بيانه، وتتعدد بشأنه الحلول القانونية بسبب اتصاله بالنظام القانوني لأكثر من دولة[١٥].

٢) ضابط الاختيار Critère de Choix أو ظرف الإسناد Circonstances، وهو الذي يحدد بطريقة مجردة القانون الواجب التطبيق[١٦]. وهذا الضابط هو أو المعيار الذي يظهر فيه المشرع تفضيله لقانون معين، أو إعراضه عن باقي القوانين التي تعرض حلولها الموضوعية لتنظيم العلاقة ذات العنصر الأجنبي. ومن المعروف أن أي علاقة أو رابطة تتكون من ثلاثة عناصر، الأطراف والمحل والسبب أو الواقعة. فالسؤال الذي يمكن أن يثار هنا، كيف يمكن أن يستمد ضابط الاختيار من عناصر العلاقة القانونية...؟

فمن ناحية عنصر الأطراف les parties، يلاحظ أنه أهم العناصر في العلاقة التي تتصل بالشخص أو ما يسمى علاقات الأحوال الشخصية مثل، الأهلية والزواج والنسب والنفقة... ويكون من البديهي أن يختار المشرع ضابط الاختيار انطلاقا من عنصر الأطراف، باعتباره العنصر الذي يمثل مركز الثقل في العلاقة، فيتخذ من جنسية أو موطن الشخص أو الزوج أو الولد ضابطا لاختيار القانون واجب التطبيق، فيكون قانون الدولة التي ينتمي إليها الشخص بجنسيته هو ذلك القانون[١٧]. وهذا ما عمله القانون العراقي عندما جعل من ضابط الجنسية الوسيلة التي يتحدد بمقتضاه، ويتم اختيار القانون الواجب التطبيق على مسائل الأحوال الشخصية، وذلك في المواد (١٨-٢٣) من القانون المدني العراقي.

ومن ناحية عنصر المحل l'objet، فيبرز دوره في مجال الأشياء محل التعامل أو الأموال عموما. ويقدر المشرع عادة أن مسائل الملكية ونقل الحقوق العينية على الأموال أوثق صلة بقانون الدولة التي يقع بها المال محل التعامل أكثر من أي قانون آخر، فيتخذ من موقع المال ضابطا اختيار القانون واجب التطبيق

---

١٤ - د. فؤاد عبد المنعم رياض، د. سامية راشد- القانون الدولي الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤، ص ١٢٣.

١٥ - د. عاطف عبد الحميد عبد المجيد ندا- الفكرة المسندة في قاعدة خضوع شكل التصرفات القانونية لقانون محل إبرامها، دراسة مقارنة في تنازع القوانين، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦، ص ١٣٣.

١٦ - د. عاطف عبد الحميد عبد المجيد- المصدر نفسه، ص ١٣٤.

١٧ - د. غالب علي الداودي- القانون الدولي الخاص، النظرية العامة وأحكام الجنسية العراقية، ط٢، بغداد، ١٩٨٧، ص ٦٨.

على تلك المسائل. فيقرر المشرع أنه يسري على الملكية وسائر الحقوق العينية قانون موقع المال المنقول أو العقاري[١٨]، وهذا ما أتجت إليه أغلب القوانين في العالم ومنها القانون العراقي (م ٢٤) مدني.

ومن ناحية عنصر السبب la cause،أو الواقعة المنشئة للعلاقة أو الرابطة بين الأطراف. فيبدو أنه العنصر الهام الذي يزود المشرع بضابط الاختيار، بالنظر إلى صعوبة تركيزه مكانيا. وتحتل الإرادة مركز الثقل في التصرفات القانونية، أو الاتفاقات والعقود عموما، فيكون قانون الإرادة الذي تختاره الأطراف هو ذلك القانون الواجب التطبيق. كما تحتل الواقعة المادية أو العمل الضار أو النافع أهمية خاصة في مجال المسؤولية المدنية غير التعاقدية[١٩]. ونجد أن تلك المسؤولية أوثق صلة بقانون مكان حدوث تلك الواقعة أو العمل. فيتخذ من ذلك المكان ضابطا لاختيار القانون واجب التطبيق، فيقول أنه يسري على المسؤولية عن العمل الضار أو النافع قانون البلد الذي وقع فيه العمل المنشئ للالتزام (م ٢٧) مدني عراقي.

الفرع الثالث: خصائص قاعدة الإسناد

إنَّ قاعدة الإسناد كأي قاعدة قانونية أخرى،لها خصائص يستدل بها عليها وتميزها عن غيرها. وهذه الخصائص يمكن أن نصنفها بنوعين الأولى عامة والأخرى ذاتية. وسوف نبحث كلا منها في فرع مستقل.

اولا/ الخصائص العامة

بالإضافة إلى أتصاف قاعدة الإسناد بالخصائص المألوفة للقاعدة القانونية عموما، كقاعدة عامة لتنظيم السلوك الاجتماعي، إلا أن هناك من الخصائص العامة الأخرى، ما يثير بعض التساؤلات بخصوص قاعدة الإسناد بالذات وهي:-

١) قاعدة الإسناد قاعدة ملزمة[٢٠]:- Règle Obligatoire

في المنازعات الوطنية، إذا عرض على القاضي الوطني نزاعا مجردا من أي عنصر أجنبي، وجب عليه الفصل فيه ورد الاعتداء عن الحق أو المركز القانوني المدعى به، بتطبيق حكم القواعد القانونية في قانونه، أي هناك التزاما على عاتق القاضي بتطبيق القانون، وأن خالفه عد منكرا لأداء العدالة وترتبت مسؤوليته القانونية.

أما في المنازعات الخاصة الدولية، فالأمر مختلف، فهنا تثار مشكلة اختيار القانون واجب التطبيق. فإذا تمسك أحد الخصوم بتطبيق قانون أجنبي معين، وتمسك الآخر بتطبيق قانون القاضي أو قانون أجنبي لدولة ثانية، فهل يستطيع القاضي أن يحل تلك المشكلة بتطبيق قانونه الوطني في قواعده الموضوعية مباشرة، متفاديا تعقيد الموقف ومستبعدا أو متجاهلا الرجوع إلى المنهج الفني Méthode Technique المشار إليه أصلا لحل المشكلة المذكورة...؟

١٨ – د. صلاح الدين الناهي– الوجيز في الحقوق العينية الأصلية، بغداد، ١٩٦٠/ ١٩٦١، ص٤٨.
١٩ – د. حسن علي الذنون– أصول الالتزام، بغداد، ١٩٧٠، ص ١١٠.
٢٠ – د. عكاشة عبد العال– المصدر السابق، ص ٧٨.

وبعبارة أخرى هل يلتزم القاضي بإعمال قاعدة الإسناد من تلقاء نفسه، طالما توفر الشرط الأساسي لذلك الإعمال، وهو وجود منازعة تتعلق بعلاقة ذات عنصر أجنبي أو طابع دولي.؟

للإجابة عن هذا الإشكال... يجب أن نفرق بين فرضين: الأول، أن يتمسك الخصوم بتطبيق قاعدة الإسناد، وهنا لا مفر أمام القاضي من الرد بالإيجاب وتطبيق القاعدة المناسبة في قانونه. أما الفرض الثاني، أن يتجاهل الخصوم أو ينسى الطابع الدولي للمنازعة ولا يتمسكون أو حتى يلمحوا إلى وجوب تطبيق قاعدة الإسناد. نرى في الفرض الأول لا يثير مشكلة كونها محسومة بتطبيق القاضي لقاعدة الإسناد المناسبة. ولكن المشكلة تثار في الفرض الثاني، حيث نرى أن قاعدة الإسناد قاعدة ملزمة ويتعين على القاضي إعمالها من تلقاء نفسه، وعدم التقاعس حتى يطلب منه الخصوم ذلك، ونستند في ذلك كون قاعدة الإسناد قاعدة قانونية بالمعنى الصحيح ولا تختلف في غايتها عن أي قاعدة من قواعد القانون الوطني، فهي تهدف إلى اختيار القانون الملائم لحكم العلاقات ذات الطابع الدولي بين الأفراد عبر الحدود.

إن اعتبار قاعدة الإسناد جزء من قواعد القانون الداخلي للقاضي، يوجب عدم تسويغ إعفاء القاضي من إعمالها من تلقاء نفسه، مثلما هو ثابت من عدم إعفائه من الالتزام بتطبيق سائر قواعد القانون[٢١]. ونقول هنا أنه يقع على عاتقه التزاما قانونيا بتطبيق تلك القاعدة وليس التزاما طبيعيا. وهنا يستلزم القول بأن على قضاة الموضوع الالتزام بإعمال قاعدة الإسناد من تلقاء أنفسهم، وعليهم في سبيل ذلك أن يستظهروا العناصر الأجنبية في النزاع، حتى ولو لم يثيرها أو يسكت عنها الخصوم، فإن تقاعسوا عن ذلك وطبقوا القواعد الموضوعية في قانون القاضي، فقد خالفوا القانون بما يستوجب الطعن بأحكامهم. كما يمكن الإشارة إلى أننا نرى إمكانية التمسك بإعمال قاعدة الإسناد في أي حال تكون عليها الدعوى، ولو لأول مرة أمام محكمة التمييز، حتى وإن لم يتمسك بذلك الخصوم. تعين على تلك المحكمة تطبيق القاعدة من تلقاء نفسها متى كان واضحا من الوقائع أمام محكمة الموضوع أن النزاع يشتمل على عنصر أجنبي.

٢) قاعدة الإسناد قاعدة مجردة أو محايدة:-Règle abstraite ou neutre

بينا سابقا أن ضابط الاختيار الذي يمثل الركن الجوهري الذي بموجبه تنهض قاعدة الإسناد بوظيفتها، يأتي دائما مجردا لا يحدد قانون دولة معينة بالذات ليكون هو الواجب التطبيق، بل يرشد إلى وجوب تطبيق قانون الدولة التي يتركز فيها العلاقة أو الرابطة محل النزاع وتبدو أنها وثيقة الصلة بها أكثر من غيرها[٢٢].

---

٢١ – د. عنايت عبد الحميد– أساليب فض تنازع القوانين ذي الطابع الدولي في القانون الوضعي المقارن (تحليل وتأصيل)، مجلة القانون والاقتصاد، السنة ١٩٩٥، العدد ٦٥، ص ٢٢.

٢٢ – -Gilbert (L): problèmes techniques et commerciaux poses par la communication de know- how، Montpellier، 1977، p.98.

وطابع التجريد caractère abstrait في ضابط الاختيار يجعل قاعدة الإسناد ذاتها تكتسب خاصية التجريد، بحيث أن تلك القاعدة لا تختار قانون دولة معينة بالذات، بالنظر إلى مضمون أحكامه وقواعده، ليبين النظام القانوني للعلاقة محل النزاع، بل تكتفي بالتفضيل بطريقة مجردة بين القوانين التي تتصل بالعلاقة وتبدي قابليتها لحكمها واختيار أنسبها وأجدرها[٢٣].

ثانيا/ الخصائص الذاتية

يمكن الإشارة هنا إلى نوعين من الخصائص الذاتية، الأولى كونها ذات طابع إرشادي والثانية ذات طابع ثنائي الجانب، وسوف نبين هذين الخاصيتين لقاعدة الإسناد بالتتابع:-

١) قاعدة الإسناد قاعدة إرشادية:-

إذا قلنا أن قاعدة الإسناد يتم بموجبها اختيار القانون الواجب التطبيق، فهذا يعني إنها ذات طابع إرشادي Caractère indicatif[٢٤]، أي تكتفي بالإشارة أو الإرشاد إلى القانون المختار الذي يقدم الحل الموضوعي للنزاع، وهي بذاتها لا تقدم الحل. فإذا ثار نزاع حول أهلية أحد الأجانب، فإن إعمال قاعدة الإسناد في قانون القاضي (م١٨) مدني عراقي، لا يقود إلى تحديد السن التي يكون عندها الشخص بالغا سن الرشد، بل إلى تحديد القانون الداخلي الذي يبين لنا ذلك السن وهنا يصدق ما سبق أن قلناه، من أن قاعدة الإسناد هي قاعدة وسيطة، بين القاضي المختص والقانون واجب التطبيق على العلاقة محل النزاع.

٢) قاعدة الإسناد قاعدة ثنائية الجانب[٢٥]:-

بينا فيما سبق أن قاعدة الإسناد هي قاعدة اختيار أو مفاضلة، وذلك الاختيار وتلك المفاضلة يمكن أن تكون لصالح قانون القاضي الذي يفصل بالنزاع، كما يمكن أن تكون لصالح قانون دولة أجنبية. وهذا هو المراد بالطابع الثنائي أو المزدوج لقاعدة الإسناد. فهذه الأخيرة لا تقرر دائما وجوب تطبيق قانون القاضي على المنازعات ذات العنصر الأجنبي، لأنه طالما كان القصد هو اختيار القانون الأصلح والأنسب لحكم العلاقة أو الرابطة محل النزاع، فإنه لا يمكن القطع بأن تلك الصلاحية تثبت دائما لقانون القاضي، بل قد تكون لمصلحة قانون أجنبي. لذلك تصاغ قاعدة الإسناد على نحو يعطي هذا الأخير فرصة للتطبيق. وتلك الصياغة تتجسد في التجريد الذي يكتسبه ضابط الاختيار أو الإسناد.

نعتقد أن طابع الثنائية في قاعدة الإسناد، هو الأرجح على الرغم من أن هناك رأيا[٢٦]، يشير إلى أنه يجب أن تكون قاعدة الإسناد ذات طابع إسنادي إنفرادي، أي تكون ذات طابع أحادية الجانب، تقتصر على تحديد متى يكون قانون القاضي واجب التطبيق على منازعات العلاقات ذات العنصر

---

٢٣ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– القانون الدولي الخاص، التنازع الدولي للقوانين والمرافعات المدنية الدولية، ج ٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١/٢٠٠٢، ص ١٤٣.

٢٤ – Mayer (p): Droit international prive، éd، Montchrestien، paris، 1977، p.231

٢٥ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– المصدر السابق، ص ١٤٩.

٢٦ – Gilbert (L): op.cit. p. 99

الأجنبي، ولا شأن لها بتحديد حالات وجوب تطبيق القانون الأجنبي، حيث يجب أن يترك ذلك التحديد لقواعد الإسناد في ذلك القانون.

المطلب الثاني: نطاق قاعدة الإسناد

إنَّ انعدام التوافق بين القوانين الوطنية، مع حاجات الحياة الدولية للأفراد، خصوصا في جانبها الاقتصادي، أصبح هناك ضرورة وحاجة ملحة إلى إيجاد حلول موضوعية أو مادية، تتلاءم مع المعطيات الجديدة والتي تعمل على تلافي الاختلافات الناتجة عن تباين القوانين الوطنية. ومن أمثلة أدوات التجارة الدولية الحديثة التي لا تتلاءم مع القواعد القانونية الوطنية، نذكر منها العقود الدولية للإنتاج والتوريد وعقود نقل التكنولوجيا وعقود تسليم مفتاح باليد أو إنتاج في اليد وعقود التعاون الصناعي والمساعدة الفنية وكذلك عقود الاستثمار التي بدأ العراق فيها مؤخرا.

ولكن الذي نريد بيانه أن لكل قاعدة قانونية نطاق تطبق في حدوده. سواء كنا نتكلم عن النطاق ألزماني domaine temporal، أي الوقت الذي تكون فيه واجبة التطبيق وحكم صدور قاعدة جديدة على نفاذها، أو النطاق المكاني domaine spatial، الذي يبحث فيه عن نوع تنازع القوانين المكاني الذي تنهض لتسويته، وهل التنازع الدولي وحده، هل التنازع في المسائل الأصلية دون الأولية. وهناك كذلك النطاق الموضوعي domaine objectif أي المسائل الموضوعية ونوع العلاقات والروابط ذات العنصر الأجنبي، التي تنهض لفض النزاع بشأنها، هل هي علاقات ضمن القانون الخاص أم علاقات القانون العام[٢٧].

وتبدو أهمية تحديد نطاق سريان قاعدة الإسناد من ناحيتين، أولهما: إهمال المؤلفات العامة في هذا المجال بحث مشكلات نطاق سريان قاعدة الإسناد. وثانيهما: ظهور بعض الجوانب الجديدة التي تستدعي البحث، كتنازع القوانين في مجال القانون العام، وتنازع القوانين في المسائل الأولية، وكلها جوانب تثير الجدل حول فعالية قاعدة الإسناد ذاتها وجدواها في الإرشاد إلى القانون الواجب التطبيق. لذا سنبين هذا النطاق في ثلاث مطالب بالتتابع، في الأول لبيان النطاق الزمني، والثاني للنطاق المكاني، والثالث للنطاق الموضوعي.

الفرع الأول: النطاق الزمني

إذا حدث تعديل تشريعي في الدولة الوطنية، وترتب عليه تغير قاعدة الإسناد السارية من قبل، فإن الأمر يتعلق بتحديد القانون الواجب التطبيق، فهل يطبق هذا التعديل التشريعي تطبيقا فوريا أم لا...؟

فقد كان القانون الشخصي في ألمانيا حتى عام ١٩٠٠ هو قانون الموطن، ثم حدث تعديل تشريعي تم بمقتضاه الأخذ بقانون الجنسية. وكذلك الحال في فرنسا سنة ١٨٠٤. يتجه الرأي الغالب في الفقه

٢٧ – د. هشام علي صادق– القانون الأجنبي أمام القانون الوطني، المصدر السابق، ص ١٢٢.

[٢٨]،إلى استعارة الحلول المعمول بها في القانون الداخلي عندما يحدث تعاقب قانونين في داخل الدولة الواحدة بالنسبة لمسألة ما.

ومن الطبيعي أن يطبق في مجال تنازع القوانين نفس الحلول التي تطبق على الروابط القانونية الداخلية. إذ أن قواعد الإسناد تعد قواعد وطنية تقوم الدولة بوضعها على الرغم من تعلقها بالروابط الخاصة الدولية. فيكون المبدأ في حالة تعاقب قانونين متعلقين بتنازع القوانين هو تطبيق القانون الجديد بأثر فوري. وبالتالي يتعين على القاضي الوطني الذي يفصل في منازعات العلاقات الدولية للأفراد، كغيرها من المنازعات عموما أن يأخذ في الحسبان عنصر الزمن، لكونه يترك أثرا خطيرا في الحل النهائي للنزاع، خاصة إذا تعاقب بين قانونين أجنبيين أو أحدهما فقط وقانون القاضي، لا كنتيجة لتعديل قاعدة الإسناد ذاتها، بل كنتيجة لانتقال أو تغيير ضابط الاختيار أو الإسناد، وهذا هو التنازع المتحرك للقوانين conflit mobile [٢٩]، لذا سنبين ماهية التنازع المتحرك وكيفية حل هذا التنازع بنقاط متتالية.

اولا/ التنازع المتحرك

بينا سابقا أن قاعدة الإسناد تقوم على ثلاثة أركان داخلية، هي الفكرة المسندة وضابط الاختيار أو الإسناد والقانون الواجب التطبيق. ولو ركزنا في الحديث على ضابط الاختيار أو الإسناد، لوجدناه يمثل عصب قاعدة الإسناد، حيث يلزم من وجوده وجودها ويلزم من عدمه عدمها. و عن طريقه تنهض قاعدة الإسناد بوظيفتها وتحدد القانون الواجب التطبيق، وبالتالي تغييره لأي سبب كان يولد مشكلة التنازع المتحرك... ولكن كيف...؟

يتكون ضابط الاختيار أو الإسناد من عنصرين هما: عنصر واقعي élément de fait، وعنصر قانوني élément de droit، فضابط الجنسية مثلا عنصره الواقعي هو تمتع الشخص بجنسية دولة معينة، أما العنصر القانوني فهو الجنسية ذاتها كنظام يفيد الانتماء إلى تلك الدولة، وكذلك ضابط موقع المال فعنصره الواقعي هو وجود المال ذاته في إقليم دولة معينة، أما عنصره القانوني فهو فكرة الموقع أي الحيز من المكان في دولة ما والذي يستقر فيه المال[٣٠].

وما تقدم يشير إلى إمكانية الأفراد في بعض الأحيان تغيير العنصر الواقعي من ضابط الاختيار أو الإسناد، وبالتالي يمكن القول أن ضوابط الاختيار عموما تقسم إلى نوعين هما: الأول، ضوابط قابلة للتغيير ومنها ضوابط الجنسية والموطن ومحل الإقامة وموقع المال المنقول وإرادة المتعاقدين. والثاني، ضوابط ثابتة لا تقبل التغيير، سواء كانت بطبيعتها كموقع المال العقاري، أو كنتيجة للتحديد القانوني لنطاقها الزمني كجنسية المتوفى في المواريث ووقوع الفعل الضار أو النافع. أذن مع القدرة على تغيير ضابط الإسناد وخلق مشكلة تزاحم عدد من القوانين، بالتأكيد يؤدي هذا التغيير إلى أن العلاقة القانونية بعد إن كانت

٢٨ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– المصدر السابق، ص ١٥٥.

٢٩ – د. عوض الله شيبة الحمد– الوجيز في القانون الدولي الخاص، دار النهضة العربية، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٧، ص ٨٩.

٣٠ – د. فؤاد عبد المنعم رياض، د. سامية راشد– تنازع القوانين والاختصاص القضائي الدولي وآثار الأحكام الأجنبية، دار النهضة العربية، ١٩٩٤، ص ١٥٣.

مركزة في قانون دولة ما، أصبحت متركزة في مجال قانون دولة أخرى. وبالتالي على القاضي المعروض عليه النزاع أن يبحث عن حل ناجع لهذا النوع من التنازع.

ثانيا/ كيفية حل التنازع المتحرك

أما كيفية حل التنازع المتحرك، نجد أن المشرع العراقي حاله حال المشرعين في دول العالم، يقدم خدمة للقاضي إن أطلع هو بتحديد الوقت الذي يعتد فيه بضابط الاختيار أو الإسناد. والمتأمل في القانون العراقي وفي القوانين المقارنة، يدرك دور المشرع في حل التنازع المتحرك في كثير من الأحيان. ففي خصوص آثار الزواج، وهي حالة أو وضع قانوني مستمر نصت المادة (٢/١٩) مدني عراقي على أن (يسري قانون الدولة التي ينتمي إليها الزوج وقت انعقاد الزواج على تلك الآثار). فتغيير الزوج لجنسيته بعد انعقاد الزواج لا يؤثر في وجوب تطبيق قانون الدولة التي أبرم الزواج في ظله. وفي مجال انحلال الزواج نصت المادة (٣/١٩) مدني عراقي، بخصوص التطليق والانفصال على أن (يسري على التطليق والانفصال قانون الدولة التي ينتمي إليها الزوج وقت رفع الدعوى). أذن ليس العبرة بانتماء الزوج بجنسيته إلى الدولة التي سيطبق قانونها بوقت إبرام الزواج بل بوقت رفع الدعوى.فذلك القانون سيكون هو المختص ببيان أسباب التطليق أو الانفصال وآثار انحلال الزوجية[٣١].

وفي مجال الأموال المنقولة نصت المادة (٢٤) مدني عراقي على أن(يسري بالنسبة إلى المنقول قانون الدولة التي يوجد فيها هذا المنقول وقت وقوع الأمور الذي ترتب عليه كسب الحق أو فقده). ما تقدم في حالة تدخل المشرع لحل التنازع المتحرك. لكن السؤال يثار في حال تقاعس المشرع أو الاتفاقيات الدولية عن مواجهة المشكلة...؟

الحقيقة يوجد اتجاهان رئيسيان لحل مشاكل التنازع المتحرك للقوانين، الأول الذي ينادي باحترام الحقوق المكتسبة، ويقوم هذا الرأي[٣٢] على أن الحق الذي تم اكتسابه في دولة ما يتعين احترامه وعدم المساس به في الدول الأخرى. ويستند هذا الرأي إلى مبدأ سيادة الدولة. ووفقا لهذا الرأي فان قانون الدولة التي انتقل إليها المنقول أو الدولة التي اكتسب الشخص جنسيتها أو نقل موطنه إليها،هذا القانون لا يمكن أن يطبق بأثر رجعي على المراكز التي نشأت في دولة أخرى. لذلك إذا تزوج زوجان كلاهما يحمل الجنسية الاسبانية، ثم تجنس الزوجان معا الجنسية الفرنسية، فان هذا التغيير في عنصر الإسناد (تغيير الجنسية)، ليس له أي تأثير فيظل النزاع خاضعا للقانون الاسباني، ومن ثم لا تقبل دعوى التطليق المرفوعة من أحد الزوجين تجاه الآخر في فرنسا، حيث أن الزواج غير قابل للانحلال في القانون الاسباني، في حين أن القانون الفرنسي يقبل العلاقة الزوجية.

وهناك رأي ثاني يتجه إلى استعارة الحلول المعمول فيها بالقانون الداخلي، وهو الرأي السائد في

---

٣١ – د. عبد الرزاق السنهوري– الوسيط في شرح القانون المدني، ج١، نظرية الالتزام بوجه عام، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٤، ص ١٨٨.

٣٢ – د. عز الدين عبد الله– تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين، المصدر السابق، ص ١٩١.

– د. عكاشة عبد العال– تنازع القوانين، المصدر السابق، ص ١٠٧.

الفقه[٣٣] إلى حل التنازع المتحرك للقوانين الصادرة من دولتين مختلفتين، عن طريق الرجوع إلى الحل المتبع في القانون الداخلي في تحديد مجال انطباق قانونين يتعاقبان في داخل الدولة. ويتلخص هذا الحل في أن قانون الدولة الجديدة يطبق فقط على الآثار المتعلقة بالتصرف القانوني الذي يتحقق في ظله، بينما يطبق قانون الدولة القديمة على الآثار التي تكون قد تحققت بالفعل في ظل قانون الدولة القديمة. و لا يوجد هنا تطبيق للقانون الجديد بأثر رجعي فهو يطبق تطبيقا فوريا لأن آثار المركز القانوني لم تتحقق في الدولة القديمة، وإنما في الدولة الجديدة.

ففي المثال المتعلق باكتساب زوجين أسبانيين للجنسية الفرنسية، يطبق القانون الاسباني في شأن صحة الزواج وفي آثار الزواج الأخرى التي تحققت قبل اكتساب الجنسية الفرنسية. أما طلب التطليق فهو باعتباره أثر لم يتحقق في ظل القانون الاسباني، فلا يطبق عليه هذا القانون وإنما يطبق عليه القانون الفرنسي، وهو قانون الدولة الذي يحدث الأثر في ظله[٣٤].

والواقع أن هذا الرأي يتفق مع الواقع وما ينبغي أن يوفر من استقرار في المراكز القانونية، كما أنه يقود إلى ازدهار علاقات التجارة الدولية. أما التمسك بسيادة الدولة القديمة لتطبيق القانون القديم على المراكز القانونية فهو غير صائب، فالذي يتعارض مع سيادة الدولة هو إخضاع الآثار المترتبة فيها لقانون الدولة الجديدة، ولكن الأمر على خلاف ذلك، إذ لا يخضع لقانون الدولة الجديدة سوى الآثار المستقبلية التي لم تترتب في الدولة القديمة، ومن الطبيعي خضوع هذه الآثار الجديدة لقانون الدولة الجديدة، لأن عدم خضوعها يتعارض من ناحية مع مبدأ السيادة الذي تتمتع فيه هذه الدولة، كما أنه يؤدي إلى عدم استقرار المراكز القانونية. ونأخذ مثالاً على ذلك بقاعدة (الحيازة في المنقول سند الملكية)[٣٥]،فإذا افترضنا أن المنقول قد نقل من دولة تجهل هذه القاعدة إلى أخرى تقرها، فان عدم مراعاة القاعدة بحجة خضوع المنقول للقانون القديم سيؤدي إلى مطالبة الشخص بتقديم دليل على أن المنقول الذي تحت يده يدخل في ملكيته، وهو ما يتعارض مع الظاهر والذي من أجله وضعت القاعدة المشار إليها. ومن شأن ذلك أن يزرع عدم الثقة في المعاملات التي تتم على هذا المنقول باعتباره قادم من دولة أخرى، مما يهدد استقرار المراكز القانونية ويهدد أيضا تطور ونمو التجارة الدولية.

الفرع الثاني: النطاق المكاني

قد تتخطى العلاقات الخاصة (للأفراد)عبر حدود أكثر من دولة، وبالتالي قد تصبغ بالطابع الدولي أي تدخل في نطاق عمل القواعد القانونية لأكثر من دولة. وبما أنه لكل دولة سيادة على إقليمها وما

---

٣٣ – د. ممدوح عبد الكريم حافظ– القانون الدولي الخاص، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧، ص ١١١.

– د. إبراهيم أحمد إبراهيم– المصدر السابق، ص ٨٢.

– د. هشام علي صادق– تنازع القوانين، المصدر السابق، ص ٩٥.

٣٤ - Henry (P): International pre- contractual obligation in (international contract) editors by -Mathew Bender،Hans Smite and others، New York، 1981، p.158 .

٣٥ – د. صلاح الدين الناهي– المصدر السابق، ص ١٦٦.

تفرضه قواعد الإسناد في نظامه القانوني في اختيار أو الإشارة إلى القانون الواجب التطبيق، لذا قد يحدث تزاحم بين قانونين أو أكثر لحكم هذا النوع من العلاقات ذات العنصر الأجنبي. أما ذلك التزاحم أو التنازع أو التعدد الحاصل بين الشرائع المختلفة في دولة واحدة، فيبدو أنه خارج عن إطار عمل تلك القاعدة، وداخل في إطار عمل قواعد التنازع الداخلي في القانون المختار[٣٦].

وإذا كانت قاعدة الإسناد تهتم بتعدد القوانين الراجع إلى ظاهرة سيادة كل دولة على إقليمها، فهل يقتصر هذا الاهتمام على الاختيار بين القوانين بخصوص المنازعة الأصلية أم يمتد فيما وراء ذلك للاختيار بين القوانين التي تحكم المسائل الأولية، اللازم معرفة نظامها القانوني قبل فض التنازع الدولي بشأن المنازعة الأصلية، خصوصا إذا كانت القوانين التي تبدي قابليتها لحكم المسائل الأولية هي قوانين دول مختلفة، وبالتالي هل يفلت هذا التنازع من هيمنة قاعدة الإسناد في قانون القاضي، ليدخل في نطاق عمل قواعد الإسناد في القانون واجب التطبيق على المسألة الأصلية...؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، سنبحث في نقطة أولى قاعدة الإسناد الوطنية وتعدد الشرائع، وفي النقطة الثانية نخصصه لقاعدة الإسناد والمسائل الأولية.

اولا/ قاعدة الإسناد الوطنية وتعدد الشرائع

من المشكلات أساسية التي قد تعترض القاضي الوطني، هو أن قاعدة الإسناد الوطنية تؤدي إلى اختيار قانون دولة أجنبية ذات نظام قانوني مركب[٣٧]، أي تتعدد فيها الشرائع الداخلية تعددا إقليميا أو شخصيا وبيان تلك المشكلة وكيفية مواجهتها ونطاق عمل قاعدة الإسناد الوطنية بخصوصها، يقتضي منا التفصيل وعلى النحو التالي:

التنازع الدولي بين القوانين conflit international،هو ذلك التزاحم الناشئ بين قوانين صادرة عن دول ذات سيادة، وهو ما تهتم بفضه قاعدة الإسناد باختيار أنسبها لحكم منازعات الحياة الدولية للأفراد[٣٨]. غير أن نعت (الدولي) يوحي بأن هناك تنازعاً داخلياً conflit interne، والتنازع الداخلي بين القوانين على ثلاثة أنواع هي:

١.من ناحية التنازع الزمني، وهو ما يثار عندما يصدر قانون جديد ليعقب قانونا آخر ويحل محله، وتتكفل قواعد القانون الجديد بتحديد نطاق سريان كل منهما في الزمان.

٢.من ناحية التنازع المكاني، وهو ما يثار عندما تتعدد القوانين داخل الدولة الواحدة، ويكون كل قانون منها نافذا في جزء أو إقليم معين من الإقليم العام للدولة. مثل الدول الفدرالية كالولايات المتحدة الأمريكية وسويسرا وكندا وأستراليا وألمانيا.

---

٣٦ – د. عكاشة محمد عبد العال، د. هشام علي صادق– القانون الدولي الخاص، الإجراءات المدنية والتجارية الدولية وتنفيذ الأحكام الأجنبية وتنازع القوانين، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨، ص ٢٤٤.

٣٧ – د. عز الدين عبد الله– تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي، المصدر السابق، ص٢٠١.

٣٨ – د. هشام علي صادق– تنازع القوانين (دراسة مقارنة)، المبادئ العامة والحلول الوضعية المقررة في التشريع المصري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣، ص ١٩٨.

٣.ومن ناحية التنازع الشخصي، ويتحقق هذا النوع من التزاحم في الفرض الذي تتعدد فيه القوانين داخل الدولة الواحدة، ويكون كل قانون منها نافذا في مواجهة مجموعة معينة من الأشخاص تجمعهم صفات مشتركة تقوم على انتمائهم إلى دين أو أصل أو جنس معين. وهذا نجده في الدول التي تخضع مسائل الأحوال الشخصية للقواعد الدينية. مثل مصر والجزائر وتونس ولبنان والمغرب، حيث توجد الشريعة الإسلامية والمسيحية واليهودية[٣٩].

أذن كيف تثور مشكلة تعدد الشرائع...؟ نأخذ أمثلة لتقريب المعنى، أذا طرح أمام القاضي العراقي نزاعا يتعلق بتركة أمريكي متوطن في العراق ومتوفى فيه. فان قاعدة الإسناد العراقية تشير بتطبيق القانون الأمريكي بوصفه قانون الجنسية وقت الوفاة (٢٢) مدني عراقي، وهنا يثار التساؤل ما هو المراد بالقانون الأمريكي، قانون المواريث في ولاية تكساس أم في ولاية لوس أنجلس أم في ولاية كاليفورنيا...؟ هذا فرض التنازع الإقليمي.

وكذلك إذا عرض على القاضي الفرنسي دعوى نفقة من زوجة عراقية مسيحية على زوجها العراقي المسلم أو غير المسلم، فإن قاعدة التنازع الفرنسية تشير باختصاص القانون العراقي، قانون الجنسية المشتركة للزوجين، وهنا يثار التساؤل ما هو المراد بالقانون العراقي هل الشريعة الإسلامية أم المسيحية أو غير ذلك...؟ وهذا فرض التنازع الشخصي.

ومن الجدير بالذكر أن المشرع العراقي تنبه لمشكلة التنازع الداخلي أو تعدد الشرائع الداخلية في القانون واجب التطبيق بمقتضى قواعد التنازع العراقية، وما كان بوسعه أن يتجاهلها والنظام القانوني العراقي ذاته من النظم القانونية المركبة، الذي تتعدد فيه القواعد الداخلية تعددا شخصيا، خصوصا بشأن مسائل الأحوال الشخصية، فأورد ضمن المواد المنظمة لسريان القانون من حيث المكان في المادة (٣١ /٢) من القانون المدني العراقي على أنه (وإذا كان هذا القانون الأجنبي هو قانون دولة تتعدد فيها الشرائع فأن قانون هذه الدولة هو الذي يقرر أية شريعة من هذه يجب تطبيقها).

ثانيا/ قاعدة الإسناد الوطنية والمسائل الأولية

تعتبر مسألة أولية كل مسألة يكون الفصل فيها أولا لازما للبت في المسألة الأصلية، وهذا اللزوم يعني أن هناك درجة معينة من الارتباط بين المسألتين، سواء تحقق هذا الارتباط عن طريق عنصر أطراف العلاقة محل النزاع، أو عنصر الموضوع أو عنصر السبب. وتحديد ما يعد مسألة أولية وتقدير مدى ارتباطها بالمسالة الأصلية ولزوم الفصل فيها للبت في تلك الأخيرة، أمر يخضع للسلطة التقديرية للقاضي الذي ينظر الدعوى، على اعتبار النزاعات الخاصة الدولية فيها التكييف مسألة أولية لازمة للفصل في الدعوى[٤٠]. ولغرض بيان ذلك نسوق المثال التالي:-

٣٩ – د. أحمد عبد الكريم سلامة- علم قاعدة التنازع والاختيار بين الشرائع، المصدر السابق، ص ٢١٠.

٤٠ – د. غالب علي الداودي- القانون الدولي الخاص الأردني، ج١، تنازع القوانين، ط٤، دار وائل للنشر، ٢٠٠٥، ص ١٢١.

إذا رفعت دعوى ثبوت النسب الشرعي لشخص (مسألة أصلية)،فانه يلزم أولا بحث مدى صحة رابطة الزوجية بين الوالدين (مسألة أولية)المدعي الانتساب إلى أحدهما أو كلاهما. أيضا إذا رفعت دعوى المطالبة بالحق في ميراث تركة زوج أو أب (مسألة أصلية)، فانه يلزم أولا بحث صفة الزوجة أو الوالد الشرعي، أي ثبوت قيام رابطة زوجية صحيحة أو ثبوت رابطة النسب (مسألة أولية) مع المتوفى.

ما أشرنا إليه أعلاه، يشير إلى أنه لا تثار صعوبة في القانون الداخلي، إذ أن كلتا المسألتين الأصلية والأولية تخضعان لسلطان ذات النظام القانوني. أما في إطار نظرية تنازع القوانين، فان الأمر مختلف فقد تخضع المسألة الأصلية لقانون دولة معينة، بينما تخضع المسألة الأولية لقانون دولة أو لقوانين دول أخرى، فكيف يتم التنسيق بينهما...؟ فإذا كان تعدد أو تنازع القوانين بخصوص المسألة الأصلية يفض بإعمال قواعد الإسناد الوطنية في قانون القاضي، فهل يفض التنازع المثار بشأن المسألة الأولية بنفس الطريقة...؟

سنحاول تقديم مثالا من القضاء الاسترالي، (تزوج المدعو عبده الهندي الجنسية مسلم الديانة، والمتوطن في استراليا من المدعوة عذراء الهندية مسلمة الديانة. أبرم الزواج في أستراليا طبقا لأحكام الشريعة الإسلامية كما هي مطبقة في الهند، والتي تختلف عن القانون الاسترالي.هذا في الوقت الذي كان فيه الزوج متزوجا من زوجة أخرى وله منها ولدان. عاد الزوج إلى موطنه بالهند، حيث توفي هناك تاركا ثروة منقولة في أستراليا.

رفع ولداه دعوى ميراث أمام القضاء الاسترالي، تلك هي المسألة الأصلية التي قرر القضاء إخضاعها للقانون الهندي، قانون موطن المتوفى، وطبقا لأحكام الشريعة الإسلامية في هذا القانون، لا يرث من الأولاد إلا من كان ولدا شرعيا. هنا طرحت على القضاء الاسترالي مسألة أولية، هي التثبت من شرعية نسب الأولاد)[٤١]. وثار التساؤل وفقا لأي قاعدة تنازع تخضع تلك المسألة حتى يتحدد القانون واجب التطبيق عليها، قاعدة التنازع في القانون الهندي واجب التطبيق على المسألة الأصلية طبقا للقانون الاسترالي، أم قاعدة التنازع في هذا الأخير باعتباره قانون القاضي الذي يفصل في القضية...؟ هذا ما سنجيب عليه في السطور التالية:-

أتجه بعض الفقه الألماني وتبعه البعض من الفقه الفرنسي والفقه الايطالي[٤٢]، إلى القول بأن تنازع القوانين بخصوص المسائل الأولية يجب أن يفض بإعمال قواعد الإسناد في القانون الأجنبي واجب التطبيق، أما المسألة الأصلية نلجأ إلى إعمال قواعد الإسناد في قانون القاضي، فتقرير أو اختيار ذلك القانون الأجنبي ليحكم تلك الأخيرة يعني وضع كل المنازعة مسائلها الأصلية والأولية في كنفه، فإذا أثير تنازعا بين القوانين بخصوص المسالة الأولية، فيكون فضه من اختصاص ذلك القانون، إذ أن قاعدة التنازع في قانون القاضي المختص بنظر تلك المنازعة، قد انتهى دورها بتحديد القانون المشار إليه.

---

٤١ – د. أشرف وفا محمد – الوسيط في القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩، ص ١٣٢.

٤٢ – د. عز الدين عبد الله– القانون الدولي الخاص، ج٢ تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين، المصدر السابق، ص ١١١.

– د. عكاشة محمد عبد العال– تنازع القوانين، المصدر السابق، ص ١٥٤.

وعلى خلاف الرأي المتقدم هناك من يرى أن الرأي الراجح[٤٣]، أن تنازع القوانين بخصوص المسائل الأولية يتم فضه بإعمال قواعد الإسناد في قانون القاضي،على غرار فض التنازع بخصوص المسألة الأولية، دون النظر إلى قواعد التنازع في القانون الأجنبي واجب التطبيق على تلك الأخيرة. فالمسألة الأولية يجب أن تعامل من ناحية حل تنازع القوانين بشأنها كأنها مسألة مستقلة عن المسألة الأصلية، ويسري عليهما قواعد التنازع في النظام القانوني لدولة القاضي.

وإذا كان النظام القانوني العراقي الحالي يمنع بنص صريح، تطبيق قواعد التنازع الأجنبية على مسائل تنازع القوانين، التي تثار أمام القضاء العراقي (١/٣١) مدني[٤٤]، إلا أننا لا نبتغي المصادرة على التطور المستقبلي لذلك النظام، ونقول استنادا للفوائد التي يمكن أن يحققها الأخذ بنظرية الإحالة، أنه من الأسلم عدم وضع قاعدة عامة تطبق في كل الأحوال. فقد توجب اعتبارات العدالة وحماية توقعات الأفراد والتبصر بمصالحهم، تطبيق قواعد الإسناد في قانون القاضي من أجل تحديد القانون واجب التطبيق على المسألة الأولية، كما هو الحال بالنسبة للمسألة الأصلية. وفي ظروف أخرى قد تستلزم نفس الاعتبارات، تطبيق قواعد الإسناد في قانون القاضي على المسألة الأصلية، وتطبيق قواعد التنازع في القانون المختص بتلك الأخيرة على المسألة الأولية، أو حتى خلق قواعد تنازع احتياطية جديدة تتلاءم مع تلك المسألة.

الفرع الثالث: النطاق الموضوعي

موضوع L objet قاعدة الإسناد، هو تنظيم العلاقات الدولية للأفراد أو العلاقات الخاصة الدولية، باختيار القانون الملائم واجب التطبيق عليها. وهذا التنظيم قاصر لأن قواعد الإسناد ذاتها قليلة، إذ لا توجد قاعدة خاصة بكل علاقة من العلاقات الدولية للأفراد، بل جمع المشرع كل مجموعة من تلك العلاقات وخصها بقاعدة إسناد واحدة[٤٥]. وهنا ظهرت ضرورة تحديد الموضوع الذي تسري عليه قاعدة الإسناد، ويتم ذلك عن طريق ما يسمى بتحديد الأوصاف أو الطبيعة القانونية للمسألة محل النزاع، وتلك هي مشكلة التكييف القانوني.

كما أن ذلك التنظيم يثير التساؤل حول نطاق موضوع قاعدة الإسناد، ومدى الاختيار بين كافة القواعد القانونية التي تحقق التنظيم الذي تبتغيه. فهل يمكن لقاعدة الإسناد أن ترشد إلى قانون عام أجنبي، وهل يستطيع القاضي الوطني تطبيقه إذا بدأ أنه ملائم أو مكمل لتنظيم المسألة محل النزاع...؟ لذلك سنبحث في النقطة الاولى قاعدة الإسناد ومشكلة التكييف القانوني. وفي النقطة الثانية قاعدة الإسناد والقانون العام الأجنبي.

---

٤٣ – د. أشرف وفا محمد– المصدر السابق،١٤٧.

– د. فؤاد عبد المنعم رياض، د. سامية راشد– المصدر السابق، ص ١٥٥.

– د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي وتنفيذ الأحكام الأجنبية، ج٢، العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، توزيع المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٩، ص ١٢٠.

٤٤ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– المصدر نفسه، ص ١٣٣.

٤٥ – د. مرتضى نصر الله– تنازع الهيئات وتنازع الاختصاص القضائي، دار الحرية للطباعة، ١٩٦٥، ص ٨٩.

اولا/ قاعدة الإسناد ومشكلة التكييف

إن التكييف عملية ضرورية لابد منها في كل نزاع يعرض على المحكمة، وسواء كان ذلك في العلاقات الوطنية أو المشوبة بعنصر أجنبي. وبالتالي عملية التكييف هي تفسير للعلاقة القانونية وتعمل على تحديد مفهومها المجرد، وبواسطته تهتدي المحكمة إلى حكم القانون الذي يجب أن يحكم هذه العلاقة.

لقد عرف الكاتبان الفرنسيان بييه ونبواييه التكييف بأنه (الطبيعة القانونية التي يعترف بها الحاكم لعلاقة ما، أو لنظام قانوني معين). كما يعرفه الكاتب الانكليزي جيشاير بأنه (تحديد أو تخصيص النزاع المرفوع أمام المحكمة إلى الصنف القانوني الصحيح، والغرض منه هو إظهار القاعدة القانونية لفرض مسألة قواعد الإسناد).[٤٦]

ونلاحظ التعريفين السابقين متشابهين، لأن كل تعريف يهدف إلى تحديد العلاقة القانونية وتمييزها عن غيرها ثم إلحاقها بالنص القانوني الذي يلاءم طبيعتها أكثر،فالقاضي المعروض عليه النزاع يجب أن يحدد الأساس الصحيح الذي تقوم عليه دعوى المدعي، وبعد ذلك يتمكن من تطبيق قاعدة الإسناد تمهيداً لإسنادها إلى نظام قانوني. فمثلا إذا ثبت للقاضي أن هذا النزاع متعلق بالشكلية في التصرفات، فيرجع إلى قاعدة الإسناد الخاصة بالشكلية (شكل التصرف خاضع إلى دولة إبرامه)[٤٧].

أما إذا أتضح أن التصرف متعلق بالشروط الموضوعية أو الأهلية في العقود، فهنا يرجع إلى قاعدة الإسناد الخاصة بالأهلية مثلاً (الأهلية تحكم بقانون الجنسية أو الموطن)[٤٨].

لذلك يمكننا تعريف التكييف بأنه (عملية فنية تستهدف تحديد الطبيعة أو الوصف القانوني للمسألة التي تثيرها وقائع المنازعة ذات العنصر الأجنبي، ذلك بغية إدراجها في طائفة معينة من طوائف العلاقات القانونية التي وضع لها القانون قاعدة إسناد). وبالتالي لما كان التكييف لازما لتحديد القاعدة القانونية واجبة التطبيق، وصولا إلى الحل النهائي للنزاع، فإن للقاضي أن يستعين في ذلك بأطراف المنازعة في التعرف على التكييف الصحيح للمسألة المعروضة. غير أنه لا تثريب عليه إن طرح التكييف الذي اقترحوه، وأعطى الوصف القانوني السليم.

ثانيا/ قاعدة الإسناد والإحالة

إنَّ وجود العلاقات ذات العنصر الأجنبي الملازم لنمو الحياة الدولية للأفراد من علامات التطور في الوقت الحاضر، حيث لا توجد دولة تعيش بمعزل عن غيرها داخل حدودها. وكان لابد لكل نظام قانوني أن يعنى بمجابهة وتنظيم تلك العلاقات.ويتم ذلك عن طريق اشتماله على نوعين من القواعد القانونية (الموضوعية التي تحكم وتنظم العلاقات الوطنية و قواعد الإسناد التي تنظم وتحكم العلاقات الخاصة ذات العنصر الأجنبي). وهذا يعني إذا أرشدت قاعدة الإسناد في قانون القاضي أو اختارت قانونا أجنبيا معينا، كالقانون المصري أو الألماني أو الايطالي، فما هي القواعد الواجبة التطبيق في ذلك القانون؟ فهل تحدد

---

٤٦ – أنظر د. ممدوح عبد الكريم حافظ– المصدر السابق، ٢٥٧.

٤٧ – د. عاطف عبد الحميد ندا– المصدر السابق، ص ١٦٦.

٤٨ – المادة (١/١٨) من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.

قاعدة الإسناد الوطنية القواعد الموضوعية في القانون الأجنبي كالقواعد المنظمة لمسائل الأسرة أو العقود أو المسؤولية المدنية أو المواريث.... أم قواعد الإسناد في القانون المختار...؟

نأخذ مثلا لتقريب المعنى، هو أن ترفع دعوى ميراث تركة منقولة لمورث بلجيكي كان متوطنا وتوفى في العراق، أمام المحاكم العراقية التي ستحل النزاع طبقا للقانون البلجيكي،قانون دولة المورث وقت وفاته حسب قاعدة الإسناد العراقية (٢٢) مدني، ولن تنظر إلى قواعد الإسناد البلجيكية لرفض القانون العراقي لفكرة الإحالة (١/٣١) مدني. وعلى فرض أن ذات الدعوى رفعت أمام المحاكم البلجيكية، فأن قواعد الإسناد البلجيكية ستشير باختيار القانون العراقي باعتباره قانون موطن المتوفى، غير إنها لن تطبق قواعد قانون الأحوال الشخصية العراقي مباشرة، بل ستعمل أولا قواعد الإسناد العراقية، حيث تتبنى تلك المحاكم نظرية الإحالة، وتلك القواعد تشير باختصاص قانون دولة المتوفى، أي القانون البلجيكي والذي ستطبقه في النهاية على موضوع النزاع[٤٩].

علما فكرة الإحالة تأخذ بها بعض الدول وأخرى رافضة لها، فالاتجاه القابل مقتضاه، أنه أذا اختارت قاعدة الإسناد في قانون القاضي قانونا أجنبيا ليحكم المسألة محل النزاع، فانه يجب البدء بإعمال قواعد الإسناد في ذلك القانون،لمعرفة هل تؤكد الاختصاص له ولقواعده الموضوعية،أم أن قانون دولة أخرى هو الأجدر بالتطبيق. أما الاتجاه الرافض مقتضاه، يتم تقرير التزام القاضي الوطني أن يطبق مباشرة القواعد الداخلية أو الموضوعية في القانون الأجنبي الذي اختارته قاعدة الإسناد الوطنية، غاضا الطرف عن قواعد الإسناد في ذلك القانون، وما قد يؤدي إليه إعمالها[٥٠].

أما موقف المشرع العراقي واضح من نص المادة (١/٣١) مدني، على أنه (إذا تقرر أن قانونا أجنبيا هو الواجب التطبيق فإنما يطبق منه أحكامه الموضوعية دون التي تتعلق بالقانون الدولي الخاص). وبذلك أنضم القانون العراقي إلى طائفة القوانين المقارنة الرافضة للإحالة. ونعتقد كان من الأوفق أن يتبنى المشرع العراقي موقفا أكثر مرونة، ويقرر رخصة الأخذ بالإحالة كلما بدأ ذلك ملائما بالنظر للمصالح الوطنية، خاصة فيما يتعلق بالطرف المسلم في قضايا الأحوال الشخصية، وكذلك لصالح عقود التجارة الدولية. لذا نقترح تعديل المادة (٣١) مدني وجعلها بهذا الاتجاه.

المبحث الثاني: التنظيم القانوني لقاعدة الإسناد

نقصد بالتنظيم القانوني لقاعدة الإسناد، هو كيف تلقى المشرع الوطني الأفكار الفنية التي سبق أن عرضناها في المبحث الأول، وما هي قواعد الإسناد التي أستقر عليها القضاء في ظل التنظيم المعاصر للعلاقات الخاصة الدولية؟ ورأينا أن تلك القواعد في أغلبها إن لم تكن جميعها، من وضع المشرع الوطني في كل دولة. وهو أمر تفرضه اعتبارات انعدام السلطة الدولية التي يمكن أن تنهض بمهمة وضع تنظيم موحد أو قواعد موضوعية لحكم هذه العلاقات القانونية،فضلا عن عدم ميل الدول إلى التقيد باتفاقيات

٤٩ - Battiffol (h) et Lagard (p): Droit International Prive، éd، Paris، 1983. P.117

٥٠ – د. هشام علي صادق– تنازع القوانين دراسة مقارنة، ص ٢٢١.

دولية تقدم ذلك التنظيم، واستئثارها بوضع القواعد التي تعتقد إنها تحقق حماية مصالحها المختلفة. لذلك تتباين قواعد الإسناد من دولة إلى أخرى، وبالتالي اختلاف الحلول الموضوعية للعلاقات الخاصة الدولية. غير أن هناك العديد من قواعد الإسناد التي تعتبر مشتركة بين الكثير من الدول.وإذا تأملنا الوضع في القانون العراقي ندرك أنه قد أحتوى العديد من قواعد الإسناد المستقاة من القانون المقارن، خاصة القواعد المتعلقة بالتنازع من حيث المكان وكذلك الاختصاص التشريعي، وبذلك يكون المشرع العراقي قد حقق خطوة جيدة نحو التقارب والتناسق بين النظم القانونية المختلفة. لذا نقسم هذا المبحث إلى مطلبين، نتناول في الأول الحلول المقدمة من قبل قاعدة الإسناد للعلاقات القانونية المختلفة، والمطلب الثاني سنخصصه لدور القاضي في إعمال قاعدة الإسناد.

المطلب الأول: الحلول المقدمة من قبل قاعدة الإسناد

سنحاول تقديم الحلول الوضعية المتعلقة بمسائل الأشخاص كالحالة والأهلية وكذلك المتعلقة منها بالميراث والوصية، وهذا سيكون موضوع الفرع الأول. أما في الفرع الثاني سنتطرق للحلول الوضعية المتعلقة بالمعاملات المالية،سواء كانت الأموال المادية أو غير المادية. أما في الفرع الثالث سنخصصه لبيان الالتزامات التعاقدية وغير التعاقدية.

الفرع الأول: الحلول القانونية المتعلقة بمسائل الأشخاص

مسائل الحالة المدنية أو الأسرية للأشخاص، تثير العديد من مشاكل تنازع القوانين،بل الواقع العملي يدلل على أن تلك المشاكل تشغل الحيز الأكبر من القضايا التي تملأ ساحات القضاء. لذا سنبحث الحالة المدنية والأهلية في نقطة أولى، وفي النقطة الثانية سنخصصها لمسألة الميراث والوصية.

اولا/ الحالة والأهلية

جمع المشرع العراقي المسائل المتعلقة بالحالة بمعناها الخاص والأهلية في طائفة واحدة من قواعد الإسناد. ونعتقد أن المنطق القانوني تستدعي علاج تلك المسائل في هذا الفرع بنقطتين، الأولى للحالة والثانية للأهلية.

١) الحالة المدنية:- يقصد بالحالة (جملة الصفات التي تحدد مركز الشخص من أسرته ومن دولته، وهي صفات تقوم على أساس من الواقع كالسن والذكورة والأنوثة والصحة أو على أساس من القانون كالزواج والحجر والجنسية).[٥١] من خلال التعريف السابق يتضح أن المقصود بالحالة المدنية هو الحالة الشخصية، وهي التي تتعلق بصفات لصيقة بالشخص من أسم وذكورة وأنوثة ومن أمور تتعلق بأسرة الشخص كالزواج. ومن المسلم به أن الحالة المدنية يطبق عليها القانون الشخصي للفرد،وهذا ما سار عليه

٥١ – د. أشرف وفا محمد- المصدر السابق، ص ٢٦٤.

القانون العراقي والمصري والفرنسي[٥٢]. أما النوع الثاني من الحالة المذكورة في التعريف السابق، هو الحالة السياسية وهي تلك التي تتعلق بانتماء الفرد إلى الدولة، وهذه الحالة تخرج عن نطاق هذا البحث.

٢) الأهلية:- هي صلاحية الشخص للتمتع بالحقوق والالتزام بالواجبات، ولأن يباشر بنفسه الأعمال والتصرفات القانونية المتعلقة بهذه الحقوق أو تلك الالتزامات. وجاءت المادة (١/١٨) مدني أنه بالنسبة للأشخاص (ألأهلية يسري عليها قانون الدولة التي ينتمي إليها الشخص بجنسيته). وبذلك وحد القانون العراقي بين القانون الذي يحكم حالة الشخص والقانون الذي يحكم أهليته. حيث تقتضي إلا تتأثر بالحدود السياسية، بحيث يلحق الشخص قانون دولته أينما ذهب، أي قانون الدولة التي هو من رعاياها. والثابت قانونا هو أن الأهلية المدنية capacité civile للشخص على نوعين[٥٣]:

أ- أهلية الوجوب capacité de jouissance، وهي صلاحية الشخص أن تثبت له حقوقا أو تقرر عليه التزامات. وتثبت هذه للشخص فور ولادته حيا. وجميع الأشخاص متساوون في أهلية الوجوب.

ب- أهلية الأداء capacité d exercice،وهي قدرة أو كفاءة aptitude الشخص لمباشرة التصرفات القانونية. ومناط هذا المفهوم التمييز.

وعلى عكس أهلية الوجوب لا يتساوى الأشخاص في أهلية الأداء. فهي تتأثر من ناحية بالسن، فهناك الصبي غير المميز، والقاصر والبالغ الرشيد. وتتأثر من ناحية أخرى بسلامة العقل، فهناك المجنون والمعتوه يقتربان من وضع الصبي غير المميز، وهناك السفيه ذي الغفلة الذين يقتربان من وضع القاصر[٥٤].

بعد هذا الإيضاح المختصر، تثار مسألة خضوع كلا النوعين للأهلية للقانون الوطني، أي قانون الدولة التي ينتمي إليها من يثور نزاعا حول أهليته...؟

ونقول أن أهلية الأداء هي المقصودة، حينما تثار مسألة تنازع القوانين في الأهلية عموما. وهي التي تخضع للقانون الشخصي. والفقه الراجح يؤيد قصر قاعدة التنازع الخاصة بالأهلية على أهلية الأداء دون الوجوب. أي صلاحية الشخص للالتزام بمقتضى التصرفات الإرادية[٥٥].

أما بالنسبة للأشخاص الذين لم تكتمل أهليتهم سواء بسبب السن أو بسبب القصور العقلي. هذا يؤثر في حالة الشخص ووضعه في أسرته، وبتلك المثابة فهو من الأحوال الشخصية التي تخضع للقانون الوطني، أي قانون الدولة التي ينتمي إليها الشخص بجنسيته. وبهذا المعنى نصت المادة (٢٠) مدني على

---

٥٢ – أشارت المواد من (١٨ ــ ٢٣) من القانون المدني العراقي ر قم ٤٠ لسنة ١٩٥١. وأدخل من ضمنها إضافة إلى الصفات الطبيعية الأخرى العائلية مثل النفقة والوصايا والمواريث والنسب والزواج والطلاق والولادة.
– د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– ج٢، المصدر السابق، ص ٨٨.

٥٣ – د. عبد الرزاق السنهوري– المصدر السابق، ص ١٥٤.
– د. حسن علي الذنون– المصدر السابق، ص ١٨٩.

٥٤ – د. عبد الباقي البكري، د. زهير طه البشير– المدخل لدراسة القانون، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة بغداد، ١٩٨٩،ص ٢٩٣.

٥٥ – د. عكاشة محمد عبد العال، د. هشام علي صادق– المصدر السابق، ص ٢٨٩.
– د. أشرف وفا محمد– المصدر السابق، ص ٢٤١.

أن (المسائل الخاصة بالوصاية والقوامة وغيرها من النظم الموضوعة لحماية عديمي الأهلية وناقصيها والغائبين يسري عليها قانون الدولة التي ينتمون إليها). وهذا ما أخذت به القوانين العربية[٥٦].

ثانيا/ الميراث والوصية

أذا توفي شخص وترك وراءه أموالا وحقوقا مالية سميت تركة astate. وبعد أن يؤدى منها ما علق بها من حقوق، تنتقل ملكية ما يتبقى إلى خلفاء المتوفى. والخلافة في أموال التركة بسبب الموت mortes causa قد يكون مصدرها القانون، هذا هو الميراث الشرعيsuccession légitime، والوارث هنا هو الخلف الطبيعي للمتوفى. وقد يكون مصدرها تصرفا قانونيا منفردا أو اتفاقيا، وهذه هي الوصية testamentaire، أو التصرفات الأخرى المضافة إلى ما بعد الموت، كالهبة ونحوها[٥٧]. لذا سنخصص للميراث والوصية لكل منهما نقطة مستقلة.

١- **الميراث:-** تختلف النظم القانونية في تكييفها لطبيعة أيلولة التركة من المورث إلى الورثة بسبب الموت. فمنها يعتبر الأمر من مسائل الأحوال الشخصية، فقوامها الاعتبار الشخصي وصلة القرابة بين المورث ومن ستؤول إليه تركته. فالمصلحة العائلية وتنظيم الأسرة وكفالة التضامن بين أفرادها هو الذي يهيمن على أيلولة التركة. فالأمر يتعلق بخلافة أسرية succession familial أكثر منها ملكية مجردة للأموال[٥٨]. فالاعتبارات الأسرية ودرجة القرابة هي الفيصل في تقرير مبدأ التوارث ذاته، وفي تحديد من هو الوارث وشروط توريثه ومرتبته ونصيبه..... وتلك المثابة، فأن القانون واجب التطبيق على الميراث هو القانون الذي يحكم عموما مسائل الأحوال الشخصية. أي هو القانون الشخصي، ولما كان المورث هو حجر الزاوية إذ لا تركة بدون مورث، فأن القانون الشخصي للمورث يكون هو الواجب التطبيق على الميراث،أي قانون الدولة التي ينتمي إليها بجنسيته، وهو يسري على مجموع التركة دون تفرقة بين منقول وعقار، وأيا كان موقع ذلك المنقول أو العقار. وهذا هو موقف المشرع العراقي في المادة (٢٢) مدني على أنه (قضايا الميراث يسري عليها قانون المورث وقت وفاته...).

وعلى العكس من الاتجاه السابق، تذهب بعض النظم القانونية إلى اعتبار الميراث من مسائل الأحوال العينية، فقوامه مال أو شيء مالي يتم تملكه عندما يتحقق سبب الملكية الخاص به، وهو موت صاحبه والعبرة هنا بموضوع أو محل الملكية، وهو المال المكون للتركة، وليس للمورث ويجب أن يخضع تملك ذلك المال لذات الأنظمة المتعلقة بالملكية عموما، لما لذلك من أهمية اقتصادية واجتماعية وسياسية بالنسبة للمجتمع. وبهذا الاتجاه أخذت القوانين الفرنسية والبلجيكية والانكليزية والأمريكية والكندية والاسترالية[٥٩].

---

٥٦ – د. عبد الرزاق السنهوري– المصدر السابق، ١٥٤.

٥٧ – د. أحمد الخطيب، د. أحمد الكبيسي، د. محمد عباس السامرائي– قانون الأحوال الشخصية، بغداد، ١٩٨٠، ص ١٤١.

٥٨ – أحمد الخطيب، د. أحمد الكبيسي، د. محمد عباس السامرائي– المصدر السابق، ص ١٤٥.

٥٩ – Battiffol (h) et Lagard (p): op.cit.p.155

٢- **الوصية:-** هي تصرف قانوني بإرادة منفردة مضاف إلى ما بعد الموت، بمقتضاه ينقل الموصي إلى الموصى له على وجه التبرع ملكية كل أو بعض أمواله أو أي حق آخر من حقوقه المالية. وعلى خلاف الميراث تبدو الوصية وكأنها أداة يحدد بها الموصي مصير بعض أو كل أمواله بعد وفاته، على نحو مختلف عن ما كان سينظمه بها القانون، إذا مات من غير وصية. أما أهلية الموصي للايصاء من المسائل التي يحكمها قانون الموصي وقت موته، باعتبارها من الشروط الموضوعية لصحة الوصية، أو التصرف المضاف إلى ما بعد الموت[٦٠]. وقد أشارت المادة (١/٢٣) مدني (قضايا الوصايا يسري عليها قانون الموصي وقت موته...). ونحن نقترح حلا تخييري مقتضاه أنه يكفي أن تتوفر الأهلية لدى الموصي وقت أبرام الوصية، فإن كان ناقص الأهلية في ذلك الوقت وصار أهلا وقت الوفاة، فإن وصيته تكون صحيحة.أي الأخذ بالوقت الأصلح لصحة الوصية. أما عن أهلية الموصى له لتلقي الوصية، فهي تخضع لقانون الدولة التي ينتمي إليها وقت قبوله الوصية، لأن القبول عمل قانوني يلزم في صاحبه الأهلية وقت القيام به. ولما كانت الوصية لا تكون لازمة إلا بموت الموصي، فإن العبرة دائما بوقت قبول الموصى له، بعد موت الموصي.

الفرع الثاني: الحلول الوضعية بشأن المسائل المتعلقة بالمعاملات المالية

المال في القانون هو الحق الذي يمكن تقويم محله بالنقود[٦١]. وينقسم المال إلى أموال مادية مثل العقار والمنقول وأموال معنوية مثل الملكية الفكرية (الأدبية والفنية والصناعية)،وأيا كان نوع المال فأنه قد يكون محلا لعلاقة قانونية تثير التنازع المشوب بعنصر أجنبي بين قوانين الدول المختلفة، مما ينبغي حل هذا التنازع بتكييف طبيعة موضوعه أولا وفقا لقانون موقعه، ومن ثم تعيين القانون الواجب تطبيقه عليه، بإعمال قواعد الإسناد الوطنية. ولهذا سنبحث في نقطة اولى القانون الذي يحكم الأموال المادية، والأموال غير المادية في النقطة الثانية على التوالي.

اولا/ الأموال المادية

لقد عرف المشرع العراقي المال بالمادة (٦٥) مدني على أنه (هو كل حق له قيمة مادية). وتنص المادة (٦١) مدني على أنه (كل شيء لا يخرج عن التعامل بطبيعته أو بحكم القانون يصح أن يكون محلا للحقوق المالية). وسواء كان هذا الشيء ملموساً وله وجود مستقل عن وجود الإنسان ويمكن حيازته أو يمكن تملكه والانتفاع والتعامل به. من المعروف أن المشرع عموما في بناءه لقواعد الإسناد، يحدد ضابط الإسناد انطلاقا من العنصر الذي يشكل مركز الثقل في العلاقة القانونية ذات الطابع الدولي. وعنصر المحل أو الموضوع l objet هو مركز الثقل بخصوص المعاملات التي يكون المحل، أي موقع المال ضابطا لقاعدة الإسناد، يتحدد به القانون واجب التطبيق على منازعات الأموال، وبالتالي في مسائل الأموال

٦٠ – د. غالب علي ا لداودي– القانون الدولي الخاص، المصدر السابق، ص ١٨٧.
٦١ – المادة ٦٥ من القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.

المادية، يسري على النظام القانوني للأموال المادية قانون الدولة التي فيها موقع تلك الأموال[٦٢].والأموال المادية تقسم إلى عقار ومنقول، وسوف نرى طبيعة القوانين التي تطبق عليهما، أذا ما كان أحدهما محل للنزاع.

١) العقار:- نصت المادة (٦٢) مدني معرفة العقار على أنه (١- العقار كل شيء له مستقر ثابت بحيث لا يمكن نقله أو تحويله دون تلف فيشمل الأرض والبناء والغراس والجسور والسدود والمناجم وغير ذلك من الأشياء العقارية).أما فيما يتعلق بالقانون الواجب التطبيق على العقار هو قانون موقعه، وهذه القاعدة أخذت بها جل التشريعات في العالم لاعتبارات عدة منها ذات طابع سياسي لكونه يمثل جزء من إقليم الدولة، ولاعتبار اقتصادي مقتضاه أن أحكام النظام القانوني للمال العقاري يتصل بالتنظيم الاقتصادي في الدولة وضبط مواردها والتعامل في ثروتها[٦٣]، كذلك اعتبار قانوني حيث يجعل الاختصاص القضائي بالمنازعات المتعلقة بالمال العقاري لمحكمة موقع العقار (٣٦) مرافعات عراقي[٦٤]، بحسبان أن تلك المحكمة هي الأقدر على الفصل في تلك المنازعات لقربها من العقار.وكذلك تختص هذه المحكمة في تكييف طبيعة المال من حيث كونه منقولا أو عقارا، حيث يخضع للقانون العراقي كونه موقع المال، وتنص المادة (٢/١٧) على أنه (ومع ذلك فأن القانون الذي يحدد ما إذا كان الشيء عقارا أو منقولا هو قانون الدولة التي يوجد فيها هذا الشيء). وهذا أصبح من المبادئ الشائعة في القانون الدولي الخاص.

٢) المنقول:- تنص المادة (٢/٦٢) مدني على أنه (والمنقول كل شيء يمكن نقله أو تحويله دون تلف فيشمل النقود والعروض والحيوانات والمكيلات والموزونات وغير ذلك من الأشياء المنقولة). قبل كل شيء لابد من الإشارة إلى أن قانون موقع المال هو الذي يعتمد في تكييف المال موضوع النزاع من حيث أنه منقول أو غير منقول كما سبق أن ذكرنا ذلك.

أما بصدد القانون الواجب التطبيق في النزاع المشوب بعنصر أجنبي المتولد من التصرف في الأموال المنقولة. فقد اختلفت آراء الفقهاء وظهرت عدة نظريات، منها نظرية قانون مكان إبرام عقد التصرف في المنقول، ونظرية قانون موطن المالك، ونظرية القانون الأكثر ملاءمة، ونظرية قانون مكان وجود المال، وهذه النظرية الأخيرة هي الأرجح بنظر هؤلاء الفقهاء[٦٥]، لكونها تذهب إلى ضرورة حكم الأموال المنقولة بقانون مكان وجودها، لأن هذا الحل يتفق مع توقعات كل شخص متوسط الحرص.كما ترجح

---

٦٢ – د. أحمد مسلم– القانون الدولي الخاص المقارن في مصر ولبنان، منشورات الحلبي، بيروت، ١٩٦٦، ص ٧٨.

٦٣ – ولهذه الأسباب أيضا لا تبيح قوانين بعض الدول الأجنبية تملك العقارات فيها إلا ببعض القيود، كاشتراط مبدأ المقابلة بالمثل وتحديد المقدار المسموح تملكه وضرورة استحصال إذن مسبق بذلك، كما في العراق والسعودية والسويد. وهناك دول أخرى تمنع تملك الأجنبي لنوع معين من العقارات فيها محافظة على الثروة الوطنية والاقتصاد القومي، كالأراضي الزراعية في مصر والعراق ورومانيا والأردن.

– د. غالب علي الداودي– القانون الدولي الخاص الأردني، المصدر السابق، ص ١٩٤.

٦٤ – نصت المادة ٣٦ على أنه (تقام الدعوى في محكمة محل العقار إذا تعلقت بحق عيني وإذا تعددت العقارات جاز إقامة الدعوى في محل أحدها). قانون المرافعات العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩.

٦٥ – د. غالب علي الداودي– المصدر السابق، ص ١٩٦.

–كذلك أنظر د. ممدوح عبد الكريم– المصدر السابق، ص ٣٠٨.

هذه النظرية على غيرها خاصة مع اختلاف الموطن والجنسية لأطراف العلاقة، لأنها تؤمن الضمان والاطمئنان والاستقرار في المعاملات الدولية الخاصة بالأموال المنقولة.

ثانيا/ الأموال غير المادية

هناك من الأموال ما لا يدرك باللمس، بل بالحواس الأخرى ويعترف بالحقوق التي تقرر عليها، وتسمى بالأموال المعنوية وما يرد عليها من حقوق هي حقوق معنوية غير مادية. والقانون يعطي سلطة مباشرة لشخص على هذا الشيء المعنوي، تمكنه من الوصول إلى منفعة مالية وأن يحتكر لنفسه هذه المنفعة المالية، التي يمكن أن تنتج من نشر تلك الفكرة أو استغلال ذلك الاختراع[٦٦]، ومنه حق المؤلف على مصنفه الأدبي أو الموسيقي أو السينمائي أو المسرحي أو العلمي أو المتعلق ببرامج الحاسوب الآلي وغيرها وتسمى (الحقوق الأدبية والفنية). والملكية الصناعية، ومنها حق المخترع على اختراعه والنماذج الصناعية والعلامات التجارية وغيرها. وتنص المادة (١/٧٠) مدني على أنه (الأموال المعنوية هي التي ترد على شيء غير مادي كحقوق المؤلف والمخترع والفنان). كما أن الفقرة (ب) من المادة (٢٧) من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الصادر عام ١٩٤٨، نص على أن (لكل إنسان الحق في حماية مصالحه الأدبية والمادية الناشئة عن أي إنتاج أنتجه في ميدان العلوم والآداب والفنون).ومن قبله الاتفاقيات الدولية التي جاءت لتؤكد هذه الحماية، منها اتفاقية باريس لحماية الملكية الصناعية لعام ١٨٨٣، واتحاد برن لسنة ١٨٨٦ الخاص بالملكية الأدبية والفنية، واتفاقية مدريد الخاصة بالملكية الصناعية لسنة ١٨٩١ والمعدلة باتفاقية لندن لسنة ١٩٣٤، والاتفاقية العالمية للملكية الفكرية الموقعة في ستوكهولم عام ١٩٦٧[٦٧]. لذا سنحاول بحث الحقوق الأدبية والفنية في نقطة أولى، وحقوق الملكية الصناعية في نقطة ثانية على التوالي.

١- **الحقوق الأدبية والفنية:-** إن مشكلة حماية حق ملكية تلك الأنواع من مصنفات الإبداع الفكري، خاصة في الوقت المعاصر امتدت الحماية إلى صور جديدة لازمت التطور التقني والعلمي. حيث أصبح ضرورة ملحة في ظل التقدم المذهل لوسائل الاستنساخ والاتصال، ومن بث مباشر بالأقمار الصناعية. فمن المتعذر القول بأن الحق ألاستئثاري للمؤلف على مصنفه أيا كان نوعه، مازال مصونا مع تزايد حركة السرقات الأدبية وتقليد أو تزييف المصنفات عبر الحدود.

فلا شك أن الانتشار المروع للقرصنة الفكرية في مجال المصنفات الأدبية والفنية، ومجال التسجيلات الصوتية والسمعية البصرية والأفلام عبر الحدود، يثير مخاطر ليس فقط بالنسبة لحقوق المؤلفين الأدبية والفنية والمالية، بل كذلك بالنسبة لحركة الإبداع الثقافي والعلمي في كل دولة[٦٨]. لذلك تظهر أهمية تحديد القانون الواجب التطبيق على النزاع فيما يتعلق بهذه المصنفات، ففي حالة النشر يطبق قانون الدولة التي

٦٦ – د. محمد حسين عباس– الملكية الصناعية، دار النهضة العربية،القاهرة، ١٩٧٦،ص ١٣٨.
٦٧ – د. عز الدين عبد الله– القانون الدولي الخاص،ج٢، ط٩، المصدر السابق، ص ٢٠٩.
٦٨ – د. عز الدين عبد الله– المصدر نفسه، ص ٢١٦.

تم فيها النشر الأول للمصنف، ولكن ما الحل لو تم النشر في وقت واحد في أكثر من دولة...؟ الرأي الراجح هو تطبيق قانون الدولة التي تم فيها النشر الرئيسي للمصنف، وهو قد يكون قانون الدولة التي تم فيها النشر قبيل تمام النشر في الدول الأخرى، أو الدولة التي تطرح فيها العدد الأكبر من نسخ المصنف. فأن تعذر الترجيح بين تلك الدول، كانت العبرة بقانون الدولة التي يتوطن فيها صاحب المصنف. أما في حالة عدم النشر فأن الأقرب هو تقرير الاختصاص للقانون الوطني أو الشخصي لصاحب المصنف. وهذا الحل أخذت به اتفاقية برن لعام ١٨٨٦ والمعدلة في استكهولم عام ١٩٦٧ في المادة (١/٣)[٦٩]. والمتأمل في كتابات الفقه العراقي يدرك أنه أقتصر على عرض الحلول في القانون المقارن، لاسيما التقليدية منها،دون إيضاح حقيقة الحل الواجب إتباعه في القانون العراقي، وذلك من خلال قواعد ذلك القانون المتعلقة بحماية حق المؤلف. وعلى أي حال فإننا نرى أن القانون العراقي لا تمانع نصوصه من الأخذ بالاتجاه المعاصر، في اختصاص قانون الدولة التي يطلب فيها الحماية، أي قانون القاضي.

٢- **حقوق الملكية الصناعية:-** لا يقتصر الإبداع الذهني على مجالات الآداب والفنون والعلوم الاجتماعية، بل يتعداها إلى مجالات العلوم التطبيقية الصناعية والطبية والزراعية... واليوم نسمع عن الثورة في التكنولوجيا التي توهجت بتقدم ونمو حركة الابتكار والاختراع، والاكتشافات العلمية، وكل ذلك أدى إلى التفاوت في مستويات النمو الاقتصادي والاجتماعي بين الدول. وظهر لنا دول تمتلك من الأسرار والابتكارات والاختراعات التكنولوجية وتعتبر دول متقدمة. بينما هناك نوع آخر من الدول التي لا تولي عناية بالطاقات الإبداعية والابتكارية لأبنائها، ولا تكفل لهم الحماية الواجبة. أما فيما يتعلق بالقانون الواجب التطبيق على هذا النوع من الأموال، هو القانون الخاص بالدولة التي منحت فيها براءة الاختراع[٧٠]، وذلك لأن البراءة هي التي تنشئ حق المخترع.أما فيما يتعلق بالقانون الواجب التطبيق على الرسوم والنماذج الصناعية، هو قانون القاضي كما يسري هذا الأخير على الجزاءات الجنائية التي يمكن الحكم بها عندما تشكل أفعال الاعتداء جريمة معاقب عليها قانونا[٧١]. أما بالنسبة للحماية المقررة للعلامات التجارية، الحقيقة تخضع لمبدأ إقليمية الحماية[٧٢]، بمعنى أنه إذا تم تسجيل علامة تجارية في دولة معينة، اقتصر حق احتكار المالك في استعمالها على حدود إقليم الدولة التي سجلت فيها العلامة، أي لا تمتد حماية العلامة إلى خارج ذلك الإقليم.

الفرع الثالث: الحلول الوضعية المتعلقة بالالتزامات التعاقدية وغير التعاقدية

التصرف القانوني هو إظهار للإرادة بغية تحقيق آثار قانونية، والالتزام التعاقدي هو حالة قانونية مصدرها العقد ويكون فيها على شخص القيام بعمل أو عدم القيام بعمل معين أو إعطاء شيء ذي

٦٩ – د. غالب علي الداودي– المصدر السابق، ص ٢٠٧.
٧٠ – (وهي الحق في الاستثمار بتطبيق اختراع صناعي). د. محمد حسين عباس– المصدر السابق، ص ١١٠.
٧١ – د. غالب علي الداودي– المصدر السابق، ص ٢٠٨.
٧٢ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– المصدر السابق، ص ١٤١.

قيمة مالية[٧٣]. أما المقصود بالالتزامات غير التعاقدية، وهي الناشئة عن الفعل الضار الذي تبنى عليه المسؤولية التقصيرية، والالتزامات الناشئة عن الفعل النافع (الإثراء دون سبب مشروع)[٧٤]،لذا سنبين القانون الواجب التطبيق في كل حالة على حدة بنقطتين، الأولى نخصصها للالتزامات التعاقدية، والثانية للالتزامات غير التعاقدية على التوالي.

اولا/ الالتزامات التعاقدية

العقد فقها هو توافق إرادتين على إحداث أثر قانوني معين، يتمثل في التزام شخص أو أكثر في مواجهة شخص آخر بإعطاء شيء أو القيام بعمل أو الامتناع عن عمل[٧٥].أما تعريف العقد في القانون العراقي بالمادة (٧٣) مدني على أنه (هو ارتباط الإيجاب الصادر من أحد العاقدين بقبول الآخر على وجه يثبت أثره في المعقود عليه). وإذا كان العقد يلعب في القانون الداخلي دورا أساسيا في تبادل وتداول الثروات والخدمات، فإن ذلك الدور يتعاظم في القانون الدولي الخاص.

فالعقود الدولية هي التي تسيير التجارة الدولية، ووسيلة المبادلات الاقتصادية عبر الحدود، وتتنوع تلك العقود بتنوع محلها، مثل عقد البيع الدولي وعقد التأمين وعقد القرض الدولي وعقود نقل التكنولوجيا وعقود الأشغال والتجهيز والتوريد وعقود التعاون الصناعي وعقود الاستثمار والتنمية وغيرها...

أما فيما يتعلق بالقانون الواجب التطبيق على هذا النوع من العقود، فقد أستقر في مختلف النظم القانونية مبدأ العقد شريعة المتعاقدين، في الحدود التي ينشأ فيها وفقا للقانون،إذ من الطبيعي أن يرتضى الشخص التعاقد كلما كان في ذلك مصلحته، فالرضا دليل وإن كان غير بات. وفي حدود المصلحة العامة ترك القانون للأفراد حرية تنظيم عقودهم وتضمينها من الشروط ما يكفل تحقيق مصالحهم. وهذا هو مبدأ سلطان الإرادة في علاقات القانون الداخلي[٧٦].بيد أن القانون قد ارتأى من الملائم تمديد العمل بمبدأ سلطان الإرادة إلى ميدان العلاقات الدولية والاتفاقات الخاصة ذات العنصر الأجنبي، بما أن للمتعاقدين حرية بناء وإنشاء عقدهم فلهم أيضا بخصوص العقود الدولية حرية اختيار القانون الذي يحكم تصرفاتهم الإرادية[٧٧].

فإذا كانت تلك التصرفات والعقود تتصل بالنظام القانوني لأكثر من دولة، فهذا يعني أنها توجد في فراغ قانوني، بل لابد أن تخضع في تكوينها وشروطها وأثارها لقانون أو نظام قانوني معين وتحديد ذلك القانون هو عمل المتعاقدين أنفسهم، فلهم اختيار القانون واجب التطبيق على عقدهم، وهذا هو مبدأ

---

٧٣ – د. عبد الرزاق السنهوري– المصدر السابق، ص ٢٥٤.

٧٤ – د. حسن علي الذنون– المصدر السابق، ص ٢٠١.

٧٥ – د. حسن علي الذنون– المصدر نفسه، ص٢٠٠.

– د. عبد الرزاق السنهوري– المصدر السابق، ص ٢٥١.

– د. بلحاج العربي– النظرية العامة للالتزام في القانون المدني الجزائري، ج١، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص ٤٠.

٧٦ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– علم قاعدة التنازع، المصدر السابق، ص ٢٢٥.

٧٧ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– المصدر السابق، ص ١٥١.

قانون الإرادة lex Voluntari في العقود الدولية[٧٨]. و لكن نريد أن نبين أن إرادة الأشخاص مقيدة بوجود صلة بين العقد والقانون المختار، حيث يتصل العقد بالقانون المختار أما بجنسية أحد المتعاقدين أو بموطنه أو بمحل إبرام العقد أو محل التنفيذ، وقد تأتي الصلة بين العقد والقانون المختار من حاجة التجارة والمعاملات الدولية. وهنا يجب التفرقة بين موضوع العقد الذي يخضع لقانون الإرادة المشار إليه، وهذا ما أخذت به إيطاليا وفرنسا وانكلترا والدنمارك والمجر، ومن الدول العربية مصر وسوريا وليبيا ولبنان والأردن [٧٩]، أما موقف المشرع العراقي فكان واضحاً بالأخذ بهذا الاتجاه من خلال النص صراحة في المادة (١/٢٥) مدني على أنه (يسري على الالتزامات التعاقدية قانون الدولة التي يوجد فيها الموطن المشترك للمتعاقدين إذا اتحدا موطنا، فإذا اختلفا يسري قانون الدولة التي تم فيها العقد هذا ما لم يتفق المتعاقدان أو يتبين من الظروف أن قانونا آخر يراد تطبيقه). يتبين لنا من هذا النص أن المشرع قد أخضع الالتزامات التعاقدية للقانون الذي يختاره المتعاقدان بإرادتهما الصريحة، إن أعلن عنها في العقد وإلا فبإرادتهما الضمنية، التي يمكن للقاضي أن يستخلصها من ظروف الحال، ومن خلال تقصيه للإرادة الضمنية وألا تخضع ل رقابة محكمة التمييز لأنها مسألة تتعلق بتفسير العقد[٨٠].

أما إذا لم توجد إرادة صريحة ولم يستطع القاضي أن يستكشف من ظروف الحال إرادتهما الضمنية، فقد أفترض القانون أن المتعاقدين قد أرادا قانون موطنهما المشترك هذا إذا اتحدا موطنا، أما إذا اختلفا موطنا فقد أفترض أن القانون المختار هو قانون الدولة التي يتم فيها العقد. وهذا هو اتجاه محكمة التمييز في العراق والأردن[٨١].

أما المسائل التي تخرج عن قانون العقد، فهي كل من الأهلية والشكل، إذ قرر القانون العراقي إخضاع كل منهما إلى قاعدة إسناد خاصة بها، فالأهلية حسب المادة (١٨) مدني تخضع لقانون الجنسية، أما شكل التصرف فيخضع لقانون محل إبرام العقد، وهذا ما أشار إليه القانون العراقي بالمادة (٢٦) مدني على أنه (تخضع العقود في شكلها لقانون الدولة التي تمت فيها).

---

٧٨ – د. فؤاد عبد المنعم رياض، د. سامية راشد– المصدر السابق، ص ٣٧٥.

٧٩ – د. هشام علي صادق– القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، دراسة تحليلية ومقارنة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥، ص ١٦٦.

٨٠ – د. عز الدين عبد الله– محاضرات في تنازع القوانين في العقد، (طلبة الدكتوراه في الكويت)، للعام الدراسي ١٩٧٢/ ١٩٧٣، ص ٢٢.

٨١ – جاء في قرار لمحكمة التمييز، بغداد، رقم ١٠٤ حقوقية، ١٩٥٨ بتاريخ ٢٨/٥/ ١٩٥٨. حيث أن العقد قد تم في لندن فيكون القانون الانكليزي هو المطبق.

– وجاء كذلك في قرارها المرقم ٢٤٠٣، حقوقية، ١٩٦٦ بتأريخ ١٩/ ٢/ ١٩٦٧. أن القانون المنطبق على هذه الحادثة القضائية هو القانون الانكليزي لأنه قانون الدولة التي تم فيها العقد.

– أنظر د. حسن محمد الهداوي– المصدر السابق، ص ٢٠٦.

– كذلك اتجاه محكمة التمييز الأردنية بموجب قرارها/ تمييز، حقوق، رقم ٥٣٩ م ٨٣ الصادر في ١٩٨٣/١١/١٠ والذي جاء فيه، (إذا لم يتحد الموطن الذي يقيم فيه المتعاقدان، فأن قانون الدولة التي تم فيها العقد هو الواجب التطبيق عملا بالفقرة الأولى من المادة (٢٠) من القانون المدني، ولا يترتب على تسجيل فرع الشركة الأجنبية في الأردن اعتبار الأردن موطنا لمركز الشركة الرئيسي مادام أن العقد مبرم بين المدعي والمركز الرئيسي للشركة خارج الأردن).

– كذلك أنظر قرار محكمة التمييز الأردنية، حقوق، رقم ٤٧٠/ ١٩٩٨، المنشور في مجلة نقابة المحامين، السنة ٣٧، العدد العاشر، ص ١٩– ٢٠.

ثانيا/ الالتزامات غير التعاقدية

ليست الأعمال التعاقدية الدولية وغيرها وحدها من أسباب ودلائل نمو العلاقات الاقتصادية والاجتماعية للأفراد عبر الحدود،بل توجد إلى جوارها الأعمال الضارةTORTIOUS ACTS، التي تستوجب المساءلة المدنية لمن تسبب بوقوعها، وتنظم مختلف القوانين المسؤولية المدنية للأشخاص ليس فقط عما يحدثونه من ضرر بأعمالهم الشخصية، بل أيضا عما يترتب على أعمال من يعتبر أنهم مسؤولون عنهم، أو على فعل الأشياء التي في حراستهم.

وكذلك الفعل النافع الذي يترتب عليه إثراء شخص على حساب شخص أخر بشكل يؤدي إلى اغتناء الذمة المالية للثاني دون سبب مشروع[٨٢]، وتثير المسؤولية عن الأعمال الضارة أو النافعة مشكلة تنازع القوانين، إذا تطرق إلى أحد عناصرها العنصر الأجنبي أو الطابع الدولي، ويدل الواقع العملي على تزايد عدد دعاوى المسؤولية ذات العنصر الأجنبي وتنوع أنماطها بتنوع مظاهر المدنية الحديثة، ونوع العلاقات التي تتم عبر الحدود[٨٣]. أما فيما يتعلق بالقانون الواجب التطبيق على هذا النوع من الالتزامات غير التعاقدية، هو قانون الدولة التي وقع فيها ذلك العمل الذي سبب الاغتناء أو الأضرار للغير، وجاء القانون العراقي بهذا الاتجاه، حيث نصت المادة (٢٧) مدني على أنه (الالتزامات غير التعاقدية يسري عليها قانون الدولة التي حدثت فيها الواقعة المنشئة للالتزام). فإذا كان الأمر كذلك، فبالتأكيد هناك صعوبات الفنية التي تعترض القاضي عند تشخيصه لذلك القانون وأعمال قاعدة الإسناد المقررة لاختصاصه[٨٤]. فقد يقع العمل الضار في دولة ويترتب الضرر في دولة أخرى،فبأي قانون الدولتين يعتد...؟ وكذلك إذا وقع العمل في مكان لا يخضع لسيادة دولة محددة كالأعمال التي تقع على ظهر السفن أو على متن الطائرات وهي في أعالي البحار، أو في الفضاء الحر فوق تلك المناطق...؟

١) الحوادث التي تقع على ظهر السفن أو على متن الطائرات:-

بالنسبة للحوادث التي تقع في النطاق الإقليمي،لا خلاف في أنه إذا كانت السفينة أو الطائرة لا تزال وقت حدوث الواقعة المنشئة للالتزام بالتعويض، في المجال البحري أو الجوي للدولة المسجلة بها السفينة أو الطائرة أي دولة العلم. فإن قانون تلك الدولة يكون هو المختص.أما في حالة الارتطام بين سفينتين أو طائرتين في المياه الإقليمية أو الفضاء الجوي لدولة معينة، فإن الاختصاص يكون لقانون الدولة التي وقع حادث التصادم داخل نطاق إقليمها البحري أو الجوي، عملا بمبدأ إقليمية القوانين[٨٥].

أما بالنسبة للحوادث التي تقع في النطاق الحر، يكاد ينعقد الإجماع هنا على أن استحالة التركيز الإقليمي للأعمال الضارة تفرض اللجوء إلى تركيز مجازي لوسيلة النقل التي ارتكبت تلك الأعمال عليها، وبالتالي إعطاء الاختصاص لقانون العلم الذي تحمله تلك الوسيلة السفينة أو الطائرة.

---

٨٢ - د. حسن علي الذنون- المصدر السابق،ص٢٢٣.
٨٣ - د. هشام علي صادق- تنازع القوانين، المصدر السابق، ص ٢٣٣.
٨٤ - د. غالب علي الداودي- المصدر السابق، ص ٢٢٤.
٨٥ - د. غالب علي الداودي- المصدر نفسه، ص ٢٢٩.

أما إذا حدث تصادم بين سفينتين أو طائرتين في أعالي البحار أو الفضاء الحر،يجري القضاء الانكليزي على تطبيق قانون القاضي في هذا الخصوص، ونحن نؤيد هذا الاتجاه على اعتبار قانون القاضي يعد دائما صاحب الاختصاص الاحتياطي في حالة عدم وجود قاعدة إسناد تحدد القانون الواجب التطبيق(٨٦).

بينما اتجاه الدول الأخرى، تميل إلى تطبيق قانون الدولة التي تحمل السفينة التي لحقها الضرر علمها، على أساس أن المضرور هو الطرف الأولى بالرعاية، كما وأن غاية القواعد المنظمة للمسؤولية المدنية عموما هو تعويض الضرر لا الجزاء على الأنشطة غير المشروعة(٨٧).

٢) المسؤولية عن الإضرار البيئية:-

البيئة هي مجموع العناصر الطبيعية والصناعية التي تمارس فيها الحياة الإنسانية، أو هي الوسط الذي يعيش فيه الكائن الحي ويساعده على البقاء ودوام الحياة. وقد تتعرض مختلف عناصر البيئة لتهديد خطير لا يتأتى فقط من الاستنزاف الجائر وغير الرشيد لمواردها وثرواتها، بل من أنشطة التلوث التي تتفاقم أخطارها يوما بعد يوم(٨٨).

أذن الإضرار البيئية عادة ما تكون لها امتدادات ذات طابع دولي، خاصة ما يجري الآن بطمر النفايات النووية في بعض المناطق، والتي تمس المصالح المشروعة للعديد من الدول ولأفراد شعوبها، لذلك تحرص الدول على إبرام الاتفاقيات الدولية التي تتضمن قواعد موضوعية واجبة التطبيق على مسائل المسؤولية المدنية عن تلك الأضرار، مثل اتفاقية بروكسل لعام ١٩٦٩ المتعلقة بالمسؤولية عن أضرار التلوث بالبترول، واتفاقية بروكسل لعام ١٩٦٢ المتعلقة بمسؤولية مشغلي السفن النووية، واتفاقية فيينا لعام ١٩٦٣ الخاصة بالمسؤولية المدنية عن الأضرار النووية. وإذا انعدمت الحلول الموضوعية في الاتفاقيات، تعين على القاضي البحث عن القانون واجب التطبيق طبقا لقواعد التنازع الوطنية، ولا خلاف في أن إعمال تلك القواعد سيقود إلى تقرير الاختصاص للقانون الوطني.

ولكن نحن نطرح سؤال...ماذا لو كان العمل البيئي الضار قد وقع في دولة من قبل شخص ورتب ضررا لشخص آخر كلاهما يتوطنا في دولة واحدة أو يحملان جنسية مشتركة، فيكون القانون الواجب

---

٨٦ – د. ممدوح عبد الكريم حافظ- المصدر السابق، ص ٢٩٧.

٨٧ – وهذا ما أخذ به قرار صادر سنة ١٩٢٧ من محكمة العدل الدولية الدائمة، في قضية الباخرة الفرنسية (لوتس) التي اصطدمت بالباخرة التركية (بوزكورت) في عرض البحر، اصطداما أدى إلى إحداث أضرار فادحة بالباخرة التركية وبأرواح طاقمها. وعندما رست الباخرة (لوتس) في ميناء تركي، قامت الحكومة التركية بمعاقبة ربانها ومساعديه وتقدير التعويضات عن الخسائر في الباخرة التركية (بوزكورت) وفي أرواح طاقمها وفقا للقانون التركي، فاحتجت الحكومة الفرنسية على ذلك وطالبت بإخضاع تقدير الأضرار الناتجة عن التصادم البحري في المياه الحرة لقانون الدولة التي تحمل الباخرة المسببة للضرر علمها. ولدى إحالة النزاع إلى محكمة العدل الدولية الدائمة، قضت المحكمة في قرارها ببطلان دفع الحكومة الفرنسية، لما لاحظته المحكمة من عدم وجود قاعدة تقضي بمسؤولية تركيا عن الإجراءات التي اتخذتها ضد الباخرة الفرنسية وفقا للقانون التركي. – نقلا عن د. غالب علي الداودي- المصدر السابق، ص٢٣٠.

٨٨ – التلوث la pollution، هو إدخال الإنسان مباشرة أو بطريق غير مباشر لمواد أو لطاقة في الماء أو في الهواء أو في التربة، مما يسبب أضراراً بالصحة البشرية ويلحق الأذى بالموارد البيولوجية والنظم البيئية، وبالممتلكات المادية ويعوق الاستخدام المشروع لتلك الموارد والممتلكات، وينال من قيم التمتع بالبيئة بوجه عام.

– أنظر د. أحمد عبد الكريم سلامة- القانون الدولي الخاص، المصدر السابق، ص ٥٠٦.

التطبيق هنا، هو قانون الموطن أو قانون الجنسية المشتركة. وإذا اختلف مكان وقوع الفعل عن مكان تحقق الضرر وكأنه في دولة أخرى، فنعتقد هنا يكون ضرورة البحث عن القانون الأصلح للمضرور وتطبيقه على النزاع.

المطلب الثاني: دور القاضي في إعمال قاعدة الإسناد

إن بحث دور القاضي في تطبيق القانون الأجنبي، يقتضي أولا التعرف على دوره في إعمال قاعدة الإسناد. ذلك أن تطبيق القانون الأجنبي لا يعدو في حقيقة الأمر أن يكون إذعانا لأمر المشرع بمقتضى قاعدة الإسناد الوطنية. و يمكن القول بأن دور القاضي في تطبيق قانونه لا يختلف عن دوره عند تطبيق القانون الأجنبي. لذا سنبحث دور القاضي في إعمال قاعدة الإسناد من تلقاء نفسه في فرع أول، ودور القاضي في البحث عن مضمون القانون الأجنبي في فرع ثان، ودور القاضي في تفسير القانون الأجنبي في مطلب ثالث على التوالي.

الفرع الأول: دور القاضي في إعمال قاعدة الإسناد من تلقاء نفسه

يؤكد الفقه الحديث في كل من فرنسا ومصر التزام القاضي بإعمال قاعدة الإسناد من تلقاء نفسه، ومؤدى ذلك أن من واجب القاضي أن يطبق أحكام القانون الأجنبي المختص دون حاجة لتمسك الخصوم بأحكام هذا القانون. فالقاضي ملزم بتطبيق القانون الأجنبي من تلقاء نفسه[٨٩]، لأن المشرع الوطني قد أمره بذلك بمقتضى قاعدة الإسناد الوطنية، التي لهذا القانون قوته الملزمة أمام القضاء الوطني. وبهذا فان واجب القاضي في إعمال قاعدة الإسناد وتطبيق القانون الذي تشير باختصاصه، سواء كان قانونا وطنيا أو أجنبيا غير مشروط بتمسك الخصوم بهذه القاعدة، وإنما يتعين على القاضي إعمالها من تلقاء نفسه أسوة بغيرها من القواعد القانونية، وعملا بدوره المعتاد في الدعوى المدنية، كما تعرفه المبادئ العامة في المرافعات.

على أن السؤال يبقى قائما حول إمكانية أعطاء حق للخصوم بالاتفاق على استبعاد القانون الأجنبي المختص بمقتضى قاعدة الإسناد، استنادا إلى عدم تعلقها بالنظام العام حين تشير باختصاص قانون أجنبي...؟

اولا/ الاتجاه الرافض

ففي هذا الصدد يميل الفقه الفرنسي الغالب[٩٠]، إلى رفض إعطاء هذا الحق للخصوم مفضلا القول بأنه ليس من حق الخصوم الاتفاق على استبعاد قاعدة الإسناد، إلا في الفروض التي لا تتعلق فيها هذه القاعدة بالنظام العام. ويتحدد مدى تعلق قاعدة الإسناد بالنظام العام من عدمه على هذا النحو،

---

٨٩ – د. هشام علي صادق، القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، المصدر السابق، ص ١٤٨.

٩٠ – Kahn (ph): lex mercatoria et pratiqué des contrats international l expérience ، le française، international،contrat économique، paris، 1975، p. 322
Mayer (p): op. cit. p. 311

بحسب اتصالها بمسألة من المسائل الآمرة أو المكملة في القانون الداخلي، وليس بحسب إشارتها باختصاص القانون الوطني أو الأجنبي[٩١]. لذلك فان قواعد الإسناد المتعلقة بمسائل الزواج مثلا، تعد متعلقة بالنظام العام ولو أشارت بتطبيق قانون أجنبي، ومن ثم لا يجوز للخصوم الاتفاق على استبعادها لأن أحكام الزواج تعد في القانون الوطني من الأحكام الآمرة.

ثانيا/ الرأي الراجح

وذهب البعض من الفقه باتجاه آخر ونحن نؤيده [٩٢]، مقتضاه بأن قاعدة الإسناد تشير باختصاص القانون الأوثق صلة بالعلاقة الخاصة الدولية المطروحة من وجهة نظر المشرع الوطني، فلم يعد من الجائز الاتفاق على ما يخالفها ولو تعلق الأمر بمسألة من المسائل التي تحكمها قواعد مكملة في القانون الوطني. وإنما يجوز للخصوم الاتفاق على ما يخالف القواعد الموضوعية ذات الطابع التكميلي في القانون الذي تشير قاعدة الإسناد باختصاصه سواء كان قانونا أجنبيا أو كان هذا القانون هو القانون الوطني.

ونخلص من ذلك إلى تأكيد التزام القاضي بإعمال قاعدة الإسناد من تلقاء نفسه، ولو أشارت باختصاص قانون أجنبي دون أن يكون من حق الخصوم الاتفاق على استبعادها في هذا الفرض. علما التزام القاضي هذا ينتهي بمجرد أن يطلب من الخصوم أثبات أحكام القانون الأجنبي. فان لم يقدم هؤلاء ما يثبت مضمون هذا القانون فلا يترتب على القاضي بعد ذلك أي تقصير في أداء التزامه. وينحصر خطأ القاضي وتجاهله لتطبيق قاعدة الإسناد في حالة ما إذا لم يطلب من الخصوم تقديم الدليل على أحكام القانون الأجنبي، الذي أشارت هذه القاعدة باختصاصه.

الفرع الثاني: دور القاضي في البحث عن مضمون القانون الأجنبي

يقتضي حسن بيان وضع القانون الأجنبي أمام قضاء الموضوع، أن نفرق بين اتجاه يحمل العبء على الخصوم في إثبات مضمون القانون الأجنبي باعتباره واقعة. واتجاه آخر يلزم القاضي بالبحث عن مضمون القانون الأجنبي من تلقاء نفسه. وذلك بنقطتين متتاليين:

اولا/ الاتجاه الذي يحمل العبء على الخصوم في بيان مضمون القانون الأجنبي

لقد ذهب القضاء الفرنسي إلى عدم إلزام القاضي بالبحث عن أحكام القانون الأجنبي واجب التطبيق من تلقاء نفسه، وإلقاء عبء ذلك البحث على عاتق أطراف الدعوى[٩٣]. فالقاضي الوطني لا يطبق ابتداء القانون الأجنبي، بل لا بد أن يطلب ذلك الخصوم، ويتحملون هم عبء بيان أحكام ذلك القانون. ويؤكد سلامة هذا القول أن القضاء الفرنسي الحديث، قد خول للقاضي حق تطبيق القانون الأجنبي من تلقاء نفسه، إذا كان يعلم مضمونه[٩٤]. فهذا القضاء يؤكد مرة أخرى خطأ الرأي القائل بأن

---

٩١ – د. أحمد عبد الكريم سلامة– المصدر السابق، ص ٤٧٦.

٩٢ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– القانون الدولي الخاص، ج٢، المصدر السابق، ص ١٥١.
– د. هشام علي صادق، د. عكاشة محمد عبد العال– القانون الدولي الخاص، المصدر السابق، ص ١٥١/ ١٥٢.

٩٣ – Kahn (ph): op. cit. p. 365

٩٤ – د. هشام علي صادق، د. عكاشة محمد عبد العال– المصدر السابق، ص ١٥٤.

القانون الأجنبي يعامل في فرنسا معاملة الوقائع.إذ من المبادئ المستقر عليها في قانون المرافعات أنه لا يجوز للقاضي أن يقضي بعلمه الشخصي عن وقائع الدعوى.

أما القضاء المصري، يبدو أنه أستقر على إلقاء عبء بيان أحكام القانون الأجنبي على عاتق الخصم الذي يتمسك بتطبيقها، استنادا لأحكامها الصادرة عام ١٩٦٧ وعام ١٩٧٠، وكذلك الحكم الصادر عام ١٩٧٧، الذي جاء به أنه (إذا كانت الطاعنة لم تقدم السند الذي يبيح لها طلب أبطال الوصية من نصوص القانون الاسباني عملا بالمادة ١٧ من القانون المدني، وكان الاستناد إلى قانون أجنبي على ما جرى به قضاء هذه المحكمة، لا يعدو أن يكون مجرد واقعة مادية وهو ما يوجب على الخصوم إقامة الدليل عليه، فإن النعي لا يكون مقبولا).كما نذكر حكمها في أول آذار ١٩٧٨، وفي ٧ نيسان ١٩٨١ اللذين تردد فيهما نفس الصيغة ونفس الاتجاه. وبذلك نرى أن القضاء المصري قرر أن القانون الأجنبي هو واقعة من الوقائع التي يقع عبء أثباتها على الخصوم، ولا يلزم القاضي بشيء في ذلك. ويدعم عدم التزامه أنه لا يفترض فيه العلم بقانون دولة خلاف دولته[٩٥].

ولكن عند الرجوع إلى حكم محكمة النقض المصرية في ٦ شباط ١٩٨٤، في شأن إحدى الدعاوى المتعلقة بمسائل القانون البحري، وحيث كان القانون الواجب التطبيق على الموضوع هو القانون الانكليزي المتضمن لأحكام معاهدة سندات الشحن الموقعة في بروكسل عام ١٩٢٤، وحيث قضت محكمة استئناف الإسكندرية بحكمها في ٧ آذار ١٩٧٩، بأن صاحب المصلحة ملزم بتقديم الأدلة اللازمة لإثبات حكم القانون الأجنبي، وأن حكمه يتفق مع ما يدعيه، إذ أن القانون الأجنبي بالنسبة للقاضي الوطني مجرد واقعة يجب على من يتمسك بنص من نصوصه، أن يقيم الدليل عليه، جاءت محكمة النقض المصرية لتنقض الحكم المستأنف، وتقرر أنه (إذا كان من المقرر في قضاء هذه المحكمة أن التمسك بقانون أجنبي لا يعدو أن يكون مجرد واقعة يجب إقامة الدليل عليها، وكان مرد هذا القضاء هو الاستجابة للاعتبارات العملية التي لا يتيسر معها للقاضي الإلمام بأحكام ذلك القانون، فإن مناط تطبيق هذه القاعدة أن يكون القانون الأجنبي غريبا عن القاضي، يصعب عليه الوقوف على أحكامه والوصول إلى مصادره، أما إذا كان القاضي يعلم بمضمونه أو كان علمه به مفترضا فلا محل للتمسك بتطبيق القاعدة)[٩٦].

الحقيقة أن محكمة النقض المصرية بهذا الحكم، لم ترد أن تتخذ خطوة متواضعة نحو تطوير قضائها المستقر في شأن إثبات القانون الأجنبي ومعاملته باعتباره مجرد عنصر من عناصر الواقع، بل فضلت المواجهة الصريحة لقضائها السابق، فألزمت القاضي بتطبيق القانون الأجنبي من تلقاء نفسه بل وافترضت فيه العلم بأحكامه في أحوال معينة. وبهذا الاتجاه يعد حكمها رائدا يستجيب للاتجاه الراجح في فقه القانون الدولي الخاص.

٩٥ – د. هشام علي صادق– تنازع القوانين، دراسة مقارنة، المصدر السابق، ٢٧٨.
٩٦ – د. هشام علي صادق، د. عكاشة محمد عبد العال– المصدر السابق، ص ١٦١.

أما في العراق يذهب بنفس الاتجاه التقليدي الذي يقضي بأن القانون الأجنبي لا يطبق بوصفه قانونا بل باعتباره مجرد وقائع، لذا لا يلتزم القاضي أن يركن إليه ويطبقه من تلقاء نفسه[٩٧]، وعلى المتقاضيين التمسك به و أثبات مضمونه. ونحن نرجح الأخذ بالرأي الذي يرى إلزام المحاكم بالبحث عن القانون الأجنبي الواجب التطبيق، حتى ولو لم يطلب إليها ذلك الخصوم. مستندين في ذلك إلى صيغ نصوص قواعد الإسناد في القانون المدني العراقي، التي لا تشعر بأن تطبيق القوانين التي تعينها يتوقف على طلب من أحد.

فقد أستعمل المشرع في قواعد الإسناد العبارات التالية (يسري، يرجع، تطبق، تخضع، تتبع، تعين المحكمة....) وهذه الصيغ لا تدل مطلقا على أن تطبيق القانون الأجنبي متوقف على إرادة الخصوم، بل العكس من ذلك يظهر منها أن تطبيق القانون الأجنبي محتم في جميع الأحوال التي تأمر بها قواعد الإسناد، والمحكمة ملزمة بالبحث عن القانون الأجنبي والتحقق منه.

ثانيا/ الاتجاه الذي يلزم القاضي بالبحث عن مضمون القانون الأجنبي

وعلى خلاف الوضع في فرنسا ومصر و العراق، اتجهت التشريعات الحديثة للقانون الدولي الخاص، إلى النص صراحة على التزام القاضي الوطني بالبحث من تلقاء نفسه عن أحكام القانون الأجنبي. فالمادة (٥) من مجموعة القانون الدولي الخاص المجري لعام ١٩٧٩، نصت على أنه (على المحكمة أو أية سلطة الاستعلام من تلقاء ذاتها عن القانون الأجنبي الذي تجهله، وعند الحاجة لها أن تأمر بالخبرة ويمكنها أيضا أن تأخذ في الاعتبار الأدلة التي يقدمها الأطراف، وبناء على طلب المحكمة أو أية سلطة أخرى يقدم وزير العدل معلومات عن القانون الأجنبي). كما نصت المادة (٤) من مجموعة القانون الدولي الخاص النمساوي لعام ١٩٧٩ على أنه (يجب أن يبحث عن القانون الأجنبي تلقائيا...).

وكذلك المادة (٢) من مجموعة القانون الدولي الخاص التركي، والمادة (١/١٦) من مجموعة القانون الدولي الخاص السويسري لعام ١٩٧٨، والمادة (٧) من القانون الدولي الروماني لعام ١٩٩٢، والمادة (١/١٤) من القانون الدولي الخاص الايطالي لعام ١٩٩٥.[٩٨] هذه القوانين كلها أكدت على إلزام القاضي بالبحث عن مضمون القانون الأجنبي من تلقاء نفسه، وعدم جواز تنصله من ذلك، إلا إذا استحال عملا الوصول إلى بيان مضمون القانون الواجب التطبيق، وأثبت ذلك في حكمه وأوضحه بتسبيب كافٍ.

الفرع الثالث: دور القاضي في تفسير القانون الأجنبي

لا يكفي لإعمال القانون الأجنبي الكشف عن أحكامه والوصول إلى فهم لقواعده، فقد يكتنف تلك القواعد بعض الغموض يصعب على القاضي الوطني فهمها، والربط بين حقيقة الأثر القانوني le dispositive في القاعدة القانونية الأجنبية والفرض في المسألة المعروضة أمامه[٩٩]. والسؤال الذي يثار

٩٧ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– المصدر السابق، ٢٠٩.
٩٨ – د. عكاشة محمد عبد العال– تنازع القوانين، دراسة مقارنة، المصدر السابق، ص ١٨٩.
٩٩ – د. عنايت عبد الحميد– المصدر السابق، ص ٢١٩.

هنا، هل يقوم القاضي الوطني بتفسير القانون الأجنبي بنفس الأسلوب الذي يتبعه في تفسير قانونه الوطني، أم يجب عليه أن يتبع الأساليب والمعايير المتبعة في القانون الأجنبي المختص نفسه...؟ وهل يحق له ممارسة الرقابة على دستورية القانون الأجنبي المختص...؟وبعد هذا هل يحق لمحكمة التمييز أن تبسط ولايتها على تفسير القانون الأجنبي المختص، أم هذا الأمر متروك لمحكمة الموضوع وحدها...؟ سنحاول الإجابة من خلال النقطتين التاليتين:

اولا/ دور القاضي في التفسير

بالتأكيد أن للقاضي المعروض عليه النزاع دورا في عملية التفسير، فهو من ناحية ملتزم باحترام القانون الأجنبي في مجموعه (قواعده العرفية، حلوله القضائية)، بل عليه أن يعيش جو ذلك القانون، يفهمه ويخرج من النطاق الوطني وينظر إلى القانون الأجنبي كما يراه قاضيه. وهو من ناحية أخرى أمين على احترام قواعد التفسير الأصلية المستقرة،[١٠٠] ومقتضى ذلك:

أولا/ أن للقاضي سلطة تقدير التفسير الذي يقدمه الأطراف أو الخبير، فيرفضه إن كان يستند إلى قضاء أو فقه مهجور، أو كان تفسيرا واسعا لا تحتمله قواعد القانون الأجنبي. كما أنه لا يتقيد باتفاق الخصوم على تفسير معين ما دام قد أوضح ذلك بتسبيب كافٍ[١٠١].

ثانيا/ أنه عليه أن لا يخرج من تفسيره عما هو مستقر في التطبيقات القضائية الأجنبية، ولا يسوغ له الاستناد إلى حكم بعينه بحجة أنه يقرر ما ينبغي أن يكون، أو يأخذ بتفسير غير رائج مازالت تتضارب بشأنه الأحكام أو صادر عن هيئة أو جهة إدارية أجنبية غير مخولة حق التفسير. وإذا كانت القاعدة الأجنبية لم تتعرض بعد لتفسير وتطبيق قضائي، التزم القاضي الوطني بتفسيرها على النحو الذي كان سيفسرها به القاضي الأجنبي، حسب قواعد التفسير الأجنبية، وكما قررت المحكمة الدائمة للعدل الدولي في قضية القروض البرازيلية عام ١٩٢٩، على أنه (ليس هناك محل لا عطاء القانون الوطني واجب التطبيق معنى آخر غير ذلك الذي يعطيه له القضاء)[١٠٢]. وهذا القرار يدل إذا كان القانون الأجنبي غامضا، وجب أن يفسر ذلك القانون طبقا لقواعد ومبادئ التفسير المعمول بها في النظام القانوني الأجنبي. وعلى هذا النهج يسير القضاء الفرنسي والسويسري والانكليزي والاسترالي والبلجيكي والمصري والعراقي[١٠٣].

ثانيا/ رقابة المحكمة الوطنية على دستورية القانون الأجنبي

الرقابة على دستورية القوانين عموما، هي وسيلة للتأكد من صحة التشريع شكلا وموضوعا. والأصل أن لا تكون الجهة التي تقوم بهذه الرقابة هي نفس السلطة التي تضع قواعد التشريع، نظرا لما يتسم به

---

١٠٠ – د. أشرف وفا محمد– المصدر السابق، ص ٢٨٧.

١٠١ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– المصدر السابق، ص ٢١٧.

١٠٢ – د. هشام علي صادق– مركز القانون الأجنبي أمام القضاء الوطني، المصدر السابق، ص١٩٩.

١٠٣ – (عندما عرضت قضية زواج البنت الانكليزية من عراقي أمام محكمة عراقية، وتقرر حينها تطبيق القانون الانكليزي فيها، استدعت المحكمة العراقية المستشار القانوني في السفارة البريطانية ببغداد لبيان حكم القانون الانكليزي في القضية).

– أنظر د. غالب علي الداودي– القانون الدولي الخاص الأردني، المصدر السابق، ص٢٦٥.

القضاء من استقلال وحياد ونزاهة. لذا قد تتمثل هذه الرقابة في امتناع المحكمة من تطبيق القانون غير الدستوري شكلا أو موضوعا، وقد تشمل الرقابة وقف العمل به، ورقابة دستورية القوانين مقررة للقضاء النرويجي ورومانيا والبرتغال وكندا وسويسرا والولايات المتحدة الأمريكية[١٠٤].

أما في فرنسا فقد جرت محكمة النقض على رفض بسط رقابتها على تفسير القانون الأجنبي، بحسبان أن مسألة التفسير هي من اختصاصات قضاة الموضوع. وهذا يتماشى مع مذهب المحكمة التقليدي في رفضها الرقابة على إعمال القانون الأجنبي بوجه عام، غير أن تلك المحكمة قد أدركت مثالب موقفها، فأجازت استثناءا مقتضاه قبول الطعن في أحكام الموضوع التي تخطئ خطأ واضحا في تفسير القانون الأجنبي وفهم أحكامه، بما يؤدي إلى مسخ مضمونه وتشويه معناه الواضح[١٠٥].

أما في مصر، أن مقتضى القول بفرض محكمة النقض رقابتها على إعمال قاعدة التنازع وتطبيق القانون الأجنبي الذي تختاره، امتداد تلك الرقابة إلى تفسير ذلك القانون من جانب قضاة الموضوع، للارتباط الوثيق بين تفسير القانون وتطبيقه، بل إن الخطأ في تفسير القانون الأجنبي هو في حقيقته خطأ في إعمال قاعدة الإسناد، وقواعد الإسناد من القواعد الوطنية التي تخضع تطبيقها وتفسيرها دون أدنى شك لرقابة محكمة النقض[١٠٦].

أما في العراق ذهب بعض الفقه[١٠٧]، إلى أنه لابد من تفسير القانون الأجنبي المختص في هذه الحالة بنفس الأسلوب السائد في النظام القانوني لدولة القانون الأجنبي المختص ولو أتحدت أو تشابهت نصوصه مع نصوص قانون القاضي. لأن حرفية النصوص في دول مختلفة لا تعني في جميع الأحوال إتحادها في المعنى والمضمون. فقد يكون للظروف التاريخية وطرق الرقابة القضائية أثر في إسباغ معنى خاص للنص في دولة يختلف عما هو عليه في نص يشابهه في دولة أخرى، مما يجب التمسك بمعنى القانون الأجنبي المختص كما هو مطبق في دولته، للوصول إلى المعنى الذي يقصده مشرعه في بلده وزمنه. فالمشرع عندما ينص في قواعد الإسناد الوطنية على تطبيق قانون أجنبي، يريد بذلك حقيقة إتباع نفس الحلول القانونية السائدة في دولة هذا القانون، لأن القاعدة القانونية لا تعني النص القانوني وحده، وإنما تتضمن مبادئ واتجاهات وتفسيرات خاصة بها ولا بد من الرجوع إليها ككل.

أما بالنسبة لرقابة محكمة التمييز في العراق، فقد يختلف الوضع فيما إذا ينظر للقانون الأجنبي المختص كمجرد واقعة أو كقانون ملزم[١٠٨]. وقد بينا سابقا أن الفقه والقضاء يعتبر القانون الأجنبي بمثابة واقعة، وبالتالي لا يخضع عندئذ القرار الصادر بمقتضاه في النزاع من محكمة الموضوع الوطنية المختصة للتمييز لدى محكمة التمييز في العراق، لأن قرار محكمة الدرجة الأولى في الوقائع يعد نهائيا غير خاضع لرقابة وتدقيق محكمة التمييز، لكونه يدخل ضمن السلطات التقديرية لقاضي الموضوع.

---

١٠٤ – د. غالب علي الداودي– المصدر نفسه، ص ٢٧٠.

١٠٥ – Battiffol (h) et Lagard (p): op. cit. p.259

١٠٦ – د. عز الدين عبد الله– القانون الدولي الخاص، ج٢، المصدر السابق، ص ٢٥٦.

١٠٧ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– المصدر السابق، ص ٢١٨.

١٠٨ – د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي– المصدر نفسه، ص ٢٠٩.

وفي رأينا يجب إخضاع تفسير وتطبيق القانون الأجنبي المختص في جميع الأحوال لرقابة وتدقيق محكمة التمييز. شأنه في ذلك شأن القانون الوطني تماما، لأن مهمة محكمة التمييز هي المحافظة على وحدة التفسير والحلول وسلامة تطبيق القانون، وأن فهمها لقصد المشرع في القانون الأجنبي المختص، قد يكون أكثر من فهم القاضي المنفرد، بسبب الخبرة الطويلة المتوفرة لدى أعضائها، ولأن القاضي الوطني قد يهمل التحري عن القانون الأجنبي المختص وتفسيره إذا كان يعلم مسبقا أن قراره يعد باتا وغير قابل للطعن، وفي هذا ضرر محقق لصاحب الحق ومخالفة لروح العدالة وقواعد الإسناد الوطنية التي أمرت بتطبيق القانون الأجنبي المختص. وعليه فإن قرار القاضي العراقي في تفسير وتطبيق القانون الأجنبي المختص يجب أن يخضع لتدقيق محكمة التمييز العراقية، إذا كان القرار قد بني على مخالفة لأحكام هذا القانون أو خطأ في تطبيقه أو عيب في تأويله محافظة على سلامة تطبيقه، شأنه شأن القانون العراقي تماما.

الخاتمة

في نهاية هذا البحث نحاول أن نقدم استنتاجات التي توصل لها البحث، مع الإشارة إلى التوصيات التي يمكن أن تساهم في تعديل القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١،وجعلها تساير التطور الحاصل في مجال القانون الدولي الخاص، وخاصة قواعد الإسناد، وبالشكل التالي:-

أولا/ الاستنتاجات:-

١- انعدام السلطة الدولية التي يمكن أن تنهض بمهمة وضع تنظيم موحد، أو قواعد موضوعية لحكم هذه العلاقات القانونية المشوبة بعنصر أجنبي. كذلك عدم ميل الدول للالتزام أو التقيد باتفاقيات دولية تقدم ذلك التنظيم.

٢- رفض الإحالة بشكل مطلق من قبل المشرع العراقي على وفق المادة (١/٣١) مدني غير سليم.

٣- في نطاق العقود الدولية الخاصة تكون للأطراف حرية في اختيار القانون الذي يحكم علاقتهم التعاقدية، ولكن هذه الحرية مقيدة بوجود صلة بين العقد والقانون المختار.

٤- في مجال الأضرار البيئية خاصة مع انتشار ظاهرة الطمر للمواد المشعة أو النووية، فعادةً يكون القانون الواجب التطبيق، هو القانون المشترك للطرفين سواءً كان قانون الموطن أو قانون الجنسية، وقد يطبق قانون القاضي المعروض عليه النزاع.

٥- التزام القاضي بتطبيق قاعدة الإسناد وتطبيق القانون الأجنبي الذي تشير باختصاصه، معلق على شرط تمسك الخصوم بأحكام هذا القانون.

٦- القاضي العراقي لا يطبق القانون الأجنبي بوصفه قانوناً، بل باعتباره مجرد وقائع، لذا لا يلتزم بالركون إليه ويطبقه من تلقاء نفسه، وعلى المتخاصمين التمسك به واثبات مضمونه.

٧- للقاضي العراقي سلطة تقديرية في التفسير الذي يقدمه الأطراف أو الخبير، فيما يتعلق بالقانون الأجنبي الواجب التطبيق، فيرفضه إذا كان يستند إلى قضاء أو فقه مهجور، أو كان التفسير واسعا لا تحتمله قواعد هذا القانون.

٨- بما أن القضاء العراقي يتعامل مع القانون الأجنبي باعتباره واقعة، وبالتالي يخرج والحال كذلك من رقابة محكمة التمييز ولا يحق الطعن بذلك أمامها.

ثانياً/ التوصيات:-

١- التأكيد على التزام القاضي العراقي بإعمال قاعدة الإسناد من تلقاء نفسه، وتطبيق القانون الأجنبي إذا كان هو الواجب التطبيق، دون حاجة لتمسك الخصوم بأحكام هذا القانون.

٢- إلزام المحاكم بالبحث في مضمون القانون الأجنبي الواجب التطبيق، وعدم جواز تنصله من ذلك، إلا إذا استحال عليه وأثبت القاضي ذلك في حكمه وأوضحه بتسبيب كافٍ.

٣- نرى في حالة تحقق الأضرار البيئية، ضرورة البحث عن القانون الأصلح للطرف المضرور وتطبيقه على النزاع، لأنه أقرب لتحقيق العدالة.

٤- على القاضي أن لا يخرج في تفسيره عما هو مستقر في التطبيقات القضائية الأجنبية، وأن يلتزم بتفسيره على النحو الذي كان سيفسره بها القاضي الأجنبي.

٥- ضرورة إخضاع تفسير وتطبيق القانون الأجنبي المختص في جميع الأحوال، لرقابة وتدقيق محكمة التمييز في العراق، شأنه شأن القانون الوطني تماماً.

٦- كان من الاوفق أن يتبنى المشرع العراقي موقفا أكثر مرونة، ويقرر رخصة الأخذ بالإحالة كلما بدأ ذلك ملائماً بالنظر للمصالح الوطنية، خاصة بالطرف المسلم في قضايا الأحوال الشخصية، وكذلك لصالح عقود التجارة الدولية، لذا نقترح تعديل المادة (٣١) مدني وجعلها بهذا الاتجاه.

٧- نقترح حلاً تخييرياً مقتضاه أنه يكفي أن تتوفر الأهلية لدى الموصي وقت إبرام الوصية، فأن كان ناقص الأهلية في ذلك الوقت وصار أهلاً وقت الوفاة، فأن وصيته تكون صحيحة، لذلك نقترح تعديل المادة (١/٢٣) مدني وجعلها بهذا الاتجاه.

٨- أما أهلية الموصى له لتلقي الوصية، فهي تخضع لقانون الدولة التي ينتمي إليها وقت قبول الوصية، لأن القبول عمل قانوني يلزم صاحبه وجود الأهلية وقت القيام به، وبما أن الوصية تكون لازمة بعد الموت (الموصي)، لذلك نقترح أمكانية القبول بعد وفاة الموصي، وتعديل المادة (٢٣) مدني بإضافة فقرة ثالثة تنص على ذلك.

المصادر

أولاً/ المصادر باللغة العربية:-

أ) الكتب العربية:-

١- د. أحمد مسلم – القانون الدولي الخاص المقارن في مصر ولبنان، منشورات الحلبي، بيروت، ١٩٦٦.

٢- د. أحمد الخطيب، د. أحمد الكبيسي، د. محمد عباس السامرائي – قانون الأحوال الشخصية، بغداد، ١٩٨٠.

٣- د. إبراهيم أحمد إبراهيم- القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، دار النهضة العربية، ط١، القاهرة، ٢٠٠٢.
٤- د. أحمد عبد الكريم سلامة- علم قاعدة التنازع والاختيار بين الشرائع (أصولا ومنهجاً)، ط١، مكتبة الجلاء الجديدة، المنصورة، ١٩٩٦.
٥- د. أحمد عبد الكريم سلامة- القانون الدولي الخاص، التنازع الدولي للقوانين والمرافعات المدنية الدولية، ج٢، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠١/ ٢٠٠٢.
٦- د. أشرف وفا محمد- الوسيط في القانون الدولي الخاص، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٩.
٧- د. بلحاج العربي- النظرية العامة للالتزام في القانون المدني الجزائري، ج١، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥.
٨- د. هشام علي صادق- تنازع القوانين، منشأة المعارف بمصر، القاهرة، ١٩٧٤.
٩- د. هشام علي صادق- مركز القانون الأجنبي أمام القضاء الوطني، منشأة المعارف، القاهرة، ١٩٦٨.
١٠- د. هشام علي صادق- تنازع القوانين، دراسة مقارنة في المبادئ العامة والحلول الوضعية المقررة في التشريع المصري، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٣.
١١- د. هشام علي صادق – الموجز في القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، ١٩٩٨.
١٢- د. هشام علي صادق- القانون الواجب التطبيق على عقود التجارة الدولية، دراسة تحليلية ومقارنة، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٩٥.
١٣- د. حسن علي الذنون – أصول الالتزام، بغداد، ١٩٧٠.
١٤- د. حسن محمد الهداوي- تنازع القوانين وأحكامه في القانون الدولي الخاص العراقي، بغداد ١٩٧٢.
١٥- د. ممدوح عبد الكريم حافظ- القانون الدولي الخاص، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٧.
١٦- د. محمد حسين عباس- الملكية الصناعية، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٦.
١٧- د. عز الدين عبد الله- القانون الدولي الخاص، ج٢، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي الدوليين، ط٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٦.
١٨- د. عز الدين عبد الله- القانون الدولي الخاص، ط٦، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٧٢.
١٩- د. عوض الله شيبة الحميد- الوجيز في القانون الدولي الخاص، دار النهضة العربية، ط٢، القاهرة، ١٩٩٧.
٢٠- د. عبد الرزاق السنهوري- الوسيط في شرح القانون المدني، ج١، نظرية الالتزام بوجه عام، دار النهضة العربية، القاهر ة، ١٩٦٤.

٢١- د. عكاشة محمد عبد العال- تنازع القوانين، دراسة مقار نة، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٢.
٢٢- د. عكاشة محمد عبد العال، د. هشام علي صادق- القانون الدولي الخاص، الإجراءات المدنية والتجارية الدولية وتنفيذ الأحكام الأجنبية وتنازع القوانين، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ٢٠٠٨.
٢٣- د. عاطف عبد الحميد عبد المجيد ندا – الفكرة المسندة في قاعدة خضوع شكل التصرفات القانونية لقانون محل الإبرام، دراسة مقارنة في تنازع القوانين، ط١، دار النهضة العربية، القاهرة، ٢٠٠٦.
٢٤- د. عبد الباقي البكري-، د. زهير طه البشير- المدخل لدراسة القانون، دار الكتب للطباعة والنشر، جامعة بغداد، ١٩٨٩.
٢٥- د. فؤاد عبد المنعم رياض، د. سامية راشد- القانون الدولي الخاص، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٧٤.
٢٦- د. فؤاد عبد المنعم رياض، د. سامية راشد – تنازع القوانين والاختصاص القضائي الدولي وآثار الأحكام الأجنبية، دار النهضة العربية، ١٩٩٤.
٢٧- د. غالب علي الداودي- القانون الدولي الخاص، النظرية العامة وأحكام الجنسية العراقية، ط٢، بغداد، ١٩٨٧.
٢٨- د. غالب علي الداودي- القانون الدولي الخاص، النظرية العامة للموطن والمركز القانوني للأجانب وأحكامهما في القانون العراقي، بغداد، ١٩٧٦.
٢٩- د. غالب علي الداودي – القانون الدولي الخاص الأردني، ج١، تنازع القوانين، ط٤، دار وائل للنشر، ٢٠٠٥.
٣٠- د. غالب علي الداودي، د. حسن محمد الهداوي- القانون الدولي الخاص، تنازع القوانين وتنازع الاختصاص القضائي وتنفيذ الأحكام الأجنبية، ج٢ العاتك لصناعة الكتاب، القاهرة، توزيع المكتبة القانونية، بغداد، ٢٠٠٩.
٣١- د. صلاح الدين الناهي- الوجيز في الحقوق العينية الأصلية، بغداد، ١٩٦٠/ ١٩٦١.

ب) المجلات القانونية:-

١- د. عنايت عبد الحميد- أساليب فض تنازع القوانين ذي الطابع الدولي في القانون الوضعي المقارن (تحليل وتأصيل)، مجلة القانون والاقتصاد، السنة ١٩٩٥، العدد ٦٥.
٢- مجلة نقابة المحامين الأردنية، السنة ٣٧، السنة ١٩٩٨،العدد العاشر.

ج) النصوص القانونية:-

١- القانون المدني العراقي رقم ٤٠ لسنة ١٩٥١.

٢- قانون المرافعات العراقي رقم ٨٣ لسنة ١٩٦٩.

د) القرارات والأحكام القضائية:-

١- قرار لمحكمة التمييز العراقية، بغداد، رقم ١٠٤ حقوقية، ١٩٥٨ بتاريخ ٢٨/٥/ ١٩٥٨، المنشور في مجلة القضاء، العدد الثاني.

٢- قرار لمحكمة التمييز العراقية، بغداد، المرقم ٢٤٠٣، حقوقية، ١٩٦٦ بتأريخ ١٩/ ٢/ ١٩٦٧، المنشور في مجلة القضاء، العدد الأول.

٣- قرار محكمة التمييز الأردنية بموجب قرارها/ تمييز، حقوق، رقم ٥٣٩ م ٨٣ الصادر في ١٠/١١/١٩٨٣، المنشور في مجلة نقابة المحامين، السنة ٢٢، العدد الرابع.

٤- قرار محكمة التمييز الأردنية، حقوق، رقم ٤٧٠/ ١٩٩٨، المنشور في مجلة نقابة المحامين، السنة ٣٧، العدد العاشر.

ثانياً/ المصادر باللغة الأجنبية:-

1) Gilbert (L): problèmes techniques et commerciaux poses par la communication de know- how, Montpellier, 1977.

2) Mayer (p): Droit international prive, éd, Montchrestien, paris, 1977.

3) Henry (P): International pre- contractual obligation in (international contract) editors by Hans Smit and others, Mathew Bender, New York, 1981.

4) Battiffol (h) et Lagard (p): Droit International Prive, éd, Paris, 1983.

5) Kahn (ph): lex mercatoria et pratiqué des contrats international l expérience, française, le contrat économique, international, paris,1975.

عقد التأمين على الطائرة ـ دراسة مقارنة

Insurance contract on the plane (acomparative study)

أ.م.د علاء عزيز حميد الجبوري[١]
Assist. Prof. Alaa A. H. Al-Jubouri
حسنين مكي جودي [٢]
Hassanan M. Judi

Summary

Represents aviation the most important form of exploitation of air space, the story of man with flying longer depiction Typically this conflict experienced with the forces of nature have enticed him dream of imitating birds in flight has his right at first that I think the aviation What Alaspahh in the air and help him wings to swim, buthe managed after a bitter struggle and great sacrifices that roam the air space using a high-speed vehicles capable of carrying large weights, but he exceeded the atmosphere to run the discovery of outer space.

With the discovery of aviation and its development proceeded human to be exploited economically and came with a wide range of international trade and the need for movement of people across the state or across the provinces of a single state showed the importance of aviation due to its plane of the ability to carry people and stuff and super speed that makes it more transportation speed and as a result of the evolution of trade Environment air by plane appeared insurance system on the aircraft as a tool to reduce the impact of financial dire consequences when a plane

١ – جامعة كربلاء ـ كلية القانون
٢ – جامعة كربلاء ـ كلية القانون

accident of aviation accidents, which in some cases may cause damage to third parties or passengers, or of whom were und\er the command of the air carrier. and make it worse that activity Air requires financial investments huge including eighths of aircraft and various hardware and wages of personnel and training which makes the financial burden borne by the investor plane grave when a plane disaster specific as well as meet the compensation to those caused their aircraft damage. Therefore this insurance did not flourish only with the evolution of technology (industry aircraft) and this is what can be seen in the wake of the Second World War as there was directed largely to insurance until he became necessities of good governance for transportation projects and became insurance prevail in securing the fuselage and insurance against damage to third parties on the surface of the earth, as well as damage caused to passengers and those affecting users of the carrier air. could be argued that one of the reasons that led us to choose this topic lack of depth searching Multi writings.

Insurance on the plane and how to compensate for damage caused by aircraft to third or passengers etc.., As well as the absence of explanations of the Aviation Act Iraqi and found they are rare, which led us to discuss the issue and find out how to join Iraqi law.

المقدمة

يمثل الطيران اهم صورة من صور استغلال الفضاء الجوي فان قصة الانسان مع الطيران تعد تصويرا نموذجيا للصراع الذي يعيشه مع قوى الطبيعة فلقد راوده حلم تقليد الطيور في طيرانها، و بعد كفاح مرير وتضحيات جمة استطاع ان يجوب الفضاء الجوي مستخدما مركبات ذات سرعة فائقة وقادرة على حمل أثقال كبيرة، بل انه تجاوز الغلاف الجوي ليخوض مجال اكتشاف الفضاء الخارجي.

ومع اكتشاف الطيران وتطوره شرعت البشرية الى استغلاله اقتصاديا، وجاء ذلك مع اتساع نطاق المبادلات الدولية وضرورة انتقال الاشخاص عبر الدول او عبر اقاليم الدولة الواحدة ظهرت اهمية الطيران لما تتميز به الطائرة من القدرة على حمل الاشخاص والاشياء والسرعة الفائقة التي تجعلها اكثر وسائل الانتقال سرعة، ونتيجة للتطور التجاري للبيئة الجوية بواسطة الطائرة بهذا الشكل السريع،وحتى الان وضعت شركات التامين واعادة التامين امام تحديات كبيرة لظهور اخطار جديدة غير معروفة سابقا مما استدعى اجراء صياغات جديدة في وثائق التأمين.

من هنا فان تامين الطيران مرتبط ارتباطا وثيقا بتطور الطيران المدني والعامل الذي ساعد على تطوره كان الطيران العسكري، حيث ان التامين قبل الحرب العالمية الثانية لم يذكر الا بعض الأغطية التأمينية التي تغطي مسؤولية الشخص الثالث وتحطم الطائرة.

في البداية كان تأمين الطائرة يعتمد على المعرفة الفنية للمكتتب عندما كانت الطائرات صغيرة لذلك كانت شركات التامين تلجأ الى التعاون في سبيل تأسيس مجمعات او وحدات متخصصة لأجراء التامين، وكان أول هذه المجمعات في لندن عام ١٩٣١ وتسمى (avshoin company insurance limited British) اذ ان تامين الطيران يتم عن طريق هذه المجمعات وتلاه بعد ذلك تأسيس الاتحاد العربي للتامين، ولعل من أفضل الوثائق التي صدرت هي الوثيقة التي تصدرها شركة Lloyds للتامين.

ولأهمية التامين على الطائرة بدأ مستثمروا الطائرات بالتأمين كأداة للحد من الآثار المالية البالغة السوء التي تترتب عند تعرض الطائرة لحادث من حوادث الطيران، والتي في بعض الأحيان قد تلحق اضراراً بالغير او ركاب الطائرة او من كان منهم تحت امرة الناقل الجوي.

ويزيد الأمر سوءا ان النشاط الجوي يتطلب استثمارات مالية ضخمة منها اثمان الطائرات والأجهزة المختلفة و اجور العاملين وتدريبهم مما يجعل العبء المالي الذي يتحمله مستثمر الطائرة جسيما عند تعرض الطائرة لكارثة معينة وكذلك الوفاء بالتعويضات الى من الحقت بهم الطائرة إضرارا.

ولذلك فان هذا التامين لم يزدهر الا مع تطور التكنولوجيا (صناعة الطائرات)، وهذا ما يمكن ملاحظته في إعقاب الحرب العالمية الثانية، اذ كان هناك توجه كبير الى التامين حتى صار من ضرورات الإدارة الحسنة لمشروعات النقل، وأصبح التامين يعم تامين جسم الطائرة والتامين ضد الأضرار التي تصيب الغير على سطح الأرض، وكذلك الأضرار التي تصيب الركاب وتلك التي تصيب مستخدمي الناقل الجوي.

وهكذا يمكن القول ان من الأسباب التي دفعتنا الى اختيار هذا الموضوع عدم وجود كتابات معمقة تبحث موضوع التامين على الطائرة وكيفية التعويض عن الإضرار التي تسببها الطائرة للغير او ركابها. وكذلك عدم وجود شروحات لقانون الطيران العراقي رقم ١٤٨ لسنة ١٩٧٤ المعدل، وان وجدت فهي نادرة مما دفعنا الى بحث الموضوع ومعرفة كيف نضم القانون العراقي عملية التامين على الطائرة. لأجل تحقيق أهداف البحث، تم اعتماد أسلوب الدراسة المقارنة بين التقنينات المدنية وغيرها على ان يكون القانون العراقي هو الأصل الذي ننطلق منه في أجراء المقارنة.

وهكذا يعد عقد التأمين على الطائرة وسيلة مهمة وخطيرة، للحد من الآثار المالية البالغة السوء التي قد تصيب الطائرة عند تعرضها لحادث من حوادث الطيران الذي قد يؤدي الى تعرض ركابها او الغير الى إضرار مادية ومعنوية.

اضافة لذلك فأن النشاط الجوي يتطلب من الناقل الجوي استثمارات مالية ضخمة منها أثمان الطائرات والأجهزة المختلفة مما يجعل العبء المالي لمستثمر الطائرة جسيما خاصة عند تعرضها لحادث معين وإضافة الى ما يتحمله من تعويضات تدفع الى من ألحقت بهم الطائرة ضررا. وعلى الرغم من ذلك فأن عقد التأمين على الطائرة لم يظهر الى حيز الوجود القانوني الا بعد الحرب العالمية الثانية حيث

أصبحت الحاجة ملحة للتأمين على الطائرة نتيجة لظهور انواع مختلفة من الطائرات مما يثير الكثير من الاشكالات والنزاعات على مستوى نشاط النقل الذي تؤديه الية تنفيذ الالتزامات المترتبة على ذلك.

اذ أصبح التأمين يشمل جسم الطائرة والتأمين ضد الأضرار التي تصيب الغير على سطح الارض وكذلك تلك التي تصيب الركاب ومستخدمي الناقل الجوي.لذلك يتوجب علينا معرفة ماهية عقد التأمين على الطائرة،ومعرفة سمات هذا العقد ومن ثم معرفة من الملزم بالتأمين على الطائرة لذا سوف نقسم هذا البحث الى ثلاثة مطالب سنبحث في المطلب الأول تعريف عقد التأمين على الطائرة وسنبحث في المطلب الثاني سمات عقد التأمين على الطائرة ومن ثم سنتناول في المطلب الثالث النطاق الشخصي للالتزام بالتأمين على الطائرة.

المطلب الاول: تعريف عقد التأمين على الطائرة

يلاحظ وبحق، ان التشريعات ومنها التشريع العراقي لم تضع تعريفاً لعقد التأمين على الطائرة وانما اكتفى واضعوا النصوص القانونية في مجال النقل عموما بإيراد نصوص ضمن نصوص القوانين المدنية تنظم عقود التأمين بصورة عامة.

وقد سار على هذا النهج المشرع العراقي حيث اكتفى بدوره بذكر بعض النصوص في القانون المدني العراقي من المادة (٩٨٣) الى المادة (٩٩١)، تنظم أحكام التأمين بصورة عامة يبد ان عدم ذكر المشرع لتعريف لعقد التأمين على الطائرة لايعد قصورا، بل انه اراد بذلك أحالة الأمر الى فقهاء القانون بعد ان ذكر بعض النصوص الخاصة بالتأمين على الطائرة في قانون الطيران المدني العراقي.

وحيث ان التعريف يحتاج الى بحث وإلمام كافي بالموضوع من اجل تحديد الأسس القانونية والفنية للتأمين، لذلك فان المشرع ترك أمر التعريف الى فقهاء القانون بعد ان وضع قاعدة عامة في المادة (٩٨٣) من القانون المدني العراقي المقابلة للمادة (٧٤٧) من القانون المدني المصري و المادة (٩٢٠) من القانون المدني الأردني حيث جاء فيها (١. التأمين عقد به يلتزم المؤمن ان يؤدي الى المؤمن له اوالى المستفيد مبلغا او ايراد ماليا او اي عوض مالي أخر في حالة وقوع الحادث المؤمن ضده، وذلك مقابل أقساط او أية دفعة مالية يؤديها المؤمن له).

بذلك يتضح ان المشرع العراقي لم يتعرض للعلاقة التي تربط المؤمن بالمؤمن له اي انه اخذ بالجانب القانوني وأهمل الجانب الأخر، اي الجانب الفني وحقيقته الرابطة بين الطرفين، الذي لايقل أهمية عن الجانب القانوني فلكل منهما خصائص تميزه عن الأخر.

لغرض الوقوف على ماهية عقد التأمين على الطائرة لابد لنا من البحث في ماهية التأمين على الطائرة لغة واصطلاحاً ومن ثم التعرض لتعريف الطائرة لذلك سنقسم هذا المطلب على فرعين متعاقبين في فرع اول: ماهية عقد التأمين على الطائرة وفي الفرع الثاني تعريف الطائرة ذاتها للإحاطة بالوسيلة الملائمة في هكذا تعاقدات.

الفرع الاول/ ماهية عقد التأمين على الطائرة.

قبل الخوض في ماهية عقد التأمين علينا ان نعرف ماذا تعني كلمة التأمين في اللغة فالتأمين مصدر لـ (أمّن) يقال أمّن يؤمّن تأميناً، ومادة هذه الكلمة (وهي الهمزة والميم والنون)[٣].

و تاتي بمعنى الأمانَةُ، والأَمَنَةُ: ضدّ الخيانة، وقد أمِنَهُ، (كسمعه)[٤]، وأمّنَهُ تأميناً، واتْتَمَنَه واستأمَنَهُ، وقد أُمُنَ (ككرُم)، فهو أمينٌ وأُمَّانٌ، (كرُمَّان): مأمون به ثقةٌ.

ومنه ما جاء بمعنى استأمن إليه: دخل في أمانه، وقد أمّنَه وآمنَه... والأَمِنُ: المستجيرُ ليأمنَ على نفسه.أمن... اطمأن ولم يخف.[٥]

وعلى هذا فالتأمين في اللغة: هو استبعاد الخوف وزرع الثقة او الاطمئنان في القلب.

اما في الاصطلاح فيعريف عقد التأمين على الطائرة بأنه (عقد يلزم به المؤمن بتعويض المؤمن له عن الضرر الذي يلحق به عند تعرض واسطة النقل الجوي لهلاك حقيقي وهذا مقابل الاقساط التي تدفع من قبل المؤمن له على ان لا يتجاوز التعويض قيمة الاشياء الهالكة).[٦]

اوقد يعرف بانه(عقد يلتزم به المؤمن بتعويض المؤمن له (المستثمر) عن الضرر الذي يلحق به من جراء حوادث الطيران مقابل دفع القسط المتفق عليه على ان لايتجاوز التعويض قيمة الاضرار المتحققة من تحقق الخطر المؤمن منه).[٧]

وقد يعرف بأنه (عقد يعقده مالك الطائرة او مشغلها ضد اخطار فقد وتلف الطائرة وبموجب هذا العقد يتعهد المؤمن حسب اختياره بتعويض اواستبدال او اصلاح مايحدث للطائرة من اضرار مادية بسبب اخطار الطيران اضافة الى تعويض كل من تضرر من الحادث الذي اصيبت به الطائرة).[٨]

على الرغم مما ورد من تعريفات لعقد التأمين على الطائرة، الا انها لم تبين ماهية هذا العقد وهذا يعود الى ان التشريعات المقارنة، ومنها قانون الطيران المدني العراقي لم تتطرق الى وضع تعريف لعقد التأمين على الطائرة حيث انصب اهتمامها بالمجالين البري والبحري متناسين بذلك المجال الجوي، على الرغم من انه لايقل اهمية عنهما من حيث الصفة الدولية للنقل الجوي وجسامة الاخطار التي تتعرض لها الطائرة. ولكن اغلب شركات التأمين تأبى التأمين على الطائرة، وذلك لعدم امكانية تحديد الخطر الجوي لا من حيث احتمالية وقوعه و لا من حيث جسامته، وهذا يجعل من العسير على شركات التأمين حساب المخاطر

---

٣ – انظرمحمد بن ابي بكر الرازي.مختار الصحاح، دار الرسالة، الكويت ١٩٨٣،صـ ٢٦.

٤ – انظر محمد الدين محمد بن يعقوب،الفيروز ابادي،القاموس المحيط، دار الحديث القاهرة صـ٧٤.

٥ – انظر ابن منظور،لسان العرب،بيروت لبنان، دار احياء التراث العربي، ج٢،صـ ١٥.

٦ – انظرد.اكرم ياملكي،الاعمال القانونية الواردة على الطائرة،التأمين على الطائرة بحث منشور في مجلة الدراسات القانونية،منشورات الحلبي ٢٠٠٦.٢٠٠٨صـ ١٩٩.

٧ – انظر د.هاني دويدار.، التأمين الجوي سلسلة بحوث قانونية الجديد في مجال التأمين والضمان في العالم العربي،٢٠٠٦ صـ ١١١.١١٥.

٨ – انظر د.خميس خضر، تطور التشريع المصري في ميدان النقل الجوي،بحث منشور في مجلة القضاء العدد ٢٦ صـ١.٢.

الجوية التي تتعرض لها الطائرة والمبالغ التي تلتزم بدفعها كتعويضات وهذا الى احجام اغلب شركات التأمين عن قبول تغطية المخاطر التي تتعرض لها الطائرة. [٩]

ولكن هذا الواقع لم يبق على ماهو عليه اذ كان للاتفاقيات والمعاهدات دور في معالجة القصور، ومنها معاهدة وارسو لعام ١٩٢٩، وكذا صناعة الطائرات بعد الحرب العالمية الثانية وظهور طائرات عملاقة تفوق سرعتها الصوت، واصبح الناس اكثر استعمالا لهذه الواسطة مما دفع شركات التأمين الى قبول تغطية الاخطار التي تتعرض لها الطائرة، وهذا بدوره دفع الناقل الجوي لابرام عقد التأمين على الطائرة للتخلص من المسؤولية التي تترتب عليهم عند تعرض الطائرة لحادث من حوادث الطيران.وذلك لان الطائرة بتعرضها لحادث ما،فانه قد يسبب اضرار لاحصر لها فهذه الاضرار لاتقتصر على الطائرة فحسب بل تشمل الركاب والغير والبضائع المحمولة عليها. ومع ذلك فأن التأمين على الطائرة يشمل تأمين جسم الطائرة بما فيه من الاجهزة الاضافية والادوات الاحتياطية، ودعامتها الامامية والخلفية والذيل وكافة الاجهزة الاخرى، اضافة الى ذلك فانه يشمل تأمين المسؤوليات المدنية المترتبة من اصابة الطائرة بضرر الذي قد يؤدي الى اصابة الركاب او البضائع او مستخدمي الناقل الجوي. وهكذا ياتي التأمين على الطائرة على اساس من القيمة المتفق عليها (Agreed value) اي قيمة التعويض من بداية التأمين وليس من وقت وقوع الحادث، اي ان هناك انحرافاً عن مبادىء التأمين العام الا اذا كانت القيمة المتفق عليها مساوية للقيمة السوقية للطائرة وقت وقوع الحادث. وهذا مايرفع طابع الغرر في عقود التأمين.عموما مما يثير الاشكال الشرعي حول الاحتمالية الواضحة و هكذا عقود قد تقترب من عقود المقامرة والرهان لعدم معرفة حقيقة ونطاق ومقدار الالتزامات المتقابلة بين الطرفين الى حين وقت وقوع الخطر ولكن بتحديد اقيام التعويض مقدما، وهكذا نجد الاقساط، منها مايدفع مقدما فضلا عن تحديد زمان نفاذ عقد التأمين على الطائرة،فان ذلك وبالضرورة سيجعل من العقد عقدا محدد الالتزامات لايشوبه الاحتمال والمقامرة.

وهذا و يعتقد البعض عموما ان تأمين الطائرة يختلف عن تأمين الاموال، السبب ان مبلغ تأمين الطائرة قد يتفق عليه مقدما كما ذكرنا، وهو ما يشكل التعويض عند وقوع الخطر المؤمن منه[١٠]

لكن قد يوجه النقد الى هذا التوجه بحجة انه لو كان مبلغ التأمين متفقاً عليه منذ البداية فلا حاجة لا برام عقد التأمين لان هذا المبلغ قد حدد مهما كانت قيمة الاضرار، وهذا يتنافى مع عقد التأمين ذو الصفة الاحتمالية، لذلك يمكن القول بانه لايختلف عن عقود التأمين العامة الا في بعض الخصائص التي يختص بها عن غيره من العقود لخصوصية محل التأمين، بيد ان هذا النقد لاينهض بل هنالك حاجة ملحة لرفع طابع الاحتمالية الغرر من هكذا تعاقدات تتعلق بالنشاط التجاري.ويشمل التأمين كافة الاخطار

٩ – انظر د.طالب حسن موسى،النظام الخاص لمسؤولية الناقل الجوي وقانون التجارة رقم ١٤٩ لسنة ١٩٧٠ بحث منشور في مجلة القضاء العدد الثاني ٢٦، صـ ٩٤.

١٠ – انظر محمد زكي الدين،بحث بعنوان التأمين على الطيران مقدم الى مركز التدريب المالي والمحاسبي بغداد ١٩٨٤ صـ ١٩-٢٠.

التي تتعرض لها الطائرة، عدا بعض الاستثناءات التي سيرد ذكرها لاحقا والتأمين هنا يختلف باختلاف حالة الطائرة على المدرج او في وضعها في الجو لان الخسارة هنا تختلف من حالة الى اخرى.[١١]

وتماشيا على ماتقدم،يمكن ان يعرف عقد التأمين على الطائرة بأنه(عقد مابين مؤمن ومؤمن له (مالك او مستثمر) للتأمين من الاضرار التي تصيب الطائرة وركابها والغير والبضائع ومستخدمي الناقل الجوي مقابل اقساط يلتزم بدفعها المؤمن له للمؤمن).

الفرع الثاني / التعريف بالطائرة.

استهوت اجنحة الطيور فكر الانسان فقرر ان يصنع لنفسه اجنحة يطير بها في الفضاء وحاول كثيرون ان يحلقوا بأجنحة صناعية لكنهم اخفقوا في ذلك واول محاولة ناجحة للانسان كانت في اواخر القرن الثامن عشر. اذ تمكن اثنان من الفرنسيين من الطيران عام ١٧٨٣ فوق باريس بواسطة الة تسمى (البالون) منفوخ بالهواء الساخن وكان من تصميم (منجو ليفيه).

وفي بداية القرن التاسع عشر ظهرت الة ذات محركات كبيرة سميت بالطائرات حيث بنى الاخوان (ديلبرو ارفيل)طائرة ذات سطحين[١٢].

وقد عرفها القانون الفرنسي الصادر سنة ١٩٢٢ بانها (مجموعة اجهزة الارتفاع والتحليق في الجو). لكن يعاب على هذا التعريف بأنه سيشتمل على اجهزة اخرى الى جانب الطائرة كالصواريخ والمناطيد وكما انه لم يهتم بالغرض الاساسي من صناعة الطائرة الذي يتمثل بنقل البضائع والاشخاص.[١٣]

وقد عرفتها معاهدة شيكاغو الصادرة سنة ١٩٤٤ بانها (الجهاز الذي يستطيع البقاء في الجو بواسطة رد فعل الهواء)[١٤].

وهذا التعريف قد اقتبس من معاهدة باريس الصادرة سنة ١٩١٩ والذي اخذ بها قانون الطيران المدني العراقي في الفقرة الاولى من المادة الاولى،والمطابقة للمادة السابعة من قانون الطيران المدني المصري رقم ٢٨لسنة ١٩٨١ والمطابقة للمادة الثالثة عشر من قانون الطيران المدني السعودي حيث جاء فيها بانها (اي الة في استطاعتها ان تستمد بقاءها في الجو من ردود فعل الهواء الغير المنعكسة من سطح الارض وتشمل كافة المركبات الهوائية مثل المناطيد والبالونات والطائرات ذات الاجنحة الثابتة والمتحركة).[١٥]

لكن يعاب على هذه التعاريف بانها ذات مفهوم واسع اذ انها تشتمل كل الة تستطيع التحليق بغض النظر عن الغرض المخصصة له وان كانت لاتشترك مع الطائرة في غرضها الخاص بنقل البضائع والاشخاص، والتي في بعض الاحيان قد تتعرض لحوادث تؤدي الى اتلاف الطائرة بالكامل واصابة الغيراو

١١ – انظر د.اكرم ياملكي،المصدر السابق صـ ٢٠٠.
١٢ – انظرد.خميس خضر، المصدر السابق صـ ٢.
١٣ – انظر منتديات جامعة الاسكندرية www.lomazoma.com.
١٤ – انظر تعريف الطائرة، بحث منشور على منتديات ملتقى الشباب على الموقع الالكتروني www.4moltqa.com.
١٥ – انظر قانون الطيران العراقي رقم ١٤٨لسنة ١٩٧٤ المعدل.

الركاب اوالبضائع بضررممايستوجب على مستثمر الطائرة،كما راينا، ان يؤمن على طائرته لتغطية الاضرار التي تسببها الطائرة.

وتعرفها وثائق التأمين على الطائرة بأنها (تلك الطائرة المذكورة في الجدول مع مكائنها والاجهزة القياسية الخاصة بها مع اية اجهزة او الات اوادوات اضافية تذكر بشكل صريح في الجدول).هذا وتجدر الاشارة الى اهمية المصطلحات من حيث مايلي:.

١ـ يمكن فرض خسارة مهدرة[١٦] لتلافي التعويضات الصغيرة وهذه الخسارة تختلف من حالة الى اخرى بحسب ما اذا كنت الطائرة في حالة سكون اوحركة.

٢ـ المساعدة في استعمال وثيقة التأمين على الطائرة لاغراض التأمين المحدودة على الطائرة اي انه يمكن التأمين على الطائرة من الاخطار الارضية فقط ويتم حذف بقية الاخطار وهنا لاتحسب الخسارة المهدرة في حالة الخسارة الكلية للطائرة[١٧].

الا انه ايضا لم يفرق مابين الطائرة والاجهزة من المناطيد والصواريخ لذا من كل ماتقدم،يمكن القول بان الطائرة هي (الالة التي تستطيع الارتفاع عن سطح الارض بواسطة قوة محركة ويكون غرضها نقل الاشخاص والبضائع).

المطلب الثاني: سمات عقد التأمين على الطائرة

يتسم عقد التأمين على الطائرة بسمات قد تقربه من غيره من العقود الا انها تختلف في احكامها عن بقية العقود لذلك فأننا سنبحث هذه السمات طبقا للفروع الاتية وبالتعاقب:. الفرع الاول: عقد التأمين على الطائرة عقد رضائي،الفرع الثاني: عقد التأمين على الطائرة ملزم لجانبين،الفرع الثالث: عقد التأمين على الطائرة عقد احتمالي،الفرع الرابع: عقد التأمين على الطائرة من العقود التعاوضية،الفرع الخامس: عقد التأمين من عقود الحلول الشخصية.

الفرع الاول:عقد التأمين على الطائرة عقد رضائي.

لعل المقصود من الرضائية هنا هو ان العقد ينعقد بمجرد تطابق الايجاب والقبول الصادر من طرفي العقد اي ان العقد ينعقد بتطابق الارادتين لطرفي، وعدم وجود شائبة تشوبهما مثل الاكراه والغلط والتدليس، ما لذلك من اهمية في مثل هكذا عقود اذ انه يكفي لانعقاد العقد ان يحررشفويا او تحريرا، فيكفي لطالب التأمين ان يتقدم بطلبه الى شركة التأمين بشكل تحريري يعبرعن رغبته بالتأمين وبمجرد صدور القبول من المؤمن ينعقد العقد سواء مكتوبا ام غير مكتوب.[١٨]

---

١٦ – المقصود بالخسارة المهدرة / هي خسارة توضع لغرض تلافي التعويضات الخطيرة او توعية وتحفيز المؤمن له للمحافظة على سلامة المسافرين والطائرة وهي تختلف من حالة الى حالة فاذا كانت الطائرة في حالة طيران تكون الخسارة ١% وفي حالة كونها جاثمة تكون الخسارة ٢%،نقلا عن محمد زكي الدين،المصدر السابق صـ ٢٩.

١٧ – انظر محمد زكي الدين ، المصدر السابق صـ٣٢.

١٨ – انظر د.عصام سليمان،مقدمة في التأمين البحري،الجزء الاول،بدون سنة طبع،صـ ٧٧.

اذ ان القانون يلزم مستثمر الطائرة [١٩]او مالكها اجراء التأمين على الطائرة لكي يستطيع ان يحصل على تعويض من خلاله يقوم بالاجراءات اللازمة من اصلاح الطائرة او استبدالها.

وكذلك لكي يتخلص من مسؤوليته تجاه الغير الذي قد يصاب باضرار من جراء تعرض الطائرة لحادث معين.وهذا في الحقيقة مشابه للتأمين من مسؤولية حوادث السيارات، رغم ان البعض يرى ان اجبارية التأمين تكون قبل ابرام العقد، اما عند ابرامه تكون هناك الرضائية على اساس ان الرضائية هي القاعدة.لان العقد لاينعقد مالم يتفق الطرفان ويتطابق ايجاب احدهما وقبول الاخر.[٢٠] يضاف الى ذلك، ان عدم اشتراط الرضائية او عدم اشتراط شكلاً معينا لانعقاد العقد الا انه يحق لاطراف عقد التأمين اشتراط الكتابة من اجل اثبات مضمون العقد عند الاختلاف وبالتالي يصبح العقد شكليا بالاتفاق. من هنا فان التشريعات الفرنسية المقننة لعقد التأمين الصادرة ١٩٣٠، وكذا التشريع الصادر عام ١٩٧٦ تبنى الاتجاه القائل بان عقد التأمين عقدٌ رضائي، وما الكتابة الا للاثبات وليس للانعقاد.وهذا ماتضمنه القانون الفرنسي الصادرفي ١٣ يوليو ١٩٣٠ حيث ذكر ان عقد التأمين عقد رضائي ووثيقة التأمين هي لاثبات العقد، اذا قبل المؤمن الايجاب البات الموجه اليه من المؤمن، ووصل القبول الى علم المؤمن له انعقد العقد واصبح ملزما لطرفيه.وهذا ايضا ما اكدته المادة ٩٨٣ من القانون المدني العراقي والمطابقة للمادة ٧٤٧ من القانون المدني المصري التي جاء فيها (ان عقد التأمين عقد يلتزم بمقتضاه المؤمن ان يؤدي الى المؤمن له او المستفيد، مبلغا او ايراد مرتبا او اي عوض مالي اخر، في حالة وقوع الحادث المؤمن ضده،وذلك في مقابل اقساط او اية دفعة مالية اخرى يؤديها المؤمن له الى المؤمن).

يتضح من كل ذلك ان عقد التأمين عقد رضائي، حيث ان ماورد في المادة اعلاه لم يحدد شكلا خاصا لابرام عقد التأمين.[٢١] وهذا يدل على ان الكتابة ماهي الا شكل خاص لاثبات عقد التأمين في حال الاختلاف في مضمونه بين طرفي العقد، و ان هذه الكتابة فبي بعض الاحيان قد تكون مطلوبة من المؤمن له للحصول على رخصة معينة، او للتخلص من المسؤولية تجاه الاخرين. وينطبق هذا الحكم في حالة التأمين على الطائرة، فمستثمر الطائرة او مالكها يطالب بنسخة من عقد التأمين حتى يتمكن من الحصول على رخصة الطيران، لذلك فان عقود التأمين على الطائرة تكون مكتوبة دائما. وعلى الرغم من رضائية عقود التأمين عموما الا انها تندرج تحت عنوان عقود الاذعان حيث يمثل المؤمن له في العقد الطرف الضعيف الذي لايستطيع المناقشة وليس له

١٩ – يلاحظ المقصود من مستثمر الطائرة هو / الشخص الطبيعي او المعنوي الذي يقوم بتشغيل طائرة تخضع هيئة قيادتها لاوامره وسواء كان ذلك لحسابه او نيابة عن شخص اخر.

٢٠ – انظر د.احمد شرف الدين،احكام عقد التأمين، الطبعة الثالثة، سنة١٩٩١ ص٧١.

٢١ – انظر د.عبد الهادي السيد محمد تقي،عقد التأمين حقيقته ومشروعيته دراسة مقارنة،منشورات الحلبي،بيروت . لبنان ٢٠٠٣ صـ ٢٣٣.٢٣٤.

سوى ان يقبل بشروط المؤمن.دون ان يكون له الحق في مناقشتها.[٢٢] وهذا مادفع المشرع للتدخل من اجل حماية الطرف الضعيف، والموازنة بين الطرفين، اذ انه اشار في حالة وجود شك فانه يفسر لمصلحة الدين اي الطرف المذعن.وهذا ما اكدته المادة ٢/١٦٧من القانون المدني العراقي والمطابقة للمادة ١٤٩ من التقنين المدني المصري حيث جاء فيها (انه اذا تم العقد بطريقة الاذعان وكان قد تضمن شروطاً تعسفية جازللمحكمة ان تعدل هذه الشروط او ان تعفي الطرف المذعن فيها وذلك وفقا لما تقضي به العدالة ويقع باطلا كل اتفاق خلاف ذلك)[٢٣]. ويمكن القول من كل ماتقدم ان عقد التأمين على الطائرة،عقد رضائي لايحتاج في انعقاده الى شكلا خاص، وانما يكفي ارتباط الايجاب بالقبول لابرام العقد، و ما الكتابة الا للاثبات في حالة الاختلاف في المضمون، وان الاذعان لايمس طابع الرضائية لان الاجبارية لاتتوفر الا قبل ابرام العقد اما بقبول الشروط من قبل المؤمن له فتنتفي صفة الاذعان.

الفرع الثاني /عقد التأمين على الطائرة ملزم لجانبين.

ان عقد التأمين على الطائرة من العقود التي ترتب التزامات متقابلة على ذمة طرفيه وهذا ما اكدته المادة ٩٨٣ من القانون المدني العراقي اذ جاء فيها (ان عقد التأمين عقد يلتزم به المؤمن بان يؤدي الى المؤمن له اوالى المستفيد مبلغا من المال.....)، وعلى هذا فان عقد التأمين يجد كل طرف فيه سببا لالتزام الطرف الاخر، فيلتزم المؤمن بالضمان ويلتزم المؤمن له بالقسط وعلى هذا تكون العلاقة بين التزامات الاطراف هي علاقة تبادلية، اي ان التزام الطرف الاول يدور وجودا وعدما مع التزامات الطرف الاخر فكل منهما يعتمد على الاخر في الاداء.ولاينال من هذا القول الادعاء بان التزام المؤمن بالضمان هو التزام معلق على شرط واقف، هو تحقق الخطر المؤمن منه لان تحقق الخطر شرط جوهري في التزام المؤمن، وليس شرط عارض يبد ان تحقق الخطر شرط لتنفيذ المؤمن لالتزامه وليس لقيام هذا الالتزام[٢٤].

وهذا يعني ان التزام المؤمن التزام احتمالي، ويعني هذا ان وجود العقد في ذاته ليس احتماليا وانما يرتب التزامات على ذمة طرفيه. وان تنفيذ احدهم لالتزامه، يتوقف على حدث مستقبل احتمالي غير محقق الوقوع، فالمؤمن له يلتزم بدفع الاقساط المتفق عليها مسبقا في وثيقة التأمين، مقابل تعهد المؤمن بدفع مبلغ التعويض عند تحقق الخطر المؤمن منه ضده.[٢٥] وبهذا يكون لكل من طرفي عقد التأمين التزامات متقابلة محددة او قابلة للتحديد مستقبلا، وهكذا فان بعضا من عقود التأمين على الطائرة، تمتاز بتعدد في المؤمنين لهم بموجب اشتراط في العقد يتفق عليه الطرفان وهذا يطلق عليه (شرط المؤمن له الاضافي)، وهذا الشرط يعطي طابعا خاصا بالنسبة للمؤمن. لانه يجب ان يطبق شروط الوثيقة لكل واحد منهم على حده اي انه اذا دفع المؤمن له الاصلي (١٠٠٠)دينار فالمؤمن الاضافي يدفع (١٠٠٠) دينار

٢٢ – انظر د.محمد حسام محمود،الاحكام العامة لعقد التأمين دراسة مقارنة بين القانونين الفرنسي والمصري، بدون سنة طبع، صـ ٩٠-٩١.

٢٣ – انظر د عصام انور سليم،اصول عقد التأمين،المعارف الاسكندرية، ٢٠٠٨،صـ١٨٦.

٢٤ – انظر د محمد حسام محمود، المصدر السابق صـ ٥.

٢٥ – انظر د.فتحي عبد الرحيم عبد الله،التأمين،مكتبة الجلاء المنصورة،١٩٩٧صـ ١٩٤.

فالمجموع هو (٢٠٠٠)دينار اذا كانا اثنين وهذا الشرط يدرج في الوثيقة. ولكن هناك اعتبار اخر الا وهوان الاضرار التي يسببها المؤمن له الاضافي او مستخدموه لاتدفع الى المؤمن الاصلي، اي ان المؤمن الاضافي يبقى دون حماية ولغرض تلافي هذا الامر يدرج في وثيقة التأمين شرط يسمى (بشرط المسؤوليات المقاطعة)، ويعني هذا الشرط ان الوثيقة تحمي كل مؤمن له موجود اسمه في الوثيقة على حده وبذلك يستبعد الالتباس القائم بان المؤمن الاصلي له فقط هو المحمي في الوثيقة. ولكن هناك من يقول بأستبعاد هذا الشرط المذكور باضافة عبارة (ولكل منهم حقوقه ومصالحه)[٢٦].

ومن كل ماتقدم امكن القول ان عقد التأمين على الطائرة عقد ملزم لجانبين، وان تعدد المؤمنين لهم،وان خاصية الالتزام هي الخاصية التي توفر الحماية للمؤمنين الاضافين على الرغم من الوثيقة في الاصل لاتحميهم الا باضافة شرط المؤمن له الاضافي او شرط المسؤوليات المتقاطعة للمؤمنين لهم كما ذكرنا.

الفرع الثالث /عقد التأمين على الطائرة عقد احتمالي.

يلاحظ وبحق ان عقد التأمين على الطائرة،عقد احتمالي ذلك ان اي من المتعاقدين لا يستطيع معرفة ما سيعطي وما سياخذ حيث يصعب تحديد مقدار التزامات وحقوق الطرفين في العقد لان الامر يتوقف على حدوث امر معين في المستقبل قد يتحقق او لايتحقق.وتأسيسا على ذلك فان صفة الاحتمالية تبرز من خلال تحديد العقود الاحتمالية لان تحديد التزامات وحقوق الطرفين يتوقف على تحقق صفة الخطر المؤمن منه، ووقت وقوعه،وحجمه فهو الذي يحدد الرابح والخاسر

اي ان دفع العوض معلق على تحقق الخطر المؤمن منه ومن ثم لايعلم المؤمن له مقدار ما يعود عليه من كسب ولايعلم المؤمن لدى التزامه بدفع مبلغ التأمين وماسيحصل عليه من اقساط.[٢٧]

اذا ان الاحتمال يعتبر من طبيعة عقد التأمين، بل من لهم خصائصه لذلك فان عدم وجود صفة الاحتمال عند ابرام العقد يبطل العقد حتى لوتوهم الطرفان بوجوده، كما في حالة الخطر الظني من هنا فان المشرع العراقي قد ادرج عقد التأمين ضمن العقود الاحتمالية. وهذه الصفة من الناحية القانونية اي باعتبار عقد ذو علاقة تعاقدية احتمالية بين المؤمن والمؤمن له،لان التزامات كل من الطرفين تتوقف في النهاية على تحقق الخطر المؤمن منه فأحتمال الكسب قائم بالنسبة لكل من الطرفين عند ابرام العقد. اما من الناحية الفنية فان صفة الاحتمال تكاد تنتفي في عملية التأمين التي تجمع الكثير من عقود التاميين لان المؤمن لايبرم في الغالب الاعم،عقدا مفردا وانما مجموعة كبيرة من المؤمن لهم يتعرضون لخطر معين فيتقاضى منهم اقساط محددة على اساس احتمالي، بل انه يعمل وثيق لايتعرض لاي مجازفة او احتمال بل انه يعمل على تغطية المخاطر التي تقع لاي منهم[٢٨].

---

٢٦ – انظر دمحمد زكي عبد الرحمن، المصدر السابق، صـ٤٣.٤٤.

٢٧ – انظر د احمد ابو السعود،عقد التأمين بين النظرية والتطبيق،دار الفكر الجامعي، ٢٠٠٩،صـ١٤١.

٢٨ – انظر دمحمد حسين منصور، احكام قانون التأمين، دار المعارف الاسكندرية،٢٠٠٥، صـ١٤٢.

يبد ان الاحتمالية قد تختفي في عقود التأمين على الطائرة،وخاصة تلك العقود المحددة القيمة حيث تكون شركة التأمين مسؤولة عن تعويض المؤمن له في حدود مثبته في وثيقة التأمين وهي تسمى وثيقة محددة القيمة.وفي حالة حددت خسارة جزيئة وقيام المؤمن بالاصلاحات المطلوبة لاتدفع الاجموع المبالغ الاتية:

١. تكاليف المواد والاجزاء.

٢. الاجور المدفوعة.

٣. نسبة معينة من الاجور الفعلية للعمال

٤. تكلفة ارخص طريقة لنقل الطائرة او الاجزاء المطلوبة للاصلاح وكذلك تكاليف اعادة الطائرة بعد اصلاحها الى مكان الحادث او الى مطار موطنهااو ايهما اقرب.

وبصفة عامة فهي تقوم بدفع المبالغ بشرط ان لايزيد التعويض عن القيمة المتفق عليها في حالة حدوث خسارة كلية للطائرة [٢٩]وهذا كله من اجل استبعاد عنصر الاحتمال الذي يجعل العقد من الناحية الشرعية باطلا، لانه يستند الى المقامرة والرهان لذلك فان فقهاء المسلمين، قد اشكلوا على عقد التأمين من الناحية الشرعية بسبب احتوائه على عنصر الاحتمال، حيث تقوم شركات التأمين بالتأمين على التأمين على الشيء لمدة غير معينة مقابل الاقساط التي يدفعها المؤمن له.

وهذا يجعل العقد قريبا من عقود الغرر والتدليس لذلك فان فقهاء المسلمين بينوا طرقا يتم من خلالها ازالة الاشكال من عقود التأمين. وذلك من خلال تحديد مبلغ القسط بداية ونهاية، مع تحديد الوقت في عقد التأمين اي عدم ترك الوقت مفتوح حتى يستبعد عنصر الاحتمال في تحقق الخطر المؤمن ضده.اذ جاء في كتاب منهاج الصالحين للسيد ابي القاسم الخوئي (قدس سره)(انه يجب ان يعين في التأمين،قسط التأمين وتعين المدة بداية ونهاية)[٣٠]

وايضا ماذكره الشهيد محمد صادق الصدر (قدس سره) في كتاب منهاج الصالحين (غير ان المتعارف لدى شركات التأمين هو ان جبرانها للخسارة ايا كانت.غير ان هذه الجهالة مما يخل بصحة العقد فقهيا، بل يجب ان يكون الامر محددا من ناحية الخسران ومقدار الدفع في مقابله مالم يرجع الى امر تقريبي يرقى العرف فيه، ولايكون احد الطرفين مغررا به ومخدوعا واما الاقساط الشهرية فتكون محددة بتحديد مدتها وكميتها فلا اشكال في هذه الناحية) [٣١]

وايضا ماورد في منهاج الصالحين للسيد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) (ان من اركان عقد التأمين تعيين مدة العقد بداية ونهاية وتحديد مقدار الاقساط المدفوعة)[٣٢]. ويذكر الشيخ سيد سابق في

٢٩ – انظر د عبد الله توفيق الهلباوي،التأمين البحري والجوي، دار الحرية، ٢٠٠٩، صـ٢٧٠.

٣٠ – انظر السيد ابو القاسم الخوئي،منهاج الصالحين،المعاملات،دار المرتضى،٢٠٠٦، صـ١٦.

٣١ – انظر السيد الشهيد محمد باقر الصدر (قدس سره)، منهاج الصالحين،الجزء الثالث، هيئة تراث الشهيد الصدر، النجف الاشرف،،٢٠١١ صـ ٣٩٩.

٣٢ – انظر السيد علي الحسيني السيستاني، منهاج الصالحين، الجزء الاول، ١٤٣١،صـ ٣١٥.

كتابه فقه السنة (ان عقد التأمين لاينطبق على عقد يصححه الشرع الاسلامي لانه يعتمد عنصر الاحتمالية فمجرد تحقق الخطر يدفع شركات التأمين الى دفع مبالغ ضخمة لاتتناسب مع الاقساط المستوفاة من المؤمن له، مما يسبب اثراء في جانب المؤمن له على حساب المؤمن وهذا يدخل ضمن موضوع اكل اموال الناس بالباطل وهو محرم شرعا، لذا يجب ان تحدد مدة العقد بداية ونهاية وتحدد الاقساط المدفوعة على ضوء المدة).[٣٣]

من خلال ماتقدم من اراء الفقهاء، نجد ان عقد التأمين في الاسلام غير جائز لاحتوائه على عنصر الاحتمالية، التي تضفي على المعاملة طابع الغرر والمقامرة، حيث لايعلم المؤمن متى يتحقق الخطر المؤمن منه، وماهي الخسارة التي سوف تحدث،وقد تحدث خسارة تدفع المؤمن الى دفع مبالغ ضخمة للمؤمن له مما يسسبب خسارة له، واثراء للمؤمن له، وهذاسيقود في نهاية المطاف الى اشكال مفاده اكل اموال الناس بالباطل، لذلك يذكر فقهاء المسلمين ضرورة تعيين المدة بداية ونهاية مع تحديد مقدار القسط المدفوع،ومن ثم تزال الاحتمالية وبذلك يفضي دافع الشرعية على العقد ولاوجود للكسب دون سبب اوالاثراء على حساب الاخر.

الفرع الرابع / عقد التأمين على الطائرة من العقود التعاوضية.

عقد التأمين كغيره من العقود عقد تعاوض او معاوضة وهنا تنتفي نية التبرع فعقد التأمين من العقود التجارية التي تتنافى ونية التبرع، وهذا يعني ان كلا من الطرفين المتعاقدين يأخذ مقابلا لما اعطاه، بحيث ان المؤمن يستلم مقابلا للتأمين يتمثل في اقساط التأمين التي يدفعها المؤمن له. وكذلك فان المؤمن له ياخذ مقابلا لما اعطاه يتمثل هذا المقابل بمبلغ التعويض في حالة تحقق الخطر المؤمن ضده.

وقد لايتحقق الخطر المؤمن ضده مما يؤدي الى اثراء المؤمن له على حساب المؤمن، ولكن يرد على هذا الراي بان المؤمن يتحمل تبعة المخاطر من سواء تحقق الخطر ام لا. وبهذا فهو يعطي الامان للمؤمن له وهذا الامان لايكون الا بمقابل وليس مجانا[٣٤].

وهذا يعني ان عقد التأمين لايمكن ان ينقلب الى عقد تبرع حتى في الحالة التي لايحصل فيها المؤمن له على مبلغ التأمين لانعدام نية التبرع لدى الطرفين.[٣٥]

هذا ويذهب البعض في الفقه الى القول بان التزام المؤمن لايقتصر تحديدا على مبلغ التأمين ولكنه يمنح الامان الى المؤمن له بغض النظر عن التزامه باداء الاقساط وكذلك فان مبلغ التأمين قد يحصل عليه المؤمن له او لا يحصل عليه تبعا لوقوع الخطر وان عدم حصول المؤمن له على مبلغ التأمين لايؤثر على طبيعة عقد التأمين فلا يتحول الى عقد تبرع لانتفاء نية التبرع لدى المؤمن له، فمقابل الاقساط قد

٣٣ – انظر الشيخ سيد سابق، فقه السنة،الجزء الثالث،دار الفكر للطباعة، بيروت لبنان،الطبعة الاولى، ٢٠٠٣ صـ٢٧.

٣٤ – انظر د يوسف حجيم،دسنان الشبيبي،د حسين جميل،د هاشم فوزي ادارة التأمين والخطر، الطبعة الاولى،دار اليازوري للطباعة، ٢٠١١،سصـ٧٣.

٣٥ – انظر د. د غازي خالد،احكام التأمين،دراسة مقارنة،دار الوائل للطباعة،الطبعة الاولى، ٢٠١١ صـ٢٤٠.

ينحصر بالامان الذي يمنحه له المؤمن سواء تحقق الخطر ام لا.ولكن ان صح هذا الرأي، فان المؤمن لايمنح الامان الابمقابل له، وهذا المقابل يتمثل بالاقساط التي يدفعها مستثمر الطائرة او مالكها(المؤمن له) لشركة التأمين فعندما يقبل المؤمن تغطية خطر معين فانه يبيع الامان للمؤمن له.[٣٦]

و مما تقدم يمكن القول ان عقد التأمين يتنافى ونية التبرع، ولايؤثر في العقد مايتم اجراؤه من اتفاقات لاحقة عليه كالاشتراط لمصلحة الغير لان العبرة بذات العقد، وليس الى مايعاصره من اتفاقات او مايرد لاحقا عليه من شروط.فالعبرة بعقد التأمين لحظة ابرامه.

الفرع الخامس /عقد التأمين من عقود الحلول الشخصية.

اذا ما تحقق للمؤمن له حق في مواجهة شخص ثالث فمن حق شركة التأمين بعد دفعها التعويض الرجوع على هذا الشخص الثالث،ومطالبته بقيمة الاضرار التي سبق وان دفعتها. وهذا هو مبدا حق الحلول او الرجوع الذي يرتبط ارتباطا وثيقا ومباشرا بمبدا التعويض او العقود التعويضية ذلك ان العقود غير التعويضية لايعمل فيها مبدا حق الحلول كوثائق الحياة والحوادث الشخصية مثلا.

اما في مجال نشاط الطيران فيوجد شرط في الوثيقة يحق فيها لشركة التأمين الرجوع على من سبب الحادث او الضرر باسم المؤمن له، ومطالبته بتعويض الاضرار قبل قيام الشركة بالدفع والسبب الرئيس هو ضخامة مبالغ التأمين لهيكل الطائرة، و الاضرار اللاحقة وفي الحوادث التي تحدث خارج سيطرة طاقم الطائرة، وتحت الظروف الاعتيادية اصبح من الاجراءات المعتادة هذه الايام في امريكا مثالا ادخال منتجي او مصممي الطائرة او المسؤولين عنها (صيانتها او تصليحها) كمسؤولين عن الحادث على السواء في حالات حق الحلول في المشاركة في التعويض.هذا وقررت حالات كثيرة قام المؤمن له بالتنازل عن المسؤولية التي تحققت له على شخص ثالث تسبب في الحادث، وقد ادى ذلك الى حرمان شركة التأمين في حقها بالرجوع على المتتسبب في الحادث ومطالبته بالاضرار[٣٧].

المطلب الثالث: النطاق الشخصي للالتزام بالتأمين على الطائرة

لمعرفة النطاق الشخصي للالتزام بالتأمين على الطائرة لابد لنا من معرفة موقف التشريعات التي تعالج موضوع التأمين وهل تميز بين جنسيتها ام بحسب الاقاليم التي تشغلها عند العمل لهذا سوف نستعرض الموقف المصري والعراقي.

اذ ان المشرع المصري لايفرق في الالتزام بالتأمين مابين الطائرات الوطنية والطائرات الاجنبية،اذ انه يوجب على مستثمر الطائرة التي تعمل في الاقليم المصري ان يؤمن على طائرته بغض النظر عن جنسيتها.

ولكن تحديد شخص الملتزم بالتأمين يثير صعوبة في بعض الاحيان حيث يتم القاء العبء على مستثمر الطائرة للتأمين عليها رغم ان هناك صورمن المسؤوليات من المفروض الا يتحملها المؤمل له

---

٣٦ – انظر د باسم محمد صالح،التأمين واحكامه واسسسه دراسة تحليلية مقارنة،دار الكتب القانونية للنشر والتوزيع ٢٠١١ صـ ٧٨. ٧٩,٢.

٣٧ – انظر محمد زكي عبد الرحمن، المصدر السابق صـ ١٨.

(المستثمر).حيث ان المادة الاولى من القانون الطيران المدني المصري الصادر سنة ١٩٨١ عرفت في فقرتها الثامنة مستثمر الطائرة (بانه كل شخص طبيعي او معنوي يقوم بتشغيل الطائرة بغرض الربح،اما بنفسه او بتاجيرها للغير وتخضع هيئة قيادتها لاوامره).

ثم في الفقرة العاشرة من المادة نفسها عرفت الناقل الجوي بانه (كل شخص طبيعي او معنوي يقوم باستثمار خط او خطوط جوية لنقل الركاب والبضائع او اي منهما)[٣٨].

وهذا مطابق لما ورد في المادة الاولى من قانون الطيران المدني العراقي رقم ١٤٨ لسنة ١٩٧٤ بالفقرتين (١٣،٢٤)[٣٩].

يتضح من تعريف القانون المصري للمستثمر بان عمله يتوقف على تشغيل الطائرة، لذلك فانه ياخذ بنظر الاعتبار فروض تاجير الطائرة.

وحيث ان تاجير الطائرة يكون على فرضين هما:

١ـ تاجيرها عارية فيكون طاقمها تابعا للمستاجر.

٢ـ تاجيرها بالطاقم فيكون طاقمها تابعا للمؤجر ويكتب بذلك صفة المستثمر دون المستاجر.

اما الناقل الجوي فلا علاقة له بتشغيل الطائرة حسب ماورد في التعريف، اذ يتوقف عمله على استثمار خط اوخطوط جوية لنقل الركاب او البريد او البضائع او اي منهما.

بعبارة اخرى هو ذلك (الشخص الطبيعي او المعنوي الذي يتولى مشروع النقل الجوي).

ومن ثم يكتسب هذا الشخص صفة الناقل سواء كان مالكا للطائرة التي تقوم بالنقل او مستاجرا لها عارية او بالطاقم.

و هناك فرضان يجمع فيهما الناقل الجوي بين صفتي المستثمر والناقل الجوي هما:.

١. الفرض الذي يكون الناقل الجوي هو مالك الطائرة.

٢ـ الفرض الذي يكون الناقل الجوي مستاجرا للطائرة عارية.

اذ نشهد انفصال لصفتي الناقل الجوي والمستثمر في الفرض، الذي يكون فيه الناقل الجوي مستاجرا للطائرة بالطاقم فبينما يعد مؤجر الطائرة مستثمرا للطائرة يكون المستاجر ناقلا جويا.

فاذا انتقلنا الى تطبيق هذه التعاريف لتحديد النطاق الشخصي للالتزام بالتأمين على الطائرة.

لوجدنا ان مستثمر الطائرة سيكون ملزما بالتأمين ضد الاضرار، التي تصيب متلقي خدمة النقل بالرغم من عدم مسؤوليته في الاحوال التي لايعد فيها ناقلا جويا،في حين المسؤول عن هذه الاضرار لايكون ملزما بالتأمين من تلك المسؤولية.

اما عن المسؤوليات الاخرى الموجبة للتأمين فلايثير النص المصري اي اشكال في التطبيق.

---

٣٨ – قانون الطيران المدني المصري رقم ١٢٨ لسنة ١٩٨١.

٣٩ – قانون الطيران المدني العراقي رقم ١٤٨ لسنة ١٩٧٤ المعدل.

ذلك ان مستثمر الطائرة مسؤول عن الاضرار التي تلحق بالغير على سطح الارض، فيبدو التزامه عن ذلك طبيعيا ومسؤوليته حقيقية.

اما بالنسبة للمستخدمين (طاقم الطائرة) الذين يتعرضون لمخاطر الطيران،فسواء أكانوا تابعيين لمؤجر الطائرة ام لمستأجرها عارية، فأن المتبوع يكتسب في كل الاحوال صفة المستثمر مما يجعل التزامه بالتأمين عن هذه الاضرار طبيعيا.

وإزاء ذلك، فقد يراد ان يجعل التأمين على الطائرة لضمان المسؤوليات الناشئة عن المخاطر الجوية، فانه يجب ربط الالتزام بالتأمين بكل صور من صور المسؤوليات،ويتعين ان يجعل الناقل الجوي لا مستثمر الطائرة ملزما بالتأمين ضد المسؤولية عن الاضرار التي تصيب الركاب والامتعة التي تكون على متن الطائرة وهذا مافعله المشرع المصري.

واذ مافرض الالتزام على عاتق الناقل الجوي فانه سيقع على كل من يكتسب هذه الصفة، ومن ثم فان المشرع المصري جعل التأمين على الطائرة شرطاً للحصول على تصريح الطيران وخاصة لتلك الطائرات الوطنية التي تعمل في الاقليم.[٤٠]

وهكذا ان النطاق الشخصي للالتزام بالتأمين على الطائرة لايقف عند هذا الحد بل ايضا يشمل المودع لديهم الطائرات اي مالكي حظائر الطائرات حيث انهم يكونون مسؤولين عن الاضرار التي تصيب الطائرة المودعة لديهم اذا لم يبذلوا العناية اللازمة للحفاظ عليها.

وكذلك فانهم مسؤولون عن الاضرار التي تصيب الشخص الثالث مادامت الطائرة بحوزتهم اذا ثبت اهمالهم، لذلك فهم مجبرون على التأمين على الطائرة لكي يتخلصوا من المسؤولية المترتبة من اصابت الغير بالاضرار. لكن المودع لديهم الطائرة يتخلصون من هذه المسؤولية عن طريق تضمين عقد التأمين شرط عدم المسؤولية عن الاضرار التي تسببها الطائرة، على ان يثبتوا في حال ظهور نزاع بشان مضمون العقد بان مالكي الطائرات لديهم علم بهذا الشرط والعكس صحيح.

وكذلك فان المصارف ايضا قد تؤمن على الطائرات التي تم شراؤها بموجب قروض قدمت من قبلها الى شركات الخطوط الجوية وذلك من اجل المحافظة على مبلغ القرض.[٤١]

ومن كل ماتقدم نجد صعوبة في تحديد شخص الملتزم بالتأمين وفقا القانون المصري.

بخلاف قانون الطيران المدني العراقي رقم ١٤٨ لسنة ١٩٧٤ فلا نجد صعوبة في تحديد شخص الملتزم بالتأمين حيث ان شركة الخطوط الجوية هي المستثمرة الوحيدة لطائراتها وهي في نفس الوقت تعتبر ناقلا جويا لذلك فهي الملزمة بالتأمين على طائراتها. [٤٢]

---

٤٠ – انظر. هاني دويدار ـالتأمين الجوي بحث مقدم الى مؤتمر الجديد في مجال التأمين . منشورات الحلبي الحقوقية بيروت لبنان . ٢٠٠٦ . صـ ١٢٠. ١٢٤.

٤١ – انظر محمد زكي عبد الرحمن. المصدر السابق. صـــ ١٦ . ٦٥.

٤٢ – انظر شذى حسن زلزلة . وثائق تأمين الطيران والشروط العالمية المستعملة في تطبيقها في السوق العراقية . بحث مقدم الى كلية الادارة والاقتصاد . جامعة بغداد ١٩٧٨صـــ ١٦٥.

ويمكن القول ان المشرع المصري قد، وجد صعوبة في تحديد شخص الملتزم بالتأمين على الطائرة وذلك لعدم وجود جهة متخصصة بادارة الخطوط الجوية المصرية وما يتعلق بها اذ انه تارة الزم المستثمر في فروض معين بالتأمين وتارة اخرى الزم الناقل الجوي بالتأمين.

بخلاف المشرع العراقي الذي لم يجد صعوبة في تحديد النطاق الشخصي للالتزام بالتأمين لوجود جهة متخصصة بادارة الخطوط الجوية العراقية التي، تعد هي المستثمر و الناقل الجوي في نفس الوقت لذلك فهي الملزمة بالتأمين على الطائرات التابعة لها الا وهي الخطوط الجوية العراقية وكما ذكرنا انفا.

الخاتمة

بعد ان انتهينا ولله الحمد من بحثنا (عقد التأمين على الطائرة ـ دراسة مقارنة)فقد توصلنا من خلال البحث والتحليل الى استخلاص عدة نتائج اولا وهذه النتائج يمكن ان تعالج من خلال عدة مقترحات والتي نأمل بالمشرع العراقي الاخذ بها وهي كالاتي:.

اولا:النتائج

١ـ يتضح لنا ان عقد التأمين على الطائرة ماهو الا اداة للحد من الاثار المالية البالغة السوء التي تلحق بمستثمر الطائرة نتيجة للاضرار التي تسببها للغير او لركابها او الاضرار التي تصيب هيكلها ومستخدمي المستثمر.

٢. نلاحظ ان هناك دوراكبيرا للاتفاقيات الدولية في تنظيم كيفية تعويض المضرورين الذين تعرضوا لحوادث الطيران ووضع الضوابط الخاصة بالتعويض وعدم اعمال القانون الوطني في حال تعارضه مع الاتفاقية ماعدا القواعد التي يضعها المشرع والتي لاتوجد في الاتفاقية فهي تطبق مع الاتفاقية جنبا الى جنب.

٣. ان عقد التأمين عقد رضائي لايحتاج الى اتخاذ شكل خاص وانما يكفي ارتباط الايجاب بالقبول وما الكتابة الا للاثبات في حالة الاختلاف بالمضمون وان الاذعان لا يبعد طابع الرضائية لان صفة الاجبار تتوفر قبل ابرام العقد والقبول لشروط العقد لايعد اذعانا.

٤. يتضح لنا ان القانون قد سمح للمؤمن في حالة عدم تمكنه من اتمام اجراءات التأمين ان يأتي ببدائل حددها القانون ومن ثم يستطيع ادخالها في مجال النشاط الجوي لحين اكمال الاجراءات التأمين لابرام العقد.

٥. ان المشرع قد اوكل تقدير مدى كفاية الضمانات للتأمين الى سطات الطيران المدني الا انه لم يعطِ سلطة واسعة لها وانما قيدها بقيود فهو، من جانب، الزم سلطات الطيران المدني بتطبيق احكام اتفاقية وارشو عند توفر شروطها،ومن جانب اخر، الزمها بتطبيق احكام اتفاقية روما عند توفر متطلباتها.

٦. لاحظنا سابقا ان مستثمر الطائرة يمكن ان يكون مالكا للطائرة اويمكن ان يكون مؤجرا لها او حائزا لها بموجب عقد معين يسمح له بالحيازة.

ثانيا:المقترحات

على الرغم من الدور البارز لعقد التأمين على الطائرة في البيئة الجوية الا انه لم يحظ بالاهتمام الكافي من فقهاء القانون العراقي وعليه نقترح الاخذ بالمقترحات التالية لابراز دور واهمية هذا العقد في المجال الجوي ولعل من ابرزهذه المقترحات هي:.

١- نقترح وضع تعليمات لقانون الطيران المدني العراقي رقم ١٤٨لسنة ١٩٧٤ المعدل مع وضع تعريف خاص بعقد التأمين على الطائرة لما لهذا العقد من اهمية خاصة ذلك ان الطائرة ترتب اضرارا مالية بالغة السوء تلحق بمستثمر الطائرة.

٢- نقترح بان يقوم المشرع العراقي بوضع قانون يسمح للشركات الخاصة بالدخول في مجال التأمين على الطائرات وان لا تختص فقط بشركة التأمين الوطنية العراقية خاصة ان المرحلة الراهنة قد ادت الى انتعاش الاقتصاد العراقي.

٣- كذلك نقترح على المشرع العراقي بوضع تشريع خاص يمكن من خلاله شركات الطيران بالدخول في مجال استثمار الطائرات خاصة ان العراق على ابواب انتعاش اقتصادي واسوة بدول الجوار التي لم تجعل شركات الخطوط الجوية حصرا بيد الدولة وانما فتحت المجال للشركات الخاصة للاستثمار.

٤- نقترح على المشرع العراقي تعديل نص المادة ٩٢٠ من القانون المدني العراقي ببيان الجانب الفني وحقيقته الرابطة بين الطرفين (المؤمن والمؤمن له) وعدم الاقتصار على الجانب القانوني فقط.

٥- نقترح على المشرع تعديل نص المادة ٩٨٧ الفقرة الاولى بعدم المساواة بين حالة كتمان المؤمن له اية بيانات عن الخطر وحالة تعمده تقديم بيانات كاذبة بان يدخل الحالة الثانية ضمن الفقرة الثانية للمادة اعلاه ومساواتها مع المؤمن له سيء النية لانه في الحالة الثانية يكون سيء النية لانه كان قاصدا تقديم بيانات كاذبة.

٦-ندعو المشرع الى تضمين قانون الطيران المدني العراقي نص يجبر المستثمر على التأمين وذلك من اجل حماية المستثمر من الاثار التي ترتب على تحطم الطائرة وفي نفس الوقت ضمان لمن تضرر من الطائرة.

٧- كما نقترح على المشرع العراقي بان يجعل للمضرورين اولوية على الضمانات التي يقدمها المستثمر قبل ابرامه عقد التأمين على الطائرة وان يخصص هذه الاولوية للوطنيين وتعليق حق الاجانب على شرط المعاملة بالمثل، وذلك عن طريق وضع نص يعطي حق امتياز للمضرور على مبلغ التأمين، بحيث يتم تأخير كافة المستحقات الاخرى الى ان يتم تعويض كافة المضرورين.

٨. كما نقترح على المشرع بوضع احكام خاصة بالكفالة التي يقدمها المصرف لكفالة مستثمر الطائرة في حال تسببها باضرار، وذلك لان هذا النوع من الكفالة يختلف بأحكامه عن الكفالة المقررة بنصوص القانون المدني، اذ انها تكفل المستثمر بتعويض المضرورين بمبالغ ضخمة جدا وان تكون دولة المستثمر هي الضامنة على اعتبار انها محل ثقة.

٩- يمكن ان يكون عقد التأمين على الطائرة مبنيا على اساس القيمة المتفق عليها أي ان يتم تحديد مبلغ التأمين والوقت وهذا ما يرفع طابع الغرر عن عقد التأمين.

المصادر

اولا/ كتب اللغة

١. ابن منظور، لسان العرب،بيروت . لبنان،دار احياء التراث العربي،الجزء الثاني،بدون سنة طبع.
٢. محمد الدين محمد بن يعقوب،الفيروز ابادي،القاموس المحيط،دار الحديث القاهرة،بدون سنة طبع.
٣. محمد بن ابي بكر الرازي،مختار الصحاح،دار الرسالة،الكويت،١٩٨٣.

ثانيا / كتب الفقه الاسلامي

١. السيد ابو القاسم الخوئي،منهاج الصالحين،المعاملات،دار المرتضى،٢٠٠٦.
٢. السيد الشهيد محمد صادق الصدر (قدس سره).منهج الصالحين،الجزء الثالث،هيئة تراث الشهيد الصدر،النجف الاشرف،٢٠١١.
٣. السيد علي الحسيني السستاني،منهاج الصالحين. الجزء الاول،١٤٣١هـ.
٤. الشيخ سيد سابق،فقه السنة،الجزء الثالث،دار الفكر للطباعة، بيروت . لبنان، الطبعة الاولى،٢٠٠٣.

ثالثا /الكتب القانونية

١. د. احمد ابو السعود،عقد التأمين بين النظرية والتطبيق،دار الفكر الجامعي،٢٠٠٩.
٢. د.احمد شرف الدين،احكام عقد التأمين،الطبعة الثالثة، ١٩٩١.
٣. البشير زهرة،التأمين البري،دراسة تحليلية وشرح عقود التأمين،تونس،بدون سنة طبع.
٤. د.باسم محمد صالح،التأمين واحكامه واسسه دراسة تحليلية مقارنة،دار الكتب القانونية للنشر والتوزيع،٢٠١١.
٥. د.عبد الله توفيق الهلباوي،التأمين البحري والجوي،دار الحرية،٢٠٠٩.
٦. د.عبد الهادي السيد محمد تقي،عقد التأمين حقيقته ومشروعيته،دراسة مقارنة،منشورات الحلبي.بيروت . لبنان،٢٠٠٣.
٧. د.عصام انور سليم،اصول عقد التأمين،دار المعارف،الاسكندرية،٢٠٠٨.
٨. د.عصام سليمان،مقدمة في التأمين البحري، الجزء الاول،بدون سنة طبع.
٩. د.غازي خالد ابو عرابي،احكام التأمين دراسة مقارنة،دار الوائل للطباعة،الطبعة الاولى،٢٠١١.
١٠. د فتحي عبد الرحيم عبد الله،التأمين،مكتبة الجلاء المنصورة، ١٩٩٧.
١١. د.محمد حسين منصور،احكام قانون التأمين،دار المعارف،الاسكندرية،٢٠٠٥.

١٢. د.محمد فريد العريني،دهاني دويدار،قانون الطيران التجاري في ضوء القانون اللبناني والاتفاقيات الدولية،دار النهضة العربية،١٩٩٥.

١٣. د.يوسف حجيم،د.سنان كاظم،د.حسين جميل،د.هاشم فوزي،ادارة التأمين والمخاطر،الطبعة الاولى،دار اليازوري،٢٠١١.

رابعا /البحوث والمجلات

١- د.اكرم ياملكي،الاعمال القانونية الواردة على الطائرة،بحث في منشورمجلة الدراسات القانونية،منشورات الحلبي،٢٠٠٦.٢٠٠٨.

٣- د.خميس خضر،تطور التشريع المصري،في ميدان النقل الجوي،بحث منشور في مجلة القضاء العدد ٢٦.

٤- شذى حسن زلزلة،وثائق الطيران والشروط العالمية المستعملة في تطبيقاتها في السوق العالمية،بحث مقدم الى كلية الادارة والاقتصاد،جامعة بغداد،١٩٧٨.

٥- د.طالب حسن موسى، النظام الخاص لمسؤولية الناقل الجوي وقانون التجارة رقم ١٤٩ لسنة ١٩٧٠،بحث منشورفي مجلة القضاء،العدد الثاني،٢٦.

٦- د.هاني دويدار،التأمين الجوي،سلسة بحوث قانونية في مجال التأمين والضمان بالعالم العربي، منشورات الحلبي، الحقوقية، بيروت . لبنان،٢٠٠٦.

خامسا/ القوانين

١. قانون الطيران المدني العراقي رقم ١٤٨ لسنة ١٩٧٤ المعدل.

٢. قانون الطيران المدني المصري رقم ١٢٨ لسنة ١٩٨١.

سادسا/مصادر الانترنيت

١. منتديات جامعة الاسكندرية على الموقع الالكتروني.www.lomazoma.com

٢. منتديات ملتقى الشباب،تعريف الطائرة على الموقع الالكتروني www.4moltqa.com

سيميائية العنوان في شعر كاظم السعدي مجموعة

(فضاء المعنى) انموذجاً

The semiotics of title in the poetry of Kadhim Al-Saadi. A collection of (meaning space)as a sample

أ.م.د احمد صبيح الكعبي [١]
Assist. Prof. Ahmed S. Al-Kaabi
رغد عبود الحلي [٢]
Raghad A. Al-Hili

المستخلص

يسعى هذا البحث الى تتبع الدلالة السيميائية للعنوان في المجموعة الشعرية (فضاء المعنى) للشاعر الكربلائي (كاظم السعدي) وما تتضمنه هذه الرحلة من انعكاسات على موضوعات القصائد وقد توصل الى نتيجة مركزية يمكن اجمالها بان العنوان كان حاكيا لموضوعات المجموعة بشكل عام وتصب جميعها بمصبه حيث ان بالجمع بين كلمتي العنوان (فضاء، معنى) التي هي (الاتساع – غاية الظهور) يتجلى ان هذه المجموعة الشعرية قد اتسعت لتشمل كل ما يكابده الشاعر وظهر فيها بكل ما تعنيه كلمة الظهور من حالة الانكشاف والتجلي و تسمت المجموعة باسم قصيدة منها يخلو لاحد الباحثين ان يسميها (قصيدة الديوان) التي تكون مفتاحا لفهم مضمونه و منطلقا قد اختاره الشاعر لتحديد سيره في بقية العمل الشعري. اما بالنسبة للعناوين الاخرى في المجموعة الشعرية فقد اتصلت بعضها بالعنوان الرئيسي للمجموعة الشعرية والاخرى كانت واضحة الدلالة تسلم خلاصة القصيدة للقارئ وهناك عناوين لا تخلو من دلالة رمزية تفك شفراتها عند اكمال قراءة القصيدة.

١ – جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية .
٢ – طالبة ماجستير / جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الانسانية .

Abstract

Seeks this research to trace the significance of semiotics to the subject of the poetry collection (space-meaning) of the Karbalai poet (Kazem al-Saadi) and which included in this journey of reflections on the poems topics have reached a central result it can be summarized that the title was mimicking all subjects group generally as by combining my title (space, meaning) which is (extending - ultimate appearing) reflected that this poetry collection has expanded to include everything that challenge the poet and appeared in every sense of the word emerge from the case of exposure and the transfiguration and the group is named by one poem of them, which one of the researchers like that call it (poem of the collection), which it is key to understanding the content and the platform has been chosen by the poet to determine his way in the rest of the poem work. As for the other topics in the poetry collection, some of them joined the main title of the collection of poetry and the other was a clear indication introduces a summary of the poem to the reader and there are topics that not devoid of symbolic significance loosen their codes at the completion of reading the poem.

المقدمة

فان الشعر عالم رحب يلامس شغاف الحس الانساني المرهف ويعايش العواطف البشرية ويحاكيها اما الشاعر فهو كما وصِف"عدسة مكبرة ترى دمعة طفلة مشردة قادرة على اغراق العالم، وابتسامتها سفينة تحمل فيها من كل زوجين اثنين"لذا كان للشعر مكانة خاصة في كل عصور الادب العربي رغم اختلاف ظروف الزمان والمكان حتى ان اول مسابقة للمواهب العربية اجريت في العالم العربي كانت الموهبة الفائزة موهبة شعرية وهذا ان دل على شيء فإنما يدل على الدور الذي يلعبه الشعر في الحياة العربية، وقد كانت كربلاء ولا زالت تحتضن كثيرا من الشعراء الذين امتازوا بشعرية مميزة ونفس ابداعي خلاق وقد تبنت جامعتها دراسة هؤلاء الشعراء وتسليط الضوء على نتاجهم الادبي ولعل هذه المحاولة البحثية تمثل خطوة ضمن هذا المشروع تناولت بالدرس شاعرا كربلائيا لم يدرس شعره فيما مضى وهو الشاعر (كاظم ناصر السعدي) ضمن منهج نقدي يهتم بالعلامات وحركتها في الشعر وهو (المنهج السيميائي) وبالتحديد سيميائية العنوان في احدى المجموعات الشعرية للشاعر وهي (فضاء المعنى).

خطة البحث تنقسم على مبحثين خصص الاول منهما في دراسة العنوان الاصلي والعناوين المشتركة به، اما الثاني فتكفل بالحديث عن العناوين الفرعية في المجموعة وكان على محورين الاول العناوين ذات الدلالة المباشرة على موضوعات قصائدها والثاني غير المباشرة او التي تتضمن رمزية فككت شفراتها في اثناء البحث.

ومن اهم المصادر التي افدنا منها (البنى الاسلوبية لحسن ناظم –سيميائية النصوص للدكتور جمال حضري –عتبات النص البنية والدلالة عبد الفتاح الحجمري) وغيرها.

اما الصعوبات فتتمثل بقلة الدراسات التي تطرقت الى سيميائية العنوان فلم اجد نماذج تطبيقية كثيرة حتى افيد منها، ولا انسى ضيق الوقت الذي عايشته خلال هذه المرحلة الدراسية التي كان هذا البحث جزءا من متطلباتها واشكر بنهاية المطاف الله عز وجل على نعمه التي لا تحصى ولعل تفضله علي بالصحة والعافية اعانني في انجاز هذا البحث واشكر استاذي الفاضل الذي شاركني بآرائه السديدة وملاحظاته القيمة الاستاذ المساعد الدكتور احمد صبيح الكعبي وفقه الله لمراضيه واعانه على المزيد من ابحاثه القيمة وتأليفاته النافعة وجزاه الله عن طلبته كل خير والحمد لله اولا وآخرا.

تمهيد: الشاعر وبيئته الادبية

انجبت كربلاء المقدسة عددا كبيرا من العلماء والادباء والمفكرين اذ "لم تكن الحركة الثقافية حديثة عهد وانما وجدت في كربلاء منذ سكنها المسلمون فقد عرف من علمائها في القرن الثالث الهجري حميد بن زياد وكان من اهل نينوى (القريبة من كربلاء) و وصف بكونه ثقة كثير التصانيف ومنذ ذلك الوقت كانت كربلاء من المراكز العلمية التي يقصدها العلماء والمتعلمون للإغتراف من معين علوم العربية والدين..."[٣] ولذا صار مجتمع هذه المدينة ميالا – بشكل عام – الى الثقافة والمعرفة ويكفي ان نعرف ان عدد من يحضر درسا علميا فيها كان يزيد على الف رجل [٤] و الاديب كاظم ناصر عبد الحسين جار الله السعدي [٥] من ادباء هذه المدينة المعاصرين الذين اغنوا بعطائهم الفكري والادبي المكتبة الادبية العربية بالمفيد والممتع من نتاج قرائحهم ومواهبهم ولد بمدينة كربلاء المقدسة سنة ١٩٤٨م وبرز في الساحة الادبية العراقية منذ سنة ١٩٧٩م عندما اصدر مجموعته الشعرية الموسومة (كلمات حب) [٦].

وهو من رجال الاسرة التربوية في هذه المدينة المقدسة اذ"تخرج في دار المعلمين ومارس التعليم"[٧] في مدارسها منذ سنة ١٩٧١م ومارس العمل الادبي والثقافي وصار عضوا في عدد من الاتحادات والمنظمات ذات العلاقة منها:

١. اتحاد الادباء والكتاب العراقيين
٢. اتحاد الادباء العرب
٣. نقابة الصحفيين العراقيين
٤. نقابة المعلمين

نتاجه الثقافي والمعرفي:

٣– الادب العربي في كربلاء :٥٦
٤– ينظر :م ن
٥– ينظر : تاريخ كربلاء قديما وحديثا :٢٦٣ ومعجم رجال الفكر والادب في كربلاء :١٧٤
٦– ينظر :معجم المؤلفين والكتاب العراقيين (١٩٧٠–٢٠٠٠): ج٦–٢٦٦
٧– موسوعة اعلام وعلماء العراق : ج١ –٦٥٢

١. كلمات حب (مجموعة شعرية) ١٩٧٩م
٢. بنو سعد ماضيا وحاضرا (كتاب في التاريخ والنسب) بغداد ١٩٩٤م
٣. ابجدية الفرات (مجموعة شعرية) ٢٠٠٠م
٤. فضاء المعنى (مجموعة شعرية) ٢٠٠٨م
٥. سيرة لغد مضى (مجموعة شعرية) صدر عن دار الشؤون الثقافية سنة ٢٠١٣م
٦. عسل الاحلام (مجموعة شعرية مخطوطة) ستصدر عن دار الشؤون الثقافية قريبا
٧. هذا طريق الحسين (تحليل تاريخي) صدر سنة ٢٠٠٠ عن المكتبة العلمية ببغداد
٨. من احلى الغزل (مختارات شعرية مع دراسة تمهيدية) صدر سنة ٢٠٠٠ عن المكتبة العلمية ببغداد
٩. شمس كربلاء وهي مسرحية شعرية عن الامام الحسين عليه السلام /٢٠٠٠م
١٠. الباحث عن المعنى وهي مسرحية شعرية عن الصحابي الجليل سلمان الفارسي /٢٠٠٣م

وله قصائد وكتابات صحفية منشورة في الصحف والمجلات العراقية والعربية مثل: مجلة آفاق ادبية ومجلة الاديب العراقي وجريدة الصباح وجريدة الصباح الجديد وجريدة المدى وجريدة الاتحاد وجريدة المشرق... وغيرها.

كتب عنه عدد من النقاد والادباء منهم: ناظم السعود، جاسم عاصي، عبد علي اليوسفي، د. عبود جودي الحلي، رضا الخفاجي، منذر عبد الحر، علي حسين عبيد، د. خضير عباس درويش، د. محمد عبد فيحان، حسين البزاز، محمد زمان،عدنان عباس سلطان، عبد اللطيف كاظم، شكر حاجم الصالحي وغيرهم.

مارس العمل الصحفي كاتبا ومحققا واختارته مجلة (مدارات تربوية) التي تصدر من المديرية العامة للتربية في كربلاء نائبا لرئيس تحريرها. كما عمل محررا في جريدة الاتحاد /قسم التحقيقات [٨] ولا يزال اديبا يشار اليه بالبنان في الساحة الادبية العراقية والكربلائية

المبحث الاول: العنوان الاصلي والعناوين المتصلة به

العنوان الاصلي (اسم المجموعة الشعرية)

لعل اول لمحة اشارية تجذب انتباه المتلقي وهو يشاهد كتابا او نصا هي عنوان او عتبة ذلك الكتاب فهي التي تغريه بمواصلة الاخذ والرد معه وسبر اغواره او بالعكس قد تجعله يلتفت غير مكترث الى أي شيء آخر لذا فان اسم الكتاب"يعد من بين العناصر المناصية المهمة فلا يمكننا تجاهله او مجاوزته لانه العلامة الفارقة بين كاتب وآخر فيه تثبت هوية الكتاب لصاحبه ويحقق ملكيته الادبية والفكرية على عمله"[٩]وقد اولت الدراسات السيميائية العنوان اهمية بالغة كونه يمثل بوابة النص ومدخله"فالعنوان هو

٨- لقاء بالشاعر في بيت والدي د.عبود الحلي عصر يوم الثلاثاء ٤/٨ /٢٠١٥ م
٩- عتبات من النص الى المناص :٦٣

مفتاح النص او مفتاح اجرائي للدخول الى عالم النص وفك مغاليقه وفهم دلالته فهو بمثابة رسالة يبثها المرسل الى المرسل اليه مزودة بشفرة لغوية يحللها المستقبل ويؤولها بلغته الواصفة"[١٠] فالمجموعة الشعرية موضوعة البحث اسماها الشاعر (فضاء المعنى) فهو عبارة عن مركب اضافي اسند فيه المفرد النكرة الى المفرد المعرفة ودلالة كلمة (فضاء) توحي لنا بحالة من الاتساع فمعناها اللغوي"ما اتسع من الارض"[١١]اما الكلمة المضافة اليها (المعنى) فبإرجاعها الى جذرها اللغوي (عنّ) الذي يقول عنه ابن منظور:"عنّ الشيء ويعنّ عننا وعنونا:ظهر امامك"[١٢]ومعنى مصدر ميمي[١٣] وهناك من ميز بين دلالة المصدر الصريح والمصدر الميمي فيذكر احد الباحثين ان الراغب الاصفهاني ميز بين التوبة والمتاب فالمتاب يعني الغاية من التوبة ومنتهاها[١٤] لذا المعنى هو غاية الظهور وبالجمع بين دلالتي كلمتي العنوان الاتساع –غاية الظهور يتجلى لنا ان هذه المجموعة الشعرية قد اتسعت لتشمل كل ما يكابده الشاعر وظهر فيها بكل ما تعنيه كلمة الظهور من حالة الانكشاف والتجلي أي ان الشاعر كان حرا ولم يقيده قيد في التعبير عن ما يريد التعبير عنه حتى بالنسبة للبحور القصائد وموسيقاها ففي (فضاء المعنى نجد الشعر العمودي والشعر الحر وقصيدة النثر والحرية من الامور المهمة عند الشاعر يقول عنها:"يكتسب الشعر اهميته من حرية تعامله مع العالم والقصيدة الحقيقية لا توجد في الوزن او القافية او التحرر منهما بل توجد حيث ترف اجنحة الشاعر بقوة نحو عالم الحرية والجمال والحقيقة دون سقوط في عبوديات وقوالب وقوانين مقررة"[١٥].

وقد كان هذا العنوان هو احد العناوين الفرعية لقصائد الديوان وان عناوين القصائد الاخرى قد جاءت في الاغلب ملائمة لموضوع الديوان متماشية معه كما سيتضح ان شاء الله تعالى في اثناء هذه المحاولة البحثية.

وقد اطلق احد الباحثين تسمية (قصيدة الديوان) على تلك القصيدة التي تشترك مع الديوان في التسمية وقال عنها:"هي المفتاح _في الاغلب– لفهم مضمون الديوان الشعري ككل والمنطلق الذي اختاره الشاعر منذ البدء لتحديد سيره في بقية العمل الشعري"[١٦]ولو تأملنا في قصيدة (فضاء المعنى)لوجدناها ذاتية الانطلاق وكأن الشاعر فيها يخاطب نفسه ويجعل لروحه مجسّات بلورية تتحسس همومه:

"للروح
مجساتها البلورية
مثلما
للجسد

١٠– في تحليل الخطاب :١٤٧
١١– لسان العرب مادة فضا
١٢– م ن مادة عنن
١٣– ينظر في تعريفه :المهذب في علم التصريف :٢٨١
١٤– ينظر: المصدر الميمي في القرآن الكريم :٥٤
١٥– من حوار مع الشاعر اجراه منذر عبد الحر نشرته جريدة الدستور العدد٢١١٤ _٢٣كانون الثاني ٢٠١٠م :٨
١٦ – دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية :٢١٦

مراياه المدهشة
الغموض العاري
يبسط بينهما
عشبه الاليف
لعل تنبؤاته
تفصح
عن كنه اللوحة"[١٧]

لعل من الامكان القول ان الشاعر يريد في قصيدة الديوان هذه ان يقول ان الشعر يمثل مرآة للروح مثلما للجسد مراياه التي تعكس صورته وهذا ما فهمه القاص جاسم عاصي في كلمة الغلاف التي كتبها للديوان:"فكل الذي يرتسم هو معنى الالفة الحاصلة من قنوات التآلف والمواءمة وهي صورة تخطها الذات من خلال تحريك خزينها المعرفي – الوجداني فلا تنتج غير الشعر فإنه الكلام المقتضب والموسوم بنكهة الروح وشواردها". ثم يعاود الشاعر ذكر فضاء المعنى داخل قصيدة الديوان:

"هل تتناثر
اشلاء الروح
في فضاء المعنى ؟
ماذا لو ألقى الشاعر
كريستاله في الينابيع
لوفك رموز الاقاصي...
نخلة مريم
قصيدة الحالمة
ذلك الازرق المتناهي
يمنحها
نكهة الفرات
ربما يفيض الغناء
بالالق الابجدي"[١٨]

افهم من النص ان الشاعر يتحدث عن وظيفة الشعر وحراكه المجتمعي لانه يلقي كريستاله (شعره– مرآة روحه) بلحاظ النص السابق في روافد البناء الثقافي للمجتمع ليفك بحسب رؤيته بعض الشفرات التي قد تحل بفكها بعض المشكلات التي يواجهها المجتمع ويكون هو الكف التي تهز نخلة الحلول– لو صح التعبير– لتساقط رطبا جنيا..

وفي الاشارة الى اللون الازرق لمحة سيميائية لانه"يعتبر لون الوقار والسكينة والهدوء والصداقة والحكمة وهو اللون الذي يشجع على التخيل الهادئ والتأمل الباطني"[١٩] وقد ذكره الشاعر بعد القصيدة الحالمة

١٧– فضاء المعنى ٩٠
١٨– فضاء المعنى:٩٢
١٩– سيميائية الالوان في القرآن الكريم :٧٥

مما يؤيد تلك الدلالة. وهكذا يستمر الشاعر في الحديث عن الروح وامكانياتها وآلامها وهو ما يلامس جميع قصائد الديوان التي تنوعت مشاربها بين الوجدانية والوطنية والقومية- حيث اخذت القضية الفلسطينية مساحة من قصائد الديوان- والدينية مما سيتضح في المباحث الاتية لذا فإنها حقا قصيدة الديوان وتدور حول معانيها جميع قصائد الديوان وبالتالي فان عنوان الديوان حقق الغاية المرجوة منه لانه"لا يمظهر فقط خاصية التسمية فالعنوان يتضمن العمل الادبي بأكمله مثلما يستتبع هذا الاخير ويتضمن العنوان ايضا".[٢٠]

العناوين المتصلة بالعنوان الاصلي

عدا قصيدة الديوان احصى البحث قصيدتين اخريين تشتركان مع اسم الديوان وعنوان قصيدة الديوان بالمفردة (المعنى) وهما (زهرة المعنى)و(بلاغة المعنى) فكلاهما يتكون من مركب اضافي كان المضاف اليه فيها المعنى وسنعرض لبعض الخطوط العامة التي شكلت ملمحا في سير التصورات الشعرية و وصولها الى المتلقي.

زهرة المعنى:

"قبل ان يتعرى الصباح
ويكشف عن ماسه للشجر
قلت للنهر:
ما لقرنفل معناك لا يتفتح في لغتي
وهي من ضوء قنديلك الحالم المبتكر
فتدلى من الافق
صوت المناجاة
ألقى على عشبه المخملي
نثيث الغمام البريء
فايقظ بالحب
فيروزه البابلي المضيء
ايها النهر... يا صاحبي
هل نسيت غزالة روحي التي
كنت ترعى صباباتها.....
تتغلغل في وجدها مثل ضوء القمر
انها الآن تفتح بالبرتقال نوافذ بهجتها
لك يا.... يا فرات الغناء الانيق"[٢١]

ولعل الملاحظة الاولى التي تستفز المتلقي في هذا النص هو زخم الفاظ الطبيعة وكثرة ورودها فيه حتى كأن الشاعر قد اتحد بها وشخصها وجعل يحاورها وتحاوره من ذلك (الصباح – الشجر-النهر-قرنفل –

٢٠- عتبات النص البنية والدلالة :١٨
٢١- فضاء المعنى :٩-١٠

عشب–غمام –غزالة –القمر –البرتقال) وهذا الامر ليس بغريب في الشعر العربي فالشعراء منذ العصر الجاهلي منهم من"لم يقف عند المتعة الجمالية التي استمدها من المنظر الذي وقع عليه بصره ولم تأسره الصورة المرئية ولا الادبية فشغلته عن الاناة والتأمل والتعمق والاستلهام فقد تجاوز كل ما سبق حتى آل به الامر ان يتحد بالطبيعة فخلع عليها مشاعره وآلامه وتوهم منها مشاعر تحملها آونة اخرى وتأثر بها حتى غلبت عليه وصارت مشاعره هو ايضا"[٢٢].

والقصيدة تجري حوارا بين الشاعر ونهر الفرات الذي احبه واخذ مساحة واسعة من شعره –كما سيتضح– ولكن الفرات لا يجاذبه الحديث وانما يستجيب لندائه وتوسلاته وافهم من القصيدة ان الشاعر يخاطب الفرات ملهمه الذي يوحي له الشعر ويرجوه ان ينفتح قرنفل معناه في لغته لانه حبيبه الذي تدور على ضفافه خلجاته الشعرية ويذكره الشاعر انه كان يرعى صبابات غزالة روحه (وهي تمثل شعره) ويستجيب اخيرا له الفرات ويفتح على قريحته(نثيث الغمام البريء) فيشكر الشاعر ممتنا نهره الملهم ويهديه غناء قصائده الانيق وقد اتخذ الشاعر من الليل جملا وحادث ملهمه (قبل ان يتعرى الصباح) على حد تعبيره والاشارات في هذا النص"هدفها تنظيم التصور الذي سيقود التحليل والذي غالبا ما يدمج بين الدوائر لان التحليل يتناول المنجز بالفعل وهو منجز لا يترك لنا خيارا في تناوله ككل"[٢٣].

اما القصيدة الثانية التي اشتركت واختها مع العنوان في احدى كلماته فهي (بلاغة المعنى) التي تعد المفارقة سمة ملفتة للنظر في سياقها العام:

"في النزول
الى السطح
يكتشف الصوت نبرته
ويؤثث بالحب تاريخه"[٢٤]
ويقول في مقطع اخر من القصيدة:
"سيبتكر الصوت روعته...
فلعل مرايا هواجسه
في الصعود
الى القاع
تبتدئ الطقس
بالانعتاق"[٢٥]

وقد اعتمد الشاعر اسلوب التراكم الدلالي للتضادات الفرعية داخل نسيج القصيدة للوصول الى قمة المفارقة السياقية التي تنتجها القصيدة ككل فهو هنا يضيف التضاد الذي بدأه في مطلع القصيدة بالنزول الى السطح الى تضاد اخر كان في اواخر القصيدة تقريبا عبر الصعود الى القاع حيث تتصارع الاضداد

٢٢– الطبيعة والشاعر العربي: ٣٢
٢٣– سيميائية النصوص : ١٠٥
٢٤– فضاء المعنى: ٢٣
٢٥– م ن

وتشتبك في هذه القصيدة حتى تتراكم طياتها الواحدة على الاخرى في اوائل القصيدة وخواتمها ولكن ليس عبر الوصف المألوف بل من خلال التوليد الدلالي القائم على مبدأ السبب والنتيجة او الاثر والمؤثر حتى تتعقد الاضداد في سلم القصيدة لتنتهي الى المفارقة السياقية التي تنهض من اعماق تلك الاضداد المتلاحقة.

المبحث الثاني: العناوين الفرعية

اولا:العناوين المباشرة

أ- المباشرة ذات الحس الوطني

يعطي العنوان المباشر دلالة واضحة عن فكرة القصيدة فهو لا يكلف القارئ مزيدا من اعمال الفكر والتأمل حتى يخمن في ما تدور حوله مفاصل القصيدة وموضوعتها الشعرية اذ يسلمنا الشاعر مفاتيح تجربته بكثير من اليسر والبساطة في التعبير والوضوح في الرؤية وهو لم يكن"قبعة اضافية ولا زينة ملحقة بجسم مكتمل قد يستغني عن الزوائد بل انه يمثل جزءا حيويا من النص الى درجة تمثيل صلب الدلالة وكأنه دال ومدلوله باقي النص او بالعكس مدلول يفسر دال النص كله"[٢٦]وقد كانت اغلب عناوين القصائد وطنية تتحدث عن مشاعر منشئها وعواطفه تجاه وطنه والحس الوطني كان من الجوانب المهمة في مسيرة الشاعر الادبية وسيرته الذاتية و"ديدنه في معظم قصائده كان الوطن فقد الف شتاءه القارص وصيفه اللاهب وتغنى بربوعه كما يتغنى بذلك المغتربون وتأسى لويلاته كما يتأسى الفاقدون لنعمة التلذذ بمعطياتها الجمة"[٢٧] هذا وقد كانت عناوينه الوطنية المباشرة كالتالي (احبك يا عراق –بغداد–عراق الجهاد–سيدي الوطن –سيدي العراق–حب العراق–عراق المجد) وواضح من هذه العناوين ان موضوعها هو الوطن وحب الوطن والقضايا الوطنية و قد كتبت اغلب هذه القصائد بالشعر العمودي (خمسة من مجموع ثمان قصائد)فجاء مثلا في قصيدة (عراق المجد):

"بحبك يا عراق جرى فراتا ... غناء دمي على ثغر الصباح
وفاض على مروجك سلسبيلا ... شذا روحي وآلاء انشراحي
توهج بالمنى قنديل صدري ... وبالفرح الملون بالاقاح
زها نغمي على اوتار قلبي ... ورق كهمس نرجسة صداحي
جدير انت يا وطني المفدى ... بأسمى الحب خفاق الجناح
نخيلك في ربيع الحب عرس ... على النهرين للغيد الملاح
وشمسك في سماء المجد نصر ... لشعبك في ميادين الكفاح"[٢٨]

٢٦- سيميائية النصوص :٢٦٣

٢٧ – من مقال كتبه حسين البزاز عن الشاعر تحت عنوان (الابداع بأعلى درجات الاداء) نشرته جريدة الدستور في عددها ٣٠٥٦ بتاريخ ١٣-نيسان ٢٠١٤

٢٨- فضاء المعنى :٧٢

وتتضح في هذه القصيدة الروح الوطنية للشاعر و حبه للطبيعة التي تزينه كالنهرين والشمس والنخيل ورغم معاناة الشاعر وقساوة الحياة معه التي دعته الى هجر الشعر حينا من الزمان لانشغاله بظروف الحياة الصعبة حيث تحول الى العمل والتكسب لان ما يتقاضاه من مرتب شهري لا يسد نفقات معيشة عائلته وبدل الايجار في البيت الذي يسكنون فيه[٢٩] مع ذلك فانه يرى ان الوطن الذي لم يمنحه بيتا ليسكنه وتركه يعيش مرارة الانتقال من مكان الى اخر يجده اهلا وجديرا باسمى آيات الحب والعشق وهذا يعكس حالة الانتماء والاعتزاز بالهوية الام التي كان يمتاز بها الشاعر فهو على الرغم من السلطات الفاسدة التي توالت على العراق الا انه يرى شعبه ساعيا ما استطاع الى تحقيق الحرية والحياة الكريمة فهو يؤمن"بقدسية الوطن مادامت الجماعات فيه متماسكة متضامنة تسعى الى تحقيق الحرية والرفاهية"[٣٠]يقول السعدي في هذا الصدد ضمن قصيدة عنوانها(حب العراق):

"لاجل حبك احلى الشعر انشده فالحب مبدع انشادي وتلحيني
عش هكذا في ضمير الشعب مؤتلقا واهنأ بنصرك وضاء النياشين"[٣١]

وقد رشح حسين البزاز قصيدة (عراق المجد) آنفة الذكر الى ان تجد لها موقعا في احد الكتب المنهجية ربما لسهولة فهمها ومشاعرها الصادقة وحالة السلام التي تشيع بين جنباتها.

ب- مباشرة اخرى

رغم ان القصيدة الوحيدة التي ادرجتها ضمن هذا العنوان يمكن ان يكون في عنوانها بعض الغموض الا ان التخمين يمكن ان يوصلنا الى فكرة القصيدة فشاعر من كربلاء يكتب قصيدة بعنوان (تجليات الشهادة) أول احتمال نضعه لموضوعها ان تكون عن الحسين (سلام الله عليه) ومأساة كربلاء التي احتلت مساحة واسعة من الادب الكربلائي بالتحديد فضلا عن الادب العربي... وقد صدق هذا الاحتمال مع السعدي فإن قصيدة تجليات الشهادة عن الامام الحسين عليه السلام يقول فيها:

"دمك المضيء كزهرة الفجر لحن الخلود على فم الدهر
حلم الفرات بعذب نرجسه فدم الشهادة نرجس النهر
وشموخ هذي الارض مذ نهلت من سلسبيل المجد والفخر
متجذر في الشمس يمنحها معنى السطوع وروعة الجذر
مازال يروي قصة كشفت زيف الجناة ولعبة الغدر
هو حكمة الثوار ما فتئت كالموج تحمل ثورة البحر"

والقصيدة سلسة المعنى واضحة الفكرة تكاد تكون تقليدية ولم تخرج عن ما كتب عن الامام الحسين عليه السلام الا انها ليست قصيدة رثائية بالمعنى الصريح لان الجانب المأساوي لم يكن يغلب على طابعها العام وانما كان الشاعر يستجلي فيها تلك الشهادة التي صارت كعبة للاحرار ومحور لحريتهم:

٢٩- كان هذا ضمن الحوار الذي اشرت اليه في المبحث الاول هامش رقم ٧
٣٠- الهوية والحرية في شعر ادونيس :١٤
٣١- فضاء المعنى :٦٧

"دمك الشهيد نبوءة صدقت فالحر يعشق مولد الفجر
منح التراب جلال فكرته بفدائه ليفوح بالعطر"[٣٢]

ويحاول الشاعر تحريك الهمم متوسلا بوحي شهادة الحسين عليه السلام ومتخذا منها راية للتغيير ودافعا لرفض الهوان والظلم:

"ما زلت تحيا في ضمائرنا رمزا بوحي جهاده نسري
بالحق نهتف لا لمغتصب متسلط بالعنف والجور
القدس تنزف من شراسته مذ ناالها بمخالب الشر
لا لاحتلال عراق عزتنا هل يقبل الاحرار بالقهر
يا ساطعا في ليل محنتنا كي نعبر الالام بالصبر
متوحدين بحب موطننا نمضي الى التحرير والنصر"[٣٣]

وتتجلى (تجليات الشهادة) باوضح صورها في الابيات الاربعة الاخيرة من القصيدة وكأن الشاعر لخص فيها فكرته العامة ونظرته للقضية الحسينية:

"ما كان حبك في حقيقته الا اتباع السنة الطهر
الا الفضيلة واستقامتنا انعم بتقوى الله من امر
الا الجهاد فكل داعية للنور ينبذ ظلمة الفكر
سفر البطولة مشرق ابدا بعظيم يومك عاطر الذكر"[٣٤]

ثانيا: العناوين الفرعية غير المباشرة

شكلت العناوين الفرعية التي لا تشير مباشرة الى موضوع القصيدة نسبة اعلى من المباشرة في مجموعة (فضاء المعنى) الشعرية ولعل ذلك بسبب الغموض والايهام الذي شكل سمة بارزة عند الشاعر والغموض يعد واحدا من مظاهر الشعر الحديث وهو نتيجة متوقعة لنص يعيش في عصر تنوعت فيه الحضارة واصبحت اشد تعقيدا من كل عصورها التي خلت وقد اصبحت ذاكرة الشاعر تزدحم فيها الافكار والفلسفات والرؤى لتدخل في غفلة من الشاعر في بناء النص وتكوين خطابه [٣٥]ولعل الوظيفة التشويقية التي يلعبها العنوان الذي لا نعرف عما تدور قصيدته ابلغ واقوى اثرا من العنوان المباشر واضح الدلالة وخاصة بالنسبة للقارئ متذوق الادب اما القارئ البسيط فلعله يستمتع بالقصائد الوطنية التي ذكرتها انفا في اول هذا المبحث ويعجبه انها معروفة من عنوانها اما القارئ الذي يمتاز بحس نقدي وادبي مرهف فانه ينجذب الى العنوان المراوغ الذي لا يسلم لنا مفاتيح القصيدة دون اخذ و رد"لعبة العنوان ماهي في الحقيقة الا لعبة اللغة وبصورة اخرى هي لعبة دلائل تختزنها عناصر العنوان التي تستفز وترهق والتي تحيلنا على مغامرة الكتابة على التلاعب والمراوغة على الحرية على المطلق على اللا محدود على الفجوات على

٣٢- فضاء المعنى :٧٩
٣٣- م ن
٣٤- م ن :٨٢
٣٥- ينظر: الترميز في شعر البياتي :٣١٦

المكابرة والعنوان بفعله نصا قد يورط القارئ ليكتسب من خلال هذا التوريط وظيفته التجاذبية التي هدفها المتعة هدفها الاستيلاء بفعل الجذب وتشويق القارئ واستمالته"[٣٦].

وقد حاولنا تبويب تلك العناوين وجمعها على اساس مشترك حتى تسهل دراستها وتنتظم في نسق بترتيب معين وسنذكر الجامع الذي جمعت عليه العناوين عند الحديث عنها ان شاء الله.

١- الفرات:

وقد جمعت العناوين المندرجة تحت هذا العنوان ما كانت مفردة (الفرات) جزءا من بنية العنوان او تضمن العنوان مفردة لها علاقة بالنهر وكانت كالتالي: (ذاكرة الضفاف – طفولة فراتية – نخلة الفرات – الفرات–فرات الحب)

شكلت مفردة (الفرات) حضورا ملفتا للنظر في(فضاء المعنى) بل في مجموعات الشاعر كلها [٣٧]و"لكي نستشف روح شاعر ما او على الاقل شاغله الاهم ينبغي ان نبحث في اعماله عن تلك الكلمة او الكلمات التي تتردد اكثر من غيرها فإن الكلمة تترجم عن الهمّ"[٣٨]وقد تغيرت مدلولات الكلمة –كما سنلاحظ– فمرة كانت تتحدث عن النهر ومرة كانت الوطن ومرة كانت ترتبط بدلالة المفردة من الجنبة المعجمية لذا فمن الصحيح ان نعد كلمة (الفرات) من الكلمات المفاتيح كما يسميها ريفاتير لانها تثير الانتباه وهذا معيار مهم لتلك الكلمات يقول:"فتردد كلمة سبق ان اثارت الانتباه سيدرك اسرع من تردد كلمة اسندت لها قيمة فقط عن طريق تكرارها"[٣٩].

فقصيدة (ذاكرة الضفاف) تتحدث عن علاقة الشاعر بنهر الفرات الذي كان ملهمه كما اسلفنا فكأنه يستمد طاقته الابداعية من ذلك النهر الذي يفيض بالنماء والحياة يقول:

يظل الفرات
صديقا لروحي...
على بعد
نافذة
من بهاء
النخيل
يراود بالابجدية
فلتها..
قال:يا وردة الحب
هيا انزلي
فالسباحة

٣٦- العنونة والعلامة النقدية :١٠٠

٣٧- ينظر : (عندما يكون نهر الفرات وطنا) مقال ل عبد علي اليوسفي نشرته جريدة الدستور العدد ٣٠٨٣ بتاريخ ١٩ ايار ٢٠١٤م

٣٨- البنى الاسلوبية في شعر السياب :٤٩

٣٩- معايير تحليل الاسلوب :٧٧

في ألقي
سفر
نحو
روعتنا
يا فرات دمي..
لم تزل
ساطعا بالغياب
تمول ذاكرتي
بالرؤى"[٤٠]

اما (طفولة فراتية) فتعود بنا للمعنى اللغوي للمفردة يقول ابن منظور:"كل ماء عذب فرات"[٤١] فكأن الفرات في هذه القصيدة يعبر عن عذوبة روح الطفل ونقائها ويكون الحب عنده نقيا من دون مصالح تشوبه:

ليتك طفل الماء من شهده — تملأ كل اكؤس الحب
ما كان احلى همسات الرؤى — وتمتمات زورق اللعب
ما اجمل اللقاء في هدأة — بالشجر الماسي عن قرب
كم لفرات الحب مشدودة — روحي وكم منجذب قلبي
فاحرفي بالنهر موصولة — تسبح في شعاعه الذهبي"[٤٢]

اما (فرات الحب) فكان الفرات فيها يرمز للوطن وتعبر عن معاناة الشاعر والمه و رفضه للاحتلال:

لا تذبحوا الفرات
فوردة الصباح في ضميره بليغة
بها تجلت قبلة الصلاة
لا تطفئوا قنديله الساطع بالحب
فهل بغيره تأتلق الحياة ؟

ثم يقول:

تبا لمن حرض غيلان الدجى
نحو فرات الوطن الجميل
كيف يموت نهرنا
وهو نشيد المجد والنصر على الطغاة ؟"[٤٣]

وتشترك قصيدة (الفرات) مع اختها في انها ترمز للوطن لكنه هذه المرة الوطن الجميل بحبه ونخله و ورده وغزله:

"عسلي الرؤى

٤٠- فضاء المعنى: ٤-٥
٤١- لسان العرب مادة قصب
٤٢- فضاء المعنى :٢٧
٤٣- فضاء المعنى ٤٣

موغل في طقوس الحياة
في تجليه تزهر تفاحة الامنيات
فالفرات البهي بورد الحنين
نهر حب يفيض بنجوى اليمام
وشوق النخيل
يتدفق بالعطر
والغزل السلسبيل"[٤٤]

ومن الجدير بالذكر ان الفرات قد حظي باهتمام كبير وشكل حضورا في التراث العربي"وقد اقترن ذكر العراق بذكر رافديه نهريه العظيمين دجلة والفرات، اللذين جعلا سمة له فهو ارض الفراتين أي دجلة والفرات وبلاد ما بين النهرين ويظهر للمتتبع لما ذكر عن هذين النهرين ان الفرات حظي باهتمام اكبر من دجلة اذ ورد في سفر التكوين وهو عند المسلمين نهر مقدس"[٤٥] اتذكر حديثا نسب الى اهل البيت عليهم السلام مضمونه ان الفرات نهر يحبنا ونحبه لكني لم اجده في كتب الحديث فيما بحثت بل تسرب الى ذاكرتي من المنبر.

٢-القضية الفلسطينية:

اخدت القضية حصة لابأس بها في (فضاء المعنى) وقد كانت بعض عنوانين القصائد تدل دلالة مباشرة على ان موضوعها يدور حول هذا المحور مثل (قدس الهدى-زيتونة القدس) الا ان هناك قصائد اخرى لا يدل عنوانها على موضوعها الا ان عند ازاحة الستار عن النص الذي يمارس العنوان معه دورا تمويهيا يوضح لنا مناسبة العنوان للقصيدة بتمام المناسبة فمثلا هناك قصيدة بعنوان (وردة الفجر) كتبها الشاعر كما عرّفها اسفل عنوان القصيدة (الى الطفل الفلسطيني شاهد النصر محمد الدرة) يقول فيها:

"لم تزل وردة الفجر في دمه تستغيث
لم تزل تستحث خطى الثائرين
فالحليب المهدد بالقتل...
لم يكتمل حلمه...
والبراءة في ظل زيتونة الحب مذعورة
لم تذق بعد طعم الملاذ الامين"[٤٦]

واعتقد ان وظيفة هذه الجملة التعريفية التي وضعت تحت عنوان القصيدة تشابه وظيفة العناوين الثانوية التي"توضع لزيادة الايضاح وتوجيه القارئ المستهدف"[٤٧]اما القصيدة الاخرى (شاهدة الحب) التي كتبت (الى الشهيدة الفلسطينية وفاء ادريس) ويقول فيها:

"وفاء

٤٤- م ن ٧٠
٤٥- الطبيعة في الشعر العراقي الحديث :٧٧
٤٦- فضاء المعنى :٧
٤٧- عتبات من النص الى المناص :١٢٥

لحبك
يا قدس
اهدت وفاء
اليك بيوم اللقاء الجميل
كريستالها
وهواها النبيل
واهدت بنفسجة العمر
غارقة بالدماء
وفاء"[٤٨]

٣-الحب:

(هو الحب – شاهد الحب- لغة الحب) ثلاثة عناوين شكلت مفردة(الحب) عاملا مشتركا بينها وكأنها تدور في فلك واحد لكن عندما ندقق النظر نجد ان لكل منها وجهة معينة ف(شاهد الحب) كتبت في رثاء شاعر كربلائي هو احمد ادم وقد كتب هذا الاسم تحت عنوان القصيدة من دون الاشارة الى الرثاء لكنه يتضح من قراءة القصيدة:

"قبل ان تتفتح
سوسنة الفجر
في دمه...
غاب طفل الفرات
وفي قلبه
لوعة
الزمن
المستباح
الرديء
غاب لكنه ساطع
في رؤى
حبه السومري النبيل"[٤٩]

اما (لغة الحب) فقصيدة وطنية بامتياز يقول فيها:

"مجدك العالي نضار الاعصر — وهواك العذب نجوى وتري
يا عراقا في دمي احرفه — لغة الحب ومعنى المطر
و رؤاه البكر في قافيتي — بهجة الشمس وعرس القمر
كل ما فيه جميل رائع — ومضيء كالصباح المزهر"[٥٠]

٤٨- فضاء المعنى :١٩
٤٩- م ن: ٦٨
٥٠- فضاء المعنى :٥٣

اما قصيدة (هو الحب) فهي تدور حول مشاعر الحب وقدسيتها ونبلها وكيف يتمتع صاحبها بالصبابة والهيام لكن الشاعر لم يذكر لمن مشاعر الحب هذه هل هي الى الوطن ام المحبوبة ام غيرهما....لعلها موجهة الى الجميع يقول فيها:

"طقوس الحب ميراث التسامي بمعناها جرى ذهب الكلام
وفاض بلؤلؤ النجوى غناء شجي كابتهالات الحمام
واشرق بالمنى صبح جميل ليغسل بالشذى ورد المنام
طقوس دمي يؤرخها حنين طفولي الى عسل الغمام
انا ابن النخلة العذراء قلبي غني بالصبابة والهيام"[٥١]

٤-الطبيعة:

لاحظنا فيما مضى ان الشاعر مولع باستخدام الفاظ الطبيعة في شعره مما زاده رقة و شاعرية لكنه لم يكتف بذلك بل ضمن بعض عناوين قصائده الفاظا مستمدة من وحي الطبيعة وعالمها منها(وردة الروح- الزنبقة- ابجدية الصباح- مدار الهديل) اما قصيدة الزنبقة فتوحي لي انها قصيدة غزل لكن بحكم البيئة المحافظة التي تربى الشاعر فيها ونشأ لا نجد دلالة صريحة على ذلك والمعنى في قلب الشاعر اولا واخيرا.... يقول فيها:

"زنبقة الفرات
تنجذب الروح الى معناك
حين يسطع المدى
بلونك الجميل
تنجذب الروح بشهوة انطلاق
تطير كالعصفور في عالمك الفسيح
فلتمنحيها رشفة انعتاق
فحزنها الاخضر سمفونية النخيل
على ضفاف حلمك الانيق يستريح"[٥٢]

اما قصيدة (مدار الهديل) فكانت كما كتب تحت عنوانها (الى الراحل منذر الجبوري) وقد اختار الشاعر صوت الحمام الهديل لما فيه من انين وحزن يليق بالرثاء يقول فيها:

"غادرتنا جسدا...
وروحك في ضمير الماء
يافعة
تظللنا
بوارف حبك الاصفى
وتمسح حزننا كالورد

٥١- م ن :١٦
٥٢- فضاء المعنى :٤٧

بالمرح الجميل"[٥٣]

يتضح لنا بلحاظ ما سبق ان القراءة الفاحصة للعنوان لا تكفي وحدها لفك شفرته ومعرفة مغزاه بل لابد احيانا من العودة للنص الاكبر وهو القصيدة للاقتراب من ذلك لنحصل على علاقة تربطهما معا – النص وعنوانه – والسبب في ذلك واضح وهو ان العنوان بنية لغوية مكثفة تفتقر الى التفصيل الذي نستجليه من مدلول العنوان الا وهو النص[٥٤].

الخاتمة

بعد هذه الجولة في قراءة شعر الشاعر نستطيع ان نوجز عددا من النتائج التي توصل اليها البحث وهي:

١-مثل عنوان المجموعة الشعرية اول لمحة اشارية تجذب انتباه المتلقي ويمثل رسالة مزودة بشفرة لغوية يحللها المستقبل ويؤولها بلغته الواصفة.وقد كان العنوان مأخوذا من قصيدة اسماها احد الباحثين قصيدة الديوان وقد كانت تمثل فعلا خلاصة تجربة الشاعر التي تمثلت بالمجموعة المدروسة.

٢- اتصل عنوانان بالعنوان الاصلي للديوان وقد اشتركا معه بمفردة (المعنى) وتركيب الجملة فهما كالعنوان يتكونان من مركب اضافي كان المضاف اليه فيهما المفردة المشتركة وهما زهرة المعنى وبلاغة المعنى.

٣-مثلت العناوين المباشرة ذات الحس الوطني نسبة عالية بالمجموعة حيث يشير عنوان القصيدة بوضوح انها قصيدة وطنية وكانت اكثر القصائد الوطنية في الديوان قد نظمت بالطريقة العمودية لنظم الشعر.

٤- اما العنوان المباشر الذي تضمنته المجموعة كان عن قصيدة حسينية اسماها الشاعر تجليات الشهادة الا ان القصيدة ليست رثائية بالمعنى الصريح لان الجانب المأساوي لم يكن يغلب على طابعها العام وانما كان الشاعر يحاول استجلاء ذلك الحدث الذي غير مسار التأريخ الا وهو استشهاد الامام الحسين عليه السلام.

٥- شكلت العناوين الفرعية التي لا تشير مباشرة الى موضوع القصيدة نسبة اعلى من المباشرة ولعل ذلك لنزعة الغموض التي شكلت هي الاخرى سمة بارزة في شعره.

٦-شكلت مفردة الفرات حضورا ملفتا في المجموعة الشعرية وقد جمعت العناوين المندرجة تحت هذا العنوان فكانت مفردة الفرات جزءا من بنية العنوان او تضمنت مفردة لها علاقة بالنهر كالضفاف مثلا.

٧-اخذت القضية الفلسطينية حصة لا بأس بها في (فضاء المعنى) وقد كانت اغلب القصائد التي تحدثت عن القضية تحمل دلالة تمويهية ولا تشير الى موضوعها مباشرة.

٨-كان الشاعر مولعا باستخدام الفاظ الطبيعة في شعره مما زاده رقة وشاعرية ولم يكتف بذلك بل ضمن بعض عناوين قصائده الفاظا مستمدة من وحي الطبيعة وعالمها.

٥٣- م ن :٦٢

٥٤- ينظر :سيميائية العنوان :٤٣

المصادر والمراجع

القرآن الكريم
١- الادب العربي في كربلاء /د. عبود جودي الحلي / منشورات جامعة اهل البيت عليهم السلام بيروت ٢٠١٤م
٢- البنى الاسلوبية دراسة في (انشودة المطر للسياب) حسن ناظم – طبعة المركز الثقافي العربي.
٣- تاريخ كربلاء قديما وحديثا /سعيد رشيد زميزم /بيروت ٢٠١٠
٤- سيمياء العنوان بسام قطوس–وزارة الثقافة عمان ط١ ٢٠٠١م
٥- سيميائية الالوان في القرآن الكريم –كريم شلال الخفاجي –دار ومكتبة البصائر بيروت لبنان – ط١ ٢٠١٢م.
٦- سيميائية النصوص (عرض وتطبيق منهجي) للاستاذ الدكتور جمال حضري –طبعة مؤسسة مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط١ ٢٠١٥ م
٧- الطبيعة والشاعر العربي للدكتور حسين نصار دار مصر للطباعة القاهرة ١٩٧٢م.
٨- عتبات النص البنية والدلالة –عبد الفتاح الحجمري–منشورات الرابطة الدار البيضاء ط١ ١٩٩٦م.
٩- عتبات من النص الى المناص – جيرار جينيت– ترجمة عبد الحق بلعابد–منشورات الاختلاف ط١- ٢٠٠٨م.
١٠- العنونة والعلامة النقدية
١١- فضاء المعنى (مجموعة شعرية) للشاعر كاظم ناصر السعدي سنة الطبع ٢٠٠٨م.
١٢- في تحليل الخطاب رؤية منهجية ونماذج تطبيقية للدكتور حمدي النورج–عالم الكتب- القاهرة –ط٤ ٢٠١٤م
١٣- لسان العرب لابن منظور تحقيق عبد الله علي الكبير –محمد احمد حسب الله –هاشم محمد الشاذلي.
١٤- معايير تحليل الاسلوب مايكل ريفاتير ترجمة د حميد لحياني منشورات دراسات سال –دار النجاح الجديدة المغرب ط١ ١٩٩٣م
١٥- معجم رجال الفكر والادب في كربلاء /سلمان هادي طعمة /بيروت ١٩٩٩م
١٦- معجم المؤلفين والكتاب العراقيين (١٩٧٠-٢٠٠٠) /د. صباح نوري المرزوك /بغداد٢٠٠٢ م
١٧- المهذب في علم التصريف للدكتور صلاح مهدي الفرطوسي والدكتور هاشم طه شلاش – الناشر العطار –ط١ ٢٠١٤م
١٨- موسوعة اعلام وعلماء العراق /حميد المطبعي /ط١ بغداد ٢٠١١م

١٩- الهوية والحرية في شعر ادونيس (المدن العربية في شعر ادونيس) للدكتور جان نعوم طنوس — دار المنهل اللبناني ط١ ٢٠٠٩م

الرسائل والاطاريح الجامعية

١- الترميز في شعر البياتي اطروحة دكتوراه تقدم بها الطالب حسن عبد عودة الخاقاني اشراف الاستاذ الدكتور علي كاظم اسد كلية الاداب جامعة الكوفة

٢- دور السيميائية اللغوية في تأويل النصوص الشعرية شعر البردوني نموذجا —اطروحة ماجستير تقدمت بها الطالبة هيام عبد الكريم عبد المجيد علي —اشراف الاستاذ الدكتور سمير ستيتية—كلية الدراسات العليا الجامعة الاردنية.

٣- الطبيعة في الشعر العراقي الحديث رسالة ماجستير تقدم بها الطالب حسين عبود حميد اشراف د. قصي سالم علوان كلية الاداب جامعة البصرة

٤- المصدر الميمي في القرآن الكريم دراسة صرفية دلالية رسالة ماجستير تقدم بها الطالب عبد الله حسن ذنيبات- اشراف د. محمد امين الروابدة -قسم اللغة العربية جامعة مؤتة.

الجرائد والدوريات

جريدة الدستور العراقية العدد٢١١٤ -٢٣ كانون الثاني ٢٠١٠م.

والعدد ٣٠٥٦ ١٣ نيسان ٢٠١٤م.

والعدد ٣٠٨٣ ١٩ ايار ٢٠١٤م

النظرية الواقعية: دراسة في الاصول والاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة ((قراءة في الفكر السياسي الامريكي المعاصر))

The Realistic Theory: Study in the contemporary intellectual trends"Reading in the contemporary American Political thought"

م.م ميثاق مناحي دشر [1] Assist. lec. Mithaq M. Disher

المستخلص

تعد النظرية الواقعية من ابرز واهم النظريات التي سيطرة على السلوك السياسي الخارجي الامريكي منذ الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا، وما تزال هذه النظرية تحكم السياسة الخارجية الامريكية والسلوك الخارجي مع المدرسة الليبرالية الجديدة. تلك المدرسة –المدرسة الواقعية– لم تعد تأخذ بمفهوم الحرب والقوة وفوضوية النظام الدولي وانما اخذت الاعتمادية الدولية والتعاون المشترك والقوة الناعمة، ومثلت ترابطاً مع المدارس الاخرى مثل الليبرالية الجديدة، فهناك الكثير من المفاهيم التي اعتمدت بدل تلك المفاهيم السابقة التي تعد اكثر تشاؤمية، ولهذا تأخذ النظرية الواقعية حيزا كبيرا من الاهتمام بالنسبة لدارسي العلوم السياسية والعلاقات الدولية، وقد تركزت هذه الدراسة حول الاصول الفكرية الاوربية والامريكية للنظرية الواقعية والعناصر النظرية كذلك، ومن ثم النظرية الواقعية بمفهومها التقليدي والجديد والاتجاهات الفكرية المعاصر للفكر الواقعي والتي تمثل بالنظريات الدفاعية الهجومية والنيوكلاسيكية، حيث مثلت تلك

---

١ – باحث في مركز الدراسات الاستراتيجية /جامعة كربلاء.

النظريات بمفاهيمها المختلفة السلوك الخارجي للسياسة الامريكية وتطلعاتها المستقبلية ونظرتها إلى العالم، وجسدت الفكر السياسي الامريكي المعاصر والطريقة التعامل مع مستجدات النظام الدولي.

Abstract

The realism school regardedthe most important theory and the most prominent theory that control the US external political behavior since World War II to the present day, and this theorycontinues leading US foreign policy and external behavior with the neo-liberal school. The Realism school no longer adopt the concept of war, power and chaotic international order, but took the international reliability and mutual cooperation and soft power, and represented interconnected with other schools such as neo-liberalism، there are a lot of concepts has been adopted rather than those previous concepts which thy are more pessimistic. Then the Realism theory has a great deal of attention for students of political science and international relations. This study has focused on the intellectual Europeanand Americanorigins of realism theory and elements of theory as well as concentrated، and then the traditional and newrealist theory concept and the contemporary intellectual trends which represent the defensiveand offensive neoclassicalthought and theories، which represented those concepts of different theories external behavior of US foreign policy and it's future aspirations and outlook to the rest of the world، and embodied the contemporary American political thought and it's own way to deal with the changes in the international order.

المقدمة

إن الحديث عن النظرية الواقعية واصولها الفكرية يشكل أهمية كبيرة سواء على صعيد الفكر السياسي المعاصر أو على صعيد العلاقات الدولية، وذلك لما مثلته هذه النظرية من مرجعية فكرية على الصعيد الخارجي. وقد مثلت النظرية الواقعية المرجع الفكري للسياسات الامريكية الحديثة والمعاصرة على الصعيد الخارجي، ضاربة بذلك كل المدارس التي عرفتها السياسة الخارجية ولا سيما المدرسة المثالية والسلوكية، حيث كان ظهور نظرية الواقعية السياسة هو نتيجة طبيعية للإخفاقات التي منيت بها المدرسة المثالية في الحد من الصراعات والحروب الدولية، وفشلها في منع أو ردع الدول في الحرب العالمية الثانية والحد من تطلعاتها، وايضا لمثاليتها العالية ورؤيتها للعالم، وقد جاءت النظرية الواقعية لمعالجة كل تلك الاخفاقات ولدراسة العالم بما هو كائن وليس بما ينبغي أن يكون. وما زالت هذه المدرسة تحكم السياسات الخارجية بشكل عام، وسياسة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص؛ وذلك لما تمثله هذه المدرسة من واقعية على الصعيد الخارجي بنظرتها التفاعلية مع العالم الخارجي ونظرياتها المتجددة.

فرضية الدراسة

تنطلق الدراسة من فرضية مفادها:"إن نظرية الواقعية السياسية بمفهومها التقليدي والجديد واتجاهاتها الفكرية المعاصرة جسدت الفكر السياسي الامريكي على الصعيد الخارجي، في الطريقة التي تستجيب بها الولايات المتحدة للتغيرات والاحداث الحاصلة في بنية النظام الدولي، ابتداءً من الحرب العالمية الثانية ومروراً بالحرب الباردة ومن ثم الحرب على الإرهاب وفق النهج الامريكي". ولهذا تحاول الدراسة التأكد من صحة الفرضية انطلاقا من دراسة الاصول الفكرية للنظرية الواقعية واتجاهاتها الفكرية المعاصرة، وتأثيرها على الاستراتيجية الامريكية ومنهج التفكير السياسي الأمريكي.

منهجية الدراسة

اقتضت المنهجية العلمية لتأكد من صحة الفرضية اعتماد الدراسة على اساليب عدة من اساليب البحث العلمي، ومنها الاسلوب التاريخي لدراسة الاحداث الدولية، والاسلوب التحليلي الذي اعتمد في تحليل الظواهر والمواقف الدولية، وايضا الاسلوب المقارن بين الواقعية بشكلها التقليدي والمعاصر، والدفاعي والهجومي.

هيكلية الدراسة

اقتضت الضرورة العلمية تقسيم الدراسة إلى مبحثين اضافة إلى مقدمة وخاتمة ومن ثم الاستنتاجات: تناول المبحث الأول الاصول والركائز الفكرية للنظرية الواقعية. وتفرع إلى مطلبين خصص الأول لدراسة الاصول الفكرية الاوربية والامريكية للنظرية الواقعية أما الثاني فخصص لدراسة الركائز الفكرية المعاصرة للنظرية الواقعية. في حين خصص المبحث الثاني لدراسة النظرية الواقعية والاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة، وتم تقسيمه إلى مطلبين أيضا، خصص المطلب الأول لدراسة نظريتا الواقعية التقليدية والواقعية الجديدة، اما المطلب الثاني فقد خصص لدراسة الاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة.

المبحث الأول: الأصول والركائز الفكرية للنظرية الواقعية

إن الحديث عن الأصول الفكرية للنظرية الواقعية يمثل ضرورة مهمة لمعرفة الجذور والأسس الفكرية والفلسفية التي شكلت الأساس الفكري والقاعدة الفكرية التي استندت عليها الطروحات النظرية للنظرية الواقعية فيما بعد، وتمثلت تلك الأصول بطروحات الفلاسفة الأوائل غير الأمريكيين، وكذلك الأسس والأصول التي سادت الثقافة الأمريكية فيما بعد والتي مثلت الأصول الأمريكية للواقعية. فضلا عن الركائز الفكرية التي شكلت العناصر النظرية للنظرية الواقعية.

المطلب الأول: الأصول الفكرية الأوربية والأمريكية للنظرية الواقعية

لا يمكن الحديث عن النظرية الواقعية بصورة أو بأخرى، ولا تكتمل الدراسة العلمية لها إلا بالعودة إلى الأصول أو الطروحات الفكرية للمنظرين الأوائل من دعاة الواقعية السياسية في دراسة العلاقة بين الدول ومنطق التفكير السياسي لرجل الدولة. وقد تمثلت تلك الطروحات في أفكار كل من"ثيوسيديدس،

ميكيافيللي وتوماس هوبس". كذلك الحال بالنسبة للأصول الفكرية الأمريكية التي سادت الثقافة السياسية الأمريكية والتي شكلت الأصول الأمريكية للواقعية.

١. الأصول الفكرية الأوربية للنظرية الواقعية

ستقتصر دراسة الأصول الأوربية للنظرية الواقعية على المفكر الإغريقي"ثيوسيديدس"والايطالي"ميكيافيللي"والمفكر الانجليزي"توماس هوبس"، لمعرفة طروحاتهم الفكرية التي شكلت الأساس الفكري للنظرية الواقعية.

أ. ثيوسيديدس (٤٦٠– ٣٩٥ق.م)

تعود جذور الفكر الواقعي إلى المفكر الإغريقي"ثيوسيديدس"، الذي قام بتفسير أسباب حرب البيلوبونيرية (٤٣١–٤٠٤ق. م)، بين أسبارطة وأثينا، وخلص في النهاية بأن حروب البيلوبونيرية سببها تنامي قوة أثينا العسكرية لدرجة قد تجعلها تهديدا مباشرا لأسبارطه[٢]. وقد شكلت الحرب بين أثينا وأسبارطة محور الدراسة التي قام بها ثيوسيديدس لتؤكد من خلالها أن سباق التسلح الذي كان على أشده والمتسبب في اندلا ع الحرب، راجع لزيادة قوة أثينا الامر الذي عدته أسبارطة تهديدا لأنها حذت حذوها. ومن ثم يعد سباق التسلح والزيادة في القوة العسكرية لإحدى الدول تهديدا لأمن جيراها والسبب في نشوب الحرب[٣]، حيث فرضت دولة أثينا على أسبارطة منطق سياسة القوة وذلك انطلاقا من التفوق العسكري الذي كانت تتمتع به أثينا، حيث يبدو واضحاً أن على الضعفاء الرضوخ لرغبة الأغنياء في التوسع والتسلط[٤]. وتعد ملاحظات ثيوسيديدس هذه وغيرها حول تصرف الدول نواة إحدى المنهجيات الأساسية في تقييم العلاقات بين الدول[٥]. ومنذ تأكيدات ثيوسيديدس قبل أكثر من ألفي عام في حوارات مليان"بأن الأقوياء يصنعون كل ما تمكنهم القوة من صنعه"[٦]، فقد دأب دعاة الواقعية على ترديد التفسير القائل بأن طبيعة الإنسان وما تمليه الفوضوية في النظام الدولي يؤديان إلى ما أسماه فريدريك لأكبر المبدأ الدائم للحكام"أن يتوسعوا إلى أقصى حد تسمح به قوتهم"[٧]. وحسب ثيوسيديدس في ذات الإطار التحليلي للحرب البيلوبونيرية، فإن الحرب كانت نتيجة للتغيرات المنظمة التي حصلت في

---

٢ – بومنجل خالد، واخرون، اهم التيارات المهيمنة في العلاقات الدولية، بحث منشور، جامعة قسنطينة، كلية العلوم السياسية، الجزائر، ١٠١٤، ص٦. انظر الرابط: http://goo.gl/qXrcOe.

٣ – علي، مدوني قصور بناء متطلبات الدولة في الدولة في افريقيا وانعكاساتها على الأمن والاستقرار فيها، اطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر – بسكره، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٤،ص ٦١.

٤ – بأسماعيل، عبد الكريم، الابعاد الاستراتيجية لتدخل الولايات المتحدة الأمريكية في العراق ١٩٩٠–٢٠٠٨، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والاعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر (دالي ابراهيم)، الجزائر، ٢٠١٠، ص٨.

٥ – غريفتش، مارتن واوكالاهان، ميري، المفاهيم الأساسية في العلاقات الدولية، ترجمة مركز ابحاث الخليج، ط١، الامارات، ٢٠٠٨، ص ٤٥٤.

٦ – توفيق، حكيمي، الحوار النيوواقعي والنيوليبرالي حول مضامين الصعود الصيني(دراسة الرؤى المتضاربة حول دور الصين المستقبلي في النظام الدولي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، جامعة باتنه–باكير، الجزائر،٢٠٠٨، ص ١١.

٧ – النعيمي، احمد نوري، البنيوية العصرية في العلاقات الدولية، مجلة العلوم السياسية، العدد ٤٦، جامعة بغداد، ٢٠١٣، ص ٤١.

عنصر القوة التي امتلكتها دويلات المدن الأثنية وتجاوزت بها حدود قوة نظيرتها دويلات المدن الأسبارطية، مما جعل حتمية الحرب أمراً واقعاً في سياق تعاظم قدرات أثينا في مقابل ضعف ومحدودية القدرات لدى أسبارطة، وهو ما أدى إلى حصول تغير في هرمية النظام السياسي الدولي آنذاك لمصلحة الطرف الأول في معادلة القوة[٨].وقد وصف ثيوسيديدس عملية التطور هذه في العالم اليوناني"تبدأ المدينة بتسليح نفسها من أجل أن لا تقع تحت طغيان مدينة أخرى"، وما أن تصبح مجهزة بمعدات قوية، فأنها تصل إلى الاستدلال بأن الهدف أن تصبح محمية أكثر، وما أن تقوم بذلك، حتى تنتقل لوضع الدول المجاورة لها تحت وصايتها، وتصبح –بالتالي– امبريالية؛ لأنها لم تبحث إلا عن الدفاع عن مصالحها، وأن الموازنة الوحيدة لوقف هيمنة قوى كبرى تكمن في نتيجة تحالف الآخرين.

يعتقد ثيوسيديدس بأنه لا يوجد نظام يمكن الاعتماد عليه فوق نظام دول المدن المستقلة. ويتبنى ثيوسيديدس نظرة متشائمة عن الطبيعة البشرية، إذ كان يعتقد بوجود صفات ثابتة للطبيعة البشرية في كل العصور وعلى اختلاف أعراقهم ومذاهبهم يحسدون بعضهم البعض، أو يكرهون بعضهم البعض بالطريقة نفسها[٩]. ويرى روبرت كوهين"أن الفرضيات الأساسية للواقعية جلية في كتاب ثيوسيديدس، وهو أن الفاعل الأساس في السياسة الدولية هي الكيانات الإقليمية (دول المدن) في تلك الحقبة، وأن سلوك الدول يمكن تفسيره عقلانيا، وأن الدول تبحث عن القوة، وتقوم بحساب مصالحها انطلاقاً من مفهوم القوة[١٠].ولذلك فالواقعيون دائماً ما يحتجون لتأسيس تقليد تاريخي متواصل لهم، وللقول بأن نظرتهم للعالم ترجع إلى الظهور الحقيقي للمنظم الأول للسياسة بين الدول وهو ثيوسيديدس. أثناء الحرب الباردة كان علماء السياسة يرجعون باستمرار إلى ثيوسيديدس من أجل الوصول إلى رؤية تحليلية لأسباب وهيكلة ذلك الصراع. وحاول عدد من الواقعين المعاصرين أن يقارنوا بين رؤية ثيوسيديدس للحرب البيلوبونيرية والعلاقات بين أثينا وأسبارطة بأوضاع الحرب الباردة والعلاقة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي[١١]، وأن هناك نوعاً من الثنائية القطبية بين أثينا وأسبارطة لكنها ليس كما هي الآن في عالمنا المعاصر، مثلما يعتقد كيسنجر.

على كل حال فإن ثيوسيديدس عرف وجود الدولة المدنية وكل مدينة تتفاعل مع المدن الأخرى، مما ينتج علاقات بين هذه الكيانات تترجم إما بشكل سلمي عن طريق الدبلوماسية وإما بشكل تنافسي عن طريق الحرب. كما بدت بعض المفاهيم الواقعية في التبلور مع ثيوسيديدس كمفهوم التهديد، فضلا عن مفهوم توازن القوى، ومفهوم المصلحة[١٢]. وبذلك فإن تحليلات ثيوسيديدس للسياسة الدولية ستظل

٨ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، المنهج الواقعي واثره على السياسة الخارجية الأمريكية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٩، ص ٣٤.

٩ – فرج، انور محمد، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، ط١، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٧، ص١٨٠–١٨١.

١٠ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص ٣٥.

١١ – فرج، انور محمد، المصدر السابق، ص ١٨١.

١٢ – بومنجل خالد، واخرون، مصدر سبق ذكرة، ص٧.

موضع نقاش وإعادة قراءة باستمرار لتوظيفها في المساعدة في تحقيق فهم أعمق للمستجدات ما دام بقيت إرادة الهيمنة وبقيت القوة كوسيلة أولى في إدارة العلاقات الدولية، وهو ما استنتجته مجموعة من الدراسات المتخصصة في حقل السياسة الدولية في مقاربات مترابطة مع صياغات ثيوسيديدس التحليلية لأثينا، حذرت فيه الولايات المتحدة من مغبة استمرار نهج الهيمنة في حقبة ما بعد الحرب الباردة[١٣].

ب. نيقولا ميكيافيللي (١٤٦٩-١٥٢٧م)

في عصر النهضة ظهرت الواقعية بصورة واضحة في افكار المفكر الايطالي نيقولا ميكيافيللي الذي أكد على مبادئ ثيوسيديدس. وتنطلق تلك الأفكار من رؤية ما هو كائن بالفعل وليس ما ينبغي أن يكون، فالحاكم إذا أراد أن يحتفظ بالحكم عليه أن يعي كيف أن لا يكون متمسكا بالفضيلة وأن يستخدم مقدراته وفقا للحاجة. وأكد على الطبيعة الشريرة للأفراد وأن الحاكم يجب أن يتبنى سياسات تختلف عن الأفراد العاديين من أجل تحقيق مصلحة دولة في منع الصراع بين الدول[١٤]؛ لأن البشر تدفعهم بالأساس مصالحهم الذاتية وشهواتهم، وأن أكثر تلك الشهوات تفشياً وانطواء على خطورة محتملة هي شهوة السلطة، ورأى أن حاكم الدولة هو الضامن الحقيقي والوحيد للسلام الداخلي؛ لأنه وحده يتمتع بسلطة فرض ذلك السلام[١٥]. وبهذا يعطي ميكيافيللي للأمير الصورة أو الصفات التي تمكنه من مواجهة الطبيعة البشرية وحالة الحرب، فالأمير يجب أن يكون واقعيا لا يفكر إلا في ميدان الواقع، انطلاقاً من انتصار الأقوى وهي الظاهرة الأساسية الجلية في التاريخ[١٦]. وتظهر واقعية ميكيافيللي في أولوية الدولة على الدين، وهو الموضوع المركزي الذي تنص عليه دراسات ميكيافيللي. وركز بشكل كبير على مفهوم الدولة. وبالنسبة له فإن المحافظة على بقاء الدولة وحكم الأمير هو الهدف الأسمى لأية سياسة. وفي رأيه أن أفضل بناء داخلي للدولة هو محاولة تقوية ذاتها، بحيث تستطيع الوقوف ضد أي هجوم مفترس عليها[١٧]. وهو يرى أن المجال السياسي له قواعده وقوانينه الخاصة به ولا علاقة له بالقيم السائدة في المجال الديني والأخلاقي[١٨] وأن الأثر الأكبر على تصور النظرية الواقعية كان بفضل أعمال الأمير ميكيافيللي، ومن خلال طرحة عزل العمل السياسي عن أي مضمون أخلاقي مجسدا مبدأ"الغاية تبرر الوسيلة"وهو جوهر النصائح التي همس بها الأمير والتي تتعلق بمجملها بكيفية الاستيلاء على السلطة والحفاظ عليها[١٩].

---

١٣ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص ٣٥.

١٤ – عبد المنصف، مي حسين، النظرية الواقعية الكلاسيكية في العلاقات الدولية، الحوار المتمدن، العدد ٤٠٦٨، ٢٠١٣. انظر الرابط: http://goo.gl/dD6Atm

١٥ – ويلكينسون، بول، العلاقات الدولية، ترجمة: لبنى عماد تركي، ط١، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣، ٢٠١٣، ص١.

١٦ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ١٩٠.

١٧ – المصدر نفسة، ص ١٩٤.

١٨ – ناصر، سمير محمود، مقدمة في الواقعية السياسية، الحوار المتمدن، العدد ١٦٨٦، ٢٠٠٦، انظر الرابط: http://goo.gl/hgjtrH.

١٩ – زقاغ، عادل، العقلانية، انظر الرابط: http://goo.gl/uZ8Sh4

إن الموضوع الرئيس الذي انصبت عليه دراسات ميكيافيللي هو: الدولة وكيفية المحافظة عليها عن طريق وجود سلطة الأمير القوي الذي يتحلى بفضائل خاصة، والجيش النظامي المدرب من غير المرتزقة. مع انه فصل السياسة عن الدين والأخلاق، إلا أنه فرق بين الدين وسلطة الكنيسة والدور الذي لعبته في إضعاف مقومات بناء ايطاليا الموحدة[٢٠]. فمسؤولية ميكيافيللي التاريخية تكمن في كونه قبل الواقع السياسي، واقع اللاأخلاقية السياسية، وأعده قاعدة عامة، ودافع عنه بهذه الصفة وفي كونه قد أعلن أن المجد السياسي هو بجوهره سياسة لا أخلاقية، حيث إنه حلل استخدام الحكام للأساليب اللاأخلاقية طالما تكسبهم أهدافهم، ونصح الأمير بأن يلبس ثوب الرياء[٢١]. وركز أيضا على دور القوة في الممارسة السياسية، مؤكداً أن الحاكم لابد أن يعتمد على معايير أخلاقية تختلف عن تلك التي يتبناها الفرد العادي؛ من أجل ضمان أمن الدولة وبقائها، وأن السياسة هي تصارع على المصالح[٢٢]. ويرى بأن الأخلاق والدين هما من البدع المسيحية، ومن ثم يجب على الحاكم التخلص منها. كما يعتقد بضرورة التخلص من العهود والمواثيق التي لا تخدم مصلحة الدولة، وعلى الحاكم أن لا يتردد في استعمال القوة عند الضرورة، كما لا ينبغي أن يستهين الحاكم بضرورة انشاء جيش قوي يكفل له الأمان[٢٣]؛ لان الغرض من السياسية هو المحافظة على القدرة السياسية للدولة وزيادة قوتها. وهو يرى وجود نوعين من الحروب: الهجومية والدفاعية. فالقوة هي الضمان الوحيد لبقاء الدولة واستمرارها[٢٤]. وفي هذا السياق يقول"حين تتعرض سلامة أرض الآباء للخطر يجب أن لا تكون هنالك أي مسألة في التفكير فيما إذا كان الشيء عادلا أو غير عادل، إنسانيا أو قاسيا، يستحق المديح أو العار، ويجب على المرء إغفال أي اعتبار آخر وأن يتخذ من الإجراءات مما يؤدي إلى تأمين سلامة البلد وحريته[٢٥].

فنظرية ميكيافيللي القائلة"بأولوية القوة على الحق"هي اليوم تعد جوهر الواقعية السياسية المعاصرة، ولهذا الغرض كانت القوة العسكرية هي المطلب الأهم، واعدت الثروة المكونة عن التجارة والصناعة وسيلة في المقام الأول لاكتساح تلك القوة اللازمة[٢٦]. ولهذا يمثل ميكيافيللي حلقة البحث في تحليل القوة والنظام الحكومي بأسلوب معاصر، حيث يركز على جعل القيم السياسية تعلو أي قيم أخرى لدى صناعة القرار السياسي الداخلي والخارجي[٢٧]. يتضح الفكر الواقعي وجذوره الفكرية في فكر ميكيافيللي

٢٠ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص ٣٧.
٢١ – قربان، ملحم، قضايا الفكر السياسي"الحقوق الطبيعية"، ط١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بروت،١٩٨٣ص١٩٨.
٢٢ – النعيمي، احمد نوري، مصدر سبق ذكرة، ص ٤١.
٢٣ – بأسماعيل، عبد الكريم، مصدر سبق ذكرة، ص٨.
٢٤ – علي، مدوني، مصدر سبق ذكرة، ص ٦١.
٢٥ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكره، ص ١٦.
٢٦ – روسو، جان جاك، في العقد الاجتماعي ومبادئ القاموس السياسي، ت/عبد العزيز لبيب، ط١،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١، ص١٣.
٢٧ – العقابي، علي عودة، العلاقات الدولية(دراسة تحليلية في الأصول والنشأة والتاريخ والنظريات، بـ ط، بغداد، ٢٠١٠، ص١٢.

بأولوية السياسية والدولة والمصلحة على الأخلاق والدين، فالغرض الأساس من السياسة برأيه هو المحافظة على القوة العسكرية نفسها وزيادتها،

والغاية العليا من السياسة، في نظرة هي المصلحة العامة والأمن والرفاهية للجماعة وليست تلك الغايات الأخلاقية التي يصورها المفكرون السياسيون السابقون[٢٨].

ج. توماس هوبس(١٥٨٨-١٦٧٩م)

إذا كان ثيوسيديدس قد ركز على أخلاقيات السياسة الواقعية، وأبقى ميكيافيللي على الجانب العملي التطبيقي لها، فإن هوبس قد أظهر الوجه الفلسفي للواقعية السياسية. وتتخذ الواقعية شكلاً مبنيا بطريقة خاصة في أعمال هوبس في القرن السابع عشر، والتي تعطي الأفضلية للنزاعات في العلاقات الدولية، وتركز على الفوضى التي هي من خصائص المجتمع الدولي[٢٩].

إن الواقع الذي عاصره هوبس كان حرباً أهلية طاحنة أثرت في تفكيره السياسي، مما جعله يبحث عن وسيلة لمنع تكرار هذه الأحداث المؤسفة تفرض إيجاد سلطة سياسية قوية تفرض نفسها على الناس مما تسنه من قوانين تلزم المواطنين جميعاً باحترام حقوق الآخرين، والعيش معهم بسلام. هذا الواقع أثر في تفكير هوبس إلى درجة كبيرة، فهو يرى بأن الإنسان يميل دائماً إلى الصراع مع أقرانه من البشر بحثاً عن المنفعة أو دفاعاً عن أخية أو طمعاً في المجد، وترتبط هذه الحالة الطبيعية في ذهنه بغياب السلطة المنظمة، إذ بدون هذه السلطة المنظمة يصبح الناس في وضع شبيه بحالة الحرب[٣٠]. وهذه نتيجة طبيعية لحالة الطبيعة الفوضوية، وهو ينظر إلى هذه الحالة –الطبيعة– التي سبقت قيام الدولة بوصفها حالة فوضوية تجلب الشقاء والدمار على الناس، وذلك لتعارض مصالحهم، مما يؤدي إلى الصراع الأناني إذا رغب فردان في نفس الشيء بحيث لا يستطيعان الحصول عليه معا يصيران عدوين ويحاول كل منهما أن يدمر الآخر ويخضعه لسلطانة[٣١]. وفي هذه الحالة يرى هوبس بأن كل إنسان ضد كل إنسان وليس في حالة حرب في المعنى المنظم ولكن بكفاح دائم من الجميع، وأن الأسباب الرئيسة لهذا الصراع هو المنافسة والتحدي وحب المجد، أما القانون والدولة فهما غائبان[٣٢]،"وأن الواقع الأساسي في حالة الطبيعة لكل الأمور الحية وغير الحية هي حالة تضامن وعراك وصراع وحرب، وبالطبع أن هذه الحالة هي حالة وحشية وفوضى لا تطاق"[٣٣].

---

٢٨ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ١٩٢.

٢٩ – برايار، فليب وجليلي، محمد رضا، العلاقات الدولية، ترجمة: حنان فوزي حمدان، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٤.

٣٠ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص ١٥.

٣١ – خليل، جلال حامد، وحدة الدولة وتجزئتها(دراسة في العامل القومي)، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسة، جامعة بغداد، ٢٠٠٠، ص ١٨.

٣٢ – ابدوريا، المدخل إلى العلوم السياسة(النظريات الأساسية في نشأة الدولة) ترجمة: نوري محمد حسين، ط١، جامعة اوستين، ١٩٨٨، ص ١٧.

٣٣ – ابو جابر، فايز صالح، الفكر السياسي الحديث، بـ ط، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥، ص ٧١.

يعد هوبس من خلال مقولته اللوفيثان(أي التنين ويقصد به الحكم المطلق)، أن حياة الفوضى تسود المجتمعات البشرية، ومن ثم فإن حياة الفطرة هي الظاهرة البارزة على الأفراد بفضل غريزة حب البقاء. والطريقة المثلى للقضاء على الفوضى، هي أن يتنازلوا عن السلطة بواسطة عقد بينهم وبين الحاكم من أجل ضمان النظام والأمن على أن يكون للحاكم ما يسمى بالحكم المطلق، وعند هوبس لا يمكن امتصاص الفوضى إلا من قبل الحكومات التي لها القدرة على ردع الآخرين[٣٤]. ويعود الفضل إلى هوبس في حقل التصور الرئيس للواقعين وهو الفوضى، وذلك من خلال تصويره لحالة الطبيعة أو الفطرة التي سبقت العقد الاجتماعي، تلك الحالة التي اتسمت بالاضطرابات والخوف وحرب الكل ضد الكل من أجل البقاء[٣٥]، والتي جعلت الناس متساوين في القدرات وهو ما يجعلهم متساوين في الأمل والطموح لتحقيق الأهداف، ويؤدي إلى ارتكاب أعمال عدوانية في سبيل ذلك. كما دعا هوبس إلى الفصل بين الأخلاق والسياسة[٣٦]. وحقيقة الأمر كل ما دعا إليه هوبس هو ضارب بأسس النظرية الواقعية الحديثة.

إن حالة الحرب ليست وضعا استثنائياً، بل هي أمر طبيعي في علاقات الدول بعضها بعض، والصراع –من وجهة نظره– حالة لا يمكن تفاديها، لذلك يعطي الأولوية لدراسة أثر القوة في العلاقات السياسية. فالقوة هي عامل حاسم في السلوك الإنساني، فالإنسان يسعى دون هوادة نحو امتلاك المزيد من القوة ولا يتوقف هذا السعي الا عند الموت، أما العهود المواثيق التي لا تضللها السيوف، فهي ليست إلا كلمات لا طاقة لها على حماية الإنسان[٣٧]. وبذلك فقد أعطى هوبس اهتماماً كبيراً للقوة في العلاقات الدولية، فضلاً عن التأكيد على أهمية المؤسسات السياسية ودورها في صنع القرار[٣٨]. ولهذا يعد هوبس من أبرز منظري سياسة القوى في السياسة الخارجية، فقد نشر كتابة"ليفاثان"في العام ١٦٥١م، ليلتقي –عن طريقه– مع الواقعين، بإعطائه الأهمية لدراسة أثر القوة في السياسة الدولية وعلى غرار ميكيافيللي، إذ يرى هوبس أن القوة عامل حسم في السلوك الإنساني. وتعزيزا لمفهوم القوة لدى هوبس ترابط ذلك مع فرضيات المدرسة الواقعية التي تستند اصولها إلى حالة الطبيعة لدى هوبس. إن الأخذ بالتفسيرات التي قدمها هوبس للحالة الطبيعية، واعتمادها في دراسة العلاقات الدولية، تنجم عنها نقطتين أولا: ربما تريد التمييز بين حقل السياسة الداخلية وحقل السياسة الخارجية للدول، ثانياً: إن العلاقات الدولية هي فقط من اختصاص الدول ذات السيادة وصاحبة سلطة الإكراه. ويقدم هوبس نقطتين مفتاحيتين بالنسبة للأدبيات الواقعية، وهما:

---

٣٤ – بإسماعيل، عبد الكريم، مصدر سبق ذكرة، ص ٩.

٣٥ – نصيب، عتيقة، العلاقات الجزائرية المغربية في فترة ما بعد الحرب الباردة، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسة، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، جامعة محمد خيضر– بسكره، الجزائر، ٢٠١٢، ص ٣٩.

٣٦ – وادي، عبد الكريم سلمان، ملخص حول النظريات في العلاقات الدولية، مركز راشيل كوري الفلسطيني لحقوق الإنسان ومتابعة العدالة الدولية، ٢٠١٣، انظر الرابط: http://goo.gl/RFsB6L.

٣٧ – معمري، خالد، التنظير في الدراسات الأمنية لفترة ما بعد الحرب الباردة(دراسة في الخطاب الأمني الأمريكي بعد ١١/سبتمبر)، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، جامعة باتنه، الجزائر، ٢٠٠٨، ص٧٩.

٣٨ – عبد المنصف، مي حسين، مصدر سبق ذكرة.

١. إنه يفسر لماذا يمكن أو يجب أن يتم التعامل مع الدول على أنها فاعل عقلاني موحد، على الرغم من كل الاختلافات الفعليه.

٢. انه يفسر لماذا يمكن أو يجب أن تعد الفوضى الدولية كحالة الحرب على الرغم من كل الاختلافات الفعليه لدوافع الدول في علاقاتها مع الدول الأخرى. ولقد توصل هوبس إلى هاتين النقطتين، مع مراعاة الطبيعة البشرية وطبيعة الدول[٣٩].

نستنتج من أفكار كل من"ثيوسيديدس، وميكيافيللي، وتوماس هوبس"، أن الطروحات الفكرية التي قدمها هؤلاء في فلسفتهم هي مترسخة اليوم في المفاهيم الواقعية المعاصرة، من خلال التأكيد على الطبيعة الشريرة للإنسان وحالة الطبيعة الفوضوية للنظام، وأن الكل يبحث عن حالة التسلط على الآخر انطلاقاً من تحقيق المصلحة القومية، وأن الجميع في حالة صراع مستمر بحثاً عن القوة والهيمنة، وتبلورت بعض المفاهيم الواقعية مثل مفهوم"التهديد". كذلك نجد أن الطروحات الخاصة بالدولة تؤكد أنها الفاعل الرئيس في العلاقات بين الدول. وأيضا فيما يتعلق بالطرح الفاصل بين الإخلاق والسياسة، وكل هذا الطروحات والمفاهيم نجد أنها مفاهيم أساسية في الطروحات الفكرية المعاصرة للنظرية الواقعية، وركائزها الأساسية في تفسير منطق العلاقات بين الدول، ولذلك يعد هؤلاء المفكرون من الأوائل الذين أسهموا في وضع الأسس أو اللبنات الأولى في الواقعية السياسية. تكتمل هذا الأسس فيما بعد بما قدمته الفلسفة الأمريكية والبيئة الثقافية السائدة آنذاك في رفد تلك الأسس التي قدمها المنظرون الأوائل، للتترسخ أكثر في الثقافة الأمريكية فيما بعد. وقد مثل الدين الأمريكي وفلسفة التطور والفلسفة البراغماتية أبرز تلك الأصول الفكرية للواقعية الأمريكية.

٢. الأصول الفكرية الأمريكية للواقعية السياسية

على الرغم من أن الجذور الفلسفية التي ورثتها النظرية الواقعية من التاريخ الأوربي في مختلف عصوره، إلا أن الواقعية انطلقت في الولايات المتحدة كرؤية جديدة، ومن ثم كنظرية منافسة وصولاً إلى هيمنتها على العلاقات الدولية. وسنتناول هذه الأصول على الشكل الآتي:

أ. الأصول الدينية

أثرت الأفكار والمعتقدات الدينية التي جاء بها الآباء المؤسسون للولايات المتحدة الأمريكية تأثيرا مهما في أرساء الأسس اللازمة لبناء نظام سياسي اجتماعي ديني يتوافق مع عقيدتهم الدنية المنحدرة من الديانة البروتستانتية، إذ أوجدت منذ البداية جوا دينياً ما يزال قائماً حتى يومنا هذا، وسيكون لها شأن لا ينازع في زرع قيم وافكار وقواعد سلوك مؤثرة ليس فقط في صياغة الشخصية الأمريكية على الصعيد الاجتماعي، إنما أيضا في صياغة العقل الأمريكي ومنهج التفكير السياسي الرسمي في السياسة الخارجية والعلاقات الدولية[٤٠]،وهو يمثل قوة رئيسة في السياسة والهوية الأمريكية عن العالم، ويؤثر في الطريقة التي

---

٣٩ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ٢٠٥– ٢٠٦.

٤٠ – فهمي، عبد القادر محمد، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية(دراسة في الافكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري)، ب ط، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٩، ص ٣٤.

يستجيب بها الأمريكان للأحداث خارج حدود وطنهم[٤١]. ويعد من العناصر القوية المؤثرة في تشكيل الثقافة الأمريكية وقيمها ومؤسساتها وإصلاحاتها والأساليب التي كانت تجول في أفكار الناس حول الحقيقة. فلا غرابة في ضرورة أن نرى تأثير الدين في السياسة، وقد بقي الاثنان مترابطين باستمرار سواء في البلاغة الكلامية للدين، أم عن طريق الحقيقة القائلة أن كليهما تعامل مع نفس الأسئلة المتعلقة بالأخلاقيات، وهذا ما قال عنه توكفيل"أن الدين في أمريكا لا يقوم بدور مباشر في حكم المجتمع لكن لابد من اعتباره المؤسسة السياسية الأولى للأمريكيين[٤٢]. وبالرغم من تأثر الأمريكيين البالغ بمبادئ المنفعة عن هوبس والانتخاب الطبيعي عند داروين وموت الإله عن نيتشة، ووليم جيمس، فإنهم من أكثر الأمم تعلقاً بالدين،وبدون الدين لما كانت هناك أمريكا ولا نزعة أمريكية، ولا عقيدة ولا إعلان مصير ولا استثنائية أمريكية[٤٣].

إن تحالف الساسة ورجال المال ورجال الدين في أمريكا، مثل الخلفية الفكرية الحاكمة للمصلحة القومية العليا للولايات المتحدة الأمريكية، والتي ألقت بضلالها على سياساتها الخارجية ودورها في العلاقات الدولية[٤٤].حيث ترى العقيدة البروتستانتية الكالفينية"أن الدين هو الضمان الوحيد للفضائل القومية التي تسمح بالنجاح الدنيوي، وأن الحياة الأخروية هي امتداد للحاضر، وتربط مسألة الإيمان بالعمل، فالإيمان لا قيمة له، أو إنه لا يكتمل مالم يتحد مع العمل. وبهذا الصدد يقول الأمريكان أن"دين أمريكا الحقيقي هو صوفية النجاح المادي"[٤٥]. فالدين كما يقول تيودور روزفلت"هو الأعمال الجيدة"، وأن ذهابه للكنيسة شكلي، وأن حرية كل فرد في عبادة الله على طريقته الخاصة[٤٦]، وأن المسيحية تجربة نفعية براغماتية أمريكية، وأن يسوع أقرب لما هو أمريكي مما هو مسيحي، والمسيحية الأمريكية هي الضلع الثالث لمثلث ضلعيه الآخرين الديمقراطية،"وفلسفة دعه يعمل دعه يمر"[٤٧].

أعطى فرانكلين اهتماماً كبيرا للدين، لما له من فوائد اجتماعية بوصفه من مقومات الأخلاق الطبيعية، وأهمية للكفاف والاجتهاد في العمل بوصفها وسيلة من وسائل النجاح في الحياة، وهذا ما أكدت عليه الطائفة البيورتيانية بأن الإيمان بالإله يجب أن يترافق مع الإيمان القدرة الإنسانية، وتؤمن بأن علاقة الاختيار الإلهي هي النجاح والانتصار الذي يترجم إلى الثروة. وانسجاماً مع الأخلاق

---

٤١ – ميد، ولتر راسل، بلاد الرب والسياسة الخارجية الأمريكية، ترجمة: امير روش، مسارات، العدد الأول، السنة الرابعة، بغداد، ٢٠٠٩، ص٨.

٤٢ – مارسدن، جورج، الدين والثقافة الأمريكية، ترجمة: صادق ابراهيم عودة، عرض يوسف يوسف، بيت الحكمة، دراسات سياسية، العدد٩، السنة الرابعة، بغداد، ٢٠٠١، ص١٤٥.

٤٣ – لونجي، كليفورد، الشعب المختار الاسطورة التي شكلت انجلترا وأمريكا، ترجمة: قاسم عبد قاسم، ج١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٣، ص٢٣.

٤٤ – مرقس، سمير، الامبراطورية الأمريكية(ثلاثية الثروة..الدين.. القوة) من الحرب الاهلية إلى ما بعد ١١/سبتمبر، ط١، دار الشروق الدولية، ٢٠٠٣، ص٤٣.

٤٥ – بلاتونوف، اوليغ، لهذا كلة ستنقرض أمريكا(الحكومة العالمية الخفية)، ترجمة: ثائله موسى وايرنيا بولشينكايا، ط١، دار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢، ص١٨.

٤٦ – هلال، رضا، تفكك أمريكا، ط٢، الشركة الاعلامية للطباعة والنشر، ٢٠٠١، ص١٠٢.

٤٧ – المصدر نفسة، ص ٩٧.

البروتستانتية، فإنه ما من شيء يبين وجود الله وحضور العناية الإلهية إلى الارض غير القوة أو السلطة الانتاجية للجمهور[٤٨]. وبالتالي فإن الرسالة الأمريكية إنما هي في المحصلة رسالة مصلحتها القومية، وبتحقيق هذه المصلحة تتحقق الرسالة الأمريكية، بالقيم، بالقوة، بالتجارة. ولهذا شكل الدين والسياسة نسيجا متداخلاً عبر تاريخ الولايات المتحدة. وعادة ما يستدعي الدين بهدف تغطية المصالح الحقيقية، فالدين الأمريكي ما زال يمثل أهم الأسس الفكرية والآيديولوجية في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر الذي انبنت عليه كثير من السياسات والنظريات التي حكمت السياسة الأمريكية فيما بعد، فهو دين براغماتي واقعي يركز على النتائج العملية المحكوم عليها وفقا لنتائجه البراغماتية.

هذا الإيمان الراسخ بأهمية العمل والسعي الدؤوب وراء النجاح والحصول على الثروة لتكون علامة على رضا الرب، وتصديقا لعقيدة الاختيار والتأييد الإلهي، هذا كله له الأثر الكبير في بروز النزعة الواقعية في السياسة، والتركيز على تحقيق المصلحة المباشرة، وتمجيد الانتصارات بغض النظر عن الوسيلة التي تحققها. ومن أبرز الذين دعوا إلى تبني نظرية الواقعية في السياسة انطلاقا من اسس دينية، القس الأمريكي راينهولد ديبور(١٨٩٢-١٩٧١م) الذي لقبة جورج كينان بأبي الواقعيين، ولقب أيضا بمؤسس مدرسة الواقعية السياسية الأمريكية ونظرية القوة في السياسة الدولية[٤٩].

ب. الأساس الاجتماعي"نظرية التطور"

تعد نظرية التطور البيولوجي، أو نظرية النشوء والارتقاء والبقاء للأصلح من أهم وأخطر النظريات التي شكلت الأساس الفكري للفلسفة الأمريكية ولاسيما الفلسفة الواقعية البراغماتية، والتي بدت على يد هيغل ولامارك ثم بلغت ذروتها على يد تشارلز داروين، وأخذت تطبيقاتها الاجتماعية على يد هربرت سبنسر وغيره[٥٠]. وفلسفة سبنسر اهتمت في بحثين رئيسين: أولهما الفردية والآخر التطورية وتطبيقاتها على المجتمع البشري. وقد رأى سبنسر هاتين كالدولاب الذي يجلب التقدم والسعادة للإنسانية. وراجت أفكار سبنسر في أمريكا حتى في العلوم الاجتماعية وأصحاب الأموال، واثرت هذه الأفكار حتى على افكار كثيرين من رجال الدين[٥١]،حتى أصبحت الأنموذج المعرفي الكامن وراء معظم الفلسفات العلمانية. وأثرت كثيرا في بعض الاتجاهات الفلسفية والفكرية أبان القرنيين التاسع عشر والعشرين[٥٢].

ومن بين تلك الفلسفات التي بدى تأثيرها واضحاً فيها هي الفلسفة الواقعية أو النظرية الواقعية الأمريكية. يقول المؤرخ الأمريكي ريتشارد هوفستارد في كتابة"الداروينية الاجتماعية في أمريكا"إنه كان من غير الممكن لأي شخص يهتم بالتثقيف العقلي في العقود الثلاثة بعد الحرب الأهلية الأمريكية أن يكون تام المعرفة من دون أن يتقن أفكار هربرت سبنسر، حيث تركز على الرؤية المادية للإنسان والحياة وعلى أن الإنسان جزء من الطبيعة، والطبيعة مادية وخالية من الهدف والغاية، والإنسان نظام كغيرة من النظم

٤٨ – مرقس، سمير، مصدر سبق ذكرة، ص٤٧.
٤٩ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ٢٠٩-٢١٠وص ٢٩٥.
٥٠ – فهمي، عبد القادر محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ٦٥.
٥١ – ابو جابر، فايز صلح، مصدر سبق ذكرة، ص١٧١-١٧٢وص ١٨٠.
٥٢ – مهران، محمد ومدين، محمد، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، ب ط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٤، ص٣٠.

في الطبيعة ويخضع بدوره لقوانين الطبيعة الحتمية العامة، وهو كحيوان كامل، وأن الفرق بينه وبين الحيوان إنما فرق في الدرجة وليس النوع[٥٣]. وهي تقوم بصورة رئيسة على تسخير مبادئ الانتخاب الطبيعي والصراع من أجل البقاء لتبرير الصراعات الاجتماعية وعدم المساواة في ظل النظام الرأسمالي، واضفاء صبغة أخلاقية، وهو ما يعرف بقانون الغاب. ونرى أن هذه الأفكار ضاربة في جذور النظرية الواقعية الأمريكية ونظرتها للعالم والسياسة العالمية، وتأثيرها الكبير على الفكر السياسي الأمريكي وترسيخها لمفاهيم الصراع والقوة في الثقافة السياسية الأمريكية. وساهمت هذه الرؤى في ترسيخ مفاهيم القوة والمحافظة على الذات والصراع في الثقافة الأمريكية كمفاهيم مركزية في نظرية الواقعية وتأصيل مفهوم الصراع في العلاقات مع الآخرين، وكانت الفكرة تعني للأمريكيين أنهم مختارون لتحضير البشرية، أو بمعنى آخر الامبريالية التقدمية، أي استعمار شعوب أخرى لنقل التقدم إليها[٥٤].

ج. الأصول البراغماتية

البراغماتية اتجاه فكري- فلسفي يركز على المنفعة كقيمة عليا، ويرى بأن المنفعة هي القيمة المعيارية للحق والخير والعدل. وقد ظهر هذا الاتجاه الفلسفي نتاجاً للتحولات التي مر بها المجتمع الأمريكي خلال مرحلة تحوله من مجتمع زراعي تقليدي إلى مجتمع صناعي معاصر ليتربع بعد ذلك على عرش الثقافة الأمريكية والعقل الأمريكي مكوناً ما اصطلح على تسميته الفكر الرسمي. وتركز البراغماتية على العواقب والنفعية والتجريب، وهي مشتقة من اللفظ اليوناني"براغما"، وتعني العمل. والحق أن البراغماتية تأثرت – إلى حدٍ كبير- بالأفكار التي طرحها داروين[٥٥].

تقوم الفلسفة البراغماتية في المقام الأول على الرفض المنهجي لكل الأحكام السابقة، وكل المنظومات الجاهزة النظرية والمكتملة. ويقول وليم جيمس عن البراغماتية"أنها تحول النظر بعيدا عن الأشياء الأولية: المبادئ والنواميس والحتميات المسلم بها، إلى الأشياء النهائية: الثمرات والنتائج والآثار والوقائع والحقائق.

وعنده أن الحقيقي ليس سوى النافع في المسلك"[٥٦]، وليس المهم عند البراغماتين أن يتحدث الفلاسفة عن مثالية أو عقلية أو واقعية، فإن كل هذه المذاهب تعد على قدم مساواة في النظر اليها، وذلك على أساس ما ينتج عنها من نفع في الميدان العملي، فهي تستغني عن الوسيلة في سبيل الغاية وكأنه يربط الوسيلة بالغاية، أو كأنه يقبل الفكرة القائلة بأن"الغاية تبرر الوسيلة"[٥٧]. وكما فرضت

٥٣ – ابو جابر، فايز صالح، مصدر سبق ذكرة، ص ١٧٧. وأيضا: فرج، انور محمد، ص ٢١١.

٥٤ – فرج انور، مصدر سبق ذكرة، ص٢١٣.

٥٥ – نومان، عصام عبد الحسين، الفكر التوسعي الأمريكي(دراسة فلسفية في تأصيل المفهوم)، مركز بابل للدراسات الإنسانية، العدد٢، جامعة بابل، ٢٠١٣، ص٦٧-٦٨.

٥٦ – هلال، رضا، مصدر سبق ذكرة، ص ٢١- ٢٢.

٥٧ – ابو ريان، محمد علي، الفلسفة ومباحثها، ط٤، دار المعارف، الاسكندرية، بـ /ت، ص ٢٤- ٢٥.

الفلسفة اليونانية نفسها فلسفة عالمية طيلة ٢٥ قرنا فإن البراغماتية الأمريكية ستفرض نفسها على كل الفلسفات بوصفها الفلسفة الشاملة في القرون القادمة[٥٨].

تعد البراغماتية فلسفة أمريكية بامتياز، وبها ترتبط كل الحركات الكبرى التي أطلق عليها اسم (عصر الفلسفة الأمريكية) الواقعية، والتقدمية والمذهب الطبيعي والمثالية، والتي تطورت من المدة الممتدة من حرب الانفصال إلى الحرب العالمية الثانية وما بعدها. ولها تأثير قوي على التوجه السلوكي في علم النفس والعلوم الاجتماعية والسياسية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان لها أثر واضح في الفكر الأمريكي المعاصر ولا سيما على الصعيد السياسي، وحظيت باهتمام كبير من جانب الفلاسفة والمفكرين[٥٩]. وحقيقة الأمر لا يمكن تجاهل دور الفكر البراغماتي في صياغة كثير من مفاهيم الواقعية السياسية ومن ضمنها المعايير الأخلاقية؛ لأن مرتكزاتها الفكرية تقوم على مبادئ المنفعة والواقعية والمادية والعملية، ولذلك أصبحت البراغماتية تمثل شعار الوعي القومي الأمريكي، وفيها تبنى الأمريكيون نهجاً براغماتياً في السياسة والحياة، حيث تمت ترجمتها إلى وقائع تاركة بصماتها في كل ميادين الحياة الأمريكية خصوصا في السياسة والاقتصاد والمجتمع والطبيعة، حيث البحث عن الغاية والنجاح هما الحكم والفيصل في كل شيء. ولم تكن السياسة معركة بين الخير والشر أبداً، بل هي صراع مصالح، والوجود الاجتماعي ساحة والمصالح متغيرة[٦٠] وأصبحت أيضا من أهم السمات الأساسية المتميزة للشخصية الأمريكية وواقعها الوطني، وأخذت تمثل الواقع الأمريكي بكل مضامينه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

إذاً المنهج الواقعي متجذر في الفكر السياسي الأمريكي من خلال ثلاثة أسس، الأول: الأساس الديني الذي عمد الآباء المؤسسون إلى تطبيقه في الأرض الجديدة بما يحملون من أفكار دينية. والثاني الأساس الداروينى الاجتماعي والذي كان له تأثير مباشر وغير مباشر في الفكر السياسي الأمريكي المعاصر، إذ عملت على ترسيخ مفاهيم الصراع والقوة في الثقافة السياسية الأمريكية. اما الأساس الثالث هو الأساس البراغماتي الذي أنبنى عليه الفكر السياسي الأمريكي المعاصر. وبذلك تكون النظرية الواقعية اكتسبت نزعتها العملية وتعظيمها للمصلحة المادية من الفلسفة البراغماتية، وأن كل هذه الأسس متجمعة شكلت الأسس ومفاهيم الواقعية الأمريكية المعاصرة في الجوانب السياسية والدينية والاقتصادية وكل جوانب الحياة، ولاسيما نزعتها العملية وواقعيتها من التعامل مع الآخرين. وإن الميزات الأساس التي جعلت الولايات المتحدة الأمريكية تتبوأ المرتبة الأولى في العلاقات الدولية، منذ الحرب العالمية الثانية على الأقل، لا تكمن فقط في شساعة أراضيها وفخامة ثروتها، وتنوع أعراقها، وقابلية كل هذه العناصر للاندماج والتعايش والعمل المشترك، ولا تكمن أيضا فقط في طبيعة النظام الاقتصادي الذي اعتمدته، أو المرجعية الليبرالية في التنظيم والتدبير، ولكن تكمن أيضا وبالتحديد في التحالف بين هذه الأسس الثلاثة،

---

٥٨ – ديلودال، جيرار، الفلسفة الأمريكية، ترجمة: جورج كتوره والهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة بالتعاون مع مؤسسة راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩، ص٢٩.

٥٩ – موريس، تشارلس، رواد الفلسفة الأمريكية، ترجمة: ابراهيم مصطفى ابراهيم، مطابع رويال، القاهرة – الاسكندرية، ١٩٩٦، ص٢١٠-٢١١.

٦٠ – جلال، شوقي، العقل الأمريكي يفكر، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧، ص١١١.

أي التحالف القوي بين السياسيين ورجال الأعمال من ناحية ورجال الفكر ورجال الدين من ناحية ثانية، لرسم خلفية فكرية حاسمة للمصلحة القومية العليا للولايات المتحدة الأمريكية[٦١]. هذا التحالف مثل أساس المصلحة القومية العليا، التي هي تمثل أساس النظرية الواقعية في السياسة الأمريكية المعاصرة.

المطلب الثاني: الركائز الفكرية المعاصرة للنظرية الواقعية

تعتمد الواقعية السياسية المعاصرة في تفسيرها للعلاقات بين الدول وطبيعة النظام الدولي على بعض الركائز أو العناصر التي تشكل المفاهيم النظرية للواقعية المعاصرة لفهم بنية النظام الدولي والعلاقات الدولية، والتي على الدول أن تأخذ هذه المفاهيم في عين الاعتبار في سياستها الخارجية. وهذه الركائز أو العناصر النظرية هي"القوة، المصلحة القومية، توازن القوى والمعايير الأخلاقية"، وسنحاول دراسة هذا العناصر بشكل مختصر، وعلى الشكل الآتي:

١. القوة

تستند النظرية الواقعية في بنائها النظري إلى فرضية أساس مفادها أن"القوة هي الهدف الرئيس على المستويين الداخلي والخارجي"، وهي الأساس لتقديم نظرية عامة تفسر علاقات القوى المتعددة والأساس الذي ترتكز عليه سياسات الدول في المجالين الدولي والوطني، وهما ليس إلا مظهرين مختلفين لظاهرة واحدة. يرى موركنثاو أن"السياسة كلها قوة، لذا ماتزال القوة ملخص دقيق للفكر الواقعي الكلاسيكي، مؤكدا أن الهدف من كل السياسة هي القوة، ومع ذلك لا يعني أن القوة هي الميزة الوحيدة للسياسة[٦٢].

وفقا لموركنثاو، قد تنطوي القوة على شيء يقيم سيادة الإنسان على الإنسان ويضمن الحفاظ عليها ويكون بذلك شاملا لكافة العلاقات الاجتماعية التي تهدف إلى تلك الغاية ابتداء من العنف البدني، وانتهاء بأكثر الروابط النفسية التي يسيطر بها عقل على عقل آخر، ويقول"عندما نتحدث عن القوة أو السلطان فإننا لا نعني به سلطان الإنسان على الطبيعة أو وسائل الإنتاج والتوزيع، أو حتى على نفسه، فيما يسمى ضبط النفس، ولكننا نعني به سيطرة الإنسان على عقول الآخرين وأفعالهم. إذاً نستنتج بأن موركنثاو لم يعنِ بالقوة بمعناها الصلب التقليدي فقط، وإنما القوة الناعمة بمفهومها المعاصر، الذي تكلم عنها جوزيف ناي فيما بعد، في كتابة"القوة الناعمة"أيضا. وهناك تأرجح بين مفهوم القوة والقيم الأمريكية؛ لان مفهوم القوة أصبح محددا مهما في الرؤية الأمريكية لا يمكن أن تنتشر إلا بالقوة. ويبدو أن العلاقة جدلية بين الأمرين: القوة من جانب والمصالح من جانب آخر، بمعنى أن بقاء أمريكا قوية إنما يتحدد إلى –حدٍ كبير– بتحقيق المصالح ونشر القيم الأمريكية. وحتى تتحقق وتنتشر القيم لا بد من ممارسة القوة[٦٣]. وينظر موركنثاو للقوة من ثلاث زوايا: الأولى القوة كسبب، أي أنها الدافع لسلوك

---

٦١ – اليحياوي، يحيى، القوة الناعمة: أو في التمظهرات الجديدة لتسلط، المستقبل العربي، العدد٣٦٩، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٩،ص٢٩.

62 .– Nicholas Kitchen، Systemic pressures and domestic ideas: a neoclassical realist model of grand strategy،2012،p.127. http://goo.gl/FW70AX

٦٣ – مرقس، سمير، مصدر سبق ذكرة، ص ٦٧.

معين. والثانية القوة كهدف، أي أنها نتاج لسلوكيات الدول. أما الثالثة القوة كوسيلة، أي أنها أداة لبلوغ الغايات المرجوة[٦٤]. والسياسة الخارجية ما هي إلا صراع من أجل امتلاك القوة وتحقيق تلك الغايات والأهداف.

يتفق الواقعيون على أن تعريف القوة يتحدد طبقاً للموقف بوضع التحليل، أي أنها تتوقف على القضية التي توظف القوة بها أو الهدف الذي توظف القوة من أجله[٦٥] لكن هناك مشكلة تواجه هذا المفهوم؛ لأن طبيعة القوة غير قابلة للقياس الدقيق على الرغم من وجود أسس وعناصر لقوة الدولة، وذلك لأن القوة ليست مطلقة بل هي نسبية ويجب مقارنتها بقوة الدول الأخرى، وأيضا هي ليست مستقرة على حال بل تتغير مع تغير عناصرها، فضلا عن عدم وجود عامل واحد يمكن من خلاله التحكم بالقوة، حتى لو كان ذلك العامل هي القوة العسكرية. القوة لا تقتصر على الجانب العسكري، فهي مركب من أجزاء عسكرية وغير عسكرية تشتمل على متغيرات أخرى، كمستوى التطور التقني أو السكان أو المصادر الطبيعية والعوامل الجغرافية والقيادة السياسية والايديولوجية[٦٦].

وتعرف القوة أيضا بأنها"مجموعة الامكانات المتاحة لدولة ما"، والقوة التي تعنيها التحليلات الواقعية ليست القوة العسكرية التقليدية بل القوة بمفهومها الشامل لكل من عناصرها ومكوناتها المادية وغير المادية. فهي النتاج النهائي لعدد كبير من المتغيرات، الذي تتم بين العناصر المادية وغير المادية. وهذا الاندماج هو الذي يحدد في النهاية قيمة الدولة وتتضح هذه القوة من خلال الحيوية الاقتصادية أو النفوذ السياسي أو العسكري. ويتضح التركيز على الجوانب المادية في تعريف القوة في قائمة محددات القوة الوطنية التي وضعها وولتز، فهو يعرف الدول الكبرى بأنها"الدول التي تمتلك اقليماً واسعا وعدداً كبيراً من السكان وموارد وفيرة، واقتصاداً كفوءاً، وجيشا قويا، ونظاما سياسيا مستقرا عالي الكفاءة". ويستعيد وولتز طرحه من تلك القائمة وما أورده موركنثاو من عناصر القوة المعنوية من قبيل الخصائص القومية والروح المعنوية والآيديولوجية وشكل نظام الحكم والميل العام إلى المسالمة والقتال[٦٧]. وبذلك يختلف أنصار الاتجاهين التقليدي والبنيوي في المدرسة الواقعية على تحديد عناصر القوة. فالتقليديون يفهمون القوة على أنها مركب الكلي، الذي يضم عناصر مادية ومعنوية، فالقوة مكونات عسكرية واقتصادية، كما أنها تشمل القدرة على تشكيل الرأي العام. وقد أشار موركنثاو إلى هذا التعريف الشامل للقوة، لكن هذا المفهوم الشامل للقوة اختفى من طروحات الجيل الثاني من الواقعيين ولاسيما أنصار الاتجاه البنيوي الذين ركزوا فقط على الجوانب المادية للقوة. وهكذا أصبحت القوة تعرف بأنها"استخدام دولة لمواردها المادية

---

٦٤ – معمري، خالد، مصدر سبق ذكرة، ص٨٢– ٨٣.

٦٥ – سالم، احمد علي، القوة والثقافة وعالم ما بعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئاً من الماضي؟ المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد٢٠، بيروت، ٢٠٠٨، ص١٢٥.

٦٦ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص١٣.

٦٧ – مقلد، اسماعيل صبري، العلاقات السياسية الدولية(دراسة في الأصول والنظريات)، بـ/ ط، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ١٩٩١، ص١٩. وأيضا: سالم، احمد علي، مصدر سابق، ص ١٢٢وص ١٠٣.

لإجبار دولة أخرى على فعل شيء لا ترغب في القيام به"[٦٨]. وبهذا فإن القوة في الفكر الواقعي لا تحدد في مفهوم واحد بل للقوى مفاهيم كثيرة متعددة تندرج ضمن المفهوم العام للقوة أو تحت مفهوم الأمن القومي. ويرى موركنثاو أن استخدام مفهوم القوة في تعريف مصلحة الدولة هو المعلم البارز الذي يعين الواقعيين على تلمس طريقهم في حقل السياسة الدولية.

٢. المصلحة القومية

المصلحة هي إحدى تلك الاعتبارات التي تحد تصرف القوة في تكيف التصرف السياسي وتقريره، وصح الاعتقاد أن القوة والمصلحة يمكن أن ينسجما في تغير علاقاتهما المتبادلة[٦٩]. وفق الواقعية، أن لكل دولة من دول العالم مجموعة من المصالح القومية، يمكن إجمالها في ثلاثة مصالح رئيسة: مصلحة البقاء وهي المصلحة الأساسية للدولة، وتعني أن تبقى موجودة ولا يتم الغاؤها. مصلحة تعظيم القوة العسكرية، وهي أداة الدولة الأساسية للدفاع عن نفسها ضد الطامعين. ومصلحة تعظيم القوة السياسية، وهي الاهتمام بالبعد الاقتصادي والتجاري في العلاقات بين الدول، لأن ذلك هو الأساس المادي الذي تقوم عليه مصلحة تعظيم القوة العسكرية[٧٠] فالمصلحة وفقا لهذه الرؤية تتحدد في إطار القوة ومن غير الممكن الحفاظ على مصلحة الدولة دون استخدام أو تعظيم القوة العسكرية وغير العسكرية. ويعترف موركنثاو بأن مفهوم المصلحة القومية المعّرفة بالقوة هو مفهوم غير مستقر، ولكنه يؤكد إنه طالما ظل العالم مقسما إلى دول ذات سيادة فإن الحد الأدنى للسياسة الخارجية لكل دولة يجب أن يكون فقط للبقاء على قيد الحياة، نظرا لأن كل دولة مضطرة لحماية وجودها المادي والسياسي والثقافي ضد أي هجوم من الدول الأخرى، فإن المصلحة القومية تتطابق فقط مع البقاء القومي وتشكلان معاً هوية واحدة[٧١].

المصلحة الوطنية، هي الأهداف العامة المستمرة التي تعمل الامة من أجل تحقيقها. وتبعا لذلك، فهي تتميز بعموميتها واستمراريتها وارتباطها بالعمل السياسي[٧٢]. وإن فكرة المصالح القومية أو الوطنية توضح جانب الاستمرار في السياسات الخارجية للدول رغم التبدل الذي يصيب الزعامات السياسية، أو التحول الذي قد يحدث في نمط الآيديولوجية المسيطرة أو في نماذج القيم السياسية والاجتماعية السائدة، بمعنى إنه أيا كانت طبيعة الاختلافات في العوامل السياسية والاستراتيجية والآيديولوجية والطبيعية التي تؤثر في الأوضاع المتميزة لكل دولة، وتدفعها إلى الصراع أو التعاون مع غيرها من الدول، فإن المصلحة القومية تظل دائماً وأبدا المقياس العام الذي يمكن بواسطته الاستدلال على العوامل التي تحدد السلوك الخارجي لأي دولة عضو في المجتمع الدولي. وحينما يتم الاعتماد على مفهوم المصلحة القومية القائل بأن تحقيق

---

٦٨ – سالم، احمد علي، مصدر سابق، ص ١٢٢–١٢٣.

٦٩ – قربان، ملحم، الواقعية السياسية، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٦.

٧٠ – عودة، جهاد، النظام الدولي(نظريات واشكاليات)، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥، ص٣١–٣٢.

٧١ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص٣٣٣.

٧٢ – فرانكل، جوزيف، العلاقات الدولية، ترجمة: غازي عبد الرحمن القصيبي، ط٢، تهامة للنشر، السعودية–جدة، ١٩٨٤، ص٥٣.

المصلحة القومية للدولة هو الهدف النهائي المستمر لسياساتها الخارجية، فإن السياسة القومية تكون محور الارتكاز أو القوة الرئيسة المحركة للسياسة الخارجية لأي دولة من الدول. لذلك نجد أن المصلحة الوطنية للدولة هي التي تحدد سلوك الدولة في سياساتها الخارجية في اطار العلاقات الدولية سعيا منها لحماية مصالحها[٧٣]. المصلحة الوطنية وفق هذا الوصف هي نوعان كما صنفها موركنثاو: المصالح الأساسية والثانوية. في حين ربط البقاء المادي والأمن بالنوع الأول، رأى أن النوع الآخر تحدده الاعتبارات والأوضاع الداخلية للدولة، وفضلا عن ذلك أكد على ارتباط المصالح الأساسية بعلاقة تفاعل وثيقة مع المصالح الثانوية، فتحقق المصالح الأساسية يؤدي إلى إنجاز المصالح الثانوية، وإنجاز المصالح الثانوية يرتب بدوره الأوضاع الملائمة لتحقيق المصالح الأساسية. ولهذا يعد الأمريكان المصلحة القومية بأنها خير عام يهتم به جميع الأمريكيين أو معظمهم.

٣. توازن القوى

التوازن عبارة عن حالة من الاتزان الساكن أو المتحرك بين قوى متعارضة. ومن الملاحظ أن المصالح الدولية تجرها–حالة الاتزان– إلى نزاع مع دول أخرى داخل النظام الدولي. ويرى موركنثاو أن مصطلح توازن القوى يصف أشياء مختلفة يمكننا تصنيفها في مستويات مختلفة، أولا هناك الموقف النظري المنظومي الذي يعد أن توازن القوى يصف حالة يعاد فيها توزيع السلطة بشكل متساوٍ إلى حد ما بين مختلف أقطاب المنظومة العالمية. ثم المستوى النظري الوطني الذي يعد أن توازن القوى هو سياسة خاصة،"سياسة توازن القوى"، أي السياسة التي تتبعها الدول لتحقيق هذا التوازن، وهنا يجب أن نميز بشكل أساس بين هذين المستويين، لأن الأول يقع على صعيد المنظومة الدولية والثاني على صعيد السياسة القائمة بين الدول. وهناك أيضا المستوى النظري للمؤرخين الرسميين حين يستخدم مفهوم توازن القوى لوصف حالة توازن أو عدم توازن[٧٤]. ويصف توازن القوى بأنه سياسة ترمز إلى المدرسة الواقعية في السياسة الدولية، وهي المدرسة التي تعني بظاهرة القوة، وأن الدول حينما تسعى للحفاظ على وجودها وأمنها ومركزها الدولي من خلال عملية الصراع على اكتساب القوة، فإن رائدها في ذلك هو تحقيق توازن القوى، وهو في الوقت نفسه سلاحها في تنظيم استخدام القوى والسيطرة عليها، تركز المدرسة الواقعية هنا على الصراع في تشكيل توازن القوى، وهو صحيح فيما يخص علاقته بالمدرسة الواقعية في السياسة الدولية التي تعده من اهم عوامل الاستقرار الدولي، غير أن توازن القوى ليس سياسة في حد ذاتها تسعى الدول إلى تحقيقها وتجاهد من اجلها، فالدول لا تسعى إلى التوازن بل تسعى إلى التفوق والهيمنة، مما يقود إلى نشوء توازن القوة، فتوازن القوة ليس حالة مقصودة بذاتها بل هو حالة يتم الوصول إليها بشكل عرضي من خلال

---

٧٣ – طشطوش، هايل عبد المولى، مقدمة في العلاقات الدولية، بـ /ط، ٢٠١٠، ص ٢٧٦.وأيضا: عودة، جهاد، مصدر سابق، ص٣٥.

٧٤ – غيّوم، اكزافييه، العلاقات الدولية، ترجمة: قاسم المقداد، مجلة الفكر السياسي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب العددان ١١–١٢ مزدوج، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات، دمشق ٢٠٠٣، ص٥٧.

السعي إلى التفوق، والدول الساعية إلى التفوق تجد نفسها في وضع الدول المتوازنة في لحظة تاريخية ما[٧٥].

ويرى موركنثاو أن هناك ثلاثة أشكال لتحقيق السلام على الصعيد العالمي، أولا: إذا تم فرضه من قبل الرأي العام الدولي أو نوع من الأخلاق، ثانيا: يمكن تحقيق السلام من خلال القانون الدولي. ثالثا: هذا السلام يمكن أن يصبح حقيقة إذا أقمنا حكومة عالمية، أي قوة مهيمنة شبه مطلقة يمكنها فرض آرائها على أي كان بما في ذلك التحالفات. وأخيراً يمكن تحقيق السلام أو تحديد الحرب من خلال توازن القوى، وهنا يرى موركنثاو بأن الحل الاخير هو الممكن؛ لأن الحلول الأخرى تبدو له غير قابلة للتحقيق من الناحية العملية، ويعتقد أن مفهوم توازن القوى ينشأ من طبيعة العلاقات الدولية، وأن مختلف الجهود التي تبذلها الدول والأمم تتعارض مع بعضها البعض في نهاية المطاف ويمكن للتوازن أن ينبثق بشكل عفوي في بعض الظروف، وهذا موقف عقلاني؛ لأنه يأخذ طبيعة الإنسان بعين الاعتبار، وهو موقف اخلاقي لاعتقاده بإمكان تحقيق السلام[٧٦].

ويعد الواقعيون أن لعبة ميزان القوى هي الوسيلة الأكثر عملية لإقامة السلام والاستقرار مقارنة مع دعوة المثاليين إلى اعتماد القانون الدولي وإقامه حكومة دولية. ويشير موركنثاو إلى وجود طرائق مختلفة لتوازن القوى مثل"مبدأ فرق تسد، سياسة التعويضات، وسياسة التسلح ونظام الأحلاف". وتذهب خلاصة أفكار موركنثاو"إلى أن توازن القوى هو ظاهرة طبيعية في حياة الدول؛ فالسياسة الدولية ليست سوى صراع من أجل القوة، وتوازن القوى هو نتيجة حتمية لهذا الصراع"[٧٧].

٤. المعايير الأخلاقية

في إطار الأخلاق وأثرها في السياسة الخارجية، فإن للواقعيين رؤية تختلف كلياً عما ينظر المثاليون إلى عنصر الأخلاق، والواقعيون يشكلون فكرة وجود مبادئ أخلاقية عالمية، وهم يحذرون قادة الدول من التضحية في سبيل الالتزام ببعض مبادئ السلوك الأخلاقي. ورغم أن جوهر الفكرة وضع أسسها ميكيافيللي إلا أن بعض الواقعيين من أنصار فكرة"عقل الدولة"يتحدثون عن معيار أخلاقي مزدوج، واحد للأفراد الذين يعيشون داخل حدود الدولة، وآخر للدولة في علاقاتها مع الأمم الأخرى. انطلاقاً من واقع السياسات الدولية، غالبا ما تجعل قادة الدول مرغمين على التصرف بطرق غير مقبولة كلياً لدى الأفراد (الكذب والغش والقتل..)[٧٨]. ويعتقد موركنثاو أن الأخلاق ضرورية في العلاقات الدولية ويناهض –على سبيل المثال– المبرر الأخلاقي في السياسة الدولية، وهو ما يسميه بـ"آيديولوجية الأخلاق"، أي إن المبادئ الأخلاقية تخفي وراءها المصالح الخاصة، كما يدين الاطلاقية ويسميها بالنزعة

٧٥ – ابو خزام، ابراهيم، الحروب وتوازن القوى (دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقاتها الجدلية بالحرب والسلام)، ط٢، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٩، ص٤٥.

٧٦ – غيوم، اكزافييه، المصدر السابق، ص ٥٦–٥٧. وأيضا: توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ١٢.

٧٧ – ابو خزام، ابراهيم، المصدر السابق، ص ٦٠. وأيضا: ابراهيم، عبد الأمير، مصدر سابق، ص ٢٠–٢١.

٧٨ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ٩.

العاطفية، لأنها تغطي طبيعة السياسي وتركز فقط على القيمة الأخلاقية على حساب القيم الأخرى. إذاً موركنثاو يقترح علينا أخلاقية المسؤولية والمصلحة العليا للدولة، أي الدولة لمواطنيها وعلى القادة أن يكونوا أخياراً إذا أمكن وأشرارا إذا استدعت الضرورة[٧٩]. والواقعية السياسية تدرك الأهمية الأخلاقية ومتطلبات العمل السياسي الناضج، وترى أنه لا يمكن تطبيق المبادئ الأخلاقية العامة على تصرفات الدول وأفعالها، بل يجب على كل من الفرد والدولة أن يحكما على العمل السياسي عن طريق المبادئ الأخلاقية العامة كالحرية. ومن ثم فإن الواقعية تعد أن التعقل والحكمة هما الفضيلة الأعلى في السياسة، وأن الأخلاق – نظريا أو تجريديا- تحكم على العمل وفق الامتثالية للقانون الدولي، والأخلاق السياسية تحكم على العمل وفقاً لأثاره ونتائجه السياسية البراغماتية[٨٠]. ولذلك يجب أن تكون الدولة مستقلة في علاقاتها الخارجية وتعمل بما تمليه عليها إرادتها وحدها، والقواعد الأخلاقية الملزمة للأفراد داخل الدولة ليست ملزمة للدول في علاقاتها الخارجية[٨١].

وبناءً على ذلك فإن الواقعية ترفض إدخال القيم في العلاقات الدولية على اعتبار أن كل دولة لها قيمها ومعتقداتها الخاصة النابعة من مصالحها القومية بالأساس، فالدولة لا يحق لها أن تقدم موقفاً اخلاقيا على حساب عمل سياسي ناجح[٨٢]. ولا يمكن أن تطبق القيم الأخلاقية للدولة، وإن طبقت فأنها تكون دائماً تابعة لظروف ومعطيات خاصة. ومن هنا يمكننا أن نقيم سلوك الدول الأخرى. والواقعيون يرون أن الصراع السياسي في كل مكان متكرر ويتعذر استئصاله، ويعدون الأخلاق السياسية بوصفها أخلاقاً سياسية لا يمكنها أن تحد من ذلك الصراع، فهي بعيدة للغاية بتحقيق توافق بين الصراع السياسي والفلسفة الأخلاقية[٨٣]. إذاً، المعايير الأخلاقية وفق المفهوم الواقعي هي معايير براغماتية على الصعيد الخارجي، مستهدفة من ذلك ما يعود عليها بالمنفعة العامة. فمن غير الممكن أن تتبع الدولة أخلاقيات مثالية على الصعيد الخارجي؛ لأن ذلك سيحد من سعي الدول في كسب القوة وبلوغ المصلحة القومية، فالقيم الأخلاقية بالنهاية هي المصلحة القومية عينها، وأين ما تكون مصلحة الولايات المتحدة فتلك قيمة أخلاقية يجب السعي لاكتسابها.

المبحث الثاني: النظرية الواقعية والاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة

عرفت النظرية الواقعية ولادة عدة من النظريات التي انسلخت من الواقعية التقليدية، فلم تعد دراسة النظرية الواقعية بشكلها التقليدي فقط التي ارتبطت بـ هانس موركنثاو، فظهرت إلى جانب الواقعية التقليدية والجديدة، الواقعية الدفاعية والهجومية، وأيضا الواقعية النيوكلاسيكية، أو ما يسمى بالفكر الواقعي المعاصر، وهو ما مثل استقراء للواقعية التقليدية والجديدة. ولكن قبل الخوض في الاتجاهات

٧٩ – غيوم، اكزافييه، مصدر سبق ذكرة، ص ٦٥.
٨٠ – عودة، جهاد، مصدر سبق ذكرة، ص ٢٧.
٨١ – ميكيافيللي، نيقولا، الأمير، ترجمة: خيري حمادي، ط التاسعة، مكتبة التحرير، بغداد، ١٩٨٨، ص ٢٨١.
٨٢ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ٢٤٤-٢٤٥.
83 – William A. Galston، Realism in political Theory،The Brookings Institution، Draft 1، August 2007،p.9. http://goo.gl/sKZAFs

الفكرية المعاصرة للفكر الواقعي، نتطرق إلى الواقعية التقليدية والواقعية الجديدة أو البنيوية في المطلب الأول من هذا المبحث.

المطلب الأول: نظريتا الواقعية التقليدية والواقعية الجديدة

يعود الفضل في إدخال الواقعية كمدرسة فكرية لدراسة العلاقات الدولية إلى هانس موركنثاو من خلال عمله الشهير"السياسية بين الأمم"١٩٤٨م، الذي احدث ثورة في الدراسة الأكاديمية للسياسات الدولية. وفي أواخر العقد السابع من القرن العشرين أحدث"كينيث وولتز"شرخاً كبيراً عن واقعية موركنثاو التقليدية وهي ما سميت بـ الواقعية الجديدة أو الواقعية البنيوية. في حين اصبحت واقعية موركنثاو تسمى بالواقعية التقليدية أو الكلاسيكية، لذلك سنحاول التركيز في هاتين النظريتين في هذه الدراسة ومن ثم الانتقال إلى الاتجاهات الفكرية المعاصرة، وهذا ما سيتم تناوله في المطلب الثاني.

١. الواقعية التقليدية (الكلاسيكية)

ظهرت الواقعية في البداية من خلال شكلها التقليدي مع اسهامات هانس موركنثاو(١٩٠٤-١٩٨٠م)، وغيره من المفكرين الواقعيين الأوائل الذين حاولوا التكيف مع أحداث القرن العشرين التي صاحبها الكثير من مظاهر الاضطراب واللاأمن وتفاقم حدود الصراعات والحروب، وقد هيمن هذا المنظور على حقل العلاقات الدولية والفكر السياسي الأمريكي خلال مرحلة الحرب الباردة[٨٤]. وقد ظهرت بعد الحرب العالمية في إرشاد صانع قرار السياسة الخارجية في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة لردع المانيا النازية وايطاليا الفاشية واليابان العسكرية بعد فشل المدرسة المثالية في ذلك[٨٥]، وهي رؤية تصحيحية لسذاجة المدرسة المثالية، والتي هاجمتها بوصفها يوتوبيا تتمثل بأسبقية الرغبة على الواقع، والأهداف على التحليل النقدي، وترى أنه يجب تحليل العالم كما هو عليه وليس كما ينبغي أن يكون، وعلى العلاقات الدولية أن تدرس الكائن وليس ما يجب أن يكون. وتبين الإخفاقات المختلفة التي ألمت بالمثالية، مثل إنشاء عصبة الأمم ومختلف محاولات تحقيق السلام، وهي عبارة عن قراءات ماضية لميكيافيللي، الذي يقترح قراءة حديثة للعلاقات الدولية، حتى لو لم يكن يهتم إلا بصورة الأمير[٨٦] فهي ترفض مقولة المثالية بوجود تناسق في المصالح بين مختلف الأمم. وترى أن الدول تتضارب مصالحها إلى درجة تقودها إلى الحرب، وإمكانيات الدولة تلعب دورا هاما في تحديد نتيجة الصراع الدولي وقدرة الدولة على التأثير في سلوك الآخرين؛ لأن الدول مثلها مثل البشر تمتلك رغبة فطرية في السيطرة على الآخرين، وهو ما يقود نحو التصادم والحروب[٨٧]. وقد أبرز موركنثاو فضائل نظام توازن القوى التقليدي المتعدد

---

٨٤ – وولت، ستيفن،"العلاقات الدولية: عالم واحد، نظريات متعددة ،ترجمة: زقاغ عادل و زيدان زياني، ص٢. نقلا عن موقع: http://goo.gl/JS8Md2.

٨٥ – سالم، احمد علي، مصدر سبق ذكرة، ص١١٩.

٨٦ – Nicholas Kitchen، op، cit، p.124.

٨٧ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ١١. وأيضا: شاهين، سوسن زهدي، هل النظرية مفتاح لفهم الأحداث الدولية، http://www.alalam.ir/news/28333

الأقطاب، ويرى بأن نظام الثنائية القطبية الذي برزت فيه الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفيتي يحمل العديد من المخاطر.

إن البنية بالنسبة للواقعيين التقليديين بنية فوضوية ينبغي فيها أي شكل من أشكال السلطة الفوقية التي يمكن للدول الاحتكام إليها. هذه الظروف تساهم في تكريس ما يسميه الواقعيين بالمعضلة الأمنية المتأتية من سعي كل دولة لزيادة مستويات أمنها بشكل منفرد، عبر حيازة مصادر القوة، خاصة بشقيها العسكري والاقتصادي. ولذلك فهم ينظرون إلى السياسة – مثلها في ذلك مثل المجتمع بصورة عامة– محكومين بالقوانين الوضعية المتأصلة في الطبيعة الإنسانية، وأنه من أولى الضروريات أن يتم فهم القوانين التي يحيا بها المجتمع[٨٨]؛ لأن حالة الدولة في النظام الدولي هي مماثلة لحالة الإنسان في حالة الطبيعة، ومن ثم السياسة الدولية هي بشكل أساس بحث عن القوة، وهي مجبرة على ذلك. وبذلك فالدولة تدافع وتمارس فقط في السعي لتحقيق المصلحة الوطنية الذي يعرف بأنه الأمن القومي، والمصلحة الوطنية تتحقق في إطار القوة الطبيعية التي يمكن تحديدها وتقيمها من حيث الإمكانيات المادية. النظام الدولي ليس لديه السيادة على الدول ولذلك فهو عالم فوضوي. وهكذا عمل الدولة في داخلها يمكن تلخيصه إلى المصلحة الوطنية وهدفها الأساس، ومن ثم فإن أمن الدولة القومي هو المحدد الوحيد للسياسة الخارجية[٨٩]. وبذلك تعد الفوضى هي السمة الرئيسة للبنية التي تتفاعل فيها الدول مع بعضها حسب الواقعية التقليدية، ولهذا فإن صانعي القرار مدعوون للأخذ بعين الاعتبار"المصلحة العليا للدولة"قبل أي شيء آخر. ولهذا أيضا يقال عن الواقعية الكلاسيكية أنها تحمل نظرة تشاؤمية، وتطغى عليها هذه النظرة إلى حد كبير؛ وذلك بسبب رؤية الدول لمكاسبها ومقارنتها بمكاسب الآخرين، والشكوك المتبادلة والخوف من الغش والانحراف، والاهتمام بالمصلحة الخاصة للدول في ظل الفوضى[٩٠].

تنطلق الواقعية من افتراض أن الدول كوحدات متجانسة مستقلة هي الفاعل الأساس في العلاقات الدولية، وبالرغم من اعتراف الواقعيين بحدوث تطورات مهمة وظهور فاعلين جدد إلا أنهم يتمسكون بأن الدول القومية هي الفاعل الأساس المؤثر في السياسات الدولية، والدولة القومية تعني لديهم وحدة ذات كيان مستقل من ناحية ومتجانسة من ناحية أخرى. أي إنه لا يمكن النفاذ إليها بتأثيرات خارجية، كما أنها لا تتعرض لضغوط داخلية، ومن ثم فإن العلاقات السياسية وغير السياسية الدولية تحدد بالرجوع إلى الحدود القومية، ولذلك فإن تحليلهم يستند على افتراض الفصل بين السياسة الداخلية والخارجية، ومن ثم فإن الحكومات أو صانعي القرار أو المسؤول الحكومي على أعلى المستويات الدبلوماسية والعسكرية، هم الفاعلون الأساسيون وليس أي مجموعات داخلية أخرى أو أي فاعل دولي آخر من غير الدول[٩١].

---

٨٨ – عودة، جهاد، مصدر سبق ذكرة، ص٢٤. وأيضا: نصيب، عتيقة، مصدر سبق ذكرة، ص٣٨.

٨٩ – Nicholas Kitchen، op، cit، p.124

٩٠ – راضي، سمير جسام، مفهوم التعاون الدولي في المدارس الفكرية للعلاقات الدولية، مجلة العلوم السياسية، العدد٤٥،جامعة بغداد/كلية العلوم السياسية، ٢٠١٢، ص١٥٢.

٩١ – مصطفى، نادية محمود، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٨٥،ص٩.

وهكذا، فإن المدرسة الواقعية تذكرنا بحق بالدور الرئيس الذي تقوم به الدول على الساحة الدولية، كما تذكرنا بطبيعة هذه الساحة النزاعية والفوضوية، لكنها تفصل -أكثر مما يفترض- السياسة الخارجية عن السياسة الداخلية، وتقلل من قيمة دور الفاعلين غير الحكوميين ومن أهمية القوى الاقتصادية..الخ، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى فإن آراءها في التحليل المنطقي للسياسة الخارجية، هي إرادة مبنية على مفهوم المصلحة الوطنية[٩٢]، لأن منهاج التحليل الذي اعتمده موركنثاو ينظر إلى عملية صنع السياسة الخارجية على أنها –باستمرار – عملية ترشيديه عقلانية، بمعنى أنها تخرج عن كونها عملية توفيق بين الوسائل المتاحة وبين الأهداف التي هي ثابته، لذلك فكل سياسة خارجية هي عقلانية؛ لأنها تسعى دائماً لتعظيم القوة والمصلحة الوطنية، وذلك لأن السياسة الخارجية أيضا -وبحسب ما يرى موركنثاو- تسير وفقا لأساس الفهم والاعتراف بهذه القوانين، والاعتراف وبالآخر بطبيعة العلاقات الدولية الفوضوية والنزاعية، وليس وفقاً لمثالي مجرد يرفض أن يأخذ هذه الأخيرة بعين الاعتبار[٩٣].

دعامتا التحليل في النظرية الواقعية لموركنثاو هما فكرة المصلحة وفكرة القوة، والمصلحة في مفهوم هذه النظرية تتحدد في إطار القوة التي تتحدد بدورها في نطاق ما يسميه موركنثاو بفكرة التأثير أو السيطرة وبتحديد آخر فإن القوة السياسية التي تعنيها هذه النظرية الواقعية هي مدى التأثير النسبي الذي تمارسه الدول في علاقاتها المتبادلة، وهي بذلك لا يمكن أن تكون مرادفاً للعنف بأشكاله المادية والعسكرية، وإنما هي أوسع نطاقاً من ذلك بكثير، فهي النتاج النهائي -في لحظة ما- لعدد كبير من المتغيرات المادية. والتفاعل الذي يتم بين هذه العناصر والمكونات هو الذي يحدد في النهاية حجم قوة الدولة، وبحسب هذا الحجم تتحدد الامكانيات في التأثير السياسي في مواجهة غيرها من الدول[٩٤] ومن هنا تنظر النظرية الواقعية إلى المجتمع الدولي والعلاقات الدولية على أنها صراع مستمر نحو زيادة قوة الدولة واستغلالها بالكيفية التي تمليها مصالحها أو استراتيجيتها بغض النظر عن التأثيرات التي تتركها في مصالح الدول الأخرى[٩٥]؛ لأن الواقعية الكلاسيكية اعتمدت على مفاهيم خاصة لفهم وتفسير مختلف الظواهر المعقدة في السياسة الدولية بما فيها ظاهرة السياسة الخارجية، وتعد مفهوم القوة، والمصلحة، وتعظيم المكاسب، المساعدة الذاتية، العقلانية والفوضى الدولية.. من المفاهيم المفتاحية التي اعتمدتها هذه المقاربة لتفسير السلوك الخارجي للدول[٩٦]. فالقوة في ذاتها تقود إلى الصراع، ومن هنا فالصراع من أجل القوة هو أداة موركنثاو الموضوعية في تحليله النسقي لتفسير السلوك الدولي والوقوف على دوافعه الحقيقية بعيدا عن التبريرات الواقعية، وهذا الصراع يكشف عن الصلب الذي يفسر السياسات الخارجية للدول مع تباين

---

٩٢ – برايار، فليب، مصدر سبق ذكرة، ص ٣٠.

٩٣ – عودة، جهاد، مصدر سبق ذكرة، ص٣٠. وأيضا: برايار، فليب، المصدر السابق، ص ١٨.

٩٤ – مقلد، اسماعيل صبري، مصدر سبق ذكرة، ص١٨-١٩. وأيضا: العقابي، علي عودة، مصدر سبق ذكرة، ص١٦.

٩٥ – صالح، دانا علي، المتغيرات المؤثرة في التعاون الدولي بعد الحرب الباردة(دراسة في تأثيرات ثورة الاتصالات)، اطروحة دكتورا، كلية العلوم السياسة، جامعة السليمانية، ٢٠١١،ص ١١.

٩٦ – ابراهيم، بولكاحل، تطور اتجاهات المدرسة الواقعية في تحليل العلاقات الدولية والسياسة الخارجية، http://politics-ar.com/ar2/?p=3062.

النظم والآيديولوجيات[٩٧]. الواقعيون الكلاسيكيون رغم تركيزهم على تفسير الحروب والنزاعات والتشاؤمية إلا أنهم اهتموا أيضا بتحقيق السلام، ويعد توازن القوى من أنجح وسائل تحقيق السلام بالنسبة لموركنثاو.

وتتلخص طروحات موركنثاو بما يأتي، أولا: إن الدول"الأمم"هي الممثل الأهم للعلاقات الدولية. ثانياً: يجب التمييز بين السياسة الوطنية والسياسة الخارجية. وثالثا: السياسة العالمية هي صراع من اجل السلطة أو القوة ويعدها من أجل السلام[٩٨]. ويمكن تحديد المبادئ الأساسية للواقعية الكلاسيكية التي حددها موركنثاو في كتابة الشهير"السياسة بين الأمم"في ستة مبادئ أساسية[٩٩] وهي:

١. العلاقات السياسية تحكمها قوانين موضوعية تضرب بجذورها في أعماق الطبيعة البشرية من خلال الاضرار والنوايا الموجودة في هذه الأخيرة، وبناء السياسة العامة يجب أن يتم على أساس فهم هذه القواعد الموضوعية.
٢. إن فكرة المصلحة الوطنية هي الموجه الرئيس للواقعية السياسية، فالقائد السياسي يفكر ويتصرف طبقاً للمصلحة الوطنية المعرفة في اطار القوة.
٣. المصلحة تشبه القوة، في كونها غاية مشروعة بشكل عام، رغم أن معناها الدقيق يختلف حسب الوقت والظروف، فالمصلحة الوطنية في حدها هي البقاء، ولكن الدول –لضمان بقائها– تسعى لتحقيق أهداف أخرى.
٤. بالرغم من إدراك الواقعية للأهمية الأخلاقية للعمل السياسي، فأنها تدرك –في الوقت ذاته– التوتر غير المرغوب بين القيادة الأخلاقية ومتطلبات العمل السياسي الناجح، وهذا الأخير يقتضي تنقية سلوك الدولة من المبادئ الأخلاقية، ومعيار الحكم على سياسة معينة هي نتائجها السياسية"الغاية تبرر الوسيلة".
٥. التطلعات الأخلاقية المعينة لا يمكن مطابقتها مع القوانين الأخلاقية التي تحكم الكون.
٦. السياسة الواقعية حقل مستقل بذاته، وتحليله يجب أن يتم بوصفه كيان قائم بذاته، دون أن يتم اخضاعه لأي حقل آخر من الاهتمامات الإنسانية. بمعنى الظاهرة السياسية هي ظاهرة مستقلة والحكم على أي سلوك سياسي يكون خلال معايير سياسية.

٢. الواقعية الجديدة(البنيوية)

بعد أن خفق تيار الواقعية قليلا تحت تأثير الترابط المتبادل خلال الستينات، وبفضل زوال التوتر، عادت الواقعية ابتداءً من أواخر السبعينات تحت تأثير الحرب الباردة الجديدة، دون شك لتحتل مكان الصدارة في التفكير حول العلاقات الدولية، وذلك تحت شعار التيار الواقعي الجديد، وكان ذلك بشكل خاص مع ظهور أعمال"كينيث وولتز، وجون جيرار، روبرت غيليان"، وابتعد منظرو التيار الواقعي الجديد

---

٩٧ – عبد الحافظ، عادل فتحي، النظرية السياسة المعاصرة(دراسة في النماذج والنظريات التي قدمت لفهم وتحليل عالم السياسة، ط١، الدار الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٧، ص٢٦٧.

٩٨ – غيوم، اكزافييه، مصدر سبق ذكرة، ص٥٤.

٩٩ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ١٠.

قليلا عن نظريات موركنثاو لينضموا إلى ريمون ارون، في اصرارهم على الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي، وفي لجوئهم الأكثر حذرا إلى مفاهيم أخرى، كالمصلحة القومية والقوة[١٠٠]. وانتقدت الواقعية الجديدة سابقتها التقليدية بسبب منهجيتها السلوكية، التي تمحورت حول سلوك الدولة –العنصر الأساس في تقديرها– في السياسة الدولية، وأخفقت في استيعاب الواقع الحقيقي على أنه نظام بنية أو كيانه المتميز، وبالغت في تفسيرها للمصلحة ومفهوم القوة، وأغفلت سلوك المؤسسات الدولية، وأطر علاقاتها الاعتمادية في جوانبها الاقتصادية[١٠١].

من أبرز ممثلي الواقعية الجديدة، يمكن ذكر"روبرت جلين، كينيث وولتز، ستيفن كريزيز، وروبرت تاكر، وجورج مودلسكي"، حيث كان هدف رواد هذه المدرسة هو محاولة إخراج الواقعية من المفهوم الكلاسيكي والتحليلي البديهي إلى مستوى من التحليل، أكثر علمية للوصول بها إلى نظرية علمية[١٠٢]، وهي رؤية نسقية للسياسات الدولية، حاول كينيث وولتز من خلال عمله الشهير"نظرية السياسات الدولية"١٩٧٩م، تجاوز النقد الذي كان من الممكن توجيهه إلى موركنثاو، مقترحاً نظرية"للمنظومة الدولية"، والإبقاء على سلوكيات الفاعلين الذين يشكلون عناصر هذه المنظومة التي تفرض قيودا محددة على السلوك، اما العوامل الأخرى كالدين والسياسة الداخلة والاقتصاد فتعد ثانوية إلى حد ما[١٠٣].

الواقعية الجديدة أو ما تسمى أحيانا بالواقعية الهيكلية، هي خلافاً للواقعية الكلاسيكية أو التقليدية، حيث يتم تحديد النظام الدولي من خلال الفوضى، وهي حالة عدم وجود سلطة مركزية كما يسميها"وولتز". الدول تكون ذات سيادة ومستقلة عن بعضها البعض. وفي مثل هذا النظام الفوضوي، ستكون قوة الدولة هي المفتاح الرئيس في فهم الواقع؛ لأنه فقط من خلال القوة يمكن للدول الدفاع عن انفسها، وتأمل في البقاء على قيد الحياة. فالواقعية تفهم القوى في مجموعة متنوعة من الطرق، على سبيل المثال القوة العسكرية والاقتصادية والدبلوماسية، ولكن يؤكد في النهاية على توزيع القدرة المالية والقسرية كمحدد للسياسة الدولية[١٠٤]. وعلى الرغم من ذلك الخلاف المتعلق في تحديد النظام الدولي من خلال الفوضى، إلا أنها لم تختلف عن سابقتها في خصوص اعتبار العوامل النابعة من البيئة الخارجية كمحدد رئيس للسلوك الخارجي للدول، وذلك انطلاقا من الأساس الذي يؤكد ندرة الأمن وفوضوية النظام الدولي، ومن هذا المنطلق فإن جل اهتمام الوحدات السياسية هي كيفية الحفاظ على وجودها. إذاً، وولتز يدافع عن منظور منظومي، بعبارة أخرى، من رؤية تنطلق من منظومة ما، أي من مجمل المنظومة الدولية التي تفرض طريقة معينة على شكل وحدات المنظومة وتصرفاتها عن طريق المظاهر الضاغطة والصائغة. إذاً فالمنظومة الدولية هي بنية تفرض نفسها على وحداتها. يقول وولتز بأن"بنية النظام الدولي هي التي تشكل

---

١٠٠ – برايار، فليب، مصدر سبق ذكرة، ص ١٩–٢٠.
١٠١ – عودة، جهاد، مصدر سبق ذكرة، ص ٤٣–٤٤.
١٠٢ – سلمان، عبد الحكيم، مصدر سبق ذكرة.
١٠٣ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ١٣.
١٠٤ – Anne-Marie Slaughter، International Relations، Principal Theories، http://goo.gl/AQX5YN.

كل خيارات السياسة الخارجية"[١٠٥]. وهذه البنية للنظام الدولي هي نتيجة لفوضوية النظام الدولي، حيث يرى وولتز"أن الفوضى هي من المكونات الأساسية للنظام الدولي، وأن الحرب تندلع نتيجة هذا النظام وليس نتيجة الشر في الطبيعة الإنسانية"[١٠٦]؛ لأن الواقعية الجديدة تغفل الطبيعة البشرية، وتركز على فوضوية النظام الدولي، بل تشكل الطبيعة الفوضوية للنظام الدولي نقطة البداية لتفكير الواقعيين الجدد بشأن التعاون الدولي بين الدول. وهذه الفوضوية تعبير عن حالة غياب الحكومة على المستوى الدولي، وبالمعنى الرسمي فأنها تشير إلى عدم وجود سلطة مركزية، وبهذا المعنى فأنها بالتأكيد سمة من سمات النظام الدولي والإطار الاجتماعي السياسي الذي تحدث فيه العلاقات الدولية[١٠٧]. وفي ظل هذه السمة الفوضوية في بنية النظام الدولي سوف تدفع الدول إلى التنافس من أجل القوة، لكن هذه الدول لا ينبغي لها أن تكافح من أجل زيادة القوة وحسب، ولكن بدلا من ذلك فهي تسعى للاستيلاء على القوة[١٠٨]. إذاً، فالدولة هي الفاعل الرئيس في السياسة الدولية بحسب الواقعية الجديدة، وذلك بسبب امتلاكها لوسائل العنف المنظم، خاصة وأن الدول تتجه إلى فهم بنيتها الدولية وليس الداخلية، والطبيعة الفوضوية للنظام الدولي هي التي تحدد سلوك الفاعلين، والعوامل الداخلية ليست عاملا مهما في السياسة الخارجية ونفي بأن تكون أية علاقة بينهما، وهذا ما دافع عنه وولتز بقولة"نظرية العلاقات الدولية تفقد طبيعتها عندما تتدخل الخصائص القطرية للدول كأداة تفسيرية للسلوك الخارجي"[١٠٩].

وينطلق وولتز في بناء نظريته من افتراض أن الواقعيين التقليديين حددوا موطن الحرب في مستوى واحد من اثنين، أو كلاهما، وهما الفرد والمجتمع، أو الدولة. ويرى أن الصواب وجود الفصل بين مستوى النظام ووحداته، كما يرى أن الحرب جوهر عالم السياسة تجد جذورها بين الإنسان والدول والنظام الدولي. وعليه، اذا أردنا فهمها والقضاء عليها، يجب علينا ألا نركز على مستوى واحد من مستويات التحليل الثلاثة التي طرحها ونغفل الباقي، ولا بد أن يكون فهمنا للسياسة الدولية بدمج هذه المستويات الثلاثة، حيث يرى وولتز أن"الصورة الثالثة تصف الإطار العام للسياسة العالمية، ولكن من غير الصورتين الأولى والثانية لا يمكن معرفة القوى التي تقرر السياسة وتحددها، هذا من ناحية. ومن ناحية أخرى تصف الصورتان الأولى والثانية القوى في السياسة العالمية، لكن هنا من المستحيل تقيم أهميتها وتوقع نتائجها من غير الصورة الثانية[١١٠]، لهذا تعد الدول هي الفاعل الأساس في النظام الدولي.

---

١٠٥ – ابراهيم، بولكاحل، مصدر سبق ذكرة.

١٠٦ – غريفيش، مارتن، مصدر سبق ذكرة، ٤٥٤.

١٠٧ – راضي، سمير جسام، مصدر سبق ذكرة، ص ١٤٨. وأيضا: ابراهيم، بولكاحل، مصدر سبق ذكرة.

١٠٨ – ميرشايمر، جون، العالم الحقيقي والعالم الاكاديمي، ترجمة جلال خشيب، الحوار المتمدن، العدد ٣٨٥٤، ٢٠٠١٢. http://goo.gl/FrvTIz.

١٠٩ – ابراهيم، بولكاحل، مصدر سبق ذكرة.

١١٠ – ابو زيد، أحمد محمد، كينيث والتز: خمسون عاما من العلاقات الدولية (١٩٥٩_٢٠٠٩) دراسة استكشافية، مجلة المستقبل العربي للعلوم السياسية، العدد ٢٧، مجلة دورية تصدر عن الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠، ص١٠١.

وتؤكد المدرسة الواقعية الجديدة على استخدام الأدوات الناعمة في السياسة الخارجية، حيث حلت محل القنوات القتالية، كون هذا العصر هو عصر الاقتصاديات القائمة على المعلومات، والاعتماد المتبادل الذي يتخطى الحدود القومية، وأصبحت القوة أقل قابلية للنقل والتمويل، وأصبحت مادية ملموسة إكراهية بدرجة أقل. فالواقعية التقليدية هي التي ترى أن القوة غاية في حد ذاتها، ولهذا هي تسعى لتحقيق ميزان القوى، لأن الأخير سياسة واعية من طرف الدول. أما الواقعية الجديدة، فتنطلق من مسلمة أساسية وهي أن هدف الدول هو المحافظة على البقاء، وعليه، تبذل مجهودات داخلية(تقوية الاقتصاد، بناء القوى العسكرية..الخ ومجهودات خارجية (بناء الاحلاف، إضعاف الاحلاف المعادية..الخ)[١١١].

يستند وولتز إلى نظريات الاقتصاد الجزئي، فهو يشبه النظام الدولي بالسوق، ويميز بين التغير داخل بنية النظام الدولي (اي تغير وحداته)، وتغير بنية النظام الدولي ذاتها، فتغير هذه البنية هو تغير في عدد القوى الكبرى أو في قدراتها، وهكذا فإن قبل الاتحاد السوفيتي لم تتغير بنية النظام الدولي إلا مرة واحدة خلال أربعة قرون، وذلك عندما تحول من تعدد الأقطاب إلى القطبية الثنائية بعد الحرب العالمية الثانية. ويرى وولتز أن هذا التحول أثر إيجابيا في الاستقرار والسلم الدوليين؛ لأن نظام القطبية الثنائية يقود إليهما أكثر من نظام تعدد الأقطاب. ولهذا نظرية وولتز لتوازن القوى تقر بأفضلية نظام الثنائية القطبية على غيره من الأنظمة الدولية الأخرى[١١٢]، وهذا ما خالف بيه موركنثاو الذي يفضل النظام المتعدد الأقطاب من الثنائية القطبية، ولهذا يرى وولتز أن نهاية الحرب الباردة لن تؤدي إلى تغير مفهوم الأمن ولم تؤدِ إلى تغير هذه البنية"الفوضى"والعالم ما زال في منافسة مستمرة بين الدول[١١٣]، حتى مع التغير الذي حدث في النظام الدولي بعد الحرب الباردة وتفكك الاتحاد السوفيتي. إن الرؤية للعالم وفق نظرية الواقعية الجديدة يمكن تلخيصها في اربع نقاط وهي:

١. يزعم الواقعيون بأن البقاء على قيد الحياة هو الهدف الرئيس من كل دولة ضد الغزو والاحتلال الأجنبي، ومن ثم على الدول أن تواجه التهديدات الأكثر إلحاحاً، وحالة الفوضى في النظام الدولي تتطلب من الدول أن تضمن باستمرار امتلاكها القوة الكافية للدفاع عن انفسها ودفع حياتها ومصالحها المادية اللازمة للبقاء على قيد الحياة.
٢. تعتقد الواقعية أن تكون الجهات الفاعلة عقلانية–الدول–، وهذا يعني أن النظر إلى الهدف من البقاء على قيد الحياة هو هدف رئيس لجهات فاعلة، وعليها أن تعمل أفضل ما في وسعها من أجل تحقيق أقصى قدر من امكاناتها من اجل الاستمرار في الوجود.

---

١١١ – النعيمي، احمد نوري، مصدر سبق ذكرة، ص ٦٠.وأيضا: نصيب، عتيقة، مصدر سبق ذكرة، ص ٥٠.

١١٢ – جندلي، عبد الناصر، النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات ما عد الحرب الباردة، مجلة المفكر، مجلة علمية محكمة متخصصة في الحقوق والعلوم السياسية، العدد ٥، جامعة محمد خيضر–بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٠، ص١٢٦.

١١٣ – Neorealist / neoliberal and Security،Nicoletta lasan and vasily goldis ، p39. .http://goo.gl/ttnxk4

٣. تفترض الواقعية أن على جميع الدول امتلاك بعض القدرات العسكرية، وعليها أن تدرك ما تنوي الدول المجاورة لها على وجه التحديد في العالم، وبنفس الوقت هو أمر خطير وغير مؤكد.
٤. وفي مثل هذا العالم إن القوى العظمى هي الدول ذات القوة الاقتصادية وبصفة خاصة القوة العسكرية، وهي التي تتحكم بمبادئ العلاقات الدولية[١١٤].

من الناحية المنهجية، نفهم أن الواقعية الجديدة حاولت تبسيط المفاهيم التقليدية وإعطاءها نوع من المصداقية. وقد حافظت الواقعية الجديدة على"الفوضى كمعطى دولي"، لكن تفسيرات هذه الفوضى، كانت مبنية على أساس غياب سلطة فوق الدول على الصعيد الخارجي يضمن الأمن لها، وعليه فالفوضى هي ميزة السياسة الدولية، وليس للسياسة الداخلية التي لها سلطة مركزية. فالدول يجب أن لا تثق في قوتها، كما لا تثق في الاخرين؛ لأنه ليس هناك أي سلطة تراقب وتحفظ هذه الاتفاقيات بين الدول، فلا شيء يمنع الاحلاف من اختراق الاتفاقيات، لذا فمن الصعب والخطورة أن تعلق أو تولي أمنك وتضعه في أيد الآخرين[١١٥].

ويمكن أن نوجز مما سبق بعض الاختلافات بين الواقعية بشكلها الكلاسيكي والجديد، كما لاحظها"ستيفن لامي"في تحليله بين الواقعية الكلاسيكية والجديدة. أولاً: الواقعية هي نظرية استقرائية، وهو ما يفسر السياسة الدولية من خلال تحليل التفاعلات وتصرفات الدول في النظام الدولي، في حين في الواقعية الجديدة نجد أن بنية النظام الدولي والفوضى هما اللذان يحددان خيارات الدول للسياسة الخارجية. ثانيا: اذا كانت القوة في الواقعية الكلاسيكية هدفاً بحد ذاتها، فإن في الواقعية الجديدة القوة ليست هدف فقط ولكن وسيلة أيضا، كذلك هناك فرق في الطريقة التي تتفاعل بها الدول على المستوى الدولي في حالة الفوضى. على الرغم من هذه الاختلافات، وعلى الرغم من وجود أكثر من انواع الواقعية، هناك بعض الموضوعات التي تظل ثابتة مثل: إن الدول هي الفاعل المهم والرئيس في العلاقات بين الدول والنظام الدولي والشغل الشاغل لهم، وهدفهم الأساس هو ضمان الأمن[١١٦].

ويمكن تلخيص أهم مبادئ الواقعية الجديدة والتي يمكن أن نوجزها في النقاط الخمس الآتية[١١٧]:

١. النظم السياسية تأخذ شكلين أساسيين تسلسلية أو فوضوية، والنظام الدولي يأخذ دائماً الشكل الأخير.
٢. في النظام الفوضوي كل الدول لها وظائف متشابة، فهي متمايزة من حيث القدرات وليس الوظائف.
٣. جميع الدول تتميز بخاصية الأنانية، وتسعى على الأقل لضمان بقائها.
٤. في أي نظام للمساعدة الذاتية البقاء يقتضي الاستجابة للقوة النسبية ولأفعال الآخرين.

---

١١٤ - Anne-Marie Slaughter، op. cit.
١١٥ – نصيب، عتيقة، مصدر سبق ذكرة، ص ٤٩.
١١٦ - Nicoletta lasan and vasily goldis، op. cit، p.40.
١١٧ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ١٤.

٥. حالة الفوضى في النظام الدولي تدفع دائماً نحو خلق نظام توازن القوة.

إذاً وبحسب الواقعية الجديدة فإن الدول هي الفاعل الرئيس والمهم في العلاقات الدولية، وإن النظام الدولي نظام فوضوي نظام غير الطبيعة الإنسانية الفوضوية التي كانت تميز الواقعية الكلاسيكية، والهدف الأسمى للدول هو الحفاظ على بقائها وهي تفكر جديا في تحقيق ذلك، وهي لا تثق في بعضها البعض ولا يمكن معرفة نيات بعضها البعض، ومع هذا فهي فاعل عقلاني كما يسميها الواقعيون الجدد.

المطلب الثاني: الاتجاهات الفكرية الواقعية المعاصرة

عرفت الواقعية منذ ظهورها مساراً تطورياً أدى إلى ظهور العديد من الاتجاهات داخل المنظور الواقعي. فالبداية الفعليه لظهور الواقعية كانت مع إسهامات موركنثاو حينها عرفت بالواقعية التقليدية، ثم عدلت الواقعية التقليدية لاحقا نتيجة تحولات عرفتها بنية البيئة الدولية، وأضيفت لها قطع نظرية جديدة طورتها في شكل الواقعية الجديدة مع"كينيث وولتز". وإحدى الاسهامات المهمة داخل المنظور الواقعي تمثلت في ظهور توجهين"الهجومي–الدفاعي"المتمثلين في نظرية الواقعية الدفاعية والواقعية الهجومية. وأيضا عرفت اتجاهاً جديداً تمثل بالواقعية النيوكلاسيكية، وقد استند كلا الاتجاهين إلى مفهومة الأمن، إلا أنها اختلفت بشكل عميق في تحديد درجة توفير الأمن في النظام الدولي، هل هو محدد أو وافر؟ وهل أن الدول تسعى إلى توسيع نفوذها بناء على ما تملكه من عناصر القوة التي تشكل لها الحافز إلى التوسع والهيمنة أو أنها لا تندفع إلا لتحقيق مستوى أدنى أو محدد من الأمن؟. وكان لهذين الاتجاهين انعكاسهما على الاستراتيجية العسكرية الأمريكية التي شهدت حالة الانتقال من استراتيجية الدفاع إلى استراتيجية"التدخل الوقائي"، التي تجسدت ميدانياً في مفهومي الضربة الوقائية والضربة الاستباقية[١١٨]؛ لأن الفوضى تدفع الدول إلى تحقيق أقصى قدر من القوة النسبية. هذا الخلاف هو في الأساس ما أطلق عليه النقاش بين الواقعيتين الهجومية والدفاعية[١١٩].

١. الواقعية الدفاعية

تعد الواقعية الدفاعية بالصورة التي قدمها"روبرت جيرفس، جورج كويستر، ستيفن وولت، ستيفن، فإن افيرا وجاك سنايدر"، من الإضافات المهمة للواقعية. ويجادل هؤلاء بأن احتمال وقوع الحرب كان أعلى حين كانت الدول تستطيع أن تتغلب على بعضها، ولكن كلما كان الدفاع أسهل، فإن الأمن كان أوفر، وحوافز التوسع أقل، واحتمالات التعاون اعلى. بل حين يكون للدفاع فائدة وتكون الدول قادرة على التمييز بين الأسلحة الهجومية والأسلحة الدفاعية، فإن الدول تستطيع أن تكسب وسائل الدفاع عن نفسها من غير أن تهدد الآخرين، وبذلك تقلل من تأثيرات الفوضى الدولية[١٢٠]. وهي إحدى صور

---

١١٨ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص ٤٧.

١١٩ – John J. Mearsheimer، an offensive realist between geopolitics and power، Palgrave Macmillan، Volume 8، Number 4، December 2005، http://goo.gl/UZrKqZ. p.8.

١٢٠ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ٣٨٤–٣٨٥.

الواقعية، التي تتماثل مع الواقعية التقليدية في النظر إلى الدول بوصفهم لاعبين عقلانيين ولاعبين أساسين في الشؤون الدولية. فهي تصور النظام على أنه فوضوي في الأساس، لكن الفوضى هذه أكثر حميدة وأقل تهديدا، ويمكن للدول أن تتعامل مع معظم التهديدات الخارجية من خلال تعديل ميزان القوى الدفاعية[١٢١]. فهي تفرض أن فوضوية النسق الدولي أقل خطورة وأن الأمن أكثر من كونه مفقودا، وهي بهذا تقدم تنازلا نظريا بتقليصها للحوافز النسقية الدولية، وجعلها لا تتحكم في سلوكيات جميع الدول. أنها بدأت تقر بوجود سياسات خارجية متميزة، ومن ثم الاعتراف بالآثار الضئيلة للبنية الداخلية على السلوك الخارجي. هذه الفوضوية الحميدة وضغوط النظام الدولي يحاجج بها دعاة الواقعية الدفاعية، بأن الأمن سلعة وافرة في النظام الدولي وليست نادرة، وبإمكان مختلف الدول ضمان بقائها إذا ادركت هذه الحقيقة[١٢٢].

الواقعية الدفاعية تنبأت بأن تسبب حالة الفوضى في البيئة الدولية يجعل الأمن في مقدمة انشغالات الدول ومركز اهتمامها، وأن هذه النتائج المتمثلة في"المعضلة الأمنية"تنشأ من قيام دولة ما بزيادة مستوى الأمن لديها، باعتبار أن الأمن يعد لعبة صفرية، وهو ما يؤدي إلى إرباك الاستقرار، مما يدفع الدول المناوئة إلى الرد ما تعده خفضاً في مستوى الأمن. وهي تفترض بأن الوحدات الدولية تتوسع من أجل مصالحها السياسية عندما تصبح غير آمنه بصورة متزايدة، وعلى هذا الأساس فإن الواقعية الدفاعية تتناقض مع الواقعية التقليدية. ففي حين تنظر الثانية إلى أن الدول تتوسع نتيجة للثقة أو على الأقل إدراكاً منها لزيادة الموارد، وهي تسلم بأن الدول تتوسع لأنها تستطيع ذلك، أما بالنسبة لدعاة الواقعية الدفاعية فإنها تتوسع لأنها مجبرة على ذلك، وهم يتفقون مع الواقعيين الهجوميين في أن الدول تبحث عن الأمن وإن اختلفوا في تحديد آليات بلوغه[١٢٣]. فالواقعية الدفاعية ترى بأن الدول تسعى فقط للحفاظ على وجودها، بينما تقدم القوى الكبرى ضمانات لصيانة أمنها عن طريق تشكيل تحالفات توازنيه بانتقاء آليات دفاعية عسكرية، مثل"القدرات النووية الانتقامية". وليس من المفاجئ أن تجد وولتز وغيره من النيوواقعيين الذين يرون أن الولايات المتحدة الأمريكية كانت آمنه في اغلب فترات الحرب الباردة، لأنهم يتخوفون من امكانية تبديد الولايات المتحدة لهذا المكسب في حال تبنيها لسياسة خارجية عدائية. وهكذا بنهاية الحرب الباردة تحولت الواقعية التشاؤمية لموركنثاو والمستمدة من الطبيعة البشرية إلى تبني نبرة أكثر تشاؤمية[١٢٤].

---

١٢١ – Gideon Rose، Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy، World Politics، Volume 51، Issue 1 (Oct.، 1998)، p157 .

١٢٢ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ٢٠. وأيضا: ابراهيم، بولمكاحل، مصدر سبق ذكرة.

١٢٣ – ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص ٤٨.

١٢٤ – وولت، ستيفن، مصدر سبق، ص٣.

تزعم الواقعية الدفاعية أن الدول لديها ميل إلى التوازن مع الدول الأخرى، وإذا لم تفعل ذلك فإنها قد تعاني من عواقب، وقد يتم القضاء عليها من النظام، فالدول تميل إلى التوازن مقابل القوة[١٢٥]. وهي تعتقد أن الهيمنة هي استراتيجية غير حكيمة للدول في البقاء على قيد الحياة، وأشاروا إلى أن الدول التي تسعى إلى الهيمنة يمكن أن تجلب إلى الدول أو إلى نفسها صراعات خطيرة مع نظرائها. بدلا من ذلك يؤكد الواقعيون أصحاب النظرية الدفاعية على الاستقرار من خلال التوزيع المتساوي للقوة بين الدول"توازن القوى"بحيث تضمن أي منها لن تخاطر بمهاجمة الأخرى، ومن ثم فإن توزيع القوة بين القوى العظمى، هو مفهوم أساس في نظرية الواقعية الدفاعية[١٢٦]، ولهذا تفترض الواقعية الدفاعية بأن الدول تسعى إلى الأمن أكثر من سعيها إلى النفوذ، وذلك من المهم أن تتنبأ وتعمل على التوسيع في أوقات انعدام الأمن في مواجهة الأمم القوية ذات النوايا العدوانية، وفي غياب مناخ التهديد، لا يتوفر للدول الحافز النظامي للتوسع، فهي لا تتوسع عندما تكون قادرة، لكن عندما ينبغي عليها ذلك، أي عندما تشعر بالتهديد لأمنها وسيادتها. ولهذا أيضا يفترض دعاة الواقعية الدفاعية أنه ليس للدول مصالح كبيرة في الغزو العسكري، ويرون أن التكاليف المترتبة عن السياسات ذات النزعة العسكرية تفوق عادة الفوائد المرجوة منها. وتبعاً لذلك يرون أن الحرب التي تخوضها الدول الكبرى تحدث عموما نتيجة لشعور مبالغ فيه بالخطر والذي تغذية مجموعات داخلية، كما تعود أيضا إلى الثقة المفرطة في فعالية العمل العسكري[١٢٧]. وعليه فقد طورت الواقعية الدفاعية فرضياتها لتبين من خلالها أثر البنيات الداخلية للدول في تحديد طبيعة التوجه الخارجي للدول. ففي حالة وجود خطر خارجي، تجند الدولة مجموعة القدرات العسكرية والاقتصادية والبشرية، وإدراك هذا الخطر مترتب بذاتية القادة السياسيين الذين يجدون من الوسائل المستقلة إلى الدفاع عن المصالح الحيوية فقط، وأكثر مصلحة حيوية هي الأمن[١٢٨].

وعندما تكون القدرات الدفاعية أكثر تيسرا من القدرات الهجومية فإنه يسود الأمن وتزول حوافز النزعة التوسعية. وعندما تسود النزعة الدفاعية ستتمكن الدول من التميز بين الأسلحة الدفاعية والأسلحة ذات الطابع الهجومي. آنذاك يمكن للدول امتلاك الوسائل الكفيلة بالدفاع عن نفسها دون تهديد الأخرين، وهي بذلك تقلص من آثار الطابع الفوضوي للساحة الدولية، ومن ثم التخفيف من حدة تأثير هذه البنية الفوضوية على سلوكيات الفاعلين، فالقادة السياسيون لا يحاولون وضع دبلوماسية عنيفة واستراتيجية هجومية إلا في حالة الإحساس بالخطر، ولذلك في غياب الأخطار الخارجية الدول ليس لها دوافع آليه إلى اتباع هذه السياسات العنيفة. وبهذا قد أدخلت الواقعية الدفاعية عنصراً مهماً في النظرية الواقعية وفهم الساحة الدولية وهو عنصر"الإدراك". إدراكات صانع القرار أو القادة السياسيين في فهم

---

١٢٥ – Richard rosecrance، powar and International Relations: The Rise of China and Its Effects، 2006، http://goo.gl/F5BS2K

١٢٦ – Anne-Marie Slaughter، op. cit.

١٢٧ – وولت، ستيفن، مصدر سبق ذكرة، ص٥. وأيضا: توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ٢٠.

١٢٨ – ابراهيم، بولكاحل، مصدر سبق ذكر.

الساحة الدولية وقراءة أفكار الحرب. يدعي كل من روبرت جيرفس وجاك سنايدر، أن قادة الدول بدأوا يفهمون بأن تكاليف الحرب أصبحت –بوضوح– أكبر من فوائدها، وأن استخدام القوة العسكرية من أجل الغزو والتوسع عبارة عن استراتيجية أمنية يرفضها الكثير من القادة في هذا العصر الذي يمتاز بالاعتماد المتبادل المعقد والعولمة. بقيت الحرب كأداة لفن الحكم عند قليل من القادة، في الوقت نفسه فإن أغلب الحروب ينظر إليها من قبل المواطنين والقادة وكأنها ناتجة عن القوة اللاعقلانية[١٢٩]. فالواقعية الدفاعية غالبا ما تختلط مع الليبرالية الجديدة. إنها تحمل بعض التعاطف لمجادلة الليبرالية الجديدة،بأن الحرب يمكن تفاديها من خلال إيجاد المؤسسات الأمنية التي تقوم بدورها بالانحسار التدريجي للمأزق الأمني وتوفير أمن متبادل للدول المشاركة في تلك المؤسسات، ولكن الواقعية الدفاعية لا ترى في تلك المؤسسات الطريقة الفاعلة لتفادي جميع الحروب، لذلك تعد الواقعية الدفاعية أكثر تفاؤلا من الهجومية ولكنها أكثر تشاؤماً من الأمني وتوفير أمن متبادل للدول المشاركة في تلك المؤسسات، ولكن الواقعية الدفاعية لا ترى في تلك المؤسسات الطريقة الفاعلة لتفادي جميع الحروب، لذلك تعد الواقعية الدفاعية أكثر تفاؤلا من الهجومية ولكنها أكثر تشاؤماً من الليبرالية الجديدة؛ لأنها تنظر إلى مضاعفة القوة، هو للحفاظ على الوضع القائم دائما وهدفها الأول البقاء (أي الأمن) وليس مضاعفة القوة، فهي لا ترسم رابطة مباشرة بين مضاعفة القوة والأمن؛ لأن مضاعفة القوة قد تؤدي إلى الإضرار بأمن الدولة في حالات معينة[١٣٠].

وللتقليص من أخطار وإدراكات وحسابات الدول وصانع القرار، فضل أنصار الواقعية الدفاعية من ستيفن وولت وجاك سنايدر"الاستراتيجيات التعاونية"، ومنها تكوين الدول علاقات دبلوماسية خاصة مع القوى الكبرى لتحقيق أمنها، حيث إنه من الممكن تخفيف المعضلة الأمنية عبر المزيد من التعاون بين الدول[١٣١]. ولهذا أتت الواقعية الدفاعية بمصطلح أو مفهوم"الواقعية التعاونية"المشجع والمؤكد على الفوضى الناجحة عوضاً عن الفوضى المطلقة، وذلك من أجل تفادي الحرب بوضع سياسات مشتركة لذلك. ومع تراجع حالة الفوضى في النظام الدولي، سيتراجع بذلك أهم محدد لتفسير السلوك الخارجي بالنسبة الواقعية وولتز، ونتيجة أكثر فأكثر لإثبات دور المحددات الداخلية في تفسير السلوك الخارجي(إدارك صانع القرار للبيئة الخارجية)[١٣٢].

٢. الواقعية الهجومية

ظهرت الواقعية الهجومية كرد فعل للواقعية الدفاعية، حيث انتقدتها حول المرتكز الأساسي لها في أن إطار الفوضى الدولية تبحث فقط عن أمنها. حيث ترى عكس ذلك، بأن الفوضى تفرض باستمرار

١٢٩ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ٣٨٥-٣٨٦.

١٣٠ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكره، ص ١٩.

١٣١ – حمزاوي، جويد، التطور الأمني الأوربي: نحو بنية أمنية شاملة وهوية استراتيجية في المتوسط، مذكرة مكملة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر-باتنه، كلية الحقوق والعلوم السياسية / قسم العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠٠١١، ص٢١.

١٣٢ – ابراهيم، بولكاحل، مصدر سبق ذكرة.

على الدول تعظيم وزيادة القوة، لذا يعتقدون بتزايد احتمالات الحرب بين الدول كلما كانت لدى بعضها القدرة على غزو دولة أخرى بسهولة، ومن ثم استمرار حالة الفوضى المطلقة، غير أن ما يميز هذا الصراع عن واقعية وولتز هو عدم الإقرار بأن تفسير السياسات الخارجية والمخرجات الدولية لمختلف الدول يكون مبنيا على فكرة الفوضى، وهذا ما ترفضه الواقعية الهجومية كعامل واحد. فكما يؤكد"فريد زكريا"أن التركيز على السياسات الخارجية للدول يجب أن يضم المتغيرات الداخلية والنسقية والتأثيرات الأخرى مخصصة ومحددة مظاهر السياسة الدولية التي يمكن تفسيرها بهذه المتغيرات(١٣٣).

الواقعية الهجومية يطلق عليها أيضا"الواقعية العدوانية"—يفترضون عالم هوبس- إذ تسعى الدول إلى تحقيق اقصى قدر من الأمن(١٣٤) وذلك راجع لقيام سلطة عليها مهمة فرض الأمن والنظام، وعند الهجوميين تعد الدول فواعل عقلانية لا تنخرط في نزاعات إلا عندما تشعر بالتهديد، ولكنها ما تلبث أن تتبنى هذه السياسة وذلك لما تفرضه متطلبات البنية الدولية لتكون أكثر قوة من باقي الدول. تلك الفوضى تدفع للعمل على تعظيم قوتها النسبية طالما أن ظهورا مفاجئا لقوة تعيد النظر في الواقع القائم يبقى احتمالا واردا(١٣٥). وبتعبير آخر فإن أي دولة لا تستطيع أن تتأكد في أي وقت تظهر القوة التي تطالب بتغير الوضع الراهن. وتتمسك الواقعية الهجومية بأن الفوضى، غياب حكومة أو سيادة عليا، توفر حوافز قوية للتوسع، وكل الدول تكافح من أجل مضاعفة قوتها بالدول الأخرى لأن الدول الأكثر قوة هي فقط التي بإمكانها ضمان بقائها وهي تنتهج سياسات توسعية. عبارة مضاعفة القوة تضع الهجوميين في موقع قريب من موركنثاو الذي يشدد على"الصراع اللامتناهي حول القوة"، لكن مصدر هذا السلوك ليس الطبيعة البشرية كما يدعي موركنثاو بل بفعل البنية الفوضوية للنظام الدولي، وهذا يضع ميرشايمر قريبا من وولتز لكنه يختلف مع وولتز في التأكيد على أن البحث عن القوة والأمن لا يمكن إشباعها، بينما يقول وولتز أن لها حدوداً، أي أن الواقعيين الهجوميين يختلفون مع وولتز حول مسألة كم هو مقدار القوة التي تريدها الدول(١٣٦).

يرون أصحاب الواقعية الهجومية ويعتقدون بتزايد احتمالات الحرب بين الدول كلما كانت لدى بعضها القدرة على غزو دولة أخرى بسهولة. لكن عندما تكون القدرات الدفاعية أكثر تفسيرا من القدرات الهجومية فإنه يسود الأمن وتزول حوافز النزعة التوسعية، وعندما تسود النزعة الدفاعية ستتمكن الدول من التمييز بين الأسلحة الدفاعية والأسلحة ذات الطابع الهجومي. آنذاك يمكن للدول امتلاك الوسائل الكفيلة بالدفاع عن نفسها دون تهديد الآخرين، وهي بذلك تقلص من آثار الطابع الفوضوي للساحة الدولية(١٣٧).

---

١٣٣ – المصدر نفسة.

١٣٤ – Gideon Rose، op، cit، p.149.

١٣٥ – وولت، ستيفن، مصدر سبق ذكرة، ص٦.وأيضا: بإسماعيل، عبد الكريم، مصدر سبق ذكرة، ص١١-١٢.

١٣٦ – John J. Mearsheimer،The Struggle for Security and Realism Offensive World، New York:2001، http://goo.gl/aGPMV4. p.101.

١٣٧ – وولت، ستيفن، مصدر سبق ذكرة، ص ٣.

هذا الاتجاه الذي ظهر في إطار الواقعية الجديدة يتزعمه"ميرشايمر"وهو في مضمونه إحياء للواقعية الكلاسيكية في إطارها الجديد. حيث يعتقد ميرشايمر أن نهاية الحرب الباردة التي كانت تتسم بتوازن القوى ستخلق تنافساً امنياً يكون فيه قيام الحرب أمرا اعتياديا وضروريا في الوقت نفسه. وهو يعتقد أن النظام الدولي الحالي فوضوي، يدفع الدول إلى انتهاج سياسات تمولها زيادة القوة[١٣٨]، وهو هدف الدولة بالنسبة لميرشايمر، ولا يمكن لأي دولة أن تكون على يقين من نوايا الدول الأخرى، والبقاء هو الهدف الأساس، والجهات الفاعلة عقلانية. من هذه الافتراضات يستنتج ميرشايمر بأن القوى العظمى سوف تخشى بعضها البعض وسوف تسعى باستمرار للتحقق من حدة هذا الخوف[١٣٩]. ويرى بأن"أفضل طريقة لبقاء الدولة في نظام فوضوي، هي أن تستغل فرص الدول الأخرى، وأن نوعاً تكسب فريدا من القوة على حسابها، لأن أفضل طريقة للدفاع هي الهجوم. ويقترح على قادة الدول أن يبحثوا عن سياسات أمنية تضعف من قدرات اعدائها وتزيد من قوتها النسبية تجاههم. ويرى أن"الابتزاز والحرب"هما الوسيلتان الأساسيتان اللتان تطبقها الدول في الحصول على القوة. ورغم رغبة الجميع في خلق عالم سلمي إلا أنها غير عملية من الناحية الواقعية. كما يتطرق ميرشايمر إلى المأزق الأمني والذي يعكس المنطق الأساسي للواقعية الهجومية، حيث يعني إجراءات الدولة المتخذة لزيادة أمنها. والنتيجة هي أن حرص الدولة على زيادة فرصها في البقاء، سوف يؤدي بالضرورة إلى التهديد ببقاء الدول الأخرى[١٤٠]. ويعد ميرشايمر الحرب بأنها الطريق الرئيس لكسب القوة على الرغم من أنها مكلفة، وهو يزعم أن الدول عقلانية قد تختار الحرب اذا كانت الفوائد تفوق التكاليف. والأهم من ذلك أن نجاح الحرب يمكن أن يطيح المنافس مما يجعل الطرف المعتدي أكثر اماناً. وباختصار، الحرب والابتزاز يوفران خيارا آخر لتصبح المكاسب النسبية التي تهدد المنافس على تقديم تنازلات، فالابتزاز غير متواجد ولكنه فعال فقط ضد الدول الصغيرة أما الدول الكبرى فهي قادرة على المقاومة[١٤١].

يعتقد ميرشايمر بأن الدول العظمى تحاول الهيمنة في منطقتها، وتحرص في الوقت نفسه ألا تسيطر أي قوة عظمى منافسة على منطقة أخرى، والهدف الأساس لكل قوة عظمى هو زيادة حصتها من النفوذ العالمي إلى أقصى حد، والسيطرة في النهاية على النظام[١٤٢] وهو يرى بأن تعظيم القوة النسبية إلى حد الهيمنة هو الهدف النهائي لكل دولة، ويتم تعريف الهيمنة"أن تكون الدولة لها من القوة لكي تهيمن على جميع الدول الأخرى في المنظومة والتي يمكن تطبيقها –الهيمنة– على الصعيدين العالمي والاقليمي. ويستشهد ميرشايمر بأن"الهيمنة تعني السيطرة على النظام والتي عادة ما يتم تفسيرها على أنه عالم بأسره". الهيمنة العالمية –من وجهة ميرشايمر، صعبة–، في حين يرى بأن الهيمنة الإقليمية هي الهدف الاستراتيجي الرئيس للدولة، وبالتالي على المستوى الاقليمي تأخذ الهيمنة مرحلة مركزية في تفكير ميرشايمر، ولكن كيف

١٣٨ – باسماعيل، عبد الكريم، مصدر سبق ذكرة، ص ١١.

١٣٩ – John J.Mearsheimer،world offensive Realism and the Struggle for Security، op، cit، p.104 .

١٤٠ – توفيق، حكيمي، مصدر سبق ذكرة، ص ٢١. وأيضا: بأسماعيل، عبد الكريم، مصدر سبق ذكرة، ص ١٢.

١٤١ – John J. Mearsheimer،an offensive realist between geopolitics and power، op، cit، p.3.

١٤٢ – فرج، انور محمد، مصدر سبق ذكرة، ص ٣٨٨.

الدول يمكنها بلوغ الهيمنة؟. يذكر ميرشايمر باستراتيجيتين شاملتين الأولى: تشمل المحاولات المباشرة لاكتساب القوة النسبية، في حين أن الثانية غير مباشرة وتهدف إلى التحقق من المعتدين الاخرين من تحقيق المكاسب[١٤٣]. يبدو أن نظرية ميرشايمر في الهيمنة العالمية مستحيلة تقريبا، باستثناء الدولة التي اكتسبت التفوق النووي؛ لأن لها القدرة لتدمير خصومها دون خوف من الانتقام[١٤٤].

ويستنتج ميرشايمر فرضيات حول سلوك القوة العظمى، من أجل التنبؤ من هي الأكثر احتمالا من هذه الاستراتيجيات المختلفة. يقول ميرشايمر، إنه يعمل مع اثنين من المتغيرات التفسيرية: توزيع القوة والموقع الجغرافي، في حين أن المتغيرات المحتملة الأخرى مثل السياسة الداخلية أو التوزيع بين الهجوم والدفاع، تترك المناقشة بها إلى حد كبير على الرغم من استكشافها على نطاق واسع من قبل كتاب الواقعية الأخرى مثل"وولت". المتغير الأكثر أهمية الذي يطالب بوضع استراتيجية لكسب القوة أو استراتيجية للتحقق من العدوان، هو التوزيع الاقليمي للقوة العسكرية، على الرغم من أن الدول –بحسب ما يراه ميرشايمر– تسعى دائماً لتحقيق اقصى قدر من القوة النسبية، وهي تعمل بعقلانية لاحتساب تكلفة وفوائد العدوان، مع الأخذ بنظر الاعتبار قوة الإجراءات المحتملة لمنافسيهم[١٤٥].

ويرى ميرشايمر في توازن القوى العالمي أن أيا من القوتين العظيمتين في الثنائية القطبية قادرتان على إنشاء الهيمنة العالمية بسبب التوزيع المتساوي تقريبا من القوة العالمية. ففي الثنائية القطبية، فإن شن حرب الهيمنة غير عقلاني، لأن هناك قوة أخرى كبيرة في الطرف الآخر تمتلك ما يلزم للدفاع عن نفسها وأجهاض طموحات الهيمنة من جهة أخرى. وبالمثل الابتزاز يبدو أنه غير فعال؛ لأن الخصم الرئيس قادر على المواجهة، ومن المرجح أن يدعم الدولة المستهدفة لإحباط المبتز، ومن ثم ومن المرجح أيضا أن يعمل على إضعاف بعضهم البعض بصورة غير مباشرة باستمرار إراقة الدماء والحروب واستنزاف القدرات، على سبيل المثال، من خلال سباق تسلح مكلف، أو استدراج بعضهم البعض في صراعات لفترات طويلة مع القوى الثانية. هذا في الثنائية القطبية. أما في تعدد الأقطاب فتكون هناك مجالات اوسع للمناورة لأن هناك المزيد من اللاعبين الفاعلين، وتنوع المصالح سيكون محدداً وهذا يجعل من استراتيجية الحرب محدودة ضد القوى الثانوية أو القوى العظمى الفردية، وعلاوة على ذلك يمكن للقوى العظمى أن تقوم بعزل أكثر سهولة وابتزاز الدول الصغيرة، في حين إن احتمال إراقة الدماء ناجحة واستنزاف القدرات سيزيد أيضا بالمقارنة مع الثنائية القطبية. بالمقابل أن حجة الواقعية الجديدة أكثر ديناميكية عن الحرب الكبرى."كوبلاند"يتحدى ميرشايمر بشكل مباشر؛ لأنه يحدد بصورة أكثر وضوحاً عندما يرجح بأن القوى العظمى ستختار أو ستتبع السياسات المتشددة عندما تواجه تراجعاً عميقاً وحتى في ارتفاع القوة النسبية[١٤٦].

---

١٤٣ - John J. Mearsheimer، I bid، p.5 .

١٤٤ - John J.Mearsheimer، world offensive realist، op، cit، p154 .

١٤٥ - John J.Mearsheimer، an offensive realist، op، cit، p.5-6 .

١٤٦ - I bid، p.5-6 .

تحقيق التوازن يمثل طريقة للتحقق عن طريق ردع أو محاربة المعتدي المتحول من خلال الحشد الداخلي أو عبر تشكيل تحالف. وانسجاما مع معظم الكتابات، التحالف هنا يبدو واقعياً، يقول ميرشايمر"إن التحالفات هي جذابه لتقاسم العبء على التعامل مع المعتدي، لكن التحالفات هي أيضا بطيئة في التشكيل وتميل إلى أن تكون غير فعالة بسبب مشاكل العمل الجماعي، أيضا وعيوبها تجعل من مسؤولية الدول الأقل قوة أن تضيف عبء على التحالفات. أيضا هناك بعض نقاط الضعف في التحالف، وهو ما يسميه ميرشايمر"المسايرة"بوصفها وسيلة للتعامل مع المعتدي، وتحدث عندما يكون حلفاء الخصم أكثر قوة. ويمكن القول أن المسايرة هي طريقة أو وسيلة شائعة للتعامل مع التهديد، وهذه استراتيجية قد تكون أيضا وسيلة مفيدة للتعامل مع الخصوم القوية الأخرى عن طريق ربط نفسه إلى حليف أقوى والحصول على غنائم النصر وتصبح أقوى من الدول الدائرة المحيطة بها. ومع ذلك يستنكر ميرشايمر المسايرة على أسس نظرية بحجة امنها تنتهك ميزان القوى المنطقية؛ لان المسايرة تستلزم تنازلات للأقوى[١٤٧]، لهذا يستنكرها ويعدها استراتيجية للضعفاء والأفضل تجنبها. يرى ميرشايمر أن بنية السياسة الدولية هي المفتاح في فهم حالة الصراع التي تعيشها الدول. وعلى وجه التحديد، تعتمد نظرية ميرشايمر على خمسة من الافتراضات الأساسية المشتركة التي تميز الصفات الأساسية في السياسة الدولية[١٤٨]:

١. لعبة السياسة الدولية في عالم فوضوي، يعني أنه ليس هناك حكومة عالمية لتطبيق القوانين ومعاقبة الجناة.
٢. لا يمكن لدولة أن تكون متأكدة تماما من أي وقت مضى من نوايا بعضهم البعض، ولا يمكن أن تكون على يقين من أن الدول الأخرى لن تستخدم القوة ضدها. وعلاوة على ذلك، فإن الدول تعاني من نقص حول نوايا بعضهم البعض لأن نواياهم هي في تغير مستمر ويمكن أن تتغير من نوايا حميدة وبسرعة إلى نوايا خبيثة والعكس بالعكس.
٣. البقاء على قيد الحياة هو الدافع الأساس لجميع الدول في النظام الدولي، ويجب أن يكون البقاء أولوية قصوى، لأن الاستقلال الذاتي للدولة هو شرط أساس لتحقيق جميع الغايات الأخرى.
٤. الدول هي كيانات عقلانية بالمعنى الفعال للكلمة، وهذا يعني أن التفكير الاستراتيجي نحو وضعهم الخارجي واختيار الاستراتيجية التي تبدو لتعظيم أو زيادة الهدف الأساس من البقاء على قيد الحياة.

واخيراً، تنص نظرية ميرشايمر على امتلاك الدول دائما بعض القدرات العسكرية لتمكينهم من أذى وربما لتدمير بعضها البعض أو تدمير الخصوم. عند مزاوجة هذه الافتراضات سويا، يستنتج ميرشايمر بأن الدول ستدرك الطريقة الأكثر مثالية لضمان البقاء على قيد الحياة تقريبا. في الفوضى، تعظيم القوة النسبية هو الهدف النهائي لتصبح أقوى بكثير من القوة المهيمنة. ومع ذلك لا يمكن لجميع الدول تعظيم القوة النسبية في وقت واحد، ومن ثم فإن النظام الدولي متجه لأن يكون ساحة للمنافسة الأمنية بين الدول لا هوادة فيه طالما ما تزال الفوضى سائده.

---

١٤٧ - I bid، p.4-5.

١٤٨ - I bid، p.3.

وفي ظل التناقضات بين السياسة الخارجية الأمريكية الفعليه والتوقعات الهجومية –من وجهة نظر ميرشايمر– فإن التحدي الحقيقي لبقاء الولايات المتحدة هو الصين على الرغم من كون الصين حاليا ضعيفة عسكريا واقتصاديا وأقل شأن، فالصين من المرجح أن ترتفع، واذا ما حدث ذلك فإنها ستسعى إلى طرد الولايات المتحدة من حديقتها الخلفية، ووضع نفسها على أنها قوة عظمى مهيمنة في آسيا، مما يجعل الحياة صعبة بالنسبة لأمريكا. وهكذا، بدلاً من إضاعة الوقت والمال على حماقات السياسية الخارجية في الخارج، على الولايات المتحدة التركيز على تباطؤ الصين. ويعد ميرشايمر واحداً من أشد المنتقدين للحملة الأمريكية ضد العراق ٢٠٠٣م بالحجة المزعومة"أسلحة الدمار الشامل"، ويشن ميرشايمر أيضا انتقادات شرسة ضد الطريقة التي تدير واشنطن فيها الحرب ضد الارهاب، على الرغم من الواقعية الهجومية التي يؤمن بها ميرشايمر ولكن لديه الكثير ليقوله عن أسباب الإرهاب. ويرى بأنه يجب على الولايات المتحدة أن لا تبدد الموارد في عمليات عسكرية واسعة النطاق ضد بلدان مثل افغانستان التي تشكل تهديدا ضئيلا. وهو يرى أيضاً أن القوة العسكرية من غير المرجح أن تجلب النصر في الحرب ضد الإرهاب. وإنما ستزيد من تفاقم المشكلة وزيادة العداء في العالم الاسلامي. فما تحتاجه الولايات المتحدة إلى القيام به هو الاعتماد على الاستخبارات والعمليات العسكرية على نطاق صغير للقضاء على الإرهابيين والاهم في محاولة لكسب قلوب وعقول الشعوب الاسلامية وهي ما تسمى اليوم بـ"القوة الناعمة"من اجل الحد من تجنيد الإرهابيين، وهذا بدوره سيحسن صورة الولايات المتحدة في جميع أنحاء العالم[١٤٩]. ويبدو هنا ميرشايمر يحمل نظرة واقعية جداً تبعده عن واقعيته الهجومية وتضعه في خانة الواقعيين الذين يؤيدون استخدام القوة الناعمة إلى جانب القوة الصلبة التي دعا اليها"جوزيف ناي"؛ لأن الحرب على الإرهاب مكلفة وتسبب فجوة بين العالم الإسلامي وأمريكا أكثر فأكثر، ومن ثم هناك من يعول على استخدام القوة الناعمة في مواجهة الإرهاب، ولو أنها تبدو استراتيجية غير فعالة وهي جزء من استراتيجية تحديث منطقة الشرق الاوسط؛ لأن القوة الناعمة أصبحت غير مجدية مع الإسلاميين الراديكاليين والمتطرفين على غرار تنظيم"القاعدة"وتنظيم"داعش".

إن عمل ميرشايمر يشكل اضافة هامة إلى الواقعية البنيوية، أي واقعية وولتز، فيعد منطق الفوضى يتفق مع نظرية ميرشايمر الأساسية للواقعية الهجومية في تفسير سلوك الدولة التوسعي، وبهذا يحل ميرشايمر الشذوذ التي لم تحل حتى الآن في الواقعية البنيوية، مثل لماذا سعى عدد من القوة العظمى إلى الهيمنة والسبب في الصراع المتكرر بين الدول، والتي من الصعب للواقعيين الدفاعيين شرحها. في هذه العملية يجعل ميرشايمر أيضا من اسهاماته الهامه في نظرية التحالف ونظرية السياسة الخارجية ويقدم رؤى جديدة في دور القوة والجغرافيا في السياسة الدولية، ومع ذلك ما تزال هناك بعض العيوب والأهم من ذلك المنطق الداخلي للواقعية الهجومية لا يخلو من المشاكل، ونظريته يصاحبها الشذوذ أيضا عندما تواجه مع السجل

١٤٩ - I bid، p.18-19.

التجريبي خاصة في مرحلة ما بعد الحرب الباردة[١٥٠]. مع ذلك ليس هناك شك في أن مساهمة ميرشايمر هي تحسناً إلى الواقعية البنيوية وأضواء الطريق نحو نظرية الواقعية البنيوية أكثر اكتمالا مما يمكن أن يعزى بشكل أكثر دقة لكل من سلوك الدولة الدفاعي والهجومي، وعليه فمن المرجح أن ترتيب نظرية ميرشايمر من بين اهم التطورات في الفكر الواقعي الحديث والمعاصر.

هناك تباين بين الواقعيين على بعض القضايا فيما يسمى بالواقعية الهجومية، وترى أن الحفاظ على القوة وتعظيمها هو من أجل ضمان بقائها على قيد الحياة، وتسعى الدول لتعظيم قوتها النسبية على الآخرين[١٥١] وهذا خلاف متجذر بين الواقعيات التي تضع فرضيات مختلفة حول دوافع الدولة. الواقعية الدفاعية تفترض أن الدول لا تهتم إلا بتعظيم أمنها، في حين أن الواقعية الهجومية تفترض أن الدول تميل إلى تحقيق أقصى قدر من القوة النسبية. هذه الحجة مع ذلك هي غير صحيحة؛ لأن كلا الواقعيتين تبدأ من نفس الافتراضات الأساسية: وهي أن الدول تتصرف بدافع الرغبة في البقاء على قيد الحياة. ويمكن القول أن المناقشة بين الهجومية والدفاعية ليست حول الافتراضات المحفزة، وإنما حول كيفية أن تعيش الدولتان في حالة من الفوضى. وولتز يرى أن الدول تتصرف بشكل أكثر حميدة مما يفصل ميرشايمر الذي يؤكد بقوة نزوع الدول لتحقيق التوازن بقوة ضد أيهما الدولة تصبح اقوى في النظام الدولي[١٥٢]. والواقعية الدفاعية لا تفترض بأن العدوانية في سلوك الدول حالة فطرية، فيما تنزع الواقعية الهجومية إلى أن إرادة البقاء تعني"أن حالة الأمن تعبر عن هاجس قلق دائم يحفز الدولة إلى انتهاج سلوك عدواني[١٥٣]. هذا الخلاف بين الواقعيتين الدفاعية والهجومية يساعد على تفسير السبب الذي يجعل الواقعيين يختلفون حول مجموعة من القضايا مثل مستقبل أوربا، فالواقعيون الدفاعيون مثل فإن إيفيرا، يرون أن الحرب نادرا ما تكون ذات فائدة، وهي في العادة نتاج النزعة العسكرية والقومية المفرطة، فضلاً عن عوامل أخرى، فإن إيفيرا لا يعتقد بتوفير هذه العوامل في أوربا ما بعد الحرب الباردة، فإنه يخلص إلى أن المنطقة سيسودها السلام. بالمقابل نجد ميرشايمر وغيره من الواقعيين الهجوميين يعتقدون أن الفوضى تدفع القوى الكبرى إلى التنافس بغض النظر عن خصائصها الداخلية، فهم يرون أن مناخ التنافس حول الأمن يسود أوربا بمجرد انسحاب راعِ السلام منها[١٥٤].

يسلط ميرشايمر الضوء على المزاوجة الممكنة من الواقعية الهجومية والواقعية الدفاعية من خلال التأكيد على سلطة الدولة، وذلك لأن الدول تتصرف في بعض الأحيان بموقع دفاعي، وتارة أخرى في موقع هجومي، لتحقيق أقصى قدر من القوة. وبذلك فإن ميرشايمر يفتح الباب أمام اندماج محتمل بين الواقعية الهجومية والواقعية الدفاعية[١٥٥]. ويمكن تلخيص فرضيات الواقعية الهجومية بعدة نقاط:

---

١٥٠ - I bid، p.21.

١٥١ - Anne-Marie Slaughter، op، cit.، .

١٥٢ - John J.Mearsheimer، an offensive realist، op، cit، p.8. .

١٥٣ - ابراهيم، عبد الأمير عبد الحسن، مصدر سبق ذكرة، ص ٥٠.

١٥٤ - وولت، ستيفن، مصدر سبق ذكرة.

١٥٥ - John J.Mearsheimer، an offensive realist، op، cit، p.20. .

١. إن سمة النظام الدولي هي فوضوية.
٢. إن الدولة هي فاعل عقلاني.
٣. إن الأهداف الأساسية للدولة تتمثل في إرادتها في البقاء والحفاظ على السلامة الإقليمية.
٤. كل الدول تمتلك قدرات عسكرية عدوانية ولا سيما القوى العظمى.
٥. عدم اليقين بنوايا الدول الأخرى، فالنوايا يمكن أن تتغير بسرعة.
٦. الدول ترتكز على توازنات مقابل القدرات الهجومية من المنافسين المحتملين.

٣. الواقعية النيوكلاسيكية

ظهرت الواقعية الكلاسيكية الجديدة للمرة الأولى في عام ١٩٩٨م في كتابات"جدعون روز"المسماة"الواقعية ونظريات السياسة الخارجية الجديدة"والذي قدم مقاربة جديدة لشرح سلوك السياسة الخارجية. ويعد"راندل، وفريد زكريا، توماس كريستنس، ووليام". من رواد المدرسة الكلاسيكية الجديدة الصاعدة في نظريات السياسة الخارجية التي تدمج النظام الدولي والبنية السياسية الداخلية لشرح سلوك السياسة الخارجية للدول. إنها تحدد على الدول الاهتمام بالمصلحة والهوية وتفضيلها كمتغير يتدخل بين النظام الدولي وسلوك السياسة الخارجية، كما إنها تجلب للدولة مره أخرى في الاعتماد على مقترحات الواقعية الكلاسيكية[١٥٦]، وهي تهدف إلى تحديث النهج التقليدي والجديد من خلال دمج المستوى المحلي والفردي مع العوامل النظامية لتحليل السياسة الخارجية. ويرى الواقعيون النيوكلاسيكيون أن السياسات الخارجية للدول هي التي تحرك قدرات القوة النسبية في النظام الدولي، ومع ذلك فهي عملية غير مباشرة ومعقدة وكيفية ترجمتها إلى سياسات خارجية أو استراتيجيات الأمن قد تعتمد على عوامل التدخل المختلفة داخل الدولة نفسها، لذلك صناع القرار الخارجي مقيدون من قبل الهيكل المؤسس المحلي، فضلا عن التهديدات والفرص الخارجية[١٥٧]. وهي تدمج بشكل واضح المتغيرات الداخلية والخارجية محوّرة ومصورة رؤى معينة مستقاة من الفكر الواقعي الكلاسيكي، يحاجج دعاتها أن أهداف وطموحات السياسة الخارجية تساق في أغلب المجالات بمكانة الدولة في النظام الدولي، وبشكل أكثر تحديدا قدرات قواتها المادية، وهذا هو السبب لماذا هم واقعيون، هم يحاججون أيضا أن هذه القدرات تؤثر بطريقة غير مباشرة ومعقدة في السياسة الخارجية؛ لأن الضغوط النسقية يجب ترجمتها عبر المتغيرات المتداخلة على مستوى الوحدة، وهذا هو السبب لماذا هم كلاسيكيون جدد[١٥٨].

متغيرات التدخل هي العوامل المحلية والفردية التي تستخدم في تحليل سلوك السياسة الخارجية خلال الأزمة. والواقعية النيوكلاسيكية تعطي لمتغيرات التدخل مكاناً خاصاً لشرح سلوك السياسة الخارجية قصيرة

---

١٥٦ - Umran ucbas، neoclassical realism in anlysiv grlsis mangemnt: the case of Turkish foreign policy crises، http://goo.gl/zMUfGzn. p.1.

١٥٧ - I bid، p.1-2.

١٥٨ - Gideon Rose، op. cit، p.149.

المدى للدولة ولاسيما فترة الأزمة. في هذه الفترة الوكالات الفردية والقيود الداخلية تساعد على فهم وشرح وتوقع سلوك السياسة الخارجية. هذه المتغيرات"التدخل"تختلف عن كل سلوك السياسة الخارجية، وبعض المتغيرات على النحو الآتي؛ القادة وتصوراتهم حول النظام الدولي، البقاء على قيد الحياة السياسية والهياكل المحلية والقدرات المالية والسياسية والعسكرية والآيديولوجية، والهياكل المجتمعية ومعالجة المتغيرات المستقلة، هذه المتغيرات"التدخل"تحتل منهجية مفيدة لسلوك السياسة الخارجية[١٥٩]. الواقعية النيوكلاسيكية تشدد على الدور الذي لعبته كل من المتغيرات المستقلة والتدخل، والتي توفر منهجية متميزة حين الجمع بين عوامل مختلفة لتحليل سلوك السياسة الخارجية، توصل المتغيرات يقدم أرضية مفيدة لتفاهمات وتنبؤات السياسة الخارجية للدولة مع الضغوط النظامية ومتغيرات مستوى الوحدة مثل الهياكل السياسية المحلية وتصورات صناع القرار كمتغيرات التدخل[١٦٠] فهي تسعى إلى تفسير سلوك المشكلة عن طريق إضافة بعض المتغيرات غير المادية. ونتيجة لهذا النهج تؤدي نظرية النيوكلاسيكية ثلاث خطوات: الأولى المتغير المستقبلي"القوة النسبية للدولة في النظام الدولي"، الثانية: المتغير المحلي"حزام النقل"والتي يتم من خلالها تصفية الضغوط النظامية، والخطوة الثالثة: المتغير الخارجي"نتائج السياسة الخارجية"كل تلك المتغيرات هي من اجل فهم العلاقة بين القوة النسبية والسياسة الخارجية للدولة وهناك حاجة إلى تحليل العوامل الفردية والمحلية التي تأخذ بنظر الاعتبار تلك العوامل[١٦١].

إن التعامل مع القوة النسبية وتأثيرها على السياسة الخارجية، يعكس صورة الارتباط الطويل الأمد بين النمو الاقتصادي والتوسع العسكري (النفوذ العسكري)، على العكس عندما يحدد التراجع الاقتصادي النسبي، فقد يؤدي إلى سياسات أقل قوة. التصور وسوء الفهم في العلاقات الدولية وفقا للواقعية النيوكلاسيكية ومعتقدات صناع القرار تؤثر بقوة على العلاقة بين القوة النسبية والسياسة الخارجية. قد تكون هذه المعتقدات غير صحيحة أو تسبب تشوهات غير متوقعة من قبل الواقعية البنيوية أو الجديدة، ومن ثم وجهة نظر الواقعية النيوكلاسيكية تسمح للمراوغات مثل تدمير"غروباتشوف"الاتحاد السوفيتي من خلال محاولات تعزيز ذلك[١٦٢]. ولهذا الواقعية النيوكلاسكية تبحث في المتغيرات بما في ذلك السياسة الداخلية، سلطة الدولة والعمليات وتصورات القادة وتأثير الافكار لشرح كيفية رد فعل الدول على الصعيد الدولي[١٦٣]. وعليه فإن الواقعية النيوكلاسيكية تضع تأثير الأفكار جنبا إلى جنب مع ضرورات القوة المادية في صنع السياسة الخارجية[١٦٤].

إذاً، تعد الواقعية النيوكلاسيكية محاولة مهمة وجديدة في تخفيف حدة الفصل بين البيئتين الداخلية والخارجية، بعد النفي التام بينهما من قبل الواقعيين السابقين بنظرياتهم المختلفة، بحيث قدمت–الواقعية

١٥٩ - Umran Ucbas، op، cit، p.5 .
١٦٠ - I bid، p.3.
١٦١ - I bid، p.2 .
١٦٢ - Gideon، Rose، op، cit، p.157 .
١٦٣ - Nicholas، kitchen، op، cit، p118 .
١٦٤ - I bid، p.127 .

النيوكلاسيكية- مواقف وصفت بالمعتدلة، لتشكل بذلك مبادرة إيجابية لإعادة النظر في مستويات التحليل المعتمدة في تفسير السلوك الخارجي وإعطاء أهمية للمحددات الداخلية إلى جانب المحددات النسقية. شكلت هذه المواقف بالنسبة للواقعية النيوكلاسكية تحولا عميقا لدى المدرسة الواقعية فيما يتعلق بالحدود الفاصلة بين ما هو داخلي وما هو خارجي، لتفتح المجال امام ضرورة إعادة النظر حول تأثير المحددات الداخلية في توجيه السياسة الخارجية وإزالة ذلك الفصل الصلب بينهما(١٦٥).

تفترض نظريات السياسة الخارجية بأن السياسة الخارجية هي امتداد أو نتاج مباشر للسياسة الداخلية، وأن قضايا مثل الآيديولوجية والثقافة والاقتصاد كثيرا ما يستشهد بها أنها هي العوامل التي تقوم بتشكيل سياسات الدول الخارجية. وقد وجهت"روز"انتقادات إلى منظري السياسة الخارجية بسبب فشلهم في تفسير لماذا تتصرف الدول المتشابهة بشكل مختلف والعكس بالعكس. ويطلق على الواقعيين الهجوميين بالعدوانيين، حيث أن العالم -في تصور"هوبس"- هو الذي تسعى فيه الدول إلى دول قلقة تتنافس على موضع ضمن هذا الاطار القائم على الفوضى. ومن وجهة نظر روز، فإن الواقعية الهجومية سريعة السقوط؛ لأن الدول في المناصب الهيكلية المتشابهة تتصرف بشكل مختلف في كثير من الأحيان. كذلك هو يصور الواقعية الدفاعية انه فوضوي في الأساس، إلا أنهم يصورون الفوضى أكثر حميدة. وترى الواقعية الدفاعية أن الدول بإمكانها أن تتعامل مع معظم التهديدات الخارجية من خلال تعديل ميزان القوى. كما ويندلع العنف الدولي فقط في بعض حالات الخوف المحددة أو عند التعامل مع دول مارقة غير عقلانية، وتتكون السياسة الخارجية بنزعة سليمة إلى حد كبير كرد فعل للعوامل النظامية. أما الواقعية النيوكلاسيكية ترفض افتراض أن الأمن هو هدف الدولة الوحيد، وبدلا من ذلك ترى بأن الدول تحاول استخدام قوتها لتوجيه النظام الدولي نحو اهدافها وأولوياتها الخاصة. ولذلك فإن الدول الأقوى تعتمد سياسات خارجية بعيدة المدى وهكذا فإن الوحدات الدولية الموجودة ضمن مستوى واحد محددة في سياساتها الدولية ومحددة الاستجابات(١٦٦).

الخاتمة والاستنتاجات

لم تعد النظرية الواقعية تلك النظرية التقليدية التي وضعها"هانز موركنثاو"الذي عد بها القوة والمصلحة هما الاساس في السياسة الدولية انطلاقاً من البيئة الفوضوية المشجعة على شن الحرب والمترسخة في السلوك الانساني التي أوجدها مفكرو النظرية الواقعية السياسية أمثال"توماس هوبس"ومن قبله"ثيوسيديدس وميكيافيللي"، بل تجددت تلك النظرية وتفرعت في تجددها، فالواقعية الجديدة أو البنيوية التي أوجدها"كينيث وولتز"والتي احدثت شرخاً في الواقعية التقليدية نهاية سبعينيات القرن الماضي أي فترة الحرب الباردة، والتي انسلخت منها فيما بعد بنهاية الحرب الباردة نظريتا الواقعية الدفاعية والهجومية، ومن ثم أعادت أحياء الواقعية التقليدية مرة أخرى ولو بشكل مختلف من خلال طروحات

١٦٥ - ابراهيم، بولمكاحل، مصدر سبق ذكرة.

١٦٦ - Rose،Gideon، op، cit، p.157.

الواقعية النيوكلاسيكية منذ نهاية تسعينيات القرن الماضي وبدايات القرن الحالي، والتي ركزت على العلاقة بين البيئة الداخلية في فهم السلوك الخارجي من خلال إدراك صانع القرار السياسي، والتي مثلها كل من"جدعون روز وفريد زكريا وغيرهم".

ومن خلال أستعراض هذه الدراسة للنظرية الواقعية وفروعها بعد الحرب العالمية الثانية وحتى وقتنا هذا، سنلاحظ بأن كل منها_ النظريات الواقعية- يمثل مرحلة تاريخية وسياسية مهمة جاءت أنسجاما مع الفكر السياسي الامريكي وتطلعات السياسة الخارجية الأمريكية لتلك المراحل التاريخية التي شهدها النظام العالمي، فالواقعية التقليدية التي جاءت منتقدة للمدرسة المثالية في فشلها المتكرر في أيجاد مجتمع دولي مستقر بعد الحرب العالمية الاولى وفشلها في الحرب العالمية الثانية، لتكون الدعامة الاساسية في مواجهة التطلعات النازية والفاشية انطلاقا من سياسة الامر الواقع أي ما هو كائن، وليس ما يجب أن يكون وفق مفهوم المدرسة المثالية، ومن ثم مثلت الواقعية التقليدية عنصر المواجهة خلال فترة الحرب الباردة مع الاتحاد السوفيتي قبل أن يشرخها"كينث وولتز"بالواقعية الجديدة والتي لم تختلف كثيرا عن النظرية الأم، إلا أنها مثلت تلك النظرية تطلعات السياسة الخارجية الامريكية في مرحلة متقدمة من الحرب الباردة منذ نهاية السبعينيات من القرن الماضي أي نهايات الحرب الباردة وسياسة الوفاق بين القوتين العالميتين ومن ثم تدمير"غروباتشوف"وتفكك الاتحاد السوفيتي. ليجد الفكر السياسي الامريكي بعد ذلك أي فترة ما بعد الحرب الباردة نظريتي الواقعية الدفاعية والهجومية وهي فترة هيمنة الولايات المتحدة على النظام الدولي وبروز تيار المحافظين الجدد بشكل كبير في الادارة الامريكية، تلك النظريتين التي اختلفتا على درجة توفر الامن في النظام الدولي وأي الاسلوب أنجح في بقاء الدولة على قيد الحياة هل هو الوضع الدفاعي أم الهجومي؟ كان لهما تأثير كبير على الاستراتيجية العسكرية الامريكية التي شهدت حالة الانتقال من استراتيجية الدفاع إلى استراتيجية"التدخل الوقائي"، التي تجسد ميدانياً في مفهومي الضربة الوقائية والضربة الاستباقية، والتي تمثلت بالحرب على الإرهاب والدول المارقة ومحور الشر ومواجهتها بالاستراتيجية الهجومية انطلاقا من المفهوم الدفاعي والحفاظ على الامن القومي الامريكي من أي تهديد، ومحاصرة الدول المرشحة لمنافسة الولايات المتحدة الامريكية في النظام العالمي، وهذا ما أكدته دراسات"بريجنسكي"، و"ميرشايمر"منظر الواقعية الهجومية انطلاقا من ما يسميه ميرشايمر"التناقضات بين السياسة الخارجية الامريكية الفعلية والتوقعات الهجومية"؛ لأن التحدي الحقيقي لبقاء الولايات المتحدة هو الصين على الرغم من كونه حاليا ضعيفاً عسكريا واقتصاديا واقل شأنا، إلا أن الصين مرشحة لمنافسة الولايات المتحدة ومن المرجح أن ترتفع واذا ما حدث ذلك أنها ستسعى إلى طرد الولايات المتحدة من حديقتها الخلفية.

ولهذا تعد النظرية الواقعية بمجمل تفرعاتها هي تجسيد للفكر السياسي الامريكي الحديث والمعاصر منذ الحرب العالمية الثانية وحتى يومنا هذا، والتي اتسقت مع تطلعات السياسة الخارجية الامريكية في التغيرات الحاصلة في بنية النظام الدولي، لتنجح تلك النظرية في قيادة الولايات المتحدة إلى تسيد النظام الدولي ومجابهة كل التطلعات المناوئة لها، ونجحت ايضا في الحد من شن الحروب العالمية بين الدول

العظمى والتي فشلت فيها المدرسة المثالية من قبل. فاستراتيجية الولايات المتحدة الامريكية اليوم هي هجومية فيما يتعلق بالحرب على الارهاب والتنظيمات المتطرفة، ومواجهة الارهاب والتطرف في مناطق تفريخه أي في منطقة الشرق الاوسط حفاظا على المصالح الامريكية في المنطقة وحفاظا على حلفائها ايضا قبل التمدد إلى امريكا وتهديده للأمن القومي الامريكي، وهذا هو جوهر مفهوم النظرية الواقعية وتأثيرها على الفكر السياسي الامريكي وعقيدته العسكرية. وهناك بعض الاستنتاجات التي خرجت بها الدراسة وهي كالآتي:

١. لم تكن هناك مرحلة تاريخية معينة لولادة النظرية الواقعية، وإنما كانت عبر مراحل تاريخية طويلة، أبتداء من الفلسفة الإغريقية وحتى وقتنا الحاضر، وما زالت تلك النظرية في تجدد مستمر.
٢. يعد مفهوم القوة والمصلحة محور طروحات النظرية الواقعية بمختلف مسمياتها، وحتى مفهوم المصلحة يتحدد في إطار مفهوم القوة، كما هو الحال للمعيار الأخلاقي الذي يتحدد في إطار المصلحة أيضاً.
٣. تعد النظرية الواقعية بمختلف تطورها التاريخي هي تجسيد للفكر السياسي والروح التوسعية الامريكية، وهي تعبر عن سر النجاح الأمريكي في السياسة الدولية وروح التفكير للعقل الأمريكي. حيث أنسجمت مع التطلعات الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية، والحرب الباردة، ومن ثم الحرب على الإرهاب...الخ.
٤. تعرف الواقعية التقليدية القوة بمعناها الشامل المادي وغير المادي، القوة العسكرية والاقتصادية وقوة التأثير في الرأي العام، أما الواقعية البنيوية كانت تنظر إلى القوة بمعناها المادي والعسكري وقدرة الدولة في اخضاع الدول الأخرى بالقوة العسكرية.
٥. رغم الاختلاف بين الواقعية التقليدية والهجومية حول مفهوم الفوضى، حيث تعتقد الأولى بأن الفوضى مترسخة في الطبيعية البشرية، أما الثانية التي ترى بأنها مترسخة في طبيعة النظام الدولي، ورغم ذلك الاختلاف إلا أن النتيجة واحدة بالنسبة لسلوك الدولة على الصعيد الخارجي.
٦. تعبر الواقعيتان الدفاعية والهجومية عن وجهين مختلفين من الواقعيات، فالواقعية الدفاعية أوجدت ما يسمى بالواقعية التعاونية أو اطلق عليها هذا الاسم نتيجة دعواتها بأنشاء المؤسسات الاقتصادية العالمية للحد من حالة الحرب. أما الواقعية الهجومية فيطلق عليها بالواقعية العدوانية، نتيجة أيمانها بفوضوية الساحة الدولية وحالة الحرب والصراع بين الدول.

المصادر

اولا: الكتب العربية والمترجمة

- ابدوريا، المدخل الى العلوم السياسة(النظريات الاساسية في نشأة الدولة)ت/ نوري محمد حسين،ط١،جامعة اوستين، ١٩٨٨.

- ابو خزام، ابراهيم، الحروب وتوازن القوى (دراسة شاملة لنظرية توازن القوى وعلاقاتها الجدلية بالحرب والسلام)، ط٢، دار الكتب الجديدة المتحدة، بيروت–لبنان، ٢٠٠٩.
- ابو جابر، فايز صالح، الفكر السياسي الحديث، بـ ط، دار الجيل، بيروت، ١٩٨٥.
- ابو ريان، محمد علي، الفلسفة ومباحثها، ط٤، دار المعارف، الاسكندرية، بـ /ت.
- برايار، فليب وجليلي، محمد رضا، العلاقات الدولية، ت/حنان فوزي حمدان، ط١، مكتبة الهلال، بيروت، ٢٠٠٩.
- بلاتونوف، اوليغ، لهذا كلة ستنقرض امريكا(الحكومة العالمية الخفية)، ت/ ئائله موسى وايرنيا بولمشينكايا، ط١، دار الحصاد للطباعة والنشر، دمشق، ٢٠٠٢.
- جلال، شوقي، العقل الامريكي يفكر، ط٢، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧.
- ديلودال، جيرار، الفلسفة الامريكية، ت/ جورج كتوره والهام الشعراني، المنظمة العربية للترجمة بالتعاون مع مؤسسة راشد آل مكتوم، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٩.
- روسو، جان جاك، في العقد الاجتماعي ومبادئ القاموس السياسي، ت/ عبد العزيز لبيب، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠١١.
- طشطوش، هايل عبد المولى، مقدمة في العلاقات الدولية، بـ /ط، ٢٠١٠.
- غريفتش، مارتن واوكالاهان، ميري، المفاهيم الاساسية في العلاقات الدولية، ترجمة مركز ابحاث الخليج، ط١، الامارات.
- العقابي، علي عودة، العلاقات الدولية(دراسة تحليلية في الاصول والنشأة والتاريخ والنظريات، بـ ط، بغداد، ٢٠١٠.
- عبد الحافظ، عادل فتحي، النظرية السياسة المعاصرة(دراسة في النماذج والنظريات التي قدمت لفهم وتحليل عالم السياسة، ط١، الدار الجامعية، الاسكندرية، ٢٠٠٧.
- عودة، جهاد، النظام الدولي(نظريات واشكاليات)، ط١، دار الهدى للنشر والتوزيع، ٢٠٠٥.
- فرانكل، جوزيف، العلاقات الدولية، ت/ غازي عبد الرحمن القصيبي، ط٢، تهامة للنشر، السعودية–جدة، ١٩٨٤.
- فرج، انور محمد، نظرية الواقعية في العلاقات الدولية، ط١، مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية، السليمانية، ٢٠٠٧.
- فهمي، عبد القادر محمد، الفكر السياسي والاستراتيجي للولايات المتحدة الامريكية(دراسة في الافكار والعقائد ووسائل البناء الامبراطوري)، بـ ط، دار الشروق، عمان، ٢٠٠٩.
- قربان، ملحم، قضايا الفكر السياسي"الحقوق الطبيعية"، ط١، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات، بروت،١٩٨٣.
- قربان، ملحم، الواقعية السياسية، ط٣، المؤسسة الجامعية للدراسات، بيروت، ١٩٨١، ص ٩٦.

- لونجي، كليفورد، الشعب المختار الاسطورة التي شكلت انجلترا وامريكا، ت/ قاسم عبد قاسم، ج١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٣.
- مرقس، سمير، الامبراطورية الامريكية(ثلاثية الثروة..الدين.. القوة) من الحرب الاهلية الى ما بعد ١١/سبتمبر، ط١، دار الشروق الدولية، ٢٠٠٣.
- ميكيافيللي، نيقولا، الامير، ترجمة: خيري حمادي، ط التاسعة، مكتبة التحرير، بغداد، ١٩٨٨.
- مهران، محمد ومدين، محمد، مقدمة في الفلسفة المعاصرة، بـ ط، دار قباء للطباعة والنشر، القاهرة، ٢٠٠٤.
- موريس، تشارلس، رواد الفلسفة الامريكية، ت/ ابراهيم مصطفى ابراهيم، مطابع رويال، القاهرة – الاسكندرية، ١٩٩٦.
- مقلد، اسماعيل صبري، العلاقات السياسية الدولية(دراسة في الاصول والنظريات)، بـ/ ط، المكتبة الاكاديمية، القاهرة، ١٩٩١.
- هلال، رضا، تفكك امريكا، ط٢، الشركة الاعلامية للطباعة والنشر، ٢٠٠١.
- ويلكينسون، بول، العلاقات الدولية، ت/ لبنى عماد تركي، ط١، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠١٣، ٢٠١٣.

ثانياً: الرسائل والاطاريح:

- ابراهيم، عبد الامير عبد الحسن، المنهج الواقعي واثره على السياسة الخارجية الامريكية، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠٠٩.
- بأسماعيل، عبد الكريم، الابعاد الاستراتيجية لتدخل الولايات المتحدة الامريكية في العراق ١٩٩٠-٢٠٠٨، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسية والاعلام قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية، جامعة الجزائر (دالي ابراهيم)، الجزائر، ٢٠١٠.
- توفيق، حكيمي، الحوار النيوواقعي والنيوليبرالي حول مضامين الصعود الصيني(دراسة الرؤى المتضاربة حول دور الصين المستقبلي في النظام الدولي، مذكرة مقدمة لنيل درجة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، جامعة باتنه- باكير، الجزائر، ٢٠٠٨.
- صالح، دانا علي، المتغيرات المؤثرة في التعاون الدولي بعد الحرب الباردة(دراسة في تأثيرات ثورة الاتصالات)، اطروحة دكتورا، كلية العلوم السياسة، جامعة السليمانية، ٢٠١١.
- حمزاوي، جويد، التطور الامني الأوربي: نحو بنية أمنية شاملة وهوية استراتيجية في المتوسط، مذكرة مكملة مقدمة لنيل درجة الماجستير في كلية العلوم السياسية، جامعة الحاج لخضر-باتنه، كلية الحقوق والعلوم السياسية / قسم العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠٠١.
- خليل، جلال حامد، وحدة الدولة وتجزئتها(دراسة في العامل القومي)، رسالة ماجستير، كلية العلوم السياسة، جامعة بغداد، ٢٠٠٠.

- علي، مدوني قصور بناء متطلبات الدولة في الدولة في افريقيا وانعكاساتها على الامن والاستقرار فيها، اطروحة دكتوراه، جامعة محمد خيضر –بسكره، كلية الحقوق والعلوم السياسية، قسم العلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٤.
- معمري، خالد، التنظير في الدراسات الامنية لفترة ما بعد الحرب الباردة(دراسة في الخطاب الامني الامريكي بعد ١١/سبتمبر)، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، جامعة باتنه، الجزائر، ٢٠٠٨.
- نصيب، عتيقة، العلاقات الجزائرية المغربية في فترة مابعد الحرب الباردة، مذكرة مكملة لنيل درجة الماجستير في العلوم السياسة، كلية الحقوق والعلوم السياسية قسم العلوم السياسية، جامعة محمد خيضر– بسكره، الجزائر، ٢٠١٢.

ثالثاً: البحوث:

- ابو زيد، أحمد محمد، كينيث والتز: خمسون عاما من العلاقات الدولية (١٩٥٩_٢٠٠٩) دراسة استكشافية، مجلة المستقبل العربي للعلوم السياسية، العدد ٢٧، مجلة دورية تصدر عن الجمعية العربية للعلوم السياسية بالتعاون مع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ٢٠١٠.
- جندلي، عبد الناصر، النظريات التفسيرية للعلاقات الدولية بين التكيف والتغير في ظل تحولات ما عد الحرب الباردة، مجلة المفكر، مجلة علمية محكمة متخصصة في الحقوق والعلوم السياسية، العدد ٥، جامعة محمد خيضر–بسكرة، كلية الحقوق والعلوم السياسية، الجزائر، ٢٠١٠.
- راضي، سمير جسام، مفهوم التعاون الدولي في المدارس الفكرية للعلاقات الدولية، مجلة العلوم السياسية، العدد٤٥،جامعة بغداد/كلية العلوم السياسية، ٢٠١٢.
- سالم، احمد علي، القوة والثقافة وعالم مابعد الحرب الباردة: هل باتت المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية شيئاً من الماضي؟ المجلة العربية للعلوم السياسية، العدد٢٠، بيروت، ٢٠٠٨.
- غيّوم، اكزافييه، العلاقات الدولية، ترجمة: قاسم المقداد، مجلة الفكر السياسي تصدر عن اتحاد الكتاب العرب العددان ١١–١٢ مزدوج، المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات، دمشق ٢٠٠٣.
- مارسدن، جورج، الدين والثقافة الامريكية، ترجمة: صادق ابراهيم عودة، عرض يوسف يوسف، بيت الحكمة، دراسات سياسية، العدد٩، السنة الرابعة، بغداد، ٢٠٠١.
- مصطفى، نادية محمود، نظرية العلاقات الدولية بين المنظور الواقعي والدعوة إلى منظور جديد، مجلة السياسة الدولية، القاهرة، ١٩٨٥.
- ميد، ولتر راسل، بلاد الرب والسياسة الخارجية الامريكية، ترجمة: امير روش، مسارات، العدد الاول، السنة الرابعة، مجلة فكرية ثقافية، بغداد، ٢٠٠٩.
- النعيمي، احمد نوري، البنيوية العصرية في العلاقات الدولية، مجلة العلوم السياسية، العدد ٤٦، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، ٢٠١٣.

- نومان، عصام عبد الحسين، الفكر التوسعي الامريكي(دراسة فلسفية في تأصيل المفهوم)، مركز بابل للدراسات الانسانية، العدد٢، جامعة بابل، ٢٠١٣.
- اليحياوي، يحيى، القوة الناعمة: أو في التمظهرات الجديدة لتسلط، المستقبل العربي، العدد٣٦٩، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ٢٠٠٩.

رابعاً: مواقع الانترنيت:

- ابراهيم، بولكاحل، تطور اتجاهات المدرسة الواقعية في تحليل العلاقات الدولية والسياسة الخارجية، http://politics-ar.com/ar2/?p=3062
- بومنجل خالد، واخرون، اهم التيارات المهيمنة في العلاقات الدولية، بحث منشور، جامعة قسنطينة، كلية العلوم السياسية، الجزائر، ١٠١٤، ص٦. انظر الرابط: http://goo.gl/qXrcOe
- زقاغ، عادل، العقلانية، انظر الرابط: http://goo.gl/uZ8Sh4
- شاهين، سوسن زهدي، هل النظرية مفتاح لفهم الاحداث الدولية، http://www.alalam.ir/news/28333
- عبد المنصف، مي حسين، النظرية الواقعية الكلاسيكية في العلاقات الدولية، الحوار المتمدن، العدد ٤٠٦٨، ٢٠١٣. انظر الرابط: http://goo.gl/dD6Atm
- ميرشايمر، جون، العالم الحقيقي والعالم الاكاديمي، ترجمة جلال خشيب، الحوار المتمدن، العدد ٣٨٥٤، ٢٠٠١٢، http://goo.gl/FrvTIz
- ناصر، سمير محمود، مقدمة في الواقعية السياسية، الحوار المتمدن، العدد ١٦٨٦، ٢٠٠٦، انظر الرابط: http://goo.gl/hgjtrH
- وادي، عبد الكريم سلمان، ملخص حول النظريات في العلاقات الدولية، مركز راشيل كوري الفلسطيني لحقوق الانسان ومتابعة العدالة الدولية، ٢٠١٣، انظر الرابط: http://goo.gl/RFsB
- وولت، ستيفن،"العلاقات الدولية: عالم واحد، نظريات متعددة،ترجمة: زقاغ عادل و زيدان زياني، ص٢. نقلا عن موقع: http://goo.gl/JS8Md2

خامساً: المصادر الانكليزية:

- Anne-Marie Slaughter، International Relations، Principal Theories، http://goo.gl/AQX5YN.
- Gideon Rose، Neoclassical Realism and Theories of Foreign Policy، World Politics، Volume 51، Issue 1 (Oct.، 1998).
- John J. Mearsheimer،World Offensive Realism and the Struggle for Security، New York:2001. http://goo.gl/aGPMV4.

- John J. Mearsheimer، an offensive realist between geopolitics and power، Palgrave Macmillan، Volume 8، Number 4، December 2005. http://goo.gl/UZrKqZ.
- Nicoletta lasan and vasily goldis، Neorealist / neoliberal and Security، http://goo.gl/ttnxk4.
- Nicholas Kitchen، Systemic pressures and domestic ideas: a neoclassical realist model of grand strategy،2012. http://goo.gl/FW70AX.
- Richard rosecrance، powar and International Relations:The Rise of China and Its Effects، 2006، http://goo.gl/F5BS2K.
- Umran،Ucbas،، neoclassical reajism in anlysiv grlsis mangemnt: the case of Turkish foreign policy crises،، http://goo.gl/zMUfGz.
- William A. Galston، Realism in political Theory،The Brookings Institution، Draft 1، August 2007. http://goo.gl/sKZAFs.

الدور السياسي للسيد محمد محمد صادق االصدر في تاريخ االعراق المعاصر (١٩٩١-١٩٩٩م)

The political role of M.M.S Al-Sadre in the contemporary of Iraqi history (1991-1999)

م.د. صالح عباس ناصر الطائي[١] lec. Salih A. N. Altae

المستخلص

ادى السيد محمد صادق الصدر دوراً مهما في تاريخ العراق المعاصر، فقد أسهم وبفاعليه في تحريك أبناء الشعب العراقي و العربي و الإسلامي لتغيير الحكم القمعي و أللإنساني، من خلال مرجعيته الناطقة، و إحياء صلاة الجمعة المليونية والتي كانت ممنوعة على الشيعة، فلا يزال صداها يرسم أفق الحياة بمرافقها العامة، ولاسيما ما حصل في الانعطافة التي حدثت في المرجعية (الناطقة) في النجف الأشرف، و الدور الذي لعبه السيد محمد الصدر في تغيير واقع الشعب العراقي من خلال مرجعيته ((الناطقة)) لذا كان جديراً ان يرصد هذا الاسهام المهم في بحث، عمدنا فيه ان يكون اضافة للمكتبة البحثية الاكاديمية ولا يخفى أن سبب اختياري لدراسة المسيرة الجهادية لهذا الرجل، هو ذلك الكفن الذي كان يرتديه، في مسجد الكوفة، و الذي كان يعني الكثير في ظاهره و باطنه، كما قال السيد الصدر: ((من كان يريد الآخرة و الجنة فليرتدي كفنه مثلي، ومن أراد الدنيا فليتنعم بحريرها)) اضافة الى ما نراه اليوم من توبة الشباب من الموبقات و التوجه إلى المساجد و عبادة الله الواحد الأحد، وهذا كله بفضل الله عز وجل ودور السيد محمد محمد صادق الصدر من خلال إقامته لصلاة الجمعة، و الفتاوى التي كان يصدرها.

١ – جامعة أهل البيت / كلية الآداب.

أما إطار البحث فقد جرى تقسيمه إلى مقدمة ومدخل وثلاث مباحث و خاتمة لائم بعضها بعضا تقريباً، من حيث الترتيب الزمني و المرحلي لشخصية السيد محمد محمد صادق الصدر، فبعد المدخل الذي تناول فيه الباحث ولادة ونسب السيد الصدر الثاني وادلة اعلميتة، جاء المبحث الاول بعنوان (دور السيد محمد محمد صادق الصدر في الانتفاضة الشعبانية) ليوضح اولى ادوار الحراك الاسلامي السياسي في تاريخ العراق والنتائج التي تمخض عنها هذا الحراك، تلاه المبحث الثاني راصداً وجه اخر لهذا الحراك الا وهو اقامتة لشعيرة صلاة الجمعة والتحديات التي رافقت ذلك، فحمل المبحث عنوان (دور السيد محمد محمد صادق الصدر في إقامة صلاة الجمعة) هذه المواقف ادت بطبيعة الحال للمواجهة العلنيه بين السيد الصدر الثاني والسلطة الدكتاتورية آنذاك مما انتهى بأستشهاده عام ١٩٩٩، فكان المبحث الثالث راصداً لتفاصيل المواجهة والاستشهاد، وهو بعنوان (المواجهة بين السيد محمد محمد صادق الصدر والسلطة)، ثم الخاتمة التي سجل فيها الباحث ابرز ملاحظاته وماتوصل اليه.

مدخل

يعد السيد محمد محمد صادق الصدر احد اعلام الحوزة العلمية في النجف،ومجتهد له شريحة واسعه من المقلدين، وهو ايضا قائد الحركة الاسلامية في العراق في العقد الاخير من القرن العشرين. ولد من ابوين عراقيين في السابع عشر من ربيع الأول عام ١٣٦٢هـ الموافق الثالث و العشرين من آذار ١٩٤٣[٢]، وهو سليل عائلة ال الصدر العريقة النسب. ابوه محمد صادق بن محمد مهدي بن إسماعيل بن صدر الدين بن صالح بن محمد بن إبراهيم شرف الدين (جد ال شرف الدين) بن زين العابدين بن السيد نور الدين علي بن السيد علي نور الدين (جد ال نور الدين) بن الحسين بن محمد بن الحسين بن علي بن محمد تاج الدين أبي الحسن (جد ال أبي الحسن) بن أبي الحسن علي بن عبد الله أبي طاهر بن أبي الحسن بن أبي الطيب طاهر بن الحسين القطعي بن موسى بن أبي سبحة (جد ال أبي سبحة) بن إبراهيم المرتضى بن الإمام أبي إبراهيم موسى بن جعفر بن محمد الباقر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام[٣].

عاش السيد محمد الصدر في كنف جده لأمه الشيخ العلامة محمد رضا آل ياسين[٤]. وكذلك في كنف أبيه السيد العلامة محمد صادق الصدر، وكان لنشأته في هذا الوسط الديني الحوزوي العلمي انعكاس واضح على تربيته و أخلاقه[٥].

---

٢ – نخبة من الباحثين، الصدر الثاني دراسة في فكره و جهاده، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، مكتبة دار المجتبى، الطبعة الأولى، لندن، ٢٠٠٤، ص٢٠؛ مختار الأسدي، الصدر الثاني الشاهد و الشهيد، مؤسسة الأعراف، مطبعة أمين، ١٩٩٩م، ص٢٧؛ عبد الستار آل محسن، قبسات من حياة زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر، دار الأضواء، بيروت، ط١، لبنان، ١٩٩٨، ص٤-٥.

٣ – السيد محمد الصدر، أضواء على ثورة الحسين، ب ت ص٦؛ نخبة من الباحثين، المصدر السابق، ص١٩؛ علي محمد صادق الصدر، ألقاب آل الصدر، الانحدار الجغرافي والأعقاب، ط١، بغداد، ٢٠٠١، ص٦٥؛ باقر أمين الورد، أعلام العراق الحديث، راجعه وقدم له ناجي معروف، ط١، أوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٧٨، ص١٢٣.

٤ – ولد الشيخ محمد رضا آل ياسين في مدينة الكاظمية عام ١٢٩٧هـ/ ١٨٧٩م، وهو أحد أعلام الأسرة المعروفة (آل ياسين)، وهو نجل الشيخ عبد الحسين آل ياسين، والذي كان أحد مراجع التقليد، حاز على درجة الفقاهه في الثلاثين م عمره، و

وبالرغم من ان السيد محمد محمد صادق الصدر قد حصل على درجة الاجتهاد والافتاء في سن مبكرة من قبل خيرة علماء الدين في النجف الأشرف في النصف الثاني من القرن العشرين، إلا انه اثر السكوت على الاجتهاد وذلك لسببين اولهما: ان السيد محمد الصدر لم يفكر يوما ان يكون مرجعا او زعيما للحوزة العلمية، بل انه كان يقضي وقته في العبادة والتدريس طالبا للعلم من جهة و مدرسا للعلم من جهة اخرى، أي كان هدفه الوحيد هو خدمة الدين والمذهب وطاعة الله، سبحانه وتعالى.

أما السبب الثاني: فكان يرى في الامر تنازعا دنيويا على المرجعية فعليه ان يكتم هذا الامر ولم يهتم بنشره رغم الاجازة التي حصل عليها من افاضل زعماء الحوزة الدينية في النجف الأشرف انذاك[٦].

وهناك دليل ملموس على اجتهاد السيد محمد الصدر، حيث انه قبل سنة ١٩٧٠م اصدر الجزء الاول من موسوعته القيمة حول الامام الحجة عليه السلام والموسوعة فيها من سعة الافق وقوة الاستدلال ما قد تكون قرينة على اجتهاد مؤلفها[٧].

وقد كتبها قبل سنة العشرين من عمره وهي مؤلفة من ستة اجزاء اربعة فيها مطبوعة ومطروحة في المكتبات و اثنان مخطوطة باقية في داره بعد استشهاده[٨].

و كتب كذلك اشعة على اصول الدين، و كتاب (نظرات اسلامية في حقوق الانسان) و فيه مناقشة لكبار فلاسفة الغرب في العصور الوسطى وما بعدها مثل جون لوك[٩] صاحب النظرية الحسية والتي اعتمدتها الماركسية[١٠] وكذلك جان جاك روسو [١١] وكتابه العقد الاجتماعي والذي اكد فيه على (ان الانسان يولد حرا لكنه مقيدا بالاغلال في كل مكان)[١٢].

تتلمذ على يديه أبن أخته السيد محمد باقر الصدر، ترأس جماعة العلماء للوقوف أمام الانحراف العقائدي في الخمسينات من القرن الماضي، له العديد من المؤلفات منها (بلغة الراغبين في فقه آل ياسين)، و الحاشية عمى العروة الوثقى، و غيرها من المؤلفات.توفي عام ١٣٧٠هـ/ ١٩٥٠م، ودفن في النجف الأشرف، ومن المعلوم أن مرجعيته تزامنت مع مرجعية أبو الحسن الأصفهاني، للمزيد من المعلومات، ينظر محمد حسن آل ياسين، على هامش العروة الوثقى، ط١، دار المعارف، بغداد ١٩٧٤م، ص٥٠ وما بعدها.

٥ – مختار الأسدي، المصدر السابق، ص٢٨.

٦ – المصدر نفسه، ص٢٨.

٧ – عباس الزيدي المياحي، السفير الخامس، استعراض لحياة ومرجعية الامام الصدر والعلاقة بين الحوزة و الجماهير، ط١، بيروت، ٢٠٠١م، ص٥٢.

٨ – المصدر نفسه، ص٥٢.

٩ – ولد جون لوك الفيلسوف الانكليزي عام ١٩٣٢م، وكان في طليعة من استخرجوا النتائج الفلسفية للعلم الحديث، توفي عام ١٧٠٤م، للمزيد من المعلومات ينظر، زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، ط١، مكتبة الانكلومصرية، القاهرة، ب ت، ص١٦– ص١٧.

١٠ – محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط١، مطبعة ليلى، طهران، ٢٠٠١م، ط٥١.

١١ – ولد جان جاك روسو عام ١٧١٢م في فرنسا، ويعد من ابرز الكتاب الفرنسيين اثارة لعواطف الشعب الفرنسي ضد لويس السادس عشر، اصدر كتابه (العقد الاجتماعي)، الذي اصدره سنة ١٧٦٢م، وكان اول من اباح الثورة والخروج على الحكومة، توفي عام ١٧٧٨م، للمزيد من المعلومات ينظر، لجنة في وزارة التربية، التاريخ الحديث، ط٣٥، مطبعة النور الاردن، ١٩٩٧م، ص ص ٨–٩؛ خليل علي مراد و آخرون، دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٨، ص١٣٦.

١٢ – المصدر نفسه، ص١٣٦.

لقد باشر سماحته بتدريس الفقه الاستدلالي (الخارج) اول مرة عام ١٩٧٨م، وكانت مادة البحث انذاك من (المختصر النافع) وبعد فترة باشر ثانية بالقاء ابحاثه العالية في الفقه و الاصول (ابحاث الخارج) عام (١٤١٠هـ- ١٩٩٠م)[١٣]، واستمر في ذلك متخذا من مسجد الرأس الملاصق للصحن الحيدري الشريف، مدرسة وحصنا روحيا لانه اقرب بقعة من جسد امير المؤمنين علي عليه السلام[١٤].

بذل الصدر الثاني جهودا كبيرة في بحوثه عن الإمام المهدي عليه السلام واصدر موسوعة الامام المهدي عليه السلام كما ذكرنا ذلك سابقا والذي قال عنها الشهيد الأول محمد باقر الصدر[١٥]: ((وسأقتصر على هذا الموجز من الافكار تاركا التوسع فيها وما يرتبط فيها من تفاصيل إلى الكتاب القيم الذي أمامنا فأنا بين يدي موسوعة جليلة في الأمام المهدي عليه السلام وضعها أحد اولادنا وتلامذتنا الاعزاء وهو العلامة البحاثة السيد محمد الصدر حفظه الله تعالى وهي موسوعة لم يسبق لها نظير في تاريخ التصنيف الشيعي حول الإمام المهدي عليه السلام في احاطتها وشمولها لقضية الامام المهدي المنتظر من كل جوانبها، و فيها من سعة الافق وطول النفس العلمي واستيعاب الكثير من الكلمات و اللفتات مما يعبر عن الجهود الجليلة التي بذلها المؤلف في انجاز هذه الموسوعة الفريدة واني اشعر بالسعادة بما تملأه هذه الموسوعة من فراغ وتعبر عنه من فضل ونباهة والمعية واسأل الله المولى- سبحانه وتعالى- ان يقر عيني به ويريني فيه علما من اعلام الدين))[١٦].

المبحث الاول: دوره في الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م

لعب السيد الصدر الثاني دورا مهما في قيادة الانتفاضة الشعبانية عام ١٩٩١م، ويذكر الشيخ اليعقوبي قائلاً [١٧](في نهاية عام ١٩٨٨م، انخرط السيد الصدر الثاني في الحياة الحوزوية والاجتماعية، وبدا بتدريس سطح الكفاية في جامعة النجف الدينية على امل ان تكون حلقة الدرس نواة البحث الخارج الذي يعقده بعدئذ، واتمّ الجزء الاول من الكفاية ثم اعاقته احداث عام ١٩٩١م، وتفرقت حلقته الدراسية، فاعتقل قسم من طلبته وهرب السيد علاء نجل السيد محمد كلانتر إلى خارج العراق، وهذا ما سمعته من السيد الصدر الثاني نفسه) ويضيف الشيخ اليعقوبي قائلا (في هذه المرحلة بدا بتاليف كتاب ما وراء الفقه حيث طلب مني كتابة بحث (الرياضيات والفقه)، فكتبته وظل المخطوط عنده إلى ان طبعه باسمي بعد سنين عديدة)[١٨].

---

١٣ - عادل رؤوف، محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، مشروعه التغييري و واقع الاغتيال، المركز العراقي للاعلام و الدراسات، ط٨، دمشق، ٢٠٠٥م، ص٧٥.

١٤ - صحيفة الوفاق الإسلامي، صور من حياة الأمام الشهيد السيد محمد الصدر، العدد ١١٧، الصادر بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٣م.

١٥ - المجموعة الكاملة لمؤلفات السيد محمد باقر الصدر،ج١١،دار التعارف للمطبوعات،قم المقدسة،ب ت،ص ص٦٤-٦٥.

١٦ - عادل رؤوف،المصدر السابق، ص٧٥؛المجموعة الكاملة لمؤلفات السيد محمد باقر الصدر، ج١١، المصدر السابق، ص٦٥.

١٧ - الشيخ محمد اليعقوبي، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، النجف الأشرف، ١٤٢٤هـ. ص٧٦ وما بعدها.

١٨ - المصدر نفسه، ص٧٦.

ويضيف الشيخ اليعقوبي قائلا (وقال لي السيد الصدر انه عاود اقامة الصلاة جماعة في الروضة الحيدرية الشريفة بعد انقطاعه عنها لعقد من الزمان وكان قد شغل المكان في تلك الفترة أحد المحسوبين على النظام السابق، فمانع الأخير بحجة ان هذا المكان مكاني منذ ثلاث سنين فارسل إليه السيد ان هذا مكان الاسرة منذ خمسين سنة فحاول ذلك الرجل الايحاء إلى السيد الصدر الثاني بانني قد اضرك من جهة السلطة لكن السيد ثبت على موقفه بحزم وظل محتفظا بالمكان))[١٩]. ((وخلال أيام القصف الامريكي وحلفائه الذي امتد من ليلة ١٩٩١/١/١٧م حتى ١٩٩١/٢/٢٨م، كان الوضع الامني في العراق متسببا خلال قصف الحلفاء للعراق فيما اسموه (بعاصفة الصحراء)[٢٠] بهدف معلن هو تحرير دولة الكويت من سيطرة القوات العراقية، وفي الايام الاخيرة كنا لا نشعر بوجود يذكر للنظام، نعم في بعض الحالات الطارئة كان يعزز النظام قبضته او يوحي بذلك على الاقل وعندما اعلن الحلفاء ايقاف الحرب يوم الخميس ١٩٩١/٢/٢٨م، ومن حينه سرت في اوساط الشعب اخبار عن انطلاق مظاهرات معارضة للسلطة و الناس بين مصدق ومكذب، لان الرعب الذي زرعه النظام في قلوب الشعب مازال موجودا نتيجة لاعماله الشنيعة وبطشه الشديد، واعلن ان موعدها يوم الجمعة ١٩٩١/٣/١م[٢١]، ثم اجلت بسبب انشغال الناس بزيارة النصف من شعبان إلى مرقد ابي عبد الله الحسين (عليه السلام) التي صادفت ليلة السبت وكانت كربلاء مشتعلة بالعواطف الثورية المتاججة، وساهم في تصعيدها وجود السيد الخوئي نفسه في الزيارة الذي لم يستطيع الوصول إلى الحرم الشريف بسبب الازدحام و اجتماع الناس لاستقباله بعد ان علموا بوجوده بكربلاء، فاكتفى بالزيارة من سيارته خارج الصحن الشريف لكن الزوار هتفوا بشعارات ضد النظام السابق، واعلنوا ولائهم للحوزة الشريفة وبدات المواجهات بين رجال الامن والزوار واعتقلت السلطات الامنية عددا من المتظاهرين المنددين بسياسة القمع والعدوان التي ينتهجها النظام"[٢٢].

ويسترسل في حديثه الشيخ اليعقوبي قائلا"وقد سبقت مدينة البصرة في حصول الانتفاضة حيث حصلت مواجهات مسلحة بدأها الجيش المنسحب من الكويت، والذي نجا باعجوبة من قصف الطائرات الامريكية وحليفاتها حيث اعلنت القيادة العراقية الانسحاب من طرف واحد قبل ان يعلن الحلفاء وفقا لاطلاق النار، وحين دخول الناجين من هؤلاء إلى مدينة البصرة حصل ارباك وفوضى فارادت القوات المرتبطة في البصرة و قوات الامن و الجيش الشعبي التي تدافع عن النظام السيطرة على الموقف المتدهور فحصل اشتباك مسلح حتى بالاسلحة الثقيلة بين الطرفين وامتدت إلى مدن البصرة الاخرى وقصباتها".

---

١٩ – المصدر نفسه، ص٧٦.
٢٠ – اسم اطلقه الامريكان على حربهم ضد العراق بحجة تحرير الكويت.
٢١ – الشيخ محمد اليعقوبي، السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص٨٢.
٢٢ – المصدر نفسه، ص٢٨.

اما النجف فقد انطلقت المظاهرات فعلا ظهر يوم الاحد ١٩٩١/٣/٣م المصادف ١٦/ شعبان/ ١٤١١هـ[٢٣]، ولم يكن الشعب مسلحا بشكل معتد به إلا ان معاقل السلطة في مركز المدينة كمديرية الشرطة وبعض مراكزها ومقرات الحزب سرعان ما تهاوت امام تضحيات الشعب، فغنم المجاهدون اسلحتهم ثم اتخذوا الصحن الحيدري الشريف مقرا للقيادة، وفي يوم الاثنين ١٩٩١/٣/٤م[٢٤].

انطلقت جماهير الشعب بموكب حسيني يردد شعارات الولاء والثأر لأهل البيت عليهم السلام، ويتقدم الموكب مجموعة من المسلحين و قد اعتلى لبعضهم سيارة اطفاء، وتابع الموكب سيره على شارع الكوفة الذي تقع اكثر مراكز السلطة كمديرية الامن ومقر قيادة الجيش الشعبي و مقرات ادارة المحافظة مع بعض جيوب المقاومة لافراد الحزب الذين تحصنوا في بعض الاحيان الابنية لمقاومة زحف ابناء الشعب، واخذ الثوار يطهرون الموقع تلو الاخر حتى تمت السيطرة عليها جميعا عصر ذلك اليوم، فعاد الثوار إلى الصحن الحيدري الشريف ليحتفظوا بالنصر وتخليص المدينة من رجال النظام[٢٥].

اما عن الانتفاضة فلم يكن مخططا لها ولمستقبلها ولم تكن لها قيادة تذكر فكان من الطبيعي ان يلتجا زعماء الحركة الجماهيرية إلى علماء الدين وظنوا انهم سيستقبلونهم بالزهور لما حققوه من نصر، لكن الامر كان بالعكس فقد قوبلوا بحسب ما نقله لي السيد الصدر الثاني بالاعراض والجفوة و الاستهجان ولتقريع على هذه التصرفات[٢٦]، واختفى كثير من ائمة الجماعة في بيوتهم و لم يبق احد منهم مستمرا على صلاة الجماعة إلا السيد محمد محمد صادق الصدر فيما اعلم، حيث كان يقيم صلاة المغرب والعشاء في الروضة العلوية الشريفة وصلاة الظهر والعصر في مسجد الهندي، وسارع إلى اصدار بيان يدعو فيه إلى نصرة الثورة الإسلامية المباركة في العراق، وكان السيد الصدر الثاني هو اول رجل دين في النجف الاشرف يؤيد الثورة ويدعو إلى نصرة الثوار، واول رجل دين يبقى محافظا على صلاة الجماعة ويدعو في كل صلاة المصلين إلى مساعدة الثوار بالسلاح والمال والانفس[٢٧]، ثم بعد ذلك اصدر السيد السبزواري بيانا حماسيا[٢٨]، اما السيد الخوئي فقد كان متحفظا يدعو إلى الحفاظ على النظام الاجتماعي العام وصيانة ممتلكات الشعب وعدم ارتكاب مخالفات للشرع المقدس ونشرت البيانات جميعا في العدد الاول من الصحيفة التي اصدرتها قيادة الانتفاضة واستمرت اربعة او خمسة اعداد وكنت احتفظ بها الا انني اتلفتها حينما اقتحمت قوات النظام بيوتنا للتفتيش)[٢٩]. ويستمر الشيخ اليعقوبي في كتابه قائلا (وبعد يوم أو اكثر ارسل إلي سماحة السيد الصدر الثاني سيارة من تلك التي غنمها الثوار من المؤسسات الحكومية

٢٣ – المصدر نفسه، ص٨٢.
٢٤ – المصدر نفسه، ص٨٤.
٢٥ – المصدر نفسه، ص٨٤.
٢٦ – المصدر نفسه، ص٨٥.
٢٧ – المصدر نفسه، ص٨٦.
٢٨ – المصدر نفسه، ص٨٦.
٢٩ – المصدر نفسه، ص٨٧.

وفيها ولده السيد مؤمل والاخ زيد البغدادي[٣٠] يدعوني للاجتماع به فذهب فورا والتقيت به في داره وقال ان الذي دعاني إلى هذا اللقاء امران:

احدهما: ضرورة تعيين قائد مدني أو على الاقل سياسي للثورة ولا يمكن ان تبقى الامور بلا قرار سياسي بعد استقرار الوضع العسكري ولا يمكن ان نصبر حتى ياتي قائدٌ للثورة من الخارج.

ثانيهما: ضرورة الاتصال بايران وطلب النجدة والسلاح وحول الامر الاول فقد رشح الاخ الاستاذ محمد عبد الساعدي[٣١] لذلك المنصب ولكنه اعتذر من قبول ذلك وكان السيد متوقعا لذلك فامرني بتولي المنصب في حال رفض الاستاذ محمد ذلك، فابلغت السيد بالخبر وقلت له ان الخطوة الاولى هي التعرف على العناصر الرئيسية في الانتفاضة ودراسة ان كان بالامكان التأثير فيهم بهذا الاتجاه وذهبت إلى الصحن الشريف واطلعت على الوضع عن كثب فوجدت ان فرصة السيد في ممارسة دور قيادي بعيدة فقد كان الاتجاه العام نحو السيد الخوئي ولا يمكن تجاوزه وتحييده، واصبح القرار فعلا بيد مكتب السيد الخوئي[٣٢] واخبرت السيد الصدر الثاني بذلك وقلت له باختصار ان دور العلماء يتسم بالحذر الشديد بانتظار انجلاء الموقف، قال ومن الذي يجلي الموقف؟! اليس العلماء هم الذين يقومون بتسيير الامور و قيادتها نحو وجهتها الصحيحة وليس دورهم التفرج والخوف على انفسهم من الانتقام في حال فشلت الانتفاضة[٣٣].

وفي احد الايام لم يحضر السيد إلى صلاة الجماعة في الروضة الحيدرية و سالته في اليوم التالي عن السبب في عدم حضوره صلاة الجماعة، فقال ان السيد الخوئي دعا مجموعة من العلماء وفضلاء الحوزة ليخبرهم بعزمه عن تشكيل لجنة لادارة شؤون المجتمع في هذا الوضع المتازم ودار النقاش ست ساعات وقد اقترح ان يكون السيد محمد محمد صادق الصدر منهم، فرفضت ذلك لانني علمت ان هذه اللجنة سيكون دورها هامشيا، وانما الامر بيد مكتب السيد الخوئي والمتنفذين فيه وبعض ابنائه[٣٤].

ولما بدات قوات الحرس الجمهوري بالزحف إلى كربلاء ومحاصرتها نادي منادي الجهاد من اذاعة الانتفاضة و مقرها الصحن الحيدري الشريف على المقاتلين التوجه إلى كربلاء لانقاذها من الحرس الجمهوري، انطلق الاف المجاهدين من النجف باسلحتهم من مختلف الصنوف بما فيها الثقيلة وقد غنموها من قوات القدس التابعة للحرس الجمهوري التي كانت مرابطة حول مدينة النجف، وخرجت مع

---

٣٠ – وهو احد طلاب السيد الصدر الثاني ومن المقربين له، وقد شارك السيد في قيادة الانتفاضة وبقي ملازما له حتى استشهاده.

٣١ – يقول الشيخ اليعقوبي، عرفت الاستاذ الساعدي عام ١٩٧٤م، عندما كنت طالبا في مدرسة الإمام الجواد عليه السلام الاهلية، والتي كانت من المؤسسات الشيعية التي تحظى بتاييد السيد الشهيد محمد باقر الصدر، وكانت شقيقته بنت الهدى مشرفة على مدرسة الاناث، وكان الاستاذ محمد مشرفا عاما على المدارس، وقد اصدر عدة كتب وهو لايزال طالبا في كلية القانون في منتصف الستينات من القرن الماضي، ومنها كتاب (الإسلام ومعركة المصير الإنساني)، وبعد فراق عدة سنين وجدته قاضيا لمحكمة الاحوال الشخصية في النجف، واستمرت علاقتنا ومن ثم تعرف على السيد الصدر الثاني واخذ يتردد على داره ضمن مقلديه.

٣٢ – الشيخ محمد اليعقوبي، السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص٨٩.

٣٣ – المصدر نفسه، ص٩٠.

٣٤ – المصدر نفسه، ص٩٢.

المجاهدين انا والشيخ قاسم الطائي وهو احد طلبة السيد الصدر الثاني، وعندما وصلت كربلاء وجدنا الشوارع فارغة الا من المقاتلين، اما سكانها فقد نزحوا نحو النجف الاشرف مشيا على الاقدام، و عندما رجعت إلى النجف بعد ايصال المقاتلين إلى كربلاء، توجهت إلى دار السيد محمد محمد صادق الصدر فقال لي اكتب مقالا حماسيا بعنوان (حي على الجهاد ايها العرقيون) إلى صحيفة الثورة، وسمعت بعض فقراته تتلى من الاذاعة المنطلقة من الصحن الشريف[٣٥]. ولما شعر بعض زعماء المجاهدين ان الثورة بدات تضمحل وتتميّع في ظل هذه القيادة الدينية الخائفة من فشل الثورة، والذين لم يفكروا في توسيع الثورة إلى بقية المحافظات والزحف نحو بغداد وتدعيمها احسوا بالحاجة إلى قيادة (حركية) جديدة تجتمع فيها صفات الوعي والشجاعة والحزم والرصيد الاجتماعي فوجدوها متمثلة في شخص الشهيد الصدر الثاني، فعرضوا عليه الامر فوافق، ولكن بعد فوات الاوان[٣٦].

هذا وقد بدات قوات الحرس الجمهوري بالزحف نحو مدينة النجف وبدا قصف مدفعي بعيد يطول احيانا البيوت المتطرفة في شمال شرق المدينة باتجاه مثلث الحدود بين النجف والحلة وكربلاء. حيث عبرت القوات نهر الفرات جنوبي مدنية الكفل، وكان ذلك بعد ظهر يوم الثلاثاء ١٩٩١/٣/١٢م، وفي يوم الاربعاء التالي كانت اصوات قذائف المدفعية والدبابات تسمع في ارجاء المدينة لكن دون ان يطالها والشارع العام تحدث عن معارك بالاسلحة الثقيلة وتراجع قوات الحرس الجمهوري الزاحفة على النجف[٣٧]، اقول في ذلك اليوم[٣٨]، صليت الظهر والعصر خلف سماحة السيد الصدرالثاني في جامع الهندي وبعد انتهاء الصلاة احيط بحماية مكثفة من رجال مسلحين وصيحات التكبير و التهليل والصلاة على محمد وال محمد، و مئات الثوار تحيط بالسيد الصدر الثاني وهي تنادي (عاش عاش عاش الصدرهو الزعيم القائد)، حتى دخول الحرم الشريف، ومذيع الانتفاضة يطلق كلمات الترحيب (اهلا بالزعيم المجاهد سماحة اية الله العظيم السيد محمد محمد صادق الصدر) و كنت ضمن المجموعة التي رافقته بعد ان صليت خلفه و لكن من دون ان اعلم بسر هذا التغيير الذي حصل اليوم لدى قادة الثورة و الثوار، وصعد السيد إلى سطح (لاالكيشواتيةلا)[٣٩] المواجهة لباب القبلة والناس تجتمع في الصحن الشريف وهم يقابلونه بالهتافات، والقى السيد الصدر الثاني كلمة ارتجالية مختصرة حث فيها على نصرة الثورة الإسلامية المباركة ودعمها والمشاركة فيها لعل الله سبحانه يرحم هذا المجتمع وينشر لواء الإسلام في ربوع هذا البلد المقدس.

ثم نزل السيد وركب السيارة (شوفرليت- جي ام سي) وصعدت معه واكتضت السيارة بالمسلحين واوصلنا السيد إلى داره، و بقي العشرات من المسلحين لحماية السيد وهو في داره، وكان السيد قد امرني بتشكيل لجنة لقيادة الانتفاضة و يكون هو على راسها، وفي صباح اليوم التالي وانا مهتم بتنفيذ الامر

٣٥ - المصدر نفس، ص٩٣.
٣٦ - المصدر نفسه، ص٩٣.
٣٧ - المصدر نفسه، ص٩٤.
٣٨ - الحديث لازال للشيخ محمد اليعقوبي، في كتابه السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص٩٤.
٣٩ - مكان لوضع احذية الزوار قبل دخولهم إلى الحرم الشريف.

فاستخرت الله تعالى في ان اقصد احدهم فكانت النتيجة غير جيدة و لم اكن اعلم ان السر في ذلك اعتقال السيد الشهيد الصدر ووأد القيادة الجديدة في مهدها، فقد دخل الجيش مدينة النجف من جهة شمال الشرق يوم الخميس ١٤/٣/١٩٩١م[٤٠]، واسترجع المراكز الرئيسية على شارع الكوفة و وصل إلى جامعة النجف الدينية حيث كان السيد وعائلته مع السيد محمد كلانتر وعائلته وبعض طلبة الجامعة يختفون في سرداب تحاشيا للقصف، واعتقلوا جميعا وسيقوا إلى منطقة الرضوانية في الضواحي الشمالية الغربية لبغداد حيث خصصت الاحتواء (المعارضة)[٤١]، وكان وفد السيد ومن معه اول الداخلين إلى المعسكر المخصص لاعتقال القادمين من النجف، اما المعسكر المعد لاهالي كربلاء فقد كان يغص بالمعتقلين- هكذا نقل لي السيد الصدر الثاني، وفوجئت ظهر الخميس وان استمع إلى الراديو بالمذياع يجري لقاءا مع السيد الصدر و توقعت ان لقاء قديم اعلنوه للتمويه على المجاهدين الذين لا يزالون يقاومون حول بيت السيد الخوئي، ولما انصت إليه جيدا وجدته جديدا فعلا ويذكر احداث البارحة (ظهر الاربعاء) و يساله المذيع عنها، ولم تنته المقاومة إلا يوم الاحد ١٧/٣/١٩٩١م، بعد تهديد السلطة باستخدام الاسلحة السامة[٤٢].

اما السيد فقد اخبرني، انه اجرى اللقاء التلفزيوني معه وهو بين مجموعة من الضباط بعضهم برتب عالية ثم حققوا معه وسجلوا بيانات كثيرة واملوا صحائف عديدة. وبعد خمسة عشر يوما اطلق سراح السيد الصدر الثاني))[٤٣].

المبحث الثاني: دور السيد محمد محمد صادق الصدر في إقامة صلاة الجمعة

في بلد مثل العراق محكوم بنظام (دكتاتوري) شمولي، كان ولا زال أي تجمع يمثل مشكلة من المشاكل الكبيرة في نظر النظام السابق، اللهم إلا التجمعات التي يعمل هو على تنظيمها وتعبئتها لاهدافه السياسية الخاصة، اما التجمعات الدينية فقد كانت تثير حساسية اكبر لدى السلطة، لا بسب ان الطابع الابرز الذي ميز المواجهة السياسية الداخلية كان طابعا إسلاميا، وان اجهزة السلطة استنفذت كل احتياطها التخويفي والامني ازاء عناصر الظاهرة الدينية في العراق، و بالاخص بعد انتصار الثورة الإسلامية في ايران وخوف النظام السابق من الشيعة في العراق بالقيام بثورة مسلحة بقيادة رجال الدين واقامة دولة إسلامية في العراق على غرار ما حصل في ايران، فكانت السلطة تمنع أي تجمع ديني يحصل في الداخل[٤٤]، و ما يفسر خوف السلطة من هذه التجمعات هو استنفارها الدوري التقليدي في شهر محرم الحرام، ذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وتطويق المدن المقدسة (كربلاء- النجف- الكاظمية)،

٤٠ - الشيخ محمد اليعقوبي، السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص٩٨.
٤١ - المصدر نفسه، ص٩٨.
٤٢ - المصدر نفسه، ص١٠٠.
٤٣ - المصدر نفسه، ص١٠١.
٤٤ - عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص ١٤٢.

بالدبابات والاسلحة الثقيلة خوفا من تحول هذه التجمعات إلى مظاهرات احتجاجية ذات طابع سياسي[٤٥].

وانطلاقا من هذا الواقع الذي حكم مواجهة السلطة للشارع العراقي في عواطفه وميوله الإسلامية، يمكن فهم ابعاد ظاهرة صلاة الجمعة التي اقامها السيد محمد محمد صادق الصدر، اذ يبدو للوهلة الأولى، ان مجرد تصور اقامة مثل هذه الصلاة قبل حصولها في ظل نظام مثل النظام السابق في العراق، كان السيد الصدر الثاني اكير الناس دراية به وباساليبه التي يعرفها الناس، والتي لا يعرفونها، يكاد يكون امرا مستحيلا، حتى لو ضمنت السلطة على سبيل الفرض ضوابط و حدود هذه الصلاة مسبقا، و وضعها تحت السيطرة والمراقبة الدائمة، اذ ان أي تجمع تحت الشعار الديني في العراق سيكون مشروعا مؤجلا ضد هذه السلطة[٤٦]. وبعد كل ما مر بالعراق من احداث سياسية داخلية اوصلت هذه السلطة إلى وضوح بان معظم شرائح الشعب العراقي هي شرائح رافضة لسياستها وتعرضت لاضطهادها وقمعها بشكل ربما يفوق الوصف والتصديق لمن هو غير عراقي لاسيما وان هذه الصلاة اقيمت بعد انتفاضة شعبان- اذار ١٩٩١م، التي مثلت استفتاءا شعبيا لا نقاش فيه ولاجدل على غضب الشارع العراقي ضد السلطة السياسية التي تتحكم به، وهي انتفاضة سقطت فيها اربع عشرة محافظة عراقية بيد الثوار من مجموع ثمان عشرة محافظة، مجموع محافظات العراق[٤٧].

وعلى هذا الاساس لا يمكن من الناحية النظرية فهم حصول صلاة الجمعة التي اقامها السيد الصدر الثاني، وفق أي تفسير خارج براعته وشجاعته حتى لو بدات هذه الصلاة محدودة ثم تطورت وتصاعدت شيئا فشيئا، فالسلطة محكومة كما اشرنا إلى عقد عدم ثقة هائلة بالشارع العراقي، هذا اولا، وثانيا فان حسابات هذه السلطة للسماح باقامتها او عدم التعرض لها، هي الأخرى خضعت (لدهاء) السيد الصدر الثاني، الذي استطاع ان يؤسسها ويعطيها الصفة الطبيعية التي لا تتعارض مع اهداف السلطة في البداية، ومن ثم ينقلها إلى عالمه الآخر، ودلالتها الاخرى التي لا تعيها السلطة فالسيد محمد محمد صادق الصدر يعلم تماما ومن خلال اصراره على قيامها، بعد ان عارضتها السلطة وامراته بالامتناع عنها، كان السيد الصدر الثاني يعلم ان هذه الصلاة تعني:-

اولا: ان صلاة الجمعة هي فريضة عبادية – سياسية – اجتماعية، وتعتبر من الفرائض التي تشكل المنظومة المفاهيمية للإسلام السياسي، وما يمكن ان تقوم به هذه الفريضة من ادوار كبرى في مسار المواجهة التي يخوضها الإسلام مع اعدائه وهي فريضة وان تعددت الاسباب في تعطيلها لدى الشيعة، إلا ان المضمون السياسي لها كان في مقدمة اسباب التعطيل هذه، فخرج السيد الصدر الثاني في اول صلاة

٤٥ – المصدر نفسه، ص١٤٣.
٤٦ – المصدر نفسه، ص١٤٣.
٤٧ – المصدر نفسه، ص١٤٤.

جمعة يقيمها مرتديا الكفن وامر العراقيين بالتوجه إلى مسجد الكوفة قائلا (من لا يملك سيارة، اولا يحصل عليها فليركب دابة او ياتي مشيا على الاقدام)[٤٨].

ثانيا: ان صلاة الجمعة ليست مناسبة سنوية او شهرية، انما تقام اسبوعيا، وهذه الاقامة الدورية المتقاربة لها تعطيها بعدا تاثيريا اكبر في تراكم الوعي السياسي لدلالتها، وهي اجراء مفتوح ومتواصل لضخ وتراكم الدلالة السياسية في الوعي الجمعي للأمة، وهي تفصيل متواصل، واحضار دائم للخطاب الإسلامي والوعي الإسلامي في الساحة العراقية ولذا فانها بهذه الصفة التكرارية- الزمنية ستشكل محور المواجهة، ومحور الاصرار على اقامتها، دون غيرها من الامور التي لا ترتقي لاهميتها ودورها. وهذا ما دعا السيد الصدر الثاني إلى رفض الخضوع لاوامر السلطة بالامتناع عن اقامتها لانه يعلم ان ايقافها يعني ايقاف شبه كلي للمسيرة الإسلامية المندفعة الفاعلة في العراق التي اسسها في جيلها الثالث، جيل ما بعد انتفاضة شعبان- اذار ١٩٩١م[٤٩].

وقد اكد السيد الصدر الثاني في الجانب التوعوي قائلا ((ان من فوائد صلاة الجمعة هو الوعي الديني الذي حصل في الحوزة والمجتمع ومنها عرف الناس ان عددا كثيرا من الحوزوين غير ما كانوا يتصورون، وفهم الناس ان الاسلوب القديم عند بعض الحوزوين قائم على القصور والتعقيد حيث ورد انه اذا كثر الفساد في المجتمع فعلى العالم ان يظهر علمه، وإلا فعليه لعنة الله ولكن الواقع الذي يعيشه بعض المنتسبين إلى الحوزة العلمية غير ذلك حيث قال بعضهم عندنا امور اربعة فقط، الاستخارة والدرس وصلاة الجماعة وقبض الحقوق واهمها في نظرهم قبض الحقوق التي يجب ان تصرف لقضاء حاجة المحتاجين، ولكنهم لايصرفونها كذلك إلا قليلا منها))[٥٠].

(ان صلاة الجمعة التي اخذ يؤمها السيد الصدر الثاني، اخذت تتطور بحيث اصبحت المتنفس الوحيد للكلمة الدينية و الموعظة الإسلامية وصولا إلى كسر طوق السكوت و التكلم باسلوب المعارض، لما فيه الكثير من النقد للسلطة، ومن ذلك مطالبته موظفي الدولة بالتوبة والعودة إلى الإسلام الحقيقي، ويبدو ان المواجهة الحقيقية مع بغداد، كانت لدى دعوته إلى الصلاة في ١٥ شعبان (تاريخ ولادة الإمام المهدي عليه السلام)، وكان متوقعا تجمع مئات الالاف من الشيعة العراقيين عند ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء)[٥١].

ثالثا: ((ان صلاة الجمعة تمثل ضمنا اجراءاً تعبويا مهما، ان لم يكن الاهم، من كل الفرائض الإسلامية، ذات البعد الجمعي السياسي- الإسلامي، كموسم الحج، ومسيرات البراءة من المشركين، او صلاة الجماعة التي ولو كانت تحقق البعد التكراري- الزمني لها، إلا انها لا تحقق البعد التعبوي الذي

---

٤٨ - مجلة الوسط، ضربة وقائية او مشروع فتنة، اغتيال الصدر، سبقه حوار هاتفي قاتل، العدد (٣٧٠)، في ١/ اذار/ ١٩٩٩م.

٤٩ - المصدر نفسه.

٥٠ - صحيفة الموقف، العدد (١٩١) في ٤/ اذار/ ١٩٩٩م.

٥١ - مجلة الوسط، العدد (٣٧٠)، في ١/ اذار/ ١٩٩٩م.

تحققه صلاة الجمعة، ولقد تجلى هذا البعد التعبوي بشكل صارخ في صلاة الجمعة التي حصلت في العراق، على يد آية الله الشهيد محمد صادق الصدر، فهي سرعان ما تحولت إلى صلاة مليونية متصاعدة في ارقامها العديدة بشكل خطير، ولقد اوجد هذا الجانب التعبوي احساسا ثوريا في الوسط، كالوسط العراقي، يخضع للقمع والاضطهاد ومصادرة الحريات السياسية من الداخل، ويخضع إلى حصار ودورات متواصلة من الدمار الخارجي، لذلك وجدت مرجعية الصدر الثاني شعبية واسعة غير متوقعة، خصوصا مع انتشار المد الاسلامي الكبير في العراق تحت ظروف القهر والحصار.

و بعد اقامة السيد الصدر الثاني صلاة الجمعة في مسجد (الإمام علي عليه السلام) في الكوفة ومختلف المدن العراقية، وافتائه بوجوب ادائها عينا، و مطالبة الجماهير بعدم جواز الاكتفاء بمتابعة الصلاة خلف التلفاز، مما ادى إلى تقاطر المصلين على ادائها من مختلف انحاء العراق، خصوصا في النجف وكربلاء والناصرية والكاظمية والديوانية وهو ما افزع السلطات من تحول الصلاة إلى بؤرة ثورية يمكن ان تنفجر في المستقبل)[٥٢].

رابعا: ((وبالاضافة إلى الدور السياسي والتربوي والتعبوي الذي تنطوي عليه صلاة الجمعة، فهي تؤدي دورا اخر لا يقل اهمية عن هذه الادوار التي تعتمد في انجازها عليه، وهو دور العلاقة بين المرجعية والأمة في العراق، وهذا الدور التواصلي بين المرجعية والأمة، ربما يدخل في صميم المنظومة المفاهيمية الدينية التي اعتمدها السيد محمد صادق الصدر، و تلك التي انفرد بها عن سواه من المراجع والمتصدين في خطابه الديني والسياسي وهو يقول في هذا الجانب (من فوائد صلاة الجمعة هو الاتصال بين المجتمع والحوزة العلمية))[٥٣].

وتضيف الصحيفة (هذه الصلاة التي اصر السيد الصدر الثاني على القيام مهما كان الثمن، كانت تمثل جسرا تواصليا والتقائيا بين المرجع والأمة من خلال لقاء دوري شمولي عام، وليس لقاءا شخصيا مع المرجع، قد لايتسنى للكثير من الناس الذين لم تتح لهم الظروف الالتقاء مع المرجع او انهم لا يعرفون آليات الوصول إليه، وبالتالي فانهم يتواصلون معه عبر ادبياته وفتاواه فقط، دون ان يعيشوا تصوراته وجها لوجه، ودون ان يعيش تصوراتهم بصورة مباشرة. ان ظروفاً سياسية وغير سياسية قاهرة ادت إلى ايجاد نمط من العلاقة المحدودة بين المرجعية و الأمة، و لقد ادى هذا النمط إلى انحسار في التفاعل، أو إلى غموض حول دور المرجع و وظائفه ومهماته، لاسيما في ساحة مثل الساحة العراقية، كانت اسباب انعزال المرجعية في ظل قمع السلطة ومحاصرتها، وبحثها عن ذرائع لايذاء المرجعية، الأمر الذي انعكس سلبا على دور المسيرة الإسلامية في العراق وحجمها ونفوذها))[٥٤].

لقد ادرك السيد محمد محمد صادق الصدر خطورة هذا الجانب بعيدا عن ارائه في مواصفات المرجع وقناعاته الفقهية والفكرية، وسجل خروجا على السائد في هذا الاطار، واعلن نظريا وعمليا عن ضرورة

٥٢ – مجلة الوسط، العدد (٣٧٠)، في ١/ اذار/ ١٩٩٩م.
٥٣ – صحيفة الموقف، العدد (١٩١)، في ٤/ اذار/ ١٩٩٩م.
٥٤ – صحيفة الموقف، العدد (١٩١)، في ٤/ اذار/ ١٩٩٩م.

ازاحة النمط القديم الذي يحكم علاقة المرجع بالأمة قائلا ((ان الاسلوب القديم عند بعض الحوزويين قائم على القصور والتقصير))[٥٥].

ويؤكد السيد الصدر الثاني على صلاة الجمعة في الذكرى السنوية الأولى لقيامها قائلا ((تحتفل صلاة الجمعة بالسنة الأولى على اقامتها، الحقيقية هذا الامر جاء بتوفيق من ربي وبمشيئة الله سبحانه وتعالى، إلا كان بالامكان مسبب الأسباب، ان يجعل أي سبب لازالتها، ولكنه سبحانه وتعالى كانت له الاولوية الأولى في الامداد و لهمة المؤمنين وتكالبهم علينا جزاهم الله خير الجزاء.... والحمد لله والشكر وانشاء الله سوف تبقى لامد بعيد سواء بقيت الحياة ام لم تبق للسيد محمد الصدر وانما المهم ان المجتمع المؤمن وأهل المذهب باقون جزاهم الله خير الجزاء، وسوف تستمر بعدي صلاة الجمعة، وان بعض العلماء رفض الحضور إلى صلاة الجمعة أو حتى تاييد اقامتها، ان صلاة الجمعة هي عكس ما يقال عنها، و هذا شيء احسسنا به واحسوا هم ايضا ولكن بمعنى المكابرة فانهم ينكرون ذلك.. وهي عز للدين، و عز للمذهب وعز للحوزة وللحالة الإسلامية وللفقه عموما.. وليس مثلما يقولون.. فمحمد الصدر فضل المصلحة العامة على مصلحته الخاصة —كما يقولون – من خلال اقامته لهذه الشعائر، فالمهم هو دين الله ودين محمد ودين علي بن ابي طالب.

فالذي نتج عن عدم مشاركة البعض في اقامة صلاة الجمعة فانه ربما يفيد العدو من داخل الحوزة او خارجها، وكذلك الكلام ضد صلاة الجمعة وابعاد الناس عنها ايضا يفيد اعداء الإسلام والمجتمع))[٥٦].

وتحت كل ظروف العراق المعروفة في ذلك الوقت داخليا وخارجيا استطاع السيد الصدر الثاني، ان يستنفر كل الممكنات لانتزاع ارضية وازاحة النمط القديم للعلاقة بين المرجع والأمة، وتاسيس نمط اخر، لتحقيق التواصل والتفاعل والاندكاك في شؤون الأمة. ومعرفة مشكلاتها وطموحاتها وتعقيدات اوضاعها الاجتماعية والفكرية والسياسية.

((كما انه استطاع ان يقيم الصلاة في اكثر من سبعين منطقة في العراق، ولا يقل الحضور في أي مكان من اماكن هذه الصلاة عن الخمسين الف شخص، وكانت صلاة الجمعة في ١٥ شعبان ١٤١٩هـ ١٩٩٨/١٢/٤م، والتي حضرها اكثر من مليوني شخص في الكوفة، بمدينة النجف بمناسبة الذكرى السنوية الأولى لقيام صلاة الجمعة تظهر مدى الشعبية التي كان يتمتع بها السيد الشهيد، كما انها اكدت قدرته الفذة على جمع المؤمنين حول مراجع الدين، بالاضافة إلى انها اظهرت لنظام بغداد بان كل ممارساته لمحاربة الدين قد باءت بالفشل))[٥٧].

لقد اقر الصدر الثاني صلاة الجمعة فقهيا وميدانيا وعمل بها في ظروف عراقية داخلية قاهرة، ولم يات هذا الاقرار فوريا، مع تصدي السيد محمد صادق الصدر للمرجعية بل انه جاء بعد جهد تمهيدي كبير،

---

٥٥ – السيد محمد محمد صادق الصدر، المصدر نفسه.

٥٦ – السيد محمد محمد صادق الصدر، صحيفة الموقف، العدد (١٩١) في ٤/ اذار/ ١٩٩٩م.

٥٧ – محمد باقر الحسني، صلاة الجمعة الاولى اخافت صدام فاغتاله وقال من هو الرئيس؟ صدام ام محمد الصدر؟، مجلة البلاد في ٢٧/شباط/١٩٩٩م.

وبعد تاسيس جهازه المرجعي وما يحتاج من وكلاء ووسائل إعلام مطبوعة، جاءت صلاة الجمعة تتويجا لاوليات ومفاهيم، ما كان لهذه الصلاة ان تحصل لولاها. فالسيد الصدر الثاني اقام صلاة الجمعة (٤٥ اسبوعا)، و تشكل هذه الفترة زمنا متاخرا بالنسبة إلى زمن تصديه للمرجعية واعداده المرير لجهازها، ولهذا شكلت صلاة الجمعة فترة المواجهة مع السلطة، وبالتالي محور المعركة معه التي ادت به إلى الاستشهاد[٥٨].

و مهما يكن من امر، فان الصدر الثاني اسهب في احاديثه على ضرورة قيام صلاة الجمعة قائلا ((يجب ان لا نفرط بصلاة الجمعة لانها تربطنا ببعضنا البعض مهما كانت الاسباب[٥٩].

ان صلاة الجمعة ضرورية واقول للذين يابون الحضور لاداء هذه الصلاة جملة من النقاط:

١. ان صلاة الجمعة وان كانت واجبا تخييريا إلا انه بوجود الإمام القائد للأمة تكون واجبة ولقد كانت هذه النقطة محط خلاف بين الفقهاء.
٢. كان الناس كأنهم يغلقون ابواب بيوتهم بايديهم وها قد جاءتهم هذه الصلاة لتنفس عنهم، وجعلتهم يقتربون من المصلحة العامة، وهذه شجاعة من عندهم وهي من نعم الله سبحانه وتعالى علينا))[٦٠].

واكد الصدر الثاني على صلاة الجمعة قائلا ((ولنا في رسول الله ﷺ اسوة حسنة، كان الرسول يصلي صلاة الجمعة ويحث الناس على اقامتها، وهناك عدة روايات تدعم ذلك، فلماذا لا يقيمون بعض الناس هذه الشعيرة: ومنها جاء اعرابي للنبي ﷺ، يقال له قليب، فقال له اني تهيات للحج كذا مرة فما استطعت فقال الرسول ﷺ، عليك يا قليب بصلاة الجمعة فانها حج المساكين... حتى قال ان الجمع حق كل مسلم وفريضة إلا اربعة:

عبد مملوك او امراة او صبي او مريض.

اما لماذا علماؤنا لايقيمون صلاة الجمعة؟[٦١].

فهذا ناشئ من الغفلة في تاريخ الإسلام والتشيع:

فاولا: اننا لا نستطيع ان نقول انهم لم يقيموها اصلا وبتاتا.

ثانيا: فان قلنا انها لم تكن مقامة من قبل علمائنا فاننا يمكن ان نحملهم على محمل الصحة لانها واجب تخييري فيقيمون الصلاة الجماعة كون صلاة الجمعة تتطلب تحضيرا.

ثالثا: لا يقيموها حتى لا تحصل مفسدة...؟!.

وهي ان احد العلماء اذ اقامها ولا يقيموها علماء اخرون او لا يحضروا فيها فان هذا خلاف بين العلماء[٦٢]..

---

٥٨ – عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص ١٥٢.
٥٩ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (١) في ١ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨/٤/١٧م.
٦٠ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (١) في ١ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨/٤/١٧م.
٦١ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (١) في ١ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨/٤/١٧م.
٦٢ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٣) في ٤ محرم ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٥/١م.

رابعا: ان صلاة الجمعة والعيدين فيها خطبة... وهذا مالا يطيقه العلماء في الحوزة وليس عادة لديهم، أي غير معتادين على ذلك، وقيل من يستطيع ان يخطب او يعطي الخطبة حقها، ومن تعود منهم على الخطبة فانه تعود على الخطابة الحسينية، وهذا لا يعول عليه في القاء خطبة الجمعة التي يجب ان تكون موجه إلى الشارع والعامة، في حين ان الخطابة الحسينية او قارئ المنبر الحسيني يمتلك ذلك(٦٣).

خامسا: ان اختلاف مستوى المجتهد او المرجع عن مستوى الناس فهو لايجد سبيلا لافهامهم، فهو معتاد على لغة المكاسب والفقه، فهو لا يستطيع ان يتنازل ليتكلم بلغة الشارع مع الناس اذا افترضنا ان هؤلاء قد قبلوا بالنزول إلى العامة والناس... وانه لمن العرف والمشهور هو ان الذي يقيم صلاة الجمعة، يجب ان يقوم للناس خطيبا فهذا غير جزاء لان نص هذا القائم للخطبة غير مفهوم للناس بمعنى من المعاني..

سادسا: ان صلاة الجمعة خلاف السياسة المرجعية وجيلا بعد جيل ومنذ حوالي ثلاثمائة سنة تقريبا... او اكثر من ذلك.

لاننا قد اعتدنا من تلك السياسة ان نحافظ على اربعة اشياء تقليدية لاغير:

١. صلاة الجماعة.
٢. الاستخارة.
٣. الفتوى.
٤. الدرس....

هذه الطريقة القديمة والتي سبحانه وتعالى انقذني منها و انقذكم منها... بحيث انه يلبس كفنه ويتقلد سيفه... ويتكلم بلغة الشارع ولغة الجرايد... على المرجع ان لا يجلس في قصر ويسكت كالصنم فعليه التفاعل مع الشارع ومعرفة هموم الناس نحن افضل ام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على كل حال غفر الله لنا ولهم))(٦٤).

وفي خطبة اخرى يواصل السيد الصدر الثاني حديثه حول صلاة الجمعة قائلا ((اود ان ابين لكم شيئا بسيطا و ليس بسياسي لان الجمعة الاتية انشاء الله، هي الذكرى الأولى لاقامة صلاة الجمعة في وسط العراق وجنوبه فيحسن على من يستطيع منكم من اهل الفن و الاختصاص ان يجعل لنا ويفكر لنا بوجود مجسمة رمزية تمثل صلاة الجمعة..

اولا: ان تكون فيها جهة دينية، وليس فيها عصيان للتعاليم الدينية من قبيل مجسمة ذات الارواح.
ثانيا: ان يكون تجسيما للذوق لا حديث وليس بالذوق القديم.
ثالثا: نقبل الاعمال من الان إلى نهاية شهر رجب انشاء الله تعالى))(٦٥).

٦٣ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٣) في ٤ محرم ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٥/١م.
٦٤ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٣) في ٤ محرم ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٥/١م.
٦٥ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٣٥) في ٢١ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٢/١١م.

((وبكل هذه الجهود المضنية استطاع الصدر الثاني ان يحكم آليات التواصل بين المرجع والأمة، ويدون العلاقة الوثيقة بين المرجعية يبقى الخلل قائما في الجانبين، فاما ان تتحول المرجعية إلى مؤسسة فتوائية وتفقد صفة القيادة، او ان يتحول المجتمع إلى مجرد افراد مشتتين لا قائد لهم))[٦٦] واذ ((كانت الايجابيات التي تركها الشهيد الصدر الثاني واضحة فان عمقها كان في اطار الحوزة والمرجعية، فمن خلال تفاعله معهم وحضوره كان يشيد بهم و يقول لهم (لقد اثبتم انكم اهل للطاعة، فاذا قالت لكم الحوزة قوموا تقومون، و اذا قالت لكم اقعدوا تقعدون)، فتحقق المبدأ الاساس و العنصر الاهم في عملية الانفصال التي يبحث عنها القادة و هي الطاعة، وبحركته الحوزوية المرجعية ركز مفهوما عمليا وعته الجماهير، و تمسكت به، و هو انه لن نتفاعل إلا مع من يحمل همومها و يعيش قضاياها و بذلك اتعب الشهيد الصدر الثاني من ياتي بعده من المراجع))[٦٧].

وكان الصدر الثاني يؤكد على حب وطاعة الحوزة بكل علمائها دون تفريق قائلا ((بحب وطاعة الحوزة الشريفة صلوا على محمد وآل محمد، بحب وطاعة المحكمة الشرعية للحوزة العلمية صلوا على محمد وآل محمد))[٦٨] ((ان عائلة الصدر الثاني تمثل النهر الثالث للعراق، هذا النهر، نهر الدم ونهر العلم والوعي والفقه، وان الشهيد محمد صادق الصدر يمثل مشروعا إسلاميا حضاريا، قادرا على مواجهة الاوضاع الخانقة في العراق بعد ان ايقن الكثيرون انه لا مجال لعمل جماهيري علني ضد السلطة بعد الانتفاضة الشعبانية، لقد استطاع الشهيد السيد محمد الصدر، بالعمل الدؤوب والعلاقات القوية بشرائح المجتمع، والتضحيات المتواصلة ان يخلق قاعدة قوية من الأمة تمكن من استدعائها إلى الحضور في الشارع لاداء صلاة الجمعة، ولقد استطاع ان يختصر ازمانا طويلة و يجلب هذه الجماهير إلى الشوارع لتؤكد الحضور الإسلامي المستمر في الشارع العراقي.

ان اقامة صلاة الجمعة ليست بالأمر السهل في الشارع العراقي ان التجمع الجماهيري بحد ذاته رفض للنظام واستفزاز لسلطته.

كانت خطب السيد محمد صادق الصدر، تتضمن العديد من المفاهيم الإسلامية و السياسية و الانتقادات المباشرة و غير المباشرة للسلطة و سياستها، و ان ارتداء السيد كفنه اثناء صلاة الجمعة يوحي ان الرجل كان مصمما على الشهادة فانه يعلم ان المضي في هذا الطريق سيتوج بالشهادة))[٦٩] ((خاطب الصدر الثاني من خلال صلاة الجمعة كافة مكونات الشعب العراقي، خاصة والإسلامي عامة، دون ان يحدد أي مذهب وطائفة او عرق او لون ودعاهم إلى الاعتدال وعدم التطرف والحوار مع الآخر مهما كان بالطرق السلمية وان خصم الأمة الوحيد هم الطغاة و الغزاة وسواهما من ابناء الأمة، هم نسيج

---

٦٦ – الشهيد محمد صادق الصدر، مجلة الهدى، العدد (٧) ٩السنة الأولى، ١ رجب ١٤١٩هـ، ص٤٠.

٦٧ – جواد المالكي، غياب الصدر افقد المشروع الوطني الإسلامي قوة هائلة، صحيفة الموقف، العدد (١٩٢) في ١٨/ اذار/ ١٩٩٩م.

٦٨ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (١٠) في ١٤ صفر ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٦/١٩م.

٦٩ – ابو جعفر المهندس، من كلمة له في اعتصام ١٩٩٩/٢/٢٦م، في العاصمة السياسية لهولندا، لاهاي، نقلا عن عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص١٥٦.

واحد و مصير واحد.. و مستقبل واحد... و هنا يجب تفويت الفرصة على المتصيدين في الماء العكر.. والطارئين على سجايا هذا الشعب الساعين لتمزيق وحدة نسيجه الوطني و تشتيت لحمته الوطنية..))[٧٠] ((ان ابرز ما اشتهر به السيد الصدر الثاني اقامته صلاة الجمعة وتصديه بنفسه لإمامتها في مسجد الكوفة، وهو يرتدي كفن الشهادة، وتعميم اقامتها بمختلف مدن العراق مهما كانت النتائج، وهو مالم يشهده تاريخ العراق السياسي منذ حقبة طويلة، وعبر هذه الحركة النوعية والفريدة والتي اصبح منبرا اعلاميا لتوعية ابناء الأمة، وهذا ما وجد فيه النظام السابق في العراق خطرا مباشرا على مستقبله فسارع إلى تدبير عملية اغتياله..))[٧١].

((لقد صلى السيد الصدر الثاني جميع صلوات الجمعة، في جامع الكوفة إلا واحدة في جامع السهلة في ١٥ شعبان ١٤١٩هـ/ الموافق ١٩٩٨/٢/٤م، و التي حضرها حوالي المليوني مصل، و مع ان هذا العدد الكبير و الاسناد الواسع، استطاع السيد الصدر الثاني ان يتحرك بكل قوة في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر، متحركا بالمفاهيم التي طرحها بالتقية الايجابية، لا خوفا على نفسه، بل إلا اذا كان هناك خوف على الإسلام، وبمفهوم الصبر لا على الظلم، بل على مقارعة الطاغوت والظلم والظالمين. ومن هذا المنطلق امتنع عن الدعاء لرئيس العراق السابق، ومنع جميع وكلائه من الدعاء لرجال السلطة، وكان هذا الموقف بمنظار السلطة السابقة، هو اكبر تحد لها، فحاول رجال السلطة اجبار السيد الصدر الثاني و وكلائه وبجميع الوسائل الدعاء لهم اثناء الخطبة، لكن السيد لم يستجيب لهم، فعينت السلطة مجموعة من ائمة المساجد كائمة لصلاة الجمعة، وبث بين الناس ان هؤلاء هم وكلاء السيد محمد محمد صادق الصدر، فاضطر السيد ومن جامع الكوفة للاعلان وعلى الملا واثناء صلاة الجمعة، بان هؤلاء لا يمثلونه وليسوا بوكلائه، فقامت جماهير المصلين بطردهم من المساجد بالقوة ووضعوا مكانهم وكلاء السيد كائمة لصلاة الجمعة))[٧٢].

((ولم يكتف السيد الصدر الثاني بكل ذلك، بل وضع النظام السابق في خانة قتلة الحسين عليه السلام حين قال في احدى خطب الجمعة (لماذا الصلاة في شارع البصرة والعمارة مسموحة وفي الكوفة ممنوعة؟ نحن لانقبل بذلك، فللحسين قتلة كثيرون في كل جيل وفي الاجيال القادمة —وما استطيع ان اتكلم)).

لقد حاولت السلطة بكل الوسائل ايقاف السيد الصدر الثاني من اداء صلاة الجمعة فرفض الاذعان وتحداهم بلبس الكفن اثناء الصلاة موطنا نفسه على الشهادة.

لقد خاطب السيد الصدر الثاني المقربين منه (جهزوا اكفانكم... لم يبق لنا من الخيار سوى الشهادة)[٧٣].

---

٧٠ – صحيفة الصباح، محمد محمد صادق الصدر درس الدنيا وعبرة الآخرة، العدد (٩٨٦)، في ٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦/١١/٢٨م.

٧١ – صحيفة البلاغ، الشهيد الإمام الصدر، بساطة تجوقها هيبة المتقين وتواضع يشعرك بعظمة الاولياء، العدد (١٣٥) الاسبوع الاخير من تشرين الثاني ٢٠٠٦م، ص٨.

٧٢ – صحيفة اشراقات الصدر، العدد (٢١٧)، في ٢٠٠٦/١١/٢٨م، ص٢.

٧٣ – صحيفة اشراقات الصدر، العدد (٢١٧)، في ٢٠٠٦/١١/٢٧م، ص٧.

اما عن الجهاز المرجعي للسيد الصدر الثاني و وكلائه وائمة الجمع فقد ركز على بعض المواصفات التي يجب عليهم الالتزام بها:

اولا: ركز على التحصيل الاكاديمي المسبق للوكيل، لذا فان الكثير من وكلائه هم من خريجي الجامعات، في اقسام اللغات والهندسة والعلوم الإسلامية، والإنسانية بمختلف اصنافها، اذ ان هذا التحصيل يجعل من الوكيل اكثر فهما لواقع المجتمع واساليبه وتحدياته ومشاكله.

ثانيا: كما ركز السيد الصدر الثاني على ان يكون وكلاؤه على درجة معقولة بالثقافة الاجتماعية والإنسانية العامة.

ثالثا: اكد على عنصر الشباب الذين يشكلون جزءا حيويا من شروط التفاعل مع اجيال الأمة الجديدة لصناعة المستقبل.

رابعا: كان يؤكد لوكلائه (هيأوا اكفانكم)، في اشارة إلى منهجه الثوري، الذي يحتاج إلى وكلاء اشداء يتمتعون بالشجاعة، في وسط امني خطير[٧٤].

خامسا: كان لا يعطي وكالة لشخص لديه وكالة من مرجع آخر، وكان يسعى من وراء ذلك إلى صناعة جهاز وكلائي متماسك ومتميز.

سادسا: لقد فرض السيد الصدر الثاني شروطا قاسية على وكلائه، فيما يخص التصرف بالحقوق الشرعية واستلامها وذلك بما ينسجم مع المنهج الثوري، ويبتعد عن المنحج المادي الذي يتاثر به بعض رجال الدين[٧٥].

ومن اجراءات الضبط التي كان يمارسها الصدر الثاني هي ((عدم اطلاق صلاحيات الوكلاء في المناطق، سواء بمقدار الاجازة الشرعية في التصرف بالامور بتحديد المدة الزمنية، فكان يحدد الوكالات التي يمنحها بفترات زمنية معينة حسب الوكيل لكي يراقب عمله وبالتالي هل يجدد الوكالة او يمنعها عنه، وهو نوع من انواع النظام في الحوزة ومراقبة الطالب الوكيل، لكي لا ينصرف عن راي المرجعية))[٧٦].

سابعا: ومع كل ذلك فان فترة تصدي السيد الصدر الثاني القصيرة للمرجعية حالت دون طموحه فيما يتعلق بالمستوى المعرفي والثقافي لبعض وكلائه[٧٧].

لقد وجه السيد الصدر الثاني الخطباء وائمة الجمعة بعدد من التوجيهات قائلا:

١. ان يكون الخطيب متفاعلا مع الحاضرين، لا ان يلقي الخطبة ويسردها فقط.
٢. ان ياخذ الخطيب بنظر الاعتبار القضايا الاجتماعية التي تخص المنطقة التي يخطب فيها فضلا عن باقي المناطق، وفضلا عن مشاكل المسلمين جميعا.

---

٧٤ – عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص١٧٠.

٧٥ – الشيخ عبد الحليم الزهيري، الشهيد الصدر الثاني يواكب حالات الجيل، صحيفة الموقف، العدد (١٩٢) في ١٨/اذار/١٩٩٩م.

٧٦ – الشيخ عبد الحليم الزهيري، المصدر السابق.

٧٧ – المصدر نفسه.

٣. ضبط اللغة العربية، والاهتمام الشديد بنقل الالفاظ بصورة صحيحة خاصة الايات الكريمة والاحاديث النبوية.
٤. ضرورة تكرر اللقاءات للرقي بمستوى صلاة الجمعة[٧٨].
٥. التركيز على الحمد الذي يكون في اول الخطبة، وانه ينبغي ان يكون مطولا لامختصرا.
٦. ان يتصف إمام الجمعة ويهتم بالجوانب الاخلاقية كترك حب الدنيا والتخلق باخلاق الانبياء[٧٩].

من خلال ما تقدم، نرى السيد الصدر الثاني كان مهتما ومؤكدا على اعداد جيل من خطباء وائمة الجمعة متسلحا بسلاح الثقافة العلمية واللغوية والدينية، لمواصلة اقامة شعيرة الجمعة المعطلة في العراق، والتي سبق وان اكد عليها الصدر الاول قائلا ((انني اطالب باسمكم جميعا ايها العراقيون، باطلاق حرية الشعائر الدينية وشعائر الإمام الحسين عليه السلام، كما واطالب باعادة الاذان وصلاة الجمعة والشعائر الإسلامية إلى الاذاعة))[٨٠].

كما اكد السيد الصدر الثاني على المسير إلى كربلاء في النصف من شعبان من كل عام وكذلك زيارة اربعينية الإمام الحسين عليه السلام في العشرين من شهر صفر قائلا ((انه بالرغم من ان السير إلى كربلاء لم يتم بالشكل الموسع الذي تمنيناه له، إلا انه اثمر ثمرة طيبة وانتج نتاجه الحسن في سبيل الله سبحانه، ونصرة دينه والمذهب، من حيث انه اظهر تكاتف الشعب العراقي كله وخاصة في الوسط والجنوب على العمل في سبيل الله، وفي سبيل الدين والاشادة بشريعة سيد المرسلين، وان السير الطويل لعدة ايام في البراري و القفار في سبيل دم الحسين الذي اهرق ظلما في كربلاء، مع عدم توفر الاقل المجزي من وسائل العيش انما هو دمعة مضيئة في جبين المؤمنين الذين ادوا ما عليهم و لم يقصروا في هذا الطريق، جزاهم الله خيرا.... بحيث راينا الكثيرين منهم حين وصلوا إلى كربلاء لم يكن لديهم اية قدرة على شراء الطعام او النزول ليلة واحدة في الفندق....))[٨١].

المبحث الثالث: المواجهة بين السيد محمد محمد صادق الصدر والسلطة

تحول الصدر الثاني إلى رمز يقود ظاهرة إسلامية مليونية، إلا ان رموز العراق لا يظهرون على صفحات الإعلام العربي والاجنبي إلا بعد التصفية على يد انظمة الحكم، والذي مهد لاعتيال الصدر الثاني عبر تحركات واحتياطات كبيرة، والتي كشفت عنها بعض الصحف العربية[٨٢]. حيث قام النظام السابق بتوجيهاته إلى كافة قوات الحرس الجمهوري، في حالة استعداد قصوى تحت غطاء مشروع تدريبي

٧٨ – المصدر نفسه.
٧٩ – مجلة الهدى، الصادرة عن الحوزة العلمية الشريفة في النجف الاشرف، العدد السادس، السنة الاولى، ١ جمادي الثانية ١٤١٩هـ.
٨٠ – محمد باقر الصدر، النداء الاول للإمام الشهيد الصدر إلى الشعب العراقي، النجف الاشرف، في ٢٠ رب ١٣٩٩هـ، وان نص النداء موجود لدى الباحث.
٨١ – مختار الأسدي، الصدر الثاني، الشاهد والشهيد، ص٧٣.
٨٢ – صحيفة القبس الكويتية، في ٢٧ شباط ١٩٩٩م، ص٣.

اعطي الاسم الرمزي له الفارس الذهبي واستخدم فيه العتاد الحقيقي، وصممت هذه الفرضيات طبقا لحصول تهديدات جوية وتدخل قوات محمولة جوا، تستهدف احتلال اهداف حساسة داخل العراق لاثارة الاضطرابات، حيث تم نقل بعض الوية الحرس الجمهوري من المناطق الشمالية إلى منطقة الفرات الاوسط منها (لواء القوات الخاصة ٣٣ حرس جمهوري) بقيادة العميد الركن قوات خاصة (عباس جاسم) ولواء المشاة الرابع حرس جمهوري بقيادة العميد الركن (علي عطشان جادر عبد القهار)[٨٣]، ولواء المشاة الرابع حرس جمهوري بقيادة العقيد الركن (صباح عبد نجم شبيب)[٨٤] و كان لقرار فصل محافظة (السماوة) عن قيادة منطقة الفرات الاوسط بقيادة (محمد حمزة الزبيدي)[٨٥]، و الحاقها بمنطقة العمليات الجنوبية بقيادة (علي حسن المجيد) صلة بالتدبير لعملية الاغتيال، و ذلك لتخفيف العبئ عن قيادة الفرات و التي تقود محافظات الفرات الاوسط و هي بابل و النجف و كربلاء و واسط و القادسية، فيما تتولى قيادة المنطقة الجنوبية و السيطرة على ثلاث محافظات هي البصرة والناصرية و العمارة، فضلا عن فصل الترابط و عمليات التنسيق بين عشائر السماوة و النجف [٨٦]، وقبل تنفيذ عملية اغتيال الصدر الثاني، قام النظام السابق بنقل قوات حمورابي (حرس جمهوري) إلى منطقة الصويرة وفرقة نبوخذ نصر، حرس جمهوري إلى كربلاء، فضلا عن الالوية التي نقلت من شمال العراق إلى النجف، كأحد الاساليب للسيطرة على الموقف[٨٧].

وفضلاً عن ذلك الاستباق الامني الاحتياطي الذي جاء قبل تنفيذ عملية الاغتيال، فقد حدث تصعيد بين الصدر الثاني والسلطة، وكانت كلها تنذر بوقوع الجريمة، ((ففي شهر رمضان الذي سبق جريمة الاغتيال، حاولت السلطة ان تتدخل في مسار صلاة الجمعة، في الكثير من المدن العراقية))[٨٨] فهي:

١. حاولت ان تبتز هؤلاء الوكلاء من خلال الطلب المتكرر منهم بالدعاء إلى الرئيس العراقي السابق، ولم يكن هذا الطلب جديدا، بل حاولت السلطة مرات عديدة دون جدوى، لذلك قررت ان تستخدم هذا الطلب ورقة ضغط من اجل تصعيد المواجهة[٨٩].
٢. وعندما فشلت السلطة في انتزاع الدعاء لصدام، ذهبت تلجا إلى اسلوبها التهديدي المعروف من اجل ايقاف صلاة الجمعة والتي اصر الصدر الثاني على اقامتها واوصى باقامتها حتى بعد استشهاده بعد ان اصر على رفض الدعاء لصدام بهذه الصلاة مهما كان الثمن[٩٠].

---

٨٣ – المصدر نفسه.
٨٤ – صحيفة الحياة، في عددها الصادر في ٢٠٠١/٢/٢٠م.
٨٥ – من مواليد بابل، ناحية الإمام، عضو قيادة قطرية في حزب البعث، ورئيس الوزراء العراقي السابق، وقائد عمليات الفرات الاوسط اثناء دخول القوات الامريكية العراق عام ٢٠٠٣م.
٨٦ – صحيفة القبس الكويتية، المصدر السابق.
٨٧ – صحيفة الحياة، مصدر سابق.
٨٨ – صحيفة الحياة البنانية الصادرة بتاريخ ١٩ آذار ١٩٩٩م.
٨٩ – عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص٢٥٠.
٩٠ – عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص ٢٥٠.

٣. وفي سياق هذا التهديد حاولت السلطة ان تفرض أئمة جمعة تابعين لوزارة الاوقاف التي تريدها الدولة، إلا أن كل محاولاتها في هذا المجال فشلت لان الناس رفضوا الصلاة وراء عملاء الدولة.

٤. وتطورت المواجهة بعد ذلك إلى صدامات سبقت اغتيال الصدر الثاني في عدد من المدن العراقية، منها الناصرية حيث سقط عدد من الشهداء واعتقلت الدولة عدد من وكلاء الصدر الثاني[٩١].

٥. ثم واصلت الدولة اعتدائها عندما قامت بعملية انزال على مسجد الكوفة والذي له أثر تاريخي واجتماعي كبير في نفوس المسلمين وبذريعة المناورة العسكرية، فقامت قوات الأمن ورجال السلطة والجيش الشعبي بفتح الابواب الرئيسية بالقوة، وكانت هناك قوة عسكرية متحصنة داخل المسجد، واعتبرت هذه العملية استفزازا لمشاعر المصلين والمسلمين بشكل عام وتأتي انتهاكا لحرية اماكن العبادة واستخدم النظام هذه الممارسات لنشر الارهاب والخوف[٩٢].

٦. لم توقف هذه الاجراءات الشهيد محمد صادق الصدر عن الاستمرار في المواجهة والمطالبة العلنية من على منبر صلاة الجمعة في جامع الكوفة باطلاق سراح المعتقلين من خلال هتافات امر جمهور المصلين بترديدها ((نريد.. نريد.. فورا.. فورا.. اطلاق سراح المعتقلين))[٩٣] ثم قال السيد الصدر الثاني ((لاجل استنكار اعتقال خطباء الجمعة ارفعوا اصواتكم بالصلاة على محمد و آل محمد، ولاجل المطالبة باطلاق سراحهم فورا، صلوا على محمد و آل محمد، و لاجل عدم حصول ذلك مستقبلا الصلاة على محمد وآل محمد وهناك فكرة انشاء بناء في مسجد الكوفة ليعيق المصلين في يوم الجمعة، ولاجل استنكار هذه الفكرة الخبيثة الصلاة على محمد وآل محمد))[٩٤].

لقد قام الصدر الثاني بتحويل المطالب إلى شعارات يرددها ويأمر الجمهور بترديدها في سياق خطابه الذي اتسم بالوضوح، ولعل هذه الظاهرة هي الاولى من نوعها في العراق، حيث لم يعتد الشارع العراقي على ان يردد الفقيه الشعار بنفسه مع الجمهور[٩٥].

١. وفي ظل رفض السيد الصدر الثاني ووكلائه المتكرر لطلبات السلطة الدعاء لرئيس الدولة، وفي سياق تصاعد وتيرة المواجهة بين الطرفين قام محمد حمزة الزبيدي[٩٦]، ونيابة عن الرئس العراقي على مطالبة الصدر الثاني وقبل يومين من عملية الاغتيال بفتوى ((تحرير الكعبة)) وآخرى دعوة صدام

---

٩١ – للمزيد من المعلومات حول علميات الاعتقال، والشهداء واسمائهم ومدنهم، ينظر بيان حزب الدعوة الإسلامية حول اغتيال آية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر، بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٩٩م، نقلا عن عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص٢٥١.

٩٢ – صحيفة الموقف السورية، العدد (١٨٨)، ٤ شباط ١٩٩٩م.

٩٣ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٤٢) في ١٣ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٩م.

٩٤ – خطبة الجمعة رقم (٤٢).

٩٥ – محمد باقر الحكيم، صحيفة الرافدين، العدد (١٩٥)، قم المقدسة، آذار ١٩٩٩م.

٩٦ – كان محمد حمزة الزبيدي المسؤول المباشر من قبل حكومة بغداد على محافظات الفرات الاوسط والقائد العسكري العام فيها.

للشعوب العربية للاطاحة بحكامها وثالثة تتعلق باغتيال الشهيدين البروجردي والغروي[٩٧] ورابعا اعلان الجهاد بما يتوافق مع سياسات الرئيس العراقي[٩٨].

٢. طالبت السلطة الصدر الثاني بمنع المسيرة السنوية التي يقوم عشرات الالوف من المشاة إلى كربلاء من مختلف مدن العراق[٩٩]، لكن السيد اصدر امرا إلى الناس بالتوجه إلى كربلاء وذلك خرقا للمنع الذي اصدرته السلطة الامنية وقد استجاب الزوار لطلب الصدر الثاني وتوجهوا إلى كربلاء لكن السلطات سرعان ما طلبت من الصدر التراجع عن موقفه فرفض، فهدد بالقتل وطلب منه ان يكتب ان الظروف لا تسمح بمثل هذه التظاهرة فرفض وكتب امرا يقول ((ان الدولة تمنع الزيارة وعلى الناس الاستجابة))[١٠٠].

ثم طلب النظام منه ان يقلص الحضور لصلاة الجمعة خارج مسجد الكوفة، وحصرها بداخل المسجد فقط لكنه رفض ذلك في الخطبة ووجه توبيخا إلى رجال الامن الذين ضيقوا على الزائرين والمصلين[١٠١].

وفي خطبته الاخيرة قال السيد الصدر الثاني حول المسير إلى كربلاء ما يلي ((لاشك ان افضل ما تفعله أي دولة لمجتمعها ولشعبها هو اعطاء الحرية للتصرف والقيام بالشعائر الدينية والتنفيس عن قناعاته النفسية والعقلية بالشكر الذي لا يضر الدولة اصلا ولا يمت إلى سياستها وإلى كيانها باي صلة اننا الان في نظرهم في ظروف الحصار الاقتصادي الغاشم من الراجح ان نواجه الاستعمار بما يغيضه وخاصة الشعائر الدينية والسير إلى كربلاء المقدسة اذن ستكون هذه الشعير المقدسة إلى جانب السائرين ضد الاستعمار والمستنكرين للحصار وخطوة جيدة يمكن ان تكون تدريجيا لفك الحصار والضغط الشعبي على الاستعمار فما قيل هنا من ان الظرف الحصاري يناسب القول بالمسير إلى كربلاء، ليس امرا مقبولا بطبيعة الحال بل الامر بالعكس ولا يحتاج ذلك الحد إلى التفاته بسيطة إلى واقع الحال الاجتماعي الذي نعيشه))[١٠٢].

٣. وبعد ذلك اتصل صدام تلفونيا بالصدر الثاني وطلب منه منع التحرك فرفض، فصدر امر بوضعه في الاقامة الجبرية، واعتقل وكلاءه في المدن العراقية، لكن الصدر الثاني خرق امر الاقامة الجبرية مع ولديه مصطفى ومؤمل وذهب إلى الكوفة وصلى اخر صلاة جمعة وهي الجمعة (٤٥) مما اغضب السلطة فقررت التخلص منه ودبرت له عملية الاغتيال[١٠٣]. ويقول السيد الحكيم ((ان المواجهة في

---

٩٧ – لقد رفض الصدر الثاني طلبا للنظام قبل خمسة اشهر من استشهاده ان يقول ضمن خطبة الجمعة بان السلطات لازالت تسعى إلى اعتقال المسؤولين عن قتل الشيخين، للمزيد من المعلومات ينظر، صحيفة الحياة اللبنانية في عددها الصادر ٢٤ شباط ١٩٩٩م.

٩٨ – صحيفة نداء الرافدين، قم المقدسة، العدد (١٩٤) آذار ١٩٩٩م.

٩٩ – يتوجه الزوار إلى كربلاء سيرا على الاقدام بذكرى اربعينية الإمام الحسين عليه السلام من كل عام في العشرين من شهر صفر.

١٠٠ – لقاء مع جابر الخفاجي، مكتب الشهيد الصدر، النجف الاشرف، ٢٠٠٦/١٢/١م.

١٠١ – نبيل ياسين، الإمام المغدور، صحيفة الحياة اللبنانية، اذار ١٩٩٩م، ص٨.

١٠٢ – السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة الاخيرة، رقم (٤٥) بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/٢/١٩م.

١٠٣ – نبيل ياسين، المصدر السابق.

اشكالها السرية والعلنية بدات بشكل حاد بين الصدر الثاني والسلطة منذ الاسابيع الاولى لاقامة صلاة الجمعة وحتى اغتياله))[١٠٤]. وفي سياقات استعداد السلطة لتنفيذ اغتيال السيد الصدر قامت مجموعة من عناصر الامن الخاص بالتحرك من بغداد إلى النجف مساء الخميس ١٨ شباط ١٩٩٩م[١٠٥]، وابلغت كافة نقاط السيطرات والمفارز الامنية على الطريق بين بغداد والنجف، بان مجموعة خاصة ستجتاز الطريق في اوقات محددة، مما يتطلب الكتمان والحذر والتاهب وتامين وصول الجميع إلى مناطق امنية لتنفيذ مهمة على جانب من الخطورة، وبعد غروب يوم الجمعة ١٩ شباط ١٩٩٩م اغلقت هذه العناصر كل المحلات العامة في الشارع الذي تمت فيه عملية الاغتيال وابلغ اصحاب المحلات ان شخصية قيادية ستزور الامام علي عليه السلام مما استوجب هذه الاجراءات كما ان مفارز خاصة من وحدات الطوارئ والامن الخاص اغلقت منافذ المدينة والشوارع القريبة من مكتب الصدر الثاني ومنزله))[١٠٦].

عملية اغتيال الصدر الثاني واستشهاده مع نجليه:

استشهد الصدر الثاني مع ولديه مصطفى ومؤمل في الساعة الثامنة والنصف من مساء يوم الجمعة ٣ ذي القعدة ١٤١٩هـ ١٩/٢/١٩٩٩م[١٠٧].

لقد استطعت بتوفيق من الله العلي القدير ان احصل على ادق التفاصيل حول عملية اغتيال الصدر الثاني وولديه، من خلال المقابلات الشخصية للمشايخ والعلماء الذين عاشوا مع الصدر الثاني منذ اول يوم صلى في مسجد الكوفة وحتى استشهاده حيث ودّعهم في باب صحن الإمام علي عليه السلام وتوجه إلى داره الواقعة في احد احياء النجف والذي يسمى (منطقة الحنانة)[١٠٨].

وكذلك حصلت على المعلومات من العديد من المصادر التي كتبت حول عملية الاغتيال ولقد كتب اية الله العظمى الشيخ محمد اليعقوبي وهو أحد طلاب السيد حول عملية اغتيال الصدر الثاني[١٠٩] قائلا.

((وفي صبيحة يوم الجمعة ١٩/٢/١٩٩٩م، ذهبت إلى مكتب الشهيد الصدر الثاني، والذي يقع مقابل الصحن الحيدري الشريف من جهة باب القبلة، وكنت اجلس يوميا في غرفة خاصة، مقابل الغرفة التي اتخذها السيد نفسه للاجابة عن اسئلة الناس وقضاء حوائجهم بعد ان اتسعت مرجعيته في الاشهر الاخيرة وازداد ازدحام الناس، فلم يبق له وقت لهذه المسؤولية فحولها عليّ[١١٠]، وبقي هو لإدارة الامور

---

١٠٤ – محمد باقر الحكيم، صحيفة نداء الرافدين، العدد (١٩٥)، ١١/ اذار/ ١٩٩٩م.
١٠٥ – صحيفة الحياة اللبنانية في ١٩/ اذار/ ١٩٩٩م.
١٠٦ – صحيفة الحياة اللبنانية في ١٩/اذار/ ١٩٩٩م.
١٠٧ – لقاء لباحث مع الشيخ اسعد الناصري في مكتب الشهيد الصدر في النجف الاشرف، يوم الاربعاء ٧/١١/٢٠٠٦م.
١٠٨ – وهو احد احياء النجف الاشرف والذي يقع شمال مرقد الإمام علي عليه السلام باتجاه الشارع المؤدي إلى الكوفة، قرب ساحة ثورة العشرين.
١٠٩ – الشيخ محمد اليعقوبي، الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص ١٢٣ وما بعدها.
١١٠ – المصدر نفسه ص ١٢٤.

العامة وقد شهدنا في ذلك اليوم ان مدينة النجف على غير عادتها فالقوات العسكرية منتشرة في كل مكان والاجواء مكهربة وتسألنا عن سر ذلك فقيل لنا اليوم هو ١٩٩٩/٢/١٩م[١١١]، وهو اليوم الذي تحتفل به المدينة رسميا تحت اسم يوم المحافظة لكننا قلنا ان هذه المناسبة ليست جديدة ولم يكن يحتفل بها بهذه المظاهر من قبل وفي الساعة الحادية عشرة قبل الظهر غادرنا انا والسيد الصدر إلى مسجد الكوفة لاداء صلاة الجمعة، بامامة السيد الصدر الثاني، حيث كان يحجز مكان خلف السيد مباشرة لاعضاء المكتب، ولان اغلب الصفوف المتقدمة تشغل المكان من وقت مبكر، أي قبل طلوع الشمس، لان المصلين ياتون من جميع المحافظات القريبة من النجف لاداء صلاة الجمعة خلف السيد الصدر الثاني[١١٢]، وعندما وصلنا إلى مسجد الكوفة، ارتدى السيد كفنه والقى خطبتي الصلاة وكانت الخطبة الاخيرة الخامسة والاربعين وهي تخص الغجر وان الملفت للنظر في تلك الجمعة هو زحام الناس للصلاة بحيث امتلأ المسجد وشوارع الكوفة القريبة من المسجد، ووصل الزحام إلى جسر نهر الكوفة بالاضافة إلى التواجد العسكري غير المسبوق في النجف والكوفة[١١٣]. وبعد انتهاء صلاة الجمعة ذهب السيد إلى البراني مع اعضاء المكتب والطلبة وذهبت انا إلى داري وعند اذان المغرب قام السيد بصلاة المغرب والعشاء في حرم الإمام علي عليه السلام وكنا نصلي خلفه وبعد انتهاء الصلاة وذهبنا إلى البراني لان السيد الصدر الثاني كانت لديه عادة يوم الجمعة يقيم مجلس عزاء في البراني يستمر حتى الساعة الثامنة مساءا[١١٤] بعدها خرج مع ولديه مصطفى ومؤمل وسلم على الحضور من وكلاء وطلاب وركب بسيارته مع ولديه وكانت من نوع متسوبيشي رصاصية اللون إلى داره في منطقة الحنانة وفي تقاطع ساحة ثورة العشرين تصدت له سيارة امريكية الصنع (نوع اولدزموبيل)[١١٥] وامطرت سيارة الصدر بوابل من الرصاص من رشاشات نوع كلاشنكوف، فاصطدمت سيارة السيد بشجرة كانت على الرصيف قرب جامعة الصدر الدينية فسمع طلاب جامعة الصدر اطلاق الرصاص وعند خروجهم وجدوا سيارة السيد الصدر الثاني وفيها السيد واولاده وشاهدوا ثلاثة مسلحين يركبون السيارة المفتحه الابواب لهم لتنطلق السيارة بسرعة فائقة باتجاه كربلاء[١١٦]، وفي نفس اللحظة جاءت سيارات الامن الخاص ومعها سيارة الاسعاف لنقل المصابين إلى المستشفى فاسرع إلى اثنان من جامعة الصدر هما الشيخ نديم الساعدي معاون العميد لشؤون الطلبة والشيخ علي خليفة من طلبة المرحلة الثانية، وقالوا لي ان السيد واولاده قد اطلق عليهم النار وهم الان في المستشفى الرئيسي فذهبت فورا إلى المستشفى وكانت مطوقة برجال الامن والباب موصدة بوجه المئات من طلبة السيد الصدر ورجال الدين فاقتربت من الضابط المشرف على

١١١ – كان النظام السابق قد خصص لكل محافظة يوم يحتفل به (يسمى يوم المحافظة)، وهو اما مناسبة دينية او مناسبة سياسية لتلك المحافظة.

١١٢ – الشيخ محمد اليعقوبي، السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص ١٢٥.

١١٣ – المصدر نفسه، ص١٢٧.

١١٤ – المصدر نفسه، ص١٢٨.

١١٥ – كان يستخدم هذا النوع من السيارات رجال المخابرات العراقية من ذوي الرتب العالية، لانها حديثة وسريعة.

١١٦ – المصدر نفسه، ص١٢٨.

الباب وعرفته بنفسي فاذن لي بشرط تخلي الناس عن الزحام وابتعادهم عن باب المستشفى فطلبت منهم ذلك فاستجابوا لي على ان اعود إليهم بالخبر الصحيح وعندما دخلت إلى جناح الطوارئ وجدت السيد مقتدى والسيد سلطان كلانتر[١١٧]، والشيخ اسعد الناصري[١١٨] والشيخ احمد الكوفي[١١٩]، والشيخ جابر الخفاجي[١٢٠]، فحاولت الدخول إلى غرفة العمليات للتأكد من حالة السيد فمنعوني لكن الوضع يشير إلى انتهاء كل شيء فدخل الشيخ اسعد الناصري إلى غرفة العمليات فوجد السيد الصدر الثاني والسيد مؤمل قد قضي نحبهما اما السيد مصطفى فقد بقي يعاني النزعات الاخيرة[١٢١] فانسحب السيد مقتدى والشيخ اسعد الناصري إلى دار السيد الصدر الثاني ليكون السيد مقتدى قريبا من العائلة وبقينا نحن في المستشفى حتى استدعينا إلى غرفة الطبيب لاخذ المعلومات من اجل املاء شهادات الوفيات ثم انتظرنا اكثر من ثلاث ساعات لتسليم الجثامين إلينا وقد اغلقت الشوارع العامة ومنع التجوال وكنا لا نرى سوى سيارات الامن والامن الخاص والسيارات العسكرية وقد قمت بالاتصال ببعض زعماء الحوزة ورجال الدين في النجف من اجل الحضور لاستلام الشهداء والصلاة عليهم ولكن دون جدوى[١٢٢]، وفي تمام الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل قمت انا واخواني من طلبة الصدر الثاني بحمل الاجساد في سيارة مكشوفة ترافقنا اكثر من اربعين سيارة صغيرة وكبيرة وهي تحمل القوات المدججة بالسلاح إلى المغتسل[١٢٣]، فقام طلبة السيد باجراء عملية الغسل والتكفين واستمرت عملية الغسل حتى صلاة الصبح وكان من بين قادة الامن طاهر جليل الحبوش مدير الامن العام وقائد حسين العوادي محافظ النجف وعدد من ضباط الجيش والامن والامن الخاص وكان محمد حمزة الزبيدي وحمايته الخاصة ينتظرون في بناية محافظة النجف اكمال عملية الدفن، وعلمت انه كان على اتصال مباشر بالهاتف مع قصي الذي يامره باكمال عملية الدفن قبل شروق الشمس، ثم قمنا بحمل الاجساد الثلاثة إلى ضريح الإمام علي عليه السلام للصلاة عليها وكان السيد الشهيد يقول لنا اذا قال استشهدت او مت فلا يقوم احد

---

١١٧ – لقاء للباحث مع الشيخ احمد الكوفي، مكتب الشهيد الصدر في النجف الاشرف يوم الاربعاء ٢٠٠٦/١١/٧م.

١١٨ – من مواليد ١٩٧٢م الناصرية، احد طلاب الصدر الثاني، من عام ١٩٩٣م وحتى ١٩٩٩م، امام صلاة الجمعة في الناصرية عشرون جمعة، ومدينة الصدر ١٠ جمع، صلى خلف السيد الصدر الثاني في جامع الكوفة (٤٥صلاة)، وصلى مع السيد صلاة المغرب والعشاء في يوم ضريح الإمام علي عليه السلام، لقاء للباحث مع الشيخ اسعد الناصري في مكتب الشهيد الصدر، النجف الاشرف في ٢٠٠٦/١١/٧م.

١١٩ – ولد في الكوفة عام ١٩٧٠م، استاذ فقه واصول في الحوزة العلمية، تتلمذ على يد الصدر الثاني في الفقه والاصول والبحث الخارج، حضر مع السيد جميع صلوات الجمعة، له مؤلفات منها خطوات رسالية ١٩٩٩م، نحن والعولمة ٢٠٠٣ن، شارك في العديد من الندوات والدراسات الدولة، القى العديد من المحاضرات في جامعات بغداد والكوفة وكربلاء، لقاء للباحث مع الشيخ احمد الكوفي في مكتب الشهيد الصدر في النجف الاشرف يوم ٢٠٠٦/١١/٨م.

١٢٠ – ولد في الكوفة عام ١٩٦٣م، درس على يد السيد الصدر الثاني الفقه والاصول والبحث الخارج، مسؤول الرواتب في مكتب الصدر الثاني، امام جمعة في المشخاب والشامية، اعتقل عدة مرات في حياة الصدر الثاني، قاضي شرعي في مدينة الصدر، يشغل الان احد اعضاء مكتب الشهيد الصدر الثاني في النجف الاشرف وكذلك تدريس طلبة الحوزة العلمية، لقاء للباحث مع الشيخ الخفاجي يوم ٢٠٠٦/١١/١م.

١٢١ – الشيخ محمد اليعقوبي، السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص١٣٤.

١٢٢ – المصدر نفسه، ص١٣٥.

١٢٣ – المصدر نفسه، ص١٣٦.

باطافة جنازتي حول الضريح المقدس لانه يقول فيها اشكال معنوي، وتقدمت للصلاة باذن ولي الفقيد السيد مقتدى وصلى خلفي خمسة عشر من اخواني طلبة السيد ولكن محاطين بعشرات من رجال اشترى السيد قطعة لتكون مدفنا له[١٢٤]. وبدانا بدفن الاجساد وكان الجو ممطرا وطلبت من السيد محمد الصافي ان ينشدنا ابياتا في رثاء الحسين عليه السلام فانشد عينية الجواهري[١٢٥]

فـــداء لمثـــواك مـــن مضـــجع تنـــــور بالابلـــــج الاروع
شممـــت ثـــراك فهـــب النســـيم نســـيم الكرامـــة مـــن بلقـــع[١٢٦]

وقبل ان ندفن جسدي الشهيدين مصطفى ومؤمل انسحب محافظ النجف قائد حسين العوادي ومدير الامن العام طاهر جليل الحبوش ليزفا البشرى إلى محمد حمزة الزبيدي وقصي بانتهاء كل شيء[١٢٧].

وقد سجل الدكتور علي حسين الشمري المختص بامراض الباطنية والقلبية مشاهداته للحظات الاخيرة من حياة السيد الصدر الثاني ونجليه حيث كان هو الدكتور الاختصاصي الخفر الموجود في داخل المستشفى عند حصول عملية الاغتيال وكانت مشاهداته مطابقة لما ذكره الشيخ محمد اليعقوبي وطلاب السيد الصدر الثاني والذي اجرى الباحث معهم عدة لقاءات[١٢٨].

ولقد نقلت صحيفة الحياة[١٢٩] في اول تاكيد من نوعه على المستوى الخارجي من اغتيال السيد الصدر الثاني واتهام قصي النجل الاصغر للرئيس العراقي باعطاء الاوامر باغتيال الصدر الثاني واكدت الصحيفة نقلا عن النقيب في جهاز المخابرات خالد ساجت عزيز الجنابي[١٣٠]، انه كان في وقت الحادث في غرفة العمليات الخاصة التابعة لجهاز المخابرات حيث استمع إلى مكالمة هاتفية جرت بعد وقت قصير على عملية الاغتيال بين قصي وعضو القيادة القطرية رئيس الوزراء السابق محمد حمزة الزبيدي والذي كان موجودا في مستشفى النجف واوضح النقيب الجنابي ان قصي عندما علم ان الصدر الثاني لم

---

١٢٤ – لقاء للباحث مع الشيخ اسعد الناصري والشيخ احمد الكوفي والشيخ جابر الخفاجي والشيخ كاظم الناصري، مكتب الشهيد الصدر الثاني في النجف الاشرف، ودار حوار صريح حول عملية الاستشهاد والتغسيل والدفن للشهيد الصدر الثاني كما شاهدوه.

١٢٥ – هو محمد بن الشيخ عبد الحسين الجواهري، شاعر العرب الاكبر، ولد في النجف الاشرف عام ١٩٠٠م، انتقل إلى بغداد وعمل في الصحافة، اغترب اكثر من مرة ثم عاد إلى الوطن، ثم اغترب اغترابه الاخير في سوريا حيث توفي في مستشفى دمشق عام ١٩٩٧م، للمزيد من المعلومات بنظر، د.سمير كاظم خليل واخرون،الجواهري شاعر العرب الاكبر، ط٢، شركة الوفاق للطباعة، ٢٠٠٥م، ص٥٢ وما بعدها؛ احمد ابو سعيدة، الشعر والشعراء في العراق، بيروت، ١٩٥٩م، ص١١٢؛ ادهم الجندي، اعلام الادب والفن، ج٢، دمشق، ١٣٧٨هـ، ص١٨٧.

١٢٦ – كتبت هذه القصيدة بماء الذهب على الرواق الحسيني الشريف، للمزيد من المعلومات ينظر، محمد عباس الدراجي، القصائد الخالدات في حب آل البيت، مكتبة الامير، بغداد، ١٩٨٩م، ص٩٠ وما بعدها.

١٢٧ – الشيخ محمد اليعقوبي، السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص١٣٩.

١٢٨ – للمزيد من المعلومات التي ذكرها الدكتور علي حسن الشمري وكذلك ما كتب عن عملية الاستشهاد في الروايات الأخرى، ينظر الشيخ محمد اليعقوبي، السيد الشهيد الصدر الثاني كما اعرفه، ص١٤٣ وما بعدها؛ صحيفة الموقف العدد (١٩٠) في ٢٥ شباط ١٩٩٩م؛ صحيفة القدس العربي الصادرة في لندن ٢٣ شباط ١٩٩٩م؛ عبد الامير الركابي، السلطة العراقية والمعارضة والمجتمع، دلالات في ضوء مقتل الإمام الصدر، صحيفة الحياة في ١٥ نيسان ١٩٩٩م.

١٢٩ – صحيفة الحياة ٢٠ شباط ٢٠٠١م.

١٣٠ – وهو شقيق الفريق الركن كامل ساجت عزيز الجنابي، والذي كان يشغل منصب قائد فيلق في الجيش العراقي، والذي قتل في بغداد عام ١٩٩٨م، واتهم قصي نفسه بقتله.

يقتل وانما كان مصابا امر الزبيدي بقتله واكد النقيب انه تمكن من الاستماع إلى المكالمة مع ثلاثة من ضباط المخابرات حيث كان مناوبا لتامين الاتصالات في غرفة العمليات التابعة لجهاز المخابرات لحظة حصول الاغتيال وعدد الجنابي اسماء الضباط وهو النقيب محمد جاسم عطية العاني والنقيب مصلح صالح الدليمي والملازم الاول عباس حسن خضر الدوري وذكر ان العقيد صافي بحر هزاع العزاوي والذي كان يعمل في الشعبة الفنية للعمليات الخاصة ومرافقا للزبيدي في المستشفى اكد بان الزبيدي نفذ الامر باطلاق رصاصة من مسدسه على راس السيد الشهيد الصدر ويذكر ان خالد الجنابي غادر العراق بعد اشهر على اغتيال الصدر الثاني[١٣١].

ونتيجة لردود الفعل ضد اغتيال الصدر الثاني ونجليه في داخل العراق وخارجه والتي سنتطرق إليها في الصفحات القادمة دفعت السلطة لاعداد سيناريو للهروب من مسؤولية الاغتيال ((وكانت مديرية الامن العامة في العراق اعلنت اعتقال اربعة رجال دين شيعة[١٣٢] واتهمتهم باغتيال الزعيم الديني الراحل محمد محمد صادق الصدر ونجليه الاربعة هم الشيخ عبد الحسين عباس الكوفي، والشيخ علي كاظم حماز، والطالبان في الحوزة العلمية احمد مصطفى حسن اردبيلي، وحيدر علي حسين وقال بيان مديرية الامن العامة ان نتهما خامسا لايزال هاربا وان الهدف من اغتيال الصدر هو احداث فتنة لخدمة المخططات الامريكية والصهيونية و وصف المعتلقين بانهم مخابرات وعملاء ماجورين))[١٣٣]. وقد عرض التلفاز العراقي تسجيلا روي فيه قصة المعتقلين والذين يرتدون زي رجال الدين الشيعة، واكد انهم هم الذين قاموا باغتيال الصدر الثاني ونجليه. واعلنت السلطة الحاكمة بعد ثلاثة اسابيع عن تنفيذ حكم الاعدام بهؤلاء الاربعة اتهمتهم باغتيال السيد الصدر الثاني ونجليه[١٣٤] وارجعت اسبابه إلى صراعات مرجعية. لكن السيد حسين الصدر[١٣٥] رد على هذه المزاعم بقوله ((ان ما يقال عن وجود خلافات بين اجنحة المرجعية الشيعية في داخل النجف وخارجه وان مايشاع عن هذه الخلافات باعتبارها مسؤولة عن اغتيال محمد صادق الصدر وولديه وقبلهم البروجردي والغروي اوهاما في اذهان الناس))[١٣٦].

الخاتمة

يتضح مما تقدم:

---

١٣١ – صحيفة الحياة ٢٠ شباط ٢٠٠١م؛ صحيفة البلاغ، العدد (١٣٥)، والتي تصدر عن مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، الاسبوع الاخير من شهر تشرين الثاني، ٢٠٠٦م، ص٥.

١٣٢ – عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص٢٥٩.

١٣٣ – بارعه علم الدين، معارضة خارج العراق، كتبت هذه المقال تحت عنوان، (لماذا تجاهلت واشنطن ولندن تحذيرا من تصفية الصدر عندما اتصل بنا الصدر وقال صدام يريد ان يقتلني)، فسارعت المعارضة للاتصال بالامريكان والبريطانيين وطلبنا منهم ان يتحركوا لانقاذ الصدر فلم نجد تجاوبا من الحكومتين، ولم تصدر حتى بيان استنكار بعد عملية الاغتيال، صحيفة الحياة في ٢٠ شباط ١٩٩٩م.

١٣٤ – عادل رؤوف، مرجعية الميدان، ص٢٥٩.

١٣٥ – للمزيد من المعلومات عن السيد حسين الصدر، ينظر علي محمد صادق الصدر، آل الصدر في التاريخ، ص١٢٣.

١٣٦ – مجلة المجلة، العدد (٩٩٤)، الصادرة في ٦ اذار ١٩٩٩م.

١. مثلت التجربة الصدرية الثانية في العراق صورة تصاعدية من صور حركة الإسلام السياسي في المسيرة الإسلامية العامة في العالم الإسلامي وفي العالم اجمع، وبقدر ما عكست هذه الصورة، وهذا مشروع الصدر الثاني من خصوصية نابعة من الظروف والجغرافية والابداع الذاتي الفقهي الثوري، فانها عكست من خلال الاداء العام لهذا المشروع وابياته تواصلا مع الحركة الإسلامية العالمية بكل صورها ومظاهرها الاخرى، وان نصا من نصوص السيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر في هذا الاطار يكفي لوضوح هذا المعنى في مكامن مشروعه التغييري، المعنى المعبر عن وحدة مصير الإسلام في هذا العالم، وهاجس اكتشاف تنسيق اجزائه ((حيا الله جمهور المؤمنين المخلصين في العالم كله الناصرين لدينه والذابين عن شريعته والمجاهدين في سبيله)). هذا النص يكفي لاكتشاف الوعي التكاملي لحركة تغييرية تقوم على تعدد ولاية الفقيه وولاية الامر مع الحركة الاجمالية بكل تجلياتها للعالم الإسلامي،فاذا كان الطريق إلى التكامل والوحدة والانسجام، لا ياتي عبر المناهج المباشرة فعندئذ سنكتشف ان الخطاب ((المتوتر)) ازاء الفقهاء ((الساكتين)) وان انقسام الشارع العراقي حول ((المرجعية)) وان جهود الاصلاح للحوزة ستصبح شرطا ضروريا للوصول إلى تاسيس المشروع التغييري السليم، لانجاز وحدة حقيقية، وتكامل حقيقي، ومن هنا يقدم لنا الصدر الثاني منهجا عمليا للوصول إلى هذا التكامل، وهو منهج الجدل الداخلي لا من اجل الجدل الداخلي بذاته انما من اجل الوصول إلى الاهداف الكبرى.

٢. قدم السيد محمد محمد صادق الصدر نموذجا جديدا لتعاطي الفقيه مع السلطة، وهو نموذج يجد له مصاديق في تاريخ اشكالية العلاقة بين الفقيه والسلطة. إلا ان الجديد فيه كما اشرنا في ((المفارقات)) هو سلطة صدام حسين بكل خصوصياتها الدموية وامكانية ((تحييدها)) لفترة، وانتزاع بعض الادوات من يدها، والدخول معها في معادلة صراع علنية معادلة، هي بحاجة إلى قراءة دقيقة للمتغيرات التي مرت بها السلطة، والمؤثرات الخارجية عليها، ومن ثم تثمير هذه المتغيرات والمؤثرات لصالح المشروع بأصح ذاتي من جهة، وبناء إسلامي جديد من جهة ثانية. لقد خاض الصدر الثاني هذه المعادلة والتقط كل الفرص الداخلية والخارجية لكي يكون طرفا قويا فيها، وهذا ما لم يفكر فيه فقيه او مرجع في العراق. ولذلك فهو تحمل ما سيقال عنه كثمن لذلك. ولو ان ما يقال سيكون قاسيا ومريرا، فهو ازاء من كان يقول عنه بانه ((فقيه السلطة)) او ((مرجع السلطة)) مارس خطابا لا ينفك يوضح، ويحاول ان يحيد خصومه، ويحاول باتجاه التوحيد، رغم بعض ((التوتر)) الذي انطوى عليه، مزودا بحسه الاستشهادي و بخبرة متراكمة هضمت صورا و انماطا للصراع مع السلطة و العلاقة معها، و لتجارب ثورية وتغييرية داخلية وخارجية كبيرة اذ ان مؤهلاته الفقهية والفكرية وهذه الخبرة، وقرار الاستشهاد وسلوكه المطابق لقوله، شكلت جميعا مادة انطلاقته في اتخاذ القرار والشروع بمشروعه التغييري.

٣. انطلق مشرع، السيد الصدر الثاني اول ما انطلق نحو بناء قاعدة شعبية متفاعلة وجاء هذا البناء متصاعدا عبر خطوات تحرك كبرى باتجاه الوسط الاجتماعي والعشائري، تطلبت الخروج على

((المالوف)) المرجعي او على ((العرف)) المرجعي وقيامه بجولات وزيارات إلى العشائر العراقية والاطلاع على اوضاعها وبناء علاقات معها ومن ثم اخيرا وضع فقه خاص بها اندرج في السياق، كما تطلب بناء القاعدة الشعبية، تجاوز خطاب ((الفقيه)) المكتوب إلى خطاب الفقيه المسموع، وإلى تنشيط الاتصالات مع الناس، وإلى مواكبة همومهم وشؤونهم والعمل بفقه الواقع او فقه الحياة بكل ما تلد من جديد مع مرور الزمن اضافة إلى التواجد الميداني معهم، وربط مصير الفقيه مع مصيرهم. وبالطبع ان هذا الواقع لم يالفه الشعب العراقي من قبل لذا فانه شكل ووضوحا له بدور الفقيه، ومن ثم تعاطفا معه.

٤. اثبتت تجربة الصدر الثاني ان الشعب العراقي يختزن الاستجابة للعمل الإسلامي وان هناك قصورا قياديا دينيا في تحريك عوامل التفاعل لديه، ومن ناحية اخرى فان الظروف الاستثنائية التي يمر بها هذا الشعب و المتمثلة بالحصار والجوع والارهاب آنذاك قد مثلت عاملا اضافيا في انجاح التجربة الصدرية الثانية، اذ ان هذه الظروف القاسية تدفعه – أي الشعب – دائما إلى التطلع نحو البديل، عبر قيادة ميدانية جديدة تدفع به على الدوام نحو البحث عن متنفس يعبر به عن مشاعره و الأمة، وبحكم تجريب هذا الشعب لتجارب سياسية عديدة لم توصله إلا إلى هذا الواقع السيء، فانه تفاعل و لازال يتفاعل مع طرح الإسلامي اذ بمجرد ان تحرك السيد محمد محمد صادق الصدر باتجاهه فانه استجاب استجابة واضحة لا تخلو من الشجاعة، و ربما ان هنالك من يقول ان استجابة هذا الشعب انطلقت في جزء منها من وعيه بموقف السلطة التي — سمحت – للصدر الثاني، بالتحرك الامر الذي ازال جزءا من المخاوف لديه، ومن ثم قرر الالتحاق بهذه التجربة ولذا فان الناس الذين التقوا بركب الصدر الثاني لم ينتفضوا كلهم بعد اغتياله. وربما تكون وجهة النظر هذه ((صحيحة)) بشكل جزئي ومحدود واذا قيست التجربة بنتائجها وكلياتها وظروفها واحتياطات السلطة وطبيعتها فان الامر لا يبدو كذلك فالجمهور الصدري الثاني كان له رد فعل ولو انه لا يتناسب مع ما حصل بحكم الظروف الامنية القاسية التي تقيده إلا انه ومن المؤكد قد اختزن وعي هذه التجربة المهمة من تاريخه المعاصر.

٥. تمثل المحور الآخر الذي شكل معلما من معالم مشروع الصدر الثاني التغييري بالعلاقة بين الحوزة والأمة، واكتشاف الاليات والاساليب والطرق الكفيلة بايجاد علاقة من نوع اخر بينهما، وكانت صلاة الجمعة اكبر آلية تواصلية بين الفقيه والمجتمع وبين الحوزة والأمة، اذ لم يعمل بهذه من قبل، إلا بشكل محدود، ولوعي السيد الصدر الثاني باهميتها فانه اعطاها اهمية استثنائية، واوصى بضرورة او وجوب مواصلتها حتى بعد موته، فاستطاع بذلك ان ينجز شبكة من المفاهيم الخاصة، مفاهيم دينية– اجتماعية، ومفاهيم حول شؤون القيادة ومفاهيم حول الشؤون الثقافية والسياسية الاخرى شكلت بمجملها نسيجا معرفيا متجانسا، ميزه عن سواه من الفقهاء، وحدد ملامح مشروعه و تجربته، فلقد جاء هذا النسيج المعرفي بشيء من الفرادة والخصوصية والابتكار، فهو تجاوز المشتركات والثوابت من خلال استيعابها، وابرز معالم قراءته الخاصة لتعاليم الإسلام التي تنتمي للاجتهاد

البشري، او الفهم البشري للدين والرسالة السماوية، ولذا فهو لم ينتمي بعد استشهاده إلى تاريخ (الفقهاء التقليدين) بل انه انتمى إلى تاريخ الفقهاء الثوريين المبدعين المطورين المجددين، واضاف إلى تراكمهم المعرفي تجربة جديدة لها فرادتها في كثير من الامور والمسائل.

٦. وما بدى على هذا المشروع انه جاء في جزئه العملي والنظري الاكبر اكمالا او ترجمة لطموح الشهيد الصدر الاول (محمد باقر) الذي بقى حبيسا في صدره ولم تسمح له الظروف، لا ظروف الصراع مع السلطة ولا ظروف المؤسسة الدينية الشيعية الداخلية ولا ظروف الوعي المجتمعي ان يتصدى لها اذ على رغم المغايرة الواضحة في امور عديدة فكرية وغير فكرية بين الصدرين الأول والثاني، ورغم احتفاظ تجربة الصدر الثاني ببعض الخصوصيات الميدانية إلا ان التجربة بشكل عام جاءت وكانها صدى لاماني الصدر الأول لاصلاح الحوزة وفي وجوبية توجهها نحو المجتمع وفي ابراز الوجه السياسي لحركة الإسلام وفيما قضى الصدر الأول حياته في بحوث فكرية متطورة بغية ارساء جذور واساس المدرسة الإسلامية بكل ابعادها الفلسفية والاقتصادية والاجتماعية وبدا بدايات في تطوير المنهج الحوزوي واعلن خطابا نظريا لا يخلو من النقد لواقع هذه الحوزة وتحرك سياسيا تحت ثقل الظروف الخارجية التي ربما تكون ساعدت على دفعه على تسريع الجانب السياسي العملي من مشروعه، جاء الصدر الثاني من شقين شكلا الافراز العلوي الغائب أو الذي غيب في مشروع الصدر الأول الشق المتعلق بدور الفقيه العملي، الميداني الاجتماعي، الإسلامي المندك في الأمة والمرابط معها بعد ان اكتشف آليات واساليب تعبئتها، والشق الثاني الذي يواكب حركة التجديد الفقهي بما يتناسب مع المستجدات والتطورات وهكذا بدا المشروعان متغايران في ادوارهما تبعا لاختلاف الظروف والقدرات الذاتية، وفي نفس الوقت كملا بعضهما البعض، في صيرورة تصاعدية تكاملية، قائمة على تواصل معرفي في حياتهما قبل الاستشهاد، وعلى رابطة دم شاء الله ان يجعلها هكذا، ولو انها فسرت من البعض، تفسيرا ثاريا من الصدر الثاني لدماء الصدر الاول والقدرات الذاتية والخصوصيات الشخصية فان مغايرة اخرى اساسية بين التجربتين او المشروعين، جاءت كتمايز في المنهجين، وايضا تبعا للظروف في تعاطي الصدرين مع اشكالية الفقيه والسلطة، ففيما رفض الصدر الاول ((تحييد)) السلطة لاكمال مشروعه، اجتهد الصدر الثاني بهذا التحييد الذي لولاه لما تم لنجاز مشروعه، وبالتالي لما حصل هذا التكامل التصاعدي بين المشروعين.

٧. ان الدور العملي الميداني الاجتماعي التجديدي للسيد الصدر الثاني الذي ميز مشروعه التغييري لم يات إلا وفق خطة تحرك عليها هذا المشروع، خطة لمرتكزات وآليات واولويات بدات بـ ((تحييد)) السلطة ومن ثم مرتكز ايجاد قاعدة شعبية ومرتكز اصلاحي داخلي للواقع الإسلامي وواقع الحوزة ومرتكز تاسيس منظومة مفاهيم متجانسة ومتكاملة مثلت خصوصية التجربة الصدرية الثانية، وكل تلك المرتكزات كانت ممزوجة بواقع سياسي وخطاب سياسي يحاول ان يؤهل المشروع التغييري سياسي يشكل افرازا علويا لهذا المشروع التغييري إلا ان السطلة الحاكمة قطعت الطريق على تجسيد هذا الافراز العلوي (المشروع السياسي) مثلما قطع الطريق على تجسيد الافراز العلوي الذي مثله

فيما بعد مشروع الصدر الثاني على الصدر الأول. ان (قانون) الموت والقتل والاغتيال الذي عمل به النظام السابق لعرقلة حركة المشروع الإسلامي العام في العراق، لم يحل رغم بشاعته دون تنامي هذا المشروع.

٨. ان قرار اغتيال الصدر الثاني، بعد ان شكل ظاهرة ملفتة للنظر وملابسات هذا الاغتيال وتوصيف المواقف الخارجية، ولا سيما الامريكية ازاءه لابد ان يقود إلى فهم هذه الظاهرة من خلال المواجهة الامريكية الإسلامية الكلية اذ ان فهم الموقف الامريكي السلبي من اغتيال آية الله محمد محمد صادق الصدر يتطلب تحليلا على مستويين، المستوى العراقي البحث المحدود بدائرة العراق في الاهتمام الامريكي، ومسار الدور الامريكي المتصاعد في ملفه، ومستوى المواجهة الامريكية الغربية الاوربية مع ((الإسلام السياسي)) الصاعد منذ انتصار الثورة الإسلامية في ايران، وحتى اليوم، وفي المستوى الاول ربما شكل اغتيال الصدر الثاني هدفا مشتركا امريكيا صداميا.، فواشنطن التي تبحث عن بديل صدام حسين على مدى ما يقارب التسع سنوات كانت ترصد نمو الظاهرة الإسلامية في العراق التي قادها واسسها الشهيد محمد محمد صادق الصدر، وانطلاقا من سلبياتها ازاء الإسلاميين والمعارضة العراقية الإسلامية التي تجلت في محطات مهمة من تاريخ الازمة العراقية الراهنة كانتفاضة شعبان/ اذار/ ١٩٩١م، وحصار السلطة للإسلاميين في الاهوار، والتفرج على ابادتهم وخلق ((معارضات)) عراقية تعرقل عمل المعارضة الإسلامية وتخفف من لونها، ومحاولة اختراق المعارضة الإسلامية العراقية.. انطلاقا من كل ذلك فان شعورها ازاء ظاهرة الصدر الثاني الإسلامية ومشروعه التغييري سيكون شعورا متسما بالخوف على مصالحها من تطور هذه الظاهرة ونجاحها ولقد تجسد هذا الخوف الامريكي السلبي من خلال مواقفها من عملية اغتيال الصدر الثاني، فهي مواقف جسدت سلبية عميقة لمن يحاول ان يصل إلى حقيقة ((الضوضاء)) الامريكي الذي سبق اغتيال الصدر الثاني باربعة أو خمسة اشهر تقريبا، أي قبل وبعد ما سمي بقانون ((تحرير)) العراق الذي اتخذه الكونغرس الامريكي والـ((٩٧)) مليون دولار التي رصدها كمساعدات للمعارضة العراقية فلقد ملئت الدعاية الامريكية العالم ضجيجا حول ((جديتها)) في الغيير هذه المرة، عبر كل السيناريوهات بما فيها سيناريو تفجر انتفاضة جديدة ضد النظام الحاكم في العراق، إلا ان درجة وسياق التوتر الذي خيم على الشارع العراقي، وانفجاره على شكل صدامات واحتجاجات محدودة مع قوات امن السلطة في العراق، كان يشكل احتمالا شبه اكيد لانفجار كلي في الشارع العراقي لو ان واشنطن تدخلت بشكل من الاشكال، إلا انها أي واشنطن بقيت متفرجة على الاغتيال وما بعده من ردود فعل، من وحي الاحساس والشعور المشترك مع صدام حسين برغبة التخلص من هذه الظاهرة الصدرية الثانية، ومن هنا فان الاغتيال تحول إلى هدف مشترك للاثنين، الولايات المتحدة وصدام حسين.

٩. بيقى ان نؤكد في خاتمة هذه ((الخاتمة)) حجم المعاناة والصبر والتحمل والاصرار للشهيد محمد محمد صادق الصدر من اجل انجاز هذا المشروع التغييري الاصلاحي الجذري، الذي اسسه ورعاه، ورسم

ملامحه من خلال خطوط عامة ومحاور ومرتكزات وضحها هذا البحث بشكل توثيقي، مشروع ختمه باستشهاد ((مرجعي)) لا ينتمي إلى تاريخ الاستشهاد المتعارف انما ياتي حصيلة لثقافة حسينية ونبض عرفاني ينتمي إلى عرفان ((الواقع)) وليس إلى عرفان الانعزال والخرافة، وقرار استشهادي واضح واع، اكدته المنقولة عنه، واكده السلوك الذي مارسه، واكده الكفن الذي لفه واقفا في صلاة الجمعة قبل ان يلفه في قبره الذي وضع فيه، بلا تشييع وبطريقة سرية، تحت جنح الظلام، حاضنا ولديه ((مصطفى)) و ((مؤمل)) كما دفن الشهيد الصدر الاول مع اخته ((بنت الهدى)) وسوف لن يستطيع احد ان يغير او يزور هذا التاريخ للصدر الثاني الذي حكمته وتيرة من السجن والدرس والتقوى والثورية.

١٠. اما ما قيل عن علاقته بالسلطة اثبتت الاحداث الاستغناء عن العودة إلى مناقشته واثبت هذا البحث في سياق الاشكالية التاريخية لعلاقة الفقيه الشيعي مع السلطة انه اكبر من جراة البعض واستيعابهم على هضمه وفهمه، هذا اذا ما تجاوزنا القصدية المسبقة لدى البعض الاخر الذي اطلق العنان لتوصيفات متحاملة بتسميته بفقيه السلطة. لقد اثبتت الاحداث وهذا البحث الاستغناء عن العودة إلى تسمية بـ((فقيه السلطة)) إلا بما الحقته هذه التسمية به من ظلم فادح، كابده في حياته وواجهه كما واجه الالام الاخرى التي تحملها من اجل ان يؤسس مشروعه التغييري ويترك ((بصمة)) في تاريخ العراق السياسي وفي تاريخ العمل الإسلامي الحركي والمرجعي.

المصادر

١- المقابلات الشخصية:

١- مقابلة للباحث مع الشيخ أسعد الناصري في مكتب الشهيد الصدر في النجف الأشرف ٢٠٠٦/١١/٧م.

٢- مقابلة للباحث مع الشيخ أحمد الكوفي في مكتب السيد الشهيد الصدر في النجف الأشرف ٢٠٠٦/١١/٧م.

٣- مقابلة للباحث مع الشيخ جابر الخفاجي في مكتب السيد الشهيد في النجف الأشرف ٢٠٠٦/١١/٧م.

٤- مقابلة للباحث مع الشيخ كاظم الناصري في مكتبه، النجف الأشرف ٢٠٠٦/١١/٧م.

٥- لقاء مع جابر الخفاجي، مكتب الشهيد الصدر، النجف الاشرف، ٢٠٠٦/١٢/١م.

٢- الكتب والموسوعات

١- احمد ابو سعيدة، الشعر والشعراء في العراق، بيروت، ١٩٥٩م.

٢- ادهم الجندي، اعلام الادب والفن، ج٢، دمشق، ١٣٧٨هـ.

٣- باقر أمين الورد، أعلام العراق الحديث، راجعه وقدم له ناجي معروف، ط١، أوفسيت الميناء، بغداد، ١٩٧٨.

٤- خليل علي مراد و آخرون، دراسات في التاريخ الاوربي الحديث والمعاصر، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل، ١٩٨٨.
٥- زكي نجيب محمود، حياة الفكر في العالم الجديد، ط١، مكتبة الانكلو مصرية، القاهرة، ب ت
٦- د. سمير كاظم الخليل وآخرون، الجواهري شاعر العرب الأكبر، شركة الوفاق للطباعة، ط١، ٢٠٠٥م.
٧- عادل رؤوف، محمد محمد صادق الصدر، مرجعية الميدان، المركز العراقي، للإعلام والدراسات، ط٨، سوريا، دمشق، ٢٠٠٥م.
٨- عباس الزيدي المياحي، السفير الخامس، استعراض لحياة ومرجعية الامام الصدر والعلاقة بين الحوزة و الجماهير، ط١، بيروت، ٢٠٠١م.
٩- عبد الستار آل محسن، قبسات من حياة زعيم الحوزة العلمية آية الله العظمى السيد محمد محمد صادق الصدر، دار الأضواء، بيروت، ط١، لبنان، ١٩٩٨
١٠- علي محمد صادق الصدر، آل الصدر في التاريخ، مطبعة بغداد، ط١، بغداد، ٢٠٠٠م.
١١- ألقاب آل الصدر، الانحدار الجغرافي والأعقاب، ط١، بغداد.
١٢- المجموعة الكاملة لمؤلفات محمد باقر الصدر،ج١١،دار التعارف للمطبوعات،قم المقدسة،ب ت.
١٣- محمد باقر الصدر، فلسفتنا، ط١، مطبعة ليلى، طهران، ٢٠٠١م.
١٤- محمد حسن آل ياسين، على هامش العروة الوثقى، ط١، دار المعارف، بغداد ١٩٧٤م.
١٥- الشيخ محمد اليعقوبي، الشهيد الصدر الثاني كما أعرفه، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، النجف الأشرف، ١٤٢٤هـ.
١٦- السيد محمد الصدر، أضواء على ثورة الحسين، ب ت.
١٧- محمد عباس الدراجي، القصائد الخالدات في حب آل البيت، مكتبة الامير، بغداد، ١٩٨٩م.
١٨- مختار الأسدي، الصدر الثاني، الشاهد والشهيد، مؤسسة الأعراف، مطبعة أمين، ط١، ١٩٩٩م.
١٩- نخبة من الباحثين، الصدر الثاني دراسة في فكره و جهاده، مؤسسة بقية الله لنشر العلوم الإسلامية، مكتبة دار المجتبى، الطبعة الأولى، لندن، ٢٠٠٤.

٣- خطب الجمعة

١- السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (١) في ١ ذي الحجة ١٤١٨هـ الموافق ١٩٩٨/٤/١٧م.

٢- السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٣) في ٤ محرم ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٥/١م.
٣- السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (١٠) في ١٤ صفر ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/٦/١٩م.
٤- السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٣٥) في ٢١ شعبان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨/١٢/١١م.
٥- السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة رقم (٤٢) في ١٣ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٩ كانون الثاني ١٩٩٩م.
٦- السيد محمد محمد صادق الصدر، خطبة الجمعة الاخيرة، رقم (٤٥) بتاريخ ٣ ذي القعدة ١٤١٩هأ الموافق ١٩٩٩/٢/١٩م.

٤- المجلات

١- مجلة البلاد في ٢٧/شباط/١٩٩٩م.
٢- مجلة المجلة، العدد (٩٩٤)، الصادرة في ٦ اذار ١٩٩٩م.
٣- مجلة الهدى، العدد (٧) ٩السنة الأولى، ١ رجب ١٤١٩هـ، ص٤٠.
٤- مجلة الهدى، الصادرة عن الحوزة العلمية الشريفة في النجف الاشرف، العدد السادس، السنة الاولى، ١ جمادي الثانية ١٤١٩هـ
٥- مجلة الوسط، العدد (٣٧٠)، في ١/ اذار/ ١٩٩٩م.

٥- الصحف

١- صحيفة اشراقات الصدر، العدد (٢١٧)، في ٢٠٠٦/١١/٢٧م.
٢- صحيفة اشراقات الصدر، العدد (٢١٧)، في ٢٠٠٦/١١/٢٨م.
٣- صحيفة البلاغ،، العدد (١٣٥) الاسبوع الاخير من تشرين الثاني ٢٠٠٦م.
٤- صحيفة البلاغ، العدد (١٣٥)، والتي تصدر عن مؤسسة شهيد المحراب للتبليغ الإسلامي، الاسبوع الاخير من شهر تشرين الثاني، ٢٠٠٦م.
٥- صحيفة الحياة ٢٠ شباط ٢٠٠١م.
٦- صحيفة الحياة البنانية الصادرة بتاريخ ١٩ آذار ١٩٩٩م.
٧- صحيفة الحياة اللبنانية في ١٩/ اذار/ ١٩٩٩م.
٨- صحيفة الحياة اللبنانية في ١٩/اذار/ ١٩٩٩م.
٩- صحيفة الحياة اللبنانية، اذار ١٩٩٩م.
١٠- صحيفة الحياة في ١٥ نيسان ١٩٩٩م.
١١- صحيفة الحياة في ٢٠ شباط ١٩٩٩م.

١٢- صحيفة الحياة، في عددها الصادر في ٢٠٠١/٢/٢٠م.
١٣- صحيفة الرافدين، العدد (١٩٥)، قم المقدسة، آذار ١٩٩٩م.
١٤- صحيفة الصباح، العدد (٩٨٦)، في ٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦/١١/٢٨م.
١٥- صحيفة القبس الكويتية، في ٢٧ شباط ١٩٩٩م.
١٦- صحيفة القدس العربي الصادرة في لندن ٢٣ شباط ١٩٩٩م
١٧- صحيفة الموقف السورية، العدد (١٨٨)، ٤ شباط ١٩٩٩م.
١٨- صحيفة الموقف العدد (١٩٠) في ٢٥ شباط ١٩٩٩م
١٩- صحيفة الموقف، العدد (١٩١) في ٤/ اذار/ ١٩٩٩م.
٢٠- صحيفة الموقف، العدد (١٩٢) في ١٨/ اذار/ ١٩٩٩م.
٢١- صحيفة نداء الرافدين، العدد (١٩٥)، ١١/ اذار/ ١٩٩٩م.
٢٢- صحيفة نداء الرافدين، قم المقدسة، العدد (١٩٤) آذار ١٩٩٩م.
٢٣- صحيفة الوفاق الإسلامي، العدد ١١٧، الصادر بتاريخ ١٩٩٩/٢/٢٣م.

قانون الحماية الدبلوماسية و شروطها

Law of diplomatic Protection and its conditions

د. علي خالد دبيس [1] Ali Kh. Idbeis

المستخلص

تّشكل الدولة كياناً قانونياً وسياسياً يقوم على عناصر ثلاثة هي؛ الإقليم، والشعب، والسلطة السياسية، وإذا كان حق الدولة في حماية إقليمها من أي مساس به أو اعتداء عليه هو من الحقوق الثابتة والمستقرة، بل من واجبها أيضا حماية شعبها والدفاع عن حقوقه، وحيث أن المواطنين هم العنصر الرئيس المكوّن لشعب الدولة فإن حمايتهم ورعاية حقوقهم في الداخل والخارج حق ثابت للدولة، وقد تضمنت أحكام القانون الدولي نظام تلك الحماية . حماية مواطني ورعايا الدولة في الخارج . وهو المعروف بالحماية الدبلوماسية، كما أقرت أحكام القانون الدولي بعد ذلك للمنظمات الدولية بالحماية الدبلوماسية (الحماية الوظيفية التي تمارسها المنظمات الدولية تجاه الموظفين التابعين لها)، حيث لم تعد الحماية الدبلوماسية مقصورة على الدول فقط، وموضوع بحثنا يدور حول الحماية الدبلوماسية التي تمارسها الدولة تجاه الأفراد التابعين لها.

Abstract

State constitute a legal and political entity based on three elements: The province and the people and sovereignty, and if the State's right to protect its territory from any prejudice to hit or attack hit,afixed and stable rights It is also their right to protect its people, and defend their rights, and where the staff are the main component of the people of the state. The protection and care of their rights domestic and overseas is the inalienable right of the state,The provisions of international law have included such protection

١ – جامعه كربلاء/ كلية الإدارة والاقتصاد/الاختصاص. قانون عام

system Protect the citizens and nationals abroad It is known to diplomatic protection, also acknowledged the provisions of international law, then international organizations diplomatic protection (Job protection, practiced by international organizations towards her staff). Where diplomatic protection are no longer confined.

The only states.Research topic is about the diplomatic protection exercised by the State toward the Her individuals.

مقدمة: الحماية الدبلوماسية

يرتبط موضوع الحماية الدبلوماسية كغيره من مواضيع المسؤولية الدولية بالقانون الدولي التقليدي، إذ أن منشأ أحكام الحماية الدبلوماسية هو العرف الدولي، إلا أن ما يتميز به هذا الموضوع هو كون النزعة التقليدية جذّر متجذرة ضمن أحكامه، فصلاحيات الدولة و سلطاتها في ممارسة الحماية الدبلوماسية لرعاياها تبقى محكومة بسلطتها التقديرية فقط، كما يعد الموضوع مفصلي من حيث موقعه وأطرافه.

فاصل النزاعات أنها نزاعات داخلية، أي أنها تنتمي إلى الأطر القانونية الداخلية، كما أن أصل أطراف العلاقة، شخص دولي متمتع بكافة الاعتبارات السيادية، وشخص خاص لا يمكنه أن يتحجج أمام هذا الأخير غلا من خلال تدخل دولته لصالحه.

فإذا ما كان المتضرر من الفعل غير المشروع دوليا دولة أو منظمة دولية فإن لهما إعمال كامل الطرق الدبلوماسية أو القضائية لأجل استيفاء حقوقهم المنتهكة، أما إذا كان المتضرر شخصا طبيعيا أو معنويا خاصا فإن مطالبته باستيفاء حقوقه في مواجهة دولة ذات سيادة تكون ممكنة ما لم تقبل دولته توفير غطاء دولي له وحمايته دبلوماسيا، أو أن تعمل المنظمة التي يعمل لحسابها على حمايته وظيفيا.

لهذا فإن الحماية الدبلوماسية تعني تدخل دولة لأجل حماية مواطنيها المقيمين في الخارج والمتضررين بشكل مباشر أو غير مباشر من أفعال غير مشروعة دوليا.

منهجية البحث

١ـ أهمية البحث

لقد ازدادت أهمية هذا الموضوع مع ازدياد التطورات الحديثة في المجتمع الدولي التي أدت إلى تشعب العلاقات الدولية في المجال الاقتصادي وسهولة انتقال الأموال وازدياد حجم العلاقات بين الدول والأفراد مما قد يؤدى إلى احتمال تعرض الأفراد لأضرار قد تلحق بأشخاصهم أو مصالحهم، كما تكمن أهمية هذا الموضوع في بيان الأسس التي من شأنها أن تساعد على حماية حقوق الأفراد والدفاع عنهم على المستوى الدولي إذا تعرضت مصالحهم للضرر.

٢ـ مشكلة البحث

إن دراسة موضوع الحماية الدبلوماسية يحتاج إلى دراسة خاصة وعلى قدر من الاهتمام، وان نحاول قدر الإمكان الإلمام بالجوانب المهمة للحماية الدبلوماسية.

والإشكاليات التي سنتعرض لها في هذا البحث تدور حول إيجاد التعريف المناسب للحماية الدبلوماسية وطبيعتها القانونية من حيث أنها حق للدولة أو حق للفرد، وما هي الشروط اللازم توفرها لممارستها؟ وفى حالة توفر هذه الشروط، ما هي الوسائل التي يتم بها مباشرة الحماية الدبلوماسية؟

٣ـ فرضية البحث

تعد الحماية الدبلوماسية إحدى الوسائل التي تعبر بها الدولة عن ممارسة الاختصاص الشخصي تجاه مواطنيها ورعاياها، حيث يؤدى الضرر الذي يلحق فردا بعينه إلى تحمل الدولة التي ارتكبت الفعل المخالف للقانون الدولي تبعة المسؤولية إزاء الدولة التي يتبعها المجني عليه بجنسيتها، ومن ثم فالحماية الدبلوماسية أداة لتحريك المسؤولية الدولية، تجاه الدولة التي أخلت بالتزاماتها نحو مواطني ورعايا الدول الأخرى.

٤ـ هيكلية البحث

وقد تناولتُ موضوع الحماية الدبلوماسية في مبحثين، اقتصرت في «المبحث الأول» على الجانب النظري فقمت فيه بتعريف الحماية الدبلوماسية وبيان طبيعتها القانونية، أما في «المبحث الثاني» فقد اعتمدت على الجانب التطبيقي بخصوص شروط ممارسة الحماية الدبلوماسية ووسائل مباشرته

المبحث الأول: الحماية الدبلوماسية

المطلب الأول: التأصيل ألتأريخي للحماية الدبلوماسية

تعود جذور الحماية الدبلوماسية للقرن الثامن عشر. وتم الإعراب عن فكرة أن الدولة

لها حق حماية رعاياها الذين يتواجدون في الخارج من قِبل إمريش دي فاتيل في كتابه"قانون الأمم":"من يسيء معاملة مواطن فإنه يصيب بشكل غير مباشر الدولة، التي يجب عليها حماية هذا المواطن". ونظرًا لأن هذه الحماية قد تأخذ أي شكل من الأشكال، فقد تمت إساءة استخدام هذا التصور في كثير من الأحيان من قِبل القوى الغربية كذريعة للتدخل في شؤون الدول الأقل قوة، واللجوء في بعض الأحيان إلى استخدام القوة (على سبيل المثال في الصين خلال **ثورة الملاكمين** وفي فنزويلا في أوائل القرن العشرين). ونتيجة لذلك، حظيت عقيدة الحماية الدبلوماسية بالكثير من الانتقادات، لا سيما في المستعمرات السابقة .وتحديدًا في أمريكا اللاتينية تم وضع مبدأ كالفوا لتجنب طلب الحماية الدبلوماسية من قِبل المواطنين الغربيين. ومع ذلك، فقد تم الاعتراف بالحماية الدبلوماسية كقانون دولي عرفي من قبل المحاكم والهيئات القضائية الدولية فضلاً عن الفقهاء. بعد **الحرب العالمية الثانية**، ومع حظر استخدام القوة كأداة للعلاقات الدولية، أخذت الحماية الدبلوماسية عادة أشكالاً أخرى مثل الإجراءات القضائية أو الضغط.

المطلب الثاني:تعريف الحماية الدبلوماسية

في القانون الدولي، الحماية الدبلوماسية أو المناصرة الدبلوماسية (هي وسيلة للدولة لاتخاذ إجراء دبلوماسي أو غير ذلك من الإجراءات الأخرى ضد دولة أخرى بالنيابة عن أحد مواطنيها الذي تعرضت حقوقه ومصالحه للضرر من قِبل الدولة الأخرى. والحماية الدبلوماسية، التي تأكدت في قضايا مختلفة للمحكمة الدائمة للعدل الدولي و**محكمة العدل الدولية**، هي حق تقديري للدولة وقد تأخذ أي شكل لا يحظره القانون الدولي. ويمكن أن تشمل الإجراءات القنصلية والمفاوضات مع الدولة الأخرى والضغط السياسي والاقتصادي وإجراءات قضائية أو تحكيمية أو غيرها من أشكال التسوية السلمية للمنازعات في عام ٢٠٠٦، اعتمدت لجنة القانون الدولي المواد المتعلقة بالحماية الدبلوماسية، التي تنظم حق وممارسة الحماية الدبلوماسية.

وتعرف الحماية الدبلوماسية أيضا بأكثر من تعريف، وذلك باختلاف وجهات النظر أو حسب الزاوية التي ينظر منها لهذه الحماية، فالأستاذ"Louis Du Bouis""لويس دو بوي"يعرف الحماية الدبلوماسية بأنها «أي عمل تقوم به دولة لدى دولة أجنبية أخرى للمطالبة لصالح مواطنيها باحترام القانون الدولي أو الحصول على بعض المزايا»، ونلاحظ أن هذا التعريف جاء موسع في بيان مضمون الحماية الدبلوماسية وذلك إن الحصول على مزايا لمصالح مواطني الدولة ليس من قبيل الحماية الدبلوماسية وأيضا إهماله لشروط ممارسة الحماية الدبلوماسية[٢] بينما يعرفها الأستاذ"Henri Capitant""هنري كابيتانت"بأنها «تصرف تقرّ دولة ما بموجبه أن تأخذ على عاتقها نزاع أحد مواطنيها أو رعاياها، ضد دولة أخرى وترفع بذلك النزاع إلى المستوى الدولي من خلال الطريق الدبلوماسي أو الطريق القضائي»، أما هذا التعريف فهو يركز على الحماية الدبلوماسية من منظور إجراءاتها، وتركيزه على النزاع وتحويله من نزاع داخلي إلى دولي، وإهماله شروط ممارسة الحماية الدبلوماسية.

كما عرفها""Cuthbert Joseph"كثبيرت جوزيف"بأنها «هي أحد مظاهر السيادة التي تتمتع به الدولة وفقاً لمبادئ القانون الدولي العام، وفي إطار حقوقها والتزاماتها الدولية المتبادلة في القانون الدولي»، إن هذا التعريف الذي يعبر عن حق الدولة في حماية مواطنيها بما لها من سيادة، لا يبين مضمون الحماية الدبلوماسية ذاتها أو شروط اللجوء إليها، وكذلك حق المنظمات الدولية في حماية موظفيها، وإنما يقتصر على أساس الحق في ممارسة الحماية الدبلوماسية.

أما الفقيه"Borchard""بورشارد"فقد تناول الحماية الدبلوماسية «بوصفها الإجراء الذي تتقدم به دولة ما ضد دولة أخرى بشأن الأضرار التي يتعرض لها مواطنيها»، وقد أورد هذا التفسير في تقريره المقدم عام ١٩٣١ الحماية الدبلوماسية للمواطنين في الخارج إلى معهد القانون الدولي. حيث قصرها على دراسة"شروط الحماية في حالة تقديم طلب رسمي دولي بالتعويض"ونلاحظ أن هذا التفسير يعتبر تفسيراً

٢. محمد سامي عبد الحميد «أصول القانون الدولي» القاعدة الدولية، الجزء الثاني، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، ١٩٩٥ص ٧٥.

شكلياً للحماية الدبلوماسية، فهو يركز على الإجراء القضائي لهذه الحماية، ولكن تطور الحماية الدبلوماسية من حيث وسائلها وأشخاصها يقتضي تعريفاً أوسع من ذلك[٣].

أما الدكتور"حامد سلطان"فيرى «أن الغالبية العظمي من حالات المسؤولية إنما تنشأ عما يلحق الأجانب على إقليم دولة أخرى من أضرار، وأن المسؤولية الدولية علاقة قانونية بين أشخاص القانون الدولي، وأنه إذا ما تظلم أحد الأجانب المقيمين على إقليم دولة أخرى من أضرار لحقت شخصه أو ماله، فإن الدولة التي ينتسب إليها هي التي تقاضي الدولة التي صدر عنها العمل غير المشروع».

بينما يوضح الدكتور"محمد حافظ غانم"الحماية الدبلوماسية بقوله: «تبدأ الحماية الدبلوماسية عادة بأن تتدخل الدولة التي ينتمي إليها الأفراد الذين لحقتهم الأضرار لدى الدولة المسؤولة لكي تحصل على تعويض مناسب، ويتم هذا الاتصال عن طريق القناصل أو البعثات الدبلوماسية وإذا تبين أن هناك خلافاً في وجهات النظر بين الدولتين حول مبدأ المسؤولية أو حول تقدير التعويض كان للدولة التي يتبعها من أُضير (لحق به الضرر) من الأفراد أن تتبنى مطالباتهم، وبهذا تتحول طبيعة النزاع من نزاع داخلي بين دولة وأجانب إلى نزاع دولي»[٤].

في ضوء استعراض التعريفات السابقة نلاحظ أن الفقه العربي عند تحديده لمفهوم الحماية الدبلوماسية، فإنه يتناولها من خلال موضوع المسؤولية الدولية. ويمكن تلخيص أهم الانتقادات الموجهة إلى تلك التعريفات من حيث اقتصارها فقط على الناحية الإجرائية والشكلية وعلى حماية الأفراد، في حين تمتد الحماية الدبلوماسية لتشمل مصالح الدولة العامة ومصالح الأشخاص الطبيعيين والاعتباريين، أيضا تمتد في حالات استثنائية لتشمل مصالح ورعايا دول أخر، وإن ممارسة الحماية الدبلوماسية ليس مقصوراً على الدول فقط بل للمنظمات الدولية الحق في حماية موظفيها"الحماية الوظيفية"[٥].

من مجموع ما تقدم من تعريفات يمكن أن نعرف الحماية الدبلوماسية «بأنها قيام الشخص الدولي بممارسة حقه في حماية موظفيه ـ الأشخاص الطبيعيين والاعتباريين ـ أو رعاياه إذا توفرت شروط هذه الحماية، تجاه شخص دولي أخر، وذلك لإصلاح ما تعرضوا له من أضرار، وبالوسيلة التي يراها مناسبة وفق قواعد القانون الدولي العام».

نلاحظ أن هذا التعريف يتميز بالخصائص التالية:

١ـ إن الحماية الدبلوماسية لم تعد مقصورة على الدول، وخاصة بعد صدور فتوى محكمة العدل الدولية عام ١٩٤٩، حيث اعترفت للمنظمات الدولية بحق ممارسة الحماية الدبلوماسية"الحماية الوظيفية"لوكلائها وموظفيها وخبرائها وتابعيها. ولذلك ورد في التعريف"قيام الشخص الدولي"، فالشخص الدولي يشمل كلاً من الدولة والمنظمات الدولية المعترف لها بالشخصية الدولية.

---

٣. هشام صادق «الحماية الدولية للمال الأجنبي» مع أشارة خاصة للوسائل المقترحة لحماية الأموال العربية في الدول الغربية، الدار الجامعية للطباعة والنشر بيروت عام١٩٨١، ص ٦٥.

٤. محمد سامي عبد الحميد، مصدر سبق ذكره، ص ٧٧.

٥. هشام صادق، مصدر سبق ذكره، ص ٦٩.

٢. تم الإشارة في هذا التعريف إلى حق الشخص الدولي في ممارسة الحماية الدبلوماسية"قيام الشخص الدولي بممارسة حقه"، وذلك لان الحماية الدبلوماسية حق للشخص الدولي وليست حق للفرد كما سنوضح في المطلب الثاني.

٣ـ إن الحماية الدبلوماسية ليست مقصورة على حماية الأفراد ـ الأشخاص الطبيعيين ـ فقط، بل تمتد لتشمل الأشخاص الاعتباريين، وأيضا تمتد في حالات استثنائية لتشمل مصالح ورعايا دول أخرى، وقد تم الإشارة إلى ذلك بعبارة"حماية موظفيه ـ الأشخاص الطبيعيين والاعتباريين ـ أو رعاياه".[٦]

٤ـ يتضمن هذا التعريف شروط الحماية الدبلوماسية من خلال عبارة"إذا توفرت شروط هذه الحماية"حيث أن الفرد ـ الشخص طبيعي أو معنوي ـ الذي يحمل جنسية الدولة أو يكون تابعاً لمنظمة دولية، ولحق به ضرر، ولم يستطيع الحصول على تعويض مناسب من خلال وسائل الإصلاح المحلية، أو اعترضته بعض الصعوبات والعقبات في بلد الإقامة، فإن دولته أو المنظمة التي يتبع لها تتدخل لحمايته.

٥ـ كما أن هذا التعريف لا يعلق ممارسة الحماية الدبلوماسية على وقوع الخطأ. بل يركز على وقوع الضرر، دون النظر إلى وقوع خطا من الدولة أم لا «المسؤولية الموضوعية».

٦. يتضمن هذا التعريف كذلك وسائل الحماية الدبلوماسية وذلك من خلال عبارة،"وبالوسيلة التي يراها مناسبة وفق قواعد القانون الدولي"فلم نقيد هذه الوسائل بوسيلة معينة، وذلك لان الشخص الدولي له حرية اختيار الوسيلة التي يتدخل بموجبها لحماية مواطنيه ورعاياه سواء أكانت وسيلة سياسية أم وسيلة قضائية، ولكننا قيدنا الوسيلة التي يلجأ إليها الشخص الدولي بالوسائل التي تتفق مع قواعد القانون الدولي العام.

المطلب الثالث:الطبيعة القانونية للحماية الدبلوماسية

كنا قد أسلفنا فيما سبق إلى أن الحماية الدبلوماسية ذات منشأ عرفي، أي إن الاعتبارات السياسية التقليدية للدول، وبخاصة الاعتبار السيادي، هو ما أثر أو ألقى بتأثيره على مفهومه، وعليه فإن ممارسة الدولة لهذه الصلاحية والحق، إنما هي ممارسة لحقها الخالص والسيادي.

فالدول عند مطالبتها بفرض احترام معاملة رعاياها من طرف الدول الأجنبية الأخرى، فإنما هي تطالب من خلال ذلك باحترام القواعد القانونية الدولية المتعلقة بمعاملة الأجانب بمعنى أن المساس برعاياها وحقوقهم هو من صميم المساس بحقوقهم الدولية،

وبالتالي فإن للدولة كامل ومطلق السلطة التقديرية في تقدير فيما إذا كان لازما أو ضروريا ممارسة هذه الصلاحية أم لا.

ويترتب على إعمال هذا المبدأ السيادي والتقديري جملة من النتائج:

١ـ إن ممارسة الحماية الدبلوماسية حق خالص للدولة.

٦. حازم عبد الحميد جمعة «المشروعات الدولية العامة وقواعد حمايتها في القانون الدولي العام» رسالة دكتوراه جامعة عين شمس ١٩٨. ص ١١٠.

٢ـ إن للدولة مطلق الحرية في ممارسة هذه الصلاحية.

٣ـ ليس للشخص مطالبة دولته باختيار التوقيت التي تتحرك فيه أو تنتهي عنده وأيُّ الوسائل الدبلوماسية أو القضائية تنتهج.

٤ـ إن للدولة إذا ما استصدرت حكما أو قرارا لصالحها أن تطالب تطبيقه أو أن تتنازل عن تطبيق بعض أو كل مقتضياته.

٥ـ إذا ما تحصلت الدولة على تعويض فإن لها مطلق السلطة في التصرف في مبلغ التعويض المتحصل.

وتجب الإشارة في هذا المجال إلى أنه ليس للأشخاص أن يتنازلوا بمحض إرادتهم أو بالإطلاق مع أي دولة من الدولة على عدم إمكانية ممارسة دولتهم الحماية الدبلوماسية لصالحهم، وهذا ما يعرف بشرط كالفو.Clause Calvo

ثانيا: شروط ممارسة الحماية الدبلوماسية:

لأجل ممارسة الحماية الدبلوماسية توجد ثلاثة شروط:

الشرط الأول: أن نكون أمام شخص من أشخاص القانون الداخلي، الذين يتمتعون برابطة الجنسية: وجود رابطة قانونية وسياسية بين الشخص المتضرر والدولة المطالبة أو المدعية

فيستثني من تطبيق الحماية الدبلوماسية الدولة وأجهزتها وجميع ممثليها أو جميع ما يتخذ طابعا تمثيليا أو سياديا للدولة أو جميع ممثليها في الخارج وكذا من هم تحت رقابتها والذين قد تصيبهم أعمال غير مشروعة دوليا في الخارج، فتدخل الدولة في هذه الحالات هو من قبيل التدخل المباشر لصالحها هي.

كما يستثنى، أيضا من هذا التطبيق، المنظمات الدولية حماية لموظفيها وأموالها ومصالحها ونظام سيرها، فهذه الحماية هي من نوع الحماية الوظيفية.

لهذا فإنه يستلزم لأجل ممارسة الحماية الدبلوماسية أن نكون أمام شخص طبيعي أو معنوي خاص تجمعه مع الدولة الحامية أو المطالبة بحمايته رابطة سياسية قانونية متينة وفعليّة، فرابطة الجنسية هي التي تمنح تلك الدول صفة قانونية للتدخل.

فما لم يكن هناك اتفاق خاص يقضي بخلاف هذه القاعدة العامة، فإن الرأي مستقر على المستوى الدولي، على ضرورة توافر مثل هذه الرابطة القانونية المتينة والفعلية والمتمثلة في الجنسية حتى تتم ممارسة الحماية الدبلوماسية.

لكن ما هو الوقت الذي يجب أن يكون فيه الشخص متمتعا بهذه الرابطة حتى تتم ممارسة هذه الحماية؟ وهل يشترط في ذلك دوام واستمرار تمتعه برابطة الجنسية حتى يتمتع الفرد بهذه الصلاحية؟

ذكر فقهاء القانون الدولي أربعة تواريخ يمكن منها للدولة ممارسة حمايتها الدبلوماسية

١. تاريخ ارتكاب الفعل غير المشروع.

٢. تاريخ التوقيع على اتفاقية المطالب أو وضعها موضع التنفيذ.

٣. تاريخ تقديم الطلبات أما لجنة التظلمات.

٤. تاريخ صدور قرار اللجنة.

من القواعد المسلمة في الفقه والقضاء الدوليين أن الحماية الدبلوماسية حق للدولة ولكنها ليست حقاً من حقوق الأفراد، وأن دعوى المسؤولية الدولية التي تحركها الدولة المدعية لحماية مواطنيها دبلوماسياً علاقة قانونية بين الدولتين المدعية والمدعى عليها لا شأن للفرد موضوع الحماية بها إطلاقا، فبمجرد تدخل الدولة المدعية لحماية الفرد المتمتع بجنسيتها . أو ما في حكمه . تنتهي العلاقة القائمة بينه وبين الدولة المدعى عليها، لتحل محلها علاقة من نوع جديد بين هذه الأخيرة والدولة المدعية[٧].

وبناء على ذلك قضت المحكمة الدائمة للعدل الدولي في حكمها الصادر في ٣٠ . ٨ . ١٩٢٤، في النزاع بين"بريطانيا واليونان"في شأن قضية عقود الامتياز الممنوحة في فلسطين"لمافروماتيس"بما يأتي «من المبادئ الرئيسة في القانون الدولي أن كل دولة لها الحق في حماية مواطنيها إذا لحقتهم أضرار نتيجة لما يصدر عن الدول الأخرى من أعمال تخالف أحكام القانون الدولي، وذلك إذا لم يستطيعوا الحصول على الترضية المناسبة عن طريق الوسائل القضائية الداخلية. والدولة إذا تتبني قضية أحد مواطنيها، وتلجا في شأنها إلى الطريق الدبلوماسي أو إلى الوسائل القضائية الدولية، فإنها . في واقع الأمر . إنما تؤكد حقها هي، أي حق الدولة في أن تكفل . في أشخاص مواطنيها . الاحترام اللازم لقواعد القانون الدولي...، وإذا حدث أن تقدمت إحدى الدول، نيابة عن أحد مواطنيها، بقضية ما إلى محكمة دولية، فإن هذه الدولة وحدها هي التي تعتبر في نظر المحكمة التي ترفع إليها الدعوى الجهة المطالبة بالتعويض».

وقد أيدت محكمة العدل الدولية في قضية نوتنبوهم بين"ليشتنشتين و غواتيمالا"في ٦ . ٤ . ١٩٥٥، ما انتهت إليه محكمة العدل الدولية الدائمة في قضية"مافروماتيس"، حين أكدت أن الحماية الدبلوماسية تعتبر حق للدولة. وقد ذكرت: «بأن الحماية الدبلوماسية تُشكِل، عن طريق الوسائل القضائية، إجراءات للدفاع عن حقوق الدولة»[٨].

وبهذا فإن الحق في ممارسة الحماية الدبلوماسية حق خاص بالدولة لإصلاح الأضرار التي تلحق بمواطنيها ورعاياها، ولذلك فبمجرد أن تتدخل الدولة لحماية الفرد المتمتع بجنسيتها تنتهي العلاقة بينه وبين الدولة المسؤولة، لتحل محلها علاقة جديدة بين دولة الفرد المضرور والدولة التي ارتكبت الفعل غير المشروع، فيتحول النزاع من المستوى الداخلي إلى المستوى الدولي.

ويترتب على اعتبار الحماية الدبلوماسية حقا خاصا بالدولة عدد من النتائج في غاية الأهمية والتي تتمثل في الأتي:.

١- للدولة مطلق الحرية في التدخل أو عدم التدخل لحماية مواطنيها، فهذا الأمر يخضع للسلطة التقديرية المطلقة لدولة الشخص المضرور، دون أن تكون ملزمة بتبرير قرارها بأي طريقة كانت، والفرد لا يستطيع أن يجبر دولته على ممارسة الحماية الدبلوماسية إذا لحق به ضرر. ومحكمة العدل الدولية أشارت في قضية"برشلونة القوي المحركة"عام ١٩٩٧، إلى حرية الدولة في ممارسة الحماية الدبلوماسية عندما قررت

٧. حامد سلطان «القانون الدولي وقت السلم» الطبعة الرابعة ، دار النهضة العربية ،القاهرة ، عام ١٩٦٩ ، ص ٨٧.
٨. حامد سلطان، مصدر سبق ذكره، ص ٨٩.

انه «يجب أن يكون للدولة الحرية التامة في تقدير ما إذا كانت ستمارس الحماية الدبلوماسية....، ومدى نطاق هذه الحماية، ومتى ينتهي أجل هذه الحماية...».[٩]

٢. إن للدولة الحق في التنازل عن حقها في حماية رعاياها سواء بعد وقوع الفعل الضار أو قبل وقوعه، كما لها الحق في التنازل عن دعوى المسؤولية الدولية في أي مرحلة من مراحلها، بل والتنازل عن تنفيذ الحكم الصادر لمصلحتها بعد صدوره، ولا يؤثر في صحة التنازل رضا الفرد موضوع الحماية بالتنازل أو اعتراضه عليه، وإن القرار الذي تتخذه الدولة في هذا الصدد يكون من قبل أعمال السيادة، التي لا يجوز الطعن فيها أمام المحاكم الداخلية.

٣-كذلك يترتب على اعتبار الحماية الدبلوماسية حقا للدولة التي يحمل المضرور جنسيتها، مطلق الحرية في اختيار لحظة تحريك دعوى المسؤولية الدولية، وفي اختيار وسيلة تحريكها والجهة القضائية التي تلتجئ إليها.

٤. للدولة الحق في التصالح مع الدولة المدعى عليها أياً كانت شروط الصلح وأحكامه، حتى ولو كان من شأنها المساس بحقوق الفرد موضوع الحماية أو الإضرار به.[١٠]

٥- إذا حكم للدولة المدعية بتعويض، فلها مطلق الحرية في تحديد كيفية التصرف فيه، ولا يوجد في القانون الدولي العام ما يلزم الدولة بتسليم التعويض كله أو بعضه للفرد موضوع الحماية، والتعويض في نظر القانون الدولي حق للدولة وليس حق من حقوق الفرد، ومن ثم فلها حرية التصرف فيه على النحو الذي تراه.[١١]

ومن ما تقدم فقد أوضحت أن الحماية الدبلوماسية في تكييفها الصحيح، حق للدولة وليست حقا للفرد، ويترتب على هذا التكييف نتيجة منطقية مقتضاها أن التنازل عن الحماية الدبلوماسية من الأمور الجائزة للدولة، ولكنه يكون باطلا إذا وقع من الفرد، في صورة ما يعرف"بشرط كالفوا"، لان الشخص لا يملك التنـازل إلا عن حقوقه وحدها دون تلك الثابتة لغيره من الأشخاص.[١٢]

طبيعة الحماية الدبلوماسية

تقليديًا، كان يُنظر إلى الحماية الدبلوماسية كحق للدولة وليس للفرد الذي تعرض للتعسف بموجب القانون الدولي. ويُعتبر الضرر الواقع على شخص أجنبي ضررًا غير مباشر لوطنه وعند تناول قضيته يُنظر إلى الدولة باعتبارها تؤكد على حقوقها الخاصة. وهذا يعني أن الدولة ليست بأي حال من الأحوال ملزمة بمعالجة قضية أحد مواطنيها واللجوء إلى الحماية الدبلوماسية إذا اعتبرت أن هذا الإجراء لا يخدم مصالحها السياسية والاقتصادية.[١٣] [١٤]

٩. حازم عبد الحميد جمعة، مصدر سبق ذكره، ص ١١١.
١٠. محمد سامي عبد الحميد، مصدر سبق ذكره، ص ٧٩.
١١. هشام صادق، مصدر سبق ذكره، ص ٧٦.
١٢. محمد سامي عبد الحميد، مصدر سبق ذكره، ص ٨٣.
١٣. عبد العزيز سرحان «استنفاد وسائل الإصلاح المحلية في القانون الدولي» رسالة دكتوراه، جامعة باريس، عام١٩٦٢، ص ١١٢.

المتطلبات القانونية

يعترف القانون الدولي العرفي بوجود شروط معينة يجب تلبيتها قبل أن تقرر الدولة بشكل صحيح تبني مصالح أحد مواطنيها. والشرطان الرئيسيان هما استنفاد سبل الانتصاف المحلية واستمرار تمتع الشخص بالجنسية.(١٥)

استنفاد سبل الانتصاف المحلية

لن تكون المناصرة الدبلوماسية لمطالب أحد المواطنين مقبولة دوليًا ما لم يكن المواطن المعني قد أعطى الدولة المضيفة الفرصة لتصحيح الخطأ الذي تم ارتكابه بحقه من خلال وسائل الانتصاف الوطنية الخاصة بها. عادة ما يعني استنفاد سبل الانتصاف أنه يتعين على الفرد أولاً السعي في دعواه ضد الدولة المضيفة من خلال محاكمها الوطنية وصولاً إلى أعلى مستوى من التقاضي قبل مطالبة الدولة التي يحمل جنسيتها الشروع في التعامل مع هذه الدعوى وقيام الدولة بعمل ذلك بشكل صحيح.(١٦)

المبحث الثاني: آليات إعمال الحماية الدبلوماسية

في هذا المبحث سنقوم ببيان الشروط اللازم توافرها لممارسة الحماية الدبلوماسية وأهم الإشكاليات التي تكمن في هذه الشروط، ثم سنتطرق إلى بيان وسائل مباشرة الحماية الدبلوماسية.

المطلب الأول: شروط ممارسة الحماية الدبلوماسية

أ. حالات ازدواج الجنسية

إذا كان من المسلم به أن القانون الدولي لا يتدخل في تحديد المعايير والقواعد القانونية التي تعتمدها الدول لأجل تحديد من تعتبرهم من رعاياها وبالتالي تصبغ عليهم جنسيتها، غلا أن المشاكل التي أثارتها حالات تعدد الجنسية، أوجدت تنازعا بين عدة أنظمة قانونية حول مَن مِن الدول لها الحق في ممارستها الحماية الدبلوماسية لصالح شخص واحد، وذلك سواء كانت هذه الحماية ضد دولة أخرى ثالثة لا يحمل جنسيتها أو ضد دولة يتمتع هو أيضا بجنسيتها.

القاعدة الأساسية الأولى: هي أنه ليس للشخص أن يطلب الحماية من دولة ضد دولة أخرى يتمتع هي أيضا بجنسيتها (توازي السيادات) لكن تجب الإشارة في هذا المجال إلى أنه في حالة كون جنسية الدولة المطالبة هي الجنسية الفعلية، فإن الحماية والمطالبة الدبلوماسية جائزة، أما في حالة كون جنسية الدولة المطالبة هي جنسية ثانوية أي غير فعلية،

---

١٤. عبدا لعزيز سرحان، نفس المصدر السابق، ص ١١٢ ـ ١١٣.

١٥. عبد الغني محمود «المطالبة الدولية لإصلاح الضرر في القانون الدولي العام والشريعة الإسلامية» الطبعة الأولى دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٦ ص١٠٨.

١٦. عبد الغني محمود، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٩.

القاعدة الأساسية الثانية: هي حالة كون الدولة المطالب منها (المتسببة في العمل غير المشروع) دولة لا يحمل الشخص جنسيتها.[١٧]

ب . جنسية الأشخاص المعنوية الخاصة:

بالنسبة لجنسية الأشخاص المعنوية الخاصة وبخاصة الشركات التجارية العالمية الكبرى، فإنه يفترض فيها أيضا تمتعها بالجنسية حتى تتمتع بالحماية الدبلوماسية، لكن غالبا ما تكون هذه الشركات متعددة الجنسيات، وهذا سواء كان نشاطها ضمن بلد واحد أو ضمن بلدان متعددة، فالمساهمون قد يكونون من دول متعددة دون سيطرة جنسية دولة ما على حصة الأسد، من رأس مال الشركة، أو أن تكون السيطرة لجنسية دولة بعينها، كما قد يكون المساهمون من دولة ما ومنشأ الشركة في دولة أخرى غير دولة المنشأ، أو أن يكون النشاط في بلد آخر غير بلد المنشأ أو المساهمين.

لهذا، فإن الدول غالبا ما تعتمد على معايير قانونية مختلفة لأجل منح جنسيتها لهذه الشركات فمن الدول من اعتمدت على معيار بلد التسجيل والمقر الاجتماعي (قانوني و شكلي)، وهو معيار لا يعير أهمية لجنسية الأشخاص أو الشركات أو مكان النشاط أو الكيفية التي يتم بموجبها تكوين رأسمال الشركة أو كيفية الرقابة الممارسة عليها، ومنها ما تعتمد على المعيار الاقتصادي قانوني ومصلحي)، أي أن تجعل الشركة من إقليم الدولة مقرا اجتماعيا لها وان تستثمر جل رأسماليها وتخصص جانبا كبيرا من نشاطها في هذا البلد، هذا بالإضافة إلى الاعتماد على قانونها في الإنشاء، ومن الدول من تعتمد على معيار الرقابة (معيار الجنسية الفعلية)، أي على جنسية غالبية الأشخاص المساهمين في تلك الشركات والحائزين فيها على حصة الأسد.[١٨]

يبقى أن نشير في الأخير إلى أن هناك حالات قد يسمح فيها استثناءا لدولة جنسية غالبية الشركاء المساهمين من ممارسة حمايتها لصالح مواطنيها وهي:

- إذا ما تم استهداف هؤلاء الأشخاص باعتبار انتمائهم لجنسية دولة بعينها، ولم يكن بوسعهم إتباع أي طريقة لأجل استيفاء حقوقهم.
- حالة وجود اتفاق ثنائي أو دولي يقضي بذلك.
- حالة كون جنسية الشركة مفروضة كشرط مفروضة لأجل الحصول على الاستثمارات.
- حالة ما إذا شكل زوال أو انقضاء الشركة مانعا أمام المساهمين لأجل المطالبة بحقوقهم.

الشرط الثاني: شرط استنفاذ جميع طرق التظلم الداخلية:

وهو شرط استقر عليه الفقه والقضاء الدوليين، إذ على الشخص أن يحاول حماية نفسه واستفاء حقوقه تتابعا في الداخل قبل اللجوء إلى الحماية الدبلوماسية، ويجد هذا الشرط أصله ومرجعه التاريخي في خطابات الثأر التي كان يتحصل عليها الضحايا أو ذويهم لأجل الانتقام من الجاني أو عشيرته، فقبل هذا

١٧. عبد العزيز سرحان، نفس المصدر السابق، ص ١١٧.
١٨. محمد سامي عبد الحميد، مصدر سبق ذكره، ص ٨٤.

الإجراء كان يوجه الأشخاص المتضررين للتظلم أمام المحاكم الداخلية قبل الحصول من طرف الملك على خطاب الثأر.[١٩]

والهدف الأساسي من إعمال هذا الشرط هو من جهة، التقليل من المنازعات المطروحة على المستوى الدولي، ومن جهة أخرى إخطار الدولة صاحبة السيادة والمتسببة في الأضرار إخطار أخيرا ونهائيا قبل اللجوء إلى المسرح الدولي.

ويستثنى تطبيق هذا الشرط في الحالات التالية:

١. حالة تعرض نص اتفاقي يقضي بخلاف ذلك.

٢. حالة كون طرق التظلم والعدالة معدومة في تلك الدولة.

٣. حالة وجود نقص قانوني أو قضائي لا يسمح بالادعاء ضد الدولة أو أجهزتها.

٤. حالة رفض دعاوى أو تظلمات مماثلة.

٥. حالة اشتهار المحاكم الداخلية بالفساد واضطهاد الأجانب.

٦. حالة الحروب والاضطرابات الداخلية الخطيرة.

٧. حالة تعرض حياة الشخص وأمنه إلى الخطر المحدق.

الشرط الثالث: شرط الأيادي النظيفة:

وهو أن تكون سلوك الشخص الذي تتدخل الدولة لحماية نظيفا، أي أن لا يكون قد تورط في أي عمل من أعمال التجسس أو محاولات قلب النظام أو التخريب أو الإخلال بالقانون الداخلي للدولة التي يقيم فيها.

كما لا يجب أن تتعارض تصرفاته مع أحكام القانون الدولي كالتورط في الاتجار بالرقيق أو المشاركة في العمليات الإرهابية أو ارتكاب جرائم دولية.

هذا بالإضافة إلى عدم تعمد هذا الأخير، إخفاء جنسيته الحقيقية ومفاجأة الدولة التي يقيم فيها الأخير.

ونذكر في الأخير إلى أن الدولة الحامية ليست في حاجة إلى وجود سبب محدد كي تمنع وترفض ممارسة الحماية الدبلوماسية لصالح شخص من رعاياها، لكن إذا ما كانت سيرة هذا الشخص غير نظيفة فإن الدولة تجد المبرر الكافي لأجل رفض حمايته، كما قد يستعمل هذا الشرط كوسيلة دفع من طرف الدولة المتسببة في الأضرار أو المتظلم منها حتى تتخلص من مسؤوليتها، وبخاصة إذا ما كان هذا الأخير هو المتسبب أو المشارك بتصرفاته في حدوث تلك الأضرار.

سريان الجنسية واستمرارها

١٩. عبد الغني محمود، مصدر سبق ذكره، ص ١١٧.

يتمثل الشرط المهم الثاني في أن الشخص الذي تعرض للظلم يجب أن يكون محتفظًا بجنسية الدولة المناصرة منذ لحظة تعرضه للضرر وحتى رفع الدعوى عن طريق المناصرة الدبلوماسية. وإذا تغيرت جنسية الفرد المعني في هذه الأثناء، فلن يكون بمقدور الدولة صاحبة جنسيته السابقة تبني دعواه بشكل صحيح. وقد يتم أيضًا رفض الدعوى التي ترفعها الدولة بالنيابة عن مواطنها أو الإعلان بأنها غير جائزة إذا لم يكن هناك ارتباط فعال وحقيقي بين المواطن المعني والدولة التي تسعى لحمايته.[٢٠]

المطلب الثاني:وسائل مباشرة الحماية الدبلوماسية

وقد تتخذ هذه الحماية طابعا نزاعيا أو طابعا غير نزاعي، وهذا بحسب التقدير الذي ترتئيه الدولة

لكن تجب الإشارة في هذا المجال إلى أن المبادئ والأحكام المتعلقة بالحماية الدبلوماسية قد عرفت في الآونة الأخيرة شيئا من المساس بأصلها التقليدي، وهذا لما أضحى يتمتع به الفرد في مجال حماية حقوقه الأساسية أو المالية (النواة الصلبة لحقوق الإنسان، حماية الاستثمارات الدولية)، كما أن بعضا من الدول من أضحت تتنازل اتفاقا أو معاملة بالمثل عن ممارسة مثل هذه الحماية.

وقد تضمن ميثاق الأمم المتحدة بياناً لما يعد من الوسائل السلمية لحل المنازعات الدولية، ونص على أن الدول يمكن أن تتبع لحل منازعاتها بالطرق السلمية أسلوب المفاوضة والتحقيق والوساطة والتوفيق والتحكيم والتسوية القضائية أو اللجوء إلى التنظيمات الإقليمية أو غيرها من الوسائل السلمية التي يقع عليها اختيارها.

ويمكن أن نقسم هذه الوسائل إلى وسائل سياسية ووسائل قضائية، حيث أن ممارسة هذه الوسائل أمر يرجع إلى الدولة ذاتها، فلها أن تختار الوسيلة التي تراها أجدى في حل الخلاف، مادامت لا تخالف قواعد القانون الدولي عند اتخاذها للوسيلة التي تراها، فقد تلجأ أولا إلى الوسائل السياسية، ثم تعقبها بالوسائل القضائية إذا لم تحصل على حقوقها أو حقوق مواطنيها، عن طريق الوسائل السياسية، وقد تلجأ منذ البداية إلى الوسائل القضائية، كما لها أن تستخدم أكثر من وسيلة في وقت واحد ضماناً للسرعة في حسم النزاع.[٢١]

الفرع الأول: الوسائل السياسية للحماية الدبلوماسية:

أن الوسائل السياسية التي يمكن أن تلجأ إليها الدولة بصدد ممارستها للحماية الدبلوماسية لصالح مواطنيها عدة ومتنوعة. وفيما يأتي نشير لأبرز هذه الوسائل:

أولا . حماية البعثات الدبلوماسية والقنصلية.

إن البعثات الدبلوماسية تقوم بدور هام في مجال الحماية الدبلوماسية عن طريق التفاوض مع الدولة المضيفة. كما للهيئات القنصلية وظائفها الخاصة بهذه الحماية.

دور البعثات الدبلوماسية والقنصلية:

٢٠. عصام زناتي «مفهوم الضرر في دعوى المسؤولية الدولية» الطبعة الأولى، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٢١.
٢١. فؤاد ديب «القانون الدولي الخاص» الجنسية، الجزء الأول، جامعة دمشق، ٢٠٠١، ص ١٠١.

البعثات الدبلوماسية هي أداة للاتصال بين الدولة الموفدة لها والدولة الموفد لديها، حيث تقوم بتمثيل الدولة الموفدة لها أمام الدولة الموفد لديها، وأيضا تقوم بالتفاوض مع حكومة الدولة الموفد لديها في كل ما يهم الدولة الموفدة، والعمل على تقريب وجهتي نظر الدولتين في المسائل المشتركة، ويتم هذا التفاوض عادة بين رئيس البعثة ووزير خارجية الدولة المعتمد لديها أو من يقوم مقامه، كما انه من وظائف البعثات الدبلوماسية حماية مواطني الدولة الموفدة للبعثة ـ الأشخاص الطبيعيين والمعنويين ـ إذا وقع اعتداء عليهم أو على أموالهم وذلك في الحدود المقررة وفق قواعد القانون الدولي[٢٢].

فالممثل الدبلوماسي من خلال وظيفة التفاوض يقوم لدي الدولة الأجنبية المعتمد لديها بممارسة الحماية الدبلوماسية ويكون ممثلا لدولته عندما يقوم بأي عمل لصالح مواطني الدولة بهذا الشأن. ويقصد بالتفاوض تبادل الرأي بين شخص أو أكثر من أشخاص القانون الدولي للتوصل إلى اتفاق يتضمن قواعد تنظيم موضوع معين أو تسوية نزاع قائم بينهم.[٢٣]

وتمثل البعثات القنصلية أحد القنوات التي يمكن من خلالها أن تقوم الدولة بتقديم الخدمات والمساعدات لمواطنيها في الخارج، وتعد القنصليات أهم وسائل حماية المواطنين في الخارج. فعلى الرغم من أن القنصل ليست لديه أية صفة دبلوماسية أو تمثيلية، وأن وظيفته السياسية محدودة، إلا أن عدد البعثات القنصلية يزداد بصفة خاصة في المناطق ذات الأهمية التجارية. ومن أهم الوظائف التي تمارسها الهيئات القنصلية حماية مصالح الدولة الموفدة ومصالح مواطنيها ـ الأشخاص الطبيعيين والمعنويين ـ في الدولة المضيفة وذلك في الحدود التي يسمح بها القانون الدولي. بالإضافة الى أن للموظفين القنصلين حرية الاتصال بمواطني الدولة الموفدة ومقابلتهم، وأن يكون لمواطني الدولة الموفدة الحرية ذاتها بالنسبة، للاتصال بالموظفين القنصليين ومقابلتهم.

ثانياً: الوسائل السياسية في الحماية الدبلوماسية

وتكون هذه المسائل في هيئة مساعٍ حميدة تقوم بها دولة ثالثة أو وساطة تقوم بها دولة أو هيئة دولية، أو عن طريق التوفيق أو التحقيق، وسوف نوضح هذه الوسائل وفق الأتي:[٢٤]

١. المساعي الحميدة:

المساعي الحميدة ـ بشكل عام ـ هي إجراء للتسوية السلمية يتمثل في قيام دولة أخرى أو منظمة دولية أو شخصية ذات مكانة، بالسعي دبلوماسياً لإيجاد سبيل للاتفاق بين دولتين متنازعتين، ولا يكون القائم بالمساعي الحميدة طرفاً ولا يتدخل في تسوية النزاع، وإنما يقتصر دوره على إثارة السعي إلى تسوية وتحريكه.

٢. الوساطة:

٢٢. فؤاد ديب، مصدر سبق ذكره، ص ١٠٣.

٢٣. عصام زناتي، مصدر سبق ذكره، ص ١٣٤.

٢٤. محمد حافظ غانم «المسؤولية الدولية» دراسة لأحكام القانون الدولي ولتطبيقاتها التي تهم الدول العربية، محاضرات القيت على طلبة قسم الدراسات القانونية العربية، ، القاهرة ١٩٦٣، ص ١١٥.

ويقصد بها قيام دولة ثالثة بالسعي لإيجاد تسوية للنزاع القائم بين دولتين متنازعتين، وللدولة الثالثة أن تشترك في المفاوضات الدائرة بين الطرفين المتنازعين، وأن تقترح حلاً للنزاع.

وتختلف الوساطة عن المساعي الحميدة بأن الطرف الثالث يتابع المفاوضات التي تتم بين أطراف النزاع، ويقوم أيضا باقتراح الحل الذي يراه مناسبا للنزاع، وتتميز الوساطة في الأساس بكونها اختيارية.

٣. التحقيق:

تلجأ الدولة عادة إلى التحقيق إذا كان هناك نزاع حول بعض الوقائع، كما أن بعض الجهات المكلفة بحل نزاع ما ـ كمحكمة تحكيم أو لجنة توفيق ـ قد تلجأ الى التحقيق لاستجلاء نقاط معينة. و تتضمن لجنة التحقيق عدداً من الأشخاص ويكون لها رئيس ومسجل ومكان لحفظ الأرشيف، وتنشأ لجنة التحقيق عادة لمدة محدودة، ولمعالجة موضوع معين.

كما تكون مهمة اللجنة قاصرة على جمع الحقائق ووضعها تحت تصرف الطرفين كي يتصرفوا على ضوئها، ويقررا إما الدخول في مفاوضات مباشرة بقصد حل النزاع، أو يقررا عرضه على التحكيم الدولي أو على محكمة دولية.[٢٥]

٤. التوفيق:

وهو إحالة النزاع إلى لجنة بقصد أن تقدم اقتراحات لتسوية النزاع، دون أن يكون لتلك المقترحات صفة الإلزام.

وتتكون لجنة التوفيق غالباً من أشخاص يتم اختيارهم بصفتهم الشخصية «وإن كان ليس ثم ما يمنع من اختيارهم بصفتهم الرسمية أو الوظيفية»، وهي تظم عادة أشخاص يحملون جنسية أطراف النزاع «بما يطمئن الدول على عرض مواقفها بطريقة أمينة»، وأشخاص آخرين يتم اختيارهم باتفاق بين الأطراف المعنية.

وهناك تقارب بين الوساطة والتوفيق من حيث الهدف وهو التوصل إلى حل النزاع بطريقة ودية، بيد أنهما يختلفان من حيث أن الوساطة تعمل على جمع طرفي النزاع للقيام بمفاوضات مباشرة بينهما، على حين أن التوفيق يتم بواسطة لجنة محايدة تحيل إليها الدول المتنازعة مشكلتها لتقوم بفحصها ودراستها والتحقق من وقائعها، ثم اقتراح الحلول الملائمة للنزاع.

الفرع الثاني: الوسائل القضائية للحماية الدبلوماسية:

إن اللجوء إلى الوسائل القضائية يتم بالرضا المتبادل بين الدولة الوطنية للمواطن المتضرر والدولة المسؤولة عن الفعل الضار. وتنحصر الهيئات القضائية في نوعين هما: هيئات التحكيم والمحاكم الدولية.

أولا: هيئات التحكيم الدولية

تتعدد أشكال التحكيم الذي يمكن اللجوء إليه بصدد الحماية الدبلوماسية، كالأتي:

أ. محكمة التحكم الدائمة:

٢٥. أريك ويلر «قاعدة الجنسية إمام المحاكم الدولية» باريس ١٩٩٧، ص ١٧٥.

تعد محكمة التحكم الدائمة من أهم إنجازات مؤتمر لاهاي ١٨٩٩، ولكن هذه المحكمة ليست دائمة كما يوحي أسمها، حيث أنها لا تتكون من قضاة دائمين، وإنما من أشخاص معينين مقدماً للقيام بمهمات التحكيم، ترشحهم دولهم (الأطراف في اتفاقية فض المنازعات بالوسائل السلمية) من بين رجال القانون المعروفين وبمعدل أربعة لكل دولة على الأكثر ولمدة سبع سنوات قابلة للتجديد،

ومن بين هذه الأسماء تختار الدول المتنازعة أعضاء الهيئة الخاصة للفصل في النزاع المعين والتي تتألف من خمسة أعضاء، وعلى هذا فإن محكمة التحكيم الدائمة تتكون من ١٢ . ١٥. عضوا، ومن بينهم يتم اختيار القضاة للفصل في نزاع معين طبقاً لشروط الاتفاق الموقع عليه من قبل أطراف الخصومة.

ويوجد المكتب الدولي لهذه المحكمة في لاهاي، وهو بمثابة قلم كتاتب للمحكمة، وهو الجهاز الوحيد الدائم للمحكمة الدائمة للتحكيم.[٢٦]

ولقد فصلت المحكمة منذ إنشائها في عام ١٨٩٩ في عشرين قضية كان آخرها في عام ١٩٢٢، وفي عام ١٩٦٢ أعد المكتب الإداري للمحكمة"لائحة التحكيم والتوفيق في المنازعات الدولية بين طرفين أحدهما فقط دولة"، ومن ثم استحدثت المحكمة القواعد التي بمقتضاها أمكن أن تحال إليها المنازعات التي تقع بين الدول من ناحية والأفراد والشركات التجارية الخاصة من ناحية أخرى.

ب: محاكم التحكيم الخاصة:

يقصد بها تلك المحاكم التي تنشئها الدول للتحكيم في منازعات معينة ثم تحل. ويختلف اختيار المحكمين من حالة لأخرى حسب اتفاق الطرفين. وتستند محاكم التحكيم الخاصة كثيراً على القواعد التي نصت عليها اتفاقية"لاهاي"عام ١٩٩٧ ف بشأن إجراءات التحكيم، وقد تبنت لجنة القانون الدولي التابعة للأمم المتحدة منذ عام ١٩٥٣ القواعد المنظمة للتحكيم، وقد انتهت عام ١٩٥٨ إلى عدة قواعد تتعلق بإجراءات التحكيم.

جـ. لجنة الدعاوى المختلطة:

ويطلق عليها أسم محاكم التحكيم المختلطة، وتشكل هذه اللجان عندما يكون هناك عدة طلبات تتعلق بالأفراد لم يتم تسويتها بين بعض الدول المعنية بهذه المطالبات، يطلق عليها أسم لجان الدعاوى المختلطة تميزا لها عن محاكم التحكيم التي تفصل في المنازعات الدولية التي لا تتعلق مباشرة بدعاوى فردية. لان التحكيم في الأصل وسيلة لتسوية المنازعات بين الدول، ولكن الدول تقوم بينها بعض المنازعات بسبب الأضرار التي تلحق مواطنيها ورعاياها من الأشخاص الطبيعيين والاعتباريين.[٢٧]

ثانيا: المحاكم الدولية:

تتمثل المحاكم الدولية التي تتولى وظيفة القضاء الدولي في محكمة العدل الدولية والمحكمة الدولية لقانون البحار، وغرفة منازعات قاع البحار، بالإضافة إلى بعض المحاكم الإقليمية مثل المحكمة الأوربية لحقوق

٢٦. بول دي فيشر «الحماية الدبلوماسية للأشخاص المعنوية» دورية أكاديمية لاهاي للقانون الدولي، ١٩٦١، ص ١٢٢.
٢٧. جان بيري «الحماية الدبلوماسية للمساهمين في الشركات» باريس١٩٦٥، ص ١٢٧.

الإنسان، وسوف تقتصر دراستنا هنا على محكمة العدل الدولية باعتبارها هي المحكمة الدولية ذات الاختصاص العالمي.

أ. محكمة العدل الدولية:

تعتبر محكمة العدل الدولية التي أنشئت في ظل ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٨ الجهاز القضائي الرئيسي للأمم المتحدة.

وطبقاً للمادة (٩٣) الفقرة (أ) من ميثاق الأمم المتحدة «يعتبر جميع أعضاء الأمم المتحدة بحكم عضويتهم أطرافاً في النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية». وإن رفع الدعاوى أمام المحكمة حق للدول فقط، حيث نصت المادة (٣٤) الفقرة (أ) من النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية على أنه (للدول وحدها الحق في أن تكون أطرافاً في الدعاوى التي ترفع للمحكمة)، فلا يملك الأفراد أهلية التقاضي أمام محكمة العدل الدولية، ولذلك فإن دعوى الفرد أو الشخص المعنوي ضد دولة أجنبية يمكن أن ترفع أمام محكمة العدل الدولية بواسطة دولته فقط.

وتفصل المحكمة في النزاع المعروض عليها وفقاً لأحكام القانون الدولي العام، والأحكام التي تصدرها المحكمة نهائية غير قابلة للاستئناف، غير أنه يمكن طلب إعادة النظر في الدعوى عند ظهور وقائع تؤثر في موضوع الدعوى. ولقد وضع ميثاق الأمم المتحدة نواة التنفيذ الجبري لأحكام محكمة العدل الدولية، فنصت المادة (٩٤) على أنه (إذا امتنع أحد المتقاضين في قضية ما عن القيام بما يفرضه عليه حكم تصدره هذه المحكمة، فللطرف الأخر أن يلجأ لمجلس الامن، ولهذا المجلس، إذا رأى ضرورة لذلك أن يقدم توصياته أو يصدر قراراً بالتدابير التي يجب اتخاذها لتنفيذ هذا الحكم)[٢٨].

الخاتمة

إن الحماية الدبلوماسية تتمثل في قيام الشخص الدولي بحماية مواطنيه ورعاياه، إذا استلزم الأمر لهذه الحماية، تجاه شخص دولي آخر، وفقاً لقواعد القانون الدولي العام. وبدراستي لهذا الموضوع (الحماية الدبلوماسية) فقد توصلت إلى عدة نتائج ومقترحات أهمها:.

أولا: النتائج:

١- تتضمن وسائل الحماية الدبلوماسية نوعين من الوسائل، الوسائل السياسية، والوسائل القضائية.

٢- تعتبر الوسائل السلمية لحل النزاعات الدولية السبيل الوحيد المتاح لتسوية تلك المنازعات بعد القضاء على حق الدول في شن الحرب وتحريم استخدام القوة في العلاقات الدولية.

٣- لا يجوز للدولة التدخل لحماية مواطنيها دبلوماسياً ما لم يكن سلوكهم في الدولة المدعى عليها سلوكاً مشروعاً.

٢٨. إحكام محكمة العدل الدولية: قضية انترهاندل ١٩٥٩، قضية برشلونة تراكشن ١٩٩٧، قضية السي ١٩٨٩، ص١٦٥.

٤- لا يحق للدولة الوطنية للمضرور التدخل لحمايته دبلوماسياً إلا إذا استنفد كافة الوسائل القضائية المتاحة له في القانون المحلي للدولة المسؤولة، باستثناء بعض الحالات التي لا تطبق فيها هذه القاعدة

٥- لا يجوز للدولة ممارسة الحماية الدبلوماسية بالنيابة عن الشخص المضرور إلا إذا كان هناك رابطة بينه وبين الدولة التي تتولى حمايته، وتتمثل هذه الرابطة بعلاقة الجنسية.

٦- إنَّ الدولة الوطنية تستطيع الموافقة أو رفض تحمل مسؤولية المطالبة دون أن تكون ملزمة بتبرير قرارها باعتبار أن الحماية الدبلوماسية حق خاص بالدولة الوطنية.

ثانيا: المقترحات

ونتيجة للدراسة السابقة توصلت إلى المقترحات التالية:

١. نظراً لان القواعد التي تنظم الحماية الدبلوماسية مازالت قواعد عرفية وأغلبها غير ثابتة نرى ضرورة وضع نظام خاص بالحماية الدبلوماسية عن طريق معاهدة دولية.

٢. نظرا للعوامل التي تؤثر في فاعلية الحماية الدبلوماسية، وخاصة من الناحية السياسية، نقترح ضرورة الاعتراف بالأهلية القانونية للفرد في اللجوء إلى المحاكم الدولية ليدافع عن حقوقه.

٣ـ وانطلاقا من هذا المبدأ نقترح تعديل النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية (م٣٤/أ) بحيث لا يشمل الدول فحسب، بل الأفراد والمنظمات الدولية أيضا ويكون لها فروع إقليمية من أجل سهولة التقاضي بين أطراف النزاع.

قائمة المراجع

أولا: الكتب والبحوث:

١. أحمد أبو الوفا. القانون الدولي العام. القاهرة: دار النهضة العربية. الطبعة الرابعة. عام ٢٠٠٤.

٢. حامد سلطان. القانون الدولي العام في وقت السلم. القاهرة: دار النهضة العربية. الطبعة الخامسة. عام ١٩٧٢.

٣. رفيق عطية الكسار. الحماية الدبلوماسية لرعايا الدولة. رسالة دكتوراه مقدمة إلي كلية القانون. جامعة القاهرة،(غير منشورة)، (عام ١٩٩٨).

٤. عبد السلام المزوغي. القانون الدولي العام في منظور جديد: المركز القومي للدراسات القانونية وبحوث حقوق الإنسان. (ب ط) (ب ت).

٥. عدنان طه الدوري، عبد الأمير عبد العظيم العكيلي. القانون الدولي العام. الجزء الثاني، الأحكام المنظمة للعلاقات الدولية وقت السلم والحرب: منشورات الجامعة المفتوحة. عام ١٩٩٤.

٦. علي حسين الشامي. الدبلوماسية. نشأتها وتطورها: دار العلم للملايين. الطبعة الثانية. عام ١٩٩٤.

٧. علي صادق أبو هيف. القانون الدبلوماسي. عموميات. الإسكندرية: منشات المعارف. د ط. د ت.

٨. ماجد إبراهيم علي. قانون العلاقات الدولية في السلم والحرب. القاهرة: مطابع الطويخي التجارية. عام ١٩٩٣.

٩. محمد السعيد الدقاق، مصطفى سلامه حسين. القانون الدولي المعاصر. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية. عام ١٩٩٧.

١٠. محمد حافظ غانم. الوجيز في القانون الدولي العام: دار النهضة العربية. عام ,١٩٧٩

١١. محمد سامي عبد الحميد. القانون الدولي العام. الجزء الثاني، القاعدة الدولية. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية. الطبعة السابعة. عام ٢٠٠٥.

١٢. محمد سامي عبد الحميد، محمد السعيد الدقاق، إبراهيم أحمد خليفة. القانون الدولي العام. الإسكندرية: دار المطبوعات الجامعية. عام ,٢٠٠٣

١٣. مصطفى أحمد فؤاد. القانون الدولي العام. القاعدة الدولية. مصر: دار الكتب الوطنية. عام ٢٠٠٤.

١٤. منصور الفيتو ري حامد. نظام التمثيل الدبلوماسي في القانون الدولي. رسالة دكتوراه مقدمة إلي كلية القانون. جامعة الحسن الخامس. الدار البيضاء. (غير منشورة). عام ٢٠٠٠.

ثانياً: المواثيق والاتفاقيات الدولية:-

١. ميثاق الأمم المتحدة، عام ١٩٤٥ .

٢. اتفاقية فيينا للعلاقات الدبلوماسية المبرمة في ١٨. ٤ . ١٩٦١، منشورات الأمم المتحدة. رقم المبيع A.95.v.6.

٣. اتفاقية فيينا للعلاقات القنصلية.المبرمة في ٢٤ . ٤ . ١٩٦٣، منشورات الأمم المتحدة. رقم المبيع A.95.v.6.

٤. تقرير لجنة القانون الدولي العام، عام ١٩٩٨، إلي الجمعية العامة عن دورتها ٥٠، الأمم المتحدة، نيويورك.

الإبداع التسويقي وأثره في تصميم البناء الأخضر

Creativity marketing and its impact on green building design

م.م. حسين وليد حسين [١] Assist. lec. Hossein W. Hossein
م.م. احمد عبد محمود [٢] Assist. lec. Ahmed A. Mahmmod

المستخلص

يهدف هذا البحث الى تحديد اثر الابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر في المنظمات المعاصرة، وقد اشارت مشكلة البحث الى وجود قصور واضح في توظيف ابعاد التسويقي الابداعي في ضمان تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة، واختير المركز الوطني للاستشارات الهندسية كميدان للتطبيق، وتم اختيار عينة البحث بطريقة العينة العشوائية البسيط والمكونه من (٢٥) فرداً من الموارد البشرية في المركز اعلاه، وقد اعتمدت الاستبانه كاداة للحصول على بيانات البحث التي تم اعدادها بالاستناد الى عدد من المقاييس الجاهزة بعد اخضاعها لاختبارات الصدق والثبات، واستخدم البرنامج الاحصائي الجاهز (SPSS) في ادخال وتحليل بيانات البحث، وقد اسفرت الادوات الاحصائية عن عدد من النتائج اكدت معظمها على وجود علاقة ارتباط وتاثير ذات دلاله معنوية للابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر وبناء على ذلك تم قبول الفرضيات الرئيسة والفرعية التي تضمنها البحث، وعليه اوصى الباحثان ضرورة قيام المنظمة المبحوثة بتحديد اهم المجالات التي تتمتع بها في مجال الابداع التسويقي والتي من الممكن ان توظفها في مجال تصميم البناء الاخضر.

---

١ – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.
٢ – وزارة التعليم العالي والبحث العلمي.

Abstract

This research aims to determine the impact of creative marketing in the design of green building in contemporary organizations, noted the research problem to the existence of obvious deficiencies in the employment of the dimensions of the marketing creative in ensuring the green of the organization researched construction design, and was selected the National Center for Engineering Consultancy as an arena for the application, has been selected sample Find a way random sample simple, consisting of (25) members of the human resources in the center above, has adopted a questionnaire as a tool to get search data that had been prepared on the basis of a number of measures ready after subjected to tests of validity and reliability, and use statistical program Ready (SPSS) in the introduction and analysis of data Search, has resulted in the statistical tools for a number of results confirmed most of an association and the impact of relationship with significance distinguished catalog in green building design and construction on it was accepted main and branch assumptions contained in the search, and it recommended that researchers need to do the surveyed organization identifying the most important areas that have in the field of marketing and creativity that could be employed in the field of green building design.

المقدمة

يعد الابداع التسويقي احد العناصر المهمة لضمان استمرار المنظمة في العمل ونموها وتطورها في ظل البيئة الديناميكية التي تعمل ضمنها، وذلك للدور الكبير الذي يمارسه في تعزيز قدرتها على تطوير منتجات وخدمات جديدة وأساليب تسويقية مبتكرة تتلائم مع احتياجات المستهلكين والزبائن الذي تتعامل معهم المنظمة والذي بدوره سينعكس في تعزيز ميزتها التنافسية، كما بدأ العالم يعترف بالارتباط الوثيق بين نجاح المنظمة والبيئة، وعليه اتجهت المنظمات نحو تصميم البناء الاخضر لتلبية احتياجات زبائنها دون الإضرار باي من مكونات البيئة المحيطة بها. ولهذه اهمية سنحاول في هذا البحث التعرف على اثر الابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر للمنظمات المعاصرة، ويقع هذا البحث في اربعة مباحث، خصص المبحث الاول للمنهجية العلمية للبحث مع محاولة الباحثين عرض بعض الجهود الفكرية السابقة التي تمكنوا من مراجعتها، اما المبحث الثاني فقد حاول الباحثان من خلاله التعريف بمتغيرات البحث من الناحية النظرية، وجاء المبحث الثالث لتشخيص واقع واهمية متغيرات البحث فضلاً عن اختبار الفرضيات الرئيسة والفرعية التي انطلق منها البحث، واخيراً خصص المبحث الرابع لعرض اهم الاستنتاجات التي خرج بها البحث، مع محاولة تقديم عدد من التوصيات التي من شانها تعزيز المعرفة وبقدر تعلق الامر بمتغيرات البحث.

المبحث الاول: المنهجية العلمية للبحث وبعض الدراسات السابقة

أ: المنهجية العلمية للبحث:

سنحاول في هذه الفقرة التعرف على المشكلة الرئيسة للبحث واهميته واهم اهدافه والفرضيات الرئيسة والفرعية التي انطلق منها، فضلا عن تحديد اهم الادوات المستخدمة في جمع وتحليل البيانات، مع توضيح بعض خصائص العينة المبحوثة:

أولا: مشكلة البحث

لقد شهدت الإدارة ومنذ المراحل الأولى لظهورها وتطورها طروحات ومناقشات جدية للتعامل مع البيئة المحيطة بها، فضلا عن مناقشة ظروف بيئة العمل الخاصة بها، ومن بين الموضوعات ذات الأهمية الكبيرة في الوقت الحاضر هو الابداع التسويقي وتصميم البناء الاخضر الذي يساعد المنظمة على تحقيق العديد من مسؤولياتها وواجباتها اتجاه البيئة التي تعمل ضمنها واحدى هذه المسؤوليات هي حمايتها وعدم الاضرار بها. وقد لمس الباحثان من خلال المعايشة الميدانية في ميدان التطبيق ان المكشلة الرئيسة للبحث تبرز في وجود قصور واضح وقلة وعي باهمية الابداع التسويقي واثره في ضمان تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة. كما يمكن ان تثار عدد من بالتساؤلات وكما ياتي:

١. ما المقصود بالابداع التسويقي؟ وما هي أهم تطبيقاته؟ وكيف يمكن للمنظمات استخدامه؟
٢. هل يوجد وعي كافي لدى الادارة في المنظمة المبحوثة باهمية تصميم البناء الاخضر؟
٣. هل تساهم تطبيقات الابداع التسويقي في نجاح تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة؟

ثانيا: أهمية البحث

تتجلى الأهمية العلمية للبحث من خلال المتغيرات المبحوثة، والتي تمثل ظواهر أدارية حديثة تشكل التوجه العام للمنظمات المتميزة، إذ حاول البحث الجمع بين"الابداع التسويقي وتصميم البناء الاخضر"، كما تبرز الأهمية التطبيقية للبحث من خلال محاولة قياس علاقة الارتباط والتأثير بين متغيرات البحث الرئيسية والفرعية، باستخدام مقياس تم أعداده على وفق عدد من المعايير والمؤشرات العالمية وذلك انسجاماً مع ما مطروح في العالم المتقدم، وبالتالي التوصل الى النتائج من الممكن ان تساهم في تعزيز المعرفة والخبرة في هذا المجال، فضلاً عن تقديم مجموعة من الحلول للعديد من المشكلات التي تواجهه المنظمات في المجال المبحوث.

ثالثا: أهداف البحث

يمكن تحديد الأهداف التي يسعى البحث الى تحقيقها بالاتي:

١. تقديم اضافة نظرية متواضعة الى المكتبة العربية والعراقية باحدى المواضيح الحديثة في مجال الادارة.
٢. محاولة تقديم مجموعة من المقترحات التي من شانها تعزيز مستوى المعرفة والتطبيق المتعلقة بمتغيرات البحث.

٣. التعرف على طبيعة العلاقة والتاثير بين الابداع التسويقي وانعكاسه في تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة.
٤. تشخيص ابرز مجالات الابداع التسويقي في المنظمة المبحوثة.
٥. التعرف على اهمية تصميم البناء الاخضر التي تسعى المنظمة المبحوثة الى تحقيقه.

رابعاً: المخطط الفرضي للبحث

يبين المخطط الفرضي توضيحاً للفكرة الأساسية للبحث، فضلا عن توضيح علاقات الارتباط والتأثير بين المتغير المستقل"الابداع التسويقي"، والمتغير التابع"تصميم البناء الاخضر"، والنتيجة المتوقعة من ذلك هي نجاح المتغير التابع، وكما يوضحه الشكل (١):

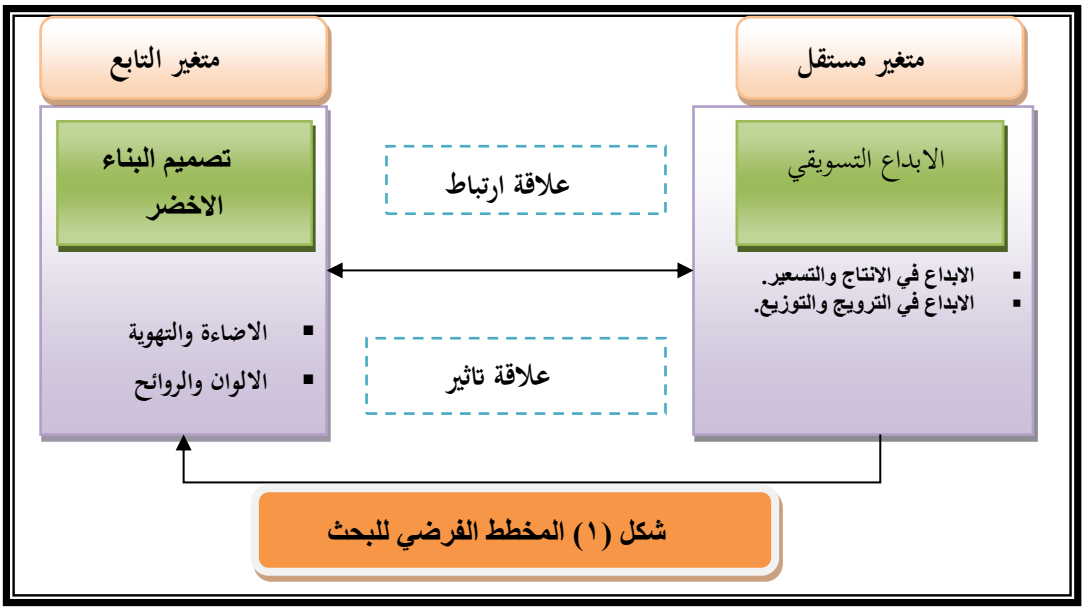

شكل (١) المخطط الفرضي للبحث

خامساً: فرضيات البحث

يتضمن البحث الحالي فرضيتين رئيسيتين تتفرع عنها عدد من الفرضيات الفرعية وكما ياتي:

١. الفرضية الرئيسة الاولى تنص على:"وجود علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين الابداع التسويقي وتصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة"، وتتفرع عن هذه الفرضية عدد من الفرضيات الفرعية وهي:

- الفرضية الفرعية الاولى تنص على:"وجود علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين بعد الابداع في الانتاج والتسعير وبين تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".
- الفرضية الفرعية الثانية تنص على:"وجود علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين بعد الابداع في الترويج والتوزيع وتصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

٢. الفرضية الرئيسة الثانية تنص على:"يؤثر الابداع التسويقي تاثير ذات دلاله معنوية من الناحية الاحصائية في تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة"، وتتفرع عن هذه الفرضية عدد من الفرضيات الفرعية وهي:

- الفرضية الفرعية الثالثة تنص على:"يؤثر بعد الابداع في الانتاج والتسعير تاثير ذات دلالة معنوية من الناحية الاحصائية في تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".
- الفرضية الفرعية الرابعة تنص على:"يؤثر بعد الابداع في الترويج والتوزيع تاثير ذات دلالة معنوية من الناحية الاحصائية في وتصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

سادساً: اداة جمع البيانات

تم الحصول على بيانات البحث من خلال اعداد استبانة بالاستناد الى عدد من المقاييس الجاهزة بعد ان تم تكييفها لتتلاءم مع اغراض البحث الحالي، وقد تم اخضاع الاستبانه بمقاييسها المعتمدة إلى اختبارات الصدق والثبات، اذ تم عُرض الأستبانه على عدد من المحكمين المتخصصين في مجالات ادارة الاعمال والقياس والتقويم البالغ عددهم (٥) وفي ضوء ملاحظات وآراء السادة المحكمين تم تعديل فقرات الاستبانه وحدف بعضها، وقد حصلت معظم فقرات الأستبانه على نسبة اتفاق بلغت (٨٧%)، وللتأكد من ثبات أداة البحث قام الباحثان بتطبيقها على عينة استطلاعية قوامها (١٢) فرد من مجتمع البحث، وبعد (١٤) ايام أعيد توزيع الاستبانة مرة أخرى على المجموعة نفسها، وقد بلغت قيمة معامل الثبات للاستبانة ككل وفق معامل"كرونباخ الفا"Cronbach–Alpha (٨٢%) وهي مقبولة ودال إحصائيا في نفس الوقت، وهذا يعني ان الاستبانه بمقاييسها المختلفة ذات ثبات عالي يمكن اعتمادها في أوقات مختلفة للأفراد أنفسهم وتعطي النتائج ذاتها.

سابعاً: الأساليب الإحصائية المستخدمة في تحليل البيانات

تم استخدام البرنامج الإحصائي الجاهز (SPSS) وبرنامج (Excel) في إدخال وتحليل بيانات البحث، ومن أهم الأدوات الإحصائية التي تم استخدامها في الجانب التطبيقي الأتي:

١. معامل التكرار: لغرض تحديد النسبة المئوية للاتفاق حول فقرات البحث.
٢. الوسط الحسابي: ويستخدم لتحديد مستوى الإجابة حول الفقرات ومعرفة مستوى المتغيرات أو متوسط تلك المجموعة.
٣. الانحراف المعياري: يستخدم لمعرفة مستوى تشتت إجابات العينة حول الوسط الحسابي، وهو الجذر ألتربيعي الموجب للتباين.
٤. معامل الاختلاف: ويستخرج من خلال قسمة الانحراف المعياري على قيمة الوسط الحسابي لتحديد اهمية متغيرات البحث.
٥. معامل الارتباط لسبيرمان: لتحديد نوع العلاقة بين متغيرات البحث التفسيرية والاستجابية.
٦. معامل الانحدار الخطي البسيط: لقياس تأثير المتغير المستقل في المتغير التابع.

ثامناً: مجتمع وعينة البحث

اختيرت القطاع الصناعي كمجتمع للجانب العملي، اذ تم اختيار المركز الوطني للاستشارات الهندسية / وزارة الاعمار والاسكان ميدان للتطبيق، و تم اختيار عينة البحث بطريقة العينة العشوائية البسيطة من الموظفين العاملين في المركز وقد بلغ حجم العينة (٢٥) فرداً اي ما يعادل ٤٣% من مجتمع البحث وهي من النسبة المقبول في الدراسات الاجتماعية، ويمكن من خلال الجدول (٢) توضيح بعض خصائص العينة المبحوثة وكما ياتي:

جدول (٢) خصائص العينة المبحوثة

النوع البشري		الشهادة		سنوات الخدمة	
ذكور	١٨	بكالوريوس	٢٥	اقل من ٥ سنوات	٩
				من ٦-١٠ سنة	١٢
إناث	٧			من ١١-٢٠سنة	٤

يتبين من الجدول (٢) ان نسبة الاناث العاملين في المنظمة المبحوثة اقل من نسبة الذكور، كما ان معظم افراد العينة المبحوثة هم من حملة الشهادة الجامعية، ولديهم خدمة اكثر من (٥) سنوات، وهذا من الممكن ان يساعد على زيادة الدقة والقناعة عند الاجابة على فقرات الاستبانه، وبالتالي سينعكس ذلك على قدرة الباحثين في تحقيق الاهداف المرجوة من بحثهم.

ب: دراسات سابقة:

خصصت هذه الفقرة لعرض بعض الجهود الفكرية السابقة التي تمكن الباحثان من مراجعتها والافادة منها في البحث الحالي، من خلال تعميق الرؤية والقناعة باهمية البحث الحالي، فضلاً عن المساعدة في البناء الصحيح لهذا البحث، وتم الافادة من هذه الدراسات في تعزيز الجانب النظري للبحث واعداد المقياس المستخدم لاختبار فرضياته الرئيسة والفرعية والتعرف على اهم الادوات الاحصائية المعتمدة في تحليل البيانات واعلان النتائج وتفسيرها.

١. دراسة (عيسى، ٢٠٠٣) الطاقات المتجددة والتصميم العمراني المستدام

يتناول هذا البحث مناقشة التأثير السلبي للإستخدام المفرط لمصادر الطاقة التقليدية، وإيجابيات الإعتماد على مصادر الطاقة المتجددة في مجال التنمية العمرانية، ثم مناقشة مفهوم التصميم العمراني الاخضر ومبادىء تحقيق هذا المفهوم وأهم تطبيقات إستخدام مصادر الطاقة المتجددة في العمران، وينتهي البحث بطرح عدة توصيات يمكن من خلال تبنيها في مرحلة التصميم العمراني أن تقود الى ترشيد إستهلاك الطاقة وتنشيط الإعتماد على مصادر الطاقة المتجددة بدلا عن مصادر الطاقة التقليدية حتى يمكن الحفاظ على بيئة الأرض نظيفة صحية صالحة لحياة الإنسان المعاصر دون الإخلال بحق الأجيال المستقبلية في هذه البيئة النظيفة الصحية غير الملوثة.

٢. دراسة (العجرمي واخرون، ٢٠١١) دور الإبداع التسويقي والتكنولوجيا في تحقيق الميزة التنافسية للبنوك العاملة في محافظات غزة من وجهة نظر العملاء

يهدف هذا البحث الى دراسة دور الإبداع التسويقي والتكنولوجيا في تحقيق الميزة التنافسية للبنوك العاملة في محافظات غزة، اذ تم إبراز هذا الدور ومدى أهميته في تحقيق الميزة التنافسية، بالإضافة إلي اختبار العلاقة بين المتغيرات المستقلة والتابعة فيما يتعلق بدور الإبداع التسويقي والتكنولوجيا. وقد تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى نتائج البحث، اذ قام الباحثون بإعداد استبانه تم توزيعها على عينة عشوائية مكونة من (٤٠٠) زبون من زبائن هذه البنوك. وأظهرت نتائج البحث أن البنوك تتبع الإبداع التسويقي بصورة جيدة مما يعمل على تحقيق ميزة تنافسية للبنك، ولكن هناك بعض القصور التي بينتها نتائج التحليل والتي كان منها أن البنك لا يوفر خدمة الانترنت مباشرة للزبون بشكل مجاني لدى فتح حساب نت أكاونت، و أن البنك لا يهتم بالتغذية الراجعة من الزبائن. كما أظهرت النتائج أن هذه البنوكً تتابع آخر المستجدات في عالم تكنولوجيا المعلومات والاتصالات والنظم المصرفية مما يعزز الميزة التنافسية مع الأخذ بعين الاعتبار نواحي القصور التي أوضحتها نتائج التحليل. وعليه تم تقديم مجموعة من التوصيات أبرزها أن على البنوك أن تعزز من استخدام الإبداع التسويقي لديها والعمل على علاج نواحي القصور التي بينتها نتائج التحليل، و أن تستمر هذه البنوك في متابعة آخر المستجدات في عالم التكنولوجيا والاتصالات والنظم المصرفية والحرص على تطبيقها وتحديثها وتعزيزها.

٣. دراسة (الشهوان، ٢٠١٤) اثر استخدام بطاقة الاداء المتوازن في تعزيز الابداع التسويقي: دراسة حالة في وزارة السياحة والاثار الاردنية

تهدف هذه الدراسة الى التعرف على اثر ابعاد بطاقة الاداء المتوازنة (منظور المالي ومنظور العملاء ومنظور العمليات الداخلية ومنظور التعلم والنمو) في الابداع التسويقي، وقد اختيرت وزارة السياحة والاثار الاردنية كميدان للتطبيق البحث، وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي للوصول إلى نتائج البحث، اذ اعتمدت الاستبانة كاداة رئيسة لجمع بيانات البحث واستخدم البرنامج الاحصائي الجاهز (SPSS) في ادخال وتحليل البيانات، وقد توصل البحث الى عدد من النتائج اهمها وجود تاثير ذات دلالة معنوية لبطاقة الاداء المتوازن في تعزيز الابداع التسويقي في وزارة السياحة والاثار، وعلية اوصى البحث بضرورة توفير مقاييس متكاملة تعمل على ربط العمليات قصيرة الاجل بالاهداف طويلة الاجل بالقدر الكافي لتعزيز مقومات تطبيق الاداء المتوازن والتي بدورها ترسخ مفاهيم الالتزام التنظيمي مما يؤدي بالتالي الى الالتزام والسعي للوصول الى مستوى عالي من الابداع التسويقي.

المبحث الثاني: الجانب النظري

أ: الابداع التسويقي:

ركزت هذه الفقرة على مفهوم الابداع التسويقي واهم نظرياته بالاضافة الى بعض الموضوعات ذات العلاقة به والتي تخدم الاهداف الرئيسة لهذا البحث وكما في الفقرات الاتية:

اولا: مفهوم الابداع التسويقي ومصادره

يعد مصطلح الإبداع في اللغة العربية أحد الشوارد، حيث لم يرد ذكره في الشعر والنثر الا في مواقع محدودة. ولم يتم ذكره بالمفهوم المتعارف عليه حاليا إلا في صدر الإسلام. ولفظة الإبداع في المعجم الوسيط تعني بدعه بدعاً، وأنشأه على غير مثال سابق، وبدع صار غاية في صفته خيرا كان ام شرا، وفلان بدع في الأمر أي كان اول من فعله فهو مبتدع (التك، ٢٠٠٦: ٣٠) والعالم الآن يشهد نضوج في فهم التسويق الحديث وأنه ليس فقط البيع أو التوزيع أو الاعلان وإنما أصبح يشمل كل المنظمات سواء التي تهدف إلى الربح المادي أو غيرها من المنظمات التي تهدف إلى القيم المعنوية كالحكومية أو الخيرية. .ومن العجيب أنك ترى من لا يزال يعرف التسويق على أنه جهود لانسياب المنتجات من المنتجين إلى الأسواق المستهدفة (وللأسف بعضهم من الأكاديميين المتخصصين بالتسويق) وهو تعريف بدأ يظهر سنة ١٩٠٥ (كما يتضح بالأدلة والمراجع المشار إليها بكثير من المقالات الواردة بهذه المدونة) وآخر عهده كان سنة ١٩٤٨ بتعريف جمعية التسويق الأمريكية.. كما أنك قد ترى بعض غير المجددين يرى أن التسويق يقتصر على عناصر المزيج التسويقي الأربعة المعروفة بال ٤ Psوالتي تشير إلى المنتج والسعر والتوزيع والترويج والتي تعتبر توصيف لمجموعات عامة واسعة تحتاج لتفصيل أكثر... ويعدها البعض بحوالي ٦٤ وظيفة تسويقية، إن الابداع التسويقي كلمة أكثر تحديداً من الابتكار التسويقي.. ولذا نقول كل إبداع إبتكار وليس كل إبتكار إبداع.. فالابتكار يعني تقديم شئ جديد بينما الابداع يعني أن يكون هذا الشئ الجديد المبتكر متميزاً في تحقيق الأهداف سواء على مستوى القبول الاجتماعي الواسع أو مستوى منظمات الأعمال أو غير ذلك من محاور التقييم الاقتصادية والاجتماعية والفنية، ويقصد به وضع الافكار الجديدة موضع التطبيق الفعلي في الممارسات التسويقية، وقد ينصب على احد عناصر المزيج التسويقي او على جميعهاً في ان واحد، ويهدف الى الزيادة في مبيعات المنظمة والتعريف بعلامتها التجارية لكسب ثقة الزبون وتحقيق ولائه باعتباره سبب وجودها (عباس، ٢٠١٣: ٢١٤). يشير الباحثون الى تنوع مصادر الإبداع ولكن معظمهم أكدوا على المصادر الداخلية والخارجية او على دور العقل والتفكير. وان الفلاسفة عدو الإلهام والوحي وهما من أهم مصادر الإبداع. فيما ذكر آخرون ان أهم مصادر الإبداع هو الحدس وطبقا لوجهة النظر هذه فان الإبداع يحدث فجأة ودون تدخل الإرادة فيه. كذلك الى ان الإبداع مصدر عن تفاعل ثلاثة عناصر هي: الخبرات المعرفية والفكرية والفنية والمهارات والتفكير الخلاق والدوافع الداخلية والخارجية. كما تنشا الإبداعات من التوقد في الذهن العبقري، واغلبها تنتج عن البحث الفرضي والواعي لفرص الإبداع، ومن هذه الفرص داخل المنظمة هي (الحدوث غير المتوقع، التعارض،

احتياجات العمليات والتغيرات في هيكل الصناعة والسوق) أما المصادر الخارجية فهي التغيرات بالأذواق والمعرفة الجديدة. وأن الأفكار الإبداعية تنبثق من كل المستويات في المنظمة، وأن المنظمة تكون أكثر إبداعا إذا ما استطاعت استثارة التفكير الإبداعي في كل مستوياتها، وهناك مجموعة من هذه المصادر كمكامن رئيسة للإبداع هي:"البحوث – الاختراعات – الاكتشاف – التطوير – حل المشكلات"(التك، ٢٠٠٦: ٣٦).

ثانياً: عناصر الإبداع التسويقي

هناك العديد من عناصر الإبداع التسويقي التي يمكن توضح ابرزها بالاتي (العجرمي واخرون، ٢٠١١: ١١٦):

١. الطلاقة: وتشير الى حجم النشاطات التسويقية خلال فترة زمنية محدودة.
٢. المرونة: وتعكس قدرة المنظمة على الانتقال بين موقف تسويقي وآخر والتعامل مع جميع المواقف .
٣. الاصالة: أي مقدرة الفرد على طرح أفكار تسويقية جديدة لم يسبقه إليها أحد من قبل.
٤. الميل إلى إبراز التفاصيل: أي المعالجة الدقيقة والشاملة التي توضح أبعاد المسائل التسويقية.
٥. القدرة على معرفة المشكلات التسويقية وإدراك طبيعتها.

ثالثاً: نظريات الابداع

قدم عدد من الباحثين عدداً من النظريات التي تفسر عملية الابداع داخل المنظمة بما فيها الابداع التسويقي ومن اهمها الاتي (محمد، ٢٠٠٦: ٢٨-٢٩):

١. نظرية دفع التكنولوجيا: وتسمى بالنظرية الهندسية للإبداع، وتعتمد هذه النظرية على البحث العلمي والحلول الهندسية لتحسين المنتوجات أو عمليات التصنيع، وطبقاً لهذه النظرية فان البحث والتطوير الصناعي هي مصادر المنتوجات والعمليات الجديدة أو المحسنة، اذ توضع مواصفات الإنتاج ويتم تطبيق التكنولوجيا لتصنيع منتوج معين يطابق المواصفات المحددة في البحث الذي يمكن أن يكون براءة اختراع أو منشورات علمية. سادت هذه النظرية في عقد الستينات من القرن الماضي وأكدت على أن مصادر أفكار الحلول يجب أن تنشأ من السوق وهذا التصور كان ممهداً لنظرية سحب السوق.
٢. نظرية سحب السوق: لا تزال هذه النظرية تعطي دوراً أساسا للبحث العلمي كمصدر للمعرفة من اجل تطوير وتحسين المنتوجات والعمليات وتعدُّ الجدوى الفنية شرطاً أساساً ولكنه غير كافٍ للإبداع، وتأخذ هذه النظرية الكفاءة المنظمية بنظر الاعتبار لضمان نجاح الإبداع المستمد من حاجات السوق، لقد تحول الإبداع في هذه المرحلة إلى التركيز على الزبون/ السوق وقد اتخذ التسويق دوراً أساسياً في توليد الأفكار.
٣. نظرية سلسلة الارتباط: نشأت هذه النظرية لتوضيح حقيقة أن الروابط بين المعرفة والسوق ليست تلقائية كما تفترضها النظرية الهندسية ونظرية سحب السوق، وقد جاءت هذه النظرية على

مرحلتين: الأولى عند بداية عقد الثمانينات من القرن الماضي اذ زاد الاهتمام بالربط بين البحث العلمي والسوق، والثانية في نهاية الثمانينات وكان التركيز فيها ينصب على المعلومات المتولدة من خلال الروابط بين الشركة وزبائنها ومجهزيها، ونلاحظ من خلال هذه النظرية أن ادارة الإبداع تعمل على تشكيل توليفات من الأشكال المادية او الملموسة لرأس المال مع شكل معين غير مادي وهي البيانات والمعلومات بشأن الزبائن والمجهزين.

٤. نظرية الشبكات التكنولوجية: ظهرت هذه النظرية في نهاية الثمانينات وخلال تسعينات القرن الماضي من قبل مجموعة من الخبراء أطلقوا عليها اسم أنظمة الإبداع، وتفترض هذه النظرية بانَّ المنظمة المبدعة لديها شبكات متنوعة ومتعاونة بقوة في تبادل المعلومات وقد ركزت على أهمية مصادر المعلومات الخارجية بالنسبة للمنظمة المتمثلة بالزبائن والمجهزين والمستشارين والمختبرات الحكومية والجامعات وغيرها.

٥. نظرية الشبكة الاجتماعية: اعتمدت هذه النظرية على فكرتين سابقتين وتصور جديد، اذ اتفقت مع نظرية دفع التكنولوجيا التي أكدت على أن الإبداع محدد بالبحث، ونظرية الشبكات التكنولوجية التي أكدت أهمية التفاعل بين المنظمات المبدعة ومصادر المعلومات الخارجية، أما تصور هذه النظرية فهو أن المعرفة تلعب دوراً أساسيا في تعزيز الإبداع إذ اعتبرتها عاملاً من عوامل الإنتاج ومحدداً للإبداع، وعن طريق استخدام تكنولوجيا الاتصالات تصبح تلك المعرفة متاحة بسرعة فائقة في مختلف أنحاء العالم بما يشكل تحدياً عبر تحويل المعلومات إلى معرفة.

ب: تصميم البناء الاخضر:

سيتم في هذه الفقرة التعرف على مفهوم تصميم البناء الاخضر واهم تجارب الدول في هذا المجال وبعض الموضوعات ذات العلاقة:

اولاً: مفهوم تصميم البناء الاخضر

يتجه العالم بجميع مفاصله الى مزيد من حالات التقدم والنمو الاقتصادي والاجتماعي والتي انعكست بدورها على ارتفاع مستوى سقف الحاجات والرغبات للمستهلكين والزبائن من السلع والخدمات بما تسهم في تحقيق الرفاهية والارتقاء بجودة الحياة، لذا برز مفهوم تصميم البناء الاخضر ليلائم هذه المستجدات اذ يشكل هيكلة دقيقة ومسؤولة لاستخدام الموارد بكفاءة و بشكل صديق للبيئة في جميع مراحل حياة المبنى والذي يمتد من التخطيط و تحديد الموقع والتصميم والتنفيذ والصيانة وصولاً الى الهدم (البكري،٢٠١٢: ٣٥٠)، وبذات الاتجاه تقريبا اكد (Kats et al،4 :2003) تحديد الموقع والتصميم والتركيب والترميم والمحافظة على البيئة وحمايتها وكفاءة الموارد واستخدام المياه و توفير بيئة داخلية وصحية ومنافع طويلة الامد، اي انها مباني لا تختلف عن كثيرٍ من حيث الشكل عن المباني التقليدية الا انها تختلف من حيث التصميم من حيث الاضاءة اي انها تعتمد الاضاءة الطبيعية والتهوية الجيدة والاستخدام الامثل للمياه والتقليل من استخدام الطاقة الكهربائية فضلا عن استخدامها لمواد في جوهرها

صديقة للبيئة والامتناع عن استخدام اي مواد لاصقة او دهانات تكون مضرة لصحة الانسان، وبذات الاتجاه تقريباً عرف تصميم البناء الاخضر بانها المباني التي لها تأثير اقل او منخفض على صحة الانسان وسلامة البيئة قياسا بالمباني الاخرى التي تؤدي نفس الغرض (Karasov،2004:238)، وتكمن اهمية الموضوع من القيمة الاعتبارية التي تمثلها الابنية الخضراء التي تم اعتمادها كنموذج في تطبيق المقاولة المستدامة وصولا الى تحقيق التنمية المستدامة والتي من شأنها ان تسهم في بلوغ مستوى افضل من الانتاجية والنهوض الاقتصادي، وتخفيف الاعباء عن كاهل الدولة والمجتمع عبر التحول الى مصادر و موارد طبيعية اقل كلفة و ضرراً على البيئة، كما يسهم في مساعدة المنظمة على اجراء تحسينات جوهرية لمقابلة احتياجات زبائنها مستقبلا وباتجاه تقليل مستوى النفايات والتلف واستخدام الطاقة، على ان يكون متوافقاً مع الاستدامة البيئية (ven & jeff،1994:19).

ثانياً: خصائص تصميم البناء الاخضر ومزاياه

هناك عدد من الخصائص التي يتميز بها تصميم البناء الاخضر في ظل البيئة المعاصرة والتي يمكن تحديد ابرزها بالاتي (البكري،٢٠١٤: ٣١٢)، (www.answers.com):

١. ان لا يكون سببا في احداث تأثيرات سلبية على صحة المواطن او تعريضه لاي شكل من اشكال الضرر.
٢. ان لا يكون مصدر تهديد للبيئة او احداث الضرر لها وفي اي مرحلة من مراحل البناء.
٣. يجب ان تتم عملية البناء الاخضر بطاقة وموارد طبيعية اقل مماهو علية في البناء التقليدي.
٤. الاعتماد على مواد معاد تدويرها في بنائه ككل او اجزاء منه وحسب الخصوصية الخاصة بالمبنى.
٥. التقليل قدر المستطاع من مواد التغليف لتقليص حجم النفايات المترتبة على التخلص منها.
٦. ان لا يكون المبنى سبباً في هدر الموارد الطبيعية كما ان لا يكون سبباً في هدر استهلاك الطاقة وان يراعى ذلك في مرحلة التصميم واختيار الموقع.
٧. الامتناع او التقليل من استخدام الموارد الطبيعية القابلة للنضوب او المهددة بذلك اثناء عملية الانشاء وخاصة تلك المواد التي يصعب تعويضها بالفترة القريبة.

ثالثاً: الاسباب والمحفزات للتوجه نحو تصميم البناء الاخضر

ان المباني الخضراء قبل عام ٢٠٠٠ كانت تجارب ممتعة لكنها في الوقت نفسه مشاريع غير ممكنة في عالم الاعمال الواقعي، ومنذ ذلك الحين احدثت عوامل عديدة تغيراً كبيراً في التفكير بشأن هذا الموضوع ولتكون بمثابة اسباب ومحفزات للتوجه نحو اعتماد البناء الاخضر ومن ابرزها (www.answers.com) (p:19،2003،et al،Kats) (p.16،1996،et al،Becker):

١. تحقيق الميزة التنافسية:-لقد اصبح حصول المؤسسات والمشاريع المتخصصة بمجال البناء والاسكان على شهادة الجودة للمنتجات الصديقة للبيئة (الابنية الخضراء) بمثابة ميزة تنافسية لمنتجاتها قياسا بغيرها من المنتجات التقليدية الاخرى، ان الحصول على شهادة"القيادة في الطاقة والتصميم

البيئي"Environmental Design Leadership in Energy (LEED) والمصدقة من مجلس البناء الاخضر الامريكي تعتبر ميزة تنافسية قياسا للأبنية التقليدية.

٢. الكفاءة في استخدام الطاقة:- يعتبر استخدام الطاقة والتكلفة المترتبة على ذلك من المؤشرات المهمة في تبني التوجهات نحو المقاولة الخضراء، حيث تشير الدراسات التي انجزها المجلس الاستشاري الامريكي للأبنية الخضراء على ان متوسط الكلفة السنوية للطاقة في الابنية التقليدية ١,٤٤ $ للقدم المربع، وينخفض هذا المتوسط بحدود ٣٠% عند استخدام الطاقة في الابنية الخضراء، وهذا يعني تخفيض قدره ما يقارب من ٤٤٠٠٠ $ لمساحة قدرها ١٠٠ الف قدم مربع من الابنية المشيدة على وفق المقاولة الخضراء.

٣. الكفاءة في استخدام المياه:-يعاني العالم من مشكلات كبيرة في توفير المياه الصالحة للشرب حيث تشير التقديرات الى انه يمثل ١% فقط من اجمالي المياه المتوفرة على سطح الكرة الارضية، وبالتالي فان التخفيض في استهلاك المياه وعبر اعتماد الابنية الخضراء يمكن ان يؤدي الى تخفيض قدره ٣٠% من الاستهلاك للماء الصالح للشرب قياسا بالأبنية التقليدية. وتقوم استراتيجية الحفاظ على الماء ورفع كفاءة استخدامه في الابنية الخضراء على اساس اعتماد التصميم الافضل والتكنلوجيا المناسبة المستخدمة في الابنية الخضراء.

٤. تقليل النفايات:- النفايات المتولدة عن اعمال الانشاءات العقارية تمثل ٢٥% من مجموع النفايات في الولايات المتحدة الامريكية، وهذا من شأنه ان يزيد من الاعباء على الجهات المعنية في كمية التعامل مع هذه النفايات التي تتمثل بالزجاج والارضيات والفولاذ ومواد البناء بأنواعها المفككة من البناية، ولكن بأعتماد منهج البناء الاخضر فأن الامر يتيح لإعادة الاستخدام للكثير من المواد بدلا من رميها في مكبات النفايات وكما هو حاصل في بناء مركز Auduion الاجتماعي في مدينة نيويورك والذي تم بناءه على وفق اسلوب البناء الاخضر وفي اغلبه من المواد المعاد تدويرها والذي تم تقدير العمر الافتراضي لهذا المبنى ١٠٠ سنة.

٥. قياس الكلفة والعائد:- الواقع الفعلي للأبنية الخضراء يشير الى ان معدل كلفتها اكثر ارتفاعا من الابنية التقليدية ١٠-١٥% ولعل مرد ذلك يعود الى عدد من الاسباب والتي من ابرزها هو:"نقص التكامل ما بين المشاريع المستدامة بعضها مع البعض الاخر. القصور في الاحتساب الدقيق لكلفة دورة حياة الابنية الخضراء ومضامين مراحلها. المحددات التفصيلية في المعلومات التقنية عند اقامة المشروع".

رابعاً: التوجهات نحو تصميم البناء الاخضر في بعض من دول العالم

تعزيزا لما تم عرضه من اطار نظري فيما سبق عن الابنية الخضراء نستعرض في ادناه وبشكل مختصر ومركز لنماذج مختلفة من التوجهات نحو البناء الاخضر لبعض من دول العالم التي هي في مصاف الدول المتقدمة والاخرى من الدول الناميه (www.wikipedia.org)، (www.envirromentalleader.com)،:.

١. الولايات المتحدة الأميركية: اسست في امريكا العديد من الجهات والمنظمات الساعية التي تحقيق برامج البناء الاخضر ويعد مجلس البناء الاخضر الامريكي تأسس عام ١٩٩٠ هو الافضل في قيادة التوجهات نحو تحقيق الاستدامة في الطاقة والتصميم البيئي للأبنية، في عام ٢٠٠٨ بلغ عدد المنظمات المشتركة في هذا المجلس ذات الاهتمام بالبناء الاخضر بحدود ١٧٠٠٠ منظمة تعمل على انشاء اماكن صحية وملائمة للبيئة والعمل من جانب ومحققة لعوائد ربحية مناسبة من جانب اخر. وتشير الاحصاءات الى انه تبلغ نسبة المباني السكنية الخضراء ما قدره ٣% من مجموع مباني السكن في الولايات المتحدة الامريكية وذلك عام ٢٠٠٧، وتم التسويق سنويا لما قيمته ٢ مليار دولار امريكي من المساكن الخضراء ويشير الاستطلاع ان ٨٥% من اصحاب المساكن الخضراء هم سعداء جدا في سكنهم الجديد.

٢. المملكة المتحدة: روجت جمعية التوعية للأبنية الخضراء Association for Environment Conscious Building (AECB) ومنذ عام ١٩٨٩ للأبنية المستدامة حيث وضعت التعليمات الخاصة بمتطلبات البناء الاخضر في بريطانيا من حيث العزل الحراري والسمات الاخرى في استدامة مقاولات البناء، اما في ويلز Wales فان الدعم للبناء الاخضر يأتي من منظمات غير هادفة للربح ومن ابرزها منظمة Rounded Development Enterprises في مدينة كارديف، حيث توجد افضل بناية خضراء في المملكة المتحدة في شارع المراكز الاعلامية.

٣. الهند: تم تشريع مجلس البناء الاخضر الامريكي India green building council في عام ٢٠٠١ والذي يهدف الى التشجيع لتبني واسع لمفهوم الابنية الخضراء والصناعة الهندسية التي تكون صديقة للبيئة. وقد حصل هذا المجلس على شهادة الاجازة في العمل من مجلس الابنية الخضراء الامريكي ويقوم هذا المجلس في عمله على مبادئ رئيسية هي:"تطوير مواقع الاستدامة، الحفاظ على الماء، كفاءة الطاقة، اختيار المواد، جودة البيئة الداخلية للأبنية"وقد بلغ مجموع الابنية الخضراء في الهند عام ٢٠٠٣ بحدود ١٤٥٠ مشروع.

٤. ماليزيا: يقوم معهد المعايير والبحث الصناعي (SIRIM) بالترويج لتقنيات البناء الاخضر باعتباره جهة استشارية وتنفيذية تتولى مهام التصميم للأبنية الخضراء في ماليزيا. فضلا عن جمعية المهندسين الماليزية والتي قامت بإصدار دليل البناء الاخضر عام ٢٠٠٩، وتهدف من وراء ذلك الى تصميم ابنية مستدامة وصديقة للبيئة ويلقي هذا التوجه والمشروع دعما كبيرا من الحكومة الماليزية، وتهدف هذه الجهات بالتعاون مع مصممون ومهندسون ومقاولون نحو تبني مشاريع البناء الاخضر والتي تتوافق مع الاهتمام بالقضايا البيئية ذات التماس المباشر مع حياة الانسان.

٥. جنوب افريقيا: تم تأسيس مجلس الابنية الخضراء في جنوب افريقيا عام ٢٠٠٧ وقد تم الاسترشاد والاعتماد في تكوين هذا المجلس على تجربة مجلس الابنية الخضراء في استراليا وذلك عام ٢٠٠٨ حيث يقوم المجلس بتزويد الشركات والمقاولين في مجال البناء بالمقاييس والارشادات لتحقيق البناء الاخضر، وما يعقب ذلك من تقديم شهادة تشير الى الاعتراف بكون الابنية المنفذة هي خضراء

فعلا، وكانت الخطوة الاولى للمجلس الاخضر في جنوب افريقيا هو نشر دليل عام وبشكل تجريبي للابنية الخضراء وذلك عام ٢٠٠٨، وقد ركز هذا الدليل على كيفية استغلال وتوفير الطاقة على وفق المعايير المعتمدة في جنوب افريقيا.

المبحث الثالث: الجانب التطبيقي

خصص هذا المبحث للتعرف على واقع المتغيرات المبحوثة واهميتها من خلال اجابات افراد العينة المبحوثة فضلا عن تحديد طبيعة العلاقة والتاثير بين المتغيرات الرئيسة والفرعية للبحث ليتسنى لنا اختبار الفرضيات الاساسية والفرعية التي انطلق منها البحث وكما في الفقرات الاتية:

اولا: تشخيص واقع متغير الابداع التسويقي واهميته

قيس هذا المتغير من خلال بعدين:"الابداع في الانتاج والتسعير، الابداع في الترويج والتوزيع"والجدول (٣) يوضح مستوى اجابات افراد العينة المبحوثة عن فقرات هذا المتغير:

جدول (٣) تشخيص واقع واهمية متغير الابداع التسويقي وابعاده

الفقرات	النسبة المئوية للتكرار	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف
الابداع في الانتاج والتسعير				
تعتمد الشركة على تكنولوجيا المعلومات في تقديم خدماتها الى المستهلكين.	%٩٦	٤,١	٠,٤٤	٠,١١
تسعى الشركة الى تحديث خدماتها بشكل فوري وسريع وبما يتوافق مع المستجدات البيئية.	%٩٦	٤,٥	٠,٧١	٠,١٦
تسعى الشركة الى تقديم بعض العروض المجانية للمستهلكين.	%٩٢	٤,٦	٠,٦٥	٠,١٤
تسعى الشركة الى تقديم مجموعة من التسهيلات المالية عند تسعير خدماتها.	%١٠٠	٤,٣	٠,٤٨	٠,١١
يتم تسعير خدمات الشركة بما يتوافق مع مستوى الدخل.	%٩٦	٤,٥	٠,٥٩	٠,١٣
اجمالي بعد الابداع في الانتاج والتسعير	%٩٦	٤,٤	٠,٥٧	٠,١٣
الابداع في الترويج والتوزيع				
تعتمد الشركة اساليب حديثة في ترويج	%١٠٠	٤,٣	٠,٤٦	٠,١١

خدماتها.				
تعمل الشركة على تقييم خدماتها بعد تسليمها للمستهلكين.	%١٠٠	٤,٤	٠,٥١	٠,١٢
تسعى الشركة الى تحقيق الشعور بالامان لدى المستهلكين اتجاه خدماتها.	%٩٢	٤,٨	٠,٤٤	٠,٠٩
تسعى الشركة الى تقليل فترة الانتظار للمستهلكين بين طلب واستلام الخدمة.	%٨٨	٤,٢	٠,٦٥	٠,١٥
تحاول الشركة تحقيق القيمة المدركة للمستهلكين عند تقديم خدماتها.	%٨٤	٤,٤	٠,٧٦	٠,١٧
اجمالي بعد الابداع في الترويج والتوزيع	%٩٣	٤,٤	٠,٥٦	٠,١٣
اجمال بعد الابدع التسويقي	%٩٤	٤,٤	٠,٥٦	٠,١٣

١. **الابداع في الانتاج والتسعير**: نلاحظ من خلال الجدول (٣) ان بعد الابداع في الانتاج والتسعير تم قياسه من خلال (٥) فقرات، وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد (٩٦%) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦,٧%)، كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لإجمالي هذا البعد التي بلغت (٤,٤) وهي اعلى من قيمة الوسط الفرضي البالغه (٣)، وبانحراف معياري بلغت قيمته (٠,٥٧) وهذه النتيجة توكد وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة المبحوثة، وبالتالي فقد جاءت متسقة مع قيمة معامل اختلاف البالغ (٠,١٣)، وهذه النتائج تعكس وبدلالة واضحة تاكيد معظم افراد العينة المبحوثة على اهتمام الادارة في المنظمة المبحوثة بتفعيل عمليات الابداع في الخدمات التي تقدمها الى زبائنها فضلاً عن الابداع في سياسات تسعير خدماتها، كما ان قيمة الوسط الحسابي لفقرات بعد الابداع في الانتاج والتسعير كافة كانت اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي.

٢. **الابداع في الترويج والتوزيع**: يتبين من الجدول (٣) ان بعد الابداع في الترويج والتوزيع قيِّس من خلال (٥) فقرات، وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد (٩٤%) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦,٧%) كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لإجمالي بعد الابداع في الترويج والتوزيع (٤,٤) وهي اعلى من قيمة الوسط الفرضي البالغه (٣)، وبانحراف معياري بلغت قيمته (٠,٥٦) وهذه النتيجة تعكس وجود انتاج جيد بين اجابات افراد العينة المبحوثة لفقرات هذا البعد كما بلغت قيمة معامل اختلاف (٠,١٣)، وهذه النتائج تعكس وبدلاله واضحة قيام الادارة العليا في المنظمة المبحوثة بالابداع في اختيار اساليب الترويج اللازمة للترويج لخدماتها وتوزيعها بافضل اساليب ممكنه لايصالها الى زبائنها في الوقت والمكان المناسب، كما ان

قيمة الوسط الحسابي لفقرات بعد الابداع في الترويج والتوزيع كافة كانت اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي.

ولتحديد الاهمية الاجمالية لمتغير الابداع التسويقي يمكن الرجوع للجدول (٣)، اذ بغلت نسبة الاتفاق حول هذا المتغير (٩٤%) وهي ايضا اعلى من النسبة المئوية للاتفاق، كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لاجمالي هذا المتغير (٤,٤) وهي ايضا اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، وبانحراف معياري (٠,٥٦) ومعامل اختلاف (٠,١٣)، وبالتالي فان هذه النتائج تعكس تاكيد معظم افراد العينة المبحوثة على الادارة العليا في المنظمة لديها.المبحوثة تتمتع بالقدرات والرغبة اللازمة لتشجيع عمليات الابداع في عناصر المزيج التسويقي.

ثانياً: تشخيص واقع متغير تصميم البناء الاخضر واهميته

قيس هذا المتغير من خلال بعدين:"الاضاءة والتهوية، الضوضاء والروائح"والجدول (٤) يوضح مستوى اجابات افراد العينة المبحوثة عن فقرات هذا المتغير:

جدول (٤) تشخيص واقع واهمية متغير تصميم البناء الاخضر وابعاده

الفقرات	النسبة المئوية للتكرار	الوسط الحسابي	الانحراف المعياري	معامل الاختلاف
الإضاءة والتهوية				
ملائمة درجة الحرارة داخل التصميم في المواسم كافة.	%٩٨	٤,٢	٠,٤١	٠,٠٩
ملائمة درجة الحرارة داخل التصميم في اوقات اليوم المختلفة.	%٩٦	٤,٧	٠,٥٤	٠,١١
ملائمة الاضاءة من حيث القوة والضعف في التصميم.	%٧٦	٣,٨	٠,٧٢	٠,١٨
ملائمة طبيعة الوان الإضاءة داخل التصميم.	%٩٦	٤,٦	٠,٧٢	٠,١٦
الاهتمام بكفاءة أماكن التهوية المعتمدة عند التصميم.	%٩٠	٤	٠,٨٧	٠,٢
التركيز على ضمان نقاوة الهواء عند التصميم.	%٩٦	٤	٠,٨٧	٠,٢
اجمالي بعد الاضاءة والتهوية	%٩٢	٤,٢	٠,٦٩	٠,١٦
الضوضاء والروائح				

تجنب مصادر الضوضاء الداخلية والخارجية عند التصميم.	%١٠٠	٤,١	٠,٣٧	٠,٠٩
التركيز على استثمار قدرات العاملين وتركيزهم عند التصميم.	%١٠٠	٤,٤	٠,٤٩	٠,١١
تجنب استخدام المواد التي تسبب روائح كريهة وسامه عند التصميم.	%٨٠	٣,٩	٠,٨١	٠,٢١
تجنب استخدام ألوان الطلاء المزعجة عند التصميم.	%٨٨	٤,٢	٠,٨١	٠,١٩
استخدام المواد العازلة عديمة الروائح والآثار الجانبية عند التصميم.	%١٠٠	٤,٨	٠,٨٧	٠,١٨
اجمالي بعد الضوضاء والروائح	%٩٤	٤,٣	٠,٦٧	٠,١٦
اجمال بعد تصميم البناء الاخضر	%٩٣	٤,٢	٠,٦٨	٠,١٦

١. **الاضاءة والتهوية**: نلاحظ من خلال الجدول (٤) ان بعد الاضاءة والتهوية تم قياسه من خلال (٦) فقرات، وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد (٩٢%) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦,٧%)، كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لإجمالي هذا البعد التي بلغت (٤,٢) وهي اعلى من قيمة الوسط الفرضي البالغه (٣)، وبانحراف معياري بلغت قيمته (٠,٦٩) وهذه النتيجة توكد وجود انسجام مقبول بين اجابات افراد العينة المبحوثة، وبالتالي فقد جاءت متسقة مع قيمة معامل اختلاف البالغ (٠,١٦)، وهذه النتائج تعكس وبدلاله واضحة تاكيد معظم افراد العينة المبحوثة على اهتمام الادارة في المنظمة المبحوثة بمراعاه اماكن التهوية لمضن تناسب درجات الحرارة والبرودة في كافة المواسم وفي كافة اوقات النهار بالاضافة الى الاهتمام بالاضاءة عند التصميم، كما ان قيمة الوسط الحسابي لفقرات بعد الاضاءة والتهوية كافة كانت اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي.

٢. **الضوضاء والروائح**: يتبين من الجدول (٤) ان بعد الضوضاء والروائح قيِّس من خلال (٥) فقرات، وقد بلغت النسبة المئوية للاتفاق حول هذا البعد (٩٤%) وهي اعلى من النسبة المئوية المعيارية للاتفاق البالغة (٦٦,٧%) كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لإجمالي بعد الضوضاء والروائح (٤,٣) وهي اعلى من قيمة الوسط الفرضي البالغه (٣)، وبانحراف معياري بلغت قيمته (٠,٦٨) وهذه النتيجة تعكس وجود انساج جيد بين اجابات افراد العينة المبحوثة لفقرات هذا البعد كما بلغت قيمة معامل اختلاف (٠,١٦)، وهذه النتائج تعكس وبدلاله واضحة قيام الادارة العليا في المنظمة المبحوثة بالاخذ بنظر الاعتبار مصادر الضوضاء عند تصميم البناء الاخضر فضلاً عن تجنب

استخدام المواد التي من الممكن ان تسبب روائح كريهة داخل الابنية، كما ان قيمة الوسط الحسابي لفقرات بعد الضوضاء والروائح كافة كانت اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي.

ولتحديد الاهمية الاجمالية لمتغير تصميم البناء الاخضر يمكن الرجوع للجدول (٤)، اذ بغلت نسبة الاتفاق حول هذا المتغير (٩٣%) وهي ايضا اعلى من النسبة المئوية للاتفاق، كما بلغت قيمة الوسط الحسابي لاجمالي هذا المتغير (٤,٢) وهي ايضا اعلى من قيمة الوسط الحسابي الفرضي البالغة (٣)، وبانحراف معياري (٠,٦٨) ومعامل اختلاف (٠,١٦)، وبالتالي فان هذه النتائج تعكس تاكيد معظم افراد العينة المبحوثة على الادارة العليا في المنظمة المبحوثة تهتم بتوفير كافة المستلزمات اللازمة لضمان تصميم الابنية الاخضراء الصديقة للبيئة.

ثالثا: تحليل علاقات الارتباط بين الابداع التسويقي وتصميم البناء الاخضر

يوضح الجدول (٥) قيم معامل الارتباطات بين المتغير الاستجابي تصميم البناء الاخضر وابعادها في المستوى الافقي والمتضمنة:"الاضاءة والتهوية، الضوضاء والروائح"، وبين المتغير التفسيري الابداع التسويقي وأبعادها المتضمنة كل من"الابداع في الانتاج والتسعير . والابداع في الترويج والتوزيع"، والتي تمثل المستوى العامودي من الجدول، وفيما يأتي تفصيلاً لهذه النتائج:

جدول (٥) علاقات الارتباط بين الابداع التسويقي وابعادها وتصميم البناء الاخضر وابعادها

تصميم البناء الاخضر / الابداع التسويقي		الاضاءة والتهوية	الضوضاء والروائح	اجمالي تصميم البناء الاخضر	العلاقات المعنوية	
					العدد	الاهمية النسبية
الابداع في الانتاج والتوزيع		٠,٥٤**	٠,٣٧*	٠,٤٦**	٣	%١٠٠
الابداع في الترويج والتوزيع		٠,٦٨**	٠,١٦	٠,٤٢*	٣	%١٠٠
اجمالي الابداع التسويقي		٠,٦١**	٠,٢٧*	٠,٤٤**	٣	%١٠٠
العلاقات المعنوية	العدد	٣	٣	٣	٩	
	الأهمية النسبية	%١٠٠	%١٠٠	%١٠٠		%١٠٠

*** الارتباط ذات دلالة منعوية عند مستوى ٠,٠٥**

**** الارتباط ذات دلاله معنوية عند مستوى ٠,٠١**

١. **تحليل علاقة الارتباط بين بعد الابداع في الانتاج والتسعير ومتغير تصميم البناء الاخضر وابعادها:** يتبين من الجدول (٥) ان قيم معاملات الارتباط بين بعد الابداع في الانتاج والتسعير وابعاد تصميم البناء الاخضر بلغت (٠,٥٤**، ٠,٣٧*) على التوالي، وهي جميعها علاقات موجبة وذات دلاله إحصائية عند مستوى (٠,١)، وقد كانت العلاقة بين بعد الابداع في الانتاج والتسعير وبعد الاضاءة والتهوية اقوى علاقة ارتباط، كما بلغت قيمة معامل الارتباط بين بعد الابداع في الانتاج والتسعير واجمالي متغير تصميم البناء الاخضر (٠,٤٦**) وهي علاقة موجبة وذات دلالة

إحصائية عند مستوى (٠,١)، وعليه تؤكد هذه النتائج اهمية الابداع في الانتاج والتسعير في نجاح عمليات تصميم البناء الاخضر سواء، وبناءً على هذه النتائج فان هناك مبررا لقبول الفرضية الفرعية الاولى للبحث والتي نصت على:"وجود علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين بعد الابداع في الانتاج والتسعير وبين تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

٢. **تحليل علاقة الارتباط بين بعد الابداع في الترويج والتوزيع ومتغير تصميم البناء الاخضر وابعادها:** يتضح من الجدول (٥) ان قيم معاملات الارتباط بين بعد الابداع في الترويج والتوزيع وابعاد تصميم البناء الاخضر بلغت (٠,٦٨**، ٠,١٦) على التوالي، اذ حقق بعد الابداع في الترويج والتوزيع علاقة ارتباط مع بعد الاضاءة والتهوية عند مستوى معنوية (٠,١)، في حين كانت العلاقة مع بعد الضوضاء والروائح غير معنوية من الناحية الاحصائية. كما بلغت قيمة معامل الارتباط بين بعد الابداع في الترويج والتوزيع واجمالي متغير تصميم البناء الاخضر (٠,٤٢*) وهي علاقة موجبة وذات دلالة إحصائية عند مستوى (٠,٠٥)، وعليه تعكس هذه النتائج وبدلاله واضحة اهمية الابداع في الترويج والتوزيع في تصميم البناء الاخضر لدى العينة المبحوثة وعليه فان هناك مبرر لقبول الفرضية الفرعية الثانية للبحث والتي اشارت الى:"وجود علاقة ارتباط ذات دلالة معنوية بين بعد الابداع في الترويج والتوزيع وتصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

يتضح من الجدول (٥) ان قيمة معامل الارتباط بين اجمالي متغير الابداع التسويقي ومتغير تصميم البناء الاخضر بلغت (٠,٤٤**) وهي علاقة موجبة وذات دلالة معنوية عند مستوى (٠,١)، وعلى مستوى الابعاد الفرعية لمتغير الابداع التسويقي فقد حققت (٦) علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية مع متغير تصميم البناء الاخضر وابعاده، اي ما يعادل نسبة (١٠٠%) من اجمالي علاقات الارتباط، وهذه النتائج تشير وبدلاله واضحة اهمية الابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة، كما ان هذه النتائج تسمح بقبول الفرضية الرئيسة الاولى للبحث التي نصت على:"وجود علاقة ارتباط ذات دلاله معنوية بين الابداع التسويقي وتصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

رابعا: تحليل اثر الابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر

يوضح الجدول (٦) نتائج تحليل تاثير الابداع التسويقي"المتغير التفسيري"من خلال أبعاده الاثنين في تصميم البناء الاخضر"المتغير الاستجابي"وذلك باستخدام أسلوب الانحدار الخطي البسيط وكانت النتائج كالأتي:

جدول (٦) تاثير الابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر

الابداع التسويقي	a	B	R^2	F	مستوى المعنوية	
الابداع في الانتاج والتسعير	١,٥٣	٠,٥٤	٠,٢١	١٤,١٨	٠,٠١	يوجد تاثير
الابداع في الترويج والتوزيع	١,٢١	٠,٣٦	٠,١٧	٩,٤١	٠,٠٥	يوجد تاثير

اجمال الابداع التسويقي	١,١٤	٠,٤١	٠,١٩	١٠,٦٦	٠,٠٥	يوجد تاثير
Fالجدولية بمستوى دلالة ٠,٠٥ = 4.17		F الجدولية بمستوى دلالة ٠,٠١ =٧,٥٦				n=25

١. **تحليل تاثير الابداع في الانتاج والتسعيرفي تصميم البناء الاخضر:** يتضح من الجدول (٦) أن قيمة (f) المحسوبة بلغت (١٤,١٨)، وهي اعلى من قيمتها الجدولية البالغة (٧,٥٦) بمستوى معنوية (٠,٠١) وبحدود ثقة (٩٩%)، وهذا يؤكد وجود تأثير لبعد"الابداع في الانتاج والتسعير"في المتغير الاستجابي تصميم البناء الاخضر، ومن خلال الجدول نفسه يمكن ملاحظة قيمة الثابت (a=١,٥٣) وهذا يعني أن هناك وجوداً لتقميم البناء الاخضر مقداره (١,٥٣) حتى وأن كانت الابداع في الانتاج والتسعيرتساوي صفرا، اما قيمة (B=٠,٥٤) فهي تعني أن تغيراً مقداره وحدة واحدة في الابداع في الانتاج والتسعيرسيؤدي الى تغيير في تصميم البناء الاخضر مقداره (٥٤%)، أما قيمة معامل التحديد (R^2) الذي يُعد مقياساً وصفياً يستخدم في تفسير مدى فائدة معادلة الانحدار في تقدير القيم، وتمثل نسبة الانخفاض في الأخطاء عند استخدام معادلة الانحدار فقد كان مقدارها (٠,٢١) وهذا يعني أن الابداع في الانتاج والتسعير يفسر (٢١%) من التباين الحاصل في تصميم البناء الاخضر، وأن (٧٩%) هو تباين مُفسّر من قبل عوامل لم تدخل أنموذج الانحدار. وعليه وبناءً على النتائج السابقة يمكن القول بان الابداع في الانتاج والتسعيرتؤثر وبدرجة معنوية في تصميم البناء الاخضر في المنظمة المبحوثة، وعليه فان هناك مبرراً لقبول الفرضية الفرعية الثالثة للبحث والتي نصت على:"يؤثر بعد الابداع في الانتاج والتسعير تاثير ذات دلاله معنوية من الناحية الاحصائية في تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

٢. **تحليل تاثير الابداع في الترويج والتوزيع في تصميم البناء الاخضر:** يتضح من الجدول (٦) أن قيمة (f) المحسوبة بلغت (٩,٤١)، وهي اعلى من قيمتها الجدولية البالغة (٤,١٧) بمستوى معنوية (٠,٠٥) وبحدود ثقة (٩٥%)، وهذا يؤكد وجود تأثير لبعد"الابداع في الترويج والتوزيع"في المتغير الاستجابي تصميم البناء الاخضر، ومن خلال الجدول نفسه يمكن ملاحظة قيمة الثابت (a=١,٢١) وهذا يعني أن هناك وجوداً لتصميم البناء الاخضر مقداره (١,٢١) حتى وأن كانت الابداع في الترويج والتوزيع يساوي صفرا، اما قيمة (B=٠,٣٦) فهي تعني أن تغيراً مقداره وحدة واحدة في الابداع في الترويج والتوزيع سيؤدي الى تغيير في تصميم البناء الاخضر مقداره (٣٦%)، أما قيمة معامل التحديد (R^2) فقد كان مقدارها (٠,١٧) وهذا يعني أن الابداع في الترويج والتوزيع يفسر (١٧%) من التباين الحاصل في تصميم البناء الاخضر، وأن (٨٣%) هو تباين مُفسّر من قبل عوامل لم تدخل أنموذج الانحدار. وعليه وبناءً على النتائج السابقة يمكن القول بان الابداع في الترويج والتوزيع يؤثر وبدرجة معنوية في تصميم البناء الاخضر في المنظمة المبحوثة، وعليه يمكن قبول الفرضية الفرعية الرابعة للبحث والتي نصت على:"يؤثر بعد الابداع في الترويج والتوزيع تاثير ذات دلاله معنوية من الناحية الاحصائية في وتصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

يمكن من خلال الجدول (٦) تحديد اثر أجمالي متغير الابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر، نجد ان قيمة (f) المحسوبة بلغت (١٠,٦٦) وهي اكبر من قيمتها الجدولية عند مستوى معنوية (٠,٠٥) وبحدود ثقة (٩٥%)، وهذه النتائج تؤكد وجود اثر للابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر، كما بلغت قيمة الثابت (a=١,١٤) وهذا يعني هناك وجود لتصميم البناء الاخضر بمقدار (١,١٤) وحتى وان كانت الابداع التسويقي تساوي صفر، وبلغت قيمة (B=٠,٤١) اي ان تغيير الابداع التسويقي بمقدار وحدة واحدة سيؤدي الى تغيير في تصميم البناء الاخضر بمقدار (٠,٤١)، اما قيمة (R^2) فقد بلغت (٠,١٩)، وهذا يعني أن ما مقداره (١٩%) من التباين الحاصل في تصميم البناء الاخضر هو تباين مُفسّر بفعل الابداع التسويقي الذي دخل الأنموذج، وأن (٨١%) هو تباين مُفسّر من قبل عوامل اخرى لم تدخل أنموذج الانحدار. كما ان عدد نماذج الانحدار التي حققت أثر ذات دلالة معنوية وكما موضحة في جدول (٦) بلغت (٣) نماذج من اصل (٣)، اي ان نسبتها تساوي (١٠٠%) من اجمالي العلاقات التأثيرية ذات الدلالة معنوية. وبما ان إجمالي الابداع التسويقي حققت أثر معنوي في ترشيد تصميم البناء الاخضر، فأن هناك مبرراً بعدم رفض الفرضية الرئيسة الثانية للبحث والتي مفادها:"يؤثر الابداع التسويقي تاثير ذات دلاله معنوية من الناحية الاحصائية في تصميم البناء الاخضر للمنظمة المبحوثة".

الاستنتاجات والتوصيات:

اولا: الاستنتاجات

١. تاكيد معظم اجابات افراد العينة المبحوثة على تمتع منظمتهم بالابداع التسويقي الكافي الذي يساعدها في اداء مهامها وواجبات وفي المستويات كافة وبالشكل الذي يساعدها على البقاء والاستمرار في العمل، ويمكن تحديد عدد من الاستنتاجات التي تؤكد هذا الاستنتاج بالاتي:
- اوضحت نتائج التحليل تمتع المنظمة بالابداع في الانتاج والتسعير بالشكل الذي يساعدهم على التكييف مع كافة التغييرات والتحديثات التي تحدث في بيئها وفي مستلزمات زبائنها.
- اكدت نتائج التحليل بان معظم الانشطة التي تمارس داخل المنظمة والخاصة بالترويج والتوزيع تتمتع بالمرونة الكافية لمواكبة كافة المستجدات والتغييرات التي تحدث في البيئة المحيطة.

٢. تاكيد معظم افراد العينة المبحوثة على دقة تصميم البناء الاخضر داخل المنظمة المبحوثة، ويمكن تحديد عدد من الاستنتاجات التي تنبثق من هذا الاستنتاج بالاتي:
- اوضحت نتائج التحليل بان الادارة العليا في المنظمة المبحوثة تتمتع بالقدرة العالية على تحديد كافة المشاكل التي من الممكن ان تواجهها عند التصميم البناء الاخضر والمتعلقة بالاضاءة والتهوية.
- تاكيد معظم نتائج التحليل على قدرة المنظمة المبحوثة في توليد عدد من البدائل التي تمكنها من معالجة المشكلات التي تواجهها في المجالات المتعلقة بالضوضاء والروائح الكريهة عند تصميم البناء الاخضر.

٣. يمكن ترشيد تصميم البناء الاخضر باستخدام الابداع التسويقي بفاعلية اعلى من خلال ابعاده"الابداع في الانتاج والتسعير والابداع في الترويج والتوزيع"، الذي حقق علاقات ارتباط موجبة ومعنوية من الناحية الاحصائية مع متغير تصميم البناء الاخضر وابعادها.
٤. تبين من خلال نتائج التحليل بان الابداع التسويقي تؤثر وبدلاله معنوية في تصميم البناء الاخضر في المنظمة المبحوثة.

ثانيا: التوصيات

١. ضرورة قيام المنظمة المبحوثة بتحديد اهم المجالات التي تتمتع بها في مجال الابداع التسويقي والتي من الممكن ان توظفها في تصميم البناء الاخضر.
٢. ضرورة قيام المنظمة ببناء قاعدة بيانات تعكس اهم مجالات الابداع بالنسبة للانشطة التي تمتلكها وبالشكل خاصة الابداع التسويقي.
٣. ينبغي على المنظمة ان تخصص بعض مواردها في توجيه رسالة اعلامية الى مواردها البشرية حول اهم المزاياة التي يمكن تحقيقها من جراء تبني الابداع التسويقي في تصميم البناء الاخضر.
٤. تشجيع ممارسات تصميم البناء الاخضر لدى المنظمة المبحوثة بالتنسيق بين كافة الادارة وفي المستويات التنظيمية المختلفة، لضمان عدم حصول اي تعارض في تنفيذ هذه القرارات.
٥. العمل على تأسيس حلقات اتصال مع المؤسسات الأكاديمية سواء كانت:"جامعات أو مراكز البحوث"، عراقية ام عربية ام اجنبية، لمعرفة كل ما هو جديد في مجال الابداع التسويقي وتصميم البناء الاخضر.
٦. اعادة اجراء البحث الحالي في القطاعات الاخرى التعليمية والصحية ودراسة امكانية تعميم نتائجة في البيئة العراقية.

المصادر

١. البكري، ثامر ياسر (٢٠١٢) استراتيجيات التسويق الاخضر، الطبعة الاولى، دار اثراء للنشر والتوزيع، عمان.
٢. البكري، ياسر ثامر (٢٠١٤) قضايا معاصرة في التسويق، الطبعة الاولى، دار الحامد للنشر، عمان.
٣. التك، اسيل زهير رشيد أمين (٢٠٠٦) دور الإدارة الذاتية في تعزيز الإبداع لأعضاء الهيئة التدريسية في جامعة الموصل، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، جامعة الموصل، بحث غير منشور.
٤. الشهوان، رائد محمد حامد (٢٠١٤) اثر استخدام بطاقة الاداء المتوازن في تعزيز الابداع التسويقي: دراسة حالة في وزارة السياحة والاثار الاردنية، رسالة ماجستير، جامعة الشرق الاوسط.
٥. محمد، بشرى عباس (٢٠٠٦) عملية التعلم المنظمي واثرها في الابداع المنظمي: دراسة استطلاعية في كليات الصيدله ببغداد، رسالة ماجستير، كلية الادارة والاقتصاد، الجامعة المستنصرية، بحث غير منشور.

٦. محمد، اثير عبد الله (٢٠٠٨) مدى ملائمة خصائص العمل البيئية لتخطيط وتصميم مساحات المصنع: دراسة ميدانية في الشركة العام للصناعات الانشائية (مصنع الانابيب البلاستيكية) والجلدية (مصنع الدباغة في الزعفرانية)، مجلة كلية الادارة والاقتصاد، جامعة بغداد.

٧. عباس، نجمه (٢٠١٣) واقع الابداع في المؤسسات الجزائرية الصغيرة والمتوسطة: دراسة ميدانية، مجلة بحوث الاقتصادية العربية، جامعة الحاج لخضر باتنة – الجزائر، العددان ٦١-٦٢، الصفحات ٢١٠ -٢٢٤.

٨. العجرمي، عبير و سالم، محمد زيدان والغماري، وسام واحمد، نهيل (٢٠١١) دور الإبداع التسويقي والتكنولوجيا في تحقيق الميزة التنافسية للبنوك العاملة في محافظات غزة من وجهة نظر العملاء، مجلة جامعة الازهر – غزة، المجلد ١٣، العدد ٢، الصفحات ١٠٧-١٣٨.

٩. عيسى، محمود أحمد أحمد (٢٠٠٣) الطاقات المتجددة والتصميم العمراني المستدام، جامعة الملك عبد العزيز، جدة.

10. Becker,William, et al (1996) sustainable building technical manual,1 sted,public Technology, inc,usa.
11. Kats,Grep, et al (2003) The Cost and financial benefits of green building A report of California Sustainable Building task force, October,2003.
12. Ven,Jeef,(1994) The Economic Impacts of Green Product Development,university of California Master Thesis.1994.
13. Zane, Satterfield (2009) Green Marketing,Tech Brief,published by the National Environmental Services Center,vol.8,NO.4.
14. www.answers.com.
15. www.envirromentalleader.com.
16. www.wikipedia.org.

البطل التراجيدي وتحوله في نصوص مسرح اللامعقول

The tragic hero and his transformation in the Texts of the Illogical theatre

م.م حسين رضا حسين [١] Assist.lec. Hossein R. Hossein

المستخلص

إنّ أي دراسة تبحث في الدراما سواء في بنيتها أم في دراسة أحدى عناصرها الأساسية لابد من العودة الى التراجيديا الاغريقية والى نظرية أرسطو في التراجيديا لسببين رئيسين هما أولا: لان التراجيديا التي كتبت في القرن الرابع قبل الميلاد قد توفرت على جميع العناصر الدرامية في النص المسرحي، والآن بعد اكثر من ألفي عام لم يخلُ أيّ نص مسرحي من هذه العناصر مع تغير وظيفتها وكيفية وجودها في النص تبعا للأنساق الثقافية المتغيرة من عصر الى آخر. وثانيا: إن نظرية أرسطو شكّلت وما زالت أهم نظرية نقدية جمالية في التراجيديا. وبما انّ البحث يتقصى تحول البطل التراجيدي في النص المسرحي كان لزاما دراسة البطل في التراجيديا الاغريقية. ولأن البطل عنصر محوري في النص بوصفه القائم بالفعل الدرامي، ولأنه العنصر الفاعل في توجيه مجسّات الصراع، فضلا عن أنه شخصية تتوجه إليها الانظار بوصفه البطل المتفوق الذي يواجه قوى كبرى إلهية كانت أم وجودية، لذا جاء البحث تحت عنوان (البطل التراجيدي وتحوله في نصوص مسرح اللامعقول).

Abstract

That any study looking at the drama, both in structure, in the study of one of the elements essential to be a return to Greek tragedy and to Aristotle's theory of tragedy for two main reasons: First: because the

١ – المديرية العامه لتربية كربلاء.

tragedy written in the fourth century BC, has been available at all the dramatic elements in the theatrical text, and now after more than two thousand years did without any theatrical text of these elements with the change of function and how their presence in the text depending on the changing cultural drift from one age to another. Second, because in Aristotle's theory formed and is still the most important monetary theory, aesthetic in tragedy. Since the research investigates turned tragic hero in the play had to study the hero in Greek tragedy. Because the hero a pivotal element in the text as is already the drama-based, but it active ingredient in directing Sensors conflict, but he was a personal approaches it low profile as superior hero who faces major powers divine was or existential, so look under the title came (The tragic hero and turn it in the texts of theater of the absurd).

الفصل الأول / الاطار المنهجي

مشكلة البحث والحاجة اليه:

اكتسبت التراجيديا الإغريقية خصوصيتها وتفردها عن طريق صفتين أساسيتين اتسمت بهما بوصفهما، أولا: كانت أول الأنواع الدرامية التي ظهرت الى الوجود منذ القرن الرابع قبل الميلاد. وثانيا: لطبيعة بنيتها الدرامية التي اتسمت بعناصر منحت هذا الجنس الادبي تفردا مغايرا عن الاجناس الادبية الاخرى.

واذا كانت التراجيديا محاكاة لفعل نبيل كما يقول أرسطو فانّ البطل هو الذي يكون حاملا للأحداث في سياق صيرورة الفعل، ومتفاعلا معها، وبناء على اختياره وفرض إرادته على الأحداث وطبيعة الصراع يتحدد مصير البطل، وليس هناك نصّاً وعرضا مسرحيا دون بطل فاعل يقوم بالفعل، وهذا البطل القائم بالفعل اكتسب سماته من طبيعة التراجيديا الإغريقية. وأثناء حقب زمنية امتدت الى قرابة الفي عام ومع تطور وتنوع الاشكال الدرامية بدءاً من الدراما الرومانية، ومروراً بالدراما الدينية، ودراما عصر النهضة والكلاسيكية الجديدة فضلا عن المدارس المسرحية الحديثة وصولاً الى مسرح اللامعقول الذي تمظهر فيه البطل التراجيدي بسمات غير التي إتصف بها بالتراجيديا الإغريقية، ومن ثم كان مصير البطل قد اكتسب معنى مغايرا. ومن هنا تأتي الحاجة الى دراسة البطل التراجيدي وتحوله في نصوص مسرح اللامعقول بعد اضاءة مفهوم البطل التراجيدي في المسرح الاغريقي، لذا فان البحث الحالي يطمح في الاجابة عن السؤال الآتي (ما هي سمات التحول عند البطل التراجيدي في نصوص مسرح اللامعقول؟). وتأسيسا على ما تقدم صاغ الباحث عنوان بحثه بالشكل الآتي (البطل التراجيدي وتحوله في نصوص مسرح اللامعقول).

اهمية البحث:

تأتي أهمية البحث في مادته ذاتها إذ أنّ للمتغيرات في الأنساق الثقافية والعلاقات الناشئة بسببها في حقب التاريخ المختلفة أثرا مباشراً في تطور الانتاج الفني، والفكري بما فيها تحول البطل.

هدف البحث:

يهدف البحث الى تقصي سمات البطل التراجيدي في المسرح الاغريقي وتحوله في نصوص مسرح اللامعقول.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث المنهج الوصفي في تحليل عينة البحث.

حدود البحث:

يتمثل البحث في حدوده البحثية والماثلة في تحول البطل التراجيدي في بنية نصوص اللامعقول (في انتظار جودو) لصموئيل بيكيت و (المستأجر الجديد) ليوجين يونسكو.

مصطلحات البحث:

تحول:- التحول لغة هو"تنقل من موضع إلى موضع، أو من حال إلى حال، وعن الشيء: انصرف إلى غيره."[٢] واصطلاحا"التحول"تغير يلحق الأشخاص، او الاشياء. وهو قسمان: تحول في الجوهر، وتحول في الاعراض. فالتحول في الجوهر صدى صورة جوهرية جديدة تعقب الصورة الجوهرية القديمة، مثل انقلاب الحي بعد الموت الى جثة هامدة...والتحول في الاعراض تغير في الكم (كزيادة ابعاد الجسم النامي)، أو في الكيف (كتسخين الماء)، أو في الفعل (كانتقال الشخص من موضع الى آخر)."[٣] والتحول"يقصد به على الاخص التغير الاجتماعي"[٤].

التحول إجرائيا:

مجموعة من المتغيرات تحدث في النص المسرحي ومنها ظهور سمات جديدة في شخصية البطل تخضع لقوانين التحول الداخلية مما ينتج عن ذلك بنية درامية جديدة.

البطل:-"الشجاع، وفي الحديث: شاكي السلاح بطلٌ مجرّب،.. وقيل سمي بطلاً، لأن الاشداء يبطلون عنده."[٥] واصطلاحا هو"الشجاع. وهو عند اليونانيين نصف اله، يقوم بأفعال خارقة للعادة. والبطل أيضا هو الشخص الاول في الروايات الادبية"[٦].

٢- النجار، محمد علي وآخرون: المعجم الوسيط، ج١-ج٢، ص٢٠٩.
٣- جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج١، ص٢٥٩.
٤- مراد وهبه: المعجم الفلسفي، ص١٧٣.
٥- ابن منظور: لسان العرب، مج١، ص٢٢٢.
٦- جميل صليبا: المصدر السابق، ص٢١٢.

التراجيديا:- اصطلاحا هي أحد الجنسين الاساسين في الفن الدرامي، وأرقى أنواعه كلها، وتكمن أهميتها في.."انها تولد الامتاع في نفوس نظارتها، رغم جديتها، وطابعها المأساوي. وهذا التناقض القائم بين البطل التراجيدي او معاناته، و اندحاره، وبين توليد الاحساس بالمتعة والراحة في نفس المشاهد، لايزال محل تفسير علماء النفس، والجمال، والدراما."[٧]

البطل التراجيدي اجرائيا: هي شخصية محورية في النص المسرحي، ويمثل القيم الانسانية في عالميتها، يتميز بسمات متعددة تختلف من مذهب لآخر إلّا انها تشترك في أنه القائم بالفعل الدرامي عن طريق الاحداث بإرادة صلبة واختيار حر.

النص:-"أصل النص أقصى الشيء وغايته. ونصّ كل شيء غايته. ونصّ كلّ شيء: منتهاه. قال الازهري: النصّ أصله منتهى الاشياء ومبلغ أقصاه."[٨] واصطلاحا هو"الكلمات المطبوعة أو المخطوطة التي يتألف منها الاثر الادبي"[٩]."ويستخلص تعريف النص، من ميثية التمثيلية، اذ لا يفكر فيه، الا من خلال أدبيته وفضائه"[١٠]. ووضع (دي بوجراند ودريسلر) معايير سبعة للنص"وهي: التماسك الداخلي، والاتساق، والعمد أو القصد، والقبول(أو التقبل)، ومراعاة مقتضى الحال، والاخبار، والتناص"[١١].

اللامعقول:"نزعة أدبية ظهرت بعد الحرب العالمية الثانية في المسرح ويتزعم هذه النزعة صموئيل بيكيت ويونسكو وبنتر...، وهي تمثل التحلل من المواصفات والاعراف المنطقية، وانفصام، وتناقضات، ومفارقات في الحلم، والحياة، والواقع"[١٢]. واللامعقول"لا يتقيد بالمواصفات والعرف في البناء المسرحي وهو يعمل على اظهار ما في الحياة والشخصيات البشرية من تناقضات"[١٣].

الفصل الثاني / الاطار النظري

المبحث الأول: تمظهر البطل في صراع القوى في التراجيديا الاغريقية:

انبثقت التراجيديا الأغريقية في لحظة فاصلة في التاريخ الانساني لتشكل بذلك بزوغ أول نوع درامي ونضوجه، واكتماله ببنية درامية متماسكة، وبذلك بدأ جنس جديد تميز بأنساق جمالية، وأصبحت جزءا من التجربة الاجتماعية. وتناولت القيم الانسانية الخالدة، الخير والشر، وتجسدت فيها الموضوعات التي تعنى بالإنسان في علاقته بالعالم، وبالقدر، وعلاقته بالآخر. واستقت موضوعاتها من الأسطورة، ووضعتها على طاولة البحث والجدل، وفي الوقت ذاته تموضعت الشخصية التراجيدية في واقع متحرك ومتلاطم لتأكيد خياراتها الحاسمة مقابل تلك القيم الغامضة.

٧- ابراهيم حماده: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، ص٤٢٧.
٨- ابن منظور: لسان العرب، مج١٣، ص٤٢٧.
٩- مجدي وهبه، وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ص١٨٤.
١٠- سعيد علوش: المصطلحات الادبية المعاصرة، ص١٢٢.
١١- محمد عناني: المصطلحات الادبية الحديثة، ص١١٦.
١٢- سعيد علوش: المصدر السابق، ص٨٧.
١٣- مجدي وهبه، وكامل المهندس: المصدر السابق، ص٣١٤.

إن التراجيديا استعادة مسرحية للأسطورة، وتمثيل للبطل في العمل مما يضفي عليها نظاما فلسفيا. وكانت الفلسفة، والدين في تفاعل، وحوار يمتد عموديا مع الفن، وما هو مشترك بينهما يتجسد في مناقشة القيم الانسانية السامية وتأكيدها، الا أن الفن يتخذ مسارا مغايراً عنهما لأنه يضع هذه الأفكار في متناول الجميع بإعطائها الطابع المحسوس، وذلك بتمثّلها عن طريق اشخاص يفعلون. وهذا الحوار الذي يتمثّل بصراع متواتر بين الأسطورة، وبين عالم المدينة بما تمتاز به من جدل فلسفي انتقل الى صراع بين القيم، والانسان وحتى في عالم الآلهة. وبما أن زمن الدراما التي تعرض على الخشبة هو زمن آني مستمر، وهو زمن الوجود اليومي للإنسان المتكون من سلسلة متتالية من أزمنة الحاضر إلّا أن الآلهة دائمة الحضور في كل لحظة بمجمل الحوادث، فهو ليس التباسا مزدوجا فحسب بل هو مجابهة مستمرة في مسار الأفعال الإنسانية بالذات ذلك (إن الفعل الانساني في رهان حول الذات، وحول المستقبل بوجود الآلهة الى جانبه، فبدون وجود الآلهة وبدون دعمها يظل الفعل الانساني من دون تأثير.)[١٤] هذه المجابهة والاشتباك المستمران يتجذران في النص الذي ينبغي فهمه في سياقه، وهو عالم من التصورات يتشكل فيه الوعي التراجيدي بتدفقه في سياق ذهني، وفي ما تحت النص ايضا.

وفي عالم مازالت تتحكم فيه القوى العليا بمصائر البشر، وتهيمن على مسارات حياتهم، كانت الشخصية التراجيدية تجسد حضورها في اشتباك متنام لتؤكد قدرتها على اتخاذ المواقف المصيرية الكبرى، وباختيار حر، وتمضي في مصيرها حتى النهاية مهما كانت النتائج كارثية، حتى وأن كانت في قرارة نفسها تدرك أن ما رسمته القوى العليا، وأيدي القدر هو الذي سيتم تنفيذه. إذ أن التراجيديا ذات طابع ميتافيزيقي، ففي سياقها تتموضع القوى العليا مع الانسان وكأنهما اصبحا شيئا واحدا. وهي تمثل القوى الأبدية في صراعها عن طريق البطل التراجيدي.

سمات البطل التراجيدي في المسرح الاغريقي:

حدد أرسطو في كتابه (فن الشعر) أربع سمات للشخصية التراجيديا وهي:

١. أن تكون صالحة دراميا، أو مؤثرة اذا كان الاختيار مؤثرا، إذ أن أفعاله وأقواله تدل على اختياره. فالعامل الجوهري الذي يبني الشخصية هو القيم الانسانية التي تفصح عنها الأفعال، وعلى هذا فانّ أيّ شخصية تكون مؤثرة عندما تكون هي ذاتها مصدر ذلك الاختيار الذي يؤلف طبيعتها.
٢. أن تكون مناسبة أو ملائمة، فالرجولة خلق يتصف فيه الرجال، بمعنى أن ذلك لا يناسب المرأة أنْ تكون ذات رجولة. وهي صفات تطبع الشخصية بذاتها، ولا تنفصم عنها في مجرى الفعل. اي جعل ما تفعله مطابقا لطبيعتها.
٣. أن تكون شبيهة بالواقع. أي أنْ تكون الشخصية معبرة عن طبيعة الانسان الواقعية، حتى وأن كانت له صفة خاصة بها كالغضب مثلا، فانه يجب أن يتفق مع صفة هذا البطل كما في (اوديب)، وبما

١٤- ينظر: فرنان، جان بيير و بيير فيدال ناكيه: الاسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة، ص٣٨-٣٩.

ان التراجيديا محاكاة لأناس أفاضل أو لأشخاص على قدر كبير من الاهمية فينبغي تصويرهم احسن مما هم عليه، وإنْ كانوا مشابهين للحياة الواقعية.

٤. أن تتمتع الشخصية بالثبات، وتنسجم مع ذاتها طوال المسرحية حتى وان كانت الشخصية غير منسجمة مع ذاتها، فينبغي أن تبقى هكذا غير منسجمة مع نفسها حتى النهاية، وعدم تعرضها للتغيرات المفاجئة. وإنّما أن تتسق الشخصية مع ذاتها أثناء تطورها.

كان(أرسطو) قد حدد بأن تتابع الاحداث ينبغي أن يجري بمقتضى الضرورة والرجحان، وكما هو في بناء الحبكة الدرامية، فانه ينبغي أن يكون تصوير الشخصية يهدف الى تحقيق الحتمية أو الاحتمال. أيّ أن ما يقوله أو ما يفعله ينبغي أن يكون حتميا أو محتملا لشخصيته، بمعنى أن افعال الشخصية واقوالها تأتي في سياقها بمقتضى الضرورة والرجحان.[١٥]

وسمات البطل التراجيدي مستمدة من هدف التراجيديا ووظيفتها المتمثلة في وجوب تحقيق التطهير، عن طريق اثارة عاطفتي الخوف والشفقة في نفس المتلقي لتخليصه منهما. ولا بد للشخصية التراجيدية أن تتميز بالقدرة على تحقيق هذا الهدف، وإلا فقدت أحد اشتراطات التراجيديا بمفهوم (أرسطو) وهو مبدأ جمالي، أخلاقي في آن واحد. ومن سمات هذا البطل أن يطرأ على حظه التحول. وبعد أن يحدد (أرسطو) أنماط التحول[١٦]عند البطل فانه يميل الى النمط الرابع الذي يرى فيه أن البطل يقف بين طرفي الفضيلة والسوء، وإن كان اقرب الى الفضيلة. ويتحول البطل من السعادة الى الشقاء، لا بسبب رذيلة فيه، ولكن بسبب زلة ما أو خطأ ما، أو ما يسميه (الهامارتيا Hamartia) وهو ينتمي الى طبقة اجتماعية عليا، كشخصية (اوديب). ففي الوقت الذي تتميز شخصيته بصفات البطولة والنجاح فانه من المشهورين أيضاً. بهذا المعنى فالبطل التراجيدي انسان جاد ونبيل ليس مكتمل الصفات، ويدفع الى الشقاء دفعا لزلة ما أو خطأ ما.

التعارض بين اندحار البطل التراجيدي ومتعة التلقي:

إن مغزى الدراما يتمثل في استنطاق قوى الصراع، وهي قوى الواقع، بغرض الهدم، وإعادة البناء بعد الكشف عن امكانيات هذه القوى في البقاء أو التي تنطوي على التغيير. ففي التراجيديا يجري تأكيد إمكانية الانسان – البطل التراجيدي وقدرته على الثبات وبإصرار في كفاحه المتواصل حتى النهاية،

١٥- ينظر: أرسطو: فن الشعر، ص١٤٩-١٥٣.

١٦ – النمط الاول أن لا يكون التحول الذي يطرأ على حظ البطل من النجاح والسعادة الى حال الشدة والشقاوة، لان ذلك لن يحرك فينا شفقة ولا خوفا، والثاني أن لا يكون التحول في منظر رجل سيء، ينتقل من حال الشدة والشقاوة، الى حال النجاح والسعادة وذلك بعيد عن روح التراجيديا، كما لا ينبغي أن يكون التحول في عرض منظر رجل في غاية السوء، وهو ينتقل من حال السعادة الى الشقاوة، لأنه لايثير شفقة او خوفا ولكن يثير فينا شعور التعاطف الانساني، لأن الذي يستحق الشفقة هو ما يقع من سوء لشخص لا يستحق أن يشقى، والذي يثير الخوف هو ما يقع من أخطار لشخص يشبهنا. ويبقى بعد هذا البطل الذي يقف بين هذين الطرفين، أي الشخص الذي ليس في الدرجة القصوى من الفضيلة والعدل، والذي يتردى في الشقاوة والتعاسة لا بسبب رذيلة أو شر، ولكن بسبب خطأ ما، أو سوء تقدير"هامارتيا". ينظر: ارسطو: فن الشعر، ص١٣٢.

ومهما كانت النتائج. بسبب أن البطل هو القائم بحركة الأحداث في طبيعة القوى المتصارعة، وبناءً على خياراته المحددة تشتبك هذه القوى للوصول الى نهايات، وإن كانت كارثية على مستوى الافراد، الّا أنها تؤكد قيماً انسانية كما في مسرحية (انتيغونا)، أو تستجيب لنبوءة الآلهة في تطهير المدينة وإعادة ترتيب العالم وانتظامه كما في (اوديب ملكا). إن ابطال التراجيديا هم الذين يتفردون بصفات خاصة تعلو على الآخرين بما يمتلكون من إرادة قوية، وشجاعة في اتخاذ القرارات، ومن ثم تحمل مصيرهم الحتمي. إلّا أن الهفوات التي يقعون فيها، وهو خطأ مأساوي غير مقصود، أو زلة ما، هي التي تحدد مصيرهم. لأنّ التراجيديا"فعلٌ يشتمل على انقلاب في مصير شخصية بطولية"[١٧] متجهة ناحية اكتمالها المثالي على الرغم من شقاء هذا المصير وقسوته. ففي مسرحية (انتيغونا) لـ (سوفكليس) يتمثل الصراع بين وفاء (انتيغونا) لحقوق الأسرة، والقيم الانسانية، وبين إلتزام الحاكم (كريون) للوطن والدولة. اصطدام بين إرادتين صلبتين بين قيم الدولة والقيم السماوية. وما يحدث بعد ذلك من مآسٍ يجعل من (كريون) الحارس الأمين على تطبيق القانون، إنسانا جديداً، وقد حنكته المصائب، بعد انتحار ابنه ومقتل زوجته بسبب تعارضه مع (انتيغونا) بضرورة عدم دفن أخيها، مدركا أن موقفه لم يكن في سياق العدالة الاجتماعية. فيما غرز البطل التراجيدي (اوديب) عينيه بدبوس أمه وزوجته (جوكاستا) التي وجدها قد فارقت الحياة بانتحارها في مشهد دراماتيكي يستجيب الى شروط التراجيديا في إثارة الشفقة على البطل والخوف من ملاقاة المصير ذاته، ومن ثم التطهير لهذا الكم المكثف من الانفعالات، مما يثير شعور شفقة المتلقي على مصير البطل، ومشاركته التجربة، والخوف من أن هذا المصير قد يطاله في وقت ما، لكن ليس الان على الاقل، لذا يُعد (ياوس) التطهير"تجربة اتصالية جمالية من حيث أشكال التفاعل بين خبرة البطل، وخبرة المتلقي."[١٨]

كان (اوديب) الملك قد اختط حياته بإرادة قوية وباختيار حر، ولم يكن يعلم أنه يمضي الى مصيره المأساوي المحتوم بكبرياء الأبطال وفخرهم حتى وهو يتخذ قراره أن يفقأ عينيه لتنفيذ النبوءة الالهية في انه سيقتل أباه ويتزوج أمه، بسبب أن أحد العوامل البارزة في بيئة التراجيديا الاغريقية تتمثل في الصراع بين الآلهة والانسان"ذلك لان الآلهة هم الذين يقررون المصير المحتوم لكل انسان، وهو مصير غالبا ما يتسم بالقسوة والعنف والشقاء."[١٩] قائلا:

"اوديب: وهكذا لن تبصرا الشرّ الذي عانيته، ولا الشرّ الذي تسببت انا فيه.."[٢٠]

البطل (اوديب) بعد أن كان ملكا، والذي أثار حسد كل من عاش زمنه، وتأمل مصيره، وتدرجه الى هرم التاج الملكي بإرادة صلبة، وشجاعة لبطل يصنع المجد له ولقومه، وهو في الوقت ذاته سليل الملوك،

١٧- اميرة حلمي مطر: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، ص٢٥.
١٨- عقيل مهدي يوسف: فلاسفة ومسرحيون، ص٤٥.
١٩- سوفقليس: تراجيديات سوفقليس، ص١٥.
٢٠- سوفقليس: المصدر نفسه، ص١٤٠.

لكنه وقع في الفخّ نفسه المحتوم الذي رسمته الآلهة لتأكيد مصيره المأساوي، ووحده من يتحمل هذا الشقاء:

"قائد الكورس:.. لم يكن أحدٌ في المدينة يتأمل مصيره الا ويحسده عليه. أما اليوم، فها هو قد وقع في هاوية من الشقاء الرهيب...

اوديب: آه! صدقوني، لا تخافوا مصائبي هي لي أنا، ولم يخلق انسان آخر لحملها."[٢١]

إن الخطاطة الدرامية في (اوديب ملكا) تتموضع في فعل يقوده البطل التراجيدي (اوديب) من البداية وحتى النهاية متحملا النتائج الكارثية المترتبة على ذلك وفق نظام زمني خارج عن إرادته، إذ يتمفصل الفعل الانساني في مسار القوى الالهية، ومن ثم تتحرك قوى الصراع بين زمنين، زمن انساني يرتبط بإرادة حرة وبتفوق الفاعل الانساني ضمن الفعل ذاته وزمن إلهي يتفرد في تفسير الوجود الانساني بهيمنة تحدد فيها المصير المأساوي للبطل على الرغم من أن ما كان يعتقده صائبا في اختيار أفعاله جاءت النتائج على عكس السياق بحكم سلطة الآلهة التي تتحكم بالوجود وبالموجودات معا. بمعنى ما كان تحت هيمنة البطل وحريته في إرادته واختيار أفعاله يسلب منه في النهاية بما فيها تحديد مصيره الشخصي. وهو التباس مزدوج غير واضح الملامح في بداية الخطاب الا انّه يبدو محددا، وقاسيا في نهايته، وفي الوقت ذاته تترتب على هذه القسوة المفرطة بالبطل بأنّه"يثير في المشاهدين شعورا بالسمو حتى وهو يهوي، وتحرك فينا.. الشعور بالإعجاب وأيضا الشعور بالشفقة."[٢٢]

المبحث الثاني: عبثية الوجود ولا جدوى العالم في نصوص اللامعقول:

في خضم متغيرات كبرى ومتسارعة شكلت تهديدا للوجود بشكل عام، ولوجود الانسان تحديدا، فضلا عن انتهاك مروع للقيم الانسانية في النصف الأول من القرن العشرين بسبب حربين كونيتين أدتا الى مقتل ملايين البشر، وبموازاة ذلك ولغرض التعبير، وتشكيل رؤية فكرية وجمالية عن هذا العالم المتغير في شتى المجالات بما فيها البحث عن أطر جديدة للحرية الانسانية، ولدت وتشكلت العديد من التيارات والمذاهب الادبية، والفنية التي جاءت بتقنيات جديدة، ومتنوعة لتعبر عن رؤاها وتجسدها في أشكال فنية كالتعبيرية، والمستقبلية، والسريالية، وغيرها من التيارات التي اشتركت جميعها بإحساس مرير بعبثية هذا العالم ومن ثم التمرد على كل التقاليد السابقة، وجسدت ذلك بأعمالها الأدبية، والفنية. حتى جاءت الوجودية برؤى وأفكار جديدة مثّلها (جان بول سارتر) الذي قال (بوجود الانسان أولا ومن ثم تتحقق ماهيته، أيّ ان الوجود سابق على الماهية، وهي نظرة الحادية متمردة على القيم السماوية بنكرانها للخالق الذي خلق الانسان وماهيته. إذ يرى (سارتر) وأتباع هذه النزعة بان ماهيته تأتي لاحقا عن طريق اختياره

٢١- سوفقليس: اوديب ملكا: في، تراجيديات سوفقليس: ص١٤٣-١٤٧.

٢٢- ميرشنت، مولوين و كليفورد ليتش: الكوميديا والتراجيديا، ص١٤٢.

لمجموع أفعاله بإرادة حرة لتشكل مجموعة السمات التي تتميز فيها الشخصية، وبذلك تم الغاء جوهر الأشياء والذهاب الى الوجود،الآن، والموجود في هذا العالم.)[٢٣]

ومثّلت شخصية (سيزيف) الأسطورية عند (البير كامو) في كتابه (اسطورة سيزيف) مثالا للبطل العبثي الذي حكمت عليه الآلهة برفع الصخرة الى قمة الجبل ومن ثم دحرجتها وإعادة رفعها من جديد وهكذا لتشير ليس الى عبثية الحياة، بل الى لا معقولية هذا الوجود. إن مصير (سيزيف) هنا يعبر عن مصير الانسان في هذا العصر، وهو ليس التباسا في تأكيد قيمة، بل موقف فكري في أن لا جدوى العالم ينتقل بفعل التجربة العبثية الى الانسان. فـ"اللاجدوى ليست في الانسان وليست في العالم، وإنما في وجودهما معا."[٢٤] وهي إحالة غير مباشرة الى عبثية الشخصية التراجيدية الاغريقية مجسدة في نص (بروميثيوس مقيدا) لـ (اسخيلوس). إن وجودا غير مجد هو وجود غير معقول، إذ يصبح لا معنى له ولا أهمية لأي شيء، ومن ثم لابد من التمرد على هذا الوجود ذلك أن"البديهية الوحيدة التي أتلقاها في صميم التجربة العبثية، هي التمرد."[٢٥] والتمرد بوصفه احد اشكال الاحتجاج على الوجود فانه ينطوي في الوقت ذاته على المجابهة، وهي مجابهة لعقم هذا العالم وبؤسه، ولذات الانسان. هذا الاحساس العبثي وجد صداه في تجربة كتاب مسرح اللامعقول مع اختلاف رؤى كل واحد منهم للعالم، إلّا أنهم جميعهم كانت استجاباتهم للتحديات الحضارية ماثلة في ذلك العبث لتدمير الوجود الانساني، ولا معقولية العالم، وهذا الوجود المأساوي إمتزج عند كتاب اللامعقول بالتهكم والسخرية. فشخصية (الاستاذ) لـ (يونسكو) الذي طال إنتظاره من قبل الجمهور ليظهر في المشهد الأخير من خطاب النص، ويدخل للحظات ليراه الاخرون ثم يغادر وهو بلا رأس. وهي دالة على رفض المسلمات القبلية الذي جسده العقل لتصور الوجود، وهو نسف للتقاليد، وفي الوقت ذاته يضع الانسان المعاصر وجها لوجه أمام الحقيقة عن عبث الوجود وخوائه كما يراها هؤلاء الكتاب.

"المعجبة: بعد خروج الاستاذ)... ولكن! ولكن... الاستاذ بلا رأس!

المذيع: وما حاجته إليها، ما دامت لديه عبقرية!"[٢٦]

وفي مسرحية (الدرس) يشتبك الحدث بين الأستاذ والطالبة من ثرثرة لغوية الى تطور دراماتيكي بعدم قدرة الكلام على التواصل بينهما وبفقدان القدرة على إزالة سوء الفهم، ومن ثمّ الى تعقيد في العلاقة لتنتهي الى موقف عدواني مميت بقتل الطالبة. وبدم بارد يستعد الأستاذ لدفن قتلاه الأربعين من الطالبات.

"الاستاذ: نعم، ياماري.. ماذا سنفعل؟

الخادمة: سنقوم بدفنها.. هي والتسع والثلاثين الاخريات، سنقوم بدفنهن..

٢٣- ينظر: ابراهيم حماده: المصدر السابق، ص٢٨٩.

٢٤- كامو، البير: اسطورة سيزيف، ص٣٩.

٢٥- كامو، البير: الانسان المتمرد، ص١٥.

٢٦- يوجين يونسكو: ٥ مسرحيات طليعية، ص١٥٦.

سيصبحن اربعين نعشا."[٢٧]

في مسرحية (نهاية اللعبة) يستعرض (بيكيت) عالمه عن طريق أربع شخصيات قابعة في حجرة فيها نافذتان صغيرتان بارتفاع عالٍ لا يمكن النظر عبرهما إلا بوساطة سلّم.(ناج)و (نيل) مسنّان بلا سيقان يقبعان في صفيحتي قمامة فيما هما يستذكران حكايات في زمن مضى. و(هام) أبنهما الأعمى وهو عاجز اسير كرسي ذي عجلات يوقف جراحه بمنديل مشبع بالدم طوال المسرحية. و(كلوف) ابنه وخادمه وهو الشخص الوحيد الذي يتحرك في هذه الحجرة، وهو الشاهد الوحيد المترقب لأفول العالم عبر النافذتين. هكذا أربعتهم في هذا القبو بانتظار المعجزة أو بانتظار انطفاء الضوء، والموت. شخصيات تشكل عائلة متكاملة غارقة في العدم بلا اي امل حتى ان (هام) يتساءل وهو غارق في قوقعته ومغطى بالدم:

"هام: أيمكن ان يكون هناك بؤس أعظم من بؤسي؟"[٢٨]

شخصيات عدمية مرمية في مكان عدمي مغلق بإحكام، وتحيل الأستعارة هنا الى تقهقر مريع بكل الاتجاهات، وقد أحكم القدر قبضته على الجميع مقابل شعور بالهزيمة. فعندما يسأل (هام) (كلوف) ماذا وجدت يجيب:

"كلوف: صفرا."[٢٩]

زمن صفري في مكان كقبو يضغط باتجاه هزيمة الانسان وقد تم تفريغه من أيّ فعل سوى عزلة خانقة. الأبطال هنا معدومون ومعزولون بلا أيّ قدرة على التواصل وهو نمط آخر للبطل التراجيدي"المعدوم، والخائر القوى والبدائي، هو المخلوق المعزول، الذي يحتفظ برغباته، مما له مغزى في التراجيديا، ان تكون أعلى مراحلها قتامة، وقساوة، حين يدرك البطل التراجيدي والمتلقي تلك اللحظات التي تحاصره بالعبث واللامعقول."[٣٠] إن مسرح اللامعقول الذي جاء بقيم جديدة في خطاب النص المسرحي سواء بالشكل أم بالمضمون بسبب تمرده على القديم ونسفه للتقاليد الأرسطية في بناء الحدث الدرامي، إلا أنه كأي تيار مسرحي جديد ينطوي على فهم ورؤية مغايرين، ومن ثم كانت سمات البطل هنا بوصفه القائم بالفعل قد طرأ عليها تحول يتناسب مع النسق الثقافي السائد في هذه الحقبة.

الفصل الثالث: تطبيق

النص: في انتظار جودو.[٣١]

المؤلف: صمويل بيكيت.

٢٧- يوجين يونسكو: الاعمال الكاملة ليونسكو، ج١، ص٧٢.
٢٨- بيكيت، صامويل: نهاية اللعبة، ص٢٢.
٢٩- بيكيت، صامويل: نهاية اللعبة، ص٢٣.
٣٠- عقيل مهدي يوسف: التراجيديا والتحولات الفلسفية والنقدية، ص٦٨.
٣١ - بيكيت، صمويل: في انتظار جودو، ترجمة بول شاوول، بيروت: (منشورات الجمل)، ٢٠٠٩، ص٣٩.
وسيشير الباحث الى رقم الصفحة فقط في تحليل عينة البحث.

من اللحظة الاولى تحيلنا مدونة النص الى رسم ملامح هيأة شخصية (استرجون) في فعلها التهكمي بانتزاع حذائه من قدمه بمحاولات متكررة ولكن دون جدوى، بل عبثا يحاول، وهو إستهلال مشهدي قصدي يثير التباساً بين مفهوم العبث والفعل العابث، وكأن لم يكن عالم هذه الشخصية سوى تكرار لفعل عابث، فضلا عن احداث نوع من الترقب لاستهلال نصي درامي يثير اسئلته منذ البدء:

"استرجون جالس على الارض، يحاول انتزاع حذائه، يحاول جاهدا بكلتا يديه

زافرا من التعب. يتوقف، وقد خارت قواه، يرتاح لاهثا، يعيد الكرة، اللعبة ذاتها.

استرجون: (عادلا عن المحاولة من جديد) عبثا."(ص٣٩)

هذا التحديد لهيأة الشخصية باستفزاز فعلها وقولها هو إستعارة لعالم المهرجين ولاعبي السيرك أو المشردين الذين لم يعد الوجود أو العالم بالنسبة لهم سوى سؤال عن معنى وجودهم في هذا العالم، أو محاولة استرداد المعنى في اللامعنى. إن تصرف الشخصيتين هنا سواء بنوعية الزي الذي يرتديانه أو بتصرفهما وثرثرتهما التي تشبه عالم الكوميديين، فإنهما تشيران الى خواء هذا العالم وتصويره بشكل ساخر ينطوي على إحساس مأساوي:

"استرجون: (رافعا سبابته) هذا ليس سببا كي لا تزرر بنطالك."

ولانّ الانتظار في المتن النصي ثيمة أساسية لوجود الشخصيتين، فأن الحضور يستدل بالغياب في ثنائية جدلية تستبطن الغياب في الحضور معنى وجوديا، وتستبطن اللامعنى في الحضور بسبب فعل الانتظار للغائب (جودو). ومن ثم يمكن القول أن المعنى يكمن في الغياب، وهو إرجاء، وتأجيل في المكان والزمان. وبهذا المستوى يتم تفريغ الحدث الى أفعال قولية متكررة بين الشخصيتين (استرجون وفلاديمير) يتم فيه الحديث عن كل شيء بسبب الانتظار، وهو حديث يرصد لا معقولية هذا العالم، وعبث الوجود، وان كان القول غير محدد أو مترابط وسط"ناس جهلة ومغفلون"(ص٤٦)، وفي عالم سديمي غير محدد:

"فلاديمير: قال قرب الشجرة. (ينظر الى الشجرة). هل ترى سواها؟...

استرجون: يبدو انها ميتة."(ص٤٧)

هذا الانتظار اللامحدود واللامتناهي في مكان عدمي يجعل من ثبات الشخصيتين أمراً مقلقا ومثيراً، وهو قلق وجود، ومرعب:

"استرجون: لا شيء ينقضي، لا أحد يأتي، لا أحد يذهب، هذا رهيب."(ص٩٢)

في ظل هذا العالم الساكن والعدمي لا شيء سوى الانتظار. حتى محاولة الانتحار لم تجدِ نفعا للوصول الى حالة الانتشاء والمعرفة"لننتظر حتى نعرف."(ص٥٣) وحين يقرران الانتحار ثانية، وهو أعلى مراحل التجسيد الفعلي لفكرة لا جدوى الوجود ينقطع الحبل، وحتى سعادتهما تصبح في انتظار جودو، وهذا الانتظار يتكرر في المتن السردي بصورة مستمرة وحتى ختام المتن النصي ويمتد الى ما بعد النص بصيغة سؤال. وهما في ثبات وصيرورة بانتظار المخلص كي يفوزا بالخلاص، فهما أبداً"لا يتحركان"في كل لحظة والى النهاية، بل أن النص ينتهي كما انتهى الفصل الأول بالجدل ذاته:

"استرجون: واذا جاء!
فلاديمير: نفوز بالخلاص.
حسنا، أنمضي؟
استرجون: هيا نمضي.
(لا يتحركان). (ص١٧٣)

"لا يتحركان"تتكرر أكثر من مرة. إذ ليست هناك الارادة الكامنة في قرار الرحيل فعلا، بل الاختيار هو الانتظار(ص٤٤، ص١١٠، ص١٣٣، ص١٤٤، ص١٥٥، ص١٧٢). هذا الانتظار الرهيب يجري في عالم لا يتسع سوى"بين قبر وولادة عسيرة"(ص١٦٥). إن البنية الدرامية للخطاب النصي هنا، هو تقويض شامل للبنية الأرسطية سواء في بناء الحبكة، أو في بناء الشخصية، إذ لا تحول ولا إنقلاب ولا تعرف، فليس هناك حكاية تتدرج في مبناها وصولا الى ذروتها ومن ثم الى خاتمتها سواء بتنامي الحدث الدرامي، أو بفعل صراع الشخصيات، وليس هناك حوار ينمو بل حوار متقطع ومبهم ومتكرر، ورغم إنعدام كل ذلك فأن النص يحمل الكثير من الترقب لما سيحدث في نصٍ بلا أحداث، وما لا يحدث هو الذي يحدث في النهاية. وفي رحلة الانتظار تمرّ شخصية السيد (بوزو) والعبد (لاكي) وهي رؤية موازية لعدمية العالم في ظل طغيان متجبر أمام عبد خنوع، والاستغلال البشع في سحق إنسانية الانسان المتمثلة في (لاكي) مقابل هيمنة (بوزو) المطلقة، وإستخدامه أبشع صنوف الامتهان المعنوي والجسدي معه. ما يجعل شخصية مثل (فلاديمير) ينفجر احتجاجا على هذا التصرف المهين والمخجل:

"فلاديمير: منفجرا هذا عار!...
(متلعثما وحاسما) معاملة انسان (اشارة الى لاكي) بهذه
الطريقة.. اعتبر انها.. ككائن انساني.. كلا.. عار!"(ص٦٩)

إن تقصي جوهر الطبيعة الانسانية في تجربة الوجود البشري في نص (في انتظار جودو) خضعت للمتغيرات الحياتية الكبرى، فلسفيا وجماليا، في ظل تدمير وخراب للكينونة بفعل الكائن وسط انتهاك شامل للوجود وهو فعل إحتجاج ورفض لهذا العالم الذي لم يتبق منه سوى الانتظار في مكان وزمن متكررين"الوقت ذاته. المكان ذاته."(ص١١١).

النص: المستأجر الجديد[٣٢]

المؤلف: يوجين يونسكو

في المتن الحكائي لخطاب النص نتعرف على المستأجر الجديد لشقة في الطابق السادس لبناية بدون مصعد وخادمة تحاول خدمة (السيد) إلّا أنه يرفض خدماتها رفضاً قاطعاً، وفي الوقت ذاته يدخل العاملان لنقل كمّ هائل من المحتويات والأثاث للشقة، والذي ينتهي بغلق جميع الممرات والأبواب وتخنق

٣٢ – يوجين، يونسكو: ٥ مسرحيات طليعية، ترجمة شفيق مقار، القاهرة: (الدار القومية للطباعة والنشر)، ١٩٦٦. وسيشير الباحث لاحقا بأرقام الصفحات فقط.

المالك الجديد، إذ لم يستطيع أحد أن يرى الآخر مطلقا. وهو خطاب يقدم فيه شخصية (السيد) وقد أوغل في عزلته عن العالم، وغربته عن الآخرين، فضلا عن نبذه للتواصل، والغوص بعيداً في محنته الانسانية أزاء خواء هذا العالم، على الرغم من الفوضى والحياة التي تعمّ المكان في إستهلال الخطاب"ضجة كبرى عند رفع الستار: صخب اصوات آتية من الكواليس، قرعات مطارق، نتف متفرقة من أغان، صيحات أطفال، وقع اقدام على الدرج، وصوت أرغن مما يعزف في الشوارع...الخ."(ص١٨٣) في خضم هذه الضجة الحياتية، والتي تُغنيها شخصية (البوابة) بحواراتها المتنوعة المكتظة بحيوات الساكنين السابقين الا أن (السيد) يدخل في صمت رافضا لخدماتها ولأي تواصل معها، وبهدوئه البالغ المعهود يقرر:

"السيد: لست في حاجة الى خدماتك يا سيدتي."(ص١٩٥)

وحينذاك تبدأ رحلة نقل الأثاث من قبل العاملين، (بحيث تضيق المساحة الخالية من الأثاث حول السيد باطراد وهو في مكانه، وسط المنصة.) والى أن يصبح الاداء في صمت مطبق"حتى الضجة الخارجية وصوت البوابة قد تخافتا تدريجيا، طيلة المشاهد السابقة، حتى انقطعا تماما."(٢٢٥) هذا العالم الذي بدأ برسم ملامح كينونة (السيد) وخناقه بالماديات في مقابل تغييب وجوده في ذاته، وتأكيد عزلته سواء بإرادته، أم بخضوعه الى إرادة العالم بأخلاقياته وسياقاته وفق التقاليد التي تشكل قيداً مضافا لإنسانية الانسان. ويستمر نقل الاثاث الى إمتلاء سلّم العمارة، إذ لم يعدّ في وسع أحد أن يصعد أو ينزل، فضلا عن امتلاء الفناء والشوارع، وأنفاق المترو، حتى نهر السين ما عاد يجري. إنسدّ مجراه. لم يعد هناك مكان إلّا وامتلأ بالأثاث، بل تم تعطيل البلد بأكمله. حصار وعزلة خانقين. وبعد نقل الأثاث لم يعد هناك أي مخرج أو تواصل بين (السيد) والعامل الأول والثاني"العاملان يضربان على غير هدى بين الاثاث المتراكم في الغرفة: فالنافذة مسدودة، وكذلك البابان اللذان ما زالا مفتوحين على سعتهما تسدهما الالواح الخشبية وتقطع الطريق على من يبغي الخروج منهما."(٢٣٤) وبعد أن لم يستطيعا رؤية احدهما للآخر لتراكم الأثاث، ولم يعد بمقدور أحد الحركة مطلقا يسأله العامل الثاني من دون ان يراه:

"العامل الثاني: ألست في حاجة الى شيء؟"

يجيبه صوت السيد"بعد فترة من الصمت، وقد اعدمت الحركة في المشهد: شكرا. اطفئا النور!"(٢٣٥) وهكذا يتم ليس وحسب إطفاء النور بل إغلاق المكان تماما، كمدفن مهيمن لهذا الطغيان الجارف، إذ يتحول الانسان الى شيء عابر ولا قيمة له. وهكذا يستريح (السيد) في عزلته المأساوية وحيداً من دون أيّ فعلٍ يقوم به للمشاركة بإدارة قوى الصراع ككينونة فاعلة، الاّ أنه بعكس ذلك يستغرق في وحدته أو موته. اننا أزاء شخصية تعاني اضطرابا بنيويا، وشرخاً في وجوده ذاته يتسم بالاغتراب والعجز عن التواصل مع الاخر على الرغم من الضجيج الحياتي سواء خارج الشقة، أو التي تحدثه (البوابة) وهي شخصية شعبية ثرثارة، إلّا انه بسبب هذا الاغتراب عن الوجود وعدم الانسجام مع العالم، وكرهه للضوء والضوضاء بدلالة إغلاقه النوافذ، يغرق في عزلته الموحشة قلقاً تكتنفه هواجس لا يبوح بها لأحد حتى لذاته هو، وذلك يتضح عن طريق صمته الرهيب والاستغراق في عالمه الخاص جدا، إذ لم يقل شيئا في خطاب النص سوى كلمات إرشادية مقطوعة لوضع الأثاث هنا أو هناك، وحتى الحوار الطويل الذي

بدأته (البوابة) معه والتي كشفت فيه عن عوالم الساكنين قبله في هذه الشقة والشقق المجاورة بنسجها حكايات متنوعة في سبيل الحصول على وظيفتها إلّا انه لم يصدر عنه أيّ شيء سوى الأمر بإغلاق النافذة عندما أرادت فتحها لمناداة زوجها، وهي في الطابق السادس وهي إحدى سمات خطاب اللامعقول بأن لا تقوم الشخصية بأيّ فعل أو صراع مع الاخر، بل تمضي في وحدتها وعالمها الخاص، وأن تحدثت إقتصدت في كلامها، أو تثرثر كـ (البوابة) دون تواصل مع الآخر. بل أن اللغة تصبح اقرب الى الهذيان كما عند العامل الأول والثاني، هو حضور للقيم المادية الطاغية أمام غياب الفكر من الوعي الانساني بمعنى إستلاب هذا الوعي واقصائه بقوة طغيان تلك القيم. وهذه اللغة المشروخة هي جزء من سياق الشخصية التي تعاني الاستلاب والاغتراب معا. وهو تمرد صريح على العالم في تجربته الوجودية. الخطاب هنا لا ينصب على العقدة، بل ليس هناك عقدة، وانما تأثير الخطاب يستمد وجوده من صورة الخطاب وهو ينمو ومن ثم لتشكّل وجود الشخصية في بؤسها، وتيهانها، واغترابها، وعبثيتها، وكأنها حبيسة قوى غير مرئية في مكان معادٍ. بطل اللامعقول مأزوم في اشتباك الوجود الفاقد للمعنى، حضور مأزوم أخلاقيا، ولعل هذا ما يجعله أكثر اغترابا، ومن ثمّ هذه الغلالة من الحس المأساوي المشبعة بالسخرية، بانتظار الثابت المطلق في الغياب الميتافيزيقي لإعادة تشكيل الكينونة في وجودٍ حميم.

الفصل الرابع: النتائج والاستنتاجات

١. شخصية البطل في الخطاب النصي لمسرح اللامعقول شخصية من عامة الناس كما في شخصية (السيد) في مسرحية (المستأجر الجديد) أو من المشردين والمعدومين كشخصيتي (استراجون وفلاديمير) في مسرحية (في انتظار جودو) فهم ليسوا من سلالة ملكية ولا من فئة الامراء أو القادة.
٢. شخصية البطل قلقلة، ومتمردة وغير مستقرة، وهي اذ ترفض أي نوع من التواصل مع الاخر تستسلم لمصيرها كما في شخصية (السيد) في مسرحية (المستأجر الجديد).
٣. البطل هنا ساخر تهكمي لكنه يثير ذلك الاحساس المأساوي بعبث الوجود ولا جدوى العالم.
٤. مصير البطل محير ومرتبك وعبثي يتناسب وفعل الانتظار في الذي يأتي، في عالم لا شيء يحدث فيه.. لا أحد يذهب. لا أحد يجيء.
٥. لا وجود لتحول البطل هنا من السعادة الى الشقاء او حتى في أنماط تحول الشخصية الاخرى التي ذكرها (ارسطو). والبطل هنا يستجيب لبنية الخطاب الدائرية. فكما كانا (استراجون) و(فلاديمير) في الاستهلال النصّي في حالة انتظار ينتهي الخطاب وهما في حالة انتظار.
٦. البطل في نصوص اللامعقول يعبر عن ملامح الانسان في حقبة زمنية محددة.
٧. سمات بطل اللامعقول المتغيرة جاءت إستجابة للمتغيرات في الأنساق الثقافية التي تهيمن على العالم.
٨. بطل اللامعقول نمطي وليس فردي، ومن ثم فان عبثيته ورؤيته للعالم تستجيب لشريحة اجتماعية وجدت ذاتها ضائعة وطموحاتها باتت بلا هدف محدد.
٩. البطل يتمظهر في الغياب كمعنى مؤجل عن طريق حضوره الساكن بانتظار المعنى.

المصادر والمراجع:

١. ابن منظور: لسان العرب، مج١، مج١٣، بيروت: (دار صادر)، د.ت.
٢. أرسطو: فن الشعر، ترجمة ابراهيم حماده، القاهرة: (مكتبة الانجلو المصرية)، ١٩٧٧.
٣. بيكيت، صامويل: نهاية اللعبة، ترجمة بول شاوول، الكويت: (وزارة الاعلام)، ١٩٩٢.
٤. ـــــ، ـــــ: في انتظار جودو، ترجمة بول شاوول، بيروت: (منشورات الجمل)، ٢٠٠٩.
٥. حماده، ابراهيم: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة: (دار المعارف)، ١٩٨٥.
٦. سعيد علوش، سعيد: المصطلحات الادبية المعاصرة، الدار البيضاء: (منشورات المكتبة الجامعية)، ١٩٨٤.
٧. سوفقليس: تراجيديات سوفقليس، ترجمة عبد الرحمن بدوي، بيروت: (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)، ١٩٩٦.
٨. صليبا، جميل: المعجم الفلسفي، ج١، بيروت: (دار الكتاب اللبناني)، ١٩٨٢.
٩. عناني، محمد: المصطلحات الادبية الحديثة، ط٢، مصر: (مطابع الاهرام التجارية)، ٢٠٠٦.
١٠. فرنان، جان بيير و بيير فيدال ناكيه: الاسطورة والتراجيديا في اليونان القديمة، ترجمة حنان قصاب حسن، ط١، دمشق: (الاهالي للطباعة والنشر والتوزيع)، ١٩٩٩.
١١. كامو، البير: اسطورة سيزيف، ترجمة انيس زكي حسن، بيروت:(منشورات دار مكتبة الحياة)، ١٩٨٣. ١٢
١٢. ـــــ، ـــــ: الانسان المتمرد، ط٣، ترجمة نهاد رضا، بيروت: (منشورات عويدات)، ١٩٨٣.
١٣. كوركينيان، م.س: الدراما، في، نظرية الادب، ترجمة جميل نصيف التكريتي، بيروت: (المركز العربي للطباعة والنشر والتوزيع)، ١٩٨٠.
١٤. مطر، اميرة حلمي: مقدمة في علم الجمال وفلسفة الفن، ط١، القاهرة: (دار المعارف)، ١٩٨٩.
١٥. ميرشنت، مولوين و كليفورد ليتش: الكوميديا والتراجيديا، ترجمة علي احمد محمود، الكويت: (المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب)، ١٩٧٩.
١٦. النجار، محمد علي وآخرون: المعجم الوسيط، ج١-ج٢، طهران: (مؤسسة الصادق للطباعة والنشر)، ٢٠٠٥.
١٧. وهبه، مجدي و كامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والادب، ط٢، بيروت: (مكتبة لبنان)، ١٩٨٤.
١٨. وهبه، مراد: المعجم الفلسفي، القاهرة: (دار قباء الحديثة للطباعة والنشر والتوزيع)، ٢٠٠٧.
١٩. يوسف، عقيل مهدي: فلاسفة ومسرحيون، بغداد: (دار الدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية)، ٢٠١٤.

٢٠. ـــــ، ـــــــــ: التراجيديا والتحولات الفلسفية والنقدية، بغداد: (دار الدكتور للعلوم الادارية والاقتصادية)، ٢٠١٤.
٢١. يونسكو، يوجين: ٥ مسرحيات طليعية، ترجمة شفيق مقار، القاهرة: (الدار القومية للطباعة والنشر)، ١٩٦٦.
٢٢. ـــــ، ـــــ: الاعمال الكاملة ليونسكو، ج١، القاهرة: (الهيئة المصرية العامة للكتاب)، ٢٠٠٦.

مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم ومدى تطبيقها من قبلهم في العملية التعليمية

The extent absorption of history teachers in the primary stage of learing theories and their application by them in the educational process

رضا عباس حسن [1] Ridha abbas Hassan

المستخلص

من الملاحظ زيادة الاهتمام خلال العقود الاخيرة بالمعلم وتنمية مهارته خاصة بعد التطورات العلمية والتكنولوجية من جهة،وبعد اجراء الدراسات والبحوث العديدة في ميدان التربية وعلم النفس من جهة اخرى،سعيا لتحقيق الهدف الرئيس من التربية وهو الوصول بالمتعلم الى افضل مستوى من التعلم ومن هذه الدراسات ما ركز على المام المعلم بكافة جوانب نظريات التعلم وتبنيها في عمليته التعليمية في حجرة الدراسة واختيار ما هو انسب منها للوصول الى اهداف درسه، ويرى البعض ان ثمة ازمة في تدريس المواد الاجتماعية في المرحلة الابتدائية فالملاحظ ان خريجي المدارس الابتدائية لا يملكون الفهم المناسب لبعض المفاهيم الاجتماعية التي تلعب دوراً مهماً في حياتهم مثل المواطنة والتعاون والمثل العليا.....الخ،ان نظريات التعلم هي بمثابة نظريات وصفية تتلخص وظيفتها في توليد المعرفة حول التعلم ممثلا ذلك في صياغة المبادئ والقوانين والنماذج العامة التي تحكم السلوك الانساني، ومن هذه النظريات يمكن اشتقاق اجراءات عملية ونظريات توصيفيه لتوظيف المبادئ والقوانين والنماذج في مواقف عملية مثل مواقف التدريس

١ – المديرية العامة لتربية كربلاء.

وبرامج تعديل السلوك والمواقف العملية في العملية التعليمية المختلفة، حيث تودي نظريات التعلم ثلاث وظائف رئيسية تتمثل بالاتي:

١. هي بمثابة منهج يرتبط بنوع معين من المعرفة، فهي طريقة لاجراء البحث حول التعلم لانها تحدد المظاهر الرئيسية للتعلم التي تستحق البحث والدراسة كما انها توضح لنا ما هي المتغيرات (المستقلة والتابعة) التي يجب معالجتها والطرق المناسبة لذلك؟
٢. هي بمثابة محاولات لتلخيص كم هائل من المعلومات المرتبطة بموضوع التعلم في عدد محدد من المبادى والقوانين وذلك لتسهيل فهم عملية التعلم بشكل اوضح وادق وتسهيل عملية استخدام هذه المبادى والقوانين في مواقف العملية التعليمية.
٣. هي بمثابة محاولات ابداعية لتفسير عملية التعلم وتحديد طبيعتها ومتغيراتها فهي تزودنا بالمبادى والقوانين والحقائق التي تجيب عن اسئلة مثل لماذا وكيف يحدث التعلم؟

من هنا جاءت مشكلة البحث فدفعت الباحث ان يجري دراسته على معلمي المواد الاجتماعية ومعرفة مدى استيعابهم لنظريات التعلم ومدى استخدامها في العملية التعليمية،يهدف هذا البحث الى استقصاء مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم ومعرفة مدى تطبيقهم لهذه النظريات في توصيل مادتهم الدراسية، وبالتحديد سنحاول في هذه الدراسة الاجابة عن الاسئلة التالية:

١. ما مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم؟
٢. ما مدى تطبيق نظريات التعلم من قبل معلمي مادة التاريخ في العملية التعليمية؟

تصنف نظريات التعلم حسب الجانب الذي تركز النظرية عليه؛ فإما تركز على الجانب المعرفي والبنية المعرفية أو تركز على الجانب السلوكي والتي يمكن ان نقسمها الى محورين المحور الاول النظريات السلوكية والمحور الثاني هي النظريات المعرفية.

بعد الاجراءات التي قام بها الباحث والمتمثلة بجمع المعلومات التي تحتاجها الدراسة من خلال الاستبيان الذي وجهه الباحث الى المشتركين، ونتائج مصفوفة السمات التي اعتمد عليها الباحث في ملاحظته للمشتركين، بالاضافة الى اطلاعه على دفاتر الخطة السنوية واليومية للمشتركين، ومن ثم قيام الباحث بمعالجة المعلومات التي تم التوصل اليها من خلال هذه الادوات حيث تم تفريغ البيانات وتصنيفها ومن ثم اتباع الاستراتيجيات في تحليلها للوصول الى استقصاء يجيب على هدفي البحث تم توصل الباحث الى النتائج التالية والتي يلخصها الجدول التالي علما ان الاسماء المستخدمة مستعارة وليس حقيقية نزولاً عند رغبة المشاركين في الدراسة

الهدف	الهدف الاول: ما مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ	الهدف الثاني: ما مدى تطبيق نظريات التعلم من قبل معلمي مادة التاريخ في العملية التعليمية؟

المعلم	في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم؟	
فاطمة	لم تظهر لديها اي استيعاب	عدم استيعابها انعكس على عمليتها التعليمية،حيث انها كانت اكثر سلوكية بدون وعي منها لمبادئ هذه النظرية
ابتسام	لم تظهر لديها اي استيعاب	عدم استيعابها انعكس على عمليتها التعليمية حيث انها اظهرت مزيجا من السلوكية والمعرفية ولكن بدون وعي منها لمبادئ هذه النظريات
مها	لم تظهر لديها اي استيعاب	عدم استيعابها انعكس على عمليتها التعليمية،حيث انها كانت اكثر سلوكية بدون وعي منها لمبادئ هذه النظرية
احمد	لم تظهر لديه اي استيعاب	عدم استيعابه انعكس على عمليته التعليمية،حيث انه كان اكثر سلوكيا بدون وعي منه لمبادئ هذه النظرية
علي	لم تظهر لديه اي استيعاب	عدم استيعابه انعكس على عمليته التعليمية،حيث انه كان اكثر سلوكيا بدون وعي منه لمبادئ هذه النظرية
محمد	ظهر لديه استيعاب	استيعابه انعكس على عمليته التعليمية، حيث انه اظهر مزيجا من السلوكية والمعرفية الا انه مال الى السلوكية اكثر ولكن بوعي منه لمبادئ هذه النظرية

بعد اكمال الباحث اجراءات بحثه وتفسيره لنتائجه توصل الباحث الى الاستنتاجات الاتية:

١. وجود ضعف واضح في مخرجات معاهد المعلمين والمعلمات والكليات التربوية في جانب الاعداد المهني.
٢. اهمال الجانب التطبيقي في مناهج اعداد المعلمين مهنيا واقتصارها على الجانب النظري في المواد التربوية التي يتم تدريسها.
٣. عدم تبيان الاهمية والفائدة العلمية من قبل القائمين على تدريس نظريات التعلم بشكل خاص والمواد التربوية بشكل عام في المعاهد والكليات التربوية.
٤. اهمال الجانب التربوي المهني من قبل المشرفين في اثناء زيارتهم الى المعلمين.
٥. قلة توفر الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية الحديثة في المدارس جعل البيئة الصفية المتواجدة فيها ضعيفة من حيث التشويق للدرس.
٦. قلة توفر المراجع والمصادر التربوية المهمة في المدارس جعل المعلمون لا يواكبون التطور التربوي واهمال تطوير مستوياتهم المهنية.
٧. قلة الاهتمام بالجوانب الوجدانية والنفسحركية والتركيز على الجوانب المعرفية في قائمة الاهداف الموضوعة من المعلمين وعدم اعطائها الاهمية في عملياتهم التعليمية.

يوصي الباحث بالتوصيات الاتية

١. اصدار حقيبة تعليمية لمعلمي المواد الاجتماعية في المرحلة الابتدائية تتضمن ابرز النظريات التعليمية وتبيان اهميتها في العملية التعليمية.
٢. اعداد دورات لمعلمي المرحلة الابتدائية اثناء الخدمة تخص نظريات التعلم وأدارتها من قبل مختصين في المجال التربوي لتوضيح كيفية توظيفها في العملية التربوية.
٣. التركيز على التربية العملية والاعداد المهني التطبيقي وعدم الاقتصار على المواد النظرية في مناهج اعداد المعلمين في الكليات التربوية.
٤. التركيز في برامج اعداد المعلمين في الكليات التربوية على نظريات التعلم وابراز اهميتها من القائمين على تدريسها لترسيخها في ذهن (الطالب/المعلم).
٥. ضرورة ادخال المشرفين التربويين في دورات تطويرية في مجال التربية المهنية لمساعدتهم في تطوير امكانيتهم التربوية.
٦. التركيز من قبل المشرفين على كيفية تنظيم البيئة الصفية التعليمية، بحيث يتم التعلم في جو من الاثارة والتشويق.
٧. التاكيد على المعلمين بضرورة الاهتمام بالمستويات العليا من تصنيف بلوم (التركيب–التحليل–التقويم)وعدم الاقتصار على المستويات الدنيا.

Abstract

It is noted increased attention in recent decades, the teacher and the development of special skill after scientific and technological developments on the one hand, and after conducting studies and numerous research in the field of education and psychology on the other hand, in order to achieve the main goal of education which access the learner to a better level of learning, and these studies are focused on familiarity with the teacher in all aspects of learning theories and adopted in the educational operation in the classroom and choose what is most appropriate ones to reach the targets studied, and some believe that there is a crisis in the teaching of social studies in the primary stage it is recognized that the primary school graduates do not have the proper understanding of some of the social concepts play an important role in their lives, such as citizenship and cooperation and ideals..... etc, that theories of learning is a descriptive theories whose sole job is to generate knowledge about learning representatives in the formulation of the principles and laws and public models of human behavior control, and these theories can be derived measures process and descriptive theories to employ the principles, laws and models in practical situations such as teaching positions and programs to modify the behavior and attitudes in the process of various educational

process, learning theories claiming the three main functions are the following:

1. is a curriculum linked to a certain type of knowledge, it is a way to conduct research on learning because it identifies key aspects of learning that deserve research and study as it shows us what variables (independent and dependent) that must be addressed and appropriate ways to do so.

2. serves as attempts to summarize the vast amount of information related to the topic of learning in a specific number of guideline principles and laws in order to facilitate understanding of the learning process is explained and the most accurate and facilitate the process of using this guideline principles and laws in the educational process positions.

3. is a creative attempts to explain the learning process and determine the nature and the variables they provide Balmpady, laws and facts that answer questions such as why and how learning takes place.

From here came the research problem Vertiy researcher that is being studied teachers and social materials and know how their understanding of the theories of learning and the extent of their use in the educational process, This research aims to investigate the extent of absorption of teachers of history in elementary school and find out how their application of these theories in the delivery of their subject of study, and in particular we will try to In this study, answer the following questions:

1. To what extent accommodate teachers of history in elementary school for the learningtheories?

2. To what extent the application of theories of learning by teachers of history in the educationalprocess?

Learning theories are classified by the side that focuses theory it; either focus on the cognitive side and cognitive structure or focus on the behavioral side, which can divide into two axes to the first axis and behavioral theories and the second axis is the cognitivetheories.

After the procedures carried out by the researcher and of collecting information needed by the study through the questionnaire and face the researcher to subscribers, and the results of Matrix features that adopted by the researcher in his observation of the participants, in addition to brief him on the books of the annual daily plan for subscribers, and then do the researcher to address the information that has beenreached through these tools where the data was unloaded and classified and then follow the strategies in the analysis to get to the survey answer my goal Find the researcher obtained the following results, which the following table

summarized note that the names used pseudonyms and not a real revelation to the wishes of the participants in the study

Target / Teacher	The teacher's first goal: To what extent accommodate teachers of history in primary school for learning theories?	The second objective: To what extent the application of theories of learning by teachers of history in the educational process?
Fatima	Has showed no absorption	has not shown any accommodate not absorbed is reflected in the educational process, where it was more of behavior without awareness of which the principles of this theory
Ibtisam	Has showed no absorption	has showed no absorption not absorbed is reflected in the educational operation, where it showed a combination of behavioral and cognitive awareness but without them the principles of these theories
Maha	Has showed no absorption	has showed no absorption not absorbed is reflected in the educational process, where it was more behavioral Bonn awareness of them with the principles of this theory
Ahmed	Has showed no absorption	has not shown any accommodate not absorbed is reflected in the educational process, where he was more behaviorally Bonn awareness of it with the principles of this theory
Ali	Has showed no absorption	has not shown any accommodate not absorbed is reflected in the educational process, where he was more behaviorally Bonn

		awareness of it with the principles of this theory
Mohammed	Has showed absorption	appeared to have absorbed absorb reflected in the educational process, where he showed a combination of behavioral and cognitive but money to more behavioral but it consciously with the principles of this theory

After completing his studies researcher procedures and interpretation of results researcher reached the following conclusions:

1. a weakness evident in teachers colleges and educational institutes in the output side ofaprofessionalsetting.

2. neglect the practical side in the preparation of teachers and curriculum professionally restricted to the theoretical aspect of the educational materials that are taught.

3. Not to illustrate important scientific interest by those in charge of teaching theories of learning in particular and educational materials in general in educational institutes andcolleges.

4. neglecting vocational educational side by supervisors during Zaarthmaly teachers.

5. lack of teaching aids and educational technology in modern schools make the classroom environment where the existing weak in terms of the thrill of the lesson.

6. lack of references and sources educational mission in schools, teachers do not make abreast of educational development and neglecting the development of the professionallevels.

7. lack of attention to the emotional and psychomotor aspects and focus on the cognitive aspects in the list of targets that were set by teachers and uncle give importance in educational operations.

In conclusion, the researcher recommends the following recommendations

1. issuing educational bag for teachers of social studies in the primary stage Highlights include educational theories and demonstrate their importance in the educationalprocess.

2. Preparation courses for primary school teachers in-service related to theories of learning and managed by specialists in the field of education to illustrate how to employ them in the educational process.

3. focus on practical education and vocational preparation Alttabiqiuam merely theoretical material in the preparation of teachers in the educational curricula of colleges.

4. The focus in the preparation of teachers in colleges and educational programs to learn and to highlight the importance of teaching based on the consolidation in the mind of the theories (Student / Teacher).

5. The need to introduce educational supervisors in developmental courses in the field of vocational education to assist them in the development of educational likelihood.

6. Focus by supervisors on how to organize the classroom learning environment, so that learning in an atmosphere of excitement and thrill.

7. emphasis on teachers need to address the higher levels of Bloom's Taxonomy (installation-analysis-Calendar) and not only on the lower levels.

الفصل الاول / التعريف بالبحث

المقدمة

نحن نتعايش مع عصر تدفقت فيه المعرفة الانسانية وتنامت الانجازات في مختلف الميادين العلمية و التكنولوجية و الثقافية و الاقتصادية و كما هو معروف ان الاحداث وتغيرات وتحولات الالفية الثالثة التي لها انعكاساتها على العملية التربوية بشكل عام، وعلى طبيعة ودور المعلم و مكانته بشكل خاص تعد من ابرز التحولات و التغييرات الاجتماعية و الثقافية و الحضارية التي ترتبط بالتطور الهائل الذي يشهده العالم و التقدم الملحوظ لاغلبية الميادين،"وفي اطار هذه التحولات ظهرت مجموعة من التحديات التي تواجه معظم المجتمعات عامة و الوطن العربي خاصة و بإزاء هذه التحديات لابد من ان تكون هناك دعامة قوية يرتكز عليها النظام التربوي الحديث، و المعلم هو افضل من يقوم بهذه المهمة على اكمل وجه"[الجبوري ١٩٩٠: ص٣]،حيث يعد المعلم العنصر المؤثر و الفعال في صياغة و تصميم النظام، وتحقيق اهدافه، وبتزايد الاهتمام بالمعلم يوما بعد يوم اصبحت مشكلة تهيئة المعلم الجيد اكثر بروزا في جميع انحاء العالم، فهو المسؤول عن التكوين العلمي والثقافي للطلبة و إكسابهم المهارات الحياتية المطلوبة و توجيه سلوكهم و البناء المتكامل لشخصيتهم، وعليه فان تقدم المعلم ونجاحه يتوقف على نوع إعداده وتطويره اثناء الخدمة، وان أفضل المناهج الدراسية تكون جامدة غير حية في يد معلم لا يقدر على تدريسها وأضعف المناهج قد تعود اليها الحياة ويكتب لها النجاح إذا ما وجدت معلما كفوءا قادرا على ان يبعث الحيوية و النشاط في مفرداتها[العبيدي ٢٠٠٤:ص٨١]، وقدأكدت العديد من الدراسات و البحوث العلمية و المؤتمرات و الندوات التربوية محليا أو عالميا ضرورة إجراء عملية تقويم لكفاءة المعلم بصورة علمية ومستمرة في ضوء المستجدات في الاهداف العامة أو الاهداف التربوية، و التقدم الحاصل في جوانب الحياة كافة، إذ يؤدي ضعف التوازن بين القديم و الحديث إلى إعاقة في مجمل العملية التربوية[ظاهر ١٩٨٣:ص ٣٦].

مشكلة البحث:

ان للتعلم بشكل عام وتعلم المواد الاجتماعية بشكل خاص اهمية تكمن في كونه اداة للحفاظ على بقاء الحضارة البشرية واستمرارها،فمنجزات اليوم الحضارية ما هي الى نتاج عمليات التعلم الانساني عبر العصور المتلاحقة، وان معظم مفاهيم التعلم التي نتداولها في عصرنا الحاضر ما هي الى محصلة لما قدمه المفكرون والفلاسفة القدامى امتدادا من العصور القديمة مرورا بالحضارات اليونانية والرومانية والإسلامية:[Brennan١٩٩٤ PB32:] ونظرا لاهمية التعلم في حياة الافراد فقد نال اهتماما زائدا من قبل العديد من الفلاسفة والمفكرين حيث ظهرت تفسيرات عديدة مختلفة لهذة العملية حيث ان بعض الاتجاهات الفلسفية القديمة كما هو الحال في فلسفة افلاطون اعتبرتها ذات منشأ فطري،بينما اعتبرها اخرون ذات منشأ بيئي تعتمد على قدرة الفرد على التفاعل مع العوامل البيئيةklein،s،[1987 PB45:] ويتمثل جوهر التعلم في ربط المعلومات الجديدة بالمعرفة ألسابقة ويتمكن المتعلمون البارعون من هذا الربط من خلال الاعتماد على جملة من الاستراتيجيات الادراكية المعرفية والادراكية فوق المعرفية.ويمكن وصف التعلم بانه تفاعل معقد بين المتعلم والمواد التعليمية واستراتيجيات التعلم المتوافرة والبيئة بما في ذلك المعلم، ويقارب المعلم الماهر المهمة بشكل استراتيجي بقصد الوصول الى هدف تكوين المعنى. ويركز التعلم في بعض الاستراتيجيات على فهم المعلومات الجديدة ويسعى الى ربط المعنى بالتنبؤات السابقة،كما ان بعضها الاخر يعمل على ادماج المعلومات الجديدة في المعرفة السابقة، ان الاختلاف في تعريفات التعلم يعود الى اختلاف وجهات النظر حول طبيعة هذه العملية لاختلاف الافتراضات التي انطلقت منها النظريات النفسية المتعددة، حيث ان النظريات السلوكية تركز على دور العوامل البيئية في عملية التعلم وتعتبر السلوك الخارجي القابل للملاحظة والقياس هو الدليل على حدوث عملية التعلم وتركز على نواتج عملية التعلم، بينما تؤكد النظريات المعرفية على دور العوامل الداخلية وتنطلق في تفسيرها لهذه العملية من دراسة العمليات العقلية كالانتباة والادراك والتوقع واتخاذ القرار، بمعنى انها تركز على عملية التعلم ذاتها وليس على نتائجها [الزغول ٢٠٠٣: ص٥٩]،ومن الملاحظ زيادة الاهتمام خلال العقود الاخيرة بالمعلم وتنمية مهارته خاصة بعد التطورات العلمية والتكنولوجية من جهة،وبعد اجراء الدراسات والبحوث العديدة في ميدان التربية وعلم النفس من جهة اخرى،سعيا لتحقيق الهدف الرئيس من التربية وهو الوصول بالمتعلم الى افضل مستوى من التعلم ومن هذه الدراسات ما ركز على المام المعلم بكافة جوانب نظريات التعلم وتبنيها في عمليته التعليمية في حجرة الدراسة واختيار ما هو انسب منها للوصول الى اهداف درسه، ويرى البعض ان ثمة ازمة في تدريس المواد الاجتماعية في المرحلة الابتدائية فالملاحظ ان خريجي المدارس الابتدائية لا يملكون الفهم المناسب لبعض المفاهيم الاجتماعية التي تلعب دوراً مهماً في حياتهم مثل المواطنة والتعاون والمثل العليا.....الخ،من هنا جاءت مشكلة البحث فأرتئى الباحث ان يجري دراسته على معلمي المواد الاجتماعية ومعرفة مدى استيعابهم لنظريات التعلم ومدى استخدامها في العملية التعليمية ويمكن صياغة مشكلة البحث بما يلي (ما مدى استيعاب معلمي المواد الاجتماعية لنظريات التعلم ومدى تطبيقها من قبلهم في العملية التعليمية).

اهمية البحث والحاجة اليه:

التربية عملية خلق اجتماعي وتجديد ثقافي بما تحدثه من تغيير في شخصية الافراد، وفي العلاقات التي ينظمونها ويعيشون بواسطتها، [سليمان ٢٠٠٨: ص٢١-٢٢]، وفي ضوء ذلك تعد التربية عملية توجيه واعٍ لطاقات الفرد ونموه والارتقاء بها الى مستويات افضل،لان الوسيلة التي بها يتحقق بقاء المجتمعات الانسانية واستمرارها بتعليم افراد المجتمع من الجيل الجديد كيف يسلكون في المواقف الاجتماعية المختلفة على اساس مايتوقعه منهم المجتمع الذي ينشؤون فيه [النجيحي ١٩٨٦: ص١٧]، زيادة على ذلك فهي عملية تفاعل مستمر تتضمن مختلف انواع النشاط المؤثرة في الفرد، والتي تعمل على توجيهه في الحياة الوجهة التي تحدد بواسطتها اساليب معيشته وتكيفه مع البيئة الطبيعية والاجتماعية التي يعيش فيها، اذ ان الانسان يعيش في مجتمع يعتز بعاداته وتقاليده وقيمه وان هذا المجتمع يحيى في بيئة طبيعية لها خصائصها المعروفة، فواجب التربية ان تعمل على تنمية الانسان وتطويره والكشف عن قدراته وطاقاته وامكاناته وتوسيع مداركه بمختلف الوسائل المتاحة لكي يتمكن من اخذ دوره بشكل ايجابي وفعال في المجتمع الذي ينتمي اليه [الحلي ١٩٨٥: ص٧]،ولاتستطيع التربية تحقيق اهدافها الا من خلال التعليم بوصفه الميدان القادر على ايجاد الشخصية الانسانية المتعلمة والمعلمة، ولما كان التعليم يهتم بمساعدة الفرد على التكيف والتفاعل مع ماحوله من مستجدات ومتغيرات، فقد تطلب ذلك التكيف وعياً كافياً للاحاطة بجانب من المواد الاجتماعية والمعارف، والتفكير السليم لاستيعاب مفردات البيئة الاجتماعية وادراك مافيها من علاقات تأثير وتأثر [الهاشمي ١٩٦٧:ص ٣٣]،لذلك فالتعليم هو العملية التي بها تنمى المعرفة والمهارات عند المتعلمين من قبل المعلمين ومن هنا يزداد ادراكنا لاهمية دور المعلم واعداده في تحقيق مفهوم التربية والتعليم [الزيتون ٢٠٠١: ٧٥]،فالمعلم هو الاساس الذي ترتكز عليه العملية التعليمية، والرائد الاجتماعي الذي يعتمد عليه المجتمع في تنشئة ابنائه النشأة القوية، وعليه تقع تربية الاجيال، تربية عقلية، وخلقية، وجسمية، وهو القادر على تحقيق اهداف التعليم، وبذلك يعد المعلم مصدراً للاشعاع الفكري والحضاري في امته [عبيد ١٩٧١:ص ١٥٨]. ويتجلى ذلك بفاعلية اكثر في معلم المواد الاجتماعية، اذ انه يهتم بدراسة العلاقات الانسانية من مختلف ابعادها بماضيها وحاضرها، وان موضوعها لايقتصر على مجرد دراسة العلاقات بمختلف انواعها ومن مختلف ابعادها بل يتعدى ذلك الى استقصاء الظروف التي من شأنها تطوير تلك العلاقات الانسانية على نحو يؤدي الى رفاهية المجتمع وتطوره،فالمواد الاجتماعية تتصل اتصالاً وثيقاً بواقع الحياة وما فيها من ظواهر مختلفة، ومجالات متنوعة تساعد على النمو الاجتماعي المنشود[سعادة ٢٠٠٤:ص ١٩-٢٣]،زيادة على ذلك ان تدريس المواد الاجتماعية يرمي الى تحقيق اهداف مهمة فضلاً عن تنمية الجانب المعرفي لدى الطلبة وتنمية الميول والاهتمامات المناسبة لديهم، ولاسيما بما يتعلق بمشكلات بيئتهم وامتهم وتمكنهم من تفسير الوقائع والصراعات التي اصبحت سمة من سمات عصرنا الحاضر الذي ازداد فيه التفاعل الدائم والفاعل بين الانسان وبيئته ومعلم المواد الاجتماعية كمعلم المواد الدراسية الاخرى له دور مهم في العملية التربوية، اذ ان معلم المواد الاجتماعية الناجح يستخدم في تدريسه طرق واساليب متنوعة ويبذل جهداً كبيراً لتوفير افضل الظروف

للتعلم، وتلمس المصادر التي يمكن ان يستفيد منها الطلبة في تعلم المواد الاجتماعية، ويحاول جذب انتباه الطلبة ويثير تفكيرهم ويراعي ميولهم وعاداتهم في اطار اهداف المواد الاجتماعية [اللقاني ١٩٧٤:ص ١٢٢]، من هنا تنبع اهمية هذه الدراسة من اهمية المواد الاجتماعية في حياة الانسان حيث ان تعلم المواد الاجتماعية يحتاج الى معلم يستند في تعليمه الى نظرية تقوم على مبادئ واسس صحيحة ليكون قادرا على تعليم المواد الاجتماعية بكفاءة سعيا لتحقيق الاهداف المرجوة،اذ ان اساليب التعليم تبنى وتستمد من نظريات التعلم،فمن هنا تبرز علاقة وثيقة بين اساليب التدريس التي يتبعها المعلم ونظريات التعلم حيث انها تعكس تبني معلم المواد الاجتماعية لنظرية تعلم معينة سواء كان ذلك بوعي منه ام لا، وتطبيق تعليم المواد الاجتماعية بشكل صحيح ينعكس ايجابيا على ايجاد جيل قادر على ربط العلم بالحياة وبالتالي استخدامه لتسهيل امور حياته اليومية وايجاد حل للمشكلات التي تواجهه،ومن خلال ما تقدم فأن اهمية البحث الحالي تتجلى فيما يأتي:

١. اهمية الدور الذي يؤديه معلم المواد الاجتماعية وخاصة مادة التاريخ بوصفه مربياً يعمل على توجيه التلاميذ الذين سيتولون قيادة المجتمع مستقبلاً.
٢. محاولات الكشف عن مدى استيعاب معلمي المواد الاجتماعية لنظريات التعلم.
٣. محاولات الكشف عن مدى توظيف معلم مادة التاريخ لنظريات التعلم في ممارساتهم التعليمية
٤. اهمية تقويم اداء المعلم اثناء الخدمة بوصفه جزءاً اساسياً في عملية التطوير.
٥. ان نتائجه قد تفيد المسؤولين عن برامج الاعداد لمعلم المراحل الابتدائية
٦. يمكن ان يقدم البحث الحالي اضافة متواضعة الى المكتبة العربية.
٧. عدم وجود دراسة علمية حسب علم الباحث تتناول هذا الجانب الحيوي من العملية التربوية.

اهداف البحث:

يهدف هذا البحث الى استقصاء مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم ومعرفة مدى تطبيقهم لهذه النظريات في توصيل مادتهم الدراسية، وبالتحديد ساجيب في هذه الدراسة الاجابة عن الاسئلة الاتية:

١. ما مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم؟
٢. ما مدى تطبيق نظريات التعلم من قبل معلمي مادة التاريخ في العملية التعليمية؟

حدود البحث

١. اقتصرت عينة البحث على ستة معلمين ثلاثة منهم ذكور وثلاث اناث كلهم من ملاك مديرية تربية كربلاء.
٢. تم ملاحظة المعلمين والمعلمات خلال الفصل الدراسي الاول من العام الدراسي ٢٠١٣-٢٠١٤م.

تحديد المصطلحات:

حدد الباحث التعاريف الاجرائية لموضوع دراسته بالاتي:

١. الاستيعاب/هو فهم المادة او الموضوع دون الحاجة الى ارجاعه الى موقف اخر، علما ان عملية الاستيعاب تعتمد على القدرة على فهم وتلخيص وتفسير المعلومات التي تعتبر مراحل اساسية للتمكن من استيعاب المادة والموضوع.
٢. نظريات التعلم / هي محاولات منظمة لتوليد المعرفة حول السلوك الانساني وتنظيمها وتجميعها في اطر من الحقائق والمبادئ والقوانين بهدف تفسير الظاهرة السلوكية والتنبؤ بها وضبطها وبالتالي توظيفها من قبل المعلم في العملية التعليمية.
٣. معلم مادة التاريخ / هو المعلم الذي يقوم بتدريس مادة التاريخ في المدارس الابتدائية سواء كان خريج معهد المعلمين او كلية التربية الاساسية.
٤. التطبيق/ هو استعمال المعلومات المجردة وتطبيقها بحيث يمكن ادراكها ادراكا حسيا وفهمها بصورة صحيحة دون لبس او غموض وتوظيفها في مواقف العملية التعليمية.
٥. العملية التعليمية / اجراءات منظمة تسعى الى انجاز اهداف سلوكية محددة،على ان تاخذ بنظر الاعتبار الظرف المحيط بالدرس (الفيزيقي،حجم الصف،طبيعة التلاميذ،طبيعة المادة) لكي تتمكن من تحقيق اهداف الدرس.

الفصل الثاني / الاطار النظري والدراسات السابقة

نظريات التعلم Learning Theory

المقدمة

يمكن أن نؤكد دون تردد، أن معرفة آليات التعلم و شروطه المتنوعة، تعتبر أمرا ضروريا بالنسبة للمعلم، اذ لابد من محاولة الاستفادة العميقة والدقيقة بمجمل المعطيات العلمية التي وفرتها الدراسات والأبحاث السيكولوجية على الخصوص، و التي استطاعت أن تفهم و تفسر العديد من الآليات المختلفة التي تتدخل بهذا القدر أو ذاك في حدوث التعلم، بدون هذه المعرفة المعمقة يمكن أن تصبح عملية التعليم ضربا من التعسف المضر بالمتعلم حتى و إن سلمت النوايا، وأخلصت السرائر فنحن أمام كائن حي طفلا كان أو مراهقا نجبره على الجلوس أمامنا لمدة زمنية محددة و نلزمه بالانتباه والمتابعة والمثابرة و تقبل تأثيرنا بالطريقة التي نرى أنها ملائمة له و سيكون ذلك من قبيل التعنيف الرمزي إذا لم نكن مستندين، في ذلك كله إلى تصورات واضحة حول السيرورات التعليمية التي يستخدمها و يوظفها المتعلم في مثل هذه الوضعيات.

ان فهم نظريات عن كيف يتعلم التلميذ والقدرة على تطبيق هذه النظريات في تدريس المواد الاجتماعية هي من المتطلبات الأولية لتدريس فعال لهذه المواد، وقد قام عدد كبير من العلماء بدراسة النمو العقلي وطبيعة التعلم بطرق مختلفة، ونتج عن ذلك نظريات متنوعة للتعلم، والمعلم الجيد هو الذي يختار ما يناسب تلامذته وطبيعة المادة الدراسية التي يقوم بتدريسها، فالفهم الصحيح لنظريات التعلم هو

الذي يمكن المعلم من اختيار استراتيجيات التدريس المناسبة والاكثر فعالية لتدريس تلامذته في كل موقف تعليمي على حده،وتجدر الاشارة ان نظريات التعلم هي بمثابة نظريات وصفية تتلخص وظيفتها في توليد المعرفة حول التعلم ممثلا ذلك في صياغة المبادى والقوانين والنماذج العامة التي تحكم السلوك الانساني، ومن هذه النظريات يمكن اشتقاق اجراءات عملية ونظريات توصيفية لتوظيف المبادى والقوانين والنماذج في مواقف عملية مثل مواقف التدريس وبرامج تعديل السلوك والمواقف العملية في العملية التعليمية المختلفة، حيث تودي نظريات التعلم ثلاث وظائف رئيسية تتمثل بالاتي:

١. هي بمثابة منهج يرتبط بنوع معين من المعرفة، فهي طريقة لاجراء البحث حول التعلم لانها تحدد المظاهر الرئيسية للتعلم التي تستحق البحث والدراسة كما انها توضح لنا ما هي المتغيرات (المستقلة والتابعة) التي يجب معالجتها والطرق المناسبة لذلك.
٢. هي بمثابة محاولات لتلخيص كم هائل من المعلومات المرتبطة بموضوع التعلم في عدد محدد من المبادئ والقوانين وذلك لتسهيل فهم عملية التعلم بشكل اوضح وادق وتسهيل عملية استخدام هذه المبادئ والقوانين في مواقف العملية التعليمية.
٣. هي بمثابة محاولات ابداعية لتفسير عملية التعلم وتحديد طبيعتها ومتغيراتها فهي تزودنا بالمبادئ والقوانين والحقائق التي تجيب على اسئلة مثل لماذا وكيف يحدث التعلم [الزغول ٢٠٠٣:ص ٣٧].

تصنف نظريات التعلم حسب الجانب الذي تركز النظرية عليه؛ فإما تركز على الجانب المعرفي والبنية المعرفية أو تركز على الجانب السلوكي لذا سوف يقوم الباحث في هذا الفصل الى التطرق الى ابرز نظريات التعلم وخاصة التي وظفها منظروها في خدمة التعليم المدرسي والتي يمكن ان نقسمها الى محورين المحور الاول النظريات السلوكية والمحور الثاني هي النظريات المعرفية وفيما يلي شرح موجز لابرز النظريات في هذين المحورين:

المحور الاول/ المدرسة السلوكية: Behaviorism School

أسسها ثورندايك(Thorndike 1913) وبافلوف Pavlov 1927 (وسكنر Skinner (1974 والتي ترتكز على أن التعلم هو تغير في السلوك الملحوظ والناتج عن الاستجابات للمثيرات الخارجية في البيئة،وان أهم خصائص التعلم من المدخل السلوكي:

- يحدث التعلم عند الاستجابة الصحيحة التي تتبع مثير معين.
- يمكن التحقق من حدوث التعلم بالملاحظة الحسيه للمتعلم على فترات زمنيه.
- يركز على القياسات والملاحظات السلوكية.
- يستخدم مبدأ أن المتعلم صندوق ما يحدث بالداخل غير معلوم.
- يركز على العلاقة بين متغيرات البيئية والسلوك.
- التعليم يعتمد على استخدام التعزيز والمتابعة لسلوك المتعلم.
- السلوك يوجه بالأغراض والغايات.
- يتم التحديد المسبق للشروط التي تحقق حدوث السلوك.[حمدي ٢٠٠٤:ص ٦٥]

أولا: نظرية الإشراط الكلاسيكى(بافلوف)

تعتبر أول النظريات السلوكية وأقدمها، وهى تدور حول معرفة كيف أن سلوكا معينا يحدث عادة فى أعقاب حادثة معينة يمكنه أن يحدث فى أعقاب حادثة أخرى لا صلة لها به ومن أهم مفاهيمها المثير والاستجابة. [جلجل ٢٠٠٠:ص ٩٠]

التطبيقات التربوية لنظرية التعلم الشرطي عند بافلوف:

١- تعتبر عملية التعميم والتمييز من العمليات الهامة التي يمكن الاستفادة منها في تفسير كثير من مظاهر التعلم الانسانى.

٢- ضرورة حصر مشتتات الانتباه في غرفة الدراسة.

٣- ضرورة ربط تعلم التلاميذ بدوافعهم من جهة وتعزيز العمل التعليمي من جهة أخرى وذلك لان بافلوف يرى أن الاشتراط لا يحدث الإ أذا اقترن المثير الشرطي بالمثير غير الشرطي الذي يعمل كمعزز.

٤- أن تجارب بافلوف لم تكن تصل إلى النتائج المتوقعة منها الإ في الحالات التي كان الكلب فيها جائعا ويقوم بالسلوك وهذا القول نفسه ينطبق على عملية التعلم في المدرسة والتي يستلزم قيام المتعلم بالسلوك ولن يقوم به ألا تحت تأثير دافع حقيقى قد يكون الانجاز أو المناقشة أو إشباع الميول.

٥- يمكن الاستفادة من أفكار بافلوف عند انطفاء الاستجابة في إبطال العادات السيئة والسلوكية غير المرغوبة التي تظهر عند التلاميذ إثناء القراءة أو الكتابة أو غير ذلك.

٦- تكوين ما يسمى بالإشراط المضاد أي العمل على تكوين استجابة شرطية جديدة مرغوبة فيها تكون منسجمة مع الاستجابة التي نشأت أصلا بواسطة المثير الشرطي [عاقل ١٩٨٧:ص ٤٣].

ويضيف محمد القضاة ومحمد الترتورى (٢٠٠٦)

١. للتغلب على مخاوف الاختبارات لدى الطلبة عليك كمعلم إتباع ما يلي:

أ- القيام ببناء مواقف اختباريه غير مهدده لا توضع لها علامات.

ب- وضع اختبارات من النوع الذي يساعد الطلبة في الإجابة عليه بالشكل الصحيح لبناء الثقة عندهم

ت- أعط اختبارات قصيرة بدلا من الطويلة.

ث- اجعل الطلبة يحصلون على أعلى ما يمكنهم من العلامات من خلال الاختبارات القصيرة.

٢. إذا كان لديك طالب يخاف من التحدث أمام الآخرين في الصف اجعله يقرأ تقريرا ما أمامك أولا ثم أمام مجموعة صغيرة من الطلبة يحبهم وهو جالس ثم أمام نفس المجموعة واقفا، ثم يقرأ التقرير من خلال ملخص معد مسبقا، ثم اجعله يقدم التقرير إلى الصف بأكمله [القضاة ٢٠٠٦:ص ٩١].

ثانيا: نظرية التعلم بالمحاولة والخطأ(ثروندايك)

يعتبر ثورندايك من ابرز علماء النفس الذين يمثلون الاتجاه السلوكي في تفسير التعلم وقد فسر التعلم على أساس حدوث ارتباطات بين المثيرات والاستجابات ويرى أن أكثر أشكال التعلم تميزا عند الإنسان

والحيوان على حد سواء هو التعلم عن طريق المحاولة والخطأ أو التعلم بالاختيار والربط [سليمان ٢٠٠٨:ص ٦٠].

التطبيقات التربوية للنظرية:

١- تحديد الروابط بين المثيرات والاستجابات التي تتطلب التكوين أو التقوية أو الاضعاف.

٢- تحديد الظروف التي تؤدي إلى الرضا أو الضيق عند التلاميذ.

٣- استخدام الرضا أو الضيق في التحكم في سلوك التلاميذ.

٤- ركز ثورندايك على التعلم القائم على الأداء لأنه أكثر فاعلية في النمو التربوي للفرد من التعلم القائم على الإلقاء.

٥- ركز كذلك على ضرورة التدرج في التعلم من السهل إلى الصعب ومن الوحدات البسيطة إلى الأكثر تعقيدا.

٦- إعطاء الفرص الكافية للمتعلم في شكل ممارسة المحاولة والخطأ ليتمكن من تحقيق التعلم وخاصة تعلم المهارات الحركية. [منسي ٢٠٠٢:ص ٩٥]

وظيفة المعلم فى الصف وفق هذا المنظور:

من خلال نظرية ثورندايك فى التعلم بالمحاولة والخطأ يمكن تلخيص مهمة المعلم فى الصف الدراسى بالنقاط التالية

- تقسيم موضوع التعلم إلى عناصره الأولية.
- تحديد المثيرات الملائمة لكل عنصر
- ترتيب مكونات وعناصر موضوع التعلم حسب تدريجها.
- تقديم المكونات والعناصر بطريقة تسمح بحدوث الاستجابة الصحيحة.
- مكافأة الاستجابات الصحيحة باستخدام أساليب مرغوبة لدى الطلبة.
- تشجيع تكرار الاستجابات الصحيحة مع اتباعها بمكافأة [المقايضة ٢٠٠٠:ص ٣٩].

ثالثا: النظرية السلوكية الإجرائية (سكنر)

وهي الاتجاه الأكثر انتشاراً وبروزاً من الاتجاهات الجديدة في السلوكية، حيث اهتم بوروس فريدريك سكنر بدراسة السلوك الحيواني منذ بداية نشاطه العلمي، واستخدم في ذلك الطريقة الموضوعية، وتوصل إلى إدخال تقنيات جديدة في المواقف التجريبية التي كان على الحيوان أن يتعامل معها، وما لبث أن عدلها لتستجيب أكثر للخصائص العضوية للانسان[عيسوي٢٠٠٢:ص ٥٨]

التطبيقات التربوية لنظرية سكنر

يرجع الفضل في انتشار إجرائية سكنر إلى ربطها بمجالات حيوية، كالتربية والتعليم والصحة النفسية والصناعة. فقد عمل سكنر على تطبيق التعليم المبرمج باستخدام التقنية الحديثة ومعالجة الأمراض العصبية اعتماداً على الاستجابات الإجرائية والتعزيز، وتتلخص فكرة سكنر عن التعليم المبرمج في وضع تلاميذ الصف أمام فرص متكافئة والانتقال بهم من موضوعات معروفة إلى أخرى مجهولة. ووجد أن الوسيلة التي

تحقق هذا الهدف هي جهاز التعليم؛ حيث أنه يوفر للتلميذ ما يوفره الصندوق للفأر أو الحمامة من خلال تغذيته ببرنامج يحتوي على دروس قديمة وجديدة. وما على التلميذ في هذا الموقف إلا أن يضغط على زر معين كي تظهر المادة التعليمية(تمارين، جمل، أسئلة...) على الشاشة. ثم يطلب منه حلها أو الإجابة عليها،وليتعرف على ما إذا كانت نتيجة عمله صحيحة أم خاطئة عليه أن يضغط على الزر المخصص لذلك. ويعتبر اتفاق الإجابة التي تظهر على شاشة جهاز التعليم وإجابة التلميذ بمثابة التعزيز. بينما يكون عدم الاتفاق بينهما فرصة لتعرف التلميذ على خطئه وتفاديه في المحاولة الثانية، وفي التعليم المبرمج بطريقة كراس التمرينات التقليدية التي تعرض المسائل والتمارين والأحاجي وغيرها من المشكلات الدراسية على الصفحة الأولى من كل ورقة من أوراق الكراس، وتقدم حلولها على الصفحة الثانية من نفس الورقة. فالاختلاف بين الطريقتين لا يتعدى التقنية المستخدمة في كل منهما. [سليمان ٢٠٠٨:ص ٥١]

المحور الثاني / المدرسة المعرفية:

تقوم التجارب لنظريات التعلم المعرفي على استخدام صيغ للتعلم أكثر تعقيداً تعتمد على دور العمليات العقلية المعرفية في التعلم، ويقوم هذا الاتجاه على الاهتمام بالعمليات المعرفية الداخلية، مثل: الانتباه والفهم والذاكرة والاستقبال ومعالجة وتجهيز المعلومات، كما أنه يهتم أيضاً بالعمليات العقلية المعرفية والبنية المعرفية وخصائصها من حيث التمايز والتنظيم والترابط والتكامل والكم والكيف والثبات النسبي، كما أنه يهتم بالاستراتيجيات المعرفية باعتبارها ترتبط إلى حد كبير بالبنية المعرفية من ناحية أخرى والتي من خلالها يحدث ما يلي:

١- الانتباه الانتقائي للمعلومات التي تستقبل.

٢- التفسير الانتقائي للمعلومات التي تستقبل.

٣- إعمال التفكير وإعادة صياغة المعلومة وبناء تراكيب معرفية جديدة.

٤- تخزين هذه التراكيب في الذاكرة والاحتفاظ بها لحين الحاجة إليها.

٥- استرجاع أو استعادة المعلومات السابق تخزينها بما يتلاءم مع طبيعة الموقف أو الاستثارة[حمدي ٢٠٠٤:ص ٦٨].

اولا/ مدرسة الجشطالت"التعلم بالاستبصار"

الأسس العامة لمدرسة الجشطالت:

١. الطبيعة الكلية لعملية الإدراك: يقصد بالإدراك Perception العملية العقلية التي تتم بها معرفتنا للعالم الخارجي عن طريق المنبهات الحسية. فالإدراك يعني إضفاء معنى ودلالة على ما تنقله إلينا حواسنا و أحاسيسنا.

٢. إدراكنا يتم للكليات Gestalts: حيث أكد علماء الجشطالت أن إدراك الأشياء أو الموضوعات الخارجية يظهر من خلال الصورة الكلية التي يدرك بها الفرد هذه الأشياء. فالشخص ينتبه للشيء المدرك

كوحدة واحدة وهذه ما تسمى بالصورة الكلية Configuration أو الشكل أو الصيغة Form والتي تعني نفس الكلمة الألمانية (جشطالت Gestalts).[عاقل ١٩٨٧:ص ٣٦]

تفسير التعلم بالاستبصار:

يشرح كوهلر كيفية التعلم بأنه عندما تكون عناصر الموقف واضحة للكائن الحي فإنه يتعلم حل مشكلته عن طريق إعادة ترتيب عناصر الموقف بحيث يسمح هذا بإيجاد علاقات جديدة بينها تؤدي إلى الحل الصحيح،فالتعلم بالاستبصار يقوم على الفهم والإدراك الكلي للعلاقات القائمة بين عناصر الموقف؛ويتضح من ذلك أن الوصول إلى الحل لا يحدث هنا عن طريق تجميع عناصر الموقف بعضها إلى بعض (كما يرى السلوكيون). وإنما عن طريق تنظيمها بحيث تتضح العلاقات بينها،وعندئذ فقط يمكن الوصول إلى الحل، فتنظيم المجال الإدراكي عنصر أساسي في التعلم بالاستبصار، فأصحاب نظرية التعلم بالاستبصار(الجشطالت) يفسرون حدوث عملية التعلم على أساس أنها عملية إعادة تنظيم للمجال الإدراكي الذي يوجد فيه الكائن الحي، والاستبصار يقصد به إدراك العلاقة بطريقة سريعة حاسمة؛ وهذه العملية ليست مطلقة الحدوث إنما تتأثر بعوامل كثيرة منها: النضج الجسمي والنضج العقلي وتنظيم المجال والخبرة، فالتعلم يعني أن العناصر الموجودة في البيئة والتي ليس لها قيمة أو معنى لدى الشخص قبل التعلم أصبحت ذات معنى ودلالة[المعايطة ٢٠٠٠:ص ٩٠].

التطبيقات التربوية لنظرية الجشتالت:

١- استثارة دافع الفضول وحب الاستطلاع لدى المتعلم فحل المشكلة التي يقع فيها التلميذ يكون دافعاً له، ومن هنا فإن إزالة الغموض أو خفضه يمكن النظر إليه على أنه مكافئ لفكرة التعزيز لدى السلوكيين ومع أن التعزيز لدى السلوكيين خارجي يعتمد على المكافأة الخارجية، فإن خفض الغموض أو إزالته واستعادة التوازن المعرفي [أي الوصول لحل المشكلات] يمكن أن يكون بمثابة مكافأة داخلية،ويمكن للمعلم إشباع دافع الفضول وحب الاستطلاع لدى المتعلم عن طريق ترتيب مواقف التعلم بما يحقق هذه الغاية.

٢- يصف الجشتالتيون الفصل الدراسي بأنه نوع من العلاقة بين المعلم والتلميذ تقوم على الأخذ والعطاء فالمعلم يساعد التلميذ على اكتشاف ورؤية العلاقات وتنظيم الخبرات في أنماط ذات معنى مع تقسيم المقرر الدراسي إلى وحدات ترتبط ببعضها بمفهوم عام.

٣- إن التعلم بالاستبصار هو الإدراك الفجائي للعلاقات بين عناصر الموقف فإنه يتضمن دون أدنى شك عمليات عقلية أساسية يمارسها التلميذ في مواقف التعلم، وهي عمليات الفهم والتفكير وإدراك العلاقات.

٤- يجب أن يكون تأكيد المعلم الأساسي على الطريقة الصحيحة للإجابة وليس على الإجابة الصحيحة في حد ذاتها، وذلك لتنمية الفهم والاستبصار بالقواعد والمبادئ المسؤولة عن الحل مما يزيد فرص انتقالها إلى مشكلات أخرى.

٥- التأكيد على المعنى والفهم، فيجب ربط الأجزاء دائما بالكل فتكتسب المغزى، فمثلا تكتسب الأسماء والأحداث التاريخية أكبر مغزى لها عند ربطها بالأحداث الجارية أو بشيء أو بشخص هام بالنسبة للطالب.

٦- إظهار المعلم البنية الداخلية للمادة المتعلمة والجوانب الأساسية لها بحيث يحقق البروز الإدراكي لها بالمقارنة بالجوانب الهامشية فيها، مع توضيح أوجه الشبه بين المادة المتعلمة الحالية وما سبق أن تعلمه الطالب مما يساعد على إدراكها بشكل جيد.

٧- تنظيم مادة التعلم في نمط قابل للإدراك مع الاستخدام الفعال للخبرة السابقة، وإظهار كيف تتلاءم الأجزاء في النمط ككل.

٨- تدريب التلاميذ على عزل أنفسهم إدراكيا عن العناصر والمواد والظروف الموقفية التي تتداخل مع ما يحاولون حله من المشكلات[القضاة ٢٠٠٦:ص ٧٦].

ثانيا / نظرية التعلم القائم على المعنى (دافيد أوزوبل David Ausubel)

يقترح أوزوبل وفقاً لنظريته إستراتيجية معينة تستخدم منظم الخبرة المتقدم Advancement Experience Organizers وهو كما يرى"أوزوبل"مقدمة شاملة تمهيدية تقدم للمتعلم قبل تعلم المعرفة الجديدة وتكون على مستوى من التجريد والعمومية والشمول وبعبارات مألوفة لدى المتعلم. بحيث تيسر احتواء المادة الجديدة في البنية المعرفية للمتعلم عن طريق الربط بين الأفكار الجديدة المراد تعلمها وبين الأفكار الموجودة في البنية المعرفية للمتعلم، وتنقسم المنظمات المتقدمة إلى نمطين:

١ – المنظمات المتقدمة الشارحة Explanative Advanced Organizers: ويستخدم هذا النمط حيث تكون المادة المراد تعلمها جديدة تماماً وغير مألوفة للمتعلم حيث تزود المتعلم ببناء تصوري عن موضوع التعلم بحيث يمكن ربطه بتفاصيل ذلك الموضوع.

٢ – المنظمات المتقدمة المقارنة Comparative Advanced Organizers: ويستخدم هذا النمط حيث تكون المادة موضوع التعلم مألوفة للمتعلم ومن خصائص هذا النمط من المنظمات المتقدمة أنه:

- يساعد المتعلم على إيجاد تكامل بين المفاهيم الجديدة والمفاهيم الموجودة في بنيته المعرفية.
- يساعد المتعلم على التمييز بين الأفكار الجديدة والأفكار الموجودة في بنيته المعرفية[العبيدي ٢٠٠٤:ص ٧٨]

التطبيقات التربوية لنظرية أوزوبل:

من خلال استقراء نظرية \[أوزوبل] يتضح لنا أن التعلم ذا المعنى يؤكد على دور العمليات المعرفية كالفهم والإدراك والاستدلال في التعلم.

كما أن التعلم في هذه النظرية يهتم بالدور الحيوي للمنظمات المتقدمة التي تسهم في إدراك وتمييز الأفكار الموجودة في المادة الجديدة، وبناء علاقة ذات معنى بين هذه الأفكار وتلك الموجودة لدى المتعلم.

كما أن من أسس النظرية المساهمة في انتقال أثر التعلم وهو أحد أهداف التعلم الرئيسة، وهنا يرى \[أوزوبل] أن هدف التعلم المدرسي هو مساعدة المتعلم على اكتساب المعلومات والاحتفاظ بها، ثم نقلها إلى المواقف التعليمية الجديدة، فضلاً عن أهميتها التطبيقية في مجالات التعلم المدرسي الأخرى، كما أن نظرية \[أوزوبل] تُعنى بأساليب معالجة المتعلم للمعلومات المقدمة له في المادة التعليمية.[حمدي ٢٠٠٤:ص ٩٩]

ثالثا / نظرية معالجة المعلومات:

تعنى نظرية معالجة المعلومات في بحث وتوضيح الخطوات التي يسلكها الأفراد في جمع المعلومات وتنظيمها وتذكرها، وتعتبر الذاكرة مركزاً لجميع العمليات والأنشطة المعرفية للفرد، وهي من أهم العلميات المعرفية وأكثرها تأثيراً على نظام تجهيز ومعالجة المعلومات والاحتفاظ بها، واستخدامها في كافة الأنشطة اللاحقة التي تتطلب استرجاع المعلومات المخزنة في الذاكرة والاستفادة منها في أداء تلك الأنشطة أيا كانت طبيعتها. بالإضافة إلى أن جميع العلميات المعرفية الأخرى كالإدراك، والانتباه، والتفكير، والإبداع وغيرها من العمليات الأخرى تتأثر بالذاكرة على ضوء مخزونها المعرفي[سليمان ٢٠٠٨:ص ٨٤]، تهتم نظرية معالجة المعلومات بنمط التفكير البشري على غرار نموذج الحاسوب الحديث من حيث أنها تركز اهتمامها على المدخلات، وطريقة الاختزان، وطريقة الاسترجاع.

نموذج معالجة المعلومات

١- الاستقبال (Receiving): ويتمثل في عمليات تسلم المنبهات الحسية المرتبطة بالعالم الخارجي من خلال الحواس الخمسة.

٢- الترميز(Encoding): هي عملية إعطاء معاني ذات مدلول معين للمدخلات الحسية في الذاكرة.

٣- التخزين أو الأحتفاظ (Storage): ويشير إلى عملية الاحتفاظ بالمعلومات في الذاكرة، ويختلف هذا المفهوم باختلاف خصائص الذاكرة ومستوى التنشيط الذي يحدث فيه.

٤- الاسترجاع أو التذكر (Retrieval): وتتمثل في ممارسة استدعاء أو استرجاع المعلومات والخبرات السابقة التي تم ترميزها وتخزينها في الذاكرة الدائمة.[القضاة ٢٠٠٦:ص ٨٤]

التطبيقات التربوية لنظرية معالجة المعلومات:

١- التعلم المبني على المعنى يدوم: ولهذا يجب ربط ما يتعلمه الطالب بخبراته السابقة وان تميل المعلومات الجديدة إلى الأمور الحسية التي يدركها الطالب وان تربط بالواقع وان تستخدم فيها النماذج الحقيقية الأشياء أو المجسدة لها.

٢- التعليم المبني على عرض المفاهيم الأساسية لكل درس في بدايته: ويستفاد ذلك في تحضير المواد الدراسية وعرض أهم الخطوات و أهداف الدرس ووسائل تنفيذها ورسم خطة متكاملة للوصول إلى المعرفة المطلوبة.

٣- الاعتماد على التكرار اللفظي للمادة المتعلمة وخاصة في المراحل الأولى من التعليم إذا الطفل في حاجة إلى تكرار سماع الألفاظ وكذلك فيعرض المفاهيم الجديدة على الفرد والتي لأول مرة يسمعها أو يتخيلها يجب إعادة ذلك مرارا حتى تكتمل الصورة لدى المتلقي

٤- الاهتمام بالتداخل الذي قد ينتج من وجود مثيرات تشويش التعلم الجديد ولهذا على المعلم أن يقلل من أدوات التشويش أو الإثارة التي لا علاقة لها بالدرس كما ان على المدرس عدم الحديث أمام الطالب بأمور مؤثرة تشغل فكر الطالب عن المادة الدراسية المراد عرضها.

٥- الاهتمام بنشاط المتعلم فكلما كان جهد المتعلم كبيرا في استيعاب المعلومات الجديدة واستخلاص التعميمات وتكوين المفاهيم كلما كان مستوى المعالجة كبير وبذلك يكون استرجع المعلومات لاحقا ايسر.

٦- الاهتمام بتنظيم المعلومات بشكل يساعد على التذكر. ان محاولات حفظ الأشياء أو تذكرها يجب ان يسبق ذلك عملية تنظيم لهذا الحفظ سواء بالتجزئة أو الترميز أو بأي وسيلة تساعد على تذكرها.

٧- تنظيم شرح المادة التعليمية بشكل تطرح فيه الأسئلة (المناقشة) في بداية الدرس وخلال الدرس وفي نهاية الدرس.[القضاة ٢٠٠٦:ص ٩٤]

رابعا / نظرية روبرت جانييه Robert Gagne[1]

عند التخطيط لتدريس موضوع ما وفقاً لنظرية جانييه فإنه يتم تحليل الموضوع المراد تعليمه إلى مهام متدرجة من المركب للبسيط وفقاً لتنظيم هرمي قمته أكثر المهام تركيباً وقاعدته أكثرها بساطة، وعند كل مستوى من مستويات التنظيم الهرمي يحدد الأداء المتوقع من المتعلم في صورة سلوك مستهدف،وعند تنفيذ الدرس يتم البدء بقاعدة الهرم أي أكثر المهام بساطة وتعليمها للمتعلم وعندما يستوعب المتعلم المستوى الأكثر بساطة ينتقل للمستوى الأرقى تركيباً وهو ما يسميه"جانييه"الانتقال الرأسي للتعلم.

وهكذا يرى جانييه استخدام الأسلوب التحليلي في تنظيم المحتوى وتخطيط الدرس حيث يبدأ من المركب وينتهي بالبسيط، بينما يقترح الأسلوب التركيبي في تنفيذ الدرس حيث يوصي بتدريس أبسط المهام ثم التدرج حتى الوصول إلى الأكثر تركيباً وهو المهمة الرئيسية [العيسوي ٢٠٠٦:ص ٧٩].

خامسا / نظرية جيروم. س. برونر Gerome. S. Bruner

يفترض برونر أن كل فرد يمكن تعليمه أي موضوع في أي عمر وأنه ينبغي إثراء البيئة المحيطة به حتى يمكن تنمية واستثمار طاقة الفرد إلى أقصى مدى ممكن حيث ينمو تفكير الفرد من خلال تفاعله مع بيئته. وإن كل إنسان له تصور خاص لرؤية العالم من حوله وتفسير هذه الرؤية لنفسه، والمعلم إذا فهم طريقة المتعلم في تصور عالمه فإنه يستطيع تعليمه أي موضوع،ويعطي برونر للمتعلم دوراً نشطاً في تطوير المعلومات ويرى أن المتعلم ينبغي أن يكون قادراً على صياغة مشكلاته والبحث عن حلول بديلة بدلاً من

البحث عن إجابة واحدة فقط؛ فهو يهتم بالطريقة الشخصية التي ينمي كل فرد من خلالها مفهومه عن نفسه وعن عالمه،لذلك فهو يهتم بالتعلم بالاكتشاف ويعرفه بأنه إعادة تنظيم وتحويل البيانات والأدلة ليصل إلى ما وراء هذه البيانات والمعلومات المتاحة فيكتشف بيانات أو معلومات جديدة بالنسبة للمتعلم [عريفج ٢٠٠٠:ص ٢٤].

فالهدف من التعليم عند برونر هو نقل المعرفة إلى المتعلم وأيضاً تنمية اتجاه إيجابي نحو التعلم لديه، وتنمية مهارات الاستقصاء والاكتشاف لدى المتعلم بما يتيح له التفاعل بإيجابية مع بيئته الاجتماعية والفيزيقية ويهيئه للنمو العقلي[المعايطة ٢٠٠٠:ص ٨٠].

عملية التعليم عند برونر:

يهتم برونر بمهارات الاستقصاء أكثر من الاهتمام بالحقائق حيث يرى أن المتعلم إذا فهم بنية المعرفة فهذا الفهم يتيح له التقدم معتمداً على نفسه، وبذلك فهو يعتمد على طريقة الاكتشاف في التدريس. وطريقة الاكتشاف فيها عدة طرق فرعية، منها: الطريقة الاستقرائية – طريقة حل المشكلات – الاكتشاف الموجه – الاكتشاف الحر – الاكتشاف المفتوح – الاكتشاف الإرشادي [ابو حويج ٢٠٠٠:ص ٩٢].

الدراسات السابقة:

دراسة (Semple،2000)

كانت تحمل عنوان نظريات التعلم وتاثيرها في تطوير واستخدام تكنولوجيا التعليم والتي هدفت الى معرفة التطور المهني لثلاثة معلمين تم اشراكهم في ورشة عمل وظفت نظريات التعلم من خلال تكنولوجيا التعليم،وتاثيرها على ممارسات المعلمين في غرفة الصف، وبعد تحليل البيانات توصلت الى ان خبرات المعلمين كمتعلمين شجعتهم على تعزيز فرق العمل ومناقشة طبيعة التعلم مع طلابهم،وان تجديد المعلمين في الممارسات التعليمية اتجه الى الاهتمام بتزويد طلابهم بالمنحنى البائي من خلال استخدام برامج متعددة الوسائل ساعدت على تزويدهم بفرص التعلم القائم على الاستكشاف اثناء التدريس في غرفة الصف، واظهر المعلمون بعد المشاركة في ورشة العمل انهم بحاجة الى التزود بالتدريب بشكل اكثر لتنفيذ البرنامج القائم على المنحى البنائي بشكل ناجح،وان استخدام تكنولوجيا التعليم كتطبيق لنظريات تعلم محدد مهم للهدف المحدد، وعدم وجود منحى افضل من الاخر ولا يوجد منحى متوسط من الممكن تطبيقه بافضلية عن الاخر او لمصلحة او غرض معين.

دراسة (koutselini&persianis،2000)

كانت بعنوان النظرية والتطبيق في تربية المعلمين التي اجريت في جامعة قبرص،وهدفت الى مقارنة نظرية الطالب المعلم في التعليم مع التطبيق في التعليم الحقيقي فقد حاولت البحث في العوامل التي تكمن وراء التعارض الذي ظهر بين نظرية الطالب المعلم مع التطبيق وتفسيره، واستخدم الباحث المنحى النوعي في جمع البيانات من خلال المقابلات والتسجيلات المرئية للحصص الصفية لهؤلاء الطلاب المعلمين،

واشارت نتائج الدراسة الى ان منظور الطلاب المعلمين لبرامج تربية المعلمين تغير في السنة الاخيرة من دراستهم نحو منظور البنائية في التعليم، ولكن هذا المنظور لم ينفذ اثناء تعليمهم الفعلي في المدرسة، واظهرت ايضا ان هناك بعض الاخطأ المفاهيمية حول التعليم وان هذه الاخطاء المفاهيمية من العوامل الرئيسية التي اوجدت عدم التطابق ما بين نظرية الطلاب المعلمين عن التعليم وممارستهم الفعلية في التعليم.

دراسة (Chan،2001)

هدفت الى التاكد من صدق قياس النظريات الشخصية المتعلقة بالتعلم والتعليم في هونغ كونغ، وتكونت عينة الدراسة من ٣٨٥ طالبا منهم ٢٦٣ من الاناث ممن شاركوا في مساق تربوي لمدة سنتين، استخدم الباحث اداة لجمع البيانات مكونة من استبانة تحتوي على ثلاثين فقرة وزعت في اتجاهين وهما مفاهيم التقليدية والبنائية ' وكانت ١٨ فقرة لقياس مفهوم التقليدية من خلال المعتقدات حول التعلم والتعليم التي تظهر في التقليدية، وطريقة نقل المعرفة ' اما الفقرات التي تكشف عن منحى البنائية فقد تكونت من ١٢ فقرة من خلال الكشف عن معتقدات الافراد حول التعلم والتعليم من هذا المنظور،بعد تحليل النتائج توصل الباحث الى ان الطلاب المعلمين اتجهوا الى عدم الموافقة على مفاهيم التقليدية حول التعلم والتعليم واعتقدوا ان التعلم من الافضل ان يبنى من خلال الخبرات الذاتية للفرد واستنتج ايضا انه لا فروق ذات دلالة تعزى للعمر او الجنس في النظريات الشخصية حول التعلم والتعليم.

دراسة (Sweeny،2003)

هدفت الدراسة الى الكشف عنة ربط العلاقة بين النظريات الشخصية عن التعليم والممارسات الفعلية لمعلم كيمياء مبتدئ بدأ التعليم في المرحلة الثانوية في احدى مدارس فلوريدا في الولايات المتحدة الامريكية، حيث كان هذا المعلم يمتلك نظريات شخصية عن التعليم وعندما بدأ في التعليم الفعلي لمادة الكيمياء تابعه الباحث للكشف عن كيفية تكون العلاقة بين نظريات المعلم المبتدئ الشخصية والتعليم الفعلي، وحاول الباحث الاجابة على السؤالين التاليين: ما العلاقة بين النظريات الشخصية عن التعليم لمعلم الكيمياء المبتدئ في المرحلة الثانوية وممارساته الفعلية؟ وهل طريقة البحث سببت اية تعديلات في النظريات الشخصية للمعلم؟تابع الباحث المعلم خلال الفصل الاول من مرحلة تعليمية، وبعد اربعة اشهر زوده بمقالات وابحاث عن طرائق تدريس وما يخص ذلك من ادب تربوي ومن ثم قام بمشاهدة ممارسات هذا المعلم داخل غرفة الصف وبعد تحليل هذه المشاهدات وجد الباحث ان المعلم بدأبتطبيق نظرياته الشخصية في ممارساته الفعلية الا انه ومن خلال الواقع بدا مشوشا ومضطربا في بداية الفصل الاول من التعليم، وبعد اربعة اشهر من اطلاعه على ما زود به من مقالات وادب سابق بدأ بتعديل هذه النظريات التي يمتلكها الى نظريات تعليمية صحيحة وبدا عليه النمو المهني في هذا المجال، حيث انه انتقل من التركيز على وصف الطرق المخبرية اثناء التعليم وتزويد التلاميذ بالمعرفة الى افساح المجال للطلبة لاستخدام ما يمتلكونه من معلومات كيميائية في حل المشاكل وتفسير الظواهر التي تم مشاهدتها.

ومن خلال استعراض الدراسات السابقة تبين ما يلي:

اظهرت الدراسات السابقة ان اغلبها ركز على نظريات المعلمين الشخصية وعلى كيفية الكشف عن العلاقة بين هذه النظريات والممارسات الفعلية ومحاولة الكشف عن العوامل التي تكمن وراء التعارض بين النظريات الشخصية التعليمية للمعلمين والممارسات الفعلية داخل الصف، الى ان معظم هذه الدراسات لم تتطرق الى مدى استيعاب المعلمين لنظريات التعلم وتأثير ذلك على ممارساتهم التعليمية داخل الصف،حيث تبين من هذه الدراسات ان جل اهتمامها ركز على تطور نظريات المعلمين الشخصية قبل واثناء الخدمة، الى ان هذه الدراسة تميزت عن هذه الدراسات بانها بحثت في مدى استيعاب المعلمون لنظريات التعلم ووعلاقتها وتاثيرها على عملياتهم التعليمية.

الفصل الثالث / منهجية البحث وإجراءاته

عينة البحث:

تم اختيار ستة معلمين من المدارس الحكومية التابعه الى مديرية تربية كربلاء ثلاثة منهم ذكور وثلاث اناث جميعهم يدرسون مادة التاريخ،وقد تم اختار هذه العينة قصديا بسبب ابداء المعلمين والمعلمات الذين تم اختيارهم الاستعداد والتعاون مع الباحث بعد ان اعتذر العديد من المعلمين والمعلمات للخضوع للملاحظة وإجراءات البحث.

ادوات جمع المعلومات:

اولا: الاستبانة

قام الباحث بعد الاطلاع على ادبيات موضوع الدراسة باعداد استبيان متضمن مجموعة من الاسئلة موجهة الى المشارك والمشاركة من المعلمين حيث شملت الاسئلة استفسارات عن العمليات التعليمية وطبيعته، والنظريات التعليمية التي يستخدمها خلال تدريسه لاحداث التعلم الفعال عند التلاميذ، وعن مدى معرفتهم بنظريات التعلم، والطرائق والاساليب التعليمية التي يطبقونها في العملية التعليمية، وعن الاهتمام بمشاعر التلاميذ وكيفية الكشف عن خبراتهم السابقة، وللتأكد من ملاءمة الاسئلة المتضمنه في الاستبانة فقد تم عرضها على مجموعة من الخبراء والمختصين في المناهج وطرائق التدريس(انظرملحق"٣") حيث تم الاخذ بتوصياتهم حيث اصبحت بشكلها النهائي، انظر الملحق رقم (١)

ثانيا: الملاحظة

حيث تم ملاحظة حصص صفية للمشاركين والمشاركات الستة ومن خلالها تم رصد الممارسات التدريسية التي تضمنت (طريقة عرض المادة العلمية، الحوار مع التلاميذ، البيئة الصفية، دور المعلم، دور التلميذ، معالجة اخطاء التلاميذ المفاهيمية، مصادر المعرفة، التقويم) حيث تم حضور الباحث لخمس حصص لكل مشارك ومشاركة وروعي في الحصص ان تكون متنوعة من حيث الموضوعات، وقد اقام الباحث مصفوفة لتعينه في عملية الملاحظة وقد استعان بالمصفوفة المستخدمة من قبل (النمراوي)

[النمراوي ٢٠٠٢:ص ٧٧]حيث تم تطويرها من خلال عرضها على مجموعة من المختصين في المناهج وطرائق التدريس وقد تم الاخذ باقتراحتهم وتضمين بعضها المصفوفة، انظر جدول رقم(١)، جدول رقم(٢)

الجدول رقم (١) مصفوفة الممارسات السلوكية والمعرفية

المجال	المنحى السلوكي(الممارسات الاكثر سلوكية)	المنحى المعرفي (الممارسات الاكثر معرفية)
المحتوى العلمي	يلتزم المعلم والتلاميذ بالمعرفة العلمية الموجودة في الكتاب.	التلاميذ يتفاوضون حول الافكار العلمية، ويقومون بابتداع المعرفة العلمية،ويبنون افتراضاتهم وملاحظاتهم حولها.
دور المعلم	يعرض موضوع الدرس ويوضحه. يتبع خطوات واجراءات منتظمة. يحاور عدد محددا(٣-٤تلاميذ). يتبع طريقة المحاضرة. التفاعل والحوار الصفي قليل. المعلم يستخدم اختبار الورقة والقلم. يطرح اسئلة تركز على التذكر،ولا يمنح التلامبذ الفرصة للتامل.	يعرض الدرس، ويختار مهاما وانشطة لتلمذته. يمنح التلاميذ الفرصة والوقت للتامل بافكارهم. يقدم تلميحات عند الضرورة لمساعدة التلاميذ. يشرك جميع التلاميذ،ويستخدم اسلوب المجموعات المتعاونة يقوم المعلم بالتفاوض مع التلاميذ مركز على افكارهم وعلى مدى فهمهم للمادة،ويحثهم على على الحوار فيما بينهم. ينوع في وسائل التقويم. يقدم اسئلة هادفه تخص موضوع الدرس،ورد على استفسارات التلاميذ.
دور التلميذ	مقلد ومتابع لما يطرحه المعلم من افكار. يعمل بشكل انفرادي. يندر التنويع في تمثيل المعرفة العلمية ويتم تدوين ما يكتبه المعلم على السبورة. يجيب على اسئلة المعلم بدون اضافة. تتركز اسئلة التلاميذ على موضوع الدرس. يندر التفاوض بين الطلبة حول الافكار	يعمل على بناء معارفه وافكاره العلمية. بقدم اجوبة متعدده ويقنع الاخرين بها. يحاور زملاءه ويطرح اسئلة متنوعة. يقوم التلاميذ بتطوير فهمهم للموضوع من خلال التنويع في عرضه على شكل (رسومات،رموز،نماذج،....الخ). تتركز اسئلة التلاميذ على ربط الافكار

	العلمية. يتلقى التلاميذ الامثلة التي يعرضها المعلم دون ان يكون لهم دور فيها.	والبحث عن المعاني. يقوم التلاميذ بتقديم التفسيرات وعرض الافكار في سياق اجتماعي بناء. يقدم التلميذ اقتراحتهم وافكارهم حول موضوع الدرس.
معالجة اخطاء التلاميذ المفاهيمية	يقوم المعلم بتصويب الاخطاء المفاهيمية من خلال اعادة الشرح.	تستخدم الاخطاء المفاهيمية كجزء من الدرس ويتم الحوار والتفاوض حولها بحيث يستطيع التلاميذ تعديل مفاهيمهم الخاطئة بانفسهم.
البيئة الصفية	المعلم يعطي الاوامر والتلاميذ ينفذون. التلميذ يتبع المعلم ويحافظ على الالتزام بالاوامر.	يثمن افكار التلاميذ. يشجع العمل التعاوني. السماح للتلاميذ بعرض افكارهم. يمنحهم الاستقلالية في طرق تعلمهم. يتحاور التلاميذ حول افكارهم بحرية واحترام بعضهم لبعض.
مصادر المعرفة	المعلم يعرض المحتوى الموجود في الكتاب.	الكتاب المدرسي تفكير التلاميذ واقتراحتهم يتم تفسيرها ومناقشتها كمصدر للمعرفة. مصادر اخرى مثل(كمبيوتر،فيديو،رسومات،جداول)

جدول رقم (٢) مصفوفة السمات التي رصدت في الحصص الملاحظة

المجال	السمات السلوكية والمعرفية	التكرار
المحتوى العلمي	يلتزم المعلم والتلاميذ بالمعرفة العلمية الموجودة في الكتاب. التلاميذ يتفاوضون حول الافكار العلمية، ويقومون بابتداع المعرفة العلمية،ويبنون افتراضاتهم وملاحظاتهم حولها.	
دور المعلم	يعرض موضوع الدرس ويوضحه. يتبع خطوات واجراءات منتظمة. يحاور عدد محددا(٣-٤تلاميذ). يتبع طريقة المحاضرة.	

	التفاعل والحوار الصفي قليل. المعلم يستخدم اختبار الورقة والقلم. يطرح اسئلة تركز على التذكر،ولا يمنح التلامبذ الفرصة للتامل. يعرض الدرس، ويختار مهاما وانشطة لتلامذته. يمنح التلاميذ الفرصة والوقت للتامل بافكارهم. يقدم تلميحات عند الضرورة لمساعدة التلاميذ. يشرك جميع التلاميذ،ويستخدم اسلوب المجموعات المتعاونة يقوم المعلم بالتفاوض مع التلاميذ مركز على افكارهم وعلى مدى فهمهم للمادة،ويحثهم على على الحوار فيما بينهم. ينوع في وسائل التقويم. يقدم اسئلة هادفة تخص موضوع الدرس،ورد على استفسارات التلاميذ.	
دور التلميذ	مقلد ومتابع لما يطرحه المعلم من افكار. يعمل بشكل انفرادي. يندر التنويع في تمثيل المعرفة العلمية ويتم تدوين ما يكتبه المعلم على السبورة. يجيب على اسئلة المعلم بدون اضافة. تتركز اسئلة التلاميذ على موضوع الدرس. يندر التفاوض بين الطلبة حول الافكار العلمية. يتلقى التلاميذ الانشطة والامثلة التي يعرضها المعلم دون ان يكون لهم دور فيها. يعمل على بناء معارفه وافكاره اعلمية. بقدم اجوبة متعدده ويقنع الاخرين بها. يحاور زملاءه ويطرح اسئلة متنوعة. يقوم التلاميذ بتطوير فهمهم للموضوع من خلال التنويع في عرضه على شكل (رسومات،رموز،نماذج،....الخ). تتركز اسئلة التلاميذ على ربط الافكار والبحث عن المعاني. يقوم التلاميذ بتقديم التفسيرات وعرض الافكار في سياق اجتماعي بناء. يقدم التلميذ اقتراحتهم وافكارهم حول موضوع الدرس.	
معالجة اخطاء التلاميذ المفاهيمية	يقوم المعلم بتصويب الاخطاء المفاهيمية من خلال اعادة الشرح. تستخدم الاخطاء المفاهيمية كجزء من الدرس ويتم الحوار والتفاوض حولها بحيث يستطيع التلاميذ تعديل مفاهيمهم الخاطئة بانفسهم.	

البيئـــــة الصفية	المعلم يعطي الاوامر والتلاميذ ينفذون. التلميذ يتبع المعلم ويحافظ على الالتزام بالاوامر. يثمن افكار التلاميذ. يشجع العمل التعاوني. السماح للتلاميذ بعرض افكارهم. يمنحهم الاستقلالية في طرق تعلمهم. يتحاور التلاميذ حول افكارهم بحرية واحترام بعضهم لبعض.	
مصـــادر المعرفة	الكتاب المدرسي تفكير التلاميذ واقتراحتهم يتم تفسيرها ومناقشتها كمصدر للمعرفة. مصادر اخرى مثل(كمبيوتر،فيديو،رسومات،جداول)	

ثالثا: تحليل دفاتر الخطة السنوية واليومية للمشاركين والمشاركات، والاطلاع على كيفية وضع الخطة من قبلهم وكيفية صياغة الاهداف وطرائق واساليب التدريس وطرائق التقويم التي يتبعونها.

اجراءات الدراسة:

- قابل الباحث عدد من معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية مقابلات غير رسمية لاختيار مشاركين في الدراسة وقد ساعدت طبيعة عمل الباحث كونه احد تدريسي الكلية التربوية المفتوحة فرع كربلاء في تسهيل هذه المهمة حيث تم اختيار ستة مشاركين.
- تم زيارة المدارس التي ينتمون اليها المشاركون وعددها اربعة بعد الحصول على اذن من الجهة الرسمية المعنية.
- عايش الباحث معلمي التاريخ في تلك المدارس في الفصل الدراسي الاول من العام الدراسي ٢٠١٣-٢٠١٤م، وبدأت هذه المعايشة بتجسير الثقة والاحترام معهم وقد تم حضور عدد من الحصص عند كل مشارك بدون تسجيل الملاحظات ليعتاد المعلم والتلاميذ على وجود الباحث بينهم حتى لا يؤثر وجود الباحث في ممارسات المعلمين والتلاميذ وتظهر بشكل طبيعي.
- اعتمد الباحث في هذه المعايشة على الملاحظة الحثيثة للحياة المدرسية من بداية اليوم الدراسي وحتى نهايته.
- شوهد تنفيذ خمس من الحصص الصفية من قبل المشاركين والمشاركات، حيث تم تدوين الملاحظات في المصفوفة المعدة مسبقا ومن ثم تفريغ محتوياتها بعد مغادرة المدرسة وتحليلها.(انظر ملحق"٢")
- النظر الدقيق للدفاتر الخطة السنوية واليومية المعده من قبل المشاركين والمشاركات وتحليلها للبحث عن مدى استيعابهم لنظريات التعلم وتضمينها في ممارستهم التعليمية واستخلاص نظرياتهم التعليمية التي يمتلكونها.
- معالجة البيانات التي تم الحصول عليها من ادوات جمع المعلومات.

- تفريغ البيانات.
- تصنيف البيانات.
- اتباع استراتيجيات تحليل البيانات

١. التحليل الاستقرائي.
٢. ترميز وتوزيع البيانات.
٣. توليد الاستنتاجات.
٤. الاجابة عن اسئلة البحث.

صدق النتائج:

اتبع الباحث للتحقق من صدق النتائج التي توصل اليها ما يأتي:

اولا: التثليث (Triangulation):

فقد تم جمع البيانات من مصادرها المتعددة فاذا كانت المعطيات والتفسيرات للبيانات متناغمة ويصدق بعضها بعض نقول ان النتائج صادقة

ثانيا: الصدق التوافقي (Consensual Validation)

أي ان يتوافق ما يقوله الاخرون مع ما تم وصفه او تفسيره من قبل الباحث، وهذا الامر يتطلب عرض ما توصل اليه الباحث من وصف وتفسير على مختص خبير او اكثر في المناهج وطرائق التدريس لمادة التاريخ، ليكشف الى أي مدى يتوافق مع ما توصل اليه الباحث في تفسيراته للاجابة على اسئلة البحث، وقد تم عرض النتائج والتفسيرات على عدد من المختصين

الفصل الرابع / عرض النتائج وتفسيرها

بعد الاجراءات التي قام بها الباحث والمتمثلة بجمع المعلومات التي تحتاجها الدراسة من خلال الاستبيان الذي وجهه الباحث الى المشتركين (ملحق رقم"١")، ونتائج مصفوفة السمات التي اعتمد عليها الباحث في في ملاحظته للمشتركين (ملحق رقم"٢")، بالاضافة الى اطلاعه على دفاتر الخطة السنوية واليومية للمشتركين، ومن ثم قيام الباحث بمعالجة المعلومات التي تم التوصل اليها من خلال هذه الادوات حيث تم تفريغ البيانات وتصنيفها ومن ثم اتباع الاستراتيجيات في تحليلها للوصول الى استقصاء يجيب على هدفي البحث المتمثله في:

١. ما مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم؟
٢. ما مدى تطبيق نظريات التعلم من قبل معلمي مادة التاريخ في العملية التعليمية؟

حيث توصل الباحث الى النتائج التالية والتي يلخصها جدول رقم (٣) علما ان الاسماء المستخدمة مستعارة وليس حقيقية نزول عند رغبة المشاركين في الدراسة

جدول رقم (٣) خلاصة نتائج هدفي البحث

الهدف / المعلم	الهدف الاول: ما مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم؟	الهدف الثاني: ما مدى تطبيق نظريات التعلم من قبل معلمي مادة التاريخ في العملية التعليمية؟
فاطمة	لم تظهر لديها اي استيعاب	عدم استيعابها انعكس على عمليتها التعليمية،حيث انها كانت اكثر سلوكية بدون وعي منها لمبادئ هذه النظرية
ابتسام	لم تظهر لديها اي استيعاب	عدم استيعابها انعكس على عمليتها التعليمية حيث انها اظهرت مزيجا من السلوكية والمعرفية ولكن بدون وعي منها لمبادئ هذه النظريات
مها	لم تظهر لديها اي استيعاب	عدم استيعابها انعكس على عمليتها التعليمية،حيث انها كانت اكثر سلوكية بدون وعي منها لمبادئ هذه النظرية
احمد	لم تظهر لديه اي استيعاب	عدم استيعابه انعكس على عمليته التعليمية،حيث انه كان اكثر سلوكيا بدون وعي منه لمبادئ هذه النظرية
علي	لم تظهر لديه اي استيعاب	عدم استيعابه انعكس على عمليته التعليمية،حيث انه كان اكثر سلوكيا بدون وعي منه لمبادئ هذه النظرية
محمد	ظهر لديه استيعاب	استيعابه انعكس على عمليته التعليمية، حيث انه اظهر مزيجا من السلوكية والمعرفية الا انه مال الى السلوكية اكثر ولكن بوعي منه لمبادئ هذه النظرية

"عرض النتائج التي تخص الهدف الاول وتفسيرها"

ما مدى استيعاب معلمي مادة التاريخ في المرحلة الابتدائية لنظريات التعلم؟

اشارت النتائج الى ان خمسة مشاركين لم تكن لديهم اي استيعاب عن نظريات التعلم وهم المعلم (علي) حيث اجاب في استبيانه"انا لا اذكر نظريات التعلم لان هذه المواضيع مرت علي قبل ١٠سنوات من ايام الدراسة في المعهد"، وكذلك حول الكشف عن معرفة تلامذته السابقة لم يتعد طرح الاسئلة التي تركز على عملية التذكر والحفظ وكان اهتمامه بمشاعر تلامذته محدود حيث ذكر في استبيانه"اهتم بشعور تلامذتي من مرض او لباس ولكن لكثرة عددهم فان هذا الجانب يبقى محدوداً".

اما المعلم (احمد) فلم يختلف كثيرا عن المعلم علي حيث ذكر"انا ناسي نظريات التعلم ولا استطيع تذكرها على الرغم من اننا درسناها في المعهد"وكذلك تبين انه يتبع طريقة الاسئلة التي تعتمد على عملية الحفظ والتذكر حول الكشف عن معرفة تلامذته السابقة واكد ذلك بقوله"انا دائم اكشف عن المعرفة السابقة عند تلامذتي عن طريق طرح الاسئلة"، وحول اهتمام المعلم احمد بمشاعر تلامذته لم يحاول ان يتعرف على ميولهم وحاجاتهم وعد ان الاهتمام بمشاعر التلاميذ تقتصر على امور محدودة عندما صرح بقوله"والله احيانا اراعي هذه النواحي مثلا تلميذ صار عنده ظرف او راسه يوجعه اسأله لماذا، وممكن اسمع لاي طالب عنده مشكله واحاول معرفة اسبابها"

اما المعلمات (فاطمة،ابتسام،مها) فلم يجد الباحث اية مستجدات تميزهن عن (علي واحمد) حول هذا الموضوع واوضحن انهن لا يعرفن ما يسمى بنظريات التعلم واضافت المعلمة(ابتسام) ا"نه حتى في الدورات التي تعملها التربيه لكوادرنا لا تتطرق الى نظريات التعلم وفائدتها لنا"،وان طريقتهن في الكشف خبرات تلاميذهن لا تتعدى الاسئلة الروتينية التي تركز العمليات العقلية الدنيا، وان اهتمامهن بمشاعر التلاميذ ليس بالمستوى الذي يرتقي الى معرفة ميولهم ورغباتهم وحاجاتهم حول ما يتعلمونه او ينبغي ان يتعلموه.

اما المعلم السادس(محمد) فقد تميز عن باقي المشاركين بانه يعي الى حد ما مبادئ نظريات التعلم ويفرق بين مبادى السلوكية والمعرفية حيث ذكر في استبيانه"استخدم المقدمات وأحاول أنظم المادة معتمدا على الخبرات السابقة لانه اذا اعطيت خبرات منظمة يستطيع الطالب على يرمزها بشكل جيد ويستطيع استرجاعها بشكل اسهل"، وقد لاحظ الباحث انه يتميز عن الباقين بالاهتمام بمشاعر تلامذته ويراعي حاجتهم ورغباتهم الى حد ما، ولكنه لم يختلف عن باقي المشاركين في الطريقة التي يتبعها في الكشف عن الخبرات السابقة لتلاميذه.

مما سبق نلاحظ ان معلما واحدا كان مستوعب لنظريات التعلم وان باقي المشاركين الخمسة لم يظهروا اي معرفة عن هذه النظريات، حيث ان المعلم الذي اظهرت النتائج عن استيعابه لنظريات التعلم(محمد) انه حاصل على شهادة البكالوريوس مما يفسر تفوقه على زملائه في مدى استيعابه لنظريات التعلم، وقد يرجع السبب الى الخلفية النظرية الموجودة لدى هذا المعلم واهتمامه بهذه النظريات ومحاولته تطبيق مبادئها في حياته العملية، او ربما يعود السبب الى عدم الاهتمام بالمواد التربويه التي تعرض اثناء الدراسة الاكاديمية كالمعلم (احمد) ظنا منه بعدم اهميتها له اثناء ممارساته التعليمية، وربما يعزى السبب لباقي المعلمين الذين لم يظهروا اي استيعاب للنظريات الى عدم تعرضهم الى دورات تربويه اثناء خدمتهم توكد على اهمية هذه النظريات وهذا ما اكدته المعلمة (ابتسام).

في حين ان المشاهدات الصفية اظهرت ان جميع المعلمين المشاركين مارسوا نظريات التعلم خلال عمليتهم التعليمية، حيث ان المعلم (محمد) مارس مزيجا من مبادى المعرفية والسلوكية في غرفة الصف بوعي منه لمبادئها، بينما المعلمة (ابتسام) مزجت مبادئ النظرية المعرفية والسلوكية ولكن دون ان تعي انها تمارسها، كذلك فان باقي المشاركين استندوا في عملياتهم التعليمية الى مبادئ النظرية السلوكية دون ان

يعوا ان هذه الممارسات تستند الى نظريات تعلم معينة، وقد يرجع سبب هذا الى ما ذكر سابقا الى عدم تعرضهم الى مساقات تربوية او دورات في طرائق التدريس حتى يستطيعوا ان يربطوا ما يمارسونه بما تعلموه عن هذه النظريات، وقد يعزى السبب ايضا الى المعلمين انفسهم وذلك لعدم مطالعتهم ومتابعتهم للادب التربوي ذي العلاقة بهذا الموضوع سعيا منهم لتطوير انفسهم والاقتراب الى معرفة تلاميذهم والمبادئ التي تساعد في التعلم.

"عرض النتائج التي تخص الهدف الثاني وتفسيرها"

ما مدى تطبيق نظريات التعلم من قبل معلمي مادة التاريخ في العملية التعليمية؟

اشارت النتائج ان ثمة علاقة واضحة ظهرت عند جميع المشتركين حيث بينت ان مدى استيعاب المشاركين لنظريات التعلم انعكس على عملياتهم التعليمية حيث ان استيعاب المعلم (محمد) لمبادى السلوكية والمعرفية احيانا اثرت على ممارسته التعليمية داخل الصف واتبع المنحى المعرفي في تعليمه من خلال بعض المواقف اثناء الحصص الملاحظة عنده وكانت هذه الممارسات بوعي منه لمبادئ نظرية التعلم المعرفي وانها تناسب تعلم مادة التاريخ حيث عرض المحتوى بشكل متسلسل ومترابط واهتم بالبعد المفاهيمي للتلاميذ وسجلت له مواقف كثيرة في حصصه ربط مادة التاريخ بحياة التلاميذ وكذلك ربط مادة الموضوع بالواقع الذي يعيشه التلاميذ، واتبع طريقة التعلم التعاوني حيث كان يقسم التلاميذ الى مجموعات ويفسح المجال لهم للتحاور والنقاش للتوصل الى المعرفة فاظهر مزيجا من من مبادئ المعرفية والسلوكية ولكن بوعي منه لهذه المبادئ وبتخطيط مسبق لهذه الممارسات.

اما عدم امتلاك المشاركين الخمسة الاخرين فاطمة وابتسام ومها واحمد وعلي لآي استيعاب لنظريات التعلم فقد انعكس على ممارساتهم التعليمية ايضا باتباعهم لمبادئ المنحى السلوكي بدون وعي منهم ان هذه الممارسات تندرج تحت مبادئ هذا المنحنى وبالتالي انعكس عدم استيعابهم لمبادئ نظريات التعلم على اختيار طرائقهم التدريسية المناسبة لموضوع واهداف الدرس داخل الصف، فالمعلمة ابتسام ركزت على الحوار بين التلاميذ في العديد من المواقف واستخدمت التعليم التعاوني لكن استخدمها لم يكن في محله في بعض الاحيان، ولكنها في مواقف اخرى لم تتعدى اسلوب التلقين والمحاضرة في عرضها لمادة الدرس فاظهرت بذلك مزيجا من مبادئ المعرفية والسلوكية دون وعي منها لهذه الممارسات.

اما المعلمان احمد وعلي والمعلمتان فاطمة ومها فظهر بشكل واضح انعكاس عدم استيعابهم لنظريات التعلم على ممارستم التعليمية داخل الصف، حيث كانت هذه الممارسات سلوكية بدون وعي منهم من حيث تقديمهم للمحتوى ودور التلاميذ ومعالجة اخطائهم المفاهيمية حيث كانوا يتبعون اسلوب التلقين ولم يفسحوا المجال لتلاميذهم بالحوار والنقاش لبناء معرفتهم بانفسهم.

مما سبق نستنتج ان ان معلما واحدا هو"محمد"اظهر استيعابه لنظريات التعلم علاقة مباشرة بممارساته التعليمية داخل الصف، بحيث استخدم مبادئ النظريات المعرفية والسلوكية في هذه الممارسات بتخطيط مسبق، وقد يعود تفسير ذلك الى ان هذا المعلم كان يعي مبادئ النظريات واهميتها في معرفة تلاميذه من

خلال مبادئها وبالتالي توفير فرص توفير فرص تعلم افضل لهم، وكذلك المعلمة ابتسام التي كان لعدم استيعابها لنظريات التعلم تأثير واضح على ممارستها الفعلية داخل غرفة الصف حيث انها مزجت بين المنحى المعرفي والسلوكي من حيث لا تدري او تعي ان هذه الممارسات ذات صلة باحدى نظريات التعلم، وقد يعزى تفسير ممارسات المعلمة ابتسام الى تاثرها بمعلميها الذين اتبعوا المنحى المعرفي او السلوكي،ومطالعتها الذاتيه لاساليب التدريس،واظهر المعلم محمد والمعلمة ابتسام اقترابهما من تطبيق بعض الممارسات المعرفية في غرفهم الصفية فالمحتوى العلمي الذي عرضه المعلم محمد والمعلمة ابتسام ظهر مترابطا احيانا وتخلله انشطة علمية مرتبطة بسياق حياة التلاميذ اليومية، وكانت السمة الواضحة لهذين المشتركين خلال ممارساتهما التدريسية تفعيل اسلوب الحوار واشراك اغلبية التلاميذ وتفعيل العمل بالمجموعات والتركيز على افكار التلاميذ ومعرفهم السابقة واستخدام اساليب تدريس وتقويم متعددة والنظر الى التلاميذ انهم نشيطون في ادارة الانشطة والخبرات التعليمية والانتقال من طور التلقين والمحاضرة الى التوجيه والمساعدة من خلال توفير الخبرات التعليمية والانشطة المناسبة، وهنا يمكن القول ان الاستيعاب لنظريات التعلم واتقان تطبيقها تعمل على تطوير الممارسات التعليمية وبالتالي توفير فرص تعلم افضل للتلاميذ،اي ان معرفة المعلم بمبادئ نظريات التعلم المختلفة تمكنه من ان يمتلك القدرة على اختيار طريقة التعليم المناسبة لتعليم التلاميذ بكفاءة واقتدار.

اما بالنسبة لباقي المعلمين الذين اظهروا عدم استيعابهم لنظريات التعلم انعكس ذلك على ممارستهم للمنحى السلوكي داخل غرفة الصف ودلت النتائج الى تمسكهم بممارستهم التقليدية فالمحتوى العلمي الذي تم عرضه ظهر مجزأ غير مترابط ومعزولا عن حياة التلاميذ واتبعوا طريقة الملاحظة والتلقين في عرضهم للموضوعات وتم تجاهل المعرف السابقة لدى تلاميذهم، كما تم التركيز على عمليات التذكر والمعرفة وما يتطلبه ذلك من تكرار لمهارات واجراءات روتينية، اما التلاميذ فكانوا متلقين للمعلومات وقل الحوار فيما بينهم حول افكار محتوى الدرس فظهرت البيئة الصفية خاملة انقطع فيها الحوار بين التلاميذ انفسهم، وانشغل هؤلاء المعلمون في ضبط السلوكيات بدلا من استغلال الوقت في ادارة عملية التعلم وتطوير فهم التلاميذ، وقد يعزى سبب ذلك الى عدم تعرضهم الى دورات تدريبية في حين الذين اشتركوا في دورات تدريبية فقد يرد السبب الى عدم استفادتهم من مضمون هذه الدورة او قصور في محتواها او عدم ترجمة هذا المحتوى من قبل المدربين القائمين عليها بشكل سليم، وقد ترد بعض الاسباب الى المشاركين انفسهم في عدم قناعتهم بهذه الدورات لعدم مناسبتها زمانا ومكانا مما شكل عاقا امام المشاركين من الاستفادة منها، وقد تشكل ظروف المدرسة وقلة المصادر وازدحام الغرف الصفية بالتلاميذ سببا اخر في اتباع هؤلاء المعلمين للمنحى السلوكي،وقد يرد السبب الى المعلمين انفسهم بعدم السعي الى تطوير انفسهم من خلال الاطلاع على مستجدات التربية والتعليم،ويمكن ان يكون احد الاسباب ايضا قلة الزيارات الاشرافية للمعلمين واذا توفرت فانها لا تتعدى الروتين وهدفها يكون ليس التحسين ومساعدة المعلمين على تطوير ممارساتهم التعليمية وهذا ما صرح به المعلم احمد بقوله"الخطة اليومية التي

اكتبها في دفتر الخطة من اجل المدير والمشرف حيث عند مجيئه ويسأل اين دفتر الخطة يمكن ان ينظر اليه وبصراحة احس المشرف يأتي يتصيد"

الفصل الخامس / الاستنتاجات -التوصيات - المقترحات

الاستنتاجات:

بعد اكمال الباحث اجراءات دراسته وتفسيره لنتائجها توصل الى الاستنتاجات الاتية:

١. وجود ضعف واضح في مخرجات معاهد المعلمين والمعلمات والكليات التربوية في جانب الاعداد المهني.
٢. اهمال الجانب التطبيقي في مناهج اعداد المعلمين مهنيا واقتصارها على الجانب النظري في المواد التربوية التي يتم تدريسها.
٣. قلة تبيان الاهمية والفائدة العلمية من قبل القائمين على تدريس نظريات التعلم بشكل خاص والمواد التربوية بشكل عام في المعاهد والكليات التربوية.
٤. اهمال الجانب التربوي المهني من قبل المشرفين في اثناء زيارتهم الى المعلمين.
٥. قلة توفر الوسائل التعليمية والتقنيات التربوية الحديثة في المدارس جعل البيئة الصفية المتواجدة فيها ضعيفة من حيث التشويق للدرس.
٦. عدم توفر المراجع والمصادر التربوية المهمة في المدارس جعل المعلمون لا يواكبون التطور التربوي واهمال تطوير مستوياتهم المهنية.
٧. قلة الاهتمام بالجوانب الوجدانية والنفسحركية والتركيز على الجوانب المعرفية في قائمة الاهداف الموضوعة من المعلمين وعدم اعطائها الاهمية في عملياتهم التعليمية.

التوصيات:

١. اصدار حقيبة تعليمية لمعلمي المواد الاجتماعية في المرحلة الابتدائية تتضمن ابرز النظريات التعليمية وتبيان اهميتها في العملية التعليمية.
٢. اعداد دورات لمعلمي المرحلة الابتدائية اثناء الخدمة تخص نظريات التعلم وأدارتها من قبل مختصين في المجال التربوي لتوضيح كيفية توظيفها في العملية التربوية.
٣. التركيز على التربية العملية والاعداد المهني التطبيقي وعدم الاقتصار على المواد النظرية في مناهج اعداد المعلمين في الكليات التربوية.
٤. التركيز في برامج اعداد المعلمين في الكليات التربوية على نظريات التعلم وابراز اهميتها من القائمين على تدريسها لترسيخها في ذهن (الطالب/المعلم).
٥. ضرورة ادخال المشرفين التربويين في دورات تطويرية في مجال التربية المهنية لمساعدتهم في تطوير امكانيتهم التربوية.

٦. التركيز من قبل المشرفين على كيفية تنظيم البيئة الصفية التعليمية، بحيث يتم التعلم في جو من الاثارة والتشويق.
٧. التاكيد على المعلمين بضرورة الاهتمام بالمستويات العليا من تصنيف بلوم (التركيب–التحليل–التقويم)وعدم الاقتصار على المستويات الدنيا وكذلك الجوانب الوجدانية والمهارية.

المقترحات:

استنادا لجوانب البحث الحالي يقترح الباحث اجراء الدراسات المستقبلية الاتية:

١. اجراء دراسة حول تحديد الاحتياجات التربية لمعلمي المواد الاجتماعية في المرحلة الابتدائية.
٢. اجراء دراسة مماثلة لمدرسي المواد الاجتماعية في المدارس الثانوية.
٣. اجراء دراسة مماثلة لباقي الاختصاصات التربوية في المدارس
٤. اجراء دراسات مماثلة لباقي المواد التربوية الضرورية في العملية التعليمية.

المصادر العربية

١. ابو حويج،مروان وعبد الجابر تيم وسمير أبو مغلي وعبد الحافظ سلامة: مدخل إلى علم النفس التربوي،عمان،الأردن، دار اليازورى العلمية،٢٠٠٠.
٢. الجبوري، عبد الحسين رزوقي مجيد، بناء مقياس مقنن للتوافق المهني لمعلمي المرحلة الابتدائية، جامعة بغداد، كلية التربية / ابن رشد، رسالة ماجستير غير منشورة،١٩٩٠
٣. جلجل، نصرة عبد المجيد:علم النفس التربوي المعاصر، القاهرة، دار النهضة ٢٠٠٠.
٤. الحلي، احمد حقي، وآخرون. مبادئ التربية، مطبعة جامعة بغداد،١٩٨٥.
٥. حمدى، محمود وهويدا علام: علم النفس التربوي للمعلمين والمعلمات، عمان، الأردن، دار الفكر، ٢٠٠٤.
٦. الزغول، عماد عبد الرحيم، نظريات التعلم"،ط١،عمان، دار الشروق،٢٠٠٣.
٧. الزيتونة للدراسات والبحوث العلمية. مجلة علمية محكمة، المجلد (١)، العدد (١)، عمان، الاردن، ٢٠٠١.
٨. سعادة، جودة احمد.ابراهيم،عبدالله محمد، المنهج المدرسي المعاصر، ط٤، همان–الاردن، دار الشروق،٢٠٠٤.
٩. سليمان، سناء محمد: محاضرات فى سيكولوجية التعلم، القاهرة، الم الكتب، ٢٠٠٨.
١٠. ظاهر، كاظم بطين، معايير الاعداد المهني لمعلم المرحلة الابتدائية و مدى مراعاتها في مناهج دور المعلمين الابتدائية في القطر،جامعة بغداد، كلية التربية /ابن رشد، اطروحة دكتوراه غير منشورة،١٩٨٣.
١١. عاقل، فاخر محمود: مدارس علم النفس، دار العلم للملايين، ط ١٩٨٧،٧.

١٢. عبيد، احد حسن. في فلسفة اعداد المعلمين وتنظيمه، مجلة الجامعة المستنصرية، العدد الاول، بغداد، ١٩٧١.
١٣. العبيدي، محمد جاسم، مشكلات الصحة النفسية،ط١، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن،٢٠٠٤.
١٤. عريفج، سامي سلطي: مقدمة فى علم النفس التربوي، عمان، الأردن، دار الفكر،٢٠٠٠.
١٥. العيسوي، عبد الرحمن محمد: علم النفس فى خدمة المجتمع الحديث، القاهرة، الدار الجامعية، ٢٠٠٦.
١٦. عيسوي، عبد الرحمن: أصول علم النفس التربوي، الإسكندرية، دار المعارف الجامعية،٢٠٠٢
١٧. القضاة، محمد فرحان ومحمد عوض الترتورى: أساسيات علم النفس التربوي النظرية والتطبيق، الأردن، عمان، دار الحامد للنشر والتوزيع،٢٠٠٦.
١٨. اللقاني، احمد حسين، وبرنس احمد رضوان، تدريس المواد الاجتماعية، ط١، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٧٤.
١٩. المعايطة، خليل عبد الرحيم:علم النفس التربوي عمان، الأردن،،دار الفكر، ٢٠٠٠.
٢٠. منسي، محمود عبد الحليم: المدخل إلى علم النفس التعليمي،الإسكندرية، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٢.
٢١. منصور، على: التعلم ونظرياته، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية منشورات جامعة تشرين، اللاذقية،٢٠٠١.
٢٢. النجيحي، محمد لبيب. الاسس الاجتماعية للتربية، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨.
٢٣. النمراوي، زياد محمد احمد،مدى تقبل معلمي الرياضيات في مرحلة التعليم الاساسي في الاردن للمنحى البنائي في تدريس الرياضيات، اطروحة دكتوراة،غير منشورة، الاردن، الجامعة الاردنية، ٢٠٠٤.
٢٤. الهاشمي، عابد توفيق. اللغة العربية الطرق العملية لتدريسها، ج١، مطبعة الارشاد، بغداد، ١٩٦٧.

المصادر الاجنبية

1. Brennan, J,F. Hostory and systeme of psychology (4th ed), New york:prentice-Hall,Inc.(1994).
2. Chan,k,Validation of a measure of personal theories about Teaching and learning,paper presented for AARE international education research conference held at perth..(2000)
3. Klein,s.Learning: principles and application. Mc Graw-Hill,Inc,(1987).
4. Kontselini,M.persianis,p,theory-practice divide teacher in teacher education at the university of Cyprus and the role of tradititional values of the orthodox church,teaching in higher education 5(4),501-520,(2000).

5. Sempie,A,learning theories influence on the development and use of education technologies, Australion science teacher journal,46(3),21-28,(2000)
6. Sweeny,A, articulation the relationships between theory and practice in science teaching: a model for teacher professional development Teachers and teaching: theory and practice 9(2),107-132, (2003).

الملحق (١) استبانة المشاركين والمشاركات

اسم المعلم/المعلمة.....
المؤهل العلمي.....
سنوات الخدمة.....

١- ما الاهداف الرئيسية التي يسعى منهاج التاريخ في المرحلة الابتدائية الى تحقيقها من وجهة نظرك؟
٢- كيف تصف علاقتك مع تلاميذك؟
٣- كيف تكشف عن المعرفة السابقة عند التلاميذ؟هل لك تفصيل احد المواقف التي قمت بها لتحقيق ذلك؟
١- الى أي حد تراعي الامور التالية في ممارساتك التدريسية؟
- الاكتراث بعواطف المتعلمين ومشاعرهم.
- الانهماك في حوارات مع التلاميذ متعلقة بما يمتلكونه من معرفة.
- النواحي الاجتماعية للتلاميذ؟

٢- هناك ما يسمى بنظريات التعلم،ما مدى معرفتك عن هذه النظريات؟
٣- ان لم يكن لديك أي علم او معرفة بنظريات التعلم،هل لك أن تبين طريقة تنفيذك لعملية التدريس؟
٤- كيف تكونت لديك هذه الطريقة؟
٥- أي الاوصاف التالية أقرب الى ممارساتك التدريسية ولماذا؟
- تقليدية
- تفاعلية
- بنائية

٦- ما اكثر الطرائق والاساليب التدريسية التي تتبعها في تدريسك؟
٧- هل الطرائق والاساليب التي تتبعها في التدريس تستند الى نظرية تعلم محددة ام الى اكثر من نظرية، ولماذا؟ هل يمكن توضيح ذلك؟
٨- هل لك ان تصف كيفية تنفيذك للأمور التالية،ولماذا؟
- التخطيط للدرس.
- اختيار الانشطة والوسائل.

- التقويم(تقويم تعلم التلاميذ).
- لو استشارك احد زملائك بخصوص تكوين نظرية تدريس خاصة به،ماذا تنصحه؟

محلق رقم (٢) مصفوفة السمات التي رصدت في الحصص الملاحظة وتكرارتها لكل المشاركين

المجال	السمات السلوكية والمعرفية	تكرارات فاطمة	تكرارات ابتسام	تكرارات مها	تكرارات احمد	تكرارات علي	تكرارات محمد
المحتوى العلمي	يلتزم المعلم والتلاميذ بالمعرفة العلمية الموجودة في الكتاب.	٥	٥	٥	٥	٥	٣
	التلاميذ يتفاوضون حول الافكار العلمية، ويقومون بابتداع المعرفة العلمية،ويبنون افتراضاتهم وملاحظاتهم حولها.	١	١	١	١	١	٤
دور المعلم	يعرض موضوع الدرس ويوضحه.	٥	٥	٥	٥	٥	٥
	يتبع خطوات واجراءات منتظمة.	٤	٥	٣	٤	٣	٥
	يحاور عدد محددا(٣-٤ تلاميذ).	٥	٤	٥	٥	٥	١
	يتبع طريقة المحاضرة.	٥	٣	٥	٥	٥	٢
	التفاعل والحوار الصفي قليل.	٥	٣	٥	٥	٥	٢
	المعلم يستخدم اختبار الورقة والقلم.	٥	٤	٥	٥	٥	٣
	يطرح اسئلة تركز على التذكر،ولا يمنح التلامبذ الفرصة للتامل.	٥	٤	٤	٤	٥	٢
	يعرض الدرس، ويختار مهاما وانشطة لتلامذته.	٣	٤	٤	٤	٤	٣
	يمنح التلاميذ الفرصة والوقت للتامل بافكارهم.	٢	٤	٢	٢	٢	٥
	يقدم تلميحات عند الضرورة لمساعدة التلاميذ.	٢	٣	٢	٢	٢	٥
	يشرك جميع التلاميذ،ويستخدم اسلوب المجموعات المتعاونة	٠	٣	٠	٠	٠	٤
	يقوم المعلم بالتفاوض مع التلاميذ مركز على افكارهم وعلى مدى فهمهم	٢	٤	٢	٢	٢	٤

	للمادة،ويحثهم على على الحوار فيما بينهم.						
	ينوع في وسائل التقويم.	١	٣	١	١	١	٥
	يقدم اسئلة هادفه تخص موضوع الدرس،ورد على استفسارات التلاميذ.	٣	٤	٢	٣	٣	٥
دور التلميذ	مقلد ومتابع لما يطرحة المعلم من افكار.	٥	٤	٥	٥	٥	٣
	يعمل بشكل انفرادي.	٤	٣	٤	٤	٤	٢
	يندر التنويع في تمثيل المعرفة العلمية ويتم تدوين ما يكتبه المعلم على السبورة.	٥	٥	٤	٥	٥	٣
	يجيب على اسئلة المعلم بدون اضافة.	٥	٤	٥	٥	٥	٣
	تتركز اسئلة التلاميذ على موضوع الدرس.	٥	٤	٥	٥	٥	٣
	يندر التفاوض بين الطلبة حول الافكار العلمية.	٥	٥	٥	٥	٥	٢
	يتلقى التلاميذ الانشطة والامثلة التي يعرضها المعلم دون ان يكون لهم دور فيها.	٥	٤	٥	٥	٥	٢
	يعمل على بناء معارفه وافكاره العلمية.	٠	١	٠	٠	٠	٢
	بقدم اجوبة متعدده ويقنع الاخرين بها.	٠	١	٠	١	٠	٣
	يحاور زملاءه ويطرح اسئلة متنوعة.						
	يقوم التلاميذ بتطوير فهمهم للموضوع من خلال التنويع في عرضه على شكل (رسومات،رموز،نماذج،....الخ).	١	٢	١	١	١	٣
	تتركز اسئلة التلاميذ على ربط الافكار والبحث عن المعاني.	٠	٢	٠	٠	٠	٣

	يقوم التلاميذ بتقديم التفسيرات وعرض الافكار في سياق اجتماعي بناء. يقدم التلميذ اقتراحتهم وافكارهم حول موضوع الدرس.	١ ٠ ٠	٢ ١ ١	١ ٠ ٠	١ ٠ ٠	١ ٠ ٠	٤ ٢ ٢
معالجة اخطاء التلاميذ المفاهيمية	يقوم المعلم بتصويب الاخطاء المفاهيمية من خلال اعادة الشرح. تستخدم الاخطاء المفاهيمية كجزء من الدرس ويتم الحوار والتفاوض حولها بحيث يستطيع التلاميذ تعديل مفاهيمهم الخاطئة بانفسهم.	٥ ٠	٥ ٢	٥ ٠	٥ ٠	٥ ٠	٤ ٤
البيئة الصفية	المعلم يعطي الاوامر والتلاميذ ينفذون. التلميذ يتبع المعلم ويحافظ على الالتزام بالاوامر. يثمن افكار التلاميذ. يشجع العمل التعاوني. السماح للتلاميذ بعرض افكارهم. يمنحهم الاستقلالية في طرق تعلمهم. يتحاور التلاميذ حول افكارهم بحرية واحترام بعضهم لبعض.	٥ ٥ ٣ ٠ ٢ ٠ ١	٥ ٥ ٤ ٢ ٣ ١ ٢	٥ ٥ ٢ ٠ ٢ ٠ ١	٥ ٥ ٢ ٠ ١ ٠ ١	٥ ٥ ٢ ٠ ٢ ٠ ١	٤ ٤ ٥ ٤ ٥ ٣ ٤
مصادر المعرفة	الكتاب المدرسي تفكير التلاميذ واقتراحتهم يتم تفسيرها ومناقشتها كمصدر للمعرفة. مصادر اخرى مثل(كمبيوتر،فيديو،رسومات،جداول)	٥ ٠ ٠	٥ ١ ٢	٥ ٠ ٠	٥ ٠ ٠	٥ ٠ ٠	٣ ٣ ٥

ملحق (٣)اسماء لجنة الخبراء

ت	الاسم	الاختصاص	الكلية
١-	أ. عزيز كاظم نايف	طرائق تدريس الاجتماعيات	كلية التربية – جامعة كربلاء
٢-	د.عبد عون المسعودي	ارشاد تربوي	الكلية التربوية المفتوحة /فرع كربلاء
٣-	د.احمدعبد الجبار	طرائق تدريس اللغة العربية	الكلية التربوية المفتوحة/فرع كربلاء
٤-	د.صالح صاحب كاظم	مناهج وطرائق التدريس العامة	الكلية التربوية المفتوحة/فرع كربلاء
٥-	د. حسنين عدنان الموسوي	طرائق تدريس الاجتماعيات	الكلية التربوية المفتوحة /فرع كربلاء
٦-	د. علي عبد الكريم	طرائق تدريس التربية الفنية	كلية التربية –جامعة كربلاء
٧-	د. عبد الستار	الارشاد التربوي	كلية التربية – جامعة كربلاء
٨-	د. مسلم كاظم	طرائق تدريس اللغة الكردية	الكلية التربويةالمفتوحة/فرع كربلاء

الجذور التاريخية لنشأة دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٤٥ – ١٩٧١

Historical roots of the formation of United Arab Emirates 1945-1971

م.م الاء عبد الكاظم جبار [١]
Assist. lec. Ala A. Jabbar

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمدا يليق بجلاله وكماله وسلطانه وعونه واحسانه،فاطر السماوات،موجد المخلوقات،ومسير الموجودات،والصلاة والسلام على اشرف المخلوقات واطهر الموجودات،النبي الاكرم واله الميامين،ينابيع المعرفة ومصابيح الهدى وسفينة النجاة،وعلى صحبه الاخيار المنتجبين وعلى من والاهم الى يوم الدين.

لم تكن الدراسات التاريخية التي تناولت تاريخ دولة الإمارات العربية كافية بالشكل الذي يمكننا من الإلمام بكل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأحداث التي واجهتها فقد بقيت أقلام المؤرخين والباحثين بعيدة عن متناول هكذا مواضيع فأرتئيت أن أسلط الضوء على دراسة مهمة تمثلت بالخلفية التاريخية للتوغل الاستعماري البريطاني في منطقة الخليج العربي.

فقد بذلت دولة الإمارات العربية المتحدة في نضالها المريرللتخلص من براثن الاستعمار والحفاظ على منطقتهم الإستراتيجية المهمة في العالم فاستطاعت دولة الإمارات بفعل جهود أبنائها إن تنال النصيب الأوفر والأعظم في صنع القرار والتأثير المباشر على سيرالإحداث السياسية في المنطقة العربية. قسم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمه تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلنا اليها فخصص المبحث الأول لأبرز واهم العوامل السياسية التي أدت إلى تأسيس اتحاد الإمارات العربية المتحدة،اذ تضمن الهيمنة الأجنبية وتنامي الوعي الوطني والقرار البريطاني بالانسحاب من المنطقة فيما ركز المبحث الثاني على

١ – جامعة كربلاء/ كلية العلوم الاسلامية / قسم الدراسات القرآنية.

مراحل قيام دولة الإمارات العربية المتحدة وسلط الضوء في المبحث الثالث على إعلان دولة الإمارات العربية المتحدة واعتمدت الدراسة على جملة من المصادر والمراجع التاريخية التي إفادتنا في نطاق البحث.

Abstract

Praise be to alla, peace and blessings be upon the prophet of mercy oversaw the creation of the messengers and the prophet mohammed sadiq secretary and the god of the good and virtuous and companions almentajabin.

Historical student that dealt with history of the uae enough way that we can of familiarity with all the economic, social and political condtions and events that have encountered have historians and researchers pens remaind beyond the reach of such topics were not vertit to highlight the important study represented the historical background of the incursion of british colonial in the gulf region arab.

The united arab emirates have been made in the struggle amartirelltkhals from the clutches of colonialism and maintain

Strategis task of their region in the world fasttaat uae by their childrens efforts to undermine the greatest and the largest share in decision –making and direct impact on the political siralahaddat in the arab region.search section to the front of the three sections and aconclusion included the most prominent conclusions we reached fajss first section of the most prominent political factors that led to the founding of the united arab emarates federation as it ensures foreign domination and the growing national awareness of the british decion to withdraw from the region in the second section focused on the stage of the uae united arab highlighted in the third section of the declaration of the united arab emirates and the study relied on anumber of sources historical references that tell us in your search.

المبحث الأول: ابرز العوامل السياسية التي أدت إلى تأسيس اتحاد الإمارات العربية المتحدة

جابهت منطقة الخليج العربي، تحديات كثيرة على مستويات عدة منها اقتصادية واجتماعية وسياسية أجنبية منذ العصر الحديث، وظهرت خلال الهيمنة البريطانية التي استمرت اكثر من قرن ونصف، مما ساعد على اعطاء حافزودافع لدى ابناء الخليج العربي عامه وابناء الامارات العربية خاصة للتخلص من السيطرة الاستعمارية، ومن اهم وابرز العوامل التي ادت الى قيام اتحاد الامارات العربية:-

اولاً: الهيمنة البريطانية: قامت بريطانيا باستخدام اساليب وممارسات سلبية ضد ابناء امارات الساحل العماني وكان لهذا اثر في نفوس أهالي المنطقة، فاستخدمت اسلوب القهر والتفريق واثارةِ الخلافات وابقاء الاميه وعدم الاهتمام بالجانب الصحي[٢].

استطاعت بريطانيا منذ أوائل القرن التاسع عشر ان تدير، شؤون الخليج العربي عن طريق مقيم سياسي في بوشهر، وظهرت فكرة تعين وكيل بريطاني في الساحل العماني سنه ١٩٢٩م، فقاموا بتعين وكلاء بريطانيين في المنطقه لانه في نظرهم تعين وكيل بريطاني سيبدو وكأنه عقاب رهيب لاهالي المنطقة[٣].

وفيما يخص سياسة الموظفين البريطانين في الخليج العربي فقد كان معظمهم يتخذ من السير أرنولد تالبوتِ ولسن (Aranoid.T.Wilson) وكيل الحاكم الملكي العام في العراق قبيل ثورة ١٩٢٠ مثالاً في الحكم، خاصة وان هذا الرجل عرف بغطرستهِ وتطرفة في ادارة العراق. حيث كانوا ينتهجون سياسة مشابهة لسياسته تجاه العرب [٤].

ويعتبرالتحدي الاجنبي لاقتصاد الخليج العربي التحدي الثاني في حياة عرب الخليج الذين شهدوا تدهور مصدر رزقهم، فصيد اللؤلؤ،لم يعد يجدي نفعا بعد التدهور الذي اصاب تجارته حينما غزت اليابان، قبل قيام الحرب العالمية الثانية بسنوات قليلة، اسواق العالم بانتاجها من اللؤلؤ الصناعي [٥]

فضلا عن تضائل صيد الاسماك والزراعة والصناعات اليدوية التي كانت توفر لاهالي المنطقه مورد مهم للعيش [٦]. وحلت السفن التجارية الكبيرة في النصف الثاني من القرن الثاني عشرالتي تعمل بالبخار محل السفن التقليدية الشراعية وهذهِ السفن كانت تمتلكها الشركات البريطانيه وادى ذلك الى تدهور حركة التجارة في الخليج العربي وتشغيل البحارة الاجانب [٧].

وعلى اساس نمو النشاط التجاري في المنطقه، فان السلطات البريطانية قامت بفتح فروع لمصارفها، ومن ذلك البنك الشرقي الذي استخدم من قبل العناصر الاجنبية اول الامر، ولكن ما لبث أن أقدم التجار المحليون انفسهم على التعامل معه[٨].

ولم تقف بريطانيا عند هذا الحد بل مارست اساليب مجحفة بالقهر والاضطهاد، فتبنت تجهيزعدة حملات عسكرية رافقتها عقوبات مالية كبيرة على الشيوخ، وكانت تلجأ بريطانيا في كثير من الاحيان الى

---

٢ – عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، بريطانيا وامارت الساحل العماني دراسة في العلاقات التعاهدية ، بغداد ، ١٩٧٨ ، ص ٣٧٧.

٣ – عبد العزيز عبد الغني ابراهيم ، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي ، الرياض ، ١٩٨١ ، ص٦٩.

٤ – امين الريحاني ، ملوك العرب ، بيروت ، ١٩٨٠ ،ص ٧٧٧.

٥ – امل عجيل ، قصه وتاريخ ، الحضارات العربيه بين الامس واليوم: السعودية ، الامارات العربية المتحدة ،بيروت ، ١٩٩٩ ، ص ٦٩ .

٦ – اياد حلمي الجصائي ، النفط والتطور الاقتصادي والسياسي في الخليج العربي ، الكويت ، ١٩٨٢ ، ص ٤٤.

٧ – المصدر نفسه ، ص٤٧ .

٨ – محمد غانم الرميحي ، البحرين ، مشكلات التغير السياسي والاجتماعي ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص٧٢.

تحصيل هذهِ الاموال بالقوة،[٩] ناهيك عن اسلوب البريطانيين بعزل الشيوخ ويقومون بنفي من لا يحبذونهُ في المنطقه [١٠].

اما الجانب الاجتماعي فلم يكن هو الاخراحسن حالاعن الجانب الاقتصادي فقد كانت العلاقة مباشرة ما بين الاثنين فالتغلغل الاجنبي ادى الى تهديد مصير أنشطة المنطقة الاقتصاديه، فالصيادون والبحارة والتجار والغواصون عانوا جميعاً من وجود الهيمنة والقوى الاجنبيه الدخيلة على المنطقة، فقد اضطر التجار والقباطنه وأصحاب السفن الذين كانوا في ارتباط مستمر معهم، وصار من الصعب على هؤلاء البحارة الحصول على العمل، وهذا ساعد بدوره على ظهور التباين الاجتماعي والطبقي، وبالنتيجة ادى ذلك الى ثراء طبقه التجار القباطنه واصحاب السفن العاملين مع البريطانيين وفقر وتشرد العاملين المحليين [١١].

لم يقتصر عمل بريطانيا على ذلك فقط بل عمدت الى التفرقه والنزاعات فيما بين القبائل من جانب وبين ابناء القبيلة الواحدة من جانب اخر، وقد بدأت هذهِ الخلافات من خلال تدخلها في التشكيلات الاجتماعية الصغيرة واعترافها بملكيةِ الاراضي لمجموعة معينه دون اخرى، مما ادى الى خلق نزاعات وخلافات جديده استمرت لفترات طويلة [١٢] ومن الاساليب السلبية الاخرى التي انتهجتها بريطانيا فقد شجعت على توافد العناصر الاجنبية ولم تكن امام هذهِ الهجرة في بداية الامر اية عوائق [١٣]، بل على العكس من ذلك فقد كانوا يتلقون مختلف المساعدات من قبل الممثلين السياسين البريطانيين حتى وصل الامر الى تبني الهنود العارفين باللغة الانكليزية تمثيل المصالح التجاريةِ البريطانيةِ في إمارة أبو ظبي [١٤].

وقد لعب عامل اخر مهم في منطقة الخليج العربي وهو اكتشاف النفط فادى الى زيادة الاهتمام الدولي بهذهِ المنطقة الستراتيجيه والحيوية، فقد اكتشف النفط في البحرين سنة ١٩٣٢، والسعودية ١٩٣٨ والكويت سنة ١٩٤٦ وقطر سنة ١٩٤٩ وابو ظبي٢ ١٩٦ وعمان ١٩٦٧ ودبي سنة ١٩٦٩ [١٥].

دفع اكتشاف النفط بعض الدول الى محاولة الدخول لهذهِ المنطقة ومنافسة بريطانيا بهدف الحصول على بعض الامتيازات النفطية،فقد بدات الشركات النفطية الامريكية بالتغلغل في منطقة الخليج العربي

٩ – محمد المندلاوي، تاريخ الامارات العربية، بيروت،٢٠٠٨،ص٢٤٠.
١٠ – المصدر نفسه.
١١ – اياد حلمي الجصاني ، المصدر السابق ' ص٤٤-٤٧.
١٢ – محمد غانم الرميحي ، العوامل التاريخيه والاجتماعية المؤثرة في التعامل الاقتصادي لاقطار الخليج العربي ، مجلة الخليج العربي ، البصرة ، مجلد (٢١) ، العدد (١) ، ص ١٣ .
١٣ – عبد المالك خلف التميمي ، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي ، الكويت ، ١٩٨٣ ، ص ١٨٧ .
١٤ – لوريمر ، دليل الخليج ، القسم التاريخي ، ج١ ، قطر،١٩٦٧ ، ص ٥٢٥ .
١٥ – صلاح العقاد ، معالم التغير في دول الخليج العربي ، القاهرة ، ١٩٧ ، ص ١٢٣ .

مدعومة، من قبل الحكومة الامريكيه للحصول على بعض الامتيازات النفطيه متعلله في سياسة الباب المفتوح [١٦]، وكان هذا بطبيعة الحال بدايةِ لمنافسات وصراعات جديدة في هذهِ المنطقة.

وبحلول الولايات المتحدة الأمريكية في منطقة الخليج العربي إلى جانب بريطانيا، أصبحت امارات الساحل المهادن عرضة لاستنزاف أكثر من طرف واحد بسبب ثرواتها النفطية.

ثانياً: تنامي الوعي الوطني

كان لتردي الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية المارة الذكر في منطقة الخليج العربي، ولد لدى أبناء المنطقة شعوراً وحافزا قويا للانتفاض على هذا الواقع المتدني والمرير ومن العوامل المهمة التي بلورت هذا الشعور هي الآتي:

١. التغيرات التي حصلت على المستوى السياسي والتي شهدتها بعض البلدان العربية حيث أدت إلى إثارة مشاعرهم وشحذ الهمم لدى أبناء إمارات الساحل العماني، ومنها ثورة مصر سنة ١٩١٩، وثورة العراق التحررية الكبرى سنة ١٩٢٠، وثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب ١٩٢١ – ١٩٢٦ [١٧].

٢. تدهورالاوضاع الداخلية بمجملها من دون مراعاة العنصر العربي والمشاعر القومية للسكان والمتمثلة بالاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية [١٨].

٣. دور الصحف العربية الداخلة لمنطقة الخليج العربي ادت الى تنامي الشعور الوطني والقومي لدى ابناء المنطقة خاصة وان تلك الصحف تميزت بعدائها الشديد للاستعمار البريطاني [١٩].

وكان لهذه العوامل دور في زيادة ونمو الوعي السياسي والوطني لدى أبناء المنطقة ففي سنة ١٩١٩، وقعت اول إنتفاضة شعبية كان ورائها عمال البناء والغوص في البحرين الذين يشكلون القوة العاملة الرئيسيه قبل كساد تجارة اللؤلؤ الطبيعي واكتشاف النفط في مطلع الثلاثينيات [٢٠].

وهدف مطالب هذهِ الانتفاضه هي الوقوف بوجه محاولة تطبيق الانظمة والقوانين المدنية والجنائية المعمول بها في الهند، وقد اجتمع قادة الانتفاضة بالشيخ عيسى بن علي، حاكم البحرين انذاك، وطالبوا بوضع حد للتدخل البريطاني في شؤون القضاة، وعزل الاجانب لكن المعتمد السياسي، الميجر ديلي، رفض هذهِ المطالب جميعاً رغم موافقة الشيخ عيسى عليها [٢١].

---

١٦ – سياسة الباب المفتوح:هي مجموعه اسس ومبادى ادرجتها حكومه الولايات المتحده الامريكيه في مذكرتين وجهتهما عامي ١٨٩٨و١٨٩٩ الى الدول الاوربيه واليابان وروسيا تعارض فيهما نهج تقسيم الصين الى مناطق نفوذ فيما بينها وهو ماكان سيفتك بالمصالح الامريكيه في التجاره الحره معها كما تشمل سياسه الباب المفتوح جمله سياسات وتدابير اتخذتها امريكا للوصول الى حصه من نفط منطقه الخليج العربي في عشرينيات القرن الماضي . للتفاصيل عن الامتيازات النفطية التي حصلت عليها الشركات الامريكية ، انظر: خليل علي مراد ، تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي ، بغداد ، ١٩٨٣ ، ص ٢٢– ٢٧ .

١٧ – محمد المندلاوي، مصدر سابق،ص ٢٤٤.

١٨ – جمال زكريا قاسم ، الخليج العربي . دراسة التاريخ الإمارات العربية ١٩١٤ – ١٩٤٥ ، القاهرة ، ١٩٧٣ ، ص ٢٠٣.

١٩ – ابراهيم خلف العبيدي ، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ – ١٩٧١ ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص١٢٣.

٢٠ – المصدر نفسه ، ص ١٢٣.

٢١ – امين الريحاني ، مصدر سابق ، ص ٧٨٣.

مثلت هذه الانتفاضة ومطالبها اللبنة الأولى على طريق العمل الوطني ضد الاستعمار البريطاني وبداية عام ١٩٢٦ – ١٩٢٨ حصلت اضطرابات شاملة نتيجة التدخل في العملية التربوية فعمدوا الى تغير مناهج الدراسة وابعاد المدرسين العرب من امارات الخليج العربي، غير ان بريطانيا استمرت في خططها الرامية الى إخضاع التعليم لسيطرتها المباشرة، وتعين مدير بريطاني للمعارف في البحرين [٢٢].

وحدثت في البحرين انتفاضات اخرى عندما قام عمال البحر بمظاهرة انتهت باشتباكات بين العمال وقوات الشرطة الاجنبية على طوال سواحل مدينتي المحرق والمنامة، استمرت اياماً عديدة سقط خلالها عدد من العمال بين قتيل وجريح [٢٣].

ولم تكن منطقة الخليج العربي بمعزل عما يجري بالنهوض العام لحركة التحرر الوطني العربية بعد الحرب العالمية الثانية فقد تاثرت بذلك، خاصة بعد ثورة ٢٣ تموز ١٩٥٢ في مصر وحرب التحرير الجزائرية ١٩٥٤، وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ في العراق، وتجربة الوحدة السورية المصرية في شباط عام ١٩٥٨ وتأثرها بافكار وتجارب بعض الاحزاب والحركات السياسية [٢٤].

ويتجلى ملاحظة ذلك من خلال ما شهدته المدن الرئيسية في الساحل العماني من مظاهرات تأييداً لمصر سنة ١٩٥٦، وقيام مجموعة من الشبان باشعال النار في القاعدة الجوية البريطانية في الشارقة، وعبرت العناصر الوطنية في هذهِ المنطقة عن مساندتها وتأييدها للوحدة السورية المصرية، وتحولت المهرجانات والاحتفالات السنوية الى مناسبات قومية لالقاء الخطب الحماسية والشعارات التي تدعو الى الوحدة والحرية [٢٥].

لم تقتصر الامور عند ذلك فمع بداية الستينات، شهدت بعض مناطق ساحل عمان اضطرابات قام بها عمال النفط في كل من ابو ظبي وقطر، والذي بدأت اهميتة منذ ٢١/نيسان / ١٩٦٣، اذ تم خلاله الاعلان عن تشكيل (جبهة الوحدة الوطنية)، التي وضعت في برنامجها السياسي عدة أهداف ومطالب، منها ما يخص طبيعة وعمل نظام الحكم في قطر واستخدام الاجانب، والعمل على اجراء انتخابات لاختيار أعضاء المجلس البلدي والمطالبة بالاعتراف رسمياً بالنقابات المهنية [٢٦].

كانت هناك اثارٌ واضحة لانقلاب عام ١٩٧١، الذي قاده قابوس على والده سعيد بن تيمور، بعد أن إعتمد منهجاً جديداً في العلاقات مع بريطانيا واهتمامه بتحسين الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والسياسية في الساحل العماني، مما شجع بعد ذلك الحركات الوطنية فيها الى ضرورة تصعيد عملها ونضالها من أجل التخلص من الهيمنه الاجنبية والحصول على الاستقلال والحفاظ على ثرواتها[٢٧].

ثالثاً: الانسحاب البريطاني من منطقة الخليج العربي.

---

٢٢ – محمد جابر الانصاري ، تاريخ الحركة الديمقراطية في الخليج العربي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٥ ، ١٩٨٠ ، ص٧٧.
٢٣ – مصطفى عبد القادر النجار واخرون ، تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر ، البصرة ، ١٩٨٤ ، ص ١٦٩ .
٢٤ – محمد المندلاوي، مصدر سابق،ص ٢٤٦.
٢٥ – صلاح العقاد ، مصدر سابق ، ص٤٤ .
٢٦ – مصطفى النجار واخرون ، مصدر سابق ، ص١٩١ .
٢٧ – صلاح العقاد ، مصدر سابق ، ص ٤٦ .

في ١٦ كانون الثاني عام ١٩٦٨ اعلنت بريطانيا عن رغبتها بالانسحاب من جميع محمياتها ومستعمراتها شرق المتوسط في نهاية عام ١٩٧١. وهو ما كان ان يسبب خللاً سياسياً وستراتيجياً واضحا في المنطقة لو لم يستعد ابناؤها لاستلام زمام الامور وبالصورة الصحيحة [٢٨].

ومن اهم المؤشرات والمبررات لقرار بريطانيا باعلان الانسحاب من المنطقة استندت الى سببين رئيسيين،هما:-

١. سياسة حزب العمال البريطاني التي تهدف الى التخفيف من النفقات العسكرية وتحويلها للاصلاحات الداخلية [٢٩].

٢. التغير الحاصل في بعض المفاهيم الستراتيجية، فيما يتعلق بالتواجد العسكري

حيث يمكن ان يتعارض مع مفهوم الاحتلال العسكري الشامل بقواعد عسكرية جوية محدودة لها فاعلية كبيرة عند الضرورة التي تحتاجها عملية تأمين المصالح البريطانية ويمكن الانطلاق منها في أي وقت لمساعدة الحكومات المحلية الصديقة، ومن هذهِ القواعد المنتخبة هي سنغافورة وعدن والبحرين [٣٠].

بالاضافة الى ذلك هناك ظروف اخرى على المستوى الدولي جعلت بريطانيا تتخذ هكذا قرار بالانسحاب من الخليج العربي منها الحركات الثورية في الخليج العربي ومنها ثورة ظفارالماركسية عام ١٩٦٥ وكانت تهدف الى تحرير منطقة الخليج العربي فضلاً عن تصاعد الوعي القومي والتحرري في بعض الاقطار العربية، مثل قيام دولة اليمن الديمقراطية عام ١٩٦٧واسقاط نظام الامامة الموالية لبريطانيا، وانقلاب ١٧ – ٣٠ تموز ١٩٦٨ في العراق [٣١].بالاضافة الى ظهورالولايات المتحدة الامريكية كقوة ضغط ودخولها في صراعات ونزاعات دبلوماسية مثل مشكلة واحة البريمي بين الامارات العربية والسعودية وماخلفهما بريطانيا وامريكا،فضلا عن وجود ازمة اقتصادية عانت منها بريطانيا.

إقدمت بريطانيا على هذا القرار من اجل الحفاظ على مصالحها في المنطقة بعد انسحابها منها، لان منطقة الخليج العربي تتمتع بالاهمية ذاتها في نظر بريطانيا خاصة بعد اكتشاف عنصر النفط لانه خلق ظروف واوضاع جديدة في الامارات [٣٢].

استطاعت بريطانيا ان تتخذ جملة من الاجراءات منها تشجيعها لأقامة إتحاد الامارات التسع ومساعدتها ودعمها لحرس ساحل عمان في حالة قيام دولة الاتحاد، وتقديم كل الاحتياجات الضرورية وخاصة المتعلقة بالجوانب العسكرية، بالاضافة الى جانب إنهاء موضوع البحرين والادعاءات الايرانية فيها، وإعتمادها في الوقت ذاته على قوتين كبيرتين في المنطقة، وهما إيران والسعودية، وكذلك التخفيف من حدة الخلافات بين ايران والاقطار العربية وخاصة فيما يتعلق بموضوع الجزر العربية [٣٣].

---

٢٨ – محمد المندلاوي،مصدر سابق،ص ٢٤٧.
٢٩ – لؤي بحري ، الاطماع الاجنبية في جزيرة أبو موسى العربية ، بغداد ، ١٩٧٢ ، ص٢٨ .
٣٠ – صلاح العقاد ، مصدر سابق ، ص ٣٨٣ .
٣١ – محمد المندلاوي،مصدر سابق،ص ٢٥٥.
٣٢ – صوت الخليج ، (مجلة)، البحرين ، العدد ٢١٥، ٣ مارس ١٩٧١.
٣٣ – المصدر نفسه .

ان شعوب العالم،خاصة التي تحت نير الاستعمار، لم تعد تتحمل اوضاع الاستعمار، واخذت تناضل من أجل التخلص من الهيمنة الاستعمارية بشتى الطرق والسبل [٣٤]

بحثت بريطانيا عن اساليب اخرى من اجل ان تضمن مصالحها في المنطقة فأدركت ان اسلوب الاحتلال العسكري المباشر من الاساليب الاستعمارية القديمة، ولم يعد ملائماً لضمان مصالحهم، لذلك بدأو بالبحث عن اساليب جديدة ومغايرة لضمان المحافظة على مصالحهم ووجدوا ان الهيمنه غير المباشرة هو الاسلوب الكفيل بتحقيق أهدافهم لذلك لجأوا الى دعم بعض الحكام الموالين لسياستهم [٣٥].

الا ان هناك انظمة وجدت بقرار الانسحاب البريطاني من المنطقة فرصة سانحة لبناء نفسها ذاتياً، ودعم التوجهات الوطنية في الجوانب السياسية والاجتماعية والاقتصادية [٣٦].

لذلك الغت بعض الانظمة كافة المعاهدات والاتفاقيات مع بريطانيا وبادرت الى اعلان الاستقلال، وهذا ما كان فعلاً في البحرين وقطروابو ظبي ودبي، واعقبتها الامارات الاخرى.

المبحث الثاني: المراحل التاسيسية لقيام اتحاد الإمارات العربية:

في ١٨تشرين الثاني ١٩٦٨م كانت المبادرة الاولى عندما عقد الشيخ زايد في منطقة (السميح) الواقعة بين ابو ظبي ودبي اجتماعاً مع الشيخ راشد بن سعيد آل مكتوم، حاكم دبي حيث تم إعلان اتحاد يضم إماراتي ابو ظبي ودبي كبداية لأتحاد اكبر وأشمل، وتبادل وجهات النظر حول قضية (المجلس الوطني الاستشاري) وطرحت لجنة المستشارين الخمسة، لأختيار أحدهما من قبل المجلس، وهي:

١- مجلس الشورى ٢- مجلس الشورى الوطني ٣- الجمعية الوطنية الاستشارية المؤقتة ٤- المجلس الاتحادي الاستشاري ٥- المجلس الوطني الاستشاري [٣٧].

تم الاتفاق على ان تكون التسمية (المجلس الوطني الاستشاري) [٣٨]. ولكن اثيرت خلافات حول قضيتين هما:

١. نسبة تمثيل كل إمارة في المجلس الاعلى للاتحاد.
٢. اختيار اعضاء الاتحاد.

ونتيجة لهذا الاختلاف الحاصل قرر الجميع ((تأجيل النظر في هذا الموضوع الى ما بعد اجراء اتصالات بين الحكام بشأنه)) [٣٩]، وتأجل هذا الموضوع الشائك الى الجلسة التالية، وتشكلت لجنة من

٣٤ – محمد مرسي عبدالله ، إمارات الساحل وعمان والدوله السعودية الاولى ١٧٩٣ – ١٨١٨ ، ج١ القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٩٥ .
٣٥ – محمد المندلاوي،المصدر السابق،ص ٢٥٦.
٣٦ – المصدر نفسه.
٣٧ – (السياسة)، صحيفة، الكويت،٢٨ ايلول ١٩٦٩.
٣٨ – (صوت الخليج) ، صحيفة، الكويت، ٢٥/ ايلول ، ١٩٦٩ .
٣٩ – المصدر نفسه.

السادة المدرجة أسماؤهم أدناه، للنظر في عدد من القضايا المؤجلة، وفي مقدمتها قضية تفرغ الوزراء الاتحاديين، وعدد من الامارات في المجلس الاستشاري الوطني [٤٠]:

١- عن امارة ابو ظبي – احمد السويدي، ومحمود حسن.
٢- عن امارة الشارقة – يسري الدويك، ومختار الثوم
٣- عن امارة دبي – مهدي التاجر، وعدي البيطار
٤- عن امارة قطر – د. حسن كامل، وعلي جيدة
٥- عن امارة البحرين – يوسف الشيراوي، ود. حسين البحارنه [٤١].

الا ان هناك جملة من الامور بقي المجلس مختلفا عليها وكان موضوع التنوع، الذي بدأ عادياً وقابلاً للحل، من المواضيع المهمه عند الزعماء الخليجيين، واختلفت وجهات النظر حول هذا الموضوع فقال الشيخ محمد المبارك النقاش حول قضية التفرغ قائلاً ان رئيس الاتحاد لايمكن ان يتخلى عن حكمه وشؤونه ورعاياه، اما رئيس الوزراء والوزراء فان المادة ٣ من توصيات لجنة المستشارين عن مجلس الوزراء تنص على ((ان يكون إختيارهم من بين مواطني الاتحاد، ذوي الكفاءة والخبرة، إذا ما توفر هؤلاء وكانوا يتولون مناصب في الامارات ورغبوا في تولي الوزارة الاتحادية،فعليهم أن يتخلوا عن مناصبهم)) [٤٢]. وهذا الحكم إن جاز بالنسبة لرئيس الاتحاد، لا يمكن للحاكم أن يتنحى عن حكمه [٤٣]. واقترح وفد ابو ظبي ((أن يجمع الوزير بين الوزارة الاتحادية، وأي عمل رئيس أخر بشرط تحديد العمل وعدم مزاولة الاعمال التجارية)) [٤٤]. واتفق ولي عهد عجمان وحكام الشارقة على ضرورة أن تطبق قاعدة التفرغ التام على الجميع أو لا تطبق هذهِ القاعدة إطلاقاً، ووافق وفد قطر، ووفد إمارة ام القيوين، على رئاسة امارة ابو ظبي، وحسماً للخلاف اقترح الشيخ محمد المبارك إحالة الموضوع برمته الى اللجنة الدستورية لدراسته.

اتخذ قرار بان تحسم الخلافات التي ظهرت في الاجتماعات السابقة، وان يعقد اجتماع المجلس الاعلى لاتحاد امارات الخليج العربي في ابو ظبي بتاريخ ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٩ [٤٥].

كانت اهم القضايا التي تحتاج الى حل في ظل هذه الظروف من قبل حكام الامارات اختيار عاصمة اتحادية وحكومه اتحادية، وهل يجب ان تحسم مسألة اشراك البحرين في الاتحاد بعد أن أصرت ان تكون لها كلمة نافذة ومسموعة بسبب عدد سكانها البالغ عددهم (٢٠٠٠٠٠)نسمة، وان تكون اتحاد من دون البحرين، فأن أبو ظبي، الذي كان من المقرر ان يصبح دخلها من النفط (١٠٠) مليون جنيه إسترليني، ستكون القاعدة النافذه في الاتحاد [٤٦].

---

٤٠ – محمد المندلاوي، مصدر سابق،ص٢٥٦.
٤١ – صوت الخليج (صحيفة) ، ٢٥ ايلول ١٩٦٩ .
٤٢ – الراي العام (صحيفة) ، الكويت ، ٢٩ أيلول ١٩٦٩.
٤٣ – صوت الخليج (صحيفة) ، ٢٥ ايلول ١٩٦٩ .
٤٤ – الرأي العام (صحيفة) ٢٩ ايلول ١٩٦٩ .
٤٥ – (الرأي العام) (صحيفة) ، الكويت ، ٢٩ ايلول ١٩٦٩ .
٤٦ – المصدر نفسه .

واما المباحثات لم تسفر عن نتيجة معينة، غير ان انسحاب بريطانيا من المنطقة دفع بحكام الامارات في تشكيل الحكومة بأسرع وقت ممكن من أجل مواجهة التحديات الداخلية والخارجية التي تحيط بهم [٤٧].

فضلا عن ذلك ظهرت خلافات اخرى فيما يخص شكل الدولة الاتحادية، وقد اشتدت الخلافات اكثر بين البحرين وقطر، لأن كل واحدة منها أرادت ان تؤمن لنفسها مركزاً في الاتحاد القادم، وعليه فشلت المباحثات بسبب تمسك كل إمارة بموقفها المتزمت، وتاجل الموضوع الى اجتماع أخر عقد في تشرين الاول ١٩٧٠ وبتاريخ ١٤ أب و ١ ايلول / ١٩٧١ اعلنت كل من البحرين وقطر استقلالها بشكل متتالي [٤٨].

المبحث الثالث: إعلان دولة الإمارات العربية المتحدة:

كان اعلان البحرين وقطر استقلالها، قد سهل كثير من الامورالمتعلقة بعملية توحيد الامارات الباقية، فقد توصل حكام ست إمارات من أصل سبع، تقع على الشاطئ المتصالح، الى اتفاقية حول مبدأ الاتحاد الذي اصبح عددهِ ست، وبتاريخ ٢ كانون الاول ١٩٧١ أعلن عن قيامهِ بشكل رسمي، اما امير راس الخيمة فقد رفض الاشتراك في الاتحاد معتبراً أن حقوقه لم تحترم بالشكل المطلوب [٤٩]، لكن في ١٠ شباط ١٩٧٢ عاد لينضم الى الاتحاد وأنضمت الدولة الجديدة الى جامعة الدول العربية في ٦/كانون الاول / ١٩٧١ لتكون الدولة الثانية عشرة فيها، وفي ٩/كانون الاول إنضمت الى الامم المتحدة لتصبح الدولة (١٣٢) فيها [٥٠].

ان الذي يحكم دولة الامارات العربية المتحدة الدستور المؤقت، منذ قيامها، وقد حدد الدستور مهام الهيئات الاتحادية مثل المجلس الاعلى للحكام والحكومة الاتحادية، والمجلس الوطني الاتحادي والنظام القضائي الاتحادي، وكان الهدف الاساس من الدستور إرضاء رغبة ابو ظبي في الوحدة من جهة ومن جهة اخرى ارضاء رغبة الامراء في الحكم الذاتي [٥١].

مكن الدستور الدائم، الذي وضعته لجنة من (٢٨) عضواً في تموز ١٩٧٥، والذي تقرر ان يوضع موضع التنفيذ في الثاني من كانون الاول ١٩٧٦، من تعزيز المؤسسات الاتحادية والغاء بعض الامتيازات التي كان يتمتع بها حكام الامارات، ولكن المعارضة القوية التي جوبه بها هذا الدستور جعل المجلس الاعلى للحكام لا يقرونه، وتم تقديم اقتراح بديل له في تموز ١٩٧٦ للابقاء على الدستور المؤقت لمدة خمس سنوات اخرى وبحلول تشرين الاول ١٩٧٦ وعبرت الجمعيه الاتحادية على الاقتراح، وعبرت في

٤٧ – المصدر نفسه .
٤٨ – المصدر نفسه .
٤٩ – (العربي)، مجلة، العدد ١٦٠،الكويت،مارس،١٩٧٢،ص ٢٩٠.
٥٠ – المصدر نفسه.
٥١ – المصدر نفسه.

الوقت نفسه عن رغبتها بتعديل بعض البنود التي اثارت جدلا كبيرا حولها في سبيل تعزيز القوة الاتحادية،لاسيما في مجالات الميزانية والمالية والمجالات العسكرية[٥٢].

ويشكل المجلس الاعلى للحكام، الذي يضم امراء (ابو ظبي، دبي،الشارقة، رأس الخيمة، الفجيرة، عجمان، أم القيوين)، السلطه الحاكمة العليا في دولة الامارات العربية المتحدة وعهد الى الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان الى امارة ابو ظبي، وراشد بن سعيد المكتوم الى امارة دبي، اما بقية الاعضاء فهم سلطان بن محمد القاسمي، أمير الفجيرة، والشيخ أحمد بن محمد الشرقي أمير عجمان، والشيخ راشد بن حميد النعيمي، أمير أم القيوين والشيخ أحمد بن راشد المعلا [٥٣].

ومن المهام المناطة بهذا المجلس هو معالجة المشاكل الخاصة بالدفاع والشؤون الخارجية والتعليم والمالية، فضلاً عن مهام كل أمير في إمارتهِ ومنطقة حكمه في قضايا السياسة الداخلية والادارة المحلية، ولا يجوز للمجلس أن يتخذ أي قرار الا بموافقة خمسة من أعضائه، على ان يكون بينهم حتماً الرئيس ونائب الرئيس المجلس اللذان يتمتعان بحق النقض [٥٤].

وقد تم توزيع المناصب في المجلس على النحو الاتي:

١. أبو ظبي (١٢)
٢. دبي (٥)
٣. رأس الخيمه (٤)
٤. الشارقة (٣)
٥. عجمان (٢)
٦. الفجيرة (١)
٧. أم القيوين (٢)

تالفت الحكومة في ٣ كانون الثاني ١٩٧٧ ووزعت المناصب كالاتي:

ابو ظبي (٢٨)، دبي (٥)، رأس الخيمة (٤)، الشارقة (٣)، عجمان (١)، الفجيرة (١)، أم القيوين (١) [٥٥].

ويقوم رئيس المجلس الاعلى بتعين رئيس الوزراء بعد استشارة أعضاء المجلس الاخرين، وهو الذي يعين الوزراء، بعد إستشارة رئيس الوزراة، وترأس الحكومة الاتحادية منذ إنشائها الشيخ مكتوم بن راشد المكتوم، ولي عهد دبي.

---

٥٢ – محمد عبد الغني سعودي،الخليج بين مقومات الوحدة وصراع القوى الاعظم ،مجلة دراسات الخليج العربي، العدد ٢٠،تشرين الاول،١٩٧٩،ص٢٩.

٥٣ – اسماعيل صبري مقلد ، الصراع الامريكي السوفيتي حول الشرق الاوسط (الابعاد الاقليمية والدولية) الكويت ، ١٩٨٦ ، ص ٤٣٢ .

٥٤ – المصدر نفسه .

٥٥ – علي محمد راشد ، مولد دولة ، العربي ، (مجلة) ، العدد ١٦٠ ، الكويت ، ١٩٧٧.

وبموجب دستور ١٩٧١ تألف المجلس الوطني الذي تألف من (٣٤ عضواً) توزعوا على (٨) من ابو ظبي و(٨) من دبي و (٦) من الشارقة و(٤) من عجمان و (٤) من الفجيرة و(٤) من أم القيوين. وتختص الجمعية بمناقشة القوانين التي تعدها الحكومة قبل تقديمها للمجلس الاعلى ليصادق عليها، وتستطيع الجمعية، اذا ما رأت ذلك ضرورياً أن تعدل هذهِ القوانين، ولكنها مع ذلك لاتملك حق التصويت عليها، كما لها الحق في مناقشة كل المواضيع التي تهم مصلحة الاتحاد العامة، وتمتد فترة عملها الى السنتين [٥٦]. وحدد دستور ١٩٧١، النظام القضائي الاتحادي، فيشمل المحكمة العليا بالمحكمة البدائية، ويضم المجلس الاعلى خمسة أعضاء، ويعين رئيسة رئيس المجلس الاعلى للحكم بعد موافقة المجلس.

استطاع الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان، رئيس دولة الامارت العربية المتحدة، ان يحدد اهداف الاتحاد في خطابه أثناء افتتاح الفصل التشريعي الاول بتاريخ ١٣/ شباط ١٩٧٢، بالقول [٥٧]:

١. المحافظة على حماية حقوق وحريات شعب الاتحاد، وتحقيق التعاون الوثيق فيما بين اماراتها لصالحها المشترك، من اجل هذهِ الاهداف والاغراض ومن اجل ازدهارها وتقدمها في كافة المجالات، وتوفير الحياة الافضل لكل المواطنين.
٢. الحفاظ على استقلال الاتحاد وسيادتهِ وعلى أمنهِ واستقراره وهو مانصبوا اليه، ودفع كل عدوان على كيانه او كيان الامارات الاعضاء فيهِ.
٣. احترام كل امارة عضو في الاتحاد لاستقلال وسيادة الامارات الاخرى في شؤونها الداخلية في نطاق الدستور.

اما سياسة الاتحاد الخالصة فقد اكد عليها الشيخ زايد وهي نصرة القضايا والمصالح العربية والاسلامية واقامة علاقات ودية وطيبة وتوثيق اواصر الصداقة مع كل الدول والالتزام بالاخلاق المثلى والتاكيد على الزامية التعليم والاهتمام بالجانب العلمي ودفع العملية التربوية للامام وتوفير فرص العمل للمواطنين بدون استثناء والتاكيد على اهمية الثروات والموارد الطبيعية في كل امارة مملوكة ملكية عامة لتلك الامارة [٥٨].

ولم يفت دولة الامارات العربية على التركيز حول نقطة مهمه وهي المجال الاقتصادي والثروة الوطنية وتحقيق أفضل تنمية اقتصادية للبلد من اجل رفع مستوى المعيشة وتحقيق الرخاءالمعاشي للمواطنين [٥٩].

ان قيام دولة الامارات العربية هي ضرورة تاريخية مهمة جاءت لمواجهة كل التحديات في منطقة الخليج العربي وخاصة بعد الانسحاب البريطاني منها، وانهت كل التحديات الداخلية والخارجية ونهجت

---

٥٦ – المصدر نفسه.

٥٧ – ينظر: مجموعة خطب صاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان ال نهيان ، رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ١٩٧١ – ١٩٨٣ ، منشورات مركز التوثيق الاعلامي ، وزارة الاعلام والثقافة دولة الامارات العربية المتحدة ، بلا ، ص ١٤ – ١٥ .

٥٨ – منشورات مركز التوثيق ، المصدر السابق ، ص١٤ .

٥٩ – المصدر نفسة ، ص ١٥ .

نهج الامارة الواحدة المتماسكة بمختلف جوانبها بعد ان كانت امارات متفرقة ومتباعدة وهو ما اثبته تاريخ هذه الدولة الى الان.

الخاتمة

من خلال ما تقدم ذكره في هذا البحث يتضح لنا جمله من الاستنتاجات نجملها بالنقاط التالية: –

١. عانت دولة الامارات العربية المتحدة من السيطرة الاستعمارية واتبع الاستعمار شتى انواع القسوة والبطش ضد ابناء الامارات.
٢. توجهت انظار المستعمرين الى منطقة الخليج العربي عامة والامارات خاصة بفعل موقعها الستراتيجي وثرواتها الطبيعية يأتي في مقدمتها النفط.
٣. واكبت دولة الامارات العربية المتحدة التطور الحضاري بفعل قادتها وابنائها فشمل تطورها كافة الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية ويمكن ملاحظة ذلك من اقوال شيوخهم السابقه الذكر.
٤. تبوءت دولة الامارات العربية مركزاً عالمياً، وذات صرح حضاري وتاريخي، اصبح ماثلاً للعيان لكل المجتمعات الشرقية والغربية بما حققته من تطور عمراني بفترة قياسية وجيزة.
٥. واخيراً لا بد لنا من الاشارة الى تنامي الوعي الوطني والقومي للقادة والشيوخ وابناء الامارات ومراعاتهم لغالبية القضايا الحساسة في محيط دولتهم.

قائمة المصادر والمراجع

١. ابراهيم خلف العبيدي، الحركة الوطنية في البحرين ١٩١٤ – ١٩٧١، بغداد، ١٩٧٦
٢. اسماعل صبري مقلد، الصراع الامريكي السوفيتي حول الشرق الاوسط، الابعاد الاقليمية والدولية، الكويت، ١٩٨٦.
٣. امل عجيل، قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الامس واليوم، بيروت ١٩٩٩.
٤. امين الريحاني، ملوك العرب، بيروت، ١٩٨٠.
٥. أياد حلمي الجصاني، النفط والتطور الاقتصادي السياسي في الخليج العربي، الكويت، ١٩٨٢.
٦. جمال زكريا قاسم، الخليج العربي – دراسة لتاريخ الامارات العربية ١٩١٤ – ١٩٤٥، القاهرة ١٩٧٣.
٧. خليل علي مراد، تطور السياسة الامريكية في منطقة الخليج العربي، بغداد، ١٩٨٣
٨. صلاح العقاد، معالم التغير في الخليج العربي، القاهرة، ١٩٧٢.
٩. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي، الرياض ١٩٨١.
١٠. عبد العزيز عبد الغني ابراهيم، حكومة الهند البريطانية والادارة في الخليج العربي، الرياض ١٩٨١.
١١. عبد المالك خلف التميمي، الاستيطان الاجنبي في الوطن العربي، الكويت، ١٩٨٣.
١٢. محمد غانم الرميحي، البحرين، مشكلة التغير السياسي والاجتماعي، بيروت، ١٩٧٦.

١٣. محمد مرسي عبد الله، امارات الساحل وعمان والدولة السعودية الاولى ١٧٩٣- ١٨١٨،ج١، القاهرة، ١٩٧٨.
١٤. لوريمر،دليل الخليج،القسم التاريخي،ج١،ترجمة مكتب ديوان امير قطر، قطر.
١٥. لؤي بحري، الاطماع الاجنبية في جزيرة ابو موسى العربية،بغداد،١٩٧٢.

الدوريات: المجلات

١-الراي العام، صحيفة، الكويت،٢٥ /ايلول/١٩٦٩.
٢-الراي العام،صحيفة،الكويت،٢٩/ايلول/١٩٦٩.
٣-صوت الخليج، مجلة،البحرين،١٩٧١.
٤-محمد جابرالانصاري،تاريخ الحركة الديمقراطية في الخليج العربي،مجلة المؤرخ العربي،العدد ١٥، ١٩٨٠.
٥-محمد عبد الغني سعودي،الخليج بين مقومات الوحدة وصراع القوى الاعظم،مجلة دراسات الخليج العربي،العدد٢٠، ١٩٧٩.
٦-محمد غانم الرميحي،العوامل التاريخية والاجتماعية المؤثرة في التعامل الاقتصادي،مجلة الخليج العربي،البصرة،العدد ١، ١٩٨٠.

قسم
الانكليزي

Nida, E. (1964). Toward a Science of Translating. Netherlands: E. J. Brill.

Radwan, R. (1975). A Semantico-Syntactic Study of the Verbal Piece in Colloquial Egyptian Arabic, Ph. D. Dissertation, University of London.

Robins, H. (1971). General Linguistics An Introductory Survey. London: Longman Group Ltd.

Ryding, K. (2005). A Reference Grammar of Standard Arabic. Cambridge:

Cambridge University Press.

Quirk, R., S. Greenbaum, G. Leech, and J. Svartrik. (1972). A Grammar of

Contemporary English. London: Longman.

---------- (1976) A University Grammar of English. London: Longman.

----------. (1985). A Comprehensive Grammar of the English Language.

London: Longman.

Swick, E. (2010). English Verbs & Essentials of Grammar. New York: McGraw-Hill Companies.

Wightwick, J. and Gaatar, M. (2008). Arabic Verbs & Essentials of Grammar. New York: McGraw-Hill Companies.

Wright, W. (1967). A Grammar of the Arabic Language. 3rd edn. 2 vols. Cambridge:Cambridge University Press.

verbs form the simple past tense in more than one way. Some make a vowel change. Some make a vowel and consonant change. A few trans form completely. And a small group of verbs in the past tense looks identical to the present-tense verb. In Arabic, In Arabic, The past tense refers to a completed action and thus equates in most respects with English past tense and past perfect. The past stem is formed from the three root letters with a fatHa after the first root and a fatHa (or sometimes a kasra) after the second root letter (katab/sharib). Endings are added to the stem to show the subject of the verb.

5. English has no verbal inflection to mark a future tense. Instead, English makes use of a number of forms to refer to future events. In Arabic, the future may be made by adding (sawfa) or (sa) to the present.

6. In English, verbs have two aspects: the perfect aspect and the progressive aspect, while in Arabic an action started in the past and continuing into the present is usually rendered by the present tense in Arabic. The preposition ***mundhu*** is used to specify at which point in the past the action started. As far as Progressive is concerned, the present is used in Arabic for both continuous and habitual actions and states.

References

Bybee, J. (1985). Morphology: a study of the relation between meaning and.

Form. Amsterdam: John Benjamins Press.

Comrie, B.(1985). Tense. Cambridge: Cambridge University Press.

Eckersley, C.E. and J.M. Eckersley. (1972) A Comprehensive English

Grammar for Foreign Students. London: Longman Group Ltd.

Eisele, J. (1990)."Time Reference, Tense and Formal Aspect in Cairene.

Arabic,"Perspectives on Arabic Linguistics I. ed. by Mushira Eid.

Gadalla, H. (2000). Comparative Morphology of Standard and Egyptian

Arabic, Muenchen:.

Greenbaum,S. and Nelson, G. (2002). An Introduction to English Grammar.

London: Longman Group Ltd.

Haywood, J. and Nahmad,H.,(1962). A New Arabic Grammar of the Written

Language. Cambridge: Harvard University Press.

Holes, C. (2004). Modern Arabic Structures, Functions and Varieties.

Revised ed. Georgetown University Press.

Needless to say that the tense/aspect systems differ from one language to another, particularly in languages which belong to different families such as English and Arabic. That is why Nida (ibid: 199) affirms that"regardless of the formal or semantic differentiations made in the tense system, the important fact is that no two systems are in complete agreement."

Conclusions:

1. Tense is the grammatical expression of the location of events in time. It anchors an event to the speaker's experience of the world by relating the event time to a point of reference. The universal, unmarked reference point is the moment of speaking – speech time. In narrative, a point in past time is usually taken as the reference point.

2. English has two tenses, the present and the past, the past being the marked

form, both morphologically and semantically. In Arabic language there are also two basic tenses: the past and the present.

3. The basic meaning of the present tense is to locate a situation holding at the present moment. This may be an instantaneous event expressed with either simple or the progressive form (*I promise to wait*), a state which holds over time expressed with the simple present form(*Jupiter is the largest planet*), or a habitual occurrence also expressed with the simple resent form (*He works in an office*). Secondary meanings of the Present include reference to past and future events, 'historic present' (*This man comes up to me...*) and the quotative (*and she goes*/*she's like 'I don't believe it'*). The simple present tense of most verbs requires only an *-s* ending in the third-person singular. This is true whether the subject is a pronoun (*he, she, it*) or a singular noun. The first- and second-person pronouns (*I, we, you*), the third-person plural pronoun (*they*), and plural nouns require no ending in the present tense of this type. In Arabic, the present tense, or imperfect, refers in a general way to incomplete, ongoing actions or ongoing states.The present stem in Arabic is formed from the three root letters with a vowel after the second (ktub/shrab/jlis). Prefixes, and sometimes also endings, are added to the stem to show the subject of the verb.

4. The past tense primarily refers to a definite event or state that is prior to utterance time. Its secondary uses refer to a present event or state as hypothetical (*If I were you*). The simple past tense of most verbs requires an *-ed* ending with regular verbs. No other conjugational endings are needed for any of the persons in either the singular or plural. Irregular

continuous, but they are compound tenses involving the use of auxiliary verbs and particles

Tense and aspect can be described as two different ways of looking at time. Tense usually deals with linear points in time that stretch from the far past into the future, in relation to the speaker. Aspect, on the other hand deals with the degree of completeness of an action or state: is the action completed, partial, ongoing, or yet to occur? So the perspectives of tense and aspect are different: tense focuses on the point on the timeline at which the action occurs, whereas aspect is focused on the action itself – whether it is complete or not(ibid).

In Standard Arabic, the basic distinctions in the verb are fundamentally aspectual, not tense-related. However, they are often treated as tense distinctions for the sake of those who speak such a language as English. The earliest grammar book of the Arabic language, the /kitaab/ of Sibawayh states that there are three forms of the Arabic verb:

one signaling the past time, the other indicating the present or future, while the third expresses commands or orders. The early Arab grammarians call the first form /?al-maaDi/ which merely means ‘the past’ and call the second form /?al-muDaari9/ which means ‘that which is similar (to the noun).’ Modern linguists now use the terms perfect(ive) and imperfect(ive) for the two forms, respectively. The two forms are distinguished morphologically as stated by Gadalla (2000: 76)."The perfect form is obtained by the attachment of suffixes only, whereas the imperfect form is obtained via the addition of confixes, i.e., combinations of prefixes and suffixes.”

Other linguists, like Eisele (1990:52), propose that the distinction between these two forms corresponds to a distinction between past and non-past, others assert that there is no one-to-one correspondence between aspect and tense. Therefore, Radwan (1975: 30) affirms that aspect and tense should be treated as two independent categories. …. Both terms are used to name two different features of verbal patterns. The term ‘Aspect’ covers then semantic ranges of completion versus non-completion and continuation versus noncontinuation, whereas ‘Tense’ covers time reference.

Nida (1964: 198-9) indicates that while tense marks the relative time of events, aspect defines the nature of the action. He also asserts that"when translating from one language to another, it is necessary not only to adjust to quite a different system, but also to consider the special restrictions which may exist within such a system.”

سوف يزرع الفلاح البطاطا في الخريف.

The farmer will plant potatoes in the Fall.

(Ryding, 2005:443) calls it the future tense which is formed by prefixing either the morpheme sa or the particle sawfa to a present tense indicative verb. The verb may be active or passive. The particle sa- is identified by some grammarians as an abbreviation of sawfa.

4. Discussion and Conclusions

Tense/Aspect Distinctions in English and Arabic

Ryding (2005:51) affirms that tense and aspect can be seen as two different ways of viewing time. Tense usually deals with linear points extending from the past into the future. Aspect sees the completeness of an action or state as central: is the action over with and completed, ongoing, or yet to occur? The points of view of the two terms are different: one focuses on when the action occurs and the other focuses on the action itself whether it is complete or not. These two grammatical categories do overlap to some extent and have in practice blended into one in Modern Standard Arabic.

Wright (1967:51) says:"The temporal forms of the Arabic verb are two in number, the one expressing a finished act, one that is done and completed in relation to other acts (the Perfect); the other an unfinished act, one that is just commencing or in progress (the Imperfect)"(emphasis in original). On the same page he gives an indication of the complexity of Arabic tense/aspect relations when he states that"The Arabian Grammarians... have given an undue importance to the idea of time, in connection with the verbal forms, by their division of it into the past (al-maaDii الماضي) the present (al-Haal الحال) and the future (al-mustaqbal الاستقبال) the first of which they assign to the Perfect and the other two to the Imperfect."

There are two basic morphological tenses in Arabic: past and present, also called perfective and imperfective, respectively. In dealing with the modern written language, many linguists and teachers find it more pragmatic to describe Arabic verbs in terms of tense, and the terms past/present (referring to time or tense) and perfect/imperfect (referring to aspect) are often used interchangeably.

There is also a future tense as Ryding(2005: 440)& Holes(2004:234) indicated by prefixing either sa- or sawfa to a present tense form. Other tenses exist, such as the past perfect, the future perfect, and the past

هن they (fem.) يكتبن yaktubna (ibid.)

If we look at the table, we can see that the present stem which appears in all the examples is كتب` (*ktub):* the three root letters *k/t/b*, with no vowel after the first letter and a *Damma* (`o``) after the second. The different letters added on the beginning and end *(prefixes* and *suffixes*) are arranged around this present stem to show the subject of the verb.

The present is used for both continuous and habitual actions or states, where in English we might use a different tense:

يلعب الاطفال الكرة يوم الجمعة.

The children play football on Friday(s).

يجلس صديقك في مقعدي

Your friend is sitting on my chair!

As with the past, the vowel on the second root letter varies in the present. If the middle vowel on the past is a kasra, then it usually changes to a fatHa in the present:

شربshariba (he drank)

يشربyashrab (he drinks)

However, the majority of verbs have fatHa as the middle vowel of the past and, for these verbs, there is no rule to follow in the present. If we need to know the vowel, we can look in a dictionary where we will find the middle vowel written after the entry. In most cases the middle vowel will not affect the meaning of the text or our understanding of it(ibid.).

Ryding(2005: 345) tackles the issue of Present Perfect Continuous with mundhu in Arabic by saying"An action started in the past and continuing into the present is usually rendered by the present tense in Arabic, whereas in English, the present perfect is used. The preposition mundhu is used to specify at which point in the past the action started. This structure may occur with verbal predications or with equational predications".

يعمل في الادارة منذ شهرين

He has been working in the administration for two months.

3.3 The Future

This procedure conveys an explicitly future action. If we want to talk about the future in Arabic we also use the present tense. The word سوف (*sawfa*) or the prefix س (*sa*) are usually added to the front of the verb to indicate the future (Wightwick, J. & Gaatar,2008: 18).

سنذهب الى المتحف المصري غدا.

We are going to the Egyptian museum tomorrow.

and become familiar with in the first place. There are also different endings for two people (the dual). We do not have to use the personal pronouns (he, she, etc.) before the verb as we do in English. If we see an Arabic sentence like this:

كتبت رسالة لامها(She) wrote a letter to her mother.

We can tell it is"she"because of the ending of the verb (katabat). The sentence could be more specific and say exactly who wrote the letter (the subject of the verb). Then we would see:

كتبت فاطمة رسالة لامها.Fatma wrote a letter to her mother.

In written Arabic the subject (Fatma) usually comes after the verb (wrote).

3.2 The Present Tense

The present tense, or imperfect, refers in a general way to incomplete, ongoing actions or ongoing states. It corresponds to both the English present and present continuous tenses. There is no distinction between these in Arabic.

The present tense is formed from the present tense stem of a verb,

to which both a prefix and a suffix are added. The stem by itself is not an

independent word; it needs the prefixes and suffixes to convey a complete

meaning (Ryding,2005:441).

Wightwick(2008:15) states that the present is used for an action (or state) which is still going on (unfinished). Whereas the past is formed by adding endings to a stem, the present adds letters on the beginning *and* end of a different present stem to show the subject of the verb. The following table explains the addition to the present:

Singular		
انا I	اكتب	’aktub(u*)
انتyou (masc.)	تكتب	taktub(u*)
انتyou (fem.)	تكتبين	taktubiina
هوhe/it	يكتب	yaktub(u*)
هي she/it	تكتب	taktub(u*)
Plural		
نحن we	نكتب	naktub(u)
انتم you (masc. pl)	تكتبون	taktubuuna
انتن you (fem. pl)	تكتبن	taktubna
هم they (masc.	يكتبون	yaktubuuna

3.1 The Past Tense

(1) Action in the past: The Arabic past tense refers to a completed action and thus equates in most respects with English past tense and past perfect

(2) Non-past action: Depending on the context, the Arabic past tense may also be used to convey other meanings (Ryding,2005:440).

The past tense in Arabic is formed by suffixing person-markers to the past tense verb stem. The person markers in the past tense also denote number (singular, dual, plural) and gender.

In a simple regular verb, the basic past tense will look like this:

كتب(kataba): (he) wrote

شرب(shariba): (he) drank

حمل(Hamala): (he) carried

If we take off the final vowel, هو ("he"/"it") this part of the verb (third person masculine singular) becomes the base, or stem of the past tense. Different endings can be added to this past stem depending on who is carrying out the action (the subject of the verb). So, كتب (kataba) is"he wrote"and كتب (katab) is the past stem. If we add the ending ت (tu) to the stem, it becomes كتبت (katabtu) –"I wrote"; if we addنا (naa), it becomes كتبنا (katabnaa) –"we wrote,"etc. Here is a table showing all the endings for the past tense:

singular	Ending	Example
انا I	ت (tu)	كتبت (katabtu)
انت You (mus)	ت (ta)	كتبت (katabta)
انت (fem)	كتبت (ti)	كتبت (katabti)
هو He/it	- (a)	كتب (kataba)
هي she /it	ت (at)	كتبت (katabat)
Plural	Ending	Example
نحن We	نا (naa)	كتبنا (katabnaa)
انتم You(mas.)	تم(tum)	كتبتم (katabtum)
انتنYou (fem.)	تن(tunna)	كتبتن (katabtunna)
هم They(mas.)	وا (uu)	كتبوا (katabuu)
هن They(fem.	ن (na)	كتبن (katabna)

Wightwick, J. & Gaatar, M. (2008: 16)

One can note that we will not meet or need the feminine plurals as often as the masculine plurals. This is because we only use the feminine plural if all the people in a group are female. If the group is mixed male and female, the masculine is used. Therefore, this form is the most important to learn

2.4.2 Future time in the past

Most of the future constructions just discussed can be used in the past tense

to describe something which is in the future when seen from a viewpoint in

the past.

(a) Auxiliary verb construction with *would* (rare; literary narrative style)

The time was not far off when he *would* regret this decision.

(b) *Be going to,* + infinitive (often with the sense of 'unfulfilled intention')

You *were going to* give me your address.

(c) Past progressive (arrangement predetermined in the past)

I *was meeting* him in Bordeaux the next day.

(d)Be to + Infinitive (formal); 'was destined', 'was arranged')

He was later to regret his decision.

The meeting was to be held the following week.

(e) Be about to + infinitive ('on the point of'; often with the sense of 'unfulfilled intention').

He was about to hit me. (ibid.)

3. Tenses in Arabic Language

Wightwick, J. & Gaatar, M. (2008: 14) state that Arabic is relatively straightforward when it comes to tenses. Some languages have many tenses and are very specific about the time of an action and whether or not the action has been completed. Arabic grammar is vague about time and aspect, there are only two basic tenses:

• The past (or perfect) الماضي

• The present (or imperfect)المضارع

The present is used for both continuous and habitual actions or states, where in English we might use a different tense. The past stem is formed from the three root letters with a *fatHa* after the first root and a *fatHa* (or sometimes a *kasra*) after the second root letter (*katab/sharib*). Endings are added to the stem to show the subject of the verb. The present stem is formed from the three root letters with a vowel after the second (*ktub/shrab/jlis*). Prefixes, and sometimes also endings, are added to the stem to show the subject of the verb. The future may be made by adding (*sawfa*) or (*sa*) to the present.

In main clauses, the future use of the simple present may be said to represent

a marked future of unusual definiteness, attributing to the future the degree

of certainty one normally associates with the present and the past. It is used,

for example, for statements about the calendar:

Tomorrow is Thursday. School finishes on 21st March.

Also to describe immutable events or 'fixtures', whether or not these are

determined by human planning:

When is high tide?

What time does the match begin?

The present progressive is especially used with transitional dynamic verb like arrive, come, go, land, start, stop, etc.

The plane is taking off at 5.30

Both the simple present and the present progressive are often used with transitional dynamic verb like arrive, come, leave, etc. both having the meaning of ‘plan’ or ‘program’:

The train{ is leaving }tonight from London.

Leaves (ibid.)

e. Will /shall + progressive infinitive

Swick, (2010:4) maintains that the modal verb construction can be used with the progressive infinitive in a way which simply combines reference to a future time with the 'temporal frame' associated with the progressive: will, shall+ Be + V-ing. The use of this combination avoids the interpretation(to which will, shall, and Be Going to are liable)of volition, insistence, etc.

He’ll do his best (future of volitional interpretation possible)

He’ll be doing his best (future interpretation only)

f. Be about to + infinitive*, on the other hand, expresses near future:*

The train *is about to* leave.

I'*m about to* read your essay. (Quirk et al., 1985:192)

g. Be to + infinitive

This expression (a) arrangement, (b) command, or (c) pre-destined future:

a) We *are to be married* soon.
b) You *are to be* back by 10 O’clock.
c) If *he’s to succeed* in his new profession, -------

the infinitive. Its general meaning is 'future fulfilment of the present'. In fact, the construction has two more specific meanings, of which one, **future fulfillment of present intention**, chiefly associated with personal subjects and agentive verbs:

When are you going to get married?

Laila is going to lend us her camera.

The other meaning, **Future result of present cause**, is found with both personal and non-personal subjects:

It's going to rain.

She's going to have a baby.

As these examples suggest, the association of be going to with the present

often leads to the assumption that it indicates the proximity of the future

event. Unlike will and '11, be going to is not generally used in the clause

superordinate to a conditional clause:

If you leave now, you'll never regret it.

c. Present progressive

Quirk etal. (1976:43) affirm that the present progressive can refer to a future happening anticipated in the present. Its basic meaning is: fixed arrangement, plan, or programme:

The orchestra is playing a Mozart symphony after this.

The match is starting at 2.30 (tomorrow).

Since the progressive is used to denote present as well as future, a time adverbial is often used to clarify in which meaning the verb is being used:

They are washing the dishes now

later

The present progressive is especially used with transitional dynamic verb like arrive, come, go, land, start, stop, etc.

The plane is taking off at 5.30

d. Simple present

The simple present is, after the will/shall construction, the next most common means of referring to future actions in English. This future use of the simple present is frequent, however, only in dependent clauses, where it is regularly used after conditional and temporal conjunctions such as (if, unless, and when, as well as in some that-clauses:

What will you say if I swim in the river?

At this rate, the guests will be drunk before they leave.

sensation like: feel, hurt, ache, etc. 4. Transitional event verbs like: fall, leave, lose, etc. 5. Momentary verbs like: hit, kik, knock, etc.

Stative can be classified to: 1.Verbs of inert perception and cognition like: astonish, believe, dislike, hear, know, prefer, smell, understand, etc. 2.Relational verbs like: be, belong, consist of, involve, resemble, etc.

2.3.3 Perfective progressive

The perfect progressive denotes a temporary situation leading up to the present moment like:

Simple perfect: Marry has lived in London since 1990.

Perfect progressive: Marry has been living in London since 1990.

The meaning difference is unimportant, but the use of the progressive means that the speaker considers Marry residence in London to be temporary.

2.4. The Future

There is no obvious future tense in English corresponding to the time/ tense parallel for present and past. Instead there are a number of possibilities of denoting future time. Futurity, modality, and aspect are closely interrelated, and this is reflected in the fact that future time is rendered by means of modal auxiliaries, by semi-auxiliaries, or by the simple present or present progressive forms (Quirk et al., 1985:191).

2.4.1 Auxiliary verb construction

a. Will/shall+ infinitive

The most common way of expressing futurity is the modal auxiliary construction with will, shall, or ***'ll.***

He will be here in half an hour.

Will you need any help?

The modal verb will (or the contracted form 'll) is used with future meaning with subjects of all three persons. The infrequent modal shall is used (especially in Southern Standard BrE) to indicate futurity, but only with a first person subject:

No doubt I shall see you next week.

The auxiliary construction is also used to refer to a statement seen in the past from a point of orientation in the future.

They will have finished their book by next year.

b. Be going to'+ infinitive

Swick, (2010:4) implies that another construction frequently used to express futurity, especially in informal speech, is be going to followed by

2.3.1.2 The past perfective

The past perfective usually has the meaning of 'past-in-the-past', and can be regarded as an anterior version either of the present perfective or of the simple past like:

No wonder Miss Matthews' French was excellent - she had lived in Paris since childhood.

In some contexts the simple past and the past perfect are interchangeable like:

I ate my lunch after my wife { had came}home from her shopping.

Here the conjunction after refers that the arrival from the shopping had taken place before the eating.

The perfect can be combined with the progressive into present perfect progressive like has been playing and past perfect progressive like had been playing.

2.3.2 Progressive Aspect

Progressive aspect (also sometimes called the **durative** or **continuous** aspect) indicates temporariness or a happening **in progress** at a given time. If we take the following example to compare:

Simple Present: Joan ***sings*** well.

Present Progressive: Joan ***is singing*** well.

We can see that these two sentences have the same tense, but different aspects. Notice the difference this makes to the meaning: Joan ***sings*** well refers to Joan's competence as a singer (that she has a good voice - a relatively permanent attribute); Joan ***is singing*** well refers to her performance on a particular occasion or during a particular season. The same formal contrast could be made for the past tense:

Simple Past: Joan ***sang*** well.

Past Progressive: Joan ***was singing*** well.

Additionally, there are a number of other meanings or overtones that go with the progressive aspect, such as limited duration, incompletion, simultaneity, vividness of description, emotional colouring, and emphasis(Quirk et al., 1976:89).

The progressive occurs only with dynamic verbs, ie with verbs in dymamic use. Dymamic verbs fall into five classes while stative verbs, which disallow the progressive, can be seen as belonging to one of two classes.

Dymamic verbs can be classified to: 1.Activity verbs like ask, call, drink, eat, etc.2. Process verbs like change, grow, mature, etc. 3. Verbs of bodily

2.3

2.3.1 Perfective

2.3.1.1The present perfective

The present perfect indicates a period of time retuning back into some earlier time, It is past with current relevance.

Simple past: Jack live in London for ten years.

Present perfect: Jack has lived in London for ten years.

Quirk et al. (1972:91) implies that the simple past of the first sentence refers to the period of residence in London has com e to be finished. Whereas the perfective aspect implies that Jack still lives in London at the moment of speaking (although there is no implication that his residence there will continue).

The present perfective differs from the simple past in relating a past event state to a present time orientation. Thus in situations (which are not unusual) where either the present perfective or the simple past can be appropriately used, they are not interchangeable, but that the present perfective relates the action more directly to the present time.

The choice between the simple past and the present perfective is associated with time orientation, and therefore with the choice and interpretation of time adverbials. (For the classification of the relevant types of adverbials, Examples are:

(a) Adverbials associated with the past tense:

yesterday (evening).
a week ago.
last Monday.
I saw him on Tuesday.
the other day.
in the morning

(b) Adverbials associated with the present perfective:

up to now.
since I met you.
I haven't seen her so far
lately
hitherto

(C) Adverbials associated with both:

today.
I s a w her [this June.
have seen recently. (ibid.)

2.2.3 Perfective and progressive aspects

The term aspect, as it has previously mentioned, refers to a grammatical category which reflects the way in which the verb action is regarded or experienced with respect to time. Unlike tense, aspect is not deictic, in the sense that it is not relative to the time of utterance. The two aspect constructions of English, the perfective and the progressive, can be seen as realizing a basic contrast of aspect between the action viewed as complete (perfective), and the action viewed as incomplete, ie in progress (imperfective or progressive). But these two aspects may combine within a single verb phrase (eg I have been reading is both perfective and progressive). In fact, aspect is so closely connected in meaning with tense, that the distinction in English grammar between tense and aspect is little more than a terminological convenience which helps us to separate in our minds two different kinds of realization: the morphological realization of tense and the syntactic realization of aspect.

SYMBOL	NAME	EXAMPLE
Type A	present perfective	he has examined
	past perfective	he had examined
Type B	present progressive	he is examining
	past progressive	he was examining
Type AB	present perfective progressive	he has been examining
	past perfective progressive	he had been examining

(Quirk et al.(1985:189)

The overlap of meaning between tense and aspect is most problematic in

English in the choice that has to be made between simple past and present

perfective:

simple past: John lived in Paris for ten years.

present perfective: John has lived in Paris for ten years.

Here both sentences indicate a state of affairs before the present moment, but the simple past indicates that the period of residence has come to a close, whereas the present perfective indicates that the residence has continued up

to the present time (and may even continue into the future). This kind of difference, although by no means invariable, is often summarized in the statement that the present perfective signifies past time 'with current relevance'.

(b) The speaker or writer must have in mind a definite time at which the event state took place (ibid.).

The first of these conditions can be exemplified by a sentence like: I stayed in Africa for several months, where the usual implication is that I am no longer in Africa. The second condition is most explicitly shown in cooccurrence relations between the past tense and past time-position adverbials such as last week, in 1932, several weeks ago, yesterday, etc.

It is not necessary, however, for the past tense to be accompanied by an overt indicator of time. All that is required is that the speaker should be able to count on the hearer's assumption that he has a specific time in mind.

Just as the simple present does not always refer to present time, so the past tense is not always confined to past time reference. There are again three special meanings:

(a) In Indirect Speech or (Reported speech), the past tense in the reporting verb tends to make the verb of the subordinate clause past tense as well. This phenomenon, known as backshift, is normally optional, but can result in an apparently anachronistic use of the past tense for present time:

A: Did you say you have had no money?

B: Yes, I'm completely broke.

A different kind of backshift is observed when a sentence describing.'

speech or thought in the future contains reported speech clause referring

retrospectively to the present:

My wife will be sorry that she missed seeing you this evening.

(b) The Attitudinal Past is related to the attitudes of the speaker rather than to time. In the following sentence, both the present and past tenses refer to a present state of mind:

Do/Did you want to see me now?

(c) The Hypothetical Past is used in certain subordinate clauses, especially if-clauses, and expresses what is contrary to the belief or expectation of the speaker:

If you really worked hard, you would soon get promoted.

It's time we all took a rest.

The hypothetical past implies the nonoccurrence of some state or event in the present or future (Quirk et al, 1985:186).

something of the dramatic immediacy of an eye-witness account (Quirk et al, 1985: 181).

A very different use of the present tense in reference to the past is that found with verbs of communication verbs like: tell, hear, learn, write, etc.

The ten o'clock news says that there's going to be a bad storm.

John tells me the Smiths has been abroad.

D. Simple present with future time referring

i. In main clauses, this typically occurs with time-position adverbials to suggest that the event is unalterably fixed in advance, and is as certain as it would be, were it taking place in the present:

The plane leaves for Ankara at eight o'clock tonight.

ii. In dependent clauses, the future use of the simple present is much more common, particularly in conditional and temporal clauses:

He'll do it if you pay him.

I'll let you know as soon as I hear from her(ibid.).

2.2.2.Simple Past Tense

Quirk et al.(1976:42) state than an action in the past may be seen as having taken place at a particular point of time; or over a period; if the latter, the period may be seen as extending up to the present, or relating only to the past; if the latter, it may be viewed as either having been completed, or as not having been completed.

Habitual activity can also be expressed with the simple past like:

He always wrote with a special pen.

A suitable adverb like used to or would may be needed to achieve this sense like:

He used to write with a special pen.

He would write with a special pen.

The simple past tense of most verbs requires an -ed ending with regular verbs. No other conjugational endings are needed for any of the persons in either the singular or plural. Irregular verbs form the simple past tense in more than one way. Some make a vowel change. Some make a vowel and consonant change. A few trans form completely. And a small group of verbs in the past tense looks identical to the present-tense verb (Swick, 2010:11).

The past tense combines two features of meaning:

(a) The event state must have taken place in the past, with a gap between

its completion and the present moment.

Two and three make five.

The earth moves round the sun. (Quirk et al., 1972:85)

(ii) Habitual time statements

When they are used with the simple present, dynamic verb meanings, like

stative verb meanings, usually imply an inherently unrestricted time span.

But in this case the verb refers to a whole sequence of events, repeated over

the period in question:

We go to London every year.

She makes her own dresses.

Water boils at I OO°C.

B. The Instantaneous simple present

It is used with a dynamic verb which signifies an event simultaneous with the present moment. It usually happens where the verb refers to a single action begun and completed nearly at the moment of speech. It is expressed with either simple or the progressive form.The instantaneous present, however, because it implies that the event has little or no duration, does not occur outside some rather restricted situations. Such situations include the following:

Commentaries: John passes the ball to Jack.

Demonstrations and other self-commentaries: I pick up the fruit with a skewer, dip it into the batter, and lower it into the hot fat.

Special Exclamatory Sentences (with initial adverbials): Here comes the winner!

Performatives: I advise you to withdraw. I apologize. We thank you for your recent inquiry(Quirk et al, 1972:86).

C. Simple present referring to the past time

The so-called historic present is characteristic of popular narrative style (also the fictional present):

- I couldn't believe it! Just as we arrived, up comes Ben and slaps me on

the back as if we're life-long friends. 'Come on, old pal,' he says, 'Let

me buy you a drink!' I'm telling you, I nearly fainted on the spot.

The historic present describes the past as if it is happening now. It conveys

On the semantic level of interpretation, then, 'present' is the most general and unmarked category. In contrast to [l], which is a generic statement applicable to present, past, and future, [2] is a more limited statement, suggesting that the albatross, like the dodo, is extinct:

Albatrosses are large birds. [l]

Albatrosses were large birds. [2] (ibid.)

Aspect on the other hand, is a grammatical category referring to the manner that the time of a situation is viewed by the speaker or writer; the aspect is indicated by a combination of auxiliary and verb form. Verbs have two aspects: the perfect aspect and the progressive aspect (Greenbaum & Nelson, 2002:55).

Aspect then concerns to the way in which the verbal action is experienced or regarded (for example as completed or in progress).

These three categories impose on each other, particularly, the expression of time present and past cannot be considered separately from aspect.

2.2 Types of Tenses in English

Tenses in English can be divided to:

2.2.1.Simple Present Tense

Swick, (2010:3) States that simple present tense of most verbs requires only an *-s* ending in the third-person singular. This is true whether the subject is a pronoun (*he, she, it*) or a singular noun. The first- and second-person pronouns (*I, we, you*), the third-person plural pronoun (*they*), and plural nouns require no ending in the present tense of this type. It has different uses:

A. Present without reference to specific time

It is used where is no limitation on the extension of the state through the present into the past and future time. It is expressed with the simple present form. This category includes ‘eternal truths’ which do not refer to the present but are general timeless statements. There are two related types:

(i)Universal time statements, particularly associated with stative verbs.

With stative verb senses, the present is used without reference to specific

Time like:

Water consists of hydrogen and oxygen.

2. Tenses in English Language

2.1Time, Tense, and Aspect

It is important to begin by distinguishing three different levels on which the terms 'present' and 'past' can be explained. First, time can be thought of as a line (theoretically, of infinite length) on which is located, as a continuously moving point, the present moment. Anything ahead of the present moment is in the future, and anything behind it is in the past. This is an interpretation of past, present, and future on a Referential level (Quirk et al., 1985:175). But in relating this view of time to language, time is a universal, non linguistic concept with three divisions: past, present, and future(Quirk et al. 1976:39).

Robins(1978:267) says that the semantic ranges covered by the different forms are mainly on two axes, time relations and what are usually called aspectual difference of completion, incompletion, continuous, and momentariness.

Most linguists agree that English has two tenses: present tense and past tense. The present tense usually refers to the present time and past tense refers to the past time no future tense like:

She is quite well today.

Yesterday she was sick.

Some grammarians like Eckersley & Eckersley(1972:62) have argued for a third, 'future tense', claiming that English realizes this tense by the use of an auxiliary verb construction (such as will+ infinitive). But certain grammatical constructions are capable of expressing the semantic category of ‘future time’.

Some grammarians have gone further, avoiding the term 'present' in reference to tense, and preferring 'nonpast'. The terms present tense and past tense have this justification: that the tenses they name typically have reference to present and past time respectively:

She is quite well today. Yesterday she was sick.

Quirk et al (ibid.) say that 'present' is defined in an inclusive rather than in an exclusive way: something can be defined as 'present' if it has existence at the present moment, allowing for the possibility that its existence may also stretch into the past and into the future. When we say *Paris* ***stands*** *on the River Seine* may be correctly said to describe a 'present' state of affairs, even though this state of affairs has also obtained for numerous centuries in the past, and may well exist for an indefinite period in the future.

This study provides a general view of the meanings, forms and uses of tenses in English and Arabic Languages. The study is organized into three sections. Section one discusses some related concepts like tense, time and aspect. Then English tenses are investigated in some details by presenting their meaning, forms and uses. Section two sheds some light on Arabic tenses, their types, meanings, forms and uses. Finally, section three is specified to general discussion and conclusions.

1. Introduction:

Every language has ways of talking about time. In most languages there is a variety of expressions that can be used to show when something

happened or will happen. These may include temporal adverbs (soon, later,

then), PPs (in the morning, after the election), NPs (last year, that week, the

next day), auxiliary verbs (will, has, did), affixes on the verb, etc. The term

tense is used only for time reference which is marked grammatically that is, by purely grammatical elements such as affixes, auxiliaries, or particles. This distinction is reflected in standard definitions of tense such as the following:

Comrie (1985:32):"Tense is grammaticalised expression of location in time."

Bybee (1985:34):"Tense refers to the grammatical expression of the time of the situation described in the scheme, relative to some other time."

Greenbaum and Nelson (2002:55) define tense as a grammatical category referring to the time of the situation; the tense is indicated by the form of the verb. There are two tense forms: **present** and **past.**

It is important to understand that the comparison between English and Arabic tenses is an interesting subject to investigate. Therefore, this study attempts to find whether there are any similarities and differences between English and Arabic languages. So, the study tries to identify, analyze, and contrast the meanings, types and uses of tenses in these two languages in order to reveal the possible universals of the two languages in this field, and to determine as much as possible the similarities and differences between them.

Contrastive and Comparative Study of Tenses in English and Arabic Languages

Shaima' Al-Mi'mar **الباحث: شيماء المعمار**

الخلاصة بالعربية:

يتناول البحث أهمية الأزمنة، ويسعى لإيجاد اختلاف والتشابهات بين اللغتين العربية والانكليزي.

لذا يحاول الباحث تشخيص وتحليل ومقارنة معاني وأنواع الأزمنة واستعمالاتها في كلا اللغتين للكشف عن المسائل الكلية الممكنة في هذا المجال في اللغتين، ولتقرير وتحديد اختلافات والتشابهات بينهما قدر الامكان.

Abstract

This paper deals with the importance of tense. It attempts to find whether there are any similarities and differences between English and Arabic languages. So, the study tries to identify, analyze, and contrast the meanings, types and uses of tenses in these two languages in order to reveal the possible universals of the two languages in this field, and to determine as much as possible the similarities and differences between them.

The notion of tense is explained. Then the types are mentioned with some classifications, and restrictions. Arabic tenses, on the other hand, are also illustrated, their notion, levels, types and restrictions. The main findings are discussed in the paper. Then, the references used are documented.

Editorial's word

Tow days in the history of the nation

There are two occasions we have experienced their particulars : The birth day of the glorious Prophet ,and the martyrdom of Immam Hossein . Between the birth and martyrdom stretches a way for over a century. In it, The life of prophet hood and life Immamate have intervened together to show their most beautiful images and scenes of a nation playing key role in history and taking the lead in civilization . Such a nation has the greatest fame of science, culture, literature and art Where early Muslims have achieved and led to high levels that no other peoples and nations have reached.

Two days in the history of Islam: a day when the Prophet (PbUH), while he was high in the mountain of Light (AL-Noor), received the first words of revelation, proclaiming the message, putting an end to blasphemy, polytheism, and starting monotheism… and aday when the heaven received the blood of Immam Hossein while he was in Kerbala Sacrificing himself for Islam's sake.

إن كان دين محمد لم يستقم الا بقتلي فيا سيوف خذيني

With his blessed blood, he revived his grandfather's religion.

No wonder, If it weren't for Immam Hossein, we would have had our prayers behind the caliph Yazid din Mawiya, walked in the procession of Omr bin Saad and Shibth bin Ribie, and destroyed the values and ideals. We also would have got drunk in the mosques, spilt wine on Qur"an as the caliphs of Ummayad had done, and our example would have been Shimir bin Thi AL-Jowshen, Sinan bin Anas, and Hajjar bin Abjar.

But Immam Hossein is part of his grandfather the prophet (PBUH); One artery and the same blood drops have been distributed into two bodies: The Prophet's body and Immam Hossein's body. The second, Immam Hossein, has been descended from the first, the Prophet, and when he met martyrdom, he revived with his blood his grandfather's religion. IT was a fresh life to the message of his grandfather's religion. Here the first become part of the second as the second. The first is the messenger of God, and the second is Immam Hossein.

Sectarianism and its impact on the structure of civil society: An approach to strengthen the peaceful co-existence in Iraq 272

Assist. Prof. Samir M. Abdul-lateef
Assist. Prof. Khalid U. J. Al-Ardawi

The Rules of attribution and the mechanisms of application in Iraq 303

Dr. Hassan A. Kadhim

Insurance contract on the plane (acomparative study) 346

Assist. Prof. Alaa A. H. Al-Jubouri
Hassanan M. Judi

The semiotics of title in the poetry of Kadhim Al-Saadi. A collection of (meaning space)as a sample 366

Assist. Prof. Ahmed S. Al-Kaabi
Raghad A. Al-Hili

The Realistic Theory: Study in the contemporary intellectual trends "Reading in the contemporary American Political thought" 385

Assist. lec. Mithaq M. Disher

The political role of M.M.S Al-Sadre in the contemporary of Iraqi history (1991-1999) 433

lec. Salih A. N. Altae

Law of diplomatic Protection and its conditions 468

Ali Kh. Idbeis

Creativity marketing and its impact on green building design 487

Assist.lec. Hossein W. Hossein
Assist.lec. Ahmed A. Mahmmod

The tragic hero and his transformation in the Texts of the Illogical theatre 510

Assist.lec. Hossein R. Hossein

The extent absorption of history teachers in the primary stage of learing theories and their application by them in the educational process 526

Ridha abbas Hassan

Historical roots of the formation of United Arab Emirates 1945-1971 566

Assist. lec. Ala A. Jabbar

Contents

Editorial **5**

Contrastive and Comparative Study of Tenses in English and Arabic Languages **6**
Shaima' Al-Mi'mar

Contents of Arabic Researches

The option of defect in Islamic jurisdiction **9**
Prof. Sahib M. H. Nassar
Assist. lec. Ammar M. H. M. Ali

Harbingers of apostasy after the Prophet and the role of Imam Hussein in response **44**
Jasim Hassan abed Alredha Almarssumy

Quranics used in the elegies of Abbas Ben Ali:An analytic study of the effectiveness of Quranic text in the elegies of Imam Abbas **86**
Assist. lec. Mustafa T. A. Al-Shibli

The Fish farming in Kerbala province **121**
Prof. Salma A. Al-Shiblawi

Armed Islamic movements pledging allegiance to ISIS – Boko Harem as a sample **140**
Assist. lec. Mueid J. Hassan
Assist. lec. Hossein B. Abd Al-Ameer

Abuse of the prosecution right **159**
Assist. Prof. Adel Sh. Al-Shammari
Assist. lec. Ali Sh. Al-Shammari

Referral of the same dispute in front of a foreign court **172**
Assist. Prof. Abdul-Rasool A. Al-Asadi
Assist. lec. Saleh M. Igheit

The supervisory jurisdiction of the council of province on the actions of the judiciary -A critical analytic study in the law 19 of 2013- **199**
Dr. Ali S. O. Al-Qeisi

Ethics of Tourism **226**
Assist. lec. Alaa Kadhim Ibraheem

Aesthetics Islamic decoration in kindergarten doors Kazimiyah **251**
Dr. A thmar Hamid cream

Consultant staff

Prof. Dr.
Hassan Al Chalabi

Prof. Dr.
Abboud Joudi Al Helli

Prof. Dr.
Nabil Kadhom Abd Al Sahib

Prof.Dr.
Adel Al Baghdadi

Prof.Dr.
Ali Abd Allah

Prof.Dr.
Ahmad Salim

Prof. Dr.
Akram Mohsen Al Yaseri

Prof. Dr.
Abd Al Jabbar Mahmood

Prof. Dr.
Ahmad Khalil Al Husseini

of. Dr.
Alae Farhan Al Daemi

In The Name Of Allah Most Gracious, Most Merciful

ISSN 1819-2033 issue: 20

Ahlulbait

Refereed Journal (Quarterly)
Issued By Ahlulbait University

General Supervisor
Prof. Dr. Sadik Aziz Al-Mosawi

Chief Editor
Prof.Dr. Lobnan Hatef Al Shami

Editorial Secretary
Dr. Baqer Jawad Al-Zajajy

Editors
Prof. Dr.Abbas Hussein Al-Hmeiry
Prof. Dr. Aziz Jabor Shaial
Prof. Dr. Majed Hamze Tome Al Dafaei
Asst. Prof. Dr. Hassan Hantoush Rashid
Asst. Prof. Dr. Mansoor Mathkoor Shalash
Asst. Prof. Dr. Adel Khalil Mahdi

Karbala, Al-Hurr street, P.O.Box: 486 ,Tel: 351257-9
info@abu.edu.iq, www.abu.edu.iq